

لا يَأْذَنُ الْمَوْلَى بِصُورَتِي فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
وَبَعْدُ: لَقَدْ قَامَ الْبَاحِثُ
بِنَصْرِ مَالِ الْوَفْطِ عَلَيْهِ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

قسم التفسير

د/ عمر حويّة
قَامَ الْبَاحِثُ بِنُصُوبِ مَالِ الْوَفْطِ إِلَيْهِ أَسْأَلُ
الْمُطَاقَةَ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

د/ عبدالصير محمد شامه
أ. د. محمد المرعي الشنقيطي
١٤١٧/١٧

استشارات

ابن عطية في المكر الوجيز

على الطبري في تفسيره

رسالة مقدمة نيل درجة العالمية العالية ((الدكتوراة))

إعداد

الطالب / شايح بن عبده بن شايح الأسمري

إشراف

فضيلة الدكتور / محمد بن عمر حويّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

الحمد لله الذي قال : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^(١) والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فالشكر لله وحده ، والفضل لله وحده ، والمنة لله وحده ، بما أولاني من النعم ، التي لا تحصى ولا تعد ، كان من بينها أن سلك بي سبيل طلب العلم ، المتعلق بأفضل كتاب أنزل من السماء إلى الأرض ، وكان توفيقه لي ممدوداً طيلة دراستي النظامية ، التي استمرت خمسة وعشرين عاماً (١٣٩٢هـ - ١٤١٧هـ). فاللهم لك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، ولك الفضل كله ، وكل إنسان أعاني فانت الذي هيأته وسخرته ، فلك الشكر على ذلك.

وأشكر لوالدي اللذين رباني صغيراً ، واستمرت رعايتهما لي ، وتوجيههما لي حتى بلغت أشدي ، فرحم الله من مات منهما ، وتجاوز عن ذنوبه وسنآته ، وأدخله جنته بفضل ورحمته ، ووفق من لا زال حياً للعمل الصالح ، وأمد في عمره على طاعة الله تعالى .

ثم أشكر أستاذي وشيخي فضيلة الدكتور / محمد بن عمر حوية ، الذي تفضل - مشكوراً - بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، رغم ما عرض له في هذه السنوات من أشغال وأعمال ، ثم أحاطني - وفقه الله - بالرعاية التامة ، والتوجيهات السديدة القيمة في كل صغيرة وكبيرة من هذا البحث ، وفتح لي باب مكتبه ، ومنزله ، ورأيت فيه أخلاق العلماء العاملين المخلصين ، فأسال الله العلي القدير أن يجزيه خير ما جزى به أستاذاً عن تلميذه ، وأسأله أن يمد في عمره على طاعة الله ، وأن ينفع بعلمه المسلمين ، وأن يشته على الحق حتى يأتيه اليقين .

وأشكر فضيلة الدكتور / عوض بن محمد العمري ، وكيل كلية القرآن الكريم ، فقد تفضل - مشكوراً - فدلني على هذا الموضوع ، ثم وقف إلى جانبيه ، خطة ، وقبولاً ، وإرشاداً وتوجيهاً أثناء مراحل العمل ، فجزاه الله خيراً ، ونفع بما علم ووجّه.

وأشكر فضيلة الدكتور/ سليمان بن صالح الجزري، عميد كلية القرآن الكريم ، الذي اطلع على تفاصيل الخطة المعدّة لهذا الموضوع ووافق عليها ، وعلى غيرها من الخطط ، التي عرضت عليه ، أثناء إشرافه عليّ ، في بداية هذه المرحلة الدراسية ، فجزاه الله خيراً ، ونفع بعلمه وتوجيهاته.

كما أشكر كلاً من الأستاذين الفاضلين ، فضيلة الدكتور/ عبد العزيز بن محمد عثمان ، وفضيلة الدكتور/ أحمد بن محمد الخراط فقد كانت لهما توجيهات وآراء ، استفدت منها كثيراً أثناء مراجعتي لهما في بعض المسائل ، فجزاهما الله خيراً ، ونفع بعلمهما .

وأشكر المسؤولين القائمين على أمر الجامعة الإسلامية ، وفي مقدمتهم معالي الدكتور/ صالح بن عبدا لله العبود ، مدير الجامعة ، فقد لست منهم كل عون وتقدير واهتمام فجزاهم الله خيراً .
كما أشكر كل من قدم لي عوناً يتعلق بهذا البحث ، أيّاً كان هذا العون ، صغيراً أو كبيراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العزيز الرهاب ، مالك الملوك ورب الأرباب ، الذي أنزل على عبده الكتاب ، هدى وذكرى لأولي الألباب . وأودعه العلوم النافعة ، والبراهين القاطعة ، وجعله في الطبقة العليا من البيان حتى أعجز الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله ، ويسر حفظه في الصدور ، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولا يتغير ، على طول الدهور ، وتوالي الأحقاب ، وجعله قولاً فصلاً ، وحكماً عدلاً ، وآية بادية ، ومعجزة باقية ، هدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام ، وجعله لهم في دجى الظلم نوراً ساطعاً ، وفي سدف الشبه شهاباً لامعاً ، وفي مضلة المسالك دليلاً هادياً ، من اتبعه فاز وهدى ، ومن حاد عنه ضل وغوى .

وصلاة الله وسلامه على من دلنا على الله ، وبلغنا رسالة الله ، وجاءنا بالقرآن العظيم ، وجاهد في الله حق الجهاد ، وبذل جهده في الحرص على نجات العباد ، وعلم ونصح ، وبنى وأوضح ، حتى قامت الحجة ، وتبين الرشد من الغي ، وظهر طريق الحق والصواب وانقشعت ظلمات الشك والارتياب ، ذلك سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، النبي الأمي ، القرشي الهاشمي ، المختار من لب اللباب ، والمصطفى من أطهر الأنساب ، وأشرف الأحساب ، الذي أيدته الله بالمعجزات الظاهرة ، والجنود القاهرة ، فصلى الله عليه وسلم ، ما تعاقبت الليالي والأيام .

ورضى الله عن أصحابه أجمعين ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ، فكانوا خير من وطئ الثرى ، بعد الأنبياء ، حملوا القرآن إلينا غصاً طرياً كما أنزل ، وقدموا أرواحهم في سبيل نشره فبلغوا به ما أراد الله لهذه الأمة أن تبلغ ، كل ذلك في مقدار ربع قرن من الزمان فرزقنا الله بهم في هذه الحياة ، وجمعنا بهم في دار رحمته وكرامته ، وجعلنا الله ممن قال فيهم: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾^(١) .

أما بعد : فإن أشرف العلوم والمعارف وأعلاها قدراً - عند أمة الإسلام - علم كتاب الله تعالى ، فكل علوم الإسلام تدور حوله ، وهي مستقاة من معينه ، غير أن علم التفسير هو أقواها علاقة به؛ إذ به

يعرف المقصود من كلام رب العالمين ؛ ولذلك تسابق علماء الإسلام في ميدانه الفسيح ، فألفوا فيه المطولات ، والمختصرات ، وما بين ذلك .

وكان من أبرز هؤلاء العلماء الإمام محمد بن جرير الطبري ، والإمام عبد الحق بن غالب الغرناطي ثم الأندلسي المشهور بابن ^{عطية} حيطنة وكان أبو محمد ابن عطية متأخراً في الزمن ، عن أبي جعفر الطبري . فاطلع على كتابه ، اطلاع العالم المجتهد ، ونقل منه مواطن كثيرة أقره على بعضها ، وتعقبه في بعضها . وكانت تلك التعقبات والاستدراكات تنبئ عن عارضة قوية ، وقرينة وهاجعة . ففكرت في دراسة تلك الاستدراكات - بعد أن نبهت عليها - وإبرازها لطلبة العلم في كتاب مستقل ؛ لما لذلك من أهمية وفائدة ، يأتي الإفصاح عنهما - إن شاء الله تعالى - عند ذكر أسباب اختيار الموضوع .

المقدمة (وتشمل ما يلي)

- ١- أسباب اختيار الموضوع
- ٢- خطة البحث
- ٣- المنهج المتبع في البحث

١ - أسباب اختيار الموضوع

لما من الله تعالى عليّ بالانتهاء من مرحلة الماجستير ، كان لي^{لزاماً} على طالب الدراسات العليا أن يفكر في موضوع^{موضوع} ، يقوم بإعداده لنيل درجة (الدكتوراة) فبحث هنا وهناك ، وحاولت أن أقدم شيئاً يفيدني ، ويضيف إلى مكتبة التفسير شيئاً ، ويقنع به المسئولون في الجامعة ، وكنت أستشير في ذلك أهل الخبرة والاختصاص ، ومنهم فضيلة الدكتور/ عوض بن محمد العمري ، الذي أشار عليّ بهذا الموضوع ، إلا أنني أدركت أن إخراج مثل هذا الموضوع يحتاج إلى جهد كبير ، فأثرت تقديم غيره ، إلا أن ذلك المقدم لم يوافق عليه من بعض المجالس المختصة ، فنويت تقديم هذا الموضوع ، بعد أن اطلعت على بعض جوانبه - فرأيت أنه أهلاً للدراسة والبحث ، لأسباب منها :

١ - هذا الموضوع يتعلق بكتابين في التفسير ، يُعدان نموذجان في هذا الفن ، أحدهما مدرسة يُحتذى على منوالها في بلاد المشرق ، والآخر مدرسة يقتدى بها في بلاد الأندلس والمغرب ، وتقلب الطالب بين منهجي تلك المدرستين ، لا شك أن ذلك عائد عليه بالنفع والفائدة .

٢ - هذا الموضوع يعطي الطالب تمريناً جيداً في جمع الأقوال وسبرها وترجيح الراجح بالدليل والتعليل ، وهذا ما تحبذه الجامعات الإسلامية في طلابها .

٣ - هذه الاستدراكات التي أبدتها القاضي ابن عطية اتسمت بالبحث في قضايا دقيقة وعميقة بحثها يضيف إلى مكتبة التفسير وعلوم القرآن شيئاً مفيداً ونافعاً إن شاء الله تعالى .

٤ - من يعرف الإمام الطبري ودقة بحثه وعلمه وتبحره في علوم الإسلام ، ثم يطلع على المحرر الوجيز ويدرك غزارة علم صاحبه وتبحره في علوم العربية وغيرها يتمنى أن يقف على الحقيقة في تلك الاستدراكات ، فجاء هذا البحث لإبراز تلك الأمنية ، وجعلها واقعاً ملموساً .

٢ - خطة البحث

رأيت أن هذا البحث يصلح أن يكون في مقدمة ، وقسمين ، وخاتمة ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

المقدمة : وتشمل : أسباب اختيار الموضوع ، والخطة ، والمنهج المتبع .

القسم الأول : عن الإمامين الطبري وابن عطية ، وعن تفسيريهما (وفيه ثلاثة فصول) :

الفصل الأول : ترجمة موجزة للإمام الطبري (وفيه عشرة مباحث) :

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ونسبه .

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم .

المبحث الثالث : رحلاته العلمية .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه .

المبحث السادس : عقيدته .

المبحث السابع : مذهبه في الفقه .

المبحث الثامن : الأعمال التي قام بها .

المبحث التاسع : مؤلفاته .

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى .

الفصل الثاني : ترجمة موجزة للقاضي ابن عطية (وفيه عشرة مباحث) :

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته .

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم .

المبحث الثالث : رحلاته العلمية .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه .

المبحث السادس : عقيدته .

المبحث السابع : مذهبه في الفقه .

المبحث الثامن : المناصب التي شغلها.

المبحث التاسع : مؤلفاته.

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى.

الفصل الثالث : عقد مقارنة بين جامع البيان والمحرر الوجيز (وفيه عشرة مباحث):

المبحث الأول : المقارنة بينهما في تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني : المقارنة بينهما في تفسير القرآن بالسنة.

المبحث الثالث : المقارنة بينهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الرابع : المقارنة بينهما في ذكر القراءات وتوجيهها.

المبحث الخامس : المقارنة بينهما في الاعتماد على اللغة العربية.

المبحث السادس : المقارنة بينهما في تدوين أحكام القرآن.

المبحث السابع : المقارنة بينهما في ذكر الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثامن : المقارنة بينهما في الاهتمام بالعقيدة والرد على الفرق المخالفة.

المبحث التاسع : المقارنة بينهما في ذكر أسباب النزول.

المبحث العاشر : المقارنة بينهما في ذكر الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص والمكي والمدني.

القسم الثاني : استدراقات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في تفسيره (ويورد هذا القسم

على ترتيب سور القرآن الكريم وآياته).

الخاتمة : ويذكر فيها أهم النتائج التي ظهرت للباحث من خلال هذا الموضوع.

٣- المنهج المتبع في البحث

١- ذكرت نبذة مختصرة عن حياة الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية ، لم أر التطويل فيها ؛ لأن هناك دراسات قد تناولت هذا الجانب ، بشيء من التفصيل.
وجاءت هذه النبذة مع قصرها ، وافية في التعريف بحياة الإمامين منذ ولادتهما ، حتى وفاتهما ، رحمهما الله تعالى.

٢- أجريت مقارنة بين جامع البيان وأخضر الوجيز ، حرصت أن تكون وافية من غير تطويل. أبرزت من خلالها وجه الاتفاق والاختلاف بين هذين السفرين العظيمين ، وقد جاءت هذه المقارنة في قواعد أساسية يضعها كل مفسر أمام عينيه عندما يفسر كتاب الله تبارك وتعالى.

٣- بحثت عن أفضل النسخ الموجودة لجامع البيان ، وأخضر الوجيز للاعتماد عليها في نقل قول الإمام الطبري ، واستدراك القاضي ابن عطية.

فاعتمدت في ((جامع البيان)) على النسخة المحقق منها إلى بعض سورة إبراهيم^(١)، واعتمدت في الباقي على النسخة المطبوعة في دار الكتب العلمية ، وإذا أشكل عليّ فيها شيء رجعت إلى النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق وغيرها من النسخ.

أما أخضر الوجيز فاعتمدت على النسخة المحققة في بلاد المغرب ، وذلك من أوّل البحث حتى نهاية سورة الأنعام ، وإذا أشكل عليّ شيء استعنت بما حققه الملاح من أخضر الوجيز^(٢) ، وبالنسخة المطبوعة في دار الكتب العلمية^(٣). ثم استطعت الحصول على النسخة المحققة في دولة قطر - بعد أن بلغت إلى ما أشرت إليه سابقاً من البحث - ورأيت أنها أمثل من النسخة المغربية فاعتمدت عليها من أوّل سورة الأعراف ، حتى نهاية الاستدراكات ، وما تبين لي فيه خلل رجعت فيه إلى النسخة المغربية وبيّنت ذلك في الحواشي.

٤- قمت بقراءة أخضر الوجيز ، من أوله حتى نهايته ، ودونت الصفحات التي ورد فيها الاستدراك.

(١) حققها العالمان الشيخ أحمد ومحمود شاكر.

(٢) الذي رأيت من أوّل أخضر الوجيز حتى نهاية قوله تعالى ﴿لن نألو البر حتى تنفقوا مما تحبون...﴾ سورة آل عمران ،

الآية : ٩٢.

(٣) حققها / عبد السلام عبد الشافي محمد.

٥- رجعت إلى المواطن التي أشار إليها القاضي ابن عطية من تفسير الإمام الطبري ، وتأكدت من أن ابن عطية يقصدها ثم قمت بنقل قول الإمام الطبري كاملاً ، وما له من أدلة ، ولم أقتصر على إشارة ابن عطية، وصدرت الاستدراك بقول الإمام الطبري، ثم نسقت عليه باستدراك القاضي ابن عطية ورأيه هو في المسألة، وما ذكر من أدلة كل ذلك كاملاً ؛ ولهذا فالقارئ لن يظفر باستدراك القاضي في أول موطن مما نقل من المحرر ؛ بل عليه أن يصبر فسيجده في وسط المنقول، وأحياناً في آخره، وقد يجده أحياناً في أول المنقول، والسبب في هذا أنني حرصت أن يعرف القارئ اتجاه ابن عطية وأدلتها كاملة.

٦- وضعت مسائل الاستدراكات في كل سورة بأرقام منفصلة، بحيث تبدأ المسائل في كل سورة بالرقم (١)، وتنتهي بحسب كثرة الاستدراكات في السورة وقلتها، وكل استدراك يبدأ من أول الصفحة، بحيث لا يشترك استدراكان في صفحة واحدة، وإذا لم يكن في السورة إلا استدراك واحد، لم أضع له رقماً، ووضعت له علامة تميزه هكذا (❁).

٧- الآية ، أو الآيات التي فيها الاستدراك أشرت إلى أرقام آياتها، وسورها في أعلى الصفحات، دون ذكرها في الحاشية، وذلك تسهياً للوصول إليها دون مشقة.

٨- رتب هذه الاستدراكات حسب ترتيب سور القرآن، وآياته، مسقطاً ذكر الآية، أو السورة التي لم يرد فيهما استدراك.

٩- حرصت على نقل حجة الإمام الطبري - في المسألة المستدركة عليه - وكذلك حجة القاضي ابن عطية ، وذلك من نص كلامهما ، فإن لم يذكر الدليل ، أو أحدهما ، التمسيت ما يقوي اتجاه ^{كل} كلا منهما ، مما أقف عليه في كتب التفسير، أو رأيت أنه يصلح لهما ، أو لأحدهما دليلاً ، وإن لم يشر إليه أحد.

١٠- إذا ذكر الإمام الطبري ، أو القاضي ابن عطية الأقوال الأخرى ، في المسألة الواقعة فيها الاستدراك اكتفيت بما قالوا ، وإلا نبهت على الأقوال الأخرى ، وهذا في الغالب ، وحسب طبيعة المسألة الواقعة فيها الاستدراك ، إذ بعض المسائل المستدركة لا يوجد لها ذكر في كتب التفسير، وليس فيها أقوال ، كأن يقول ابن عطية : أدخل الطبري تحت الترجمة ما لا يدخل ، أو نحو ذلك. وأحياناً قد أرى ذكر الأقوال وعدمه سيان في بيان المسألة فأثرت الاختصار على التطويل.

١١- حرصت على ذكر آراء العلماء في استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، فرجعت إلى الكتب التي ينقل أصحابها أقوال ابن عطية واستدراكاته ، وقد وجدت لأكثر الاستدراكات ذكراً في تلك الكتب ، إلا أن أصحابها - أحياناً كثيرة - يكتفون بذكر الاستدراك دون تعقيب عليه .

١٢- أبدت ما أرى أنه الصواب ، أو الأولى ، أو الأقوى في كل استدراك ، مصرحاً في الغالب أن هذا الاستدراك وارد على الإمام الطبري ، أو غير وارد ، وقد أكتفي بترجيح قول الإمام الطبري ، أو ما يراه القاضي ابن عطية ، فالقارئ يدرك اتجاه الطالب في كل استدراك ، فلا يخفى عليه .

إلا أنه في بعض المسائل المستدركة لم يترجح عندي جانب على جانب ، فاكتفيت ببيان دليل كل من الإمامين ، وآراء العلماء فيما وقع فيه الاستدراك ، وهي مواطن قليلة .

١٣- في بعض المسائل تبين لي أن الصواب في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية ، فبينت ذلك وحينئذ فقد لا يوجد مجال لقولي : هذا الاستدراك وارد ، أو غير وارد ، وأحياناً يمكن ذلك مع بيان أن الأولى في غير قول الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية .

١٤- عبارات القاضي ابن عطية التي عقب بها على أقوال الطبري ، منها ما هو صريح في الاستدراك ، ومنها ما ليس بصريح كقول ابن عطية : ((هذا أحسن)) ، ((هذا أقوى)) ، ((هذا أجرى مع سياق اللفظ)) ، ((هذا أولى)) ، أو نحو ذلك ، فهذه الألفاظ ونحوها فيها نوع من الاستدراك ، ولذلك لم أهملها ، نعم ليست مثل ((فيه نظر)) ، ((هذا خطأ)) ، ((ليس بصحيح)) ، إلا أنه لا يمكن خلوها من الاستدراك .

١٥- نقل القاضي ابن عطية طائفة من الأحاديث والآثار من تفسير الإمام الطبري ، وعقب على بعضها ، فما احتف به قرائن تدل على أن القاضي أراد أن يوجه إلى الطبري اللوم من خلال ذلك التعقيب أدخلته في الاستدراكات ، كأن يعضد الإمام الطبري ما ذهب إليه بحديث ، أو أثر ، فيأتي القاضي ابن عطية فيرد قول الإمام الطبري ، ويذكر أن الطبري استدل عليه بكذا ، وهذا لا يصح - مثلاً - أو يقول ابن عطية : أسند الطبري عن فلان أنه قال كذا ورجحه الطبري ، وهو لا يصح ، أو يقول : أدخل الطبري في تفسيره عن فلان أنه قال كذا ، وهذا لا يصح عن فلان . وما كان بخلاف ماتقدم مما قصد القاضي بيان حال إسناده ، أو متنه ، دون توجيه اللوم لمن نقله فهو ^{عن} الاستدراك معزل ، وما زال العلماء من قديم وحديث يوردون الأحاديث ، والآثار ، ويذكرون من خرجها ويبينون

حالتها وما فيها ، ولا يعنون بذلك توجيه اللوم إلى من ساقها بالإسناد فكذلك يقال فيما نقله القاضي من تفسير الإمام الطبري ، وكان له عليه تنبيه .

١٦- الأحاديث والآثار التي تبين لي أن القاضي استدرکها على الإمام الطبري ، أنظر في حالها وما قيل فيها ، فإن وجدت عالماً قد كفاني مؤونة البحث وبين حالها اكتفيت - في الغالب - بما قال ، وإن لم يكن ذلك درست إسنادها ، معتمداً في بيان حال رجالها على كتاب ((تقريب التهذيب)) وقد أستعين بكتاب ((الكاشف)) وغيره . وقد أزيد بعضها بياناً ودراسة فأدرس إسنادها ، وأذكر أقوال أهل العلم فيها .

١٧- لا أطيل في تخريج الآثار التي تأتي عرضاً في المنقول من تفسير الإمام الطبري ، ولم يستدرک القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في إيرادها ، وأكتفي أحياناً كثيرة بأن أقول : أخرجه الطبري من طريق فلان ، وذكرني للطريق الذي جاء منها هو كشف عن حالها ، وقد أنه على ضعف الطريق وقوته ، وقد أسكت نظراً إلى أن التنبيه على تلك الطريق قد تقدم ، أو أنها طريق مشهورة بين أوساط الباحثين . وأما الأحاديث والآثار التي استدلت بها في أثناء البحث فأنا أذكر اثنين أو ثلاثة أو أكثر ممن خرجها وأبين حالها وما قال فيها أهل العلم إن لم تكن في الصحيحين ، أو أحدهما .

١٨- بينت محل النزاع بين الإمامين الطبري وابن عطية ، إذا كان يحتاج إلى بيان وشرح ، وتركت ما كان ظاهراً لا يحتاج إلى شرح وبيان .

١٩- أشرت إلى أرقام الآيات وسورها في الحواشي ، ما عدا الواقع فيه الاستدراك ، فإنني أشير إليه في أعلى الصفحات - كما أشرت سابقاً - تمييزاً ، وتسهيلاً . وكتبت الآيات بالخط الإملائي ، وكنت حريصاً على أن أكتبها بالرسم العثماني ، إلا أنني عندما بدأت الطبع بحثت عن ناسخ يوجد عنده جهاز تكون فيه آيات القرآن مبرجة بالرسم العثماني فلم يكن إلى ذلك سبيل ، إلا أن تلفق كتابتها فيطبع بعض الحروف ، ويكتب بعضها بخط اليد في الكلمة الواحدة ، ومع هذا سيبقى نقص وزيادة في بعض الكلمات إذا ما قورنت بالرسم الصحيح ، فلما رأيت الحال تؤول إلى هذا ، رأيت في هذا عذراً أن أكتبها بالخط الإملائي .

٢٠- قد أقول في أثناء بحث المسألة ، قال بقول الطبري فلان وفلان ، وبقول ابن عطية فلان وفلان ، وأذكر علماء قد يكونون عاشوا قبل الطبري وابن عطية ، ولا أقصد أن المتقدم تابع المتأخر ؛ إذ ذلك من المستحيل ، وإنما قصدت إعطاء القارئ صورة واضحة عن اتجاه العلماء في المسألة المستدركة.

٢١- الطريقة المتبعة - غالباً - في عرض المسائل هي : ذكر رأي الإمام الطبري والعطف عليه باستدراك ابن عطية ، ثم بيان محل الخلاف إذا كان يحتاج إلى ذلك ، ثم ذكر الأقوال الأخرى في المسألة إن لم يكن ذكرها أحد الإمامين ، ثم عرض آراء العلماء وما ذكر من أدلة ، ومناقشة ما يحتاج إلى مناقشة ، ثم التذييل على ذلك بإبداء ما أراه من كون الاستدراك وارداً أو غير وارد ، مقروناً بما أقول ذكر الدليل والتعليل.

٢٢- عرفت بالفرق في أول موطن وردت فيه تعريفاً مختصراً ، وعرفت ببعض الأماكن والبلدان، التي رأيت أنها تحتاج إلى تعريف.

٢٣- عزوت الأشعار إلى دواوينها ، والكتب المختصة بها مع بيان وجه الاستشهاد إن كان يحتاج إلى بيان ، ولم يكن بينه الإمامان أو أحدهما ، وعزوت البيت إلى قائله - ما أمكن - إن لم يكن أحد الإمامين قد عزاه ، مع ذكر ترجمة مختصرة لحياة الشاعر.

٢٤- شرحت الكلمات الغريبة التي رأيت أنها تحتاج إلى شرح.

٢٥- عزوت القراءات إلى كتب القراءات ، مع بيان نوع القراءة ، متواترة أو شاذة.

٢٦- ضبطت بالشكل بعض الكلمات التي رأيت أنها تحتاج إلى ضبط ، ولم أكثر في هذه الناحية.

٢٧- ترجمت للأعلام الواردين في البحث الذين رأيت أنهم يحتاجون إلى تعريف ، وقد جاءت التراجم في غاية الاختصار ، فلم تزد على ثلثي سطر ، أو سطر في الغالب ؛ لأن طائفة من تلك التراجم التعريف بها مجرد تذكير.

والترجمة تأتي في أول موطن ورد فيه العلم ، ومن فاتتني ترجمته في أول موطن ترجمت له في موطن آخر ، وحينئذ أنبه في فهرس الأعلام على الصفحة التي ترجم فيها ، من فاتتني ترجمته في أول موطن. ولم أنبه في الحواشي - غالباً - على أن العلم قد ترجم ، أو أنها تأتي ترجمته ؛ لأن فهرس الأعلام كفيلاً بالكشف عن الموطن الذي ترجم فيه العلم.

٢٨- قد يلمس القارئ ما يفيد عدم الجزم في طائفة من المسائل التي رجحت فيها جانباً على جانب ، أو حكمت بورود الاستدراك ، أو عدم وروده ، وهذا من باب الأدب مع الإمامين الطبري وابن عطية ، أضف إلى ذلك أن بعض تلك المسائل من المسائل الكبار فتحرجت من الجزم فيها ، وبعضها تكاد تتكافأ أدلته ، وبعضها لا تتوفر الأدلة الكافية لإسقاطه بالكلية ، أو للقول: بأنه الحق وما عداه خطأ . ثم بعض الاستدراكات لم يقصد فيها القاضي إسقاط قول الإمام الطبري ، وإنما قصد تقديم ما ذهب إليه فحسب.

٢٩- لا بد لمن عاش مع هذا البحث سنوات أن يظهر له أشياء هو أعرف بها من غيره ، يحسن أن يظهرها ويبرزها ، فجئت بخاتمة وضعتها بعد الانتهاء من الاستدراكات بينت فيها أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث.

٣٠- وضعت الفهارس اللازمة ، التي تعين القارئ على الإفادة من هذا البحث ، وهذه الفهارس تشمل ما يلي:

(١) فهرس آيات القرآن الكريم.

(٢) فهرس الأحاديث الشريفة.

(٣) فهرس الآثار.

(٤) فهرس الأشعار.

(٥) فهرس الأعلام.

(٦) فهرس المصادر والمراجع.

(٧) فهرس الموضوعات.

هذا وقد اجتهدت في إخراج هذا البحث - ((استدراكات ابن عطية في المحرر

الوجيز على الطبري في تفسيره)) - بالصورة التي ينبغي أن يكون عليها ، فواصلت الليل بالنهار ، وأوقات الراحة بأوقات العمل من أجل ذلك.

وقصدت اتباع الحق ، سواء كان في جانب الإمام الطبري ، أو القاضي ابن عطية ، فالإمامان

منزلتهما في قلبي سواء ، فمن نصره الدليل رجحت جانبه ، ومن لا فلا.

ونفسي عندي أحقر ، وأصغر من إدخالها بين إمامين كالطبري ، وابن عطية ، إلا أن بعض أساتذة

التفسير من كلية القرآن الكريم ، وخارجها رحبوا بهذا الموضوع ، وشجعوني على المضي فيه ، فسألت

الله العون ، ومضيت في هذا الموضوع ، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله وحده ، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله من ذلك ، وحسبي أني قصدت الخير ، واجتهدت في السلامة من التقصير ، ولكن أني تكون السلامة لمن التقص من مكرنات وجوده .

وقد لاقيت في أثناء تقديم هذا الموضوع والعمل فيه صعوبات كبيرة - لولا فضل الله عليّ ما تجاوزتها - بعض هذه الصعوبات أملت طبعه الدراسات العليا ، وكثيراً منها أملاه نوع البحث ، وبعضها تسبب فيه ما أضيف إليّ من عمل ، عندما كنت في أشد الحاجة إلى التخفيف .

فالحمد لله الذي أعان ويسر لي الخروج من كل ذلك . وأسأله أن يزيدني من فضله فيبارك في هذا العمل ، وينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرحم من دار هذا البحث على كتابتها ^{كتابتها} ~~وهي~~ ^{وهي} الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية ، وأن يجمعني بهما في دار كرامته ، ومستقر رحمته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه .

الباحث / شايح بن عبده بن شايح الأسمرى

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في ٢٧/٣/١٤١٧ هـ

القسم الأول : عن الإمامين الطبري وابن عطية

وعن تفسيريهما

(وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الأول : ترجمة موجزة للإمام الطبري

الفصل الثاني : ترجمة موجزة للقاضي ابن عطية

الفصل الثالث : عقد مقارنة بين جامع البيان والمحضر الوجيز

الفصل الأول : ترجمة موجزة للإمام الطبري (١)

(وفيه عشرة مباحث)

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ونسبته

أ - اسمه ونسبه

هو : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (٢).

(١) إنما اختصرت في ترجمة الإمام الطبري ، لأنها قد أحرقت عنه دراسات وترجمات مستفيضة منها على سبيل المثال :

أ - الطبري المفسر للدكتور / سيد أحمد خليل ، بحث قدمه إلى جامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراة في الآداب سنة ١٩٥٣م.

ب - الإمام الطبري بحث في التفسير قدمه الدكتور / عبد الله بن عبد العزيز المصلح لكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

ج - كتاب الطبري للدكتور / أحمد محمد الحوفي ، من سلسلة أعلام العرب رقم (١٣) ، طبع بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

د - الإمام الطبري (شيخ المفسرين ، وعمدة المؤرخين ، ومقدم الفقهاء المحدثين ، صاحب المذهب الجريري) للدكتور / محمد الزحيلي . دار القلم الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

هـ الطبري ومنهجه في التفسير للدكتور / محمود بن الشريف ، شركة مكينات عكاظ للنشر والتوزيع . الأولى عام ١٤٠٤هـ.

بالإضافة إلى البحوث التي كتبت عنه ضمن مؤلفات في التفسير ، أو المقالات التي نشرت حوله في صحف ، أو مؤتمرات ، وقد أشار إليها الدكتور الزحيلي في كتابه الإمام الطبري ص (٢١ ، ٢٢).

(٢) هكذا ساق نسبه جماعة من المؤرخين منهم الخطيب في تاريخ بغداد (١٦٢/٢) ، والسمعاني في الأنساب (٤٦/٤) ، وياقوت في معجم الأدباء (٤٠/١٨) ، وابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١٢٠/٣) ، وابن كثير في البداية والنهاية (١٥٦/١١) ، وطاش كبرى في مفتاح السعادة (٢٣٢/١) . على أن بعض المؤرخين قال اسم والد جده: خالد. انظر الفهرست ص (٣٢٦) ، ووفيات الأعيان (١٩١/٤) . والجمهور على أنه : كثير بن غالب.

وترجمة الطبري في مصادر كثيرة غير ما تقدم منها : المنتظم (٢١٥/١٣) ، وإنباه الرواة (٨٩/٣) ، ووفيات الأعيان

(١٩١/٤) ، وطبقات علماء الحديث (٤٣١/٢) ، وتذكرة الحفاظ (٧١٠/٢) ، وميزان الاعتدال (٤٩٨/٣) ، ودول

الإسلام (١٨٧/١) ، والعبر (٤٦٠/١) ، وسير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) ، والنوادي بالوفيات (٢٨٤/٢) ، ومرآة الجنان

(٢٦١/٢) ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١٠٦/٢) ، ولسان الميزان (١٠٠/٥) ، والنجوم الزاهرة

(٢٠٥/٣) ، وطبقات المفسرين للسيوطي ص (٩٥) ، وطبقات الحفاظ ص (٣١٠) ، وطبقات المفسرين للسيوطي

(١١٠/٢) ، وشذرات الذهب (٢٦٠/٢) ، وتاريخ ابن عساكر (١٦٠/١٥) ، والمحمدون من الشعراء (٢٢٣/١) ، وهدي

العارفين (٢٦/٢) ، والأعلام (٦٩/٦) ، ومعجم المؤلفين (١٤٧/٩) ، وكشف الظنون ص (٤٣٧) ، والطبري للحوفي

ص (٣٠) ، والإمام الطبري للزحيلي ص (٢٧) ، وتاريخ الأدب العربي (٤٥/٣) ، وظهر الإسلام (٣٨/٢) ، (٢٠٢) ،

وتاريخ التراث العربي (١٥٩/٢/١).

ب - كنيته

يكنى الإمام الطبري بأبي جعفر ، عرف بذلك ، واتفق المؤرخون عليه^(١) .
ولم يكن له ولد اسمه جعفر ؛ لأنه لم يتزوج^(٢) وإنما تكنى به اتباعاً للسنة .

ج - نسبه

يقال له الطبري نسبة إلى طبرستان^(٣) وهذه أشهر نسبة للإمام أبي جعفر . وينسب الإمام الطبري أيضاً إلى آمل ، وهي البلدة التي ولد فيها ، وهي أكبر مدينة في طبرستان إلا أن نسبه إليها قليلاً^(٤) . وله نسبة ثالثة وهي البغدادي ، نسبة إلى بغداد التي استوطنها ونشر فيها علمه ، وبها مات ودفن^(٥) .
ولأجل ماتقدم قال بعض أهل العلم في نسبه : ((الإمام أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي))^(٦) .

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم

أ - مولده

ولد الإمام الطبري بآمل في آخر سنة ٢٢٤هـ ، أو أول سنة ٢٢٥هـ . وقد سئل الطبري نفسه عن سبب الاختلاف في ولادته ، فقال : لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين ، فأرخ مولدي بحديث كان في البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم : كان ذلك في آخر سنة ٢٢٤هـ . وقال آخرون : بل كان في أول سنة ٢٢٥هـ^(٧) .
قلت : أكثر من رأيت من المؤرخين يقتصر على القول الأول^(٨) .

(١) انظر المراجع السابقة التي ترجمت له .

(٢) انظر معجم الأدباء (٥٥/١٨) ففيه ما يشير إلى ذلك . وفي لسان الميزان (١٠٢/٥) أنه كان حصوراً ، لا يعرف النساء .

(٣) طبرستان : بفتح أوله وثانيه وكسر الراء ، ولاية كبيرة واسعة الأرجاء في بلاد فارس بين جرجان والديلم ، على بحر

قروين ، تضم قرى كثيرة . انظر معجم البلدان (١٥/٤) ، ومراصد الاطلاع (٨٧٨/٢) ، وبلدان الخلافة الشرقية

(ص ٤٠٩) .

(٤) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص (٢٩) .

(٥) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص (٢٩) .

(٦) انظر غاية النهاية (١٠٦/٢) .

(٧) انظر معجم الأدباء (٤٧/١٨ ، ٤٨) .

(٨) انظر الفهرست ص (٣٢٦) ، ووفيات الأعيان (١٩٢/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) ، والمراجع السابقة عند ذكر

ب- نشأته وطلبه للعلم

نشأ الإمام الطبري في حجر والده ، الذي حرص على تعليمه وتوجيهه ، وكان الوالد قد رأى رؤيا شجعتة على زيادة الاهتمام بتعليم ابنه ، فحفظ الإمام الطبري القرآن وعمره سبع سنين ، وأم الناس وهو ابن ثمان ، وكتب الحديث وعمره تسع سنين ، وذلك عن مشايخ بلده طبرستان ، وما حولها كالري وأعمالها^(١) ، فحصل في هذه البلاد مبادئ العلوم وأسسها.

المبحث الثالث : رحلاته العلمية

لما حصل الإمام الطبري مبادئ العلوم في بلده وما جاورها ، تأقت نفسه إلى الاستزادة من طلب العلم وقد كانت الرحلة في طلب العلم ولقيا العلماء والسماع والرواية عن الأكابر ميزة علماء ذلك الوقت ، فقل أن تجد عالماً يكتفي بعلماء بلده ، حتى يخرج فيطوف البلدان ، ويلقى العلماء .

والإمام الطبري - رحمه الله تعالى - سار على هذا الطريق ، فرحل من بلده وعمره اثنا عشر عاماً^(٢).

ويظهر أن رحلته في هذه السن كانت للبلاد المجاورة لطبرستان . ثم رحل إلى بغداد ، وكتب عن شيوخها فأكثر ، وكان في نفسه أن يسمع من أبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل فلم يتفق له ذلك لموته قبل دخوله إليها . ثم انحدر إلى البصرة فسمع فيها من عدد من الشيوخ ، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيين . ثم صار إلى الكوفة فكتب فيها عن جماعة من العلماء . ثم غرب فخرج إلى مصر ، وفي طريقه كتب عن المشايخ بأجناد الشام^(٣) والسواحل والثغور .

وكان وصوله إلى مصر سنة ثلاث وخمسين ومنتين ، فأكثر الكتابة عن شيوخها من علوم مالك والشافعي وابن وهب^(٤) وغيرهم ، ثم عاد إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر سنة ست وخمسين ومنتين ، ثم رجع إلى مدينة السلام (بغداد) ، ثم رجع إلى بلده طبرستان وهي المرة الأولى ، ثم الثانية كانت في سنة تسعين ومنتين ، ثم رجع إلى بغداد فاشتهر اسمه في العلم ، وشاع خبره بالفهم والتقدم^(٥).

(١) انظر معجم الأدباء (٤٩/١٨).

(٢) انظر لسان الميزان (١٠٢/٥).

(٣) موضع بالشام من نواحي فلسطين . انظر معجم البلدان (١٢٩/١).

(٤) عبد الله بن وهب بن مسلم ، الإمام الثقة (ت : ١٩٧هـ) . انظر السير (٢٢٣).

(٥) انظر معجم الأدباء (٤٩/١٨-٥٦) فقيه ذكر خبر هذه الرحلة ، وما ذكرته هنا مختصر منها.

ونص بعض أهل العلم على أنه رحل إلى بلاد الحجاز^(١).
فتلخص مما تقدم أن الإمام الطبري رحل إلى الري ، وبغداد ، وواسط ، والبصرة ، والكوفة ،
والحجاز ، والشام ، ومصر.

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه

أ- شيوخه

لقي الإمام الطبري كثيراً من الشيوخ ، يصعب حصرهم وعددهم ، ذكر الإمام الذهبي^(٢) منهم ما يزيد
على أربعين شيخاً ثم قال : ((وأما سواهم))^(٣).

وسأذكر فيما يلي تراجم مختصرة لعدد منهم :

- ١ - أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي أبو جعفر ، حافظ ثقة (ت : ٢٤٤ هـ)^(٤).
- ٢ - أحمد بن يحيى ثعلب أبو العباس ، من أئمة نخاة الكوفة (ت : ٢٩١ هـ)^(٥).
- ٣ - الربيع بن سليمان بن داود الأزدي المصري ، ثقة (ت : ٢٥٦ هـ)^(٦).
- ٤ - سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي الكوفي ، صدوق (ت : ٢٥٢ هـ)^(٧).
- ٥ - عباس بن الوليد أبو الفضل البيروتي ، المقرئ الصدوق (ت : ٢٧٠ هـ)^(٨).
- ٦ - علي بن سراج أبو الحسن المصري ، إمام حافظ أديب (ت : ٣٠٨ هـ)^(٩).
- ٧ - عمران بن موسى الليثي البصري ، كان رحمه الله ثقة صدوقاً (ت : ٢٤٠ هـ)^(١٠).

(١) هو السمعاني في الأنساب (٤/٤٦) وكان بعض المعاصرين لم يطلع على هذا فأهمل ذكر خير رحلته إلى بلاد الحجاز.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان ، الخافظ الكبير والمؤرخ الشهير (ت ٧٤٨ هـ) انظر البدر الطالع (١١٠/٢).

(٣) السير (٢٦٩/١٤).

(٤) انظر الكاشف (٢٩/١)، والتقريب رقم (١١٤).

(٥) انظر معجم الأدباء (٦٠/١٨) ، والسير (٥/١٤).

(٦) انظر الكاشف (٢٣٦/١)، والتقريب رقم (١٨٩٣).

(٧) انظر الكاشف (٣١٧/١) ، والتقريب رقم (٢٥٨٧).

(٨) انظر السير (٤٧١/١٢) ، والتقريب رقم (٣١٩٢).

(٩) انظر معجم الأدباء (٥٢/١٨) ، والسير (٢٨٣/١٤).

(١٠) انظر الكاشف (٣٠٢/٢)، والتقريب رقم (٥١٧٢).

- ٨ - محمد بن بشار بن عثمان البصري ، حافظ ثقة (ت : ٢٥٢هـ) ^(١) .
- ٩ - محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله ، من حفاظ الحديث وثقه بعضهم ، ورجح بعضهم ضعفه .
أخذ عنه الإمام الطبري التفسير والحديث بالري (ت : ٢٤٨هـ) ^(٢) .
- ١٠ - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، فقيه ثقة (ت : ٢٦٨هـ) ^(٣) .
- ١١ - محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي ، من رجال الصحيح (ت : ٢٤٤هـ) ^(٤) .
- ١٢ - محمد بن العلاء أبو كريب الهمداني الكوفي ، حافظ ثقة (ت : ٢٤٧هـ) ^(٥) .
- ١٣ - هناد بن السري التميمي الكوفي ، العابد الزاهد ، حافظ ثقة (ت : ٢٤٣هـ) ^(٦) .
- ١٤ - الوليد بن شجاع السكوني أبو همام نزيل بغداد ، حافظ ثقة (ت : ٢٤٣هـ) ^(٧) .
- ١٥ - يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي البغدادي ، حافظ ثقة له مسند (ت : ٢٥٢هـ) ^(٨) .

ب - تلاميذه

تلمذ على الإمام الطبري عدد غير قليل من بينهم أنمة ذاع صيتهم في بلاد الإسلام ، عد الذهبي منهم طائفة ثم قال : ((وخلق كثير)) ^(٩) .

وسأذكر فيما يلي تراجم موجزة لأشهرهم :

- ١ - أحمد بن كامل بن خلف أبو بكر ، القاضي الحافظ الإمام العلامة ، (ت : ٣٥٠هـ) ^(١٠) .
- ٢ - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الإمام الحافظ (ت : ٣٦٠هـ) ^(١١) .

(١) انظر الكاشف (٢١/٣) ، والتقريب رقم (٥٧٥٤) .

(٢) انظر الكاشف (٣٢/٣) ، والتقريب رقم (٥٨٣٤) .

(٣) انظر الكاشف (٥٥/٣) ، والتقريب رقم (٦٠٢٨) .

(٤) أعني صحيح مسلم . انظر الكاشف (٦٤/٣) ، والتقريب رقم (٦٠٩٨) .

(٥) انظر التقريب رقم (٦٢٠٤) .

(٦) انظر الكاشف (١٩٩/٣) ، والتقريب رقم (٧٣٢٠) .

(٧) انظر الكاشف (٢١٠/٣) ، والتقريب رقم (٧٤٢٨) .

(٨) انظر الكاشف (٢٥٤/٣) ، والتقريب رقم (٧٨١٢) .

(٩) السير (٢٦٩/١٤) .

(١٠) انظر المصدر نفسه (٥٤٤/١٥) .

(١١) انظر المصدر نفسه (١١٩/١٦) .

٣ - عبد الله بن الحسن بن أحمد أبو شعيب الحراني ، احدث المعمر ، كان أكبر من الطبري (ت : ٢٩٥هـ)^(١).

٤ - عبد الله بن عدي أبو أحمد ، الإمام الحافظ الناقد ، صاحب ((الكامل في ضعفاء الرجال)) (ت : ٣٦٥هـ)^(٢).

٥ - المعافى بن زكريا بن يحيى ، الجريري ، القاضي الفقيه الحافظ المتفنن (ت : ٣٩٠هـ)^(٣).

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه

برع الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - في علوم الإسلام كلها ، وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره . فكان - رحمه الله تعالى - جامعاً لكتاب الله العزيز ، أم به المسلمين وعمره ثماني سنوات ، وكان حسن الصوت بقراءة القرآن عارفاً بالقراءات والتفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، والنحو والشعر ، والعروض ، والتاريخ عموماً ، والجرح والتعديل خصوصاً ، والعقائد والفرق ، والمنطق والحساب والجبر والطب .

فهذه العلوم وغيرها بلغ فيها الإمام الطبري الغاية القصوى ، وله في أكثرها مؤلفات ، بعضها سارت مسار الشمس في الدنيا ، وبعضها يعرفها أهل الاختصاص ، وبعضها لم يصل إلينا . وأخشى أن يكون تعريفي بهذا الجانب تجهيلاً لهذا الجبل الشامخ لقصور عبارتي ، وقلة معرفتي ، ولكن أسوق لك جملة من أقوال الأئمة العلماء في الثناء على الإمام الطبري ، وهذا الثناء - في الوقت نفسه - متضمن بيان العلوم التي برع فيها .

قال الخطيب البغدادي^(٤) - في الثناء عليه رحمه الله تعالى - : كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الخلفين في الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم

(١) انظر المصدر نفسه (١٣/٥٣٦).

(٢) انظر المصدر نفسه (١٦/١٥٤).

(٣) انظر المصدر نفسه (١٦/٥٤٤).

(٤) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، الإمام العلامة الحافظ (ت : ٤٦٣هـ) . انظر السير (١٨/٢٧٠).

والمملوك ، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله ، وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة (١).

وقال عبد العزيز بن محمد الطبري (٢) : كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ ، على ما لا يجله أحد عرفه ؛ لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة ، ولا ظهر من كتب المصنفين ، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له ، وكان راجحاً في علوم القرآن ، والقراءات ، وعلم التاريخ ، واختلاف الفقهاء مع الرواية (٣).

وقال أيضاً : كان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة ، وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب ، وأخذ منه قسطاً وافراً ، وكان عازفاً عن الدنيا ، تاركاً لها ولأهلها ، يرفع نفسه عن التماسها ، كان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب ، وكان عارفاً بالعبادات جامعاً للعلوم (٤).

وقال أبو حامد الإسفراييني (٥) : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير، لم يكن ذلك كثيراً (٦).

وقال أبو العباس المبرد (٧) : ابن جرير من حذاق نحاة الكوفة . وهذا من أبي العباس كثير ؛ لأنه كان قليل الشهادة لأحد بالحذق في علمه (٨).

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة (٩) - وقد استعار تفسير الطبري لينظر فيه - : قد نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير (١٠).

(١) انظر تاريخ بغداد (١٦٣/٢).

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إسحاق أبو الحسن الطبري ، سمع من ابن جرير تفسيره للقرآن ، أو بعضه ، سكن دمشق ، له تصانيف حسنة . انظر تاريخ دمشق (٣٨٥/١٠).

(٣) انظر معجم الأدباء (٥٩/١٨).

(٤) انظر معجم الأدباء (٦١/١٨).

(٥) أحمد بن أبي طاهر ، الأستاذ العلامة ، شيخ الشافعية ببغداد (ت : ٤٠٦ هـ) انظر السير (١٩٣/١٧).

(٦) انظر تاريخ بغداد (١٦٣/٢) ، وطبقات الشافعية الكبرى (١٢٣/٣).

(٧) تأتي ترجمته عند سورة الفاتحة ، الآية : ٢ .

(٨) انظر معجم الأدباء (٦٠/١٨).

(٩) محمد بن إسحاق بن خزيمة ، الحافظ الحجة الفقيه (ت : ٣١١ هـ) انظر السير (٣٦٥/١٤).

(١٠) انظر تاريخ بغداد (١٦٤/٢).

وذكر أن أبا العباس ابن سريج^(١) كان يقول : محمد بن جرير الطبري فقيه العالم^(٢).

المبحث السادس : عقيدته

الإمام محمد بن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - من كبار أئمة أهل السنة والجماعة الساترين على منهج السلف الصالح ، فهو - رحمه الله - على مذهب أهل الحديث ، مذهب الطائفة الناجية ، والفرقة المنصورة ، وتفسيره مصدر لأهل السنة والجماعة ، وله كتب في العقيدة تبين عن صحة عقيدته منها كتابه ((صريح السنة)) ، و ((التبصرة في معالم الدين)) وغيرهما مما سيأتي ذكره - إن شاء الله تعالى - عند ذكر مؤلفاته . وسوف أقتصر في هذا المبحث على ذكر بعض أقواله من كتابه صريح السنة ، حيث قال رحمه الله عن القرآن : ((فأول ما يبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا : القرآن كلام الله وتنزيله إذ كان من معاني توحيده ، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق ، كيف كتب وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ ، في السماء وجد وفي الأرض ، حيث حفظ في اللوح المحفوظ كان مكتوباً ، وفي ألواح صبيان الكتابيب مرسوماً ، في حجر نقش أو في ورق خط ، أو في القلب حفظ وبلسان لفظ ، فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآناً في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بالسنننا ونكتبه في مصاحفنا أو اعتقد غير ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه ، أو قال بلسانه داتناً به فهو بالله كافر حلال الدم بريء من الله ، والله منه بريء بقول الله عز وجل : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^(٣). وقال - وقوله الحق - عز وجل : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٤) فأخبر جل ثناؤه أنه في اللوح المحفوظ مكتوب وأنه من لسان محمد ﷺ مسموع وهو قرآن واحد من محمد ﷺ مسموع في اللوح المحفوظ مكتوب ، وكذلك هو في الصدور محفوظ ، وبالسنة الشيوخ والشبان متلواً^(٥).

(١) أحمد بن عمر القاضي الشافعي (ت : ٣٠٣هـ) انظر السير (٢٠١/١٤).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١٢٣/٣).

(٣) سورة البروج ، الآية : ٢١ ، ٢٢.

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٦.

(٥) صريح السنة ص (١٨).

وقال رحمه الله - في أفعال العباد - : ((وأما الصواب من القول لدينا فيما اختلف فيه من أفعال العباد وحسناتهم وسيناتهم فإن جميع ذلك من عند الله تعالى ، والله سبحانه مقدره ومدبره ، لا يكون شيء إلا بإذنه ، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر كما يريد))^(١).

وقال - في الخلفاء الراشدين - : ((وكذلك نقول فأفضل أصحابه ﷺ الصديق أبو بكر رضي الله عنه، ثم الفاروق - بعده - عمر ، ثم ذو النورين عثمان بن عفان ، ثم أمير المؤمنين وإمام المتقين علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين))^(٢).

وقال - رحمه الله - في الإيمان : ((وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل ، وهل يزيد وينقص ، أم لا زيادة فيه ولا نقصان ، فإن الصواب فيه قول من قال : هو قول وعمل يزيد وينقص ، وبه جاء عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وعليه مضى أهل الدين والفضل))^(٣).

هذه أشياء مما قال ومن أراد الوقوف على ما لم ينقل هنا فلينظر في كتابه المذكور .

وقد اتهم الإمام الطبري بالتشيع^(٤) ، وأنه يقول بمسح القدمين في الوضوء ، وأقواله ترد هذه التهمة، فإنه قد قرر عقيدة أهل السنة في الإمامة بتقديم أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم أجمعين.

وأما اتهامه بمسح القدمين في الوضوء فهذا تفسيره يشهد بخلاف ذلك فإنه قد قرر عند آية الوضوء في سورة المائدة أنه يجب غسل القدمين في الوضوء^(٥) ، إلا أن في كلامه ما يفيد أنه لا يكتفي بصب الماء

(١) المصدر نفسه ص(٢١).

(٢) المصدر نفسه ص(٢٤).

(٣) المصدر نفسه ص(٢٥).

(٤) هذه التهمة أشار إليها بعض المترجمين كياقوت في معجم الأدباء (٤٠/١٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٥٧/١١). حتى أن الذهبي وابن حجر قالوا: فيه تشيع يسير وموالة لا تضر . انظر الميزان (٤٩٩/٣) ولسانه (١٠٠/٥). إلا أن إثبات يسير تشيع فيه لست مقتنعاً به ، ولا مستند لهذا اليسير إلا تصحيحه لحديث غدير خم ، وقول الإمام السليمانى: كان يضع للرؤايف ، وتعصب بعض العامة من الخنابلة ، ودعوى بعض الرؤايف أنه منهم . وكلها لا تخول إثبات شيء في حق هذا الإمام ؛ لأن تصحيح عالم الحديث في فضائل أهل البيت لا يبنى عليه اتهامه بشيء من التشيع سيما وأن ملاهيات تصحيح الحديث كانت معروفة . وأما قول السليمانى فقد حزم الذهبي بأن مقصوده به (محمد بن جرير بن رستم الشيعي) وأما تعصب العامة وقولهم فلا يؤخذ به وإن ثبت أن ابن أبي داود قاله فلا يلتفت لذلك فإنه ابن جرير لا يتصف كل منهما الآخر كما قال الذهبي ، وأما دعوى الرؤايف فمن كذب على الله ورسوله كيف لا يكذب على الطبري؟! .

(٥) انظر تفسيره (٦٢، ٦١/١٠) فقد نص في هذا الموضوع أن الواجب غسلهما مع إمرار اليد عليهما.

عليهما، أو غمسهما فيه بل لا بد من ذلكهما ، وعبر - رحمه الله - عن ((الدلك)) بالمسح بالماء ولذلك قال ابن كثير^(١): ((والذي عول عليه كلامه في التفسير^(٢)) أنه يوجب غسل القدمين ، ويوجب مع الغسل ذلكهما ولكنه عبر عن الدلك بالمسح ، فلم يفهم كثير من الناس مراده ، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح ، وهو الدلك ، والله أعلم))^(٣).

وقال الذهبي - في تيرته هذا الإمام - : ((وكان ابن جرير من رجال الكمال ، وشنع عليه يسير تشيع ، وما رأينا إلا الخير ، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء ، ولم نر ذلك في كتبه))^(٤).

كذلك ما نسب إليه من القول باللفظ كذب^(٥) ، يدل على عدم صحته ، قوله رحمه الله : ((وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ، ولا تابعي قضى ، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء - رحمة الله عليه ورضوانه - وفي اتباعه الرشد والهدى ، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه . فإن أبا إسماعيل الترمذي^(٦) حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: اللفظية^(٧) جهمية لقول الله جل اسمه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾^(٨) فممن يسمع؟ ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال: هو غير مخلوق فهو مبتدع . ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه ، وفيه الكفاية والمنع ، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه))^(٩).

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير الإمام الحافظ المفسر (ت: ٧٧٤هـ) انظر طبقات المفسرين (١/١١١).

(٢) هكذا في النسخة التي بين يدي ((والذي عول عليه كلامه في التفسير)).

(٣) البداية والنهاية (١١/١٥٨).

(٤) السير (١٤/٢٧٧).

(٥) انظر الميزان (٢/٤٣٥) فقد نسب الذهبي إلى ابن أبي داود وأصحابه أنهم هم الموجهون هذه التهمة إليه.

(٦) محمد بن إسماعيل بن يوسف ، إمام حافظ ثقة (ت: ٢٨٠هـ) انظر السير (١٣/٢٤٢).

(٧) اللفظية : فرقة نشأت بعد فتنه القول بخلق القرآن فقد سئل الحسين الكرابيسي عن القرآن فقال كلام الله غير مخلوق

فقال السائل : فلفظنا بالقرآن فقال مخلوق . ومن هنا جاءت التسمية . انظر في شأن هذه الفرقة مقالات الإسلاميين

ص(٦٠٢)، والشريعة ص(٨٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٣٤٩).

(٨) سورة التوبة ، الآية : ٦ .

(٩) صريح السنة ص(٢٥ ، ٢٦).

المبحث السابع : مذهبه في الفقه

درس الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - الفقه على مذاهب الأئمة المشهورين في زمنه الحنفية^(١) ، والمالكية ، والشافعية^(٢) ، وأهل الظاهر^(٣) ، وكان - رحمه الله - متبعاً لمذهب الإمام الشافعي ، فقد ذكر المترجمون أنه قال : أظهرت فقه الشافعي ، وأفتيت به ببغداد عشر سنين ، وتلقنه مني ابن بشار الأحول^(٤) ، أستاذ أبي العباس ابن سريج^(٥) . ولهذا عده بعض الشافعية من كبار علمائهم فذكروه في طبقاتهم ، وقال قائلهم : ابن جرير معدود من أصحابنا لا يمتري أحد في ذلك^(٦) . إلا أن الإمام الطبري تقدم في علم الفقه - أصولاً وفروعاً - حتى بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق ، وعد في عداد الأئمة الكبار المجتهدين . وقد تقدم أن بعض العلماء أثنى عليه بقوله : وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله .

وقال ابن خلكان^(٧) : وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً^(٨) .

ومذهبه يسمى المذهب الجريري^(٩) ، وله تلاميذ تفقهوا بمذهبه ، وحملوه فاستمر برهه من الدهر^(١٠) . إلا أن أتباع الإمام الطبري لم تطل مدتهم فانقطعوا بعد الأربعمئة^(١١) .

المبحث الثامن : الأعمال التي قام بها

الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - من العلماء الذين آثروا الآخرة على الدنيا ، فكان أبعد الناس عن أي ولاية تتعلق بالسلطين ، وكان - رحمه الله - طول حياته عالماً ينشر العلم ويفيد طلابه ، أو متعلماً يستزيد من طلب العلم .

(١) انظر الفهرست ص(٣٢٦) فقد ذكر ابن النديم أنه أخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري .

(٢) انظر المصدر السابق ص(٣٢٦) فقد ذكر جملة من شيوخه في الفقه على منهب مالك والشافعي .

(٣) أخذ فقههم عن شيخهم داود الظاهري . انظر المصدر السابق ص(٣٢٦) .

(٤) عثمان بن سعيد بن بشار ، الفقيه البغدادي (ت : ٢٨٨هـ) انظر السير (١٣/٤٢٩) .

(٥) انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٢٣) .

(٦) انظر المصدر السابق (٣/١٢٧) .

(٧) أحمد بن محمد بن إبراهيم ، المؤرخ الأديب (ت : ٦٨١هـ) انظر الأعلام (١/٢٢٠) .

(٨) وفيات الأعيان (٤/١٩١) .

(٩) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص(١٦٢) .

(١٠) انظر الفهرست ص(٣٢٧ ، ٣٢٨) .

(١١) انظر مقدمة ((اختلاف الفقهاء)) ص(١٦) .

وقد ذكر بعض من ترجم للإمام الطبري بعض الأعمال التي كان يقوم بها فمنها أنه كان يؤم المسلمين في الصلاة ، وكان على جانب كبير من الإتقان في القراءة ، حتى أن أبا بكر ابن مجاهد^(١) شيخ المقرنين في بغداد كان يقول : ما سمعت في الخراب أقرأ من أبي جعفر^(٢) .

ومما ذكروا من أعماله : أنه كان يبقى في منزله يكتب في تصانيفه إلى وقت العصر ، ثم يخرج فيصلي العصر ويجلس للناس ، يُقَرَأُ ويُقَرَأُ عليه إلى المغرب ، ثم يجلس للفقهِ والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة ، ثم يدخل منزله^(٣) .

وقد طُلب من الإمام الطبري أن يلي القضاء فامتنع ، فعاتبه أصحابه ، وقالوا له : لك في هذا ثواب وتحبي سنة قد درست ، وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم ، فانتهرهم وقال : كنت أظن أن لو رغبت في ذلك لتهتموني عنه^(٤) .

المبحث التاسع : مؤلفاته

للإمام الطبري - رحمه الله تعالى - مؤلفات كثيرة منها الكبير الذي يبلغ آلاف الصفحات ، ومنها المتوسط ، ومنها الصغير ، وهي في فنون مختلفة ، والذي وصلنا منها بالنسبة إلى ما لم يصل قليل ، كذلك ما ذكر منها قليل بالنسبة إلى ما لم يذكر ؛ لأن الإمام الطبري مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة^(٥) . وقالوا : إنهم أحصوا ما كتب ثم قسموه على أيام حياته منذ بلغ الحلم فخرج لهم أربع عشرة ورقة في كل يوم^(٦) . وهذا شيء عظيم لا يتهدأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق . وهذه بعض مؤلفاته^(٧) .

(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)^(٨) و (تاريخ الرسل والملوك)^(٩) و (كتاب ذيل المذيل)^(١٠) و (اختلاف علماء الأمصار في أحكام شريعة الإسلام)^(١١) و (لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام)

(١) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ، الإمام المقرئ المحدث (ت : ٣٢٤هـ) . انظر السير (٢٧٢/١٥) .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦٦/٢٨) .

(٣) انظر المصدر السابق (٩٢/١٨) .

(٤) انظر طبقات الشافعية الكبرى (١٢٥/٣) .

(٥) انظر تاريخ بغداد (١٦٣/٢) .

(٦) انظر معجم الأدباء (٤٤/١٨) .

(٧) اعتمدت في إثبات هذه المؤلفات على الفهرست ص (٣٢٧) ومعجم الأدباء (٦٠/١٨) وما بعدها ، والإمام الطبري للزحيلي ص (٥١ - ٥٣) .

(٨) مطبوع .

(٩) مطبوع .

(١٠) مطبوع .

(١١) مطبوع منه قطعة باسم ((اختلاف الفقهاء)) .

و(الحفيف في أحكام شرائع الإسلام) و (بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام) و (تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار)^(١) و (آداب القضاة) و (آداب النفوس الجيدة والأخلاق الحميدة) و (كتاب المسند المجرد) و (الرد على ذي الأسفار) و (كتاب القراءات وتنزيل القرآن)^(٢) و (صريح السنة)^(٣) و (التبصير في معالم الدين)^(٤) و (فضائل أبي بكر وعمر) و (فضائل علي بن أبي طالب) و (فضائل العباس)^(٥) و (كتاب في عبارة الرؤيا في الحديث) و (مختصر مناسك الحج) و (مختصر الفرائض) و (الرد على ابن عبد الحكم)^(٦) و (الموجز في الأصول) و (الرمي بالنشاب)^(٧) و (الرسالة)^(٨) و (العدد والتنزيل) و (مسند ابن عباس)^(٩) و (كتاب المسترشد) و (اختيار من أقاويل الفقهاء) و (كتاب الطير)^(١٠) و (الرد على الحرقوصية)^(١١) و (حديث الهميان)^(١٢).

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى

بارك الله تعالى في عمر هذا الإمام فعاش ستاً وثمانين سنة من (٢٢٤-٣١٠هـ) وكانت وفاته رحمه الله تعالى في بغداد في آخر شوال من سنة عشر و ثلاث مئة^{قد} (١٣)، ولئن كان أمات الإمام الطبري ، فإن علمه وذكره باقيان حتى يومنا هذا ، وسيبقيان بإذن الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١) طبع بعضه .

(٢) منه نسخة خطية بالأزهر.

(٣) مطبوع بتحقيق بدر بن يوسف المعتوق.

(٤) مطبوع بتحقيق الشبل.

(٥) العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ ، ثبت مع رسول الله يوم حنين ، ومناقبه جمّة (ت: ٣٢٢هـ) انظر السير (٧٨/٢).

(٦) لعله عبد الله بن عبد الحكم بن أعين ، عالم فقيه إمام (ت : ٢١٤هـ). انظر الأعلام (٩٥/٤).

(٧) يشك في نسبه للطبري. انظر معجم الأدباء (٨١/١٨).

(٨) لعلها مقدمة لبعض كتبه ، قال محمود شاكر: رأيت في ترجمة الطبري ، أنه كان يسمي مقدمات كتبه رسالة. وكان لكل كتاب من كتبه الكبيرة ((رسالة)). انظر تفسير الطبري (٦١٥/١) حاشية (١).

(٩) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، حبر الأمة وإمام التفسير (ت : ٦٨هـ). انظر السير (٣٣١/٣).

(١٠) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٥٧/١١).

(١١) الظاهر أنها فرقة من فرق الخوارج ، تنسب إلى حرقوص بن زهير التميمي . انظر الإصابة (٢٢٦/٢ ، ٢٢٧)، وترتيب القاموس ((حرقوص)).

(١٢) ذكره سزكين في تاريخ التراث العربي (١٦٨/٢/١) وذكر أنه مخطوط.

(١٣) انظر تاريخ بغداد (١٦٦/٢) ، والإنساب (٤٧/٤) ، ومعجم الأدباء (٤٠/١٨).

ولقد تأثر لموت الإمام الطبري العامة والخاصة ، وراثه خلق من أهل الدين والأدب بمراثي طنانة،
ذكروا فيها فضله وعلمه وزهده^(١) . رحم الله الإمام الطبري ، وغفر له وجمعنا به في دار كرامته .

(١) انظر طرفاً منها في تاريخ بغداد (١٦٦/٢ - ١٦٩).

الفصل الثاني : ترجمة موجزة^(١) للقاضي ابن عطية

(وفيه عشرة مباحث)

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته

هو : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية الحاربي . هذا هو نسب ابن عطية كما ذكره هو في فهرسته^(٢) .
وإذا قارنت هذا النسب بما في بعض كتب التراجم وجدت بينهما نوع اختلاف^(٣) والعمدة ما ذكره ابن عطية ؛ لأن صاحب البيت أدري بما فيه .
وأسرة القاضي ابن عطية تنحدر من سلالة عربية فهم من ولد زيد بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٤) .

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم

ولد أبو محمد عبد الحق بن غالب في مدينة غرناطة وذلك سنة ٤٨١ هـ^(٥) .
وكانت نشأة أبي محمد في بيت علم وفضل ، فأبوه غالب^(٦) كان من أكبر علماء غرناطة ، وأجداده مشهورون بالعلم والفضل^(٧) ، ولا شك أن هذا له تأثير في توجيه القاضي أبي محمد في حياته العلمية، والتطلع إلى معالي الأمور .

- (١) وإنما آثرت الإيجاز في ترجمة القاضي ابن عطية ؛ لأن بعض الدراسات قد تناولت حياته بالتفصيل منها :
أ - ابن عطية المفسر ومكانه من حياة التفسير في الأندلس / رسالة ماجستير قدمها / عبد العزيز بدوي إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية .
ب - منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم / رسالة دكتوراة ، قدمها : الدكتور / عبد الوهاب فايد إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر .
(٢) انظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن ص (١٥) .
(٣) انظر الصلة (٣٦٧/١) ، والدياج المذهب (٥٧/٢) ، وبغية الملتبس ص (٢٨٩) ، وصلوة الصلة ص (٢) .
وترجمة ابن عطية في غير المراجع السابقة ، ومنها معجم ابن الأبار ص (٢٦٩) ، الوفيات لابن قنفذ ص (٢٧٩) ، نفع الطيب (٦٧٩/١) ، شجرة النور الزكية (١٢٩/١) ، المرقبة العليا ص (١٠٩) ، طبقات المفسرين للسيوطي ص (٦٠) ، بغية الروعة (٧٣/٢) ، كشف الظنون (١٦١٣/٢) ، هدية العارفين (٥٠٢/١) ، معجم المؤلفين (٩٣/٥) ، الأعلام (٢٨٢/٣) ، السير (٥٨٧/١٩) ، طبقات المفسرين للدباوي (٢٦٥/١) .
(٤) انظر الدياج المذهب (٥٧/٢) ومنهج ابن عطية ص (١٤) .
(٥) انظر الصلة (٣٦٧/١) ، وبغية الملتبس ص (٢٨٩) ، والدياج المذهب (٥٧/٢) ، والسير (٥٨٧/١٩) .
(٦) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن عطية .
(٧) انظر المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي ص (٢٧٠) ، وتاريخ قضاة الأندلس ص (١٠٩) .

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم^(١)

وقد ابتدأ أبو محمد بطلب العلم على يدي علماء غرناطة ، ومنهم والده ، الذي قرأ عليه كتب الحديث والتفسير والفقه ، واللغة والأدب والتاريخ ، واستمرت هذه الرعاية إلى الوقت الذي ألف فيه أبو محمد ((المحرر الوجيز)) إذ قد جاء في بغية الملتبس ، أن هذا الوالد العالم ربما أيقظ ابنه في الليلة مرتين يقول له : ((قم يا بني اكتب كذا وكذا ، في موضع كذا من تفسيرك))^(٢).

المبحث الثالث : رحلاته العلمية

رحل القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - من بلده غرناطة إلى كبريات مدن الأندلس الزاخرة بالعلم والعلماء فرحل إلى قرطبة ، وإشبيلية ، ومرسية ، وبلنسية ، وجيان ، فلقي وجوه علماء هذه المدن وقرأ عليهم^(٣).

وراسل جماعة من العلماء - داخل الأندلس وخارجها - يطلب منهم الإجازة بكتبهم التي وقعت إليه^(٤).

ولم تنهياً لأبي محمد الرحلة إلى بلاد المشرق ، ولعل السبب في ذلك أن عصره ، كان عصر جهاد وحرب ؛ لأن الأندلس في ذلك الوقت كانت مهددة بالسقوط في أيدي الأسيان ، فأثر ابن عطية المرابطة في سبيل الله تعالى ومواجهة الأعداء مع إخوانه الأندلسيين^(٥).

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه

أ - شيوخه

تلمذ القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على جماعة من العلماء برعوا في علوم الشرع ، واللسان وغيرها من العلوم المساعدة ، وقد ذكر ابن عطية نفسه أنه أخذ العلم عن ثلاثين شيخاً بالأندلس وغيرها^(٦) ، غير أنني سأكتفي بترجمة موجزة لأهم شيوخه وهم :

(١) البيت في أوضح المسالك (٤٤/١) ، والدر المنصور (٢٨٧/١) . قال محمد محيي الدين: ينسب إلى رؤبة بن العجاج ولا يوجد في ديوانه . انظر عدة السالك (٤٤/١) .

(٢) بغية الملتبس ص (٤٤١) .

(٣) انظر منهج ابن عطية ص (٥٦) .

(٤) انظر المرجع السابق ص (٥٦ ، ٥٧) .

(٥) انظر المرجع السابق ص (٥٥) .

(٦) انظر منهج ابن عطية ص (٤٢) .

- ١- أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الحافظ كان من جهايزة المحدثين ، له بصر باللغة والإعراب ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب ، (ت : ٤٩٨هـ)^(١).
- ٢- حسين بن محمد بن فيرة الصديقي أبو علي المحدث الحافظ القاضي ، رحل إلى بلاد المشرق فرجع بعلم كثير (ت : ٥١٤هـ)^(٢).
- ٣- عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي أبو محمد ، آخر الأكاير بالأندلس في علو الإسناد وسعة الرواية ، كان حافظاً للقرآن كثير التلاوة له عارفاً برواياته وطرقه (ت : ٥٢٠هـ)^(٣).
- ٤- علي بن أحمد بن خلف بن الباذش الإمام المقرئ النحوي له مشاركة في الحديث ورجاله (ت : ٥٢٨هـ)^(٤).
- ٥- أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب الإمام الحافظ المحدث ، والد القاضي ابن عطية ، ولد سنة ٤٤١هـ ، وسمع من شيوخ الأندلس ، ورحل إلى بلاد المشرق ، مات رحمه الله سنة ٥١٨هـ^(٥).
- ٦- محمد بن علي بن عبد العزيز التغلبي ، قاضي الجماعة بقرطبة كان حافظاً ذكياً أديباً شاعراً لغوياً أصولياً (ت : ٥٠٨هـ)^(٦).
- ٧- محمد بن الفرج القرطبي المالكي أبو عبد الله ، كانت الرحلة إليه في وقته ، وكان فقيهاً حاذقاً بالفتوى ، شديداً على أهل البدع (ت : ٤٩٧هـ)^(٧).
- هؤلاء الشيوخ - وغيرهم - نص المؤرخون على أن القاضي التقى بهم ، وأفاد منهم^(٨).

(١) انظر الصلة (١٤١/١) ، والسير (١٤٨/١٩).

(٢) انظر الصلة (١٤٣/١) ، والسير (٣٧٦/١٩).

(٣) انظر الصلة (٣٣٢/١) ، والسير (٥١٤/١٩).

(٤) انظر الصلة (٤٠٤/٢) ، وبغية الوعاة (١٤٢/٢).

(٥) انظر بغية المنتسب ص (٤٤٠ ، ٤٤١) ، والسير (٥٨٦/١٩).

(٦) انظر الصلة (٥٣٩/٢).

(٧) انظر الصلة (٥٣٤/٢) ، والسير (١٩٩/١٩).

(٨) انظر الصلة (٣٦٧/١) ، وصلة الصلة ص (٢) ، والدياج المذهب (٥٧/٢) ، وبغية المنتسب ص (٣٨٩) ، وشجرة النور

الزكية (١٢٩/١) ، ومنهج ابن عطية ص (٤٢ - ٤٦).

ب - تلاميذه

القاضي ابن عطية من كبار العلماء الذين تقدموا في فنون كثيرة من العلم ، ولذا حرص طلاب العلم على الاستفادة منه فتلمذ عليه كثير منهم في غرناطة والمرية ، ورحل إليه الطلاب من كل مكان ، وانتفع بعلمه خلق كثير^(١).

وسأذكر في هذه العجالة ترجمة موجزة لبعض تلاميذه ، وهم :

١- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء أبو جعفر اللخمي القرطبي ، ولي القضاء فأحسن السيرة ، إمام في النحو ، مشارك في علوم كثيرة (ت : ٥٩٢هـ)^(٢).

٢- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو القاسم ، المعروف بابن حبيش ، الإمام القاضي ، كان عالماً بالقرآن ، إماماً في علم الحديث والعربية (ت : ٥٨٤هـ)^(٣).

٣- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي المعروف بابن القرس ، برع في الفقه والأصول والعربية ، وكان من أحفظ العلماء لمذهب مالك ، له أحكام القرآن ، من أحسن ما وضع في ذلك (ت : ٥٩٧هـ)^(٤).

٤- محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة أبو بكر المرسي ، الفقيه القاضي ، من أعيان الأندلس ، له مؤلفات عدة (ت : ٥٩٩هـ)^(٥).

٥- محمد بن خير بن عمر أبو بكر الإشبيلي ، الإمام الحافظ المجرّد المقرئ ، عالم الأندلس ، لقي ابن عطية بالمرية وأخذ عنه (ت : ٥٧٥هـ)^(٦).

هؤلاء هم أشهر تلاميذ ابن عطية الذين ذكر العلماء أنهم تتلمذوا عليه^(٧).

(١) انظر منبهج ابن عطية ص (٨٨).

(٢) انظر بغية الرعاة (٣٢٣/١).

(٣) انظر السير (١١٨/٢١) ، وبغية الرعاة (٨٥/٢).

(٤) انظر السير (٣٦٤/٢١) ، وبغية الرعاة (١١٦/٢).

(٥) انظر التكملة (٥٦١/٢) ، ومنبهج ابن عطية ص (٨٩).

(٦) انظر فهرست ابن خير (٤٣٧) ، والسير (٨٥/٢١).

(٧) انظر الصلة ص (٣) ، والسير (٥٨٨/١٩) ، ومنبهج ابن عطية ص (٨٩ ، ٩٠).

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه

برع القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - في علوم كثيرة منها التفسير ، والقراءات ، والفقه ، والحديث ، والعربية - لغة ونحواً وصرفاً وشعراً ونثراً - وكتابه في التفسير خير شاهد على هذا ، فقد جود فيه هذه العلوم ، وظهر فيها تفوقه ونبوغه .

وقد أثنى عليه العلماء بهذا ، وبما هو أكثر ، فقليل فيه رحمه الله تعالى :

❁ كان واسع المعرفة ، قوي الأدب ، متفنناً في العلوم ^(١) .

❁ كان فقيهاً جليلاً ، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير ، أديباً بارعاً نحويّاً شاعراً لغويّاً مقيداً ضابطاً... فضلاً ، ولي قضاء المريّة ... فتوحى العدل والحق ، وأعز الخطة ، وكان غاية في توقّد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف ، وألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع ، وطار بحسن نيته كل مطار ، وألف برنامجاً ضمنه مروياته وأسماء شيوخه ، وحرّر وأجاد فيه ^(٢) .

❁ كان إماماً في الفقه ، وفي التفسير ، وفي العربية ، قوي المشاركة ، ذكياً ، فطناً مدركاً ، من أوعية

العلم ^(٣) .

❁ ألف تفسير القرآن العظيم ، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها ^(٤) .

❁ أبو محمد فقيه ، حافظ ، محدث مشهور ، أديب نحوي ، شاعر بليغ كاتب ، ألف في التفسير . كتاباً

ضخماً ، أربى فيه على كل متقدم ^(٥) .

❁ كان غاية في الدهاء ، والدكاء ، والتهمم بالعلم ، سري الهمة في اقتناء الكتب ^(٦) .

(١) قاله ابن بشكوال في الصلة (١/٣٦٧ ، ٣٦٨) .

(٢) قاله ابن الزبير في صلة الصلة ص(٣) .

(٣) قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٨) .

(٤) قاله السيوطي في بغية الوعاة (٢/٧٣) .

(٥) قاله الضبي في بغية المتتمس ص(٣٨٩) .

(٦) قاله ابن فرحون في الديباج المذهب (٢/٥٧) . وفي اللسان : سري الهمة أي شريف الهمة

انظر اللسان (٦/٢٥٤) «سرا» .

المبحث السادس : عقيدته

القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أشعري العقيدة^(١) ، فهو يثبت أن العباد يرون ربهم يوم القيامة^(٢) ، ويثبت أن القضاء والقدر من الله خيره وشره^(٣) ، ويثبت أن صاحب الكبيرة لا يخلد في نار جهنم^(٤) ، وأن الشفاعة ثابتة لعصاة الموحدين^(٥) ، ويرد على من خالف ما ذكر .

وما قرره أبو محمد في هذه القضايا هو الحق الموافق للكتاب والسنة وعليه سلف الأمة .
إلا أن الأشاعرة^(٦) وإن وافقوا السلف - عموماً - في هذه القضايا فقد وقعوا في التأويل في صفات الله تعالى ، وخالفوا السلف في ذلك فأثبتوا بعضها ، وأولوا بعضها ، فاسمع إلى أبي محمد يقول :
(والظاهر أن قوله تعالى : ﴿بل يدها مبسوطتان﴾^(٧) عبارة عن إنعامه على الجملة)^(٨) .

ويقول - غفر الله لنا وله - : و ﴿العلي﴾^(٩) يراد به علو القدرة والمنزلة^(١٠) .
وقال - بعد أن أورد قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(١١) - : ((والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ، ويبقى استواء القدرة والسلطان))^(١٢) .

(١) انظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن ص (٢٢٣) ، والمفسرون بين التأويل والإثبات (١٩/٢) .
(٢) انظر المحرر الوجيز (١٢٢/٦ ، ١٢٣) . والأشاعرة وإن أثبتوا الرؤية إلا أنهم يخالفون أهل السنة في قولهم : إن الله يرى لا في جهة ، لا أمام الرائي ، ولا خلفه ، ولا عن يمينه ، ولا عن شماله ، ولا فوقه ، ولا تحته . وأيضاً فقد أنكر بعض الأشاعرة أن يكون المؤمن يتعم بنفس رؤية ربه . وكلا القولين باطل . انظر تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى (٨٥/١٦) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١٣٧٦/٣ ، ١٣٧٧) ، وبيان تلبس الجهمية (٤٠٩/٢) .

(٣) انظر المحرر الوجيز (١٦٤/١٠ ، ١٦٥) (١٤١/٥) .

(٤) انظر المصدر السابق (٢٧٥/١ ، ٢٧٦) ، (٢١٣ ، ٢١٢/٤) .

(٥) انظر المصدر السابق (٢٠٩/١) (٢٧٦/٢ ، ٢٧٧) .

(٦) الأشاعرة : ينسبون إلى أبي الحسن الأشعري ، ويقولون بإثبات سبع صفات : لأن العقل دل على إثباتها وهي : السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة والحياة . وقالوا : كلام الله هو المعنى القائم ، وهو قائم بالذات يستحيل أن يفارقه والعبارات والحروف دلالات على الكلام الأزلي . وعندهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والعمل والإقرار من فروع الإيمان ، لا من أصله . انظر رسالة في الرد على الرافضة ص (١٦٦) ، والصواعق المرسله (٤٠٥/٢) حاشية (٣) .

(٧) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

(٨) المحرر الوجيز (١٥٠/٥) .

(٩) من قوله تعالى ﴿وهو العلي العظيم﴾ سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(١٠) المحرر الوجيز (٢٧٩/٢) .

(١١) سورة طه ، الآية : ٥ .

(١٢) المحرر الوجيز (١٦١/١) .

وقال - عند قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١) - : ((والذي عليه الراسخون في العلم: أن الكلام هو المعنى القائم في النفس ، ويخلق الله لموسى ، أو جبريل إدراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام))^(٢).

وما نقلته هنا مجرد أمثلة ، ولا شك أن أبا محمد قد جانب فيها الصواب .
وبهذا يتبين أن أبا محمد قد اتبع منهج السلف في بعض القضايا العقديّة ، وخالفهم في بعضها الآخر ، وهذا طبيعة منهج الأشاعرة كما هو معروف مشهور .

وهذا ما دعا شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) أن يجمع في أثناء كلامه على تفسير ابن عطية بين الجرح والتعديل ، فأتى عليه بما أحسن فيه ، ولامه على تأويلاته الموافقة لآراء من زعم أنهم أهل التحقيق من أهل الكلام^(٤).

وكذلك ابن حجر الهيتمي^(٥) لامه على إدخاله في تفسيره آراء المعتزلة^(٦) في بعض القضايا العقديّة ، وإقراره لذلك^(٧).

المبحث السابع : مذهبه في الفقه

القاضي ابن عطية هو أحد علماء مذهب الإمام مالك بن أنس ، فهو على مذهبه في الفروع ، وهو أحد قضاة الدولة القائمة عليه في ذلك الزمن^(٨) .
وعده المترجمون واحداً من أعيان مذهب مالك^(٩) .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦٤ .

(٢) انحرر الوجيز (٣١٢/٤) . وهذا قاله بعد أن نفى أن يكون الله متكلماً بصوت وحرف .

(٣) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ، شيخ الإسلام الإمام الاجتهدي (ت : ٧٢٨هـ) انظر البدر الطالع (٦٣/١) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٣٦١/١٣) ، ومقدمة في أصول التفسير ص(١٠٥) .

(٥) أحمد بن محمد السعدي ، من علماء الشافعية (ت : ٩٧٤هـ) انظر البدر الطالع (١٠٩/١) ، والأعلام (٢٣٤/١) .

(٦) المعتزلة : فرقة نشأت إثر سؤال وجه للحسن البصري في فاعل الكبيرة هل هو مسلم أو كافر فأجاب أحد تلاميذه وهو واصل بن عطاء بأنه لا مسلم ولا كافر واعتزل مجلس الحسن وأخذ يقرر هذا المذهب فسمي معتزلياً وأتباعه معتزلة ، ولهم أصول خمسة ، خالفوا فيها الكتاب والسنة ، وقول سلف الأمة . انظر الفرق بين الفرق ص(١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩) ، والملل والنحل ص(٤٨) ، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص(١٤) .

(٧) انظر الفتاوى الحديثية ص(٢٤٢) .

(٨) وهي دولة المرابطين ، الذي استمر حكمها لبلاد الأندلس من عام ٤٨٤هـ إلى ٥٤٠هـ تقريباً . انظر الكامل في التاريخ (٤٦٧/٨) ، ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن ص(٦٥ ، ٦٦) .

(٩) انظر الديباج المذهب (٥٧/٢) ، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١٢٩/١) ، ومنهج ابن عطية ص(١٢٠) .

والأمر واضح من تفسيره فإنه قد اعتنى بذكر أقوال المالكية في مسائل الأحكام^(١) ، إلا أن مما يذكر له في هذا ، أنه يحترم آراء المخالفين لمذهبه ، فلا يشنع عليهم ، كما يفعل بعض من ألف في أحكام القرآن من علماء المذاهب الفقهية .

المبحث الثامن : المناصب التي شغلها

عاش ابن عطية في ظل دولة المرابطين التي حكمت الأندلس من سنة ٤٨٤هـ إلى سنة ٥٤٠هـ تقريباً^(٢).

ويذكر أن ابن عطية هو ووالده لم يكونا على صلة طيبة بهذه الدولة ، فقد غرّب الأخير عن وطنه ، وألحق بالابن بعض الإهانة ، ثم أعيد أبو بكر غالب إلى وطنه غرناطة ، وحسن رأي الوالد والابن في هذه الدولة^(٣) ، ثم قويت صلة الابن بالمرابطين ، وتوثقت علاقته بهم ، فكان يغزو في جيرشهم^(٤) ، ويحرض القادة والأمراء على قتال النصارى الكفار ، الذين كانوا يتربصون ببلاد الإسلام الدوائر^(٥) . ثم ولّاه المرابطون القضاء بمدينة المرية سنة ٥٢٩هـ^(٦) ، فأحسن السيرة ، وتوخى الحق والعدل في الحكم^(٧) ، ويبدو أنه بقي في هذا المنصب حتى آخر دولة المرابطين بالأندلس^(٨).

المبحث التاسع : مؤلفاته

تعد مؤلفات القاضي ابن عطية - التي وصلت إلينا أو سمعنا بها ولم تصل إلينا - قليلة ، إذا قيست بعلمه الغزير ، والفنون التي برع فيها ، ولعل السبب في ذلك أن القاضي يرى أن طالب العلم بعد ما يحصل أساسات العلوم التي لا يعذر بجهلها ينبغي أن يقصر همته على فن واحد ، حتى يكون لأهل ذلك الفن كالخصن المشيد ، والذخر العتيق ، قال رحمه الله تعالى : ((... ثم رأيت أن من الواجب على من

(١) انظر المحرر الوجيز (٩١/١ ، ٩٢) و (٨٢ ، ٨٢/٤) و (١٨٠/٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣).

(٢) انظر الكامل في التاريخ (٤٦٧/٨) ، ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن ص (٥٨ ، ٦٥ ، ٦٦).

(٣) انظر المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي ص (٢٧١).

(٤) انظر المصدر السابق ص (٢٧١).

(٥) انظر فلتات العتيق ص (٢٤٤ ، ٢٤٥).

(٦) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص (١٠٩) ، والسير (٥٨٨/١٩).

(٧) انظر الدياج المنهج (٥٧/٢).

(٨) انظر منهج ابن عطية ص (٧٥).

احتبى^(١)، وتخير من العلوم واجتبي ، أن يعتمد على علم من علوم الشرع ، يستند فيه غاية الوسع ،
يجوب آفاقه ، ويتبع أعماقه ، ويضبط أصوله ، ويحكم فصوله ، ويلخص ما هو منه ، أو يؤول إليه ،
ويعنى بدفع الاعتراضات عليه ، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد ، والذخر العتيد ،
يستندون فيه إلى أقواله ، ويحتدون على مثاله...^(٢).

والذي رأيت ، أو سمعت به من مؤلفات القاضي هو ما يلي :

١- (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)^(٣).

٢- فهرست ابن عطية ، أو (الفهرست) أو (البرنامج)^(٤).

٣- كتاب في الأنساب ، أشار إليه بعض المترجمين ، من غير ذكر اسمه^(٥).

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى

اختلف المترجمون في تعيين السنة التي مات فيها القاضي أبو محمد - رحمه الله تعالى - فذهب بعضهم
إلى أن وفاته كانت في مدينة (لُورقة)^(٦) في رمضان سنة (٥٤١هـ)^(٧). ويرى بعضهم أن وفاته كانت
سنة (٥٤٢هـ)^(٨). وآخرون يذكرون أن وفاته كانت سنة (٥٤٦هـ)^(٩). وقد صُحح القول الأول^(١٠).
والله أعلم أي ذلك كان .

رحم الله أبا محمد وغفر له ، وجمعنا به في دار كرامته.

(١) احتبى : أي دنا من العلوم وقرب منها واتصل بها. انظر لسان العرب (٣٥/٣) ((جبا)).

(٢) (المحرر الوجيز (٣/١)).

(٣) يرى الدكتور عبد الوهاب فايد أنه لم يعرف بهذا الاسم إلا في القرن الحادي عشر الهجري. انظر منهج ابن عطية
ص(٨١، ٨٢). قلت : ذكر جماعة من المترجمين لابن عطية أنه يسمى ((الوجيز في التفسير)) انظر صلة الصلة ص(٣)،
والديباج المذهب (٥٨/٢) ، وشجرة النور (١٢٩/١). والكتاب طبع ثلاث طبعات ، كل طبعة لها محقق ، وكلها
عليها ملاحظات كبيرة . والكتاب في نظري لا زال يحتاج إلى تحقيق علمي يليق بمكانته .

(٤) انظر فهرست ابن خير ص(٤٣٧) ، والمراجع السابقة . وقد ذكر الدكتور عبد الوهاب في منهج ابن عطية ص(٨٥) أنه
مخطوط بمكتبة (الأسكوريال) برقم (١٧٣٣) وهو مصور بدار الكتب المصرية برقم (٢٦٤٩١/ب) ويقع في (٥٧)
لوحة.

(٥) انظر المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي ص(٢٢٨) ، ومنهج ابن عطية ص(٨٥).

(٦) ((لُورقة)) إحدى مدن الأندلس ، بينها وبين مرسية أربعون ميلاً ، ذات مزارع وأنهار. انظر الروض المعطار،
ص(٥١٢).

(٧) انظر صلة الصلة ص(٣) ، والوفيات لابن قنفذ ص(٢٧٩).

(٨) انظر الصلة (٣٦٨/١) ، وشجرة النور (١٢٩/١).

(٩) انظر الديباج المذهب (٥٨/٢).

(١٠) صححه ابن الأبار في المعجم ص(٢٧٢).

الفصل الثالث : عقد مقارنة بين جامع البيان والمحزر الوجيز

(وفيه عشرة مباحث)

تمهيد :

هذه المقارنة تجرى بين كتابين عظيمين ، الأول منهما يصنف في التفسير بالمأثور^(١) ؛ لغلبة هذه النزعة عليه ، فلا يكاد صاحبه يفسر آية دون أن يذكر فيها الأقوال المأثورة ، إلا أن الاتجاه الآخر ، اتجاه التفسير بالرأي موجود فيه ، حتى عدّه بعض المتأخرين من التفاسير التي يغلب فيها جانب الأنظار على جانب الآثار^(٢) . وهذا في نظر .

وأما الثاني من الكتابين - وهو المحزر الوجيز - فتصنيفه في جانب التفسير بالرأي أقرب من تصنيفه في جانب التفسير بالمأثور ، وإن كان قد اشتمل على كثير من الأقوال المأثورة ، حتى عدّه بعض المتأخرين في عداد التفسير بالمأثور^(٣) .

ولهذين التفسيرين مكانة عظيمة وتأثير كبير فيمن جاء بعدهما من المفسرين ، فاحتل تفسير الإمام الطبري مكانة عظيمة في بلاد المشرق الإسلامي ، فتأثر به طائفة من المفسرين في هذه البلاد^(٤) ، وامتد هذا التأثير فوصل إلى غرب العالم الإسلامي فاستفاد منه القاضي ابن عطية ، وتأثر به ومنهجه ، وكذلك غيره من مفسري المغاربة^(٥) .

وفي المقابل نجد أن المحزر الوجيز قد أثر في مدرسة التفسير في بلاد الأندلس ، وما جاورها من بلاد المغرب ، حتى أن من جاء بعد ابن عطية من المفسرين المغاربة تراه معولاً على هذا التفسير ، ناقلاً منه^(٦) . وامتد هذا التأثير للمحزر الوجيز فوصل إلى بلاد المشرق ، فاستفاد منه طائفة من المفسرين المشاركة ، ونقلوا آراء مؤلفه معجبين بذلك منتهين إلى ما قال خاصة في علوم اللسان^(٧) .



(١) انظر التفسير والمفسرون (١/٤٠٤).

(٢) أعني بهذا العلامة محمد الفاضل ابن عاشور ، انظر كتابه التفسير ورجاله ، ص (٥٤).

(٣) أعني بهذا الدكتور محمد حسين الذهبي ، انظر كتابه التفسير والمفسرون (١/٢٢٠).

(٤) منهم الواحدي ، والماوردي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والألوسي ، والسعدي .

(٥) انظر مدرسة التفسير في الأندلس (٦٧١ - ٧٠٣).

(٦) كالقرطبي ، وأبي حيان ، وابن جزري ، والثعالبي ، وابن عاشور ، وابن عرفة .

(٧) كالجمل ، والقاسمي ، وتاج الدين الحنفي ، صاحب ((الدر اللقيط)) ، والألوسي . انظر مدرسة التفسير في الأندلس

وجملة القول أن مناقب هذين التفسيرين كثيرة ، وكبيرة ، لا يفني بها بياني القاصر ، ولا هذه السطور المحدودة ، ولعل المقارنة بينهما في المباحث التالية ، تلقي لنا الضوء على بعض المحاسن التي اجتمعا فيها ، والتي انفرد بها كل منهما ، وهي في الوقت نفسه تبين عما قد يؤخذ عليهما ، وكفى المرء نبلاً أن تعد معاييه.

المبحث الأول : المقارنة بينهما في تفسير القرآن بالقرآن

لا شك أن أصح طرق التفسير ، وأسلمها منهجاً هي أن يقوم المفسر بتفسير القرآن بالقرآن ؛ لأن ما أجمل في مكان فسر في مكان آخر ، وما اختصر في مكان بسط في غيره ^(١).

ولهذا أجمع العلماء على أن هذا الطريق هو أشرف أنواع طرق التفسير وأجلها ^(٢).

وقد كان لكل من الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية شرف الأخذ بهذا المسلك ، فأدلى كل منهما بدلوه ^(٣) ، إلا أن دلو الإمام الطبري في هذه الناحية كان أملاً وأوفر نصيباً في نظري من دلو أبي محمد. ثم هو أيضاً - أي الإمام الطبري - يستند في تفسير آية بأخرى ، أحياناً كثيرة ، إلى قول صحابي أو تابعي ويسوق ذلك بالسند إليه ، وهذه ميزة تضاف إلى الميزة الأولى ^(٤).

المبحث الثاني : المقارنة بينهما في تفسير القرآن بالسنة

السنة شارحة للقرآن ومبينة له ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٥) . وقد اتبع الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية هذا الطريق المستقيم في تفسير كتاب الله الكريم ففسرا في كثير من المواطن كلام الله تبارك وتعالى بسنة رسول الله ﷺ ^(٦) .
غير أن الإمام الطبري قد فاق على القاضي ابن عطية فيما يلي :

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير ص (٩٢).

(٢) انظر أضواء البيان (٥/١).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٧٧/١ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٥٤٦ ، ٥٥٧ ، ١٩٢ ، ٣٧١) . والمحرر الوجيز (١٨٦/١ ، ١٩١ ، ١٩٨) (١٨٢/٢ ، ٥٨ ، ١٨٢ ، ٣٨٣).

(٤) انظر تفسير الطبري (٤١٨/١ ، ٥٤٣ ، ٥٥٨).

(٥) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .

(٦) انظر تفسير الطبري (١٨٥/١ ، ٢٦٠ ، ٤٧٣ ، ٤٨١ ، ٥٢٣ ، ٥٣٧ ، ٥٥٢) (١٢/٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٣٢٠ ، ٣٦٢ ، ٣٩٤ ، ٤٣٧ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٥٨) . وانظر المحرر الوجيز (٢٠/٢ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٥٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٨٣) (٢٩٦/٣ ، ٣١٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩).

١- الإكثار من تفسير القرآن بالسنة .

٢- ساق الأحاديث بالإسناد منه إلى رسول الله ﷺ - غالباً^(١) - وهذا يجعل له مخرجاً فيما أورد من

أحاديث ضعيفة ، ولم يبين ضعفها ؛ لأن من أسند فقد برئ.

أما أبو محمد فلم يسند ما ساق من أحاديث ، ولم يذكر - في الغالب^(٢) - من خرجها من الأئمة^(٣) ،

وربما أورد الضعيف دون تنبيه على ضعفه^(٤) ، وربما رفع الموقف^(٥) ، وضعف الصحيح^(٦) . وهذا مما

حدى ببعض المعاصرين^(٧) أن يبالغ في لومه فيقول - بعد أن أورد بعض الأمثلة في هذا - : ((ومن هذا

كله أستطيع أن أقول إن ابن عطية في هذا المجال من تفسيره لم ينتفع بقواعد المحدثين وأصولهم في الرواية،

بل جمع في تفسيره بين الأحاديث الصحيحة وغيرها ، وغلب عليه ما يغلب على عامة المفسرين من حشو

كتبهم - أحياناً - بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وفي رأبي أن هذا المسلك الذي سلكه ابن عطية في

هذا السبيل أمر يجب أن يؤخذ على ابن عطية ، وينتقد تفسيره بسببه ، وما أظنه نقل هذه الأحاديث

الضعيفة والموضوعة إلا من كتب التفسير ، لا من كتب الحديث))^(٨) .

(١) إذ قد يورد الحديث دون سند . انظر تفسيره (٢/٢٠٣ ، ٢٤١ ، ٢٥٧ ، ٣٠٠ ، ٤٦٣ ، ٤٨٠) .

(٢) قد يذكر من خرج الحديث . انظر المحرر الوجيز (٢/١٨٣) (١/٦٩ ، ٢٥٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥) .

(٣) انظر المحرر (١/٩) (٢/٤ ، ٩٩ ، ٢٧١ ، ٣٠١) (٣/٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٠) (١٠/١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨) .

(٤) انظر المحرر الوجيز (٢/٢٧٥) حديث ((وقع في نفس موسى هل ينام الله؟)) ، وانظر أيضاً (١/١٤) ، (٣/٣٢ ، ١٨٣ ،

٢٢٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٠) ، (١٠/١٢٠ ، ٣١٤) . ثم انظر الحواشي في تلك الصفحات ترى ما ذكره محققو

الطبعة المغربية .

(٥) انظر المحرر الوجيز (١/٦) فقد رفع ((من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن)) وهو موقف على ابن مسعود .

انظر منهج ابن عطية ص (١٣٣) .

(٦) انظر المحرر الوجيز (١٦/٧) ، ثم انظر صحيح البخاري - مع الفتح - (٨/٦٤١) ، كتاب التفسير ، باب ﴿وآخرين

منهم لما يلحقوا بهم﴾ ح (٤٨٩٧) . ترى أن ابن عطية ضعف حديث أبي هريرة الذي مضمونه أن بعض سورة الجمعة

نزل على الرسول ، وأبو هريرة موجود . وانظر الفتح (٨/٦٤٢) لترى توجيه الحافظ للحديث ، ولعل الذي أوقعه في

هذا أنه رأى الحديث في تفسير النقاش مبتوراً .

(٧) هو الدكتور / عبد الوهاب فايد .

(٨) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ص (١٣٣) .

المبحث الثالث : المقارنة بينهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة

والتابعين

إذا لم يجد المفسر تفسير القرآن الكريم لا في القرآن ، ولا في السنة رجع في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك ، لما شاهدوه من نزول القرآن ، والأحوال التي اقتصروا بها ، ولما هم من الفهم التام والعلم الصحيح^(١) ، وكذلك إلى أقوال التابعين فإن غالب علم هؤلاء أخذوه عن الصحابة ، ولذلك رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين^(٢).

والإمام الطبري والقاضي ابن عطية من أدري الناس بأهمية هذا النوع من التفسير ، ولذلك تجدهما قد أكثرا من ذكر أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم^(٣).

فأما الطبري فيورد ذلك على عادته بالسند منه إلى صاحب القول من صحابي ، أو تابعي ، أو تابع تابعي ، وينبه أحياناً على ضعف الرواية^(٤).

وأما أبو محمد فقد جرد الأقوال من ذكر الأسانيد ، وكأنه أراد بذلك أن يقلل حجم الكتاب ليسهل على متناوله . وهو الآخر ينبه - أحياناً - على ضعف الأثر ولعله في هذا قد أربى على الإمام الطبري^(٥).

المبحث الرابع : المقارنة بينهما في ذكر القراءات وتوجيهها

اعتنى الإمام الطبري عناية كبيرة بذكر القراءات وتوجيهها والاحتجاج لها^(٦) ، و يصبّ كثيراً القراءتين المتواترتين^(٧) ، إلا أنه أحياناً كثيرة يقول ، وأولى القراءتين بالصواب كذا ، وكذا . وإن كانتا متواترتين^(٨).

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير ص(٩٣).

(٢) انظر المرجع السابق ص (٩٧).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٠٠/١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٩٦ ، ٤٧٨ ، ٥٣٠ ، ٥٥٨) والمحرر الوجيز (٨٢/١ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ، ٢٠٨ ، ٢٣٦ ، ٣٤٨).

(٤) انظر تفسير الطبري (١/٥٣٢ ، ٥٣٣) (٨/٢٧٨).

(٥) انظر المحرر الوجيز (١/١٨٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣٥٨) (٢/١٧٧).

(٦) انظر تفسير الطبري (٢/١٣٢ ، ١٣٣ ، ٣٨٨) (٣/٣٠ ، ٣٢ ، ٧٥ - ٧٨ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩).

(٧) انظر تفسير الطبري (٢/٤٧٣ ، ٤٧٦) (٣/٧٩ ، ٣١٩) (٤٠٥).

(٨) انظر تفسير الطبري (٢/٣١١ ، ٤٧٨) (٣/٥٥٩) (٣/٣٢ ، ١٢٣ ، ٢٨٥) (٤٣٩).

وهذا غريب - أعني ترجيحه لقراءة متواترة على مثلتها - والأغرب من هذا أنه قد يرد قراءة متواترة لمخالفتها ما ألف من مقاييس النحاة^(١)، وهذا مما أثار حفيظة بعض علماء القراءات على عبارات الإمام الطبري التي تؤذن بالرد والطنع^(٢). على أن هناك من دافع عن الإمام الطبري واعتذر له في هذا الجانب^(٣).

وأما أبو محمد فكذلك قد اعتنى بذكر القراءات المتواترة ونسبتها إلى أصحابها من السبعة وغيرهم، مع التوجيه والإعراب^(٤) وكذلك يورد القراءات الشاذة منسوبة إلى من قرأ بها، مع ذكر المعنى والتوجيه^(٥).

وقد ذكر منهجه في هذا الجانب في مقدمة تفسيره فقال: ((وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها، واعتمدت تبيين المعاني، وجميع احتمالات الألفاظ))^(٦). على أن أبا محمد - هو الآخر - قد ضعف بعض القراءات المتواترة بدعوى مخالفتها مقاييس النحاة^(٧)، وهذا شيء يؤخذ عليه كما أخذ على الإمام الطبري من قبله، إذ القراءة إذا ثبتت سنة متبعة لا يرد لها قياس عربية.

المبحث الخامس : المقارنة بينهما في الاعتماد على اللغة العربية

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فمن أراد أن يكشف عن معانيه ودرره فلا بد أن يكون عارفاً بلسان العرب، وقد كان الإمام الطبري والقاضي ابن عطية متضلعين من علوم العربية تضلعاً عُدّاً به من أمة هذا الشأن. وظهر ذلك في تفسيريهما لكتاب الله فكل منهما قد أولى هذه الناحية اهتماماً كبيراً فذكر المعاني اللغوية للألفاظ واستشهدا على ذلك بالشعر العربي^(٨)، وأعربا كثيراً مما يحتاج إلى إعراب،

(١) انظر تفسير الطبري (٥١٩/٧، ٥٢٣) (١٢٧/١٢، ١٢٨).

(٢) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص (١٣٣).

(٣) انظر المصدر السابق ص (١٣٤).

(٤) انظر المحرر الوجيز (١١٢/١، ١١٣، ٢٨٥، ٣١٩، ٣٥٢، ٣٧١).

(٥) انظر المحرر الوجيز (١١٢/١، ١١٣، ١١٤، ١٣٩، ١٥٥، ١٩٤، ٣٢٠، ٣٦٦).

(٦) المحرر الوجيز (٥/١).

(٧) انظر المحرر الوجيز (٨/٤، ٩، ١٠، ١٠٨/٦) (٤٥٢/١٠).

(٨) انظر تفسير الطبري (١٦١/١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٦، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٥٧، ٣٦٦).

(٥٠٩، ٣٦٨) والمحرر الوجيز (٦٤/١، ٧٢، ٧٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٥، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٩).

وتعرضا لمذاهب النحاة في ذلك^(١)، ولم يغفلا التعرض لناحية التصريف^(٢). وأشارا - أحياناً - إلى بعض النواحي البلاغية^(٣).

ومع شدة الاتفاق بينهما في الاهتمام بناحية اللغة العربية ، إلا أنه يمكن أن يلاحظ ما يلي :

١ - كان اهتمام القاضي ابن عطية بناحية اللغة العربية أكثر من اهتمام الإمام الطبري ، حتى كادت اللغة ومباحثها تغطي على المحرر الوجيز ، فلا تكاد تمر آية إلا وله فيها مبحث ، إما في الإعراب ، أو اللغة ، أو الصرف ، أو غيرها مما يتعلق بهذا الشأن.

٢ - كان ابن عطية معجباً بآراء رئيس نحاة البصرة ، حريصاً على تدوينها وعدم نقدها^(٤) ، ولعل السبب في ذلك أنه درس كتاب سيويه^(٥) ، دراسة وافية على شيخه ابن الباذش^(٦).

أما الإمام الطبري فعلى الرغم من شهادة المبرد له أنه من حذاق نحاة الكوفة^(٧) إلا أنني لم أمس ميله إلى الرأي الكوفي - في الجملة - بل استفاد من آراء المدرستين في تفسيره واختار منهما ما رآه مناسباً.

المبحث السادس : المقارنة بينهما في تدوين أحكام القرآن

شارك الإمام الطبري والقاضي ابن عطية بتصيب واقر في عرض أحكام القرآن ، وذلك عند تفسير الآيات التي تعرضت لهذا الموضوع المهم ، فذكرا أقوال أهل العلم من صحابة وتابعين وأتباعهم وآراء الفقهاء ، ذاكرين أدلة كل فريق ، مرجحين لما أيده الدليل والبرهان ، من غير تعصب لأحد ، أو عليه^(٨).

(١) انظر تفسير الطبري (١/١٨٣، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٠، ٢٨٦) (٢/٢٣٥، ٢٩١، ٣٣٠، ٣٣١) والمحرر الوجيز

(١/١٣١، ١٥٢، ١٦٢، ٢٠٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٧٩، ٣٠٣، ٣١٠، ٣٥٨).

(٢) انظر تفسير الطبري (١/٢٢٩، ٢٨٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ١٥١) والمحرر الوجيز (١/٧٦، ١٠١، ١٢٠، ١٣٤، ١٦٣،

١٧٩، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٧٤).

(٣) انظر تفسير الطبري (١/١٥٤، ١٨٠، ٢٧٩، ٣١٧، ٣٢٧) والمحرر الوجيز (١/٢٩٣، ٣٣٠، ٣٧٣) (٢/٢٣، ٣١،

٤٦، ٥٢) (٣/٢٠٥).

(٤) انظر المحرر الوجيز (١/١٢٣، ١٢٤، ١٤١، ١٩٤، ٢٢١، ٢٩٠، ٣٢٥، ٣٣٩).

(٥) عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين في النحو (ت : ١٨٠هـ) انظر بغية الوعاة (٢/٢٢٩).

(٦) انظر منهج ابن عطية ص (١٥٤).

(٧) انظر معجم الأدباء (١٨/٦٠).

(٨) انظر تفسير الطبري (٣/٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥) (٤/١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٤، ٢٥،

٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦،

٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤) (٨/٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٤٤، ٤٤٦، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨) والمحرر الوجيز (٢/١٧، ٢٨، ٤٨،

٤٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٩٤، ٩٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٧،

٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧١) (٤/٣٦، ٣٧، ٣٨، ٥٠، ٦١، ٧٢، ٧٣).

ومن الملاحظ في هذا الجانب ما يلي:

١- أن كلاً منهما بحث آيات الأحكام دون تفريط مخل ، أو إفراط مبالغ فيه ، يخرج كتابيهما من حيز التفسير إلى حيز الفقه الذي له دواوينه ومطولاته.

٢- دقة الترجيحات والملاحظات التي يبدانها في هذه الناحية ، حتى أنك لتقول : لا يعرفان إلا صنعة الفقه .

٣- كان الإمام الطبري كثير التصريح برأيه في مسائل الفقه^(١) ، وتفسير ذلك أنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق.

أما أبو محمد فيكتفي غالباً بذكر أقوال الفقهاء في مسائل الخلاف ، ويولي آراء الإمام مالك عناية خاصة^(٢).

٤- لم يحفل الإمام الطبري بذكر آراء الإمام أحمد ، ولا بذكر أهل الظاهر. أما أبو محمد فقد أورد آراءهما في تفسيره^(٣).

ولعل من الأسباب في ترك الإمام الطبري لآراء الحنابلة والظاهرية ، أنه كان معاصراً لشيخي المذهبين ، ولم تكن قد اتضحت معالم المذهبين^(٤) ، أما في زمن ابن عطية فالأمر على العكس من ذلك.

٥- ذكر الإمام الطبري أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم في مسائل الفقه بالسند ، مما يتيح الفرصة أمام الباحثين أن يشعروا من صحة الأقوال المنسوبة ، أما القاضي فذكر الأقوال عن هؤلاء بدون إسناد.

المبحث السابع : المقارنة بينهما في ذكر الإسرائيليات في تفسير القرآن

الكريم

روى الإمام الطبري طائفة من القصص الإسرائيلية في تفسيره ، دون تبييه على ذلك^(٥).

(١) انظر تفسير الطبري (٢/٢٤٣ ، ٣٥٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٥٤ ، ٤٧٠) (٤/١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٥١ ، ٥٢ ،

٥٣ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١٠٤).

(٢) انظر آخر الوجيز الأجزاء والصفحات المقدمة.

(٣) انظر المصدر السابق (٢/١٠٩ ، ١٧٦ ، ٨٠) (٤/١٢٨ ، ٢٣٢).

(٤) وقد قيل : إن الإمام الطبري سئل عن الإمام أحمد فقال: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافة. انظر معجم الأدباء

(٥٨ ، ٥٧/١٨).

(٥) انظر تفسير الطبري (١/٤٥٥ ، ٤٥٦) (٢/٤١٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٢) (١٥/٣١٢) (١٦/٣٥ ، ٣٦).

وقد سبب فعله هذا خصومة بين بعض العلماء المتأخرين ، بين معتر له بأنه قد ساق ذلك بالسند وهو بهذا قد خرج من عهدتها وحمل القارئ مسؤولية البحث عن رجال السند ، ومعرفة جرحهم وعدالتهم^(١).

وأيضاً فاستدلّاه بهذه الإسرائيليات ، كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم على فهم معنى كلمة، أو للدلالة على سياق جملة^(٢).

بينما يرى بعضهم أن إيراد السند لا يعفي الإمام الطبري من اللوم - وبخاصة فيما يتعلق بالعقائد ^{عليه السلام} وعصمة الأنبياء - لأن كثيراً من الناس لا يعرفون من أمر الأسانيد شيئاً ، ومن الناس من إذا رأى ابن جرير على مبلغ علمه وجلالة قدره يروي في تفسيره مثل هذا ، أخذه على أنه حق وصدق ، واستباح لنفسه أن يفعل مثل ما نسب لداود ومحمد عليهما الصلاة والسلام^(٣).

أما ابن عطية فهو الآخر يورد القصص الإسرائيلي في تفسيره^(٤) ، لكن كان ذلك بالمقدار الذي ذكره في مقدمة تفسيره بقوله : ((لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به))^(٥).

ثم هو ينبه على ضعف هذا القصص ، وأنه غير ثابت^(٦). لكن هذا التنبيه لم يكن في كل موطن ، إذ أورد في أماكن من تفسيره قصصاً إسرائيلياً لم ينبه عليه^(٧).

وبعد : فخلاصة المقارنة بين تفسير الطبري والمحرر الوجيز في جانب ذكر الإسرائيليات ما يلي:

١ - كل منهما أورد في تفسيره الإسرائيليات .

٢ - أكثر الإمام الطبري في تفسيره من إيراد ذلك ، وأما أبو محمد فقد قلل - بالنسبة للطبري - من

ذكر القصص الإسرائيلي .

٣ - نبّه أبو محمد على أكثر المواطن التي أوردها ، وترك بعض ذلك فلم ينبه عليه ، أما الإمام الطبري فقد التزم السكوت ، إلا في بعض المواطن اليسيرة ، التي حاول أن يجمع فيها بين هذا القصص وما يخالفه

(١) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص(١٣٢).

(٢) انظر مقدمة محمود شاكر لتفسير الطبري (١٧/١).

(٣) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ص(١٠٦) ، ومدرسة التفسير في الأندلس ص(٨٤٧).

(٤) انظر المحرر الوجيز (١/٢٤٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩) (٢/٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨) (٤/٣٠٢ ، ٣٠٣).

(٥) المحرر الوجيز (١/٥) وكان الأولى بأبي محمد ترك إيراد هذا القصص ، والآيات تنفك بدونه.

(٦) انظر المحرر الوجيز (١/٢٤٨ ، ٣٠٩) (٢/٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٩٧) (٤/٣٠٢).

(٧) انظر المحرر الوجيز (٢/٢٥٤ ، ٢٥٥) (١/١٩٠ ، ٢١٧ ، ٢٦٠) (٣/٨٤).

مما هو معلوم من الدين بالضرورة^(١). إلا أنه مع هذا السكوت ساق السند في كل خير ذكره، فيما رأيت.

المبحث الثامن : المقارنة بينهما في الاهتمام بالعتيدة ، والرد على الفرق

المخالفة

اهتم كل منهما بأمر العتيدة في تفسيره ، فالإمام الطبري رد ردوداً موفقة على فرق كثيرة حادت عن المنهج السوي في باب العتيدة ، فقد رد على القدرية^(٢) في مواطن وفي قضايا مختلفة^(٣). وكذلك رد على المعتزلة في مواطن وفي قضايا مختلفة^(٤)، وكذلك نقل ردوداً جيدة على الخوارج^(٥)، وعلى السبئية^(٦).

وكذلك أبو محمد لم يغفل أمر العتيدة ، بل اهتم به ، ورد على الفرق المخالفة ، كالمعتزلة فإنه قد رد عليهم في طائفة من ضلالاتهم^(٧). ورد على القدرية^(٨) ، وكذلك رد على المشبهة^(٩)، وعلى الخوارج^(١٠)، وعلى الشيعة^(١١) ، وعلى القائلين لا يضر مع الإيمان معصية^(١٢).

(١) انظر تفسير الطبري (٣٦/١٦).

(٢) القدرية : هم الذين يزعمون أن الأمر أنف ، لم يسبق به قدر ، ولا علم من الله ، وإنما يعلمه بعد وقوعه ، وهذا شر مقال على الله تعوذ بالله من ذلك ، وهؤلاء غلاة كفرهم الأئمة . وجهور القدرية ينكرون عموم المشيئة والخلق وهؤلاء مبتدعون . فالقدرية فريقان . انظر مجموع الفتاوى (٣٨٥/٧) ، والفرق بين الفرق ص (١٨ ، ١٩).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٦٢/١ ، ١٦٨ ، ١٩٥ ، ٢٦١).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٨٢/٢ ، ٢٨٣) (١٣/٤٤١ ، ٤٤٢).

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٥٣/١١) (١٠/٣٤٧) (٦/١٨٧ ، ١٨٨) . والخوارج في الأصل : هم الذين خرجوا على علي وقاتلوه في موقعة النهروان فقتلهم ونجا منهم قليل كانوا نواة لفرقهم الكثيرة ، ومن مذهبيهم التكثير بالذنوب ، والخرج على السلطان الجائر . انظر الفرق بين الفرق ص (٧٢ ، ٧٣).

(٦) انظر تفسير الطبري (١٨٧/٦) . والسبئية : منسوبون إلى عبد الله بن سبأ اليهودي . رأس الفتنة في مقتل عثمان ، وقد زعم هذا اليهودي أن علياً إله . انظر الفرق بين الفرق ص (٢١).

(٧) انظر المحرر الوجيز (٤٠/٢) (٤/٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣١٣) (١/٣١٦) (٦/١٢٣ ، ١٢٣) (٥/١٧٥) (٩/١٣٩).

(٨) انظر المصدر السابق (٢/٣٣٦).

(٩) انظر المصدر السابق (٢/٢٧٩) . والمشبهة : قوم ضلوا في إثبات وجود الله وصفاته ، فمنهم من شبه ذات الله بذوات خلقه . ومنهم من شبه صفات الله بصفات خلقه ، وهم في ذلك مقالات وخبط ، وأول ظهور التشبيه صادر عن الروافض الغلاة . انظر مقالات الإسلاميين ص (٢٠٧) ، والفصل (٢/١١٧) ، والفرق بين الفرق ص (٢٢٥).

(١٠) انظر المحرر الوجيز (٤/١٤٣).

(١١) انظر المصدر السابق (١٠/١٨٤ ، ٢٠٨) . والشيعة هم الذين شايعوا علياً - رضي الله عنه - على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً وروصية ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده . انظر الملل والنحل ص (١٤٦).

(١٢) وهم المرجئة انظر المحرر الوجيز (٤/١٤٣ ، ١٤٤).

كل هؤلاء وغيرهم كانت له وقفات معهم موفقة إلا أن من الملاحظ أن الإمامين قد اختلفا في باب الصفات ، فالإمام الطبري في هذا الباب يذهب فيها مذهب السلف - وهو المذهب الحق - الذين يشتونها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل على حد قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(١).

وأبو محمد - غفر الله لنا وله - يذهب فيها مذهب الأشاعرة فيثبت بعضها ، ويؤول بعضها الآخر. فمن الصفات التي وقعت فيها المباينة بين الطبري وابن عطية صفة الاستواء فالطبري يثبت هذه الصفة على طريقة السلف^(٢) ، وابن عطية يؤولها ، ويقول: هي استواء القدرة والسلطان^(٣). وكذلك صفة اليد فالطبري يثبتها^(٤) ، وأبو محمد أولها^(٥). وكذلك صفة المجيء والإتيان فالطبري يثبت ذلك^(٦) ، وابن عطية يؤول^(٧) غفر الله له .

وعلى كل فالأمثلة في المفارقة بين الإمامين في هذا الباب كثيرة^(٨).

المبحث التاسع : المقارنة بينهما في ذكر أسباب النزول

معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب^(٩). وقد اعتنى كل من الإمامين الطبري ، وابن عطية بذكر أسباب النزول ، فأورد الإمام الطبري كثيراً منها وكل ذلك مسند إلى من قاله^(١٠). وهو أحياناً كثيرة يذكر في سبب نزول الآية أكثر من سبب، وينص على ذلك^(١١).

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) انظر تفسير الطبري (٤٣٠/١).

(٣) انظر المحرر الوجيز (١٦١/١).

(٤) انظر تفسير الطبري (٤٥١/١٠-٤٥٦).

(٥) انظر المحرر الوجيز (١٥٠/٥).

(٦) انظر تفسير الطبري (٢٦٦/٤).

(٧) انظر المحرر الوجيز (١٤٦/٢، ١٤٧).

(٨) انظر المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (١٢٥/١-١٦٥) (١٩٧/٢-٣٢).

(٩) مقدمة أصول التفسير ص (٧٢).

(١٠) انظر تفسير الطبري (١٥٤/٢، ٢٧٧، ٣٣٣، ٣٧٨، ٣٩٨، ٤٠٦، ٤٦٠، ٥١٤، ٥٢٧، ٥٥٨) (١٠٢/٣، ١٢٨،

٣٣٧، ٤٩٤، ٥٥٦، ٥٩١) (١٥٨/٤، ١٦٨، ١٨٥، ١٩٧، ٢٠١، ٢٤٨).

(١١) انظر تفسير الطبري (٤٦٠/٢، ٤٦١، ٥٢٧) (٣٣٧/٣، ٣٥٨-٣٦٠).

- والطبري - غالباً - يورد السبب ناسقاً عليه بالفاء^(١) ، وهذا نص في السببية كما هو معروف^(٢) . وهو أحياناً يقوم بالترجيح بين الأسباب المتعددة^(٣) .
- أما القاضي ابن عطية فهو أيضاً اعتنى بهذا الشأن فأورد كثيراً من أسباب النزول في تفسيره^(٤) . وإذا كان في الآية أكثر من سبب ذكره^(٥) ، وربما رجح أحياناً^(٦) .
- وهذه مواطن اتفاق بين ابن عطية والطبري - أعني الإكثار من ذكر أسباب النزول ، وإيراد الأقوال ، والترجيح أحياناً - ولكن هناك مواطن يلمس فيها الاختلاف بينهما منها:
- ١- أن الإمام الطبري يذكر السبب ~~تحت~~ ^{بالسبب} إلى قائله ، وابن عطية يذكره بدون إسناد.
- ٢- ابن عطية يورد السبب أحياناً بما ليس نصاً في السببية ، كقوله : نزلت في كذا^(٧) . ولم أر هذا عند الطبري فيما قرأت ، وإن وجد فهو قليل ، بالنسبة لما عند ابن عطية .
- ٣- القاضي ابن عطية يذكر أحياناً السبب غير منسوب إلى قائله^(٨) ، بينما الطبري ينسبه لقائله ، ويسوقه بالسند فيما قرأته من تفسيره .

(١) انظر تفسير الطبري (١٥٤/٢ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٧٨ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٦١ ، ٤١٤ ، ٥١٤ ، ٥٢٧ ، ٥٥٨) .

(٢) انظر الإتيان (٩٠/١) ، ومباحث في علوم القرآن ص (٨٥) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٣٢٨ ، ٣٣٧/٣) .

(٤) انظر المحرر الوجيز (٢٧٣/١ ، ٣٠٣ ، ٣٣٦) (٢/٨٥ ، ١٠٣ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥) (٤/٢٦ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٩٨ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٧ ، ٢٦٧) .

(٥) انظر المصدر السابق (٢/١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠) (٤/٣١ ، ٥٧ ، ٦١ ، ١٨٨ ، ٢٧٠) .

(٦) انظر المصدر السابق (٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٨٢) (٤/١٦١ ، ١٦٨ ، ١٩٨) .

(٧) انظر المحرر الوجيز (١/٣٣٦) (٢/١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ٢٨١ ، ٣٤٣) (٤/٣١ ، ٥٨ ، ١١٥ ، ١٦١) .

(٨) انظر المحرر الوجيز (٢/٣٨٥) (٤/٢٦ ، ٩٨ ، ١٢٤ ، ١٨٨) .

المبحث العاشر : المقارنة بينهما في ذكر الناسخ والمنسوخ، والعموم

والخصوص، والمكي والمدني

* أ- الناسخ والمنسوخ

اعتنى الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية بذكر الناسخ والمنسوخ في تفسيريهما^(١) ، وذلك تقدير منهما لأهمية هذا العلم ، حتى لا يوجب المفسر على نفسه وعلى عباد الله أمراً قد وضعه الله ، ولا يضع عن نفسه وعن عباد الله فرضاً قد أوجبه الله تعالى.

ولم أر بينهما في هذا الباب كبير فرق سوى أن الإمام الطبري يورد ذلك بالسند إلى من قاله. وابن عطية يذكره بدون إسناد^(٢). وأيضاً فإنك تلمس من كلام الإمام الطبري التشدد في قبول دعوى النسخ^(٣)، بينما ترى أبا محمد ربما حكى قولاً بعيداً في النسخ ، أو ذكره ورتب عليه النسخ^(٤).

ب- العموم والخصوص

اعتنى الإمام الطبري والقاضي ابن عطية بذكر دلالات الألفاظ القرآنية ، من عموم وخصوص، وعموم يراد به الخصوص^(٥).

وهي ناحية مهمة تعين على الفقه في كتاب الله ، وحمل الأحكام التي أنزلها الله في كتابه على مراده سبحانه وتعالى. وليس بغريب هذا المنزع عليهما فهما من فحول أصحاب هذه الصنعة ، صنعة الفقه وأصوله. ومن الملاحظ عليهما أنهما يرجحان العموم ، ما لم يقم دليل على إرادة الخصوص^(٦). وابن

(١) انظر تفسير الطبري (٤٧٢/٢، ٥٢٧) (١٢٨/٣، ٣٨٥، ٣٨٧، ٥٦٣، ٥٦٧) (٣١٤/٤، ٣٣٦، ٣٦٣، ٥٨١)

(٥٨٢). والمحزر الوجيز (٣١٦/١) (٦٠/٢، ٦٨، ١٥٨، ١٧٢، ١٧٦، ٢٤٣، ٣٣٥، ٣٨٢، ٣٨٢) (٤٦/٤).

(٢) انظر الأجزاء والصفحات المتقدمة قريباً.

(٣) انظر تفسير الطبري (٣٨٥/٣، ٥٦٣) (٣٦٥/٤، ٥٨٢) (٥٣٥/٢) (١١٨/٦) (٢٠٩/١١).

(٤) انظر المحزر الوجيز (١٧٢/٢، ١٧٦).

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٠٧/٢، ٢٨٢، ٢٨٣، ٥٤٥، ٥٤٧) (٤٠/٥، ٣٠٥، ٣٨٢) (١٣٤/٤، ٣٦٥). والمحزر الوجيز

(٣٢٩، ٣٢٣/١) (٤٨/٢، ٢١٥) (١٤٣/٤، ١٤٤، ٢١٤).

(٦) انظر تفسير الطبري (٥٤٧/٢) (٥٢٤/٤) (٤٠/٥، ١٣٠). والمحزر الوجيز (٤٠/٢، ٥٢، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٣،

عطية يكاد يتميز علي الطبري ، في حمل اللفظ على العموم ، في جانب التفسير ، ولذلك سيلاحظ القارئ في الاستدراكات شيئاً من هذا^(١).

ج- المكي والمدني

اعتنى أبو محمد - رحمه الله تعالى - بذكر السور المكية والمدنية فهو قبل أن يفسر السورة يذكر نبذة عن مكية السورة ، أو مدنيها ، وما قيل باستثنائه من السور المكية ، أو المدنية ، ويذكر كلام أهل العلم في هذا بصورة مختصرة موفية للغرض في كل سور القرآن^(٢). وهو يذهب في هذا الباب إلى أن ما نزل بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار ، أو بمكة ، والمكي ما نزل قبل الهجرة . نص على هذا في أول سورة المائدة^(٣).

وأما الإمام الطبري فلم أر له عناية بذكر المكي والمدني ، أما في مظنته وهي قبل بداية تفسير السور فقد راجعت كل ذلك فلم أجده يذكر شيئاً ، وأما في أثناء السور فقد نظرت في أكثر من موطن فلم أظفر في ذلك بشيء .

وعلى هذا فأبو محمد قد تميز على الإمام الطبري في هذا الجانب ولعل الإمام الطبري يرى أن المكي والمدني له مؤلفاته الخاصة التي يطلب منها ، وليس يدخل في تفسير القرآن.

(١) وانظر المحرر الوجيز (١٠١/٢).

(٢) انظر كلامه في هذا قبل بداية تفسير كل سورة.

(٣) انظر المحرر الوجيز (٥/٥) وهذا هو المنهج الحق.

القسم الثاني

استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز

على الطبري في تفسيره

مقدمة التفسير

✽ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب ، وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم))^(١) ثم أورد على نفسه اعتراض معترض بما جاء عن بعض الصحابة والتابعين وأتباعهم محليفاً بأن في القرآن من غير لسان العرب^(٢) .

ثم أجاب عن ذلك بقوله : ((إن الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا - من أجل أنهم لم يقولوا : هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ، ولا كان ذاك لها منطقاً قبل نزول القرآن ، ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجيء الفرقان - فيكون ذلك قولاً لقولنا خلافاً . وإنما قال بعضهم : حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا ، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا . ولم نستكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف يجنسين منها ؟ كما قد وجدنا اتفاقاً كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك - مما يُتعب إحصاؤه ، ويُمل تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره - مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى ، ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي تجهل منطقتها ولا تعرف كلامها . فلو أن قاتلاً قال - فيما ذكرنا من الأشياء التي عددنا وأخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره - : ذلك كله فارسي لا عربي ، أو ذلك كله عربي لا فارسي ، أو قال : بعضه عربي وبعضه فارسي ، أو قال : كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به ، أو قال : كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته كان مستهجلاً^(٣) ؛ لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العجم ، ولا العجم أحق أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب ، إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجوداً في الجنسين . وإذا كان ذلك موجوداً على ما وصفنا في الجنسين ، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . والمدعي أن مخرج أصل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر ، مدع أمراً لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بنجر يوجب العلم ، ويزيل الشك ، ويقطع

(١) تفسير الطبري (١٣/١).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٣/١ ، ١٤) وسيأتي - إن شاء الله - إيراد بعض ذلك .

(٣) قال محمود شاكر : ((كان مستهجلاً)) جواب قوله : ((فلو أن قاتلاً قال)).

العدرَ صحته . بل الصواب في ذلك عندنا ، أن يُسمى عربياً أعجمياً ، أو حبشياً عربياً ، إذ كانت الأمتان له مستعملتين - في بيانها ومنطقها - استعمال سائر منطقها وبيانها . فليس غيرُ ذلك من كلام كل أمةٍ منهما ، بأولى أن يكون إليها منسوباً منه ... فإن ظن ذو غباء أن اجتماع ذلك في الكلام مستحيل - كما هو مستحيل في أنساب بني آدم - فقد ظن جهلاً؛ وذلك أن أنساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر لقول الله تعالى ذكره : ﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾^(١) وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان ؛ لأن المنطق إنما هو منسوب إلى من كان به معروفاً استعماله . فلو عرف استعمال بعض الكلام في أجناس من الأمم... بلفظ واحد ومعنى واحد كان ذلك منسوباً إلى كل جنس من تلك الأجناس ، لا يستحق جنس منها أن يكون به أولى من سائر الأجناس غيره ، كما لو أن أرضاً بين سهل وجبل، لها هواء السهل وهواء الجبل ، أو بين بر وبحر ، لها هواء البر وهواء البحر لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سهلية جبلية ، أو بأنها برية بحرية ، إذ لم تكن نسبتها إلى إحدى صفتيها نافية حقها من النسبة إلى الأخرى . ولو أفرد لها مفرداً إحدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الأخرى كان صادقاً محققاً ... وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك هو معنى قول من قال في القرآن من كل لسان . عندنا بمعنى - والله أعلم - أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ، ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به ، نظير ما وصفنا من القول فيما مضى ... ويقال لمن أبى ما قلنا - ممن زعم أن الأحرف التي قدمنا ذكرها في أول الباب وما أشبهها ، إنما هي كلام أجناس من الأمم سوى العرب ، وقعت إلى العرب فعرّبته :- ما برهانك على صحة ما قلت في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له ، فقد علمت من خالفك في ذلك ... فقال هذه الأحرف ، وما أشبهها من الأحرف غيرها أصلها عربي ، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها... فلن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله ...^(٢).

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥ .

(٢) تفسير الطبري (١/١٣-١٩).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن ما قيل في القرآن إنه معرّب من باب توافق اللغات ، فقال : ((اختلف الناس في هذه المسألة ، فقال أبو عبيدة^(١) وغيره: إن في كتاب الله تعالى من كل لغة . وذهب الطبري وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة ، وأن الأمثلة والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغتان ، فتكلمت بها العرب والفرس أو الحبشة بلفظ واحد ... قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : والذي أقوله : إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب ، فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها ، فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتى قريش ... فعلمت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي الصريح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر^(٢) إلى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه . وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل والأخرى فرع في الأكثر ؛ لأننا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً^(٣) .

هذه المسألة الخلاف فيها قديم بين العلماء ، والأقوال فيها ثلاثة :

القول الأول : ذهب جمهور أهل العلم^(٤) وعلى رأسهم الإمام الشافعي إلى أن القرآن الكريم ليس فيه

من غير لسان العرب شيء .

(١) ((أبو عبيدة)) كذا في نسخ المحرر الوجيز التي رقت عليها ، ولعله: أبو عبيد ، لأن الموجود عن أبي عبيدة في مجاز القرآن خلاف ما حكى عنه هنا كما سترى . وأبو عبيدة هو : معمر بن المنثى البصري ، النحوى الإمام العلامة (ت : ٢٠٩هـ) . انظر السير (٩/٤٤٥) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : رواه أبو عبيد في غريب الحديث ، وفي فضائل القرآن بإسناد حسن ، ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر . الكافي الشاف - الملحق بآخر الكشاف - ص (٦١) في أول سورة الأنعام .

(٣) المحرر الوجيز (١/٣٦ ، ٣٧) .

(٤) انظر البرهان (١/٢٨٧) فقد ذكر أن هذا القول رأي الجمهور .

ولهم أدلة على ذلك سمعت بعضها من الإمام الطبري . ومنها ما ذكره الإمام الشافعي حيث قال :
 ((وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب من
 السلامة له إن شاء الله . فقال منهم قائل : إن في القرآن عربياً وأعجمياً . والقرآن يدل على أن ليس
 من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب . ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليداً له وتركاً
 للمسألة له عن حجته ، ومسألة غيره ممن خالفه ... ولعل من قال : إن في القرآن غير لسان العرب وقبل
 ذلك منه ذهب إلى أن من القرآن خاصاً يجهل بعضه بعض العرب . ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً
 وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها ،
 حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه . والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم
 رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء . فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا
 فُرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره ...
 وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يطلب عند غيرها ، ولا يعلمه
 إلا من قبله عنها ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها ...
 فإن قال قائل : فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب . فذلك يحتمل ما وصفت من تعلمه
 منهم، فإن لم يكن ممن تعلمه منهم فلا يوجد ينطق إلا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب
 فيه . ولا ننكر إذ كان اللفظ قيل تعلماً أو نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من
 لسان العرب، كما يتفق القليل من السنة العجم المتباينة في أكثر كلامها مع تنائي ديارها واختلاف
 لسانها ... فإن قال قائل : ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة
 فيه كتاب الله قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾^(١) فإن قال قائل : فإن
 الرسل قبل محمد كانوا يرسلون إلى قومهم خاصة ، وإن محمداً بعث إلى الناس كافة . فقد يحتمل أن
 يكون بعث بلسان قومه خاصة، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه وما أطاقوا منه ... وأولى
 الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً
 لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه .
 وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه قال الله : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤ .

* على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين ﴿^(١)﴾ وقال: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ ^(٢) وقال: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ ^(٣) وقال: ﴿حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ ^(٤) وقال: ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ ^(٥) قال الشافعي: فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه - جل ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه ، فقال تبارك وتعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ ^(٦) وقال: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾ ^(٧) ^(٨).

وقال أبو عبيدة : ((نزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن (طه) بالنبطية فقد أكبر ، وإن لم يعلم ما هو فهو افتتاح كلام وهو اسم للسورة ، وشعار لها . وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها ، فمن ذلك الاستبرق بالعربية ، وهو الغليظ من الديباج والفرند ، وهو بالفارسية إستبره ، وكوز ، وهو بالعربية جوز ، وأشباه هذا كثير . ومن زعم أن حجارة من سجيل بالفارسية فقد أعظم ...)) ^(٩) . وبين ابن فارس ^(١٠) مقصود أبي عبيدة بمعنى قوله : فقد أعظم القول ... إلخ فقال : ((فإن قال قائل : فما تأويل قول أبي عبيدة فقد أعظم وأكبر ؟ قيل له : تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير ، وذلك أن القرآن لو

(١) سورة الشعراء ، الآية : ١٩٢-١٩٥ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣٧ .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ٧ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية : ١-٣ .

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٢٨ .

(٦) سورة النحل ، الآية : ١٠٣ .

(٧) سورة فصلت ، الآية : ٤٤ .

(٨) الرسالة ص (٤١-٤٧) .

(٩) مجاز القرآن (١٧/١-١٨) .

(١٠) أحمد بن فارس اللغوي (ت : ٣٩٥هـ) . انظر السير (١٧/١٠٣) .

كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها ، وفي ذلك ما فيه ^(١) .

قلت : خلاصة أدلة من نفى أن يكون في القرآن ما ليس بعربي ، صريح القرآن ، وما يلزم على قول المشتين من لوازم باطلة .

ويدعم هذا الاتجاه أمور كثيرة منها :

١- ما ذكره الإمام الشافعي من أن اللغة واسعة لا يحيط بها إلا نبي ^(٢) . فمن زعم أن هذه الكلمات ليست عربية ، لا يتم له هذا إلا بأن يحيط باللغة العربية ، وأتى له ذلك ؟ .

٢- لا يبعد أن هذه الألفاظ مما حفظه القرآن لنا ، وأغفلها الرواة عندما بدأوا يدونون اللغة ، فإن هذه المعاجم التي بين أيدينا لا تمثل كل اللغة العربية التي عاشت عمراً طويلاً ، وتطورت عبر الأجيال والتاريخ ، تطوراً كبيراً ، ويشهد لهذا رواية من كبار الرواة ، وعمدة من عمداء اللغة إنه أبو عمرو بن العلاء ^(٣) الذي يقول : ((ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً جاءكم علم وشعر كثير)) ^(٤) .

٣- العرب أمة من أقدم الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً ، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية ، بله الفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب ^{ملاشتهم} ~~ملاشتهم~~ الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية ، التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله ، وبقي الحرف وحده ^(٥) .

٤- معظم الألفاظ التي اعتبروها من المعرب منسوبة إلى اللغات السامية ، ومن المعلوم الواضح المقرر عند علماء اللغات أن اللغات السامية جميعها قد انبثقت من لغة واحدة هي ما أطلق عليها علماء اللغة (اللغة الأم) ولم تعد هذه اللغات جميعاً أن تكون من لهجات هذه اللغة أخذت كل منها يتعد عن الأخرى حتى أصبح كل منها لغة مستقلة عن الأخرى . وما دامت اللغات السامية هكذا فلا شك من وجود تشابه كبير بينها سواء كان في المفردات أم في غيرها ^(٦) .

(١) الصاحبي ص (٤٦) .

(٢) تقدم قريباً نقل هذا .

(٣) أبو عمرو بن العلاء بن عمار البصري ، الإمام المقرئ النحوي واسع العلم (ت : ١٥٤ هـ) انظر السير (٦/٤٠٧) .

(٤) البحر الخيط (٤/٢٣٣) ، ولغة القرآن الكريم ص (٢٠٤) .

(٥) من كلام الشيخ أحمد شاکر في مقدمة المعرب ص (١٣) .

(٦) انظر لغة القرآن الكريم ص (٢٢٢) .

القول الثاني - في هذه المسألة - أن في القرآن الكريم كلمات ليست عربية ، وهذا القول نسبه أبو عبيد^(١) إلى الفقهاء^(٢) . وحجة هؤلاء ما يلي :

١- ما روي عن بعض الصحابة والتابعين أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم ، منها : طه ، واليم ، والطور ، والربانيون ، يقال : إنها بالسريانية .
والصراط ، والقسطاس ، والفردوس يقال : إنها بالرومية .
ومشكاة ، وكفلين يقال : إنها بالحبشية^(٣) .

قال السيوطي^(٤) - وهو من أنصار القول الثاني - : ((وأقوى ما رأيت للوقوع - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة^(٥) ، التابعي الجليل ، قال : في القرآن من كل لسان))^(٦) .
قال السيوطي : فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبا كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لئتم إحاطته بكل شيء ، فأختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب))^(٧) .

٢- استدلوا - أيضاً - باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو (إبراهيم) للعلمية والعجمة^(٨) وقد أجاب هذا الفريق عن بعض أدلة الفريق الأول فقال : قوله تعالى : ﴿ قرآناً عربياً ﴾^(٩) بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرج عن كونه عربياً ، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية^(١٠) .
قلت : ويمكن أن يجاب عن أدلة القائلين بالوقوع بما يلي :

(١) القاسم بن سلام ، إمام ذو فنون (ت : ٢٢٤هـ) انظر السير (١٠/٤٩٠) .

(٢) انظر الصاحبي ص (٤٤-٤٥) ، والمعرب ص (٥٣) ، والبرهان (١/٢٩٠) .

(٣) انظر الصاحبي ص (٤٤ ، ٤٥) ، والبرهان (١/٢٨٨) ، ولغة القرآن ص (٢٠٥) .

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر . حافظ مؤرخ (ت : ٩١١هـ) انظر البدر الطالع (١/٣٢٨) .

(٥) هو : عمرو بن شرحبيل ، ثقة (ت : ٦٣هـ) انظر التهذيب (٨/٤٧) .

(٦) الإقتان (١/٣٦٧) .

(٧) الإقتان (١/٣٦٧) وقاله أيضاً في المهذب ص (٦١ ، ٦٢) .

(٨) انظر الإقتان (١/٣٦٧) .

(٩) سورة الشورى ، الآية : ٧ .

(١٠) انظر الإقتان (١/٣٦٧) .

١- أما استدلالهم بما روي عن بعض الصحابة والتابعين . فما صح منه^(١) محمول على ما قاله الإمام الطبري : أنه من باب توافق اللغتين ، وقد أجاد في عرض هذا الجواب فراجعه وتأمله .

٢- وأما استدلالهم باتفاق النحاة أن منع صرف نحو (إبراهيم) للعلمية والعجمة . فالجواب عن هذا أن الأعلام ليست محل خلاف ، وإنما الخلاف في وقوع الأجناس^(٢) .

وهذا الجواب أشار إليه الإمام الشافعي بقوله : ((ولا ننكر إذا كان اللفظ ... نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم، أو بعضها...))^(٣) .

وقد شرح بعض المعاصرين جواب الإمامين الشافعي وابن جرير ، وأضاف أشياء جديدة بأن ينظر فيها، فراجع ذلك إن شئت^(٤) .

القول الثالث - في مسألة المعرب - أن هذه الحروف المختلف فيها بغير لسان العرب في الأصل ، ثم لفظت به العرب بألستها ، فعربته فصار عربياً بتعريبها إياه ، فهي عربية في هذه الحال أعجمية الأصل ، فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً ، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام^(٥) .

قلت : هذا رأي ابن عطية . وذكر الشيخ أحمد شاکر^(٦) أنه اختار كثير من علماء الأصول ، وعلماء اللغة^(٧) .

وذكر ابن فارس أن أبا عبيد علل ما ذهب إليه من الجمع بأن قال : وإنما فسرنا هذا لسلا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير ما أَرَادَهُ اللهُ جل وعز ، وهم كانوا أعلم بالتأويل ، وأشد تعظيماً للقرآن^(٨) .

(١) روى الإمام الطبري في تفسيره (١٣/١ ، ١٤) ستة آثار ، الأول والثاني والثالث والخامس من طريق شيخه ابن حميد ، وقد رجح الذهبي أنه ضعيف . انظر كتابي الكاشف (٣٢/٣) . والرابع من الآثار فيه علي بن زيد بن جدعان ضعفه العلماء . انظر الميزان (١٢٧/٣) . والسادس أثر أبي ميسرة الذي صححه السيوطي .

(٢) انظر الإتيان (٣٦٧/١) ونص ابن عاشور أن المعرب شرطه أن يكون لفظاً غير علم نقله العرب إلى لغتهم . انظر التحرير والتنوير (٣١١/٧) .

(٣) الرسالة ص (٤٤ ، ٤٥) .

(٤) أعني بهذا الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم . انظر كتابه لغة القرآن الكريم ص (٢٠٧-٢٠٩) .

(٥) انظر الصاحبي ص (٤٥ ، ٤٦) ، والمعرب ص (٥٣) .

(٦) أحمد بن محمد شاکر مصري عالم بالحديث والتفسير واللغة (ت : ١٣٧٧هـ) . انظر الأعلام (١/٢٥٣) .

(٧) انظر مقدمة كتاب المعرب ص (١١) .

(٨) الصاحبي ص (٤٦) .

وهذا الجمع يُعترض عليه بقول الإمام الطبري أنه لا يمكن الجزم بأن أصل هذه الكلمات لم يكن عربياً، وإنما جاء من لغات أخرى؛ لأن هذا لا يوصل إليه إلا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته^(١). وأيضاً: نهاية هذا القول الاعتراف بأن في القرآن كلمات ليست عريقة في العربية، وهذا فيه ما فيه. وأيضاً تعليل أبي عبيد لجمعه هذا بأن سببه حتى لا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ربما كان مضعفاً لهذا الاتجاه في الجمع، لأنه ليس كل من خالف قائلاً في مقالته فقد نسبه إلى الجهل؛ وذلك أن الصدر الأول اختلفوا في تأويل آي من القرآن فخالف بعضهم بعضاً، ثم خلف من بعدهم من خلف، فأخذ بعضهم بقول، وأخذ بعض بقول، حسب اجتهادهم، وما دلتهم الدلالة عليه^(٢).

وبعد: فهذه المسألة من المسائل الكبار التي لا يستطيع الفصل فيها طالب مبتدئ مثلي إلا أن الذي يبدو - والله أعلم - أن قول الإمام الشافعي وابن جرير - وهو قول الجمهور^(٣) - أسعد بالدليل، وأسلم مما يلزم على غيره من اللوازم^(٤)، وأحوط في الديانة فلا ينبغي أن يقدم عليه غيره، وبناء على هذا فاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري لا أراه وارداً لما ذكرت آنفاً ولما يلي:

١ - الكلمات التي وقع فيها الخلاف، ما هي إلا كلمات معدودة عند التحقيق^(٥)، فلا يبعد قول الإمام الطبري إنها مما اتفقت فيه اللغة العربية وغيرها. وهذا أبو عبيدة يذكر لنا أمثلة على ذلك، وابن عطية نفسه لا يدفع هذا المبدأ، والواقع يصدق ذلك.

٢ - مما يؤيد الإمام الطبري، ما ذكر سابقاً من أن معظم هذه الألفاظ التي اعتبروها من المعرب منسوبة إلى اللغات السامية، واللغات السامية - ومنها العربية - قد انبثقت من لغة واحدة، هي ما أطلق عليه علماء اللغة (اللغة الأم).

٣ - ومما يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري أنه موافق لقول الجمهور، وأنه يؤثر عن حبر الأمة^(٦).

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/١).

(٢) انظر الصاجي ص (٤٦) فقد رد بهذا ابن فارس على أبي عبيد.

(٣) انظر البرهان (٢٨٧/١) فقد نسب الزركشي هذا القول إلى الجمهور.

(٤) طعن بعض المستشرقين في إعجاز القرآن وتحديه للعرب عن طريق القول بإثبات المعرب في القرآن. انظر لغة القرآن الكريم ص (٢٠٢، ٢٠٣).

(٥) انظر لغة القرآن الكريم ص (٢٢١).

(٦) انظر كتاب اللغات في القرآن برواية ابن حسنون إلى ابن عباس ص (١٦)، ولغات القبائل الواردة في القرآن الكريم

برواية أبي عبيد عن ابن عباس ص (٤٠، ٤١).

سورة الفاتحة

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((ومعنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر خالصاً لله ، جل ثناؤه ، دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحد ، في تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً . وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ذكره وتقدست أسماؤه: ﴿ الحمد لله ﴾ جاء الخبر عن ابن عباس وغيره ((^(١))).

ثم ساق بسنده عن ابن عباس أنه قال : ((الحمد لله هو الشكر لله ، والاستخذاء لله ^(٢)))، والإقرار بنعمته وهدايته ، وابتدائه ، وغير ذلك ((^(٣))).

وساق بسنده أيضاً إلى النبي ﷺ أنه قال : ((إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فرادك))^(٤).

ثم قال الإمام الطبري : ((قال : وقد قيل : إن قول القائل ((الحمد لله)) ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنی . وقوله: ((الشكر لله)) ثناء عليه بنعمه وأياديه ... قال أبو جعفر : ولا تمنع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل : (الحمد لله شكراً) بالصحة . فقد تبين - إذ كان ذلك عند جميعهم صحيحاً - أن الحمد لله قد ينطق به في موضع الشكر ، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد؛ لأن ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز أن يقال : الحمد لله شكراً . فيُخرج من قول القائل : الحمد

(١) تفسير الطبري (١/١٣٥).

(٢) كذا في النسخة المحققة ((الاستخذاء)) وفي غيرها ((الاستحذاء)) ولعله الصحيح . والاستخذاء طلب العطاء منه . انظر لسان العرب (٣/٩٩) ((حذا)).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٣٥) من طريق الضحاك عن ابن عباس . وضعف إسناده الشيخ أحمد شاكر.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٣٦) من طريق موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير يرفعه . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/١١) ونسب إخراجها للطبري والحاكم في تاريخ نيسابور ، والدلمي . ثم قال : بسند ضعيف . وقال أحمد شاكر - بعد أن ذكر حكم السيوطي - : وإسناده ضعيف حقاً ، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة .

لله مُصَدَّرٌ ((أشكُرُّ)) ؛ لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد كان خطأ أن يُصَدَّرَ من الحمد غير معناه ، وغير لفظه))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الحمد والشكر بمعنى واحد فقال : ((الحمد معناه : الثناء الكامل ، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد ، وهو أعم من الشكر ؛ لأن الشكر إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر ، وشكره حمد ما ، والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئاً ، فالحامد من الناس قسمان : الشاكر والمثنى بالصفات . وذهب الطبري : إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد ، وذلك غير مرضي . وحكى عن بعض الناس أنه قال : الشكر ثناء على الله بأفعاله وإنعامه ، والحمد ثناء بأوصافه .

قال القاضي أبو محمد : وهذا أصح معنى من أنهما بمعنى واحد . واستدل الطبري على أنهما بمعنى بصحة قولك الحمد لله شكراً . وهو في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب إليه ؛ لأن قولك شكراً إنما خصصت به الحمد أنه على نعمة من النعم))^(٢). هذا رأي كل من الإمامين وأدلته .

فإذا نظرت في أقوال أهل العلم في هذه المسألة من لغويين ومفسرين تجد أنك أمام أربعة أقوال :

١- الجمهور يذهبون إلى ما ذهب إليه ابن عطية فيرون أن بين الحمد والشكر فرقاً ، فالحمد عندهم أعم من انشكر ومستغرق له ، فهذا الأزهري^(٣) يقول : ((... الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليتها ، والحمد قد يكون شكراً للصنعة ، ويكون ابتداء للثناء على الرجل ، فحمد الله الثناء عليه ، ويكون شكراً لنعمه التي شملت الكل))^(٤).

وقال الراغب^(٥) : ((الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح ، وأعم من

الشكر))^(٦).

(١) تفسير الطبري (١/١٣٧ ، ١٣٨).

(٢) المحرر الوجيز (١/٦٣).

(٣) محمد بن أحمد الأزهري ، اللغوي العلامة ، (ت : ٣٧٠هـ) انظر السير (١٦/٣١٥).

(٤) تهذيب اللغة (٤/٤٣٥) ((حمد)).

(٥) الحسين بن محمد الأصبهاني ، العلامة الماهر ، توفي في المئة الخامسة . انظر السير (١٨/١٢٠).

(٦) المفردات ص (٣١) ((حمد)).

وقال ثعلب : ((الشكر لا يكون إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد فهذا الفرق بينهما))^(١).

وقال صاحب مختار الصحاح^(٢) : والحمد أعم من الشكر^(٣).

وقال أبو الليث السمرقندي^(٤) : ... وحمد الله تعالى هو الثناء عليه بصفاته الحسنی ، وبما أنعم على عباده ، ويكون في الحمد معنى الشكر وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر ؛ لأن الحمد يوضع موضع الشكر ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد^(٥).

وقال الواحدي^(٦) : و ((الحمد)) قد يكون شكراً للصنعة ، وقد يكون ابتداء للثناء على الرجل ، يقال : حمدته على معروفه ، كما يقال : شكرته . ويقال : حمدته على علمه وعلو شجاعته إذا أثبت عليه بذلك ، ولا يقال في هذا المعنى شكرته . فحمد الله الثناء عليه والشكر لنعمة^(٧).

وقال القرطبي^(٨) : الصحيح أن الحمد ثناء على المدح بصفاته من غير سبق إحسان والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان^(٩).

وقال البغوي^(١٠) : ... والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة ، يقال حمدت فلاناً على ما أسدى إليّ من نعمة وحمدته على علمه وشجاعته ، والشكر

(١) لسان العرب (١٧٠/٧) ((شكر)).

(٢) محمد بن أبي بكر الرازي ، له علم بالتفسير والأدب ، (ت : بعد ٦٦٦هـ) انظر الأعلام (٥٥/٦).

(٣) مختار الصحاح ، ص (١٢١) ((حمد)).

(٤) نصر بن محمد بن إبراهيم ، المحدث الزاهد ، (ت : ٣٧٥هـ) انظر السير (٣٢٢/١٦).

(٥) بحر العلوم (٧٩/١).

(٦) علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي ، الأستاذ العلامة ، (ت : ٤٦٨هـ) انظر السير (٣٣٩/١٨).

(٧) الوسيط (٦٥/١).

(٨) أبو عبد الله محمد بن أحمد ، عالم زاهد (ت : ٦٧١هـ) انظر نفع الطيب (٢١٠/٢).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١).

(١٠) أبو محمد الحسين بن مسعود ، الإمام الحافظ (ت : ٥١٦هـ) انظر السير (٤٣٩/١٩).

لا يكون إلا على النعمة ، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال : شكرت فلاناً على علمه ، فكل حامد شاكر ، وليس كل شاكر حامداً^(١).

فهذا القول حاصله أن الحمد أعم من الشكر فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً .

القول الثاني : يرى أنه لا فرق بين الحمد والشكر وأن كل واحد منهما محل الآخر ، وهو رأي الطبري - كما رأيت - وإلى هذا ذهب طائفة من العلماء .

نقل ابن منظور^(٢) ، عن بعض أهل اللغة^(٣) أنه قال : الحمد الشكر ، فلم يفرق بينهما^(٤) . ونقله القرطبي في تفسيره^(٥) عن أبي العباس المبرد^(٦) .

وفهم من كلام صاحب القاموس^(٧) أنه يرى هذا حيث قال : الحمد الشكر ، والرضا ، والجزاء ، وقضاء الحق^(٨) .

وقال ابن قتيبة^(٩) : وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال : حمدته على معرفته عندي كما يقال : شكرت له على شجاعته^(١٠) .

قال القرطبي : وحكاه أبو عبد الرحمن السلمي^(١١) في كتاب الحقائق له عن جعفر الصادق^(١٢) ، وابن عطاء . قال ابن عطاء^(١٣) : معناه الشكر ؛ إذ كان منه الامتنان على تعليمنا إياه حتى حمدناه^(١٤) .

(١) معالم التنزيل (٣٩/١) . وبهذا القول قال غير هؤلاء أيضاً . انظر زاد المسير (١١/١) ، والتفسير الكبير (١٧٩/١) ولباب التأويل في معاني التنزيل (٢١/١) ، والبحر المحييط (١٣٠/١) ، ونزهة الأعين النواظر ص (٢٥١) ، والدر المصون (٣٦/١) .

(٢) محمد بن مكرم الأنصاري أبو الفضل ، الإمام اللغوي (ت : ٧١١هـ) انظر الأعلام (١٠٨/٧) .
(٣) هو اللحياني .

(٤) لسان العرب (٣١٤/٣) ((حمد)) .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٣/١) .

(٦) محمد بن يزيد الأزدي ، النحوي الأحمدي (ت : ٢٨٦هـ) . انظر السير (٥٧٦/١٣) .

(٧) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، من أئمة اللغة والأدب (ت : ٨١٧هـ) انظر الأعلام (١٤٦/٧) .

(٨) ترتيب القاموس المحييط (٧٤٠/٢) ((شكر)) .

(٩) أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، العلامة المصنف (ت : ٢٧٦هـ) انظر السير (٢٩٦/١٣) .

(١٠) انظر زاد المسير (١١/١) .

(١١) محمد بن الحسين الأزدي الصوفي المحدث (ت : ٤١٢هـ) انظر السير (٢٤٧/١٧) .

(١٢) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، الإمام (ت : ٤٤٨هـ) انظر السير (٢٥٥/٦) .

(١٣) أبو العباس أحمد بن محمد البغدادي ، زاهد صوفي (ت : ٣٠٩هـ) انظر السير (٢٥٥/٦) .

(١٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣٣/١) ، وتفسير ابن كثير (٢٣/١) .

وحكى هذا القول محمود بن حمزة الكرماني^(١) فقال : وقيل الحمد والشكر واحد^(٢) .
القول الثالث : أن الشكر أعم من الحمد . قال أبو الليث السمرقندي^(٣) : وقال بعضهم الشكر أعم
لأنه باللسان والجوارح وبالقلب ، والحمد يكون باللسان خاصة ، كما قال : ﴿ اعملوا آل داوود
شكراً ﴾^(٤) .

وقد ذكر العلماء مع الآية الكريمة بيتاً من الشعر يدل على أن الشكر عند العرب يكون بالقلب
واللسان والجوارح ، قال السمين الحلبي^(٥) : ... ويكون - أعني الشكر - بالقلب واللسان والجوارح
قال تعالى : ﴿ اعملوا آل داوود شكراً ﴾^(٦) وقال الشاعر^(٧) :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وهذا القول قد نقله القرطبي فقال : وقال بعض العلماء : إن الشكر أعم من الحمد لأنه باللسان
والجوارح والقلب ، والحمد إنما يكون باللسان خاصة^(٨) .

القول الرابع : ذهب بعض المتأخرين إلى أن بين الحمد والشكر عمومياً وخصوصاً من وجه ، وبيان
ذلك : أنك تحمد الشخص على علمه وعلى إحسانه إليك ، وهو باللسان فقط فالعموم من حيث الوقوع ،
والخصوص من حيث إنه إنما يقع باللسان . والشكر بعكس الحمد فمتعلقه ثلاثة : القلب ، واللسان ،
والفعل ، وهذا عموم ، وإنما يقع مقابل النعمة وهذا خصوص .

قال ابن كثير - وهو ممن استدرك هذه المسألة هو والقرطبي على الطبري^(٩) - : ((اختلفوا أيهما أعم
الحمد أو الشكر على قولين ، والتحقيق أن بينهما عمومياً وخصوصاً ، فالحمد أعم من الشكر من حيث

(١) أبو القاسم المعروف بتاج القراء ، مفسر مقرئ ، (ت : بعد المئة الخامسة) انظر طبقات المفسرين (٣١٢/٢).

(٢) غرائب التفسير (٩٦/١).

(٣) بحر العلوم (٧٩/١).

(٤) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .

(٥) أحمد بن يوسف بن محمد ، المقرئ النحوي ، (ت : ٧٥٦هـ) انظر طبقات المفسرين (١٠١/١).

(٦) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .

(٧) لم أقف على اسمه . والبيت في الدر المصون (٣٦/١) ، وتفسير البيضاوي (٧/١) ، وتفسير النسفي (٥/١) ، وتفسير

أبي السعود (١٢/١).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٣٣/١ - ١٣٤).

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٣/١) وتفسير ابن كثير (٢٣/١).

ما يقعان عليه ؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدته لفروسيته ، وحمدته لكرمه ، وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول . والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه ، لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم ، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية ، لا يقال : شكرته لفروسيته ، وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه إليّ . هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم^(١).

وبعد: فإنك إذا نظرت في هذه الأقوال وجدت أن قول من قال : إن الحمد هو الثناء بالصفات اللازمة والمتعدية ، والشكر هو الثناء بالصفات المتعدية قول يدل عليه القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله جل وعز: ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ﴾^(٣) ، وقوله تعالى: ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾^(٤) فهذا ثناء بالصفات اللازمة .

وأما المتعدية فكقوله جل وعز: ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾^(٧).

(١) تفسير ابن كثير (٢٣/١) . وقد أشار إلى هذا القول السمين الحلبي في الدر المصون (٣٦/١) ، والشوكاني في فتح

التقدير (١٩/١) ونسبه إلى صاحب الكشاف ، ولعله الذي عنى ابن كثير بقوله : بعض المتأخرين .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٠ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١١١ .

(٤) سورة سبأ ، الآية : ١ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٤٣ .

(٦) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٩ .

(٧) سورة فاطر ، الآية : ٣٤ .

وأما الشكر فتجده في كتاب الله على الصفة المتعدية ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾^(٣) .

أما القول الثاني : وهو أن كلاً من الحمد والشكر بمعنى واحد فهو قول موجود في لغة العرب وإن كان ذلك على قلة ، إلا أن قلة من قال به لا تدعو إلى نفيه ، واعتراض ابن عطية رحمه الله على استدلال الطبري بصحة قول القائل ((الحمد لله شكراً)) وأن ((شكراً)) تخصيص للحمد فهذا على حسب رأيه أن الحمد عام والشكر خاص ، وما جاء عن العرب أولى بالاتباع ، وما قيل سابقاً أن القرآن يشهد لقول ابن عطية لا يلزم منه أن ينفي قول الطبري ، فإثبات الشيء لا يلزم منه في كل الأحوال نفي ما سواه . وقد أشار الشيخ محمود شاكر إلى مخالفة بعض العلماء للطبري في هذه المسألة ثم قال: ((والذي قاله الطبري أقوى حجة وأعرق عربية من الذين ناقضوه))^(٤) .

وأما القول الثالث : وهو أن الشكر أعم من الحمد فأصحاب هذا القول نظروا إلى مصدر الشكر وأنه بالقلب واللسان والجوارح ، وبهذا الاعتبار صحيح ما قالوه .
وأما أصحاب القول الرابع فإنما أرادوا التوفيق بين قولين متعارضين وتوفيقهم هذا موفق ، والله أعلم .

(١) سورة يونس ، الآية : ٦٠ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٧٢ .

(٤) تفسير الطبري (١٣٨/١) هامش (٢) .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ولا الضالين﴾ قال أبو جعفر كان بعض أهل البصرة يزعم أن ((لا)) مع ((الضالين)) أدخلت تمييزاً للكلام والمعنى إلغاؤها ويستشهد على قيله ذلك ... بقول أبي النجم^(١) :

فما ألوم البيض أن لا تسخرا
لما رأين الشمط القفندرا

وهو يريد : فما ألوم البيض أن تسخر. وبقول الأحوص^(٢) :

ويلحنني في اللهو أن لا أحبه
وللهو داعٍ دائبٌ غير غافل

يريد : ويلحنني في اللهو أن أحبه ، وبقوله تعالى : ﴿ما منعك أن لا تسجد﴾^(٣) يريد أن تسجد. وحكي عن قائل هذه المقالة أنه كان يتأول ﴿غير﴾ التي مع ﴿المغضوب عليهم﴾ أنها بمعنى سوى. فكان معنى الكلام كان عنده : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم الذين هم سوى المغضوب عليهم والضالين . وكان بعض نحوي الكوفيين يستنكر ذلك من قوله ، ويزعم أن ﴿غير﴾ التي مع ﴿المغضوب عليهم﴾ لو كانت بمعنى سوى لكان خطأً أن يعطف عليها بـ ((لا)) ؛ إذ كانت ((لا)) لا يعطف بها إلا على جحد قد تقدمها . كما كان خطأ قول القائل : ((عندي سوى أخيك ولا أهلك)) لأن ((سوى)) ليست من حروف النفي والجحود . ويقول : لما كان ذلك خطأً في كلام العرب ، وكان القرآن بأفصح اللغات من لغات العرب ، كان معلوماً أن الذي زعمه القائل : أن ﴿غير﴾ مع ﴿المغضوب عليهم﴾ بمعنى سوى المغضوب عليهم خطأ . إذ كان قد كر عليه الكلام بـ ((لا)) وكان يزعم أن ((غير)) هنالك إنما هي بمعنى الجحد . إذ كان صحيحاً في كلام العرب وفاشياً ظاهراً في منطقتها توجيه ((غير)) إلى معنى النفي ، ومستعملاً فيهم ((أخوك غير محسن ولا مجمل)) ، يراد بذلك : أخوك لا محسن ولا مجمل. ويستنكر أن تأتي ((لا)) بمعنى الحذف في الكلام مبتدأ ، ولما يتقدمها جحد ، ويقول : لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مبتدأ ، قبل دلالة تدل على ذلك من جحد سابق ، لصح قول قائل قال :

(١) الفضل بن قدامة ، من أكابر الرجاز (ت : ١٣٠هـ) انظر الأعلام (٥/١٥١) . والبيت في مجاز القرآن (١/٢٦) ، والكامل (١/١٠٩) ، واللسان (١١/٢٦٨) ((قفندرا)) ، والدر المصون (١/٧٣) . ومعنى القفندر القبيح الفاحش . انظر مجاز القرآن (١/٢٦) .

(٢) عبد الله بن محمد الأنصاري ، كان مقدماً في الشعراء (ت : ١٠٥هـ) انظر خزائن الأدب (٢/١٦) ، والأعلام (٤/١١٦) . والبيت في ديوانه ص (١٧٩) ، ومجاز القرآن (١/٢٦) ، والمغني لابن هشام (١/٢٤٨) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : (١٢) .

((أردت أن لا أكرم أخاك)) بمعنى أردت أن أكرم أخاك . وكان يقول ففي شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك ، دلالة واضحة على أن ((لا)) لا تأتي مبتدأة بمعنى الحذف ، ولما يتقدمها جحد ... ويقول في سائر الآيات الأخر أعني مثل بيت أبي النجم ... إنما جاز ذلك أن تكون ((لا)) بمعنى الحذف ، لأن الجحد قد تقدمها في أول الكلام ، فكان الكلام الآخر مواصلاً للأول ... قال أبو جعفر وهذا القول الآخر أولى بالصواب من الأول إذ كان غير موجود في كلام العرب ابتداء الكلام من غير جحد تقدمه بـ ((لا)) التي معناها الحذف ولا جائز العطف بها على ((سوى)) ولا على حرف الاستثناء. وإنما لغير في كلام العرب معان ثلاثة. أحدها : الاستثناء ، والآخر : الجحد ، والثالث : ((سوى)) . فإذا ثبت خطأ أن تكون ((لا)) بمعنى الإلغاء مبتدأ ، وفسد أن يكون عطفاً على ((غير)) التي مع ﴿المغضوب عليهم﴾ لو كانت بمعنى ((إلا)) التي هي استثناء ولم يجوز أيضاً أن يكون عطفاً عليها لو كانت بمعنى ((سوى)) وكانت ((لا)) موجودة عطفاً بالواو التي هي عاطفة لها على ما قبلها صح وثبت أن لا وجه لـ ﴿غير﴾ التي مع ﴿المغضوب عليهم﴾ يجوز توجيهها إليه على صحة ، إلا بمعنى الجحد والنفي ، وأن لا وجه لقوله: ﴿ولا الضالين﴾ إلا العطف على ﴿غير المغضوب عليهم﴾.

فتأويل الكلام إذاً - إذ كان صحيحاً ما قلنا بالذي عليه استشهدنا - أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، لا المغضوب عليهم ولا الضالين^(١).

وأورد القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهذه الآية ما يفيد الاستدراك على الإمام الطبري فقال : ((قال مكِّي^(٢) رحمه الله - حكاية - : (دخلت لا في قوله ولا الضالين لئلا يتوهم أن الضالين عطف على الذين) قال : (وقيل : هي مؤكدة بمعنى غير) . وحكى الطبري أن (لا) زائدة. وقال : هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز :

فما ألوم البيض ألا تسخرأ

أراد أن تسخر . وفي قول الأحرص :

واللهو داع دائب غير غافل

ويلحنني في اللهو أن لا أحبه

وقال الطبري : يريد ويلحنني في اللهو أن أحبه .

(١) تفسير الطبري (١/١٨٩-١٩٢) . وقد حذف بعض الأشياء خوف التطويل .

(٢) مكِّي بن أبي طالب القيسي ، الإمام العلامة (ت : ٤٣٧هـ) انظر السير (١٧/٥٩١) .

قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : وبيت الأحوص إنما معناه إرادة أن لا أحبه فلا فيه متمكنة . قال الطبري : ومنه قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن لا تسجد ﴾^(١) ((^(٢))).

وبعد فالتعليق على ما تقدم هو ما يلي :

١- موضع استدراك ابن عطية هو في تقدير الطبري (لا) زائدة في بيت الأحوص .
٢- يبدو أن استدراك أبي محمد على الطبري في البيت ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو مقصود لغيره . لأنه فيما يظهر يذهب إلى أن (لا) جيء بها لئلا يتوهم أن ((الضالين)) عطف على ((الذين)) وهو الرأي الذي بدأ به ابن عطية وذكر أن مكياً حكاها . وهذا القول حاصله أن (لا) ليست زائدة ، وإنما جيء بها للسبب المذكور سابقاً . ثم بدأ ابن عطية يحكي الأقوال الأخرى ومنها ما حكاها الطبري ثم جاء ابن عطية بعبارة تفيد أن الطبري يرى زيادتها وهو قوله : ((وقال هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز... وفي قول الأحوص)) ثم أراد أن ينال مما نسبه للطبري - وهو القول بزيادتها في الآية - فوجه الاعتراض إلى ما ذكر أن الطبري قدره في بيت الأحوص .

فالحاصل من هذا كله : أن ابن عطية يرى عدم زيادة (لا) في الآية ، ويرى أيضاً أن الطبري يقول بزيادتها .

٣- في نظري أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري لأن الإمام الطبري إنما حكى رأي البصري^(٣) في الآية وفي الاستشهاد بالبيت . ثم نسق عليه برأي الكوفي^(٤) الذي حاصله : عدم زيادة (لا) في الآية ، ثم اختار الطبري رأي الكوفي ونصره بما سمعت في آخر ما نقلت عنه .

وأجدني مضطراً إلى نقل كلام البصري وبعض كلام الكوفي - رغم أن الإمام الطبري قد نقله - ليتضح ما قلت سابقاً .

قال أبو عبيدة - بعد أن أورد الآية - : ((مجازها غير المغضوب عليهم ولا الضالين . ولا من حروف الزوائد لتتميم الكلام والمعنى إلقاؤها . وقال العجاج^(٥) :

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٢) المحرر الوجيز (١/٨٧) .

(٣) هو أبو عبيدة .

(٤) هو الفراء .

(٥) عبد الله بن روية السعدي التميمي راجز مجيد (ت : نحو ٩٠هـ) . انظر الأعلام (٤/٨٦) . والبيت في مجاز القرآن

(١/٢٥) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٨) .

في بئر لا حور سرى وما شعر

أي في بئر حور ، أي هلكة . وقال أبو النجم :

لما رأين الشمط القفندرا

فما ألوم البيض ألا تسخرا

القفندر القبيح الفاحش . أي فما ألوم البيض أن يسخرن . وقال:

وللهو داع دائب غير غافل

ويلحنني في اللهو ألا أحبه

والمعنى : ويلحنني في اللهو أن أحبه . وفي القرآن آية أخرى : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾^(١) مجازها:

ما منعك أن تسجد . ﴿ولا الضالين﴾ تأكيد ؛ لأنه نفى فأدخلت (لا) لتوكيد النفي تقول : جنست بلا

خير ولا بركة ، وليس عندك نفع ولا دفع^(٢).

وقال الفراء^(٣) : ((وأما قوله تعالى: ﴿ ولا الضالين ﴾ فإن معنى (غير) معنى (لا) فلذلك ردت

عليها (ولا) هذا كما تقول : فلان غير محسن ولا مجمل ، فإذا كانت (غير) بمعنى سوى لم يجوز أن تكرر

عليها (لا) ألا ترى أنه لا يجوز : عندي سوى عبد الله ولا زيد . وقد قال بعض من لا يعرف العربية^(٤) :

إن معنى (غير) في (الحمد) معنى (سوى) وإن (لا) صلة في الكلام واحتج بقول الشاعر :

في بئر لا حور سرى وما شعر

وهذا غير جائز ؛ لأن المعنى وقع على ما لا يتبين فيه عمله ، فهو جحد محض . وإنما يجوز أن تجعل

(لا) صلة إذا اتصلت بجحد قبلها ...^(٥).

وبهذا يتبين أن رأي الفراء والطبري عدم زيادة (لا) في الآية ، وإنما هي عطف على (غير) التي هي

بمعنى (لا) ، ويتبين كذلك أن الطبري إنما حكى كلام أبي عبيدة في معنى بيت الأحوص ، وفي غيره من

الآيات . وهو يخالفه الرأي في معنى الآية ، وفي بيت الأحوص . أما الآية فقد صرح بمخالفتها ، وأما

البيت فالطبري يرى رأي الكوفي ، وهو : أن (لا) لا تكون ملغاة إلا إذا تقدمها نفي . وبيت الأحوص لم

يتقدم على (لا) - فيه - نفي ولذلك أعرض الكوفي فلم يرد على أبي عبيدة فيه ، كأنه يقول : أما بيت

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٢) مجاز القرآن (١/٢٥ ، ٢٦) .

(٣) يحيى بن زياد الكوفي انتهت إليه إمامة النحو في الكوفة (ت : ٢٠٧هـ) انظر السير (١٠/١١٨) .

(٤) يعني أبا عبيدة .

(٥) معاني القرآن (١/٨) .

الأحوص فليس مما نحن فيه في شيء وتابعه الطبري فقال عندما حكى رده ((ويقول في سائر الأبيات الأخر ، أعني مثل بيت أبي النجم)) فالطبري لما أحس أن في عبارته ما يفيد العموم قيد بقوله ((أعني مثل بيت أبي النجم)) فكل هذا يشهد بخلاف ما نسبه إليه ابن عطية بقوله : ((وحكى الطبري أن (لا) زائدة^(١)). وقال : هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز ... وقال الطبري : يريد : ويلحنني في اللهو أن أحبه ... قال الطبري : ومنه قوله تعالى: ﴿ما منعك ألا تسجد﴾^(٢) فكل هذا قد بين النقل السابق أنه من قول أبي عبيدة .

ولعل السبب الذي جعل ابن عطية ينسب للطبري ما لم يقل أنه رأى الطبري يقول : (وهو يريد) ثلاث مرات عند البيتين والآية ، ولم يرجع ابن عطية لكتاب مجاز فظن هذا رأياً للطبري ، غير أنه لو أكمل قراءة كلام الطبري - وهو طويل جداً - لوجد أنه في آخره يصرح بعدم موافقته لأبي عبيدة . وهناك احتمال ضعيف جداً وهو أن ابن عطية أراد بقوله : ((وقال الطبري)) أي فيما حكى . فإن كان هذا فلا استدراك ، ولا وجود للمسألة من أساسها.

(١) ((وحكى الطبري أن (لا) زائدة)) لا شك أن الطبري قال هذا ، وإنما جئت بهذه الجملة لتمييز مرجع الضمير في قول.

ابن عطية ((وقال)).

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ :- ((فإن قال كيف خص النصارى بهذه الصفة ، وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم ؟. قيل: كلا الفريقين ضلال مغضوب عليهم ، غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به إذا ذكره لهم ، أو أخرجهم عنه ، ولم يسم واحداً من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته ، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري في تعليقه هذا فقال : ((وهذا غير شاف، والقول في ذلك أن أفاعيل اليهود - من اعتدائهم وتعنتهم وكفرهم مع رؤيتهم الآيات ، وقتلهم الأنبياء - أمور توجب الغضب في عرفنا ، فسمى تعالى ما أحل بهم غضباً ، والنصارى لم يقع لهم شيء من ذلك ، إنما ضلوا من أول كفرهم دون أن يقع منهم ما يوجب غضباً خاصاً بأفاعيلهم ، بل هو الذي يعم كل كافر وإن اجتهد ، فلهذا تقررت العبارة عن الطائفتين بما ذكر))^(٢).

تبين لنا من إجابة الإمامين : أن الإمام الطبري يرى أن وصف اليهود بالغضب ، والنصارى بالضلال؛ لأن الله قد وسّمهم بذلك في كتابه الكريم ، فهو وسم وضعه الله لكل فريق منهم حتى يعرفوا به بين الناس، إذا ذكروا لهم ، أو أخبروا عنهم ، وكل فريق منهم لم يوصف إلا بما هو صفة له على الحقيقة ، وإن كان له من الصفات الذميمة ما هو زيادة على ما وسم به .

وأما القاضي ابن عطية فيذهب إلى البحث عن سبب التسمية ومنشئها فيرى أن اليهود - عليهم لعنة الله - فعلوا أفاعيل تثير الغضب في عرفنا فقتلوا الأنبياء ، واعتدوا على غيرهم وتعنتوا في أمور كثيرة ، وكفروا مع رؤيتهم الآيات وهذه أمور توجب الغضب من الله ومن الناس فسمى ما حل بهم غضباً ، فهم مغضوب عليهم . أما النصارى فإنهم ضلوا بكفرهم وشركهم بالله تعالى على غير علم وبصيرة إلا أنهم - غالباً - لم يصدر منهم أفاعيل خبيثة كما صدر من اليهود ، فغاية ما فعلوا أنهم جنوا على أنفسهم فهم ضلال بهذا .

والآن نستعرض بعض أقوال العلماء في هذه المسألة ، فهذا أبو الليث السمرقندي يثير نفس السؤال فيقول: ((فإن قيل أليس النصارى من المغضوب عليهم ؟ واليهود أيضاً من الضالين ؟ فكيف صرف

(١) تفسير الطبري (١/١٩٥).

(٢) المحرر الوجيز (١/٨٨).

المغضوب إلى اليهود ، وصرف الضالين إلى النصارى ؟ قيل له : إنما عرف ذلك بالخبر واستدللاً بالآية .
فأما الخبر فما روي عن رسول الله ﷺ ((أن رجلاً^(١) سأله وهو بوادي القرى^(٢) من المغضوب عليهم ؟
قال اليهود ، قال : ومن الضالين ؟ فقال : النصارى))^(٣) وأما الآية فلأن الله تعالى قال في قصة اليهود :
﴿ فبأوا بغضب على غضب ﴾^(٤) وقال في قصة النصارى : ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً
وضلوا عن سواء السبيل ﴾^(٥) ((^(٦) .

وهناك من علل سبب الوصف فقال : وصفوا بذلك لأنهم يقرأون التوراة والإنجيل ويتحلونهما
ويزعمون أنهم يدينون بهما ، وقد حرفوهما ، وهم على غير هدى^(٧) .
وبعضهم يرى عدم قصر ما في الآية على اليهود والنصارى ؛ لأن اللفظ عام والتقييد خلاف
الأصل^(٨) ، ثم يعلل بأن كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق فهذا مغضوب عليه ، وكل من
أخطأ في الاعتقاد فهو ضال^(٩) .

(١) في رواية الطبري أنه من بني القين (١١٤/١) . وفي بعض الروايات أن السائل أبو ذر . انظر تفسير ابن كثير (٣١/١) .
(٢) واد بين المدينة والشام وهو منازل قضاة ثم جهينة وبلي ، وكانت قديماً منازل لمود وعاد وبها أهلكهم الله . انظر
معجم البلدان (٣٨٤/٤) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (٣٧/١) عن عبد الله بن شقيق عن سمع رسول الله ﷺ ، والطبري في تفسيره
(١١٤/١) . والحديث أخرجه الترمذي متصلاً من حديث عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ (٢٠٢/٥-٢٠٣) كتاب
تفسير القرآن ، باب ومن سورة الفاتحة ، والإمام أحمد في المسند (٣٧٨/٤-٣٧٩) ، وسفيان بن عيينة في تفسيره (ص
٢٠٤) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص (١٤٠) برقم (١٠٤٠) ، وابن حبان في صحيحه - الإحسان -
(١٨٣/١٦-١٨٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٩٨/١٧-٩٩) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٤/٥-٢٣٥)
وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة . وصححه الشيخ أحمد شاكر . انظر تحقيقه
لتفسير الطبري (١٨٥/١) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٩٠ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٧٧ .

(٦) بحر العلوم (٨٣/١) .

(٧) انظر تفسير كتاب الله العزيز (٧٧/١) .

(٨) إذا ثبت تفسير الآية عن رسول الله ﷺ فلا كلام لأحد بعد ذلك ، وعلماء التفسير يذهبون إلى ما ثبت عن رسول الله
حتى أن ابن أبي حاتم قال : ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً . تفسير ابن أبي حاتم (٢٣/١) ، وانظر ما
قاله الألويسي في نقد هذا القول . روح المعاني (٩٦/١) .

(٩) انظر التفسير الكبير (٢١٠/١) .

وبعضهم يعلل في فريق ويترك الآخر فيقول : لأن النصارى كان محققوهم على شريعة ، قبل ورود شرع محمد ﷺ فلما ورد ضلوا ، وأما غير محققيهم فضلاتهم متقررة منذ تفرقت أقوامهم في عيسى عليه السلام^(١) .

ويعلل شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - ذلك بقوله : ((وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه ، والنصارى عبدوا الله بغير علم))^(٢) . ونحو هذا التعليل علل ابن كثير^(٣) ، وعبد الرحمن السعدي^(٤) . فإذا نظرت في هذه الأقوال تجد أن ما قاله أبو الليث يصلح جواباً لمن سأل عن المقصود بالمغضوب عليهم وبالضالين ، كما جاء في الحديث بينما السؤال المطروح هو عن سب اختصاص اليهود بالغضب والنصارى بالضلال .

وأما ما جاء عن غيره من تعليل ، فكل اجتهد بما يرى أنه صالح للتعليل ، وبعضها أوضح من بعض ، وكلهم مأجور إن شاء الله ؛ إذ ليس في المسألة نص يحكم على من خالفه بالخطأ .

غير أن ما قاله القاضي ابن عطية أوضحها وأحسنها - في نظري - فإنه علل بشيء معقول لنا في هذه الحياة الدنيا فإن اليهود قتلوا الأنبياء وأذوا الناس وتعنتوا في أمور كثيرة وكفروا مع رؤيتهم الآيات وهذه أمور توجب الغضب فكان وصفهم بذلك مناسباً جداً ، وأما النصارى فإنهم عبدوا الله بغير علم فضلوا ، وضلالهم هذا إنما هو على أنفسهم وضرره عائد عليهم فوصفهم بذلك مناسب أيضاً .

وأما تعليل الإمام الطبري فهو أقرب إلى أن يكون تعييناً لصاحب الصفة منه إلى تعليل منشأ التسمية فإنه قال : ((... غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم ... لعباده بما يعرفونه به ، إذا ذكره هم ، أو أخبرهم عنه)) .

(١) انظر الجواهر الحسان (٤٠/١) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٧/٣) .

(٣) انظر تفسيره (٣٠/١) .

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن (٢٩/١) . وستأتي ترجمة صاحبه عند الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

سورة البقرة

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ - : ((فإن قال لنا قائل : أخبرنا عن هذين المثليين ، أهما مثلان للمنافقين ، أو أحدهما؟ فإن يكونا مثليين للمنافقين ، فكيف قيل : ﴿أو كصيب﴾ ، و ((أو)) تأتي بمعنى الشك في الكلام ، ولم يقل ((وكصيب)) بالواو التي تلحق المثل الثاني بالمثل الأول ؟ أو يكون مثل القوم أحدهما ، فما وجه ذكر الآخر ب ((أو)) ؟ وقد علمت أن ((أو)) إذا كانت في الكلام فإنما تدخل فيه على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه ، كقول القائل ((لقيني أخوك أو أبوك)) وإنما لقيه أحدهما ، ولكنه جهل عين الذي لقيه منهما ، مع علمه أن أحدهما قد لقيه . وغير جائز في الله جل ثناؤه أن يضاف إليه الشك في شيء ، أو عزوب علم شيء عنه ، فيما أخبر أو ترك الخبر عنه .

قيل له : إن الأمر في ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه ، و ((أو)) - وإن كانت في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك - فإنها قد تأتي دالة على مثل ما تدل عليه الواو ، إما بسابق من الكلام قبلها ، وإما بما يأتي بعدها ، كقول توبة بن الحمير^(١) :

وقد زعمت ليلي بأني فاجر
لنفسى تقاها أو عليها فجورها

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيما قال ، ولكن لما كانت ((أو)) في هذا الموضع دالة على مثل الذي كانت تدل عليه ((الواو)) لو كانت مكانها ، وضعها موضعها ، وكذلك قول جرير^(٢) :

نال الخلافة أو كانت له قدراً
كما أتى ربه موسى على قدر

وكما قال الآخر^(٣) :

(١) توبة بن الحمير بن حزم العامري ، شاعر مشيب (ت : ٨٥ هـ) . انظر الأعلام (٨٩/٢) . والبيت في مغني اللبيب (٦٢/١) ، وخزانة الأدب (٦٨/١١) .

(٢) جرير بن عطية التميمي البصري ، شاعر زمانه (ت : ١١٠ هـ) . انظر السير (٥٩٠/٤) . والبيت في ديوانه ص (٢٧٥) ، ومغني اللبيب (٦٢/١) ، والدر المصون (٦٧/١) ، وخزانة الأدب (٦٩/١١) .

(٣) منعم بن نويرة التميمي ، صحابي شاعر فحل (ت : في حدود ٣٠ هـ) . انظر الإصابة (٨٣/١٠) ، والأعلام (٢٧٤/٥) ، والبيتان في اللسان (٢٩٢/٩) ((عفق)) ، وفي كتاب الأزهية في علم الحروف ص (١٢٢) ، وخزانة الأدب (١٣١/٧) .

فلو كان البكاء يرد شيئاً
بكيت على بحير أو عفاق
على المرأين إذ مضيا جميعاً
لشأنهما بحزن واشتياق

فقد دل بقوله ((على المرأين إذ مضيا جميعاً)) أن بكاءه الذي أراد أن يبكيه لم يرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر ، بل أراد أن يبكيه جميعاً . فكذلك ذلك في قول الله جل ثناؤه: ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ لما كان معلوماً أن ((أو)) دالة في ذلك على مثل الذي كانت تدل عليه ((الواو)) لو كانت مكانها كان سواء نطق فيه بـ ((أو)) أو بـ ((الواو))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من جعل ((أو)) بمعنى الواو ، فقال : ((قوله عز وجل : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ أو للتخيير، معناه : مثلوهم بهذا ، أو بهذا : لا على الاقتصار على أحد الأمرين ... وقال الطبري : ((أو)) بمعنى الواو . قال القاضي أبو محمد : وهذه عجمة))^(٢).

اتضح مما تقدم أن الإمام الطبري يرى أن ((أو)) هنا بمعنى الواو ، فالمعنى مثلوا المنافقين بهذا وبهذا، بينما يرى القاضي ابن عطية أنها للتخيير فلك أن تمثل حال هؤلاء المنافقين بهذا المثل ، أو بهذا المثل ، من غير أن تقصر التمثيل على أحدهم . وتدع الآخر فأتت إذا مثلت بالحالة الأولى صحيح ، لكن لا يفيد هذا أن الحالة الثانية لا تصلح للتمثيل

فإذا رجعت إلى كتب المعاني والنحو تجد أن الخلاف في هذه المسألة خلاف قديم وأنه في حقيقته خلاف بين مدرستين كبيرتين مدرسة سحر البصري ، ومدرسة النحو الكوفي ، فهذا ابن الأنباري^(٣) يحكي لنا هذا الخلاف فيقول : ((ذهب الكوفيون إلى أن ((أو)) تكون بمعنى الواو ، وبمعنى بل ، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو ولا بمعنى بل))^(٤).

وقال صاحب الخيد في إعراب القرآن - الخيد^(٥) - عند قوله تعالى: ﴿ أو كصيب ﴾ : ((أو) لها خمسة معان: الشك، والإبهام، والتخيير ، والإباحة ، والتفصيل ، وزاد الكوفيون بمعنى الواو لقوله تعالى:

(١) تفسير الطبري (١/٣٣٦-٣٣٧).

(٢) المحرر الوجيز (١/١٣٣).

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، إمام مدرسة سحر البصري ، إمام مدرسة النحو الكوفي ، (ت : ٥٧٧هـ) . انظر السير (٢١/١١٣).

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف (١/٤٧٨).

(٥) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الصفار ، إمام مدرسة سحر البصري ، (ت : ٧٤٢هـ) . انظر بغية الرعاة (١/٤٢٥).

﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾^(١) أو بمعنى بل كقوله تعالى: ﴿أو يزيدون﴾^(٢) على أحد الوجوه^(٣).

وذكر صاحب الدر المصون هذه المعاني الخمسة لـ ((أو)) في الآية الكريمة ثم قال : ((وزاد الكوفيون فيها معنيين آخرين ، أحدهما كونها بمعنى الواو ، وأنشدوا^(٤)):

جاء الخلافة أو كانت له قدراً
كما أتى ربه موسى على قدر

والثاني كونها بمعنى بل وأنشدوا^(٥):

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى
وصورتها أو أنت في العين أملح

أي بل أنت^(٦).

وعلى كل حال فالخلاف بين المدرستين في هذه المسألة مشهور معروف أثبتته عنهم غير من ذكرت^(٧).

أما المفسرون : فمنهم من أجاز أن تكون بمعنى الواو ، ومنهم من منع ذلك ، ومنهم من اقتصر على نقل القولين^(٨).

فالزنجشيري^(٩) قال : ((فإن قلت لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك ؟ قلت : ((أو)) في أصلها لتساوي شيئين فصاعداً في الشك ، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك ، وذلك قولك جالس الحسن^(١٠) أو ابن سيرين^(١١) تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا ، ومنه قوله تعالى:

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٤٧ .

(٣) المجيد في إعراب القرآن المجيد ص (١٣٤) .

(٤) البيت لجرير وقد تقدم .

(٥) البيت لجرير أيضاً وهو في ديوانه ص (٢٧٥) ، وفي الإنصاف (٤٧٨/٢) .

(٦) الدر المصون (١٦٧/١) .

(٧) انظر مغني اللبيب (٦٢/١) ، والبيان في إعراب القرآن (٣٤/١) ، وخزانة الأدب (٦٨/١١) .

(٨) يأتي بعض النقل عنهم . وانظر الكشاف (٢١٤/١) ، وبحر العلوم (٩٩/١) ، ومعالم التنزيل (٥٣/١) ، وزاد المسير

(٤٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢١٥/١) ، وغرائب التفسير (١٢٢/١) ، والتفسير الكبير (٧١/٢) ، وتفسير

البيضاوي (٢٩/١) ، وتفسير النسفي (٢٦/١) ، وتفسير أبي السعود (٥٢/١) ، وفتح القدير (٤٧-٤٨) ، وروح

المعاني (١٧١/١) .

(٩) محمود بن عمر الزنجشيري ، النحوي اللغوي المفسر (ت : ٥٣٨هـ) . انظر طبقات المفسرين (٢١٤/٢) .

(١٠) الحسن بن أبي الحسن ، البصري ، الإمام العالم (ت : ١١٠هـ) . انظر السير (٥٦٣/٤) .

(١١) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري ، الإمام العالم (ت : ١١٠هـ) . انظر السير (٦٠٦/٤) .

﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾^(١) أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما ، فكذلك قوله: ﴿أو كصيب﴾ معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفية هاتين القصتين ، وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك﴾^(٢).

وقال الألوسي^(٣) : و ((أو)) عند ذوي التحقيق لأحد الأمرين ويتولد منه في الخبر الشك والإبهام والتفصيل على حسب اعتبارات المتكلم ، وفي الإنشاء الإباحة والتخيير كذلك ، وحينئذ لا يلزم الاشتراك ولا الحقيقة والحجاز ... وزعم بعضهم أن ((أو)) هنا بمعنى الواو وما في الآيتين تمثيل واحد ، وقيل: بمعنى بل ، وقيل للإبهام ، والكل ليس بشيء^(٤).

وبعد فإن القارئ يتطلع إلى أدلة الفريقين فأقول قد ساق الطبري طائفة من أدلة الكوفيين ، وذكر غيره بعضها فيما تقدم أيضاً ، وساق كثيراً منها العلامة علي بن محمد الهروي^(٥) في كتابه الأزهية فقال : ((والموضع الخامس تكون (أو) بمعنى واو النسق كقوله عز وجل: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم﴾^(٦) وقوله: ﴿إلا لبعولتهن أو آبائهن﴾^(٧) إلى آخرها ((أو)) في جميع ذلك بمعنى واو النسق ، وكذلك قوله تعالى: ﴿عذراً أو نذراً﴾^(٨) و ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾^(٩) و ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾^(١٠) معنى (أو) في كل ذلك بمنزلة الواو ، فكأنه قال : عذراً

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٢٤ .

(٢) الكشف (١/٢١٣-٢١٤).

(٣) محمود بن عبد الله الحسيني ، مفسر محدث علامة (ت : ١٢٧٠هـ) . انظر الأعلام (٧/١٧٦).

(٤) روح المعاني (١/١٧٠-١٧١) ، وهو الوحيد بين المفسرين الذي رفض أن تكون ((أو)) بمعنى الواو . فيما اطلعت عليه .

(٥) علي بن محمد أبو الحسن الهروي ، عالم بالنحو إمام في الأدب ، من علماء القرن الرابع . انظر بغية الرعاة (٢/٢٠٥).

(٦) سورة النور ، الآية : ٦١ .

(٧) سورة النور ، الآية : ٣١ .

(٨) سورة المرسلات ، الآية : ٦ .

(٩) سورة طه ، الآية : ٤٤ .

(١٠) سورة طه ، الآية : ١١٣ .

ونذراً يعني إعداراً وإنذاراً ، ولعله يتذكر ويخشى ، ولعلمهم يتقون ويحدث لهم القرآن ذكراً ... وهو كثير في القرآن . وقال النابغة^(١) :

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا

أراد ونصفه فقد^(٢).

أما أدلة البصريين على أنها لا تأتي ((أو)) بمعنى الواو فقد حكاها أحد شيوخهم والمدافعين عن مذهبهم وهو الإمام ابن الأنباري فقال : ((وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الأصل في ((أو)) أن تكون لأحد الشينين على الإبهام ، بخلاف الواو وبل ؛ لأن الواو معناها الجمع بين الشينين ، وبل معناها الإضراب ، وكلاهما مخالف لمعنى ((أو)) ، والأصل في كل حرف أن لا يدل إلا على ما وضع له ، ولا يدل على معنى آخر ؛ فنحن تمسكنا بالأصل ، ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل ، ومن عدل عن الأصل بقي مرتهاً بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادعوه^(٣).

وعلى كل حال فالمسألة كبيرة ، وما من دليل استدل به الكوفيون إلا ونجد نحاة البصرة قد تأولوه^(٤) ، وجاء من رد عليهم في تأويلاتهم تلك^(٥) ، ولو ذهبت أسوق لك ذلك من بطون الكتب لطال الكتاب وخرج عن مقصوده الأصلي .

إلا أنني أقول : ما قاله البصريون أن ((أو)) أصلها لأحد الشينين على الإبهام صحيح ، إلا أنه مما لا شك فيه أن لها معاني أخرى خرجت إليها كالتخيير ، والإباحة ، والتفصيل أثبتها البصريون أنفسهم بناء على أن ذلك جاء عن العرب ، فكذلك لا مانع أن تأتي بمعنى الواو ، لا سيما أن ذلك موجود في كتاب الله الذي هو أصل لغة العرب ، وجاء عن العرب أنفسهم ما يشهد لذلك ، إلا أنه لا ينبغي أن يتوسع في

(١) زياد بن معاوية الديراني ، شاعر جاهلي ، هلك قبل الهجرة بنحو ١٨ عاماً . انظر الأعلام (٣/٥٤) . والبيت في ديوانه ص (٣٥) ، وفي الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/٤٧٩) ، ومعني اللبيب (١/٩٣) ، وأوضح المسالك (١/٣٤٩) ، وهذا البيت ملزم للبصريين كما في الانتصاف من الإنصاف (٢/٤٧٩-٤٨٠) .

(٢) كتاب الأزهية في علم الحروف ص (١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩) وما بعدها .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/٤٨٠-٤٨١) .

(٤) انظر المصدر السابق (٢/٤٨٠) وما بعدها .

(٥) انظر الانتصاف من الإنصاف (٢/٤٧٩-٤٨٠) .

ذلك حتى ندعي على ((أو)) في كل موطن أنها بمعنى الواو ، بل الأمر كما قال ابن مالك^(١) رحمه الله تعالى :

وربما عاقبت الواو ، إذا لم يلف ذو النطق لليس منفذاً^(٢)

وبناء على ما تقدم أقول : إن الذي ذهب إليه الإمام الطبري في تفسيرها صحيح ، والذي ذهب إليه ابن عطية صحيح أيضاً . وقد تقدم أن الزمخشري قال : ((فأبئهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك))^(٣).

وبهذا قال الفخر الرازي^(٤) ، والبيضاوي^(٥) ، والنسفي^(٦) ، وأبو السعود^(٧) ، وغير هؤلاء حكى القولين كالمثبت لهما جميعاً^(٨).

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية ليس وارداً على الإمام الطبري .

(١) محمد بن عبد الله بن مالك ، إمام العربية (ت : ٦٧٢هـ) انظر بغية الوعاة (١/١٣٠).

(٢) ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل (٢/٢١٤).

(٣) انكشاف (١/٢١٤).

(٤) انظر تفسيره (٧١/٢) والرازي هو محمد بن عمر بن الحسين ، عالم أصولي مفسر (ت : ٦٠٦هـ) . انظر السير (٥٠٠/٢١).

(٥) انظر تفسيره (٢٩/١) والبيضاوي هو : عبد الله بن عمر ، عالم بالفقه والتفسير والأصول (ت : ٦٨٥هـ) . انظر طبقات المفسرين (١/٢٤٨).

(٦) انظر تفسيره (٢٦/١) والنسفي هو : عبد الله بن أحمد بن محمود ، فقيه حنفي مفسر (ت : ٧١٠هـ) . انظر الأعلام (٤/٦٧).

(٧) انظر تفسيره (٥٢/١) . وأبو السعود هو : محمد بن محمد العمادي ، فقيه مفسر (ت : ٩٨٢هـ) . انظر الأعلام (٧/٥٩).

(٨) انظر بحر العلوم (٩٩/١) ، ومعالم التنزيل (٥٣/١) ، وزاد المسير (٤٢/١) ، وغرائب التفسير (١٢٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١/٢١٥) ، وفتح القدير (١/٤٧-٤٨).

(*)

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وأما تأويل قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ فإِنَّ

بعض المنسويين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾^(١) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْشَى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ، وَيَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٢) وَيَزَعَمُ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ : وَتَسْتَحْيِي النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَسْتَحْيِيَهُ ، فَيَقُولُ : الْإِسْتِحْيَاءُ بِمَعْنَى الْخَشْيَةِ ، وَالْخَشْيَةُ بِمَعْنَى الْإِسْتِحْيَاءِ))^(٣) .

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأولى في معنى ﴿يَسْتَحْيِي﴾ خلاف ما رجحه الإمام الطبري فقال : ((واختلف المتأولون في معنى ﴿يَسْتَحْيِي﴾ في هذه الآية فرجح الطبري أن معناه يَخْشَى ، وقال غيره : معناه يترك وهذا هو الأولى))^(٤) .

فإذا رجعت إلى كتب التفسير تجد أن قول ابن عطية قد قال به جماعة من علماء التفسير^(٥) ، وتجد أيضاً أن هناك من يذكر القول الذي ذكره الطبري^(٦) في معنى الآية ، ورأيت أيضاً من الأقوال غير هذين ، فرأيت من يقول معناه يمتنع^(٧) ، ومن يقول : إن نفي الاستحياء عن الله إنما وقع مطابقة لكلام الكفار ؛ لأنهم قالوا : أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت^(٨) .

ومنهم من قال : معنى الآية إن الله تعالى لا يمنع الحياء من ضرب الأمثال بهذه الأشياء وإن صغرت وكانت حقيرة^(٩) .

فهذه أقوال خمسة فيما اطلعت عليه ، وقد يكون بعضها راجعاً إلى بعض عند التدقيق والنظر .

وأقفي على هذه الأقوال بأمور يلزمني البحث ذكرها اختصرها فيما يلي :

(*) كان الأول الذي يفتي الإمام الطبري على هذا ، بل يكمل «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا» .
(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .

(٢) تفسير الطبري (٤٠٢/١) .

(٣) المحرر الوجيز (١٥١/١) .

(٤) كالراغب في المفردات ص (١٤٠) ، والرازي في التفسير الكبير (٢٢/٢) ، والبهسائي في تفسيره (٤٠/١) ، والخازن في تفسيره (٤٢/١) ، والواحدي في الوسيط (١٠٨/١) ، وغيرهم ممن لم أذكر .

(٥) كابن كثير في تفسيره (٦٥/١) ، والسمين في الدر المنصون (١٢٢/١) ، والكرماني في غرائب التفسير (١٢٨/١) .

(٦) كالكرماني أيضاً في غرائب التفسير (١٢٨/١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٤٢/١) .

(٧) جوزة الزمخشري في كشافه (٢٦٣/١) ، وحكاه الشوكاني في فتح القدير (٥٦/١) .

(٨) ذكره أبو الليث في بحر العلوم (١٠٤/١) وقاله البيهقي في معالم التنزيل (٥٨/١) ، وأبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير

١ - ما نسبته القاضي ابن عطية إلى الإمام الطبري أنه رجع أن ((يستحيي)) معناه يخشى ، لا يوجد في النسخ التي بين يدي من تفسير الطبري ما يؤخذ منه ذلك صريحاً ، وإنما يفهم منه ذلك فهماً ، وبمراجعة كلام الطبري يتبين لك ما قلته .

٢ - أرى في هذه الأقاويل - حاشا الأخير منها - ما يدل على نفي صفة الحياء عن الله تعالى وهذا أمر - نحن أهل السنة والجماعة - على خلافه فنثبت هذه الصفة لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تعطيل على حد قوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾^(١) . وذلك أن الله أثبت ذلك لنفسه في قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ﴾^(٢) .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال - في الثلاثة الذين وقفوا على حلقة - : ((ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه))^(٣) .

وقال العلامة الألويسي - رحمه الله ، بعد أن ذكر أن النصوص تدل على نسبة الحياء إليه تعالى - : ((وللناس في ذلك مذهبان : فبعض يقول : بالتأويل إذ الانقباض النفساني مما لا يحرم حول حظائر قدسه سبحانه ، فالمراد بالحياء عنده الترك اللازم للانقباض ، وجوز جعل ما هنا بخصوصه من باب المقابلة لما وقع في كلام الكفرة ... وبعض - وأنا والله الحمد منهم - لا يقول بالتأويل بل يمر هذا وأمثاله مما جاء عنه سبحانه في الآيات والأحاديث على ما جاءت ويكل علمها بعد التنزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة))^(٤) .

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣ .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١/١٥٦ - فتح الباري) ، كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، ح (٦٦) .

(٤) روح المعاني (١/٢٠٦) ، وانظر في كلام أهل السنة حول إثبات صفة الحياء لله تعالى ، كتاب الحجّة في بيان الحجّة (٢/٤٦٨-٤٦٩) .

٣- القول الأخير هو القول الصحيح في معنى الآية ، ويشهد بصحته ما تقدم من نصوص الكتاب والسنة ، وما عداه أقوال قيلت وتأويلات توولت ، النصوص على خلافها ، ويغفر الله لنا ولأصحابها.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ قال أبو جعفر : ونعمته التي أنعم بها على بني إسرائيل جل ذكره ، اصطفاؤه منهم الرسل ، وإنزاله عليهم الكتب ، واستنقاده إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه ، إلى التمكين لهم في الأرض ، وتفجير عيون الماء من الحجر ، وإطعام المن والسلوى))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن ما ذهب إليه تخصيص ، والحسن أن تحمل النعمة على العموم ، فقال : ((وخصص بعض العلماء النعمة في هذه الآية ، فقال الطبري : بعثة الرسل منهم ، وإنزال المن والسلوى ، وإنقاذهم من تعذيب آل فرعون ، وتفجير الحجر. وقال غيره : النعمة هنا أن دركهم مدة محمد ﷺ. وقال آخرون : هي أن منحهم علم التوراة ، وجعلهم أهله وحملته . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذه أقوال على جهة المثال ، والعموم في اللفظة هو الحسن))^(٢).

هذا ما يراه الإمامان في تفسير النعمة ، فإذا رجعت إلى ما قاله علماء التفسير ترى أن بعض المتقدمين - منهم صحابة وتابعون - يذكرون من العام بعض أفرادها^(٣) ، وتابعهم عليه بعض من تأخر كالطبري وغيره^(٤). ولعل هؤلاء ما أرادوا القصر ، وإنما مجرد التمثيل .

وترى آخرين - من المتقدمين أيضاً - يقولون بالعموم في معنى النعمة^(٥) وهذا ما يراه ابن عطية ، وقد قال به جمع من المتأخرين^(٦).

والقول كما قال ابن عطية ، إن العموم هو الحسن ، وإن كانت النعمة في الآية مفردة فلا يؤثر؛ وذلك أن النعمة للجنس تقال للقليل والكثير^(٧) . ويشهد أن المقصود بها العموم في هذا الموضع أن الله

(١) تفسير الطبري (١/٥٥٥).

(٢) المحرر الوجيز (١/١٩٦ ، ١٩٧).

(٣) انظر تفسير الطبري (١/٥٥٥ ، ٥٥٦) ، فقد أخرج عن ابن عباس وأبي العالية ما يفيد اختصاص .

(٤) انظر بحر العلوم (١/١١٤) فقد فسر أبو الليث الآية بما يفيد اختصاص .

(٥) انظر تفسير الطبري (١/٥٥٦) فقد أخرج ما يفيد ذلك عن مجاهد وابن زيد .

(٦) انظر الوسيط (١/١٢٧) ، ومعالم التنزيل (١/٦٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١/٣٣١) ، وتفسير الخازن (١/٥٢) ،

والدر المصون (١/٣١١) ، وروح المعاني (١/٢٤١) ، والتحرير والتنوير (١/٤٥١) ، وتيسير الكريم الرحمن (١/٥٥)

تجد أصحاب هذه المؤلفات يحملون النعمة على العموم .

(٧) انظر المفردات في غريب القرآن ص (٤٩٩) ((نعم)) ، والدر المصون (١/٣١١).

تعالى قال في آية أخرى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(١) فقال: ﴿نعمة الله﴾ والمقصود
نعم بدليل قوله: ﴿لا تحصوها﴾.

٥٠

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾... وقوله: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ مخاطبة من الله عباده المؤمنين ، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث ، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا . فقال لهم تعالى ذكره : أيها المكذبون بالبعث بعد الممات ، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته ، فإني كما أحييته في الدنيا ، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم ، فأبعثهم يوم البعث . وإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركي العرب - وهم قوم أميون لا كتاب لهم - لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم ، وفيهم نزلت هذه الآيات ، فأخبرهم جل ذكره بذلك ليتعرفوا علم من قبلهم))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الظاهر خلاف قول الإمام الطبري ، فقال : ((وقوله تعالى : ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾... وفي هذه الآية حض على العبرة ، ودلالة على البعث في الآخرة ، وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل حينئذ حكى محمد ﷺ ليعتبر به إلى يوم القيامة . وذهب الطبري إلى أنها خطاب لمعاصري محمد ﷺ، وأنها مقطوعة من قوله تعالى: ﴿اضربوه ببعضها﴾^(٢). تبين من عرض كلام الإمامين أن الخلاف بينهما في الكاف من قوله : ﴿كذلك﴾ فإن عطية يرى أن الظاهر فيها أنها خطاب لبني إسرائيل الذين حضروا القصة وشاهدوها بأعينهم ، والإمام الطبري صرح في أول كلامه أنها مخاطبة للمؤمنين ، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث .

وهذا يعني : أن قوله تعالى : ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ الخطاب فيه موجه لأمة محمد ﷺ المؤمنين والمكذبين ، فهو على هذا معترض في أثناء قصة بني إسرائيل . وكلام ابن عطية في تعيين رأي الطبري ليس واضحاً ، فهو يحتمل ما تقدم ، ويحتمل أنه أراد أن الطبري يجعلها خطاباً لبني إسرائيل المعاصرين محمد ﷺ.

ويرجح أنه أراد الأول شيان :

١- أن ابن عطية جعل كلام الطبري مقطوعاً مما قبله ، وهذا لا يناسب حمله على الثاني .

(١) تفسير الطبري (٢/٢٣٢).

(٢) المحرر الوجيز (١/٢٦٢ ، ٢٦٣).

٢- أن أبا حيان يحمل كلام الطبري على أنه يقول : الخطاب لمنكري البعث^(١) ، والظاهر أنه فهم هذا من كلام ابن عطية . والله أعلم .

علماً أن هناك ما يرجح الاحتمال الثاني من كلام الطبري نفسه حيث قال : ((لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم ، وفيهم نزلت هذه الآيات))^(٢) .

ولنحنا نقاش كلام ابن عطية على الاحتمال الأول - لأن هذا هو الذي صرح به الإمام الطبري - فنقول : اختلف من المخاطب في قوله: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ على أقوال : فقيل الخطاب لمن في زمن الرسول ﷺ من المؤمنين والمنكرين للبعث . وقيل : الخطاب لبني إسرائيل الذين حضروا القصة . والأول قول الطبري ، والثاني قول ابن عطية . وقيل : الخطاب لبني إسرائيل المعاصرين محمد ﷺ^(٣) . وقيل : الخطاب لكل من يصح أن يخاطب ، ويسمع هذا الكلام ؛ لأن أمر الإحياء عظيم يقتضي الاعتناء بشأنه أن يخاطب به كل من يصح منه الاستماع^(٤) . وقيل : الخطاب لمنكري البعث^(٥) .

وقد حكى الزمخشري والبيضاوي وغيرهما بعض قول الطبري - وهو أن الخطاب لمنكري البعث - وما ذهب إليه ابن عطية دون ترجيح أحدهما على الآخر^(٦) .

وأما أبو حيان^(٧) فحكى القولين ، ورجح ما رآه ابن عطية ظاهراً فقال - بعد أن أورد الآية - : ((إن كان هذا خطاباً للذين حضروا إحياء القتيل كان ثم إضمار قول . أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ... وإن كان لمنكري البعث في زمن رسول الله ﷺ فيكون من تلوين الخطاب ، والمعنى : كما أحيى قتيل بني إسرائيل في الدنيا ، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ، وإلى هذا ذهب الطبري . والظاهر هو الأول ؛ لانتظام الآي في نسق واحد ؛ ولتلا يختلف خطاب ﴿لعلمكم تعقلون﴾ وخطاب ﴿ثم قست قلوبكم﴾^(٨) لأن ظاهر قلوبكم أنه خطاب لبني إسرائيل))^(٩) .

(١) انظر البحر المحيط (٤٢٥/١) .

(٢) تفسير الطبري (٢٣٢/٢) .

(٣) في نظم الدرر (٤٧٧/١) ما يفيد هذا .

(٤) انظر روح المعاني (٢٩٤/١) . وهذا قول قوي جداً .

(٥) انظر الفتوحات الإلهية (٦٦/١) .

(٦) انظر الكشاف (٢٨٩/١) ، وتفسير البيضاوي (٦٣/١) ، وتفسير أبي السعود (١١٤/١) ، وفتح القدير (١٠٠/١) .

(٧) محمد بن يوسف بن علي ، المفسر النحوي (ت : ٥٧٤٥هـ) . انظر طبقات المفسرين (٢٨٧/٢) .

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٧٤ .

(٩) البحر المحيط (٤٢٥/١) .

وكذلك ابن عاشور^(١) رجع القول الذي جنح إليه ابن عطية ، فقال : ((وقوله : ﴿ كذلك يحيي الله الموتى ﴾ من بقية القول لبني إسرائيل فيتعين أن يقدر : وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى ؛ لأن الإشارة لشيء مشاهد لهم ، وليس اعتراضاً أريد به مخاطبة الأمة الإسلامية ؛ لأنهم لم يشاهدوا ذلك الإحياء حتى يشبه به إحياء الله الموتى))^(٢).

وتابع التتالي^(٣) - ابن عطية - فذكر عبارته ، في تفسير الآية ، ومذهب الإمام الطبري من غير إشارة إلى أخذه من انحر^(٤).

على أن هناك من رجع بعض القول الذي ذكره الإمام الطبري - وهو أن الخطاب فيها للمكذبين بالبعث - فنقل الفخر الرازي عن محمد^(٥) أنه قال - في وجه ترجيحه - : ((لأنه إن ظهر لهم بالتواتر أن هذا الإحياء قد كان على هذا الوجه علموا صحة الإعادة ، وإن لم يظهر لهم ذلك بالتواتر فإنه يكون داعية لهم إلى التفكير))^(٦).

ثم نقل عن آخر أنه قال : ((وهذا هو الأقرب ؛ لأنه تقدم منه تعالى ذكر الأمر بالضرب وأنه سبب إحياء ذلك الميت ، ثم قال : ﴿ كذلك يحيي الله الموتى ﴾ فجمع الموتى ، ولو كان المراد ذلك القتل لما جمع في القول فكأنه قال : دل بذلك على أن الإعادة كالابتداء في قدرته))^(٧).

وبعد : فقول الإمام الطبري غير مدفوع ، غير أن الظاهر القول الذي مال إليه ابن عطية : من أن هذا خطاب لبني إسرائيل حينئذ حكى محمد ﷺ ليعتبر به إلى يوم القيامة . وقد علل أبو حيان وابن عاشور لترجيح هذا القول بما لا مزيد عليه عندي .

-
- (١) محمد انظار بن محمد ، إمام ضليع في العلوم الشرعية والأدبية والتاريخية (ت: ١٣٩٣هـ) انظر ترجمته للمؤلفين المئوسين (٣/٤٠٤).
- (٢) التحرير والتنوير (١/٥٦١).
- (٣) عبد الرحمن بن محمد التتالي ، علامة مفسر (ت : ٨٧٥هـ) . انظر الأعلام (٣/٣٢١).
- (٤) انظر الجواهر الحسان (١/١٠٠ ، ١٠١).
- (٥) هو الأصم أحد رؤوس المعتزلة ت : ٢٠١هـ . انظر السير (٩/٤٠٢).
- (٦) التفسير الكبير (٣/١١٥).
- (٧) المصدر نفسه (٣/١١٥ ، ١١٦) والنقل عن القاضي . والظاهر أنه يعني الباقلاني .

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وإذ كان الأمر في قوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا قُضِيَ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ هو ما وصفنا من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود الأمور
بالوجود، فبين بذلك أن الذي هو أولى بقوله: ﴿ فَيَكُونُ ﴾ الرفع على العطف على قوله: ﴿ يَقُولُ ﴾ ؛
لأن القول والكون حالهما واحد . وهو نظير قول القائل ((تاب فلان فاهتدى)) و ((اهتدى فلان
فتاب)) لأنه لا يكون تاباً إلا وهو مهتد ، ولا مهتدياً إلا وهو تائب فكذلك لا يكون أن يكون الله آمراً
شيئاً بالوجود إلا وهو موجود ، ولا موجوداً إلا وهو أمره بالوجود))^(١).

واعترض القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على إعراب الطبري هذا فقال : ((و (يكون) رفع
على الاستئناف ، قال سيويه : معناه ((فهو يكون)) ، قال غيره : يكون عطف على يقول ، واختاره
الطبري وقرره ، وهو خطأ من جهة المعنى ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود))^(٢).

فإذا نظرنا في كلام أهل العلم في هذه المسألة نجد الأقوال على قراءة الرفع^(٣) ثلاثة ، اثنان منها ما
ذكر، والثالث أن ﴿ فَيَكُونُ ﴾ معطوف على ﴿ كُنْ ﴾^(٤). وقول الطبري قد قال به أحد أركان المدرسة
الكوفية الإمام الفراء^(٥) ، وما يراه ابن عطية قد قال به إمام أهل البصرة في النحو سيويه^(٦).

وقد نقل أهل العلم اعتراض ابن عطية هذا ، وسببه ، وصححوا قول الطبري إذا حمل قول الله هذا
على انجاز ، فقال أبو حيان : ((وقرأ الجمهور : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ بالرفع ، ووجه على أنه الاستئناف أي: فهو
يكون وعُزي إلى سيويه ، وقال غيره : فيكون عطف على ﴿ يَقُولُ ﴾ ، واختاره الطبري وقرره ، قال
ابن عطية : وهو خطأ من جهة المعنى ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين حادث ... ومعنى رده أن
الأمر عنده قديم والتكوين حادث ، وقد نسق عليه بالفاء فهو معه أي يتعقبه فلا يصلح ذلك ؛ لأن

(١) تفسير الطبري (٥٤٩/٢) وللطبري كلام طويل قبل هذا .

(٢) المحرر الوجيز (٣٣٩/١).

(٣) وهي قراءة العشرة ما عدا ابن عامر . انظر النشر (٢٢٠/٢).

(٤) انظر الدر المصون (٨٧/٢).

(٥) انظر كتابه معاني القرآن (٧٤/١).

(٦) انظر كتابه (٣٩/٣) وعبارته : ((إنما أمرنا ذاك فيكون)).

القديم لا يتعقبه الحادث ... وما رده به ابن عطية لا يتم إلا بأن تحمل الآية على أن ثم قولاً وأمرأ قديماً
أما إذا كان ذلك على جهة ايجاز ومن باب التمثيل فيجوز أن يعطف على يقول^(١).

قلت : الذي يظهر أنه يصح الوجهان الرفع على الاستئناف ، وعلى أنه معطوف على ﴿يقول﴾
وهذا هو الذي قرره العلماء ودرجوا عليه وأثبتوه في مصنفاتهم^(٢).

وعلى كلا القولين فالمأمور به واقع بعد أمر الله له بذلك ، ليس قبله ولا معه ، وأمر الله حقيقة لا يجاز

~~مجازاً~~

ولو كان الأمر والوجود مقترنين كما يقول الإمام الطبري لكان قال: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول
له كن ويكون) بالواو دون الفاء ، إذ معلوم في لسان العرب أن الفاء للترتيب والتعقيب .
ولعل الذي حمل الإمام الطبري على قوله هذا أن فيه مزيد إثبات العظمة لله تعالى ، إذ كيف يأمر الله
بأمر ويتأخر المأمور عن ذلك؟! .

والجواب : أن عظمة الله موجودة أيضاً على القول السابق إذ أنه يأمر بالشيء فيقع مباشرة دون
تأخر والفاء تفيد ذلك وتوضحه .

أما قول ابن عطية : أنه خطأ من جهة المعنى ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكرين والوجود . أقول :
إن كان مقصود ابن عطية تحطئة الطبري فيما ذهب إليه من تعليل قوله: إن القول والوجود واحد فهذا
مستقيم . وإن كان التحطئة منصبة على قول من قال : إن الكون معطوف على القول فهذا غير مسلم .

(١) البحر المحيط (٥٣٦/١) ، ونحو هذا في الدر المنصور (٨٧/٢).

(٢) انظر معاني القرآن وإعزابه (١٩٩/١) ، والتبيان في إعراب القرآن (١٠٩/١) ، والتبيان في غريب إعراب القرآن

(١١٩/١) ، والوسيط (١٩٧/١) ، والدر المنصور (٨٧/٢).

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أكنتم . ولكنه استفهم بـ ((أم)) إذ كان استفهاماً مستأنفاً على كلام قد سبقه ، كما قيل : ﴿الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه﴾^(١) وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه ، تستفهم فيه بـ ((أم))^(٢).

وتعقب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - الإمام الطبري فقال : ((وحكى الطبري أن ((أم)) يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره ، وهذا منه ، ومنه ﴿أم يقولون افتراه﴾^(٣) وقال قوم : ((أم)) بمعنى ((بل)) ، والتقدير بل شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به ، ولكنكم كفرتم جحداً ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عناداً ، والأظهر أنها التي بمعنى بل وألف الاستفهام معاً))^(٤).

وأنا أذكر بعد هذا ما يلي :

١- ذكر كثير من علماء التفسير أن (أم) في هذه الآية هي المنقطعة ، لا المتصلة^(٥).

٢- ذكروا أيضاً أن لها ثلاثة معان :

(أ) المشهور أنها تقدر بـ بل والهمزة .

(ب) أنها للاضراب فقط بمعنى (بل).

(ج) أنها بمعنى همزة الاستفهام^(٦).

(١) سورة السجدة ، الآية : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) تفسير الطبري (٩٧/٣).

(٣) سورة السجدة ، الآية : ٣ .

(٤) المحرر الوجيز (٣٦٥/١).

(٥) انظر الوسيط (٢١٧/١) ، والتفسير الكبير (٦٨/٤) ، وتفسير البضاوي (٨٣/١) ، والجامع لأحكام القرآن

(٦٣٧/٢) ، وتفسير التنفسي (٧٦/١) ، وتفسير أبي السعود (١٦٤/١) ، وغرائب التفسير (١٧٨/١) ، والتحرير

والتنوير (٧٣٠/١).

(٦) انظر البحر (٥٧٢/١) ، على أن الزمخشري قد قال : إنها متصلة . انظر تفسيره (٣١٤/١) ورد عليه أبو حيان ذلك ،

وابن عاشور . انظر تفسيريهما الموضوعين المتقدمين.

٣- استغرب أبو حيان قول الطبري أن (أم) يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره فقال :
 ((وهذا قول غريب))^(١).

٤- شن الرازي الغارة على القول الثالث من معاني (أم) هنا وهو القول الذي يراه الطبري فقال :
 ((ومن لا يحقق من المفسرين يقولون : إن (أم) هاهنا بمنزلة الهمزة ، وذلك غير صحيح لما ذكرنا أن
 ((أم)) هذه المنقطعة تتضمن معنى بل))^(٢).

٥- ما الراجح من هذه الأقوال التي تقدمت في معنى (أم) في هذه الآية ؟

الذي يظهر لي والله أعلم القول الأول - وهو الذي ذهب إليه ابن عطية - لأمرين :

١- ذكروا أنه إذا وقع بعدها جملة ، فإنها التي بمعنى بل وهمزة الاستفهام^(٣) ، وهي هنا كذلك.

٢- لو كانت مقدرة ^{بالهمزة} بالألف وحدها لم يكن بين ما قبلها وما بعدها علاقة والعلاقة موجودة هنا ، ولا
 يصلح أن تكون مقدرة ببل وحدها لأن ما بعد بل متحقق وما بعد أم ~~كلام~~ مشكوك فيه^(٤).

(١) البحر الخيط (٥٧٢/١).

(٢) التفسير الكبير (٦٨/٤).

(٣) انظر الأمالي الشجرية (٣٣٤/٢).

(٤) انظر شرح المفصل (٩٨/٨).

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾^(٢) : ((يعني بقوله : ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي فلا تكونن من الشاكين في أن القبلة التي وجهتك نحوها قبلة إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره ... قال أبو جعفر : وإنما ((الممتر)) ((مفتعل)) من ((المرية)) و ((المرية)) هي الشك ، ومنه قول الأعشى^(١) :

تدر على أسوق الممتر - من ركضاً إذا ما السراب ارجحن^(٢)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إنشاده هذا البيت على أن المقصود بالامتراء فيه الشك ، فقال : ((وأنشده الطبري - شاهداً على أن الممترين الشاكون - قول الأعشى :

تدر على أسوق الممتر - من ركضاً إذا ما السراب ارجحن

ووهم في ذلك ؛ لأن أبا عبيدة وغيره قالوا : الممترون في البيت هم الذين يعمرون الخيل بأرجلهم همزاً لتجري ، كأنهم يحتلبون الجري منها فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري^(٣). هذا الاستدراك أورده الإمام القرطبي ، ورد على ابن عطية فيه فقال - بعد أن ذكره - : ((قلت معنى الشك فيه موجود ؛ لأنه يحتمل أنه يختبر الفرس صاحبه هل هو على ما عهد منه من الجري أم لا؟ لتلا يكون أصابه شيء . أو يكون هذا عند أول شرائه فيجربه ليعلم مقدار جريه^(٤). وكذلك أورد السمين الحلبي استدراك ابن عطية ، وسكت عليه^(٥).

وشرح الشيخ محمود شاكر^(٦) البيت بما يؤيد الإمام الطبري فقال : ((من قصيدة ... يصف خيلاً مغاوير... أغارت على قوم مسرعة حثيثة فبينما القوم يتمارون فيها إذا بها :

(١) ميمون بن قيس بن جندل ، أحد أصحاب الملقات ، أدرك الإسلام ولم يسلم . انظر طبقات فحول الشعراء (١/٥٢)، والأعلام (٣٤١/٧). والبيت في ديوانه ص (٢١٠) ، وفي لسان العرب (٥/١٤٤) ((رجحن)) ، وفي الدر المنصور (١٧٢/٢).

(٢) تفسير الطبري (٣/١٩٠ ، ١٩١).

(٣) الخمر الوجيز (٢/١٤-١٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٦٤).

(٥) انظر الدر المنصور (١٧٢/٢).

(٦) محمود بن محمد شاكر المصري ، علامة باللغة محقق مدقق .

شماطيط في رهج كالدخن^(١)

تباري الزجاج مغاويرها

تدر على أسوق

يقول بينما هم يتمارون إذ غشيتهم الخيل فصرعتهم ، فوطنتهم وطناً شديداً ، ومرت على سيقانهم
عدواً^(٢) ..

وبعد : فما ذهب إليه الإمام الطبري محتمل ، لا سيما وأن القرطبي قد دافع عنه بما سمعت ، والشيخ
محمود قد شرح البيت بما رأيت إلا أن الذي يظهر - والله أعلم - أن ما قاله ابن عطية هو الصواب -
إن شاء الله تعالى - وذلك للأسباب التالية :

- ١- أن ابن عطية أسند المعنى الذي ذكره في البيت إلى إمام من أئمة اللغة ، هو أبو عبيدة .
- ٢- ذكر بعض أهل اللغة هذا المعنى الذي جاء عن أبي عبيدة ، فقال : مريت الفرس إذا استخرجت
ما عنده من الجري بسوط أو غيره^(٣) .
- ٣- البيت مشروح في ديوان الشاعر بهذا المعنى الذي نسه ابن عطية إلى أبي عبيدة^(٤) .
- ٤- نقل السمين للاستدراك والسكوت عليه يرجح أنه راض عنه فهو في جانب ابن عطية . والرجل
صاحب لغة كما هو معلوم .

(١) من القصيدة التي فيها البيت المختلف فيه . انظر ديوان الأعشى ص (٢١٠) .

(٢) تفسير الطبري (١٩١/٣) هامش (٢) . وقد تابع الدكتور أحمد الخراط الشيخ محمود فشرح البيت بما ذكر ، فلعله لا يرى
استدراك ابن عطية وراداً على الطبري .

(٣) انظر لسان العرب (٩٠/١٣) ((مرا)) ، والمعجم الوسيط (٩٠٠/٢) ((مري)) .

(٤) انظر الديوان ص (٢١٠) .

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ مَوْلِيهَا ﴾ - : ((وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك : ((ولكلُّ وجهَةٌ)) بترك التنوين والإضافة وذلك لحن ، ولا تجوز القراءة به ؛ لأن ذلك إذا قرئ كذلك كان الخبر غير تام وكان كلاماً لا معنى له ، وذلك غير جائز أن يكون من الله جل ثناؤه . والصواب عندنا من القراءة في ذلك : ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ مَوْلِيهَا ﴾ بمعنى: ولكلُّ وجهَةٌ وقبله ذلك الكل مول وجهه نحوها ؛ لإجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك ، وتصويبها إياها ، وشذوذ من خالف ذلك إلى غيره ، وما جاء به النقل مستفيضاً فحجة ، وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط ، فغير جائز الاعتراض به على الحجة))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية رحمه الله تعالى على الإمام الطبري تخبطه لهذه القراءة فقال : ((وحكى الطبري أن قوماً قرأوا ((ولكلُّ وجهَةٌ)) بإضافة كل إلى وجهه ، وخطأها الطبري . قال القاضي أبو محمد: وهي متجهة ، أي فاستبقوا الخيرات لكل وجهه ولا كمها ولا تعترضوا فيما أمركم من هذه وهذه ، أي إنما عليكم الطاعة في الجميع))^(٢).

وتديلاً على ما تقدم أذكر لك ما يلي :

١- هذه القراءة التي خطأها الإمام الطبري قراءة شاذة^(٣).

٢- قال العلماء إذا كانت القراءة شاذة فلا تجوز القراءة بها في الصلاة وغيرها عند جمهور العلماء ، لكن يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها في الكتب وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٩٥/٣).

(٢) المحرر الوجيز (١٥٠/٢-١٦).

(٣) انظر الشواذ ص (١٠) فقد نسبها إلى ابن عباس ، والنيبان في إعراب القرآن (١٢٧/١) ، ونص على شذوذها . وفتح القدير (١٥٦/١) فقد نقل عن أبي عمرو الداني نسبتها إلى ابن عباس ، وفي البحر المحيط (٦١١/١) نسبها إلى ابن عامر . وانظر الكشاف (٣٢٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٢) ، والدر المصون (١٧٤/٢) ، وروح المعاني (١٤/٢).

(٤) انظر القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص (١٠).

٣- رد الإمام الطبري هذه القراءة بناء على أنها شاذة ، أجمع الحجة من القراءة على خلافها ، ثم هي لحن مخالفة للغة العرب إذ الخبر على هذه القراءة غير موجود .

وصدق الإمام الطبري أنها شاذة وغير متواترة ، وأيضاً لا تجوز القراءة بها .

أما إنها خطأ من جهة العربية فكذلك قال أيضاً أحد المتقدمين وهو الأخفش^(١) .

٤- خالف طائفة من المفسرين الطبري ومن معه فنقلوا هذه القراءة ورأوا لها وجهاً صحيحاً في لغة العرب ، وذلك كالزمخشري^(٢) وابن عطية وأبي البقاء العكبري^(٣) وأبي حيان ، حيث قال : ((وأما قراءة من قرأ : (ولكل وجه) على الإضافة فقال محمد بن جرير : هي خطأ ، ولا ينبغي أن يقدم على الحكم في ذلك بالخطأ ، لا سيما وهي معزوة إلى ابن عامر^(٤) أحد القراء السبعة وقد وجهت هذه القراءة...))^(٥) .

ثم ذكر توجيه الزمخشري لها واعترض عليه في ذلك وأعقبه بذكر توجيه ابن عطية ، وعقب عليه بقوله : ((وهو توجيه لا بأس به))^(٦) ، وتابعه تلميذه السمين فرد ما رد ، ورضي ما رضي^(٧) .

وذكر محمود الألوسي هذا الخلاف وصدده بقوله : ((وقد صعب تخريبها حتى تجرأ بعضهم على ردها وهو خطأ عظيم))^(٨) .

ونقل القرطبي الخلاف بين الإمام الطبري وابن عطية إلا أنه لم يعقب على ذلك بشيء^(٩) .

وبعد : فاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد ، فهذه القراءة - مع شذوذها - لها وجه صحيح في العربية .

(١) انظر معاني القرآن للأخفش (٣٤٣/١) والأخفش هو : سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، عالم بالنحو من تلاميذ سيويه ، (ت : ٢١٠هـ) . انظر طبقات المفسرين (١٩١/١) .

(٢) انظر الكشاف (٣٢٢/١) .

(٣) انظر الثيبان في إعراب القرآن (١٢٧/١) . وأبو البقاء هو : عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، المنسر اللغوي الفقيه الخليلي (ت : ٦١٦هـ) . انظر طبقات المفسرين (٢٣١/١) .

(٤) عبد الله بن عامر بن يزيد البحصي ، مقرئ دمشق وقاضيا (ت : ١١٨هـ) . انظر السير (٢٩٢/٥) .

(٥) البحر الحيط (٦١١/١) . وقد رجعت إلى الشاطبية وشرحها فما وقفت على ذكر هذه القراءة عن ابن عامر .

(٦) المصدر السابق (٦١٢/١) .

(٧) انظر الدر المصون (١٧٤/٢) .

(٨) روح المعاني (١٤/٢) .

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٢) .

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ :-
 ((...وأما ﴿الميتة﴾ فإن القراءة مختلفة في قراءتها ، فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ،
 ولكنه يخففها كما يخفف القائلون في : ((هو هَيِّنَ لَيْن)) ((الهَيِّنَ اللَّيِّن)) كما قال الشاعر^(١):

ليس من مات فاستراح بميت
 إنما الميت ميت الأحياء

فجمع بين اللغتين في بيت واحد ، في معنى واحد . وقرأها بعضهم بالتشديد وحملوها على الأصل ،
 وقالوا : إنما هو ((ميت)) ((فيعل)) ، من الموت ولكن ((الياء)) الساكنة و ((الواو)) المتحركة لما
 اجتمعتا ، و ((الياء)) مع سكونها متقدمة ، قلبت ((الواو)) ((ياء)) وشددت فصارتا ((ياء)) مشددة ،
 كما فعلوا ذلك في ((سيد وجيد)) . قالوا : ومن خففها ، فإنما طلب الخفة ، والقراءة بها على أصلها
 الذي هو أصلها أولى .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في ((ياء)) ﴿الميتة﴾
 لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب ، لأنه لا اختلاف في
 معنيهما^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وجماعة من اللغويين قولهم : إن
 التشديد والتخفيف من ((ميت وميت)) لغتان - في الحي - فقال : ((قال الطبري وجماعة من اللغويين :
 التشديد والتخفيف من ((ميت)) و ((ميت)) لغتان ، وقال أبو حاتم^(٣) وغيره : ما قد مات فيقالان فيه ،
 وما لم يموت بعد فلا يقال فيه ((ميت)) بالتخفيف . قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه :
 هكذا هو استعمال العرب ويشهد بذلك قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
 إنما الميت ميت الأحياء

(١) هو عدي بن الرعاء الغساني ، شاعر جاهلي ، انظر خزانة الأدب (٥٨٦/٩) ، والبيت فيها (٥٨٣/٩) ، وفي معاني
 القرآن للأخفش (٣٤٧/١) ، وتهذيب اللغة (٣٤٣/١٤) ، والأمال الشجرية (١٥٢/١) ، ولسان العرب (٢١٧/١٣)
 وفي غيرها من الكتب.

(٢) تفسير الطبري (٣١٨/٣ ، ٣١٩).

(٣) سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، المقرئ النحوي اللغوي ، (ت: ٢٥٥هـ) . انظر السير (٢٦٨/١٢).

استراح من الراحة ، وقيل : من الراحة ، ولم يقرأ أحد بالتخفيف فيما لم يمست إلا ما روى البيهقي^(١)
عن ابن كثير^(٢) ﴿ وما هو بميت ﴾^(٣) والمشهور عنه الثقيل ، وأما قول الشاعر^(٤) :

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجى بزاد

فالأبلغ في الهجاء أن يريد الميت حقيقة ، وقد ذهب بعض الناس إلى أنه أراد من شارف الموت ،
والأول أشعر^(٥).

إذا تأملت كلام الإمامين الطبري وابن عطية تجد أن الإمام الطبري أثار قضية (ميت ، وميت) بالثقل
والتخفيف بمناسبة آية ورد - في لفظ ((الميت)) - فيها قراءتان متواترتان التخفيف والثقل والمقصود
بالميتة فيها ما قد ماتت حقيقة ، واستشهد بالبيت (ليس من مات ... إلخ) على أن القراءة موافقة لما جاء
عند العرب فإن الشاعر قال: ((إنما الميت ميت الأحياء)) فخفف الأول وثقل الثاني وهما لما قد مات^(٦)
سواء كان الموت حقيقة أو مجازاً . ونص الطبري - أيضاً - أنهما لغتان بمعنى واحد .

وجاء ابن عطية ففهم من كلام الطبري هذا، أن (ميت وميت) بالتخفيف والثقل يقالان فيما قد
مات حقيقة كما في الآية ، ويقالان أيضاً للحي الذي فيه معنى من معاني الموت ، ونسق على هذا برأي
أبي حاتم وهو : أن ما قد مات حقيقة فيقال فيه ميت بالتشديد والتخفيف ، وما لم يمست بعد فيقال
(ميت) بالتشديد ولا يقال فيه (ميت) بالتخفيف . ثم وصف ابن عطية القول المخالف لما رآه الطبري بأنه
الذي جرى عليه استعمال العرب ، وقال يشهد بذلك قول الشاعر : ليس من مات ... إلخ وهو نفس
البيت الذي استدل به الطبري .

وإن عطية يعني بوجه الاستشهاد من البيت المذكور أن الشاعر قال: ((إنما الميت ميت الأحياء))
فجعل الشاعر (ميت) المخفف لما قد مات حقيقة وجعل (ميت) المشدد لما هو حي حقيقة^(٧) ، وإن كان

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله ، مقررئ مكة ومؤذنها في زمانه (ت : ٢٥٠هـ) . انظر السير (١٢/٥٠) .

(٢) عبد الله بن كثير الإمام العالم مقررئ مكة (ت : ١٢٢هـ) . انظر السير (٥/٣١٨) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ١٧ .

(٤) البيت لأبي الميوس ربيعة بن رثاب ، أو حوط بن رثاب الأسدي شاعر مخضرم . انظر خزائن الأدب (٦/٣٧٩) . والبيت

فيها (٦/٥٢٧) ، وفي اللسان (١٢/٣٠٦) ((لف)) ، والدر المصون (٢/٢٣٦) .

(٥) الخمر الوجيز (٢/٤٧-٤٨) .

(٦) انظر في وجه الاستشهاد بالبيت خزائن الأدب (٦/٥٣٠) ، وتاج العروس (١/٥٨٧) ((موت)) .

(٧) انظر الحجة (٣/٢٧) فقد ذكر أبو علي الفارسي وجه الاستشهاد بالبيت على نحو ما ذكرت .

فيه معنى من معاني الموت ، فذلك مجاز لا يخرج عن حقيقته ، فدل ذلك على أن المخفف لما قد مات والمشدد لما هو حي .

ونلاحظ أن البيت حسب استشهد ابن عطية لم يدل على أن (ميت) المشدد يقال لما قد مات حقيقة، وكان ابن عطية يرى أن هذا لا جدال فيه لوروده في القرآن ، في بعض القراءات المتواترة .
إذا تبين هذا - أعني كلام الطبري وابن عطية ووجه استشهد كل منهما بالبيت المذكور - فاعلم أن هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم .

فذهب الطبري ومكي وأبو حيان والسمين وابن الشجري^(١) إلى عدم التفريق في الإطلاق . وهو الذي يفهم من كلام الأخفش^(٢) وأبي عبيدة^(٣) ، والأزهري^(٤) ، وأبي علي الفارسي^(٥) ، والزجاج^(٦) .
قال مكي - عند قوله تعالى : ﴿ وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾^(٧) ، بعد أن حكى القراءات في هذه الآية وفي غيرها - قال : ((القراءتان لغتان فاشيتان ، والأصل التشديد والتخفيف فرع فيه ... فأما من خفف بعضاً وشدد بعضاً فإنه جمع بين اللغتين ، لاشتغالهما مع نقله ذلك عن أئمته ، وعلى ذلك أجمعوا على التشديد فيما لم يمت للجمع بين اللغتين ، والتخفيف فيما مات وما لم يمت جانز...))^(٨) .

وقال أبو حيان : ((... ولا فرق بين التشديد والتخفيف في الاستعمال كما تقول : لئن ولئن ، وهين وهين ، ومن زعم أن المخفف لما قد مات ، والمشدد لما قد مات ولما لم يمت^(٩) فيحتاج إلى دليل))^(١٠) .

-
- (١) انظر الأمالي (١٥٢/١) . صاحبها هو : هبة الله بن علي الهاشمي العلوي علامة في النحو والأدب واللغة (ت: ٥٤٢هـ) . انظر السير (١٩٤/٢٠) .
(٢) انظر معاني القرآن (٣٤٧/١) .
(٣) انظر مجاز القرآن (١٤٨/١) .
(٤) انظر تهذيب اللغة (٣٤٣/١٤) .
(٥) انظر الحجة (٢٦/٣ ، ٣٩٨) وصاحبها هو : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، إمام النحو (ت: ٣٧٧هـ) . انظر السير (٣٧٩/١٦) .
(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٤٤/٢) . صاحبها هو : إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج ، إمام النحو العلامة (ت: ٣١١هـ) . انظر السير (٣٦٠/١٤) .
(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٢٧ .
(٨) الكشف (٣٣٩/١ ، ٣٤٠) .
(٩) هكذا ((ولما لم يمت)) .
(١٠) البحر (٤٣٩/٢) .

وقال السمين الحلبي - بعد أن ذكر القراءات المتواترة في هذه اللفظة ﴿الميت﴾ وأن القراء جمعوا بين اللغتين إيداناً بأن كلاً من القراءتين صحيح وأنهما بمعنى ، يقول بعد هذا ، وبعد ذكر ما يشهد بذلك من الشعر - : ((وزعم بعضهم أن ((ميتاً)) بالتخفيف لمن وقع به الموت ، وأن المشدد يستعمل فيمن مات ومن لم يميت كقوله تعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾^(١) وهذا مردود بما تقدم من قراءة الأخوين^(٢) وحفص^(٣) حيث خففوا في موضع لا يمكن أن يراد به الموت وهو قوله : ﴿أو من كان ميتاً﴾^(٤) إذ المراد به الكفر مجازاً^(٥).

وذهب بعض النحاة^(٦) وبعض الفقهاء والأدباء^(٧) إلى التفريق بين (ميت) و (ميت) في الإطلاق ، نقل هذا ابن عطية عن أبي حاتم المقرئ اللغوي ومال إليه ونصره وقال هو الذي عليه استعمال العرب ، ثم من هؤلاء من يقول : ما قد مات فيقال فيه (ميت) بالتشديد والتخفيف ، وما لم يميت فلا يقال فيه (ميت) بالتخفيف وإنما يقال فيه (ميت) بالتشديد . وقد ذكر ابن عطية الأدلة على ذلك . ومنهم من يقول : الميت بالتشديد ما سيموت ، والميت بالتخفيف ما قد مات^(٨) ، وهؤلاء أدلتهم ما ذكر ابن عطية - أيضاً- وما ذكر عن الخليل^(٩) أنه قال : أنشدني أبو عمرو^(١٠) :

أيا سائلي تفسر ميت وميت
فدونك قد فسرت إن كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت
وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٠ .

(٢) الأخوان هما حمزة والكسائي . انظر البدور الزاهرة ص (١١) .

(٣) حفص بن سليمان الأسدي المقرئ ، يقال : هو أصح قراءة من أبي بكر بن عياش ، وأبو بكر أوثق منه ، (ت : ١٨٠هـ) . انظر تهذيب التهذيب (٢/٤٠٠) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٢ .

(٥) الدر المنصور (٣/١٠٤) .

(٦) انظر البحر (١/٦٦٠) .

(٧) انظر تاج العروس (١/٥٨٦) ((موت)) .

(٨) انظر خزنة الأدب (٦/٥٣٠) .

(٩) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، إمام العربية ومنشئ علم العروض (ت : سنة بضع وستين) . انظر السير (٧/٤٢٩) .

(١٠) البيهقي في تاج العروس (١/٥٨٦) ((موت)) .

وبعد : ففي نظري أن مذهب ابن جرير الطبري ومن ذكر معه هو الصحيح - إن شاء الله تعالى - وذلك لما ذكره العلامة الزبيدي^(١) عن بعض العلماء أنه خطأ من فرق بينهما قياساً وسماعاً ، أما القياس : فإن مَيِّتَ المخفف ، إنما أصله مَيِّتَ المشدد ، فخفف وتخفيفه لم يحدث فيه معنى مخالفاً لمعناه في حال التشديد ، كما يقال : هَيِّنْ وهَيِّنْ ، فكما أن التخفيف في هين لم يجل معناه ، كذلك تخفيف ميت . وأما السماع : فإننا وجدنا العرب لم تجعل بينهما فرقاً في الاستعمال ومن أبين ما جاء في ذلك قول الشاعر :

إنما المَيِّت مَيِّت الأحياء

ليس من مات فاستراح بمَيِّت

وقال الآخر^(٢) :

وما يفني عن الحدثان ليت

ألا يا ليتني والمرء مَيِّت

ففي البيت الأول سوى بينهما ، وفي الثاني جعل ((الميت) المخفف ((للحي)) الذي لم يميت ، ألا ترى أن معناه : والمرء سيموت فجرى مجرى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٣) .^(٤)

وأيضاً فقد قال السمين الحلبي قد ورد التخفيف في موضع لا يراد به الموت ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتاً ﴾^(٥) إذ المراد به الكفر مجازاً .

وأما أدلة القاضي ابن عطية ، فالبيت الذي استدل به هو في الحقيقة دليل لمن جعل (ميت) بالتخفيف والتثقيب لغتان فيمن قد مات هذا هو المشهور في الاستدلال بالبيت^(٦) . وعلى التسليم بوجه الاستدلال الذي ذكر لأبي محمد فغاية ما فيه أن المخفف لما قد مات ، والمشدد لما سيموت . وهذا ليس حصراً ، لأنه قد ثبت في القرآن والشعر مجيء المخفف لما سيموت ، والمتقل لما قد مات .

(١) محمد بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ، عالم باللغة والحديث والرجال والأنساب (ت : ١٢٠٥هـ) . انظر الأعلام (٧٠/٧) .

(٢) هو ابن فحاس الأسدي ، وبيته هذا في خزنة الأدب (٥٣٠/٦) . وبعض ما قاله الزبيدي مذكور في خزنة الأدب .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣٠ .

(٤) انظر تاج العروس (١/٥٨٦-٥٨٧) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٢ .

(٦) وعليه الأئمة كالأخفش ، وأبي عبيدة ، والزجاج . انظر معاني القرآن (١/٣٤٧) ، ومجاز القرآن (١/١٤٨) ، ومعاني

القرآن وإعرابه (٢/١٤٤) .

وأما آية إبراهيم^(١) فقد ذكر السمين ما يقوم مقامها ، وهي الآية التي في سورة الأنعام^(٢) .

وأما قول الشاعر : إذا ما مات ميت من تميم

فقد اعترف أبو محمد أنه نوزع فيه ، وعلى التسليم به فيقال : هذا دليل لمن قال هما لغتان نحوي

التخفيف على لسان شاعر آخر لمن هو حي .

وأما ما ذكروا من البيتين اللذين أنشدهما أبو عمرو ، فهذا رأي رآه قائلهما ^{فنظم} ~~نظم~~ ذلك ليسهل

حفظه لمن اقتنع به ، غير أن الأدلة على خلاف ما رأى ، وماذا عسى أن يقول الناظم في القراءة

المواترة^(٣) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ بالتشديد ١٩ .

(١) وهي ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ سورة إبراهيم ، آية : ١٧ .

(٢) وهي ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ سورة الأنعام ، آية : ١٢٢ .

(٣) انظر النشر (٢/٢٢٤) .

١٠- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وأما قوله : ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ فإنه يعني بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة ، فقال لهم تعالى ذكره: أخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم - وقد أخرجوكم من دياركم - من مساكنهم وديارهم كما أخرجوكم منها))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفسيره الآية على الخصوص فقال : ((قال الطبري : الخطاب للمهاجرين والضمير لكفار قريش . قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه : بل الخطاب لجميع المؤمنين))^(٢).

فإذا رجعت إلى أقوال أهل العلم تجد أن بعضهم يفسر الآية بنحو ما قال الإمام الطبري^(٣) . وبعضهم يفسرها على العموم^(٤) .

وقول ابن عطية هو الأولى في معنى هذه الآية ؛ لأن الأصل في عمومات القرآن أن تبقى على عمومها، حتى يقوم دليل على إرادة الخصوص .

ولعل الإمام الطبري خص المهاجرين بالذكر لأنهم أول من ينبغي عليه القيام بهذا الأمر ، فهم الذين أخرجهم الكفار من ديارهم وأموالهم .

وقد أشار إلى هذا الرازي فقال : الخطاب فيه واقع على النبي ﷺ ومن هاجر معه ، وإن كان الغرض به لازماً لكل مؤمن^(٥) .

(١) تفسير الطبري (٥٦٥/٣).

(٢) المحرر الوجيز (١٠١/٢).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٥١/٢) ، وفتح القدير (١٩٠/١).

(٤) انظر التفسير الكبير (١١٠/٥).

(٥) التفسير الكبير (١١٠/٥).

١١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((ثم اختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معيون به ، وأنه لا متعة لهم))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري حكايته الإجماع على أن أهل الحرم ليسوا معينين بها فقال : ((واختلف الناس في حاضري المسجد الحرام بعد الإجماع على أهل مكة وما اتصل بها. وقال الطبري : بعد الإجماع على أهل الحرم ، وليس كما قال . فقال بعض العلماء : من كان حيث تجب الجمعة عليه بمكة فهو حضري ، ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي . . . وقال بعضهم من كان بحيث لا تقصر الصلاة إلى مكانه فهو حاضر أي شاهد ، ومن كان أبعد من ذلك فهو غائب . . . وقال عطاء بن أبي رباح^(٢) : مكة وضجنان^(٣) ، وذو طوى^(٤) وما أشبهها حاضرو المسجد الحرام . وقال ابن عباس ومجاهد^(٥) : أهل الحرم كله حاضرو المسجد الحرام . وقال مكحول^(٦) وعطاء : من كان دون المواقيت من كل جهة حاضرو المسجد الحرام . وقال الزهري^(٧) : من كان على يوم أو يومين فهو من حاضري المسجد الحرام))^(٨).

وعندما تنظر في هذه المسألة تجد أن المفسرين والفقهاء لا يذكرون هذا الإجماع الذي ذكره الإمام الطبري ، بل يذكرون أن العلماء اختلفوا في تحديد حاضري المسجد الحرام على نحو ما ذكر ابن عطية^(٩). إلا أن ابن حزم^(١٠) أشار إلى أن الاتفاق قد وقع على أهل الحرم من قبل أن يأتي أرباب

(١) تفسير الطبري (٤/١١٠).

(٢) عطاء بن أبي رباح القرشي ولاء ، الإمام شيخ الإسلام مغني الخرم (ت : ١١٥ هـ) . انظر السير (٥/٧٨).

(٣) ضجنان : حرة على بعد (٥٤) كيلاً شمال مكة . انظر أوردية مكة ص(١٧٩).

(٤) ذو طوى : واد كبير يسيل من الطرف الغربي لجبل أذاخر ، وشمال جبل فُعَيْقَعَان . انظر معجم ما استعجم (٣/٨٩٦)، وأوردية مكة ص(٢٢).

(٥) مجاهد بن جبر المكي ، الإمام القارئ المفسر (ت : ١٠٣ هـ) . انظر السير (٤/٤٤٩).

(٦) مكحول بن أبي مسلم الشامي الدمشقي ، عالم أهل الشام النقيب (ت : ١١٣ هـ) . انظر السير (٥/١٥٥).

(٧) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، إمام حافظ (ت : ١٢٤ هـ) . انظر السير (٥/٣٢٦).

(٨) المحرر الوجيز (٢/١١٩).

(٩) انظر أحكام القرآن للحصاص (١/٣٦٠) ، والتفسير الكبير (٥/١٣٥ - ١٣٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢/٤٠٤) ، والجموع شرح المهذب (٧/١٧٥) ، والمعني (٣/٤٧٣) ، ومعالم التنزيل (١/١٧١) ، والبحر اخیط (٢/٨٩) ، والمخلى (٧/١٤٦).

(١٠) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، إمام فقيه علامة (ت : ٤٥٦ هـ) . انظر السير (١٨/١٨٤).

المذاهب ، فقال - بعد أن ذكر أن الصواب في تحديد حاضري المسجد الحرام هم أهل الحرم ، وأن ذلك قول ابن عباس ، ولا يعرف له مخالف من الصحابة - : ((وهذا مما خالف فيه الحنفيون ، والمالكيون ، والشافعيون صاحباً لا يعرف له مخالف من الصحابة ، وهم يشنعون بهذا))^(١).

فإذا رجعت إلى دراسة الأقوال التي أوردها الطبري في تفسير قوله: ﴿حاضري المسجد الحرام﴾ تجد أنه ذكر ثلاثة أقوال : الأول : أنهم أهل الحرم خاصة دون غيرهم . الثاني : أهل الحرم ومن كان منزله دون المواقيت إلى مكة . الثالث : أهل الحرم ومن قرب منزله منه^(٢) . ثم تنظر أيضاً فتجد أن الطبري قد أدخل تحت القول الأول : الروايات التي يُذكر فيها أهل الحرم ، والروايات التي يذكر فيها أهل مكة ، واعتبرها قولاً واحداً^(٣) . فظهر لي من مجموع ما تقدم :

- ١- أن الإمام الطبري عندما حكى الإجماع على أهل الحرم حكاها بناء على أنه لا فرق بين قول من قال : إن حاضري المسجد الحرام هم أهل الحرم ، وبين قول من قال : إنهم أهل مكة .
- ٢- وابن عطية إنما تعقب الإمام الطبري بناء على أن هناك فرقاً بين القولين ، ولا شك أن الإمام مالكا يفرق بينهما^(٤) .

فعلى هذا استدرك أبي محمد وارد على الإمام الطبري . والله أعلم .

(١) اخلى (١٤٧/٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (١١٠/٤-١١٣).

(٣) انظر تفسير الطبري (١١٠/٤ ، ١١١).

(٤) حكى الرازي أن الإمام مالكا سئل عن أهل الحرم أيجب عليهم ما يجب على المتمتع قال نعم ، وليس هم مثل أهل مكة ، فقبل له : فأهل منى فقال : لا أرى ذلك إلا لأهل مكة خاصة . انظر التفسير الكبير (١٣٦/٥) . ومذاهب الفقهاء في هذه المسألة على النحو التالي : قال الإمام الشافعي وأحمد حاضري المسجد الحرام أهل الحرم ومن بينه وبين مكة دون مسافة القصر . وقال أبو حنيفة حاضري المسجد الحرام أهل المواقيت ومن ورائها يعني من ناحية مكة . وقال مالك وأصحابه أهل مكة وما اتصل بها ، وقال داوود : هم أهل مكة فقط ، وقال بعض العلماء من كانت تجب عليه الجمعة فهو حضري ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي . انظر المحلى (١٤٦/٧) ، وأحكام القرآن للجصاص (٣٦٠/١) ، والمغني (٤٧٣/٣) ، والمجموع شرح المذهب (١٧٥/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٠٤/٢).

١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ويهلك الحرث والنسل ﴾ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في وجه إهلاك هذا المنافق الذي وصفه الله بما وصفه به من صفة إهلاك الحرث والنسل . فقال بعضهم : كان ذلك منه إحراقاً لزرع قوم من المسلمين وعقراً لحمهم)) . ثم ساق بسنده إلى السدي^(١) أنه قال هذا^(٢) .

ثم قال : ((وقال آخرون بما حدثني به أبو كريب)) ثم ساق بسنده عن مجاهد أنه قال : ((إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم فيحس الله بذلك القطر ، فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، قال : ثم قرأ مجاهد ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾^(٣) قال : ثم قال : أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر))^(٤) .

ثم قال الطبري : ((والذي قاله مجاهد ، وإن كان مذهباً من التأويل تحتمله الآية ، فإن الذي هو أشبه بظاهر التنزيل من التأويل ما ذكرنا عن السدي ، فلذلك اخترناه))^(٥) .

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الظاهر ليس فيما قاله الطبري ، ولا فيما قال غيره فقال : ((قال الطبري : المراد الأخنس^(٦) في إحراقه الزرع وقتله الحمر . وقال مجاهد : المراد أن الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل . وقيل : المراد أن المفسد يقتل الناس فينقطع عمار الزرع والمنسلون . وقال الزجاج : يحتمل أن يُراد بالحرث النساء والنسل نسلهن . قال القاضي أبو محمد : والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد ؛ إذ كل فساد في أمور الدنيا فعلى هذين الفصلين يدور))^(٧) .

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، صدوق يهيم ورسمي بالشيعة ، من الرابعة (ت : ١٢٧هـ) انظر التقريب رقم (٤٦٣) .

(٢) الأثر أخرجه من طريق أسباط عن السدي ، وقد أخرج قبل هذا الرواية التي فيها اسم ذلك المنافق وأنه الأخنس بن

شريق . انظر تفسير الطبري (٢٢٩/٤) .

(٣) سورة الروم ، الآية ٤١ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٠/٤) عن مجاهد من طريق النضر بن عربي . وأورده السيوطي في الدرر (٢٣٩/١) ونسبه

إلى الطبري وابن أبي حاتم .

(٥) تفسير الطبري (٢٤٠/٤) .

(٦) الأخنس بن شريق بن عمرو ، شهد حنيناً وهو من المؤلفات قلوبهم . انظر الإصابة (٣٦/١) .

(٧) المحرر الوجيز (١٣٩/٢) .

وقد ذكر طائفة من المفسرين - من الأقوال - نحو ما ذكره الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية^(١) ، وبعضهم قال في قوله: ﴿ ويهلك الحرث والنسل ﴾ هي من صفة المنافق^(٢) ، وبعضهم قال : في الأخنس وصارت عامة^(٣) ، وبعضهم قال : كما يفعله ولاية السوء بالقتل والإتلاف^(٤) . وبعضهم قال : الإهلاك بالضلال الذي يؤول إلى الهلاك^(٥) .

وهذه الأقوال مبنية على اختلافهم في تعيين المقصود بقوله تعالى في أول الآية: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾^(٦) وملخصها ما يلي :

قيل : نزلت في الأخنس بن شريق جاء النبي ﷺ فأظهر الإسلام وقال الله يعلم أنني صادق ، ثم هرب بعد ذلك فمر بزرع وجرم للمسلمين فأحرق الزرع وعقر الحمر ، روي ذلك عن السدي^(٧) .
وقيل : نزلت في قوم من المنافقين قالوا عن أهل الرجيع^(٨) ويح هؤلاء ما قعدوا في بيوتهم ولا أدوا رسالة صاحبهم^(٩) .

وقيل : نزلت في المنافقين عموماً^(١٠) .

وقيل : إن الآية عامة في المنافقين ، ومن اتصف بتلك الصفات من المؤمنين^(١١) .

والذي يظهر - والله أعلم - أن الآية نزلت في الأخنس بن شريق كما قال ذلك الطبري ثم هي عامة في كل من يفعل فعله بأن يبدي خلاف ما يظهر من منافق ومسلم .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣) ، والبحر (١٢١/٢-١٢٢) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٣٥/١) ، وروح المعاني (٩٥/٢) ، وفتح القدير (٢٠٨/١) ، والتحرير والتنوير (٢٦٦/٢) .

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (١٤٣/١) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣) .

(٤) انظر روح المعاني (٩٥/٢) .

(٥) انظر زاد المسير (٢٢٢/١) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤ .

(٧) انظر تفسير الطبري (٢٢٩/٤) .

(٨) الرجيع : ماء لهذيل قرب الهداة بين مكة والطائف . انظر معجم البلدان (٣٣/٣) .

(٩) انظر تفسير الطبري (٢٣٠/٤) ، وزاد المسير (٢١٩/١) ، وتفسير ابن كثير (٢٤٧/١) .

(١٠) انظر تفسير الطبري (٢٣١/٤) ، وروح المعاني (٩٥/٢) .

(١١) انظر التفسير الكبير (١٦٨/٥) ، وتفسير ابن كثير (٢٤٧/١) .

والطبري لا يرى أنها مقصورة على سبب النزول ، وإن كان قد حكى ابن عطية ذلك عنه فليس كذلك فإنه في موطن آخر زاد الأمر وضوحاً وتفصيلاً حيث قال : ((فالذي هو أولى بظاهاها ما قاله السدي ، غير أن السدي ذكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية إنما نزلت في قتله حمر القوم من المسلمين وإحراقه زرعاً لهم ، وذلك وإن كان جائزاً أن يكون كذلك ، فغير فاسد أن تكون الآية نزلت فيه ، والمراد بها كل من سلك سبيله في قتل كل ما قتل من الحيوان الذي لا يحل قتله بحال ، والذي يحل قتله في بعض الأحوال إذا قتله بغير حق ، بل ذلك كذلك عندي ؛ لأن الله تبارك وتعالى لم يخص من ذلك شيئاً دون شيء ، بل عمه ، وبالذي قلنا في عموم ذلك قال جماعة من أهل التأويل))^(١).

والذي رآه الإمام الطبري هنا يترجح من عدة جوانب من أهمها :

١- هناك روايات تشير إلى أن الآية نزلت على سبب خاص منها ما أخرجه الطبري عن سعيد المقبري^(٢) أنه تذاكر مع محمد بن كعب القرظي^(٣) وذكر قوماً لبسوا للناس مسوك الضأن وقلوبهم أمر من الصبر^(٤) فقال محمد بن كعب هذا في كتاب الله وتلا الآية ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله... ﴾^(٥) فقال سعيد قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية فقال محمد بن كعب : إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد^(٦).

٢- ما أخرجه عبد الرزاق^(٧) قال أخبرنا معمر^(٨) عن قتادة^(٩) في قوله : ﴿ ويهلك الحرث

والنسل ﴾ قال الحرث الحرث ، والنسل نسل كل شيء^(١٠).

(١) تفسير الطبري (٤/٢٤١).

(٢) سعيد بن أبي سعيد المقبري الإمام احدث الثقة (ت : ١٢٥هـ) . انظر السير (٥/٢١٦).

(٣) محمد بن كعب القرظي ، إمام علامة مفسر (ت : ١٠٨هـ) انظر السير (٥/٦٥).

(٤) الصَّبْرُ : عصارة شجر مر واحده صبرة ، وجمعه صبور . انظر المعجم الوسيط (١/٥٢٥) ((صبر)).

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٢٣٢).

(٧) عبد الرزاق بن همام الصنعاني عالم اليمن ، حافظ كبير القدر (ت : ٢١١هـ) . انظر التاريخ الكبير (٦/١٣٠) ،

والسير (٩/٥٦٣).

(٨) معمر بن راشد ، الإمام الحافظ (ت : ١٥٣هـ) . انظر السير (٧/٥).

(٩) قتادة بن دعامة السدوسي قدوة للمفسرين والمحدثين (ت : ١١٨هـ) . انظر السير (٥/٢٦٩).

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٨١) ، والطبري في تفسيره (٤/٢٤٢).

فهاتان روايتان إحداهما تشير إلى الخصوص المراد به العموم ، والأخرى تشير إلى العموم .

٣- قرر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٤- هذا القول يجمع بين الأقوال المتبعة في معنى الآية فمن قال الآية في منافق قلنا الأخص كان

كذلك ، ومن قال هي عامة في المنافق والمسلم قيل هو كذلك ، فإنها تشمل من نزلت فيه ابتداءً ومن كان على صفته من منافق ومسلم .

٥- أشار علماء التزاجم أن الأخص قد جاء إلى المدينة وادعى الإسلام ، ورد الحافظ^(١) على ابن

عطية في قوله : لم يسلم ، بقوله : قد أثبت في الصحابة من تقدم ذكره ، ولا مانع أن يسلم ثم يرتد ، ثم يرجع إلى الإسلام^(٢) .

بقي أن تعلم أن قول ابن عطية : والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد . معنى هذا أنه يرى

في الآية العموم ، وقد شرحه ابن جزى^(٣) فقال : ((وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغة في الفساد ، عبر

عن ذلك ياهلاك الحرث والنسل ؛ لأنها قوام معيشة ابن آدم ، فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير

ذلك من النبات ، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل))^(٤) . وإذا كان ابن عطية يرى

العموم فلا تعارض بين قوله وقول الإمام الطبري - في نظري - لأن الطبري لا يرى قصرها على السبب

الذي نزلت به ابتداءً ، بل يرى أنها تتناول كل من كان بتلك الصفة ، وهذا هو العموم ، والله أعلم .

(١) أحمد بن علي العسقلاني الإمام الحافظ (ت : ٨٥٢هـ) . انظر البدر الطالع (١/٨٧) .

(٢) انظر الإصابة (١/٣٧) . وقول ابن عطية فيها .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبي فقيه من العلماء بالأصول واللغة والتفسير (ت : ٧٤١هـ) . انظر طبقات

المفسرين للداروي (٢/٨٥) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٣٥) .

١٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((فإن قال لنا قائل : وما معنى قوله : ﴿فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ ؟ أهدهم للحق ، أم هدهم للاختلاف ؟ فإن كان هدهم للاختلاف فإنما أضلهم ، وإن كان هدهم للحق فكيف قيل : ﴿فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ ؟ . قيل : إن ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما معنى ذلك : فهدي الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه ، فكفر بتبديله بعضهم ، وثبت على الحق والصواب فيه بعضهم وهم أهل التوراة الذين بدلوها فهدي الله للحق مما بدلوا وحرفوا الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ . قال أبو جعفر : فإن أشكل ما قلنا على ذي غفلة فقال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت ، و ((من)) إنما هي في كتاب الله في الحق ، و ((اللام)) في قوله : ﴿لما اختلفوا فيه﴾ وأنت تحول ((اللام)) في ((الحق)) و ((من)) في الاختلاف في التأويل الذي تناوله فتجعله مقلوباً^(١) ؟ . قيل : ذلك في كلام العرب موجود مستفيض ، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطقهم ، فمن ذلك قول الشاعر^(٢) :

كان الزنا فريضة الرجم

كانت فريضة ما تقول كما

وإنما الرجم فريضة الزنا ، وكما قال الآخر^(٣) :

تحلى به العين إذا ما تجهره

إن سراجاً لكريم مفخره

وإنما سراج الذي يحلى بالعين ، لا العين بسراج^(٤) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير الآية فقال : ((وقال الفراء : في الكلام قلب ، واختاره الطبري ، قال : وتقديره فهدي الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه ، ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدي الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق في نفسه نحو إلى هذا الطبري في حكايته عن الفراء . قال القاضي أبو محمد : وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر ، وذلك أن

(١) القلب تحويل الشيء عن وجهه . انظر اللسان (٢٦٩/١١) ((قلب)).

(٢) النابغة الجعدي ، أبو ليلى صحابي شاعر مجيد ، توفي في حدود سنة سبعين . انظر السير (١٧٧/٣) . وبيته هذا في معاني القرآن للفراء (٩٩/١) ، وتأويل مشكل القرآن ص (١٩٩) ، واللسان (٩٦/٦) ((زنا)) ، وخرزانة الأدب (٢٦٣/٤) .

(٣) لم أقف على اسمه . والبيت في معاني القرآن للفراء (١٣١/١) ، وفي لسان العرب (٣١٢/٣) ((حلا)) من غير نسبة .

(٤) تفسير الطبري (٢٨٦/٤ ، ٢٨٧) .

الكلام يتخرج على وجهه وورصفه ؛ لأن قوله: ﴿فهدي﴾ يقتضي أنهم أصابوا الحق ، وتم المعنى في قوله: ﴿فيه﴾ وتبين بقوله: ﴿من الحق﴾ جنس ما وقع الخلاف فيه^(١).

مما تقدم اتضح لنا سبب الاختلاف بين الإمامين الطبري وابن عطية ، فالإمام الطبري يرى أن الذين أوتوا الكتاب بعضهم بدله وحرفه ، وبعضهم ثبت على الحق الذي أنزله الله فيه ، إذاً فهناك حق وباطل ثم جاءت أمة محمد ﷺ فهداها الله للحق مما اختلف فيه أولئك ، وترتب على هذا التفسير أن الطبري جعل اللام في قوله تعالى: ﴿لما اختلفوا﴾ مقرونة بالحق في قوله: ﴿من الحق﴾ وجعل ((من)) التي في الحق مقرونة بـ ((ما)) في قوله: ﴿لما اختلفوا﴾ وهذا يسمى قلباً عند علماء البلاغة. وابن عطية لا يرى هذا فهو يقول : إن المعنى واضح من غير أن نلجأ إلى القلب فإن الله لما قال: ﴿فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ أصبح المعنى واضحاً أنه هداهم للحق بقريئة أنه قال: ﴿فهدي﴾ ثم زاده وضوحاً وبيّناً بأن قال: ﴿من الحق﴾.

أما موقف المفسرين من هذين القولين : فنجد أن بعضهم يورد قول الطبري ويذكر من رد عليه من غير مناقشة^(٢) . وبعضهم يورد القولين ويستحسن قول ابن عطية ، مثل أبي حيان فإنه بعد ما نقل رد ابن عطية على الطبري وما رآه في تفسيرها قال : وهو حسن والقلب عند أصحابنا يختص بضرورة الشعر فلا نخرج كلام الله عليه^(٣).

والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري ومن معه وذلك للأسباب التالية :

١- لما علل به القاضي ابن عطية من أن الآية واضحة معناها من غير دعوى القلب ، وقد شرحها أبو محمد بما سمعت ، وأبين مما ذكر أن يقال : إن أهل الكتاب اختلفوا فكفر بعضهم بكتاب بعض ، فهدي الله الذين آمنوا للإيمان بما أنزل كله وهو حق^(٤).

(١) المحرر الوجيز (١٥٤/٢).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٢/٣) ، والدر المصون (٣٧٩/٢) ، وفتح القدير (٢١٣/١).

(٣) البحر المحيط (١٤٧/٢).

(٤) هذا المعنى صدر به الفراء معنى الآية ، وأورده الطبري في تفسيره على أنه جائز في معنى الآية ، ونقله ابن عطية في تفسيره. انظر معاني القرآن (١٣١/١) ، وتفسير الطبري (٢٨٧/٤) ، والمحرر الوجيز (١٥٣/٢).

- ٢- ولأن القلب قد اختلف العلماء في وقوعه في القرآن ، بين نافٍ ومثبت^(١) ، فحمل الآية على أمر متنازع فيه مع ظهور المعنى على غيره شيء فيه نظر . .
- ٣- ولأن الباطن أن القلب لا يقال به في كتاب الله ، لأنه جاء في لغة العرب ضرورة كما قال أبو حيان . ولأن ابن فارس - وهو حجة في لغة العرب - قال بعد أن ذكر القلب : ((وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جل ثناؤه شيء))^(٢) .
- ٤- ولأن القائلين بوقوع القلب في القرآن يجيزونه في بعض الصور والأنواع دون بعض^(٣) ، وفي هذا دليل على ضعف القول بوقوعه.

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (٢٨٨/٣).

(٢) الصاحبي ص (٣٢٩).

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن ص (١٩٨ ، ٢٠٠).

١٤ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ - : ((وأما (الميسر) فإنها (المفعل) من قول القائل : يسر لي هذا الأمر ، إذا وجب لي فهو ييسر لي يسراً وميسراً ، و ((الياسر)) الواجب بقداح وجب ذلك ، أو فتاحة أو غير ذلك ، ثم قيل للمقامر^(١) ((ياسر ويسر)) كما قال الشاعر^(٢):

فبت كأنني يسر غيبين يقلب بعد ما اختلج القداحا

وكما قال النابغة^(٣):

أو ياسر ذهب القداح بوفره أسف تأكله الصديق مخلع

يعني بالياسر : المقامر . وقيل للمقامر ميسر . وكان مجاهد يقول نحو ما قلنا في ذلك^(٤).

ثم أخرج بسنده من طريق ابن أبي نجيح^(٥) عن مجاهد في قوله: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ قال: القمنز ، وإنما سمي ((الميسر)) لقولهم ((أيسروا واجزروا)) كقولك : ضع كذا وكذا^(٦).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير ((الميسر)) فقال: ((و (الميسر) مأخوذ من يسر إذا جزر ، والياسر الجازر ، ومنه قول الشاعر^(٧) :

فلم يزل بك واشيهم ومكرهم حتى أشاطوا بغيب لحم من يسروا

ومنه قول الآخر^(٨):

أقول لهم بالشعب إذ يسرونني ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

(١) المقامر هو المراهن . انظر لسان العرب (٣٠٠/١١) ((قمر)).

(٢) لم أقف على قائله والبيت في النكت والعيون (٢٧٦/١).

(٣) لم أحده في النسخة التي اطلعت عليها من ديوان النابغة الذبياني ، ولا في النسخة التي اطلعت عليها من ديوان النابغة الجعدي.

(٤) تفسير الطبري (٣٢٢/٤ ، ٣٢٢).

(٥) عبد الله بن أبي نجيح ثقة رمي بالقدر (ت : ١٣١هـ) . انظر تقريب التهذيب رقم (٣٦٦٢).

(٦) تفسير الطبري (٣٢٢/٤).

(٧) غياث بن غوث الأخطل التغلبي النصراني ، الشاعر . مات قبل الفرزدق بسنوات . انظر السير (٥٨٩/٤) . والبيت في ديوانه ص (١٠٢).

(٨) سحيم بن وثيل بن أعيفر الربوعي شاعر معروف في الجاهلية والإسلام ، يقال عاش في الجاهلية أربعين وفي الإسلام ستين . انظر خزائن الأدب (٢٦٥/١) ، والبيت في تهذيب اللغة (٦٠/١٣) ، وفي اللسان (٤٤٨/١٥) ، وفي الصحاح

في اللغة والعلوم (٧٢٢/٢) . ((يسر)).

والجزور الذي يستهم عليه يسمى ميسراً ؛ لأنه موضع اليسر ، ثم قيل للسهم ميسر للمجاورة .
وقال الطبري : الميسر مأخوذ من يسر لي هذا إذا وجب وتسنى ، ونسب القول إلى مجاهد ، ثم جلب من
نص كلام مجاهد ما هو خلاف لقوله ، بل أراد مجاهد الجزر))^(١).

تبين من كلام الإمامين الطبري ، وابن عطية أن محل الخلاف بينهما في اشتقاق الميسر ، هل هو من
يسر إذا وجب وتسنى كما يرى الإمام الطبري ، أو هو من يسر إذا جزر كما يرى القاضي ابن عطية .
وعند الرجوع إلى بعض كتب أهل اللغة والتفسير نجد أهل اللغة يذكرون ما قاله ابن عطية فيقولون :
((والياسر الجازر ؛ لأنه يجزئ لحم الجزور وهذا الأصل في الياسر ، ثم يقال للضارين بالقدح
والمقامين^(٢) على الجزور : ياسرون لأنهم جازرون إذ كانوا سبياً لذلك))^(٣).

وقالوا أيضاً : ((الياسر الجزار ، وقد يسروا أي نحرروا ويسرت الناقة جزأت لحمها ، ويسر القوم
الجزور أي اجتزروها وقسموا أعضائها ، قال سحيم بن وثيل اليربوعي :

أقول لهم بالشعب إذ يسروني ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

كان قد وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهم ، وقوله يسروني هو من الميسر أي يجزئونني
ويقسموني))^(٤).

وقالوا أيضاً : والياسر الذي يلي قسمة الجزور ، والجمع أيسار وقد تياسروا ، قال أبو عبيد وقد
سمعتهم يضعون الياسر موضع اليسر ، واليسر موضع الياسر))^(٥).

أما ما ذكره الإمام الطبري في معنى الميسر وأنه من يسر إذا وجب فبإني لم أره فيما اطلعت عليه ،
وقد قال بعض المحققين المتأخرين : ((هذا المعنى لم أصبه في كتب اللغة ، وأنا أظنه مجازاً من الميسر ،
لا أصلاً في اشتقاق الميسر منه ؛ لأن حظ صاحب الميسر واجب الأداء إذا خرج قدحه))^(٦).

(١) آخر الوجيز (١٦٨/٢).

(٢) ((المقامين)) بالعين المعجمة في التهذيب ، وفي لسان العرب ((المقامين)) بالثاف وقد نقلها من التهذيب . انظر لسان
العرب (٤٤٨/١٥) ((يسر)).

(٣) تهذيب اللغة (٦٠/١٣) ((يسر)).

(٤) لسان العرب (٤٤٨/١٥) ((يسر)).

(٥) المصدر نفسه (٤٤٨/١٥) ((يسر)). وانظر ترتيب القاموس (٦٧٥/٤) ، والمعجم الوسيط (١١٠٧/٢) ، والصاحح في

اللغة والعلوم (٧٢٢/٢) ((يسر)) لرى ما قيل في معنى ((الياسر)) ، وانظر أيضاً خزنة الأدب (٣٢٩/١).

(٦) انظر تفسير الطبري (٣٢١/٤) فقد قال هذا الشيخ محمود شاكر . والمقصود بالقدح في قوله ((قدحه)) سهمه . انظر

لسان العرب (٥١/١١) ((قدح)).

أما المفسرون فقد حكى بعضهم القولين كمحمود بن حمزة الكرماني فإنه قال : ((الميسر القمار كله، مشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه ، وقيل : مشتق من التجزئ ، وكل شيء جزأته فقد يسرته، والميسر الجزور لأنه يجزأ أجزاء))^(١).

وذكر أبو حيان القولين وأكثر فقال : ((الميسر القمار وهو مفعول من يسر كالموعد من وعد ... واشتقاقه من اليسر وهو السهولة ، أو من اليسار لأنه يسلب يساره ، أو من يسر الشيء لي إذا وجب ، أو من يسر إذا جزر ، والياسر الجازر ، وهو الذي يجزئ الجزور أجزاء ...))^(٢).

وكذلك قال السمين ، ونص على قول الطبري واستدراك ابن عطية ولم يعقب على ذلك بشيء^(٣).

وقد اكتفى بعض المفسرين بإيراد القولين الأولين من الأقوال التي ذكرها أبو حيان^(٤).

والذي يظهر لي والله أعلم أن أصل هذه اللفظة (ميسر) هو كما قال ابن عطية وأنها مأخوذة من

يسر إذا جزر ؛ لأن أهل اللغة أثبتوا ذلك وقد تقدم النقل عنهم ، وهم أعرف بهذا الشأن من غيرهم.

وقول الطبري وغيره مجزج على ما تقدم نقله قريباً عن الشيخ محمود شاكر .

وأما كلام مجاهد فهو أقرب إلى مقصود ابن عطية . والله أعلم .

(١) غرائب التفسير (٢١٢/١).

(٢) البحر المحيط (١٦٣/٢) . وما ذكره من أقوال هي مجموع ما اطلعت عليه .

(٣) انظر الدر المصون (٤٠٥/٢) .

(٤) انظر الكشاف (٣٥٩/١) ، وتفسير النسفي (١٠٩/١) ، وتفسير أبي السعود (٢١٨/١) ، والتحريير والتنوير

(٢٤٦/٢) ، والفتوحات الإلهية (١٧٥/١).

١٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله جل ذكره: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقراه بعضهم : ﴿حتى يَطْهَرْنَ﴾ بضم الهاء وتخفيفها ، وقراه آخرون بتشديد الهاء وفتحها . وأما الذين قرأوه بتخفيف ((الهاء)) وضمها ، فإنهم وجهوا معناه إلى : ولا تقربوا النساء في حال حيضهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن . وقال بهذا التأويل جماعة من أهل التأويل ... وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد ((الهاء)) وفتحها ، فإنهم عنوا به : حتى يغتسلن بالماء . وشددوا الطاء لأنهم قالوا : معنى الكلمة : حتى يَطْهَرْنَ ، أدغمت ((الهاء)) في ((الطاء)) لتقارب مخرجيهما .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿حتى يَطْهَرْنَ﴾ بتشديدها وفتحها، بمعنى : حتى يغتسلن ، لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر . وإنما اختلف في التطهر الذي عناه الله تعالى ذكره ، فأحل له جماعها . فقال بعضهم: هو الاغتسال بالماء ، لا يحل لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنيتها . وقال بعضهم : هو الرضوء للصلاة . وقال آخرون: بل هو غسل الفرج ، فإذا غسلت فرجها ، فذلك تطهرها الذي يحل به لزوجها غشيانها))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري شينين مما قال فقال : ((ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء وقال : هي بمعنى يغتسلن لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر ... وما ذهب إليه الطبري من أن قراءة شد الطاء مضمنها الاغتسال وقراءة التخفيف مضمنها انقطاع الدم أمر غير لازم ، وكذلك ادعاؤه الإجماع ، أما إنه لا خلاف في كراهية الوطء قبل الاغتسال بالماء))^(٢).

تبين من سياق كلام الإمام الطبري والقاضي ابن عطية ، أن الثاني يستدرك على الأول في شينين الأول : أن قراءة ﴿يطهرن﴾ بالتشديد والتخفيف قد فرق بينهما الطبري ، والفرق غير لازم. الثاني: قوله : إن العلماء أجمعوا على تحريم غشيان الرجل امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر.

(١) تفسير الطبري (٤/٣٨٣، ٣٨٤).

(٢) المحرر الوجيز (٢/١٨٠-١٨١).

إذا هذه المسألة ذات شقين وسأبدأ بالشق الأول ، مستعيناً بالله تعالى فأقول : مسألة قراءة ﴿يطهرون﴾ بالتشديد والتخفيف ، اختلف أهل العلم هل هما بمعنى واحد ، أم لكل قراءة معنى ؟ فذهب بعض أهل اللغة وفريق كبير من علماء التفسير إلى التفريق بين القراءتين معنى ، وقالوا من قرأ بالتشديد - وهم (١) حمزة (٢) والكسائي (٣) وخلف (٤) وأبو بكر (٥) - فمعنى الآية حتى يتطهرون بالاغتسال بالماء ، ومن قرأ بالتخفيف - وهم الباقر (٦) - فمعنى الآية : حتى ينقطع دمهن .

قال الفراء : ((والقراء بعد يقرءون ﴿حتى يَطْهَرْنَ ، وَيَطَّهَرْنَ﴾ ينقطع عنهن الدم ، ويتطهرون يغتسل بالماء وهو أحب الوجهين إلينا : ﴿يَطْهَرْنَ﴾)) (٧) .

وقال ابن قتيبة في قوله تعالى : ﴿ولا تقرّبوهن حتى يَطْهَرْنَ﴾ أي ينقطع عنهن الدم ، يقال : طَهَّرْت وطَهَّرْت إذا رأت الطُّهْر ، وإن لم تغتسل بالماء . ومن قرأ ﴿يَطْهَرْنَ﴾ أراد : يغتسلن بالماء . والأصل ((يتطهرون)) فأدغم التاء في الطاء (٨) .

وقال الراغب بعد أن أورد قوله : ﴿حتى يَطْهَرْنَ﴾ - فإذا تطهرن﴾ فدل باللفظين على أنه لا يجوز وُطُوهُن إلا بعد الطهارة والتطهير ويؤكد ذلك قراءة من قرأ ﴿حتى يَطْهَرْنَ﴾ أي يفعلن الطهارة التي هي الغسل (٩) .

وعلى هذا التفريق عدد كبير - كما قلت - من المفسرين فيما اطلعت عليه (١٠) .

(١) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٧) .

(٢) حمزة بن حبيب الزيات ، المقرئ الإمام (ت : ١٥٦هـ) . انظر السير (٧/٩٠) .

(٣) علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي ، إمام في القراءة والعربية (ت : ١٨٩هـ) . انظر السير (٩/١٣١) .

(٤) خلف بن هشام بن ثعلب البزار ، المقرئ الحجة الحافظ (ت : ٢٢٩هـ) . انظر السير (١٠/٥٧٦) .

(٥) أبو بكر بن عياش الأسدي ولاء ، مقرئ فقيه محدث (ت : ١٩٣هـ) . انظر السير (٨/٤٩٥) .

(٦) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٧) .

(٧) معاني القرآن (١/١٤٣) .

(٨) تفسير غريب القرآن ص (٨٤) .

(٩) المفردات ص (٣٠٧) .

(١٠) انظر النكت والعيون (١/٢٨٣) ، ومعالم التنزيل (١/١٩٧) ، وزاد المسير (١/٢٤٨) ، والكشف عن وجوه القراءات

السبع (١/٢٩٣) ، وغرائب التفسير (١/٢١٣) ، والكشاف (١/٣٦١) ، والتفسير الكبير (٦/٥٩) ، وتفسير النسفي

(١/١١١) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٤٢) ، والدر المصون (٢/٤٢٢) ، وفتح القدير (١/٢٢٦) ، والبيان في

غريب إعراب القرآن (١/١٥٥) ، والبيان في إعراب القرآن (١/١٧٨) .

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا فرق بين قراءة التشديد والتخفيف في المعنى ، ففي تهذيب اللغة عن أبي العباس المبرد أنه قال : ((والقراءة ﴿يَطْهَرُنْ﴾ لأن من قرأ ﴿يَطْهَرُنْ﴾ أراد انقطاع الدم ، ﴿فإذا تطهرن﴾ اغتسلن ، فيصير معناهما مختلفاً . والوجه أن تكون الكلمتان بمعنى واحد يريد بهما جميعاً الغسل ، ولا يحل المسيس إلا بالاغتسال ، ويصدق ذلك قراءة ابن مسعود^(١) ﴿حتى يتطهرن﴾^(٢) .

وقال أبو جعفر النحاس : ((وقد عاب قوم ﴿يَطْهَرُنْ﴾ بالتخفيف ، قالوا : لأنه لا يحل المسيس حتى يغتسلن . قال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، فيجوز أن يكون معناه كمعنى ﴿يَطْهَرُنْ﴾...))^(٣) .

وقال الفيروزابادي : ((طَهَّرَتْ وَطَهَّرَتْ انقطع دمها واغتسلت من الحيض وغيره كَطَهَّرَتْ وَطَهَّرَتْه بالماء غسله به ، والاسم الطَّهْرَةُ بالضم))^(٤) .

وقال الدمياطي^(٥) : ((واختلف في ﴿يَطْهَرُنْ﴾ فأبو بكر وحمة والكسائي وكذا خلف بفتح الطاء والهاء مشددتين مضارع تطهر اغتسل ، والأصل يتطهرن ... والباقون بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع طهرت المرأة شفيت من الحيض واغتسلت ...))^(٦) .

وعلى عدم التفريق بعض المفسرين^(٧) ، وأشار إليه بعض الفقهاء^(٨) . وقد ذكر بعض العلماء هذا الاستدراك الذي استدركه ابن عطية وبعضهم يورد ترجيح الطبري ، وهم بين مؤيد ومعارض وساكت . فالسمين يقول - بعد أن يورد اعتراض ابن عطية - : ((وفي رد ابن عطية عليه نظر ؛ إذ لو حملنا القراءتين على معنى واحد لزم التكرار))^(٩) .

وأبو حيان أورد كلام الطبري واعتراض ابن عطية عليه ولم يعقب على ذلك بشيء^(١٠) .

(١) سنأتي ترجمته عند الآية (٢٥٩) .

(٢) تهذيب اللغة (١٧١/٦) ((ظير)) .

(٣) معاني القرآن الكريم (١٨٣/١) .

(٤) ترتيب القاموس المحيط (١٠٣/٣) ((ظير)) .

(٥) أحمد بن محمد الشهير بالبناء ، عالم بالقراءات (ت : ١١١٧هـ) . انظر الأعلام (٢٤٠/١) .

(٦) اشعاف فضلاء البشر ص (١٥٧) .

(٧) انظر الوسيط (٣٢٨/١) .

(٨) انظر أحكام القرآن لابن العربي (١٦٥/١ ، ١٦٦) ، واختموع للنووي (٣٧١/٢) .

(٩) الدر المنصور (٤٢٢/٢) .

(١٠) انظر البحر المحيط (١٧٨/٢) .

والشوكاني يورد ترجيح الطبري ، ويرى أن الأولى في الترجيح غير ما سلكه الإمام الطبري فيقول : ((وقد رجح ابن جرير الطبري قراءة التشديد ، والأولى أن يقال : إن الله سبحانه جعل للحل غايتين كما تقتضيه القراءتان : إحداهما انقطاع الدم ، والأخرى : التطهر منه ، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى ، فيجب المصير إليها...))^(١).

وابن عاشور لا يرى - أيضاً - هذا المسلك الذي سلكه الإمام الطبري في الترجيح ، فيقول : ((ورجح الطبري قراءة التشديد قانلاً (لإجماع الأمة على أنه حرام على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم عنها حتى تطهر) وهو مردود بأن لا حاجة إلى الاستدلال بدليل الإجماع ، ولا إلى ترجيح القراءة به ؛ لأن اللفظ كاف في إفادة المنع من قربان الرجل امرأته حتى تطهر بدليل مفهوم الشرط في قوله : ﴿فَإِنَّ تَطَهَّرْنَ﴾^(٢))).

وفي نظري أن هناك فرقاً بين القراءتين معنى ؛ لأن معظم العلماء على ذلك - فيما رأيت - ولأن الذين يرون عدم التفريق مقصودهم أن يسلم لهم ما يرونه في هذه المسألة من الناحية الفقهية^(٣). وقد بين العلماء كما رأيت في كلام الشوكاني وابن عاشور أنه يمكن أن نسلك طريقاً آخر في الترجيح فيسلم لنا رأي الجمهور من غير أن نجعل معنى القراءتين واحداً.

ثم إن الرأي الذي يقول : إنهما بمعنى واحد قد وُجّهت إليه طعون ، سمعت بعضها فيما تقدم ، وأذكر لك أيضاً ما قاله ابن عاشور في نقد رأي المبرد حيث قال : ((وقد رجح المبرد قراءة ﴿حَتَّى يَطَّهَّرْنَ﴾ بالتشديد ، قال لأن الوجه أن تكون الكلمتان بمعنى واحد يراد بهما جميعاً الغسل وهذا عجيب صدوره منه فإن اختلاف المعنيين إذا لم يحصل منه تضاد أولى لتكون الكلمة الثانية مفيدة شيئاً جديداً))^(٤).

(١) فتح القدير (١/٢٢٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٣٦٨).

(٣) لأن الأحناف جعلوا قراءة التخفيف دليلاً لهم على جواز غشيان المرأة بعد انقطاع دمها لأكثر مدة الحيض ولو لم تغتسل ، والجمهور على المنع إلا بعد الاغتسال . ويجيبون عن دليل الأحناف برد القراءتين إلى معنى واحد . انظر أحكام القرآن للحصاص (٢/٣٥) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/١٦٥) ، وشرح فتح القدير (١/١٧٠).

(٤) التحرير والتنوير (٢/٣٦٧).

أما الشق الثاني من استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، وهو حكاية الطبري الإجماع على تحريم أن يظأ الرجل امرأته بعد انقطاع حيضها حتى تطهر .

ومعنى كلام الإمام الطبري هذا أن العلماء أجمعوا أن الحائض إذا انقطع دمها لابد أن تتطهر ، وإنما الخلاف بينهم في نوع التطهر أهر غسل جميع البدن ، أم الوضوء ، أم غسل الفرج؟ .

والنوي^(١) - رحمه الله تعالى - أورد حكاية الطبري للإجماع ، في معرض إيراد أقوال العلماء في حكم غشيان الرجل امرأته بعد انقطاع دم الحيض قبل أن تغتسل^(٢) ، ولم يعقب على قول الطبري هذا بشيء^(٣) .

وأبو محمد ابن حزم ذكر في كتابه الخلى ما يصح استدراك ابن عطية على الإمام الطبري فقال : ((وقال أبو حنيفة وأصحابه إن كانت أيامها عشرة أيام فبانقطاع العشرة الأيام يحل وطؤها اغتسلت أو لم تغتسل ، مضى لها وقت صلاة ، أو لم يمض ، توضأت أو لم تتوضأ ، تيممت أو لم تميم ، غسلت فرجها ، أو لم تغسله...))^(٤) .

فهذا النص يفيد أن أبا حنيفة وأصحابه يخالفون فيما حكاه الإمام الطبري إجماعاً .

إلا أن ما قاله أبو محمد ابن حزم في كتابه الخلى قد ناقضه في كتابه مراتب الإجماع فقال : ((وأجمعوا أن الحائض إذا رأت الطهر ما لم تغسل فرجها ، أو تتوضأ فرطوها حرام))^(٥) .

والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة ، وذلك للأسباب التالية :

(١) يحيى بن شرف بن مري ، الإمام الفقيه الحداث (ت : ٦٧٦هـ) . انظر طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥) .

(٢) والمسألة خالف فيها الأحناف في بعض صورها ، والجمهور على تحريم غشيانها ما لم تغتسل . انظر بداية الاختيار

(١/٥٧ ، ٥٨) ، والمغني (١/٣٣٨) ، والمجموع (٢/٣٧٠) ، وشرح فتح القدير (١/١٧٠) .

(٣) انظر المجموع (٢/٣٧٠) .

(٤) الخلى (٢/١٧٣) .

(٥) مراتب الإجماع ص (٢٤) .

١- لم يتعرض الأحناف - فيما اطلعت عليه من كتبهم وغيرها - لإيجاب غسل الفرج ، أو الوضوء من المرأة وإنما يذكرون : أن انقطاع الدم لأكثر مدة الحيض يحلها لزوجها وإن لم تغتسل^(١).

وظاهر هذا أنهم لا يوجبون غسل الفرج ولا الوضوء ؛ لأنهم إذ لم يوجبوا ما هو أعظم وهو الغسل فحري ألا يوجبوا ما هو أقل وهو الوضوء ، أو غسل الفرج.

٢- ولأن ابن المنذر^(٢) - وهو ممن عاصر الطبري - لم يحك الإجماع ، بل جاء بعبارة تفيد وجود الخلاف في المسألة فقال : ((المنع من وطء من قد طهرت من الحيض ولما تطهر بالماء كالإجماع من أهل العلم))^(٣).

٣- ولأن شيخ الإسلام ابن تيمية تعقب ابن حزم في نقله الإجماع على تحريم وطئها ما لم تغسل فرجها أو تتوضأ ، فقال : ((قلت : أبو حنيفة يقول : إذا انقطع دمها لأكثر الحيض ، أو مر عليها وقت صلاة جاز وطؤها ، وإن لم تغتسل ولم تتوضأ ولم تغسل فرجها))^(٤).

قلت : هذا النقد يصحح ما ذكره ابن حزم في المحلى ، ويسقط ما ذكره في مراتب الإجماع .
وبعد : فالإمام الطبري - رحمه الله تعالى - لا يخفى عليه قول الحنفية ، إلا أنهم يذكرون أن من مذهبه أنه يعد قول الأكثرين إجماعاً ، فلعل إطلاقه الإجماع في هذه المسألة هو من هذا الباب^(٥).

(١) انظر أحكام القرآن للحصاص (٣٥/٢) ، والهداية (١٧٠/١ ، ١٧١) ، وشرح فتح القدير (١٧٠/١) ، وشرح العناية على الهداية (١٧١/١ ، ١٧٢) ، والاختيار لتعليل المختار (٢٨/١) ، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢١٣/١) ، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٥٨/١) ، والمعني (٣٣٨/١) ، والمجموع شرح المهذب (٣٧٠/٢) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١٦٥/١).

(٢) محمد بن إبراهيم بن المنذر ، إمام حافظ علامة فقيه (ت : ٣١٨هـ) انظر السير (٤٩٠/١٤).

(٣) الأرسط في السنن والإجماع والاختلاف (٢١٤/٢).

(٤) نقاد مراتب الإجماع ص (٢٤).

(٥) انظر موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (٢٣/١) . وذكر مؤلفها القاضي سعدي : أن رأي الطبري هذا هو المعتمد في مذهب الشافعية ، ورواية عن الإمام أحمد ، وقول أبي بكر الرازي ، وبعض المالكية .

١٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ - : ((فإن ظن ظان أن المرأة إذا فارقها زوجها فقد بطل أن يكون بيده عقدة نكاحها ، والله تعالى ذكره إنما أجاز عفو الذي بيده عقدة نكاح المطلقة ، فكان معلوماً بذلك أن الزوج غير معني به ، وأن المعني به هو الذي بيده عقدة نكاح المطلقة بعد بينوتها من زوجها . وفي بطول ذلك أن يكون حينئذ بيد الزوج صحة القول إنه بيد الولي الذي إليه عقد النكاح إليها . وإذا كان ذلك كذلك ، صح القول بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي ، فقد أغفل^(١) وظن خطأ . وذلك أن معنى ذلك : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ، وإنما أدخلت ((الألف واللام)) في ((النكاح)) بدلاً من الإضافة إلى ((المهأ)) التي كان ((النكاح)) - لو لم يكونا فيه - مضافاً إليها ، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾^(٢) بمعنى : فإن الجنة مأواه ، وكما قال نابغة بني ذبيان^(٣):

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
من الناس فالأحلام غير عوازب^(٤)

بمعنى فأحلامهم غير عوازب ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى . فتأويل الكلام : إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ، وهو الزوج الذي بيده عقدة نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده ، لا أن معناه : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحهن ، فيكون تأويل الكلام ما ظنه القائلون أنه الولي ولي المرأة...^(٥).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري فقال : ((وليس الأمر في ذلك كما قال الطبري ومكي من أن المطلق لا عقدة بيده ، بل نسبة العقدة إليه باقية من حيث كان عقدها قبل))^(٦).

(١) (فقد أغفل... حوَاب ((إن)) في قوله : فإن ظن ظان.

(٢) سورة النازعات ، الآية : ٤١ .

(٣) بنو ذبيان هم : ذبيان بن بغيض قبيلة من غطفان ، من قيس بن عبلان، من العدنانية . انظر معجم قبائل العرب (٤٠٢/١-٤٠٣).

(٤) البيت في ديوانه ص (١٢) ، وفي البحر (٢٤٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٦/٣) ، والدر المصون (٤٩٥/٢).

(٥) تفسير الطبري (١٦٠/٥ ، ١٦١).

(٦) المحرر الوجيز (٢٣١/٢).

بيان الخلاف بين الإمامين ، أن الطبري يقول : إن الزوج وإن كان ليس بيده عقدة نكاح المرأة بعد طلاقها ، فإن عقدة نكاحه هو لا زالت بيده ، ولذلك صح أن يوصف بأنه الذي بيده عقدة النكاح . وابن عطية يقول : يصح أن يوصف بهذا الوصف دون تفريق باعتبار ما كان ، فالألف واللام عنده للعهد وهذا قول البصريين^(١) . وعند الطبري بمعنى الإضافة ، وهذا قول الكوفيين^(٢) .

ومقصود الإمامين أن يسلم من الاعتراض قول من قال : إن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وليس الولي ، وهما قولان معروفان في المسألة .

وهذا الذي قاله الطبري وابن عطية^{قولان} أقدم قال بعض أهل التفسير بكل منهما^(٣) .

والذي يروى - والله أعلم - أن قول الإمام الطبري نهايته نفي أن يكون بيد الزوج عقدة نكاح الزوجة ، وإثباتها له في حق نفسه ، وقول ابن عطية يفيد أن الزوج بيده عقدة النكاح - دون تفريق - وذلك باعتبار ما كان .

ولا شك أن قول ابن عطية أجرى مع ظاهر اللفظ ، فإن الله تعالى قال : ﴿ بيده عقدة النكاح ﴾ فظاهر هذا أن المقصود عقدة النكاح التي كانت تربط بين الزوجين ، وهي بيد الزوج ؛ ولأن هذا التقييد الذي ذكره الإمام الطبري لا يقتضيه اللفظ ؛ لأنه إذا قيل : فلان في يده الأمر والنهي ، والرفع والخفض ، فلا يراد به أن الذي في يده أمر نفسه ونهي نفسه ، بل المراد أن في يده أمر غيره ونهي غيره فكذا ها هنا^(٤) .

وأيضاً فجعل (أل) نائبة عن ضمير المضاف إليه ليس محل اتفاق بين النحاة^(٥) ، وأما جعلها للعهد فلا خلاف فيه ، فتفسيرها في الآية بما اتفق عليه أقوى من حملها على معنى مختلف فيه . وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية هو كما قال .

(١) انظر البحر المحيط (٢/٢٤٦) ، ومغني اللبيب (١/٥٤) .

(٢) انظر المصدرين السابقين .

(٣) انظر قول الطبري في معالم التنزيل (١/٢١٩) ، والتفسير الكبير (٦/١٢٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣/٢٠٦) . وقول ابن عطية في أحكام القرآن للكمي المراسي (١/٢٠٩) ، والبحر المحيط (٢/٢٤٦) ، والدر المصون (٢/٤٩٥) .

(٤) انظر التفسير الكبير (٦/١٢٣) .

(٥) قد تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وانظر مغني اللبيب (١/٥٤) .

١٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله: ﴿فإذا أمنتُم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ قال أبو جعفر: وتأويل ذلك ﴿فإذا أمنتُم﴾ أيها المؤمنون من عدوكم أن يقدر على قتلكم في حال اشتغالكم بصلاتكم التي فرضها عليكم - ومن غيره ممن كنتم تخافونه على أنفسكم في حال صلاتكم - فاطمأنتم ﴿فاذكروا الله﴾ في صلاتكم وفي غيرها بالشكر له والحمد والثناء عليه ، على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضل عنه أعداؤكم من أهل الكفر بالله ، كما ذكركم بتعليمه إياكم من أحكامه وحلاله وحرامه ، وأخبار من قبلكم من الأمم السالفة ، والأنبياء الحادثة بعدكم - في عاجل الدنيا وآجل الآخرة - التي جهلها غيركم وبصركم من ذلك وغيره ، إنعاماً منه عليكم بذلك ، فعلمكم منه ما لم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون. وكان مجاهد يقول في قوله : ﴿فإذا أمنتُم﴾... قال : خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة... قال أبو جعفر : وهذا القول الذي ذكرنا عن مجاهد قول غيره أولى بالصواب منه ، لإجماع الجميع على أن الخوف متى زال فواجب على المصلي المكتوبة - وإن كان في سفر - أداؤها بركوعها وسجودها وحدودها وقائماً بالأرض غير ماش ولا راكب ، كالذي يجب عليه من ذلك إذا كان مقيماً في مصره وبلده، إلا ما أبيع له من القصر فيها في سفره . ولم يجر في هذه الآية للسفر ذكر ، فيتوجه قوله: ﴿فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ إليه وإنما جرى ذكر الصلاة في حال الأمن ، وحال شدة الخوف، فعرف الله سبحانه وتعالى عباده صفة الواجب عليهم من الصلاة فيهما . ثم قال: ﴿فإذا أمنتُم﴾ فزال الخوف ، فأقيموا صلاتكم وذكرى فيها وفي غيرها ، مثل الذي أوجبه عليكم قبل حدوث حال الخوف. وبعد فإن كان جرى للسفر ذكر ثم أراد الله تعالى ذكره تعريف خلقه صفة الواجب عليهم من الصلاة بعد مقامهم لقال : فإذا أقمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ولم يقل ﴿فإذا أمنتُم﴾. وفي قوله تعالى ذكره : ﴿فإذا أمنتُم﴾ الدلالة الواضحة على صحة قول من وجه تأويل ذلك إلى الذي قلنا فيه ، وخلاف قول مجاهد ((١)).

(١) تفسير الطبري (٥/٢٤٨-٢٥٠).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري استدراكه على مجاهد فقال: ((وقال مجاهد : معنى قوله : ﴿فإذا أمنتكم﴾ فإذا خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة . ورد الطبري على هذا القول ، وكذلك^(١) فيه تحريم^(٢) على المعنى كثير^(٣))).

إذا الإمام الطبري لا يرى في قول مجاهد شيئاً من الصواب ، والقاضي ابن عطية يرى أنه حوّم حول المعنى المقصود فلم يبعد منه.

والعلماء قد أوردوا قول مجاهد هذا بين ملتصق له وجهاً وبين معارض . فأبو حيان يقول - بعد أن أورد الآية - : قال مجاهد : أي خرجتم من السفر إلى دار الإقامة ، وردّه الطبري ، قيل : ولا ينبغي رده؛ لأنه شرح الأمن بمحل الأمن ؛ لأن الإنسان إذا رجع من سفره وحل دار إقامته أمن ، فكان السفر مظنة الخوف كما أن دار الإقامة محل الأمن^(٤).

وقال الألوسي - بعد أن أورد قول مجاهد - : ولعله على سبيل التمثيل^(٥).

وقال الشوكاني : وقيل معنى الآية : خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة وهو خلاف معنى الآية^(٦).

وفي نظري أن الإمام الطبري مصيب في هذا الاعتراض ؛ لأن السفر لا ذكر له في الآية ، ولأنه يلزم على قول الإمام مجاهد تخصيص العموم^{بمؤمن مخصص} فإن ذكر الله تعالى مطلوب من المكلف في حال السفر والإقامة ، وسواء قلنا : إن الذكر هو الصلاة ، أو ما هو أعم . ثم قول الإمام الطبري هو الذي مشى عليه أهل التفسير فيما رأيت من متقدم ومتأخر^(٧) . ولعل قول مجاهد من باب التمثيل ولا يقصد منه قصر العموم ، فإذا كان كذلك فهو محتمل ، والله أعلم.

(١) ذكر محقق طبعة فاس أنه في نسخة أخرى ((وذلك)) قلت: وهي في النسخة القطرية ((وذلك)) (٢٣٨/٢).

(٢) التحريم : الدوران حول الشيء . انظر لسان العرب (٤٠٧/٣) ((حوم)).

(٣) المحرر الوجيز (٢٤٠/٢).

(٤) البحر المحيط (٢٥٣/٢).

(٥) روح المعاني (١٥٨/٢).

(٦) فتح القدير (٢٥٨/١).

(٧) انظر بحر العلوم (٢١٤/١) ، والكشاف (٣٧٦/١) ، والنكت والعيون (٣١٠/١-٣١١) ، والتفسير الكبير (١٣٣/٦) ،

وتفسير البيضاوي (١٢٧/١) ، والتسويل لعلوم التنزيل (١٥٣/١) ، وتفسير الخازن (٢٤٨/١) ، وتفسير أبي السعود

(٢٣٦/١) ، وفتح القدير (٢٥٨/١) ، وروح المعاني (١٥٨/٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٣/١) . فكلها تشير

باختصار إلى المعنى الذي ذكره الإمام الطبري.

١٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾)) ثم ذكر رحمه الله أن هذه الآية منسوخة بعدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً ، وبالميراث في سورة النساء ، وساق على ذلك آثاراً تدل على ذلك^(١) ، ثم قال : ((وقال آخرون هذه الآية ثابتة بالحكم لم ينسخ منها شيء ذكر من قال ذلك))^(٢) ثم ساق بسنده ((عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾^(٣)) قال : كانت هذه للمعتدة ، تعتد عند أهل زوجها واجباً ذلك عليها فأنزل الله ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ إلى قوله: ﴿من معروف﴾ قال: جعل الله لهم تمام السنة ، سبعة أشهر وعشرين ليلة ، وصية، إن شاءت سكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت ، وهو قول الله تعالى ذكره : ﴿غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم﴾ قال : والعدة كما هي واجبة^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري في نسبه القول بعدم النسخ إلى مجاهد فقال : ((وقال الطبري عن مجاهد : إن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها ، والعدة كانت قد ثبتت أربعة أشهر وعشراً ، ثم جعل الله لمن وصية منها سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة ، فإن شاءت المرأة سكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت ، وهو قوله تعالى: ﴿غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم﴾ قال القاضي أبو محمد : وألغى مجاهد - رحمه الله - التي حكى عنه الطبري لا يلزم منها أن الآية محكمة ، ولا نص مجاهد ذلك ، بل يمكن أنه أراد ثم نسخ ذلك بعد بالميراث))^(٥) ثم شرح الآية ،

(١) انظر تفسير الطبري (٢٥٤/٥ ، ٢٥٥).

(٢) المصدر السابق (٢٥٨/٥).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤.

(٤) تفسير الطبري (٢٥٨/٥). وفيه ((جعل الله لهم)) والأصل ((لمن)) يدل عليه كلام ابن عطية الآتي .

(٥) المخرر الوجيز (٢٤٢/٢).

ثم عاد ليؤكد على هذا الاستدراك فقال : ((وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه إلا ما قوله الطبري مجاهداً - رحمه الله - وفي ذلك نظر على الطبري رحمه الله))^(١).

والآن لننظر ماذا فهم العلماء من كلام مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى .

قال الرازي : ((وأما وجوب العدة في الحول فهو منسوخ بقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٢) فهذا القول هو الذي اتفق عليه أكثر المتقدمين والمتأخرين من المفسرين . القول الثاني، وهو قول مجاهد : أن الله تعالى أنزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتين ، أحدهما : ما تقدم وهو قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٣) والأخرى هذه الآية ، فوجب تنزيل هاتين الآيتين على حالتين، فنقول : إنها إن لم تحتر السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها أربعة أشهر وعشراً على ما في تلك الآية المتقدمة ، وإما إن اختارت السكنى في دار زوجها ، والأخذ من ماله وتركته فعدتها هي الحول ، وتنزيل الآيتين على هذين التقديرين أولى ، حتى يكون كل واحدة منهما معمولاً به))^(٤).

وقال ابن كثير - بعد أن نقل الرواية عن مجاهد بعدم النسخ - : ((أسند البخاري^(٥) عن ابن عباس مثل ما تقدم عنه^(٦) بهذا القول الذي عول عليه مجاهد وعطاء من أن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخاً بالأربعة الأشهر وعشر ، وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً إن اخترن ذلك ولهذا قال: ﴿ووصية لأزواجهم﴾ أي يوصيكم الله بهن وصية ... فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يمنعن من ذلك لقوله: ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ وهذا القول

(١) المصدر نفسه (٢/٢٤٣).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ .

(٤) التفسير الكبير (٦/١٣٤ - ١٣٥).

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخ الإسلام وإمام الحفاظ (ت : ٢٥٦هـ) . انظر طبقات علماء الحديث (٢/٢٤٣).

(٦) أي عن ابن عباس ، فإنه قد روي عنه أنه قال فبين الله ميراث المرأة وترك لها الوصية والنفقة . انظر تفسير ابن كثير

له اتجاه، وفي اللفظ مساعدة له ، وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو العباس ابن تيمية ورده آخرون منهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر^(١))).^(٢)

وقال الحافظ ابن حجر : ((على أن من السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة ، وإنما خص من الحول بعضه ، وبقي البعض وصية لها إن شاءت أقامت كما في الباب عن مجاهد ، لكن الجمهور على خلافه))^(٣).

وقال القرطبي : ((فقوله عز وجل : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ منسوخ كله عند جمهور العلماء ... إلا رواية شاذة مهجورة جاءت عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لم يتابع عليها))^(٤).

وقال القرطبي أيضاً بعد أن ذكر اعتراض القاضي ابن عطية على الإمام الطبري : ((قلت : ما ذكره الطبري عن مجاهد صحيح ثابت ...))^(٥).

وقال أبو حيان - بعد أن أورد الآية - : ((الجمهور على أنها منسوخة بالآية المتقدمة المنصوص فيها على عدة الوفاة أنها أربعة أشهر وعشر ، وقال مجاهد هي محكمة ...))^(٦) ثم ذيل أبو حيان بذكر استدراك ابن عطية على الإمام الطبري ، ولم يعقب على ذلك بشيء^(٧).

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن الصواب هو الذي قاله الإمام الطبري وأن استدراك ابن عطية غير وارد عليه ، وذلك لما يلي :

١- النص الذي جاء عن مجاهد يفهم منه صراحة عدم نسخ الآية وذلك أنه قال - بعد أن تلا آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر - كانت هذه للمعتدة تعدد عند أهل زوجها واجباً ذلك عليها فأنزل الله ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ وهنا

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام (ت : ٤٦٣هـ). انظر السير (١٨/١٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٩٨).

(٣) فتح الباري (٨/١٩٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٢٧).

(٥) المصدر السابق (٣/٢٢٧).

(٦) البحر المحيط (٢/٢٥٣) وقد صدر تفسير الآية بهذا ، ثم ذكر حكاية الطبري واعتراض ابن عطية وسكت على ذلك.

(٧) انظر البحر المحيط (٢/٢٥٣).

نفهم من قول الإمام مجاهد ((فأنزل)) أنه يرى عكس ما يراه الجمهور في زمن نزول الآيتين وترتيبهما ، وهذا يدل دلالة واضحة أن الآية غير منسوخة عنده : ثم قال بعد ذلك ((جعل الله لهم تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية)) ففهمنا من كلامه هذا أنه يقول : هناك آية متقدمة قد عينت أربعة أشهر وعشراً^١ يقين في بيوت أزواجهن وجوباً ، ثم نزلت هذه الآية فزادتهن تمام الحول سبعة أشهر وعشرين ليلة وذلك وصية من الزوج لها وهي بالخيار إن شاءت بقيت وإن شاءت خرجت .

ثم قال بعد ذلك : ((والعدة كما هي واجبة)) فهو يريد أن يقول : أيها السامع لا تفهم مني أنني أقول أن آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر منسوخة بهذه الآية ، وإنما أقول هذه الآية جاءت بشيء زائد على ما في تلك فأعمل بالآيتين ولا أقول إن شيئاً من ذلك منسوخ . هذا الذي أفهم من كلام مجاهد وهو واضح لا جدال فيه .

٢- العلماء فهموا من كلام مجاهد ما فهمه الإمام الطبري والنصوص التي نقلتها سابقاً تدل على ذلك، وكانت لهم محاولات في الترجيح أو الجمع ، أو نسبة القول إلى الشذوذ ، ولم يدع أحد منهم أن كلام مجاهد لا يفهم منه القول بعدم النسخ ، ولو كان لهم في ذلك مدخل لحرصوا عليه ولقالوا به ، ومن أولهم الإمام الطبري فإنه يرى في هذه المسألة رأي الجمهور ، ويرجحه على رأي مجاهد^(١) .

٣- قول مجاهد هذا ثابت في صحيح البخاري^(٢) ، وقال به أئمة كبار مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى^(٣) ، وتقدم أن ابن كثير قال عنه : ((وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له)). وقرره فخر الدين الرازي بأحسن تقرير وأثنى على القول به^(٤) .

٤- قول القاضي ابن عطية : ((يمكن أنه أراد ثم نسخ ذلك بعد بالميراث)) أقول هذا شيء لا نستطيع الوصول إليه إلا من خلال الرواية عن مجاهد ، ونص كلام مجاهد لا يحتمله لا من قريب ولا من بعيد ، وقد أحسن القاضي في عبارته لما قال : ((يمكن)) ولم يقل : أراد كذا .

(١) انظر تفسير الطبري (٢٥٩/٥) .

(٢) انظر صحيح البخاري (مع الفتح) (١٩٣/٨) ، كتاب التفسير ، باب ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ ح (٤٥٣١) .

(٣) نقله عنه تلميذه ابن كثير . انظر تفسيره (٢٩٨/١) .

(٤) انظر التفسير الكبير (١٣٥/٦) .

١٩- قال الإمام الطبري، - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله جل ذكره: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾)) ثم ذكر اختلاف أهل العلم في المعنى بهذه الآية من المطلقات، وأن منهم من قال عني بها الثيبات اللواتي قد جومعن ، وقال آخرون بل في هذه الآية دلالة على أن لكل مطلقة متعة ، ثم قال : ((وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآية ؛ لأن الله تعالى ذكره لما أنزل قوله: ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾^(١)) قال رجل من المسلمين : فإننا لا نفعل إن لم نرد أن نحسن ، فأنزل الله : ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ فوجب ذلك عليهم ذكر من قال ذلك^(٢)) ثم ساق بسنده إلى ابن وهب قال : قال ابن زيد^(٣) في قوله: ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾^(٤) فقال رجل : فإن أحسنت فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾^(٥).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - علي الإمام الطبري نسبة القول بالوجوب إلى ابن زيد فقال: ((وقال ابن زيد : هذه الآية نزلت مؤكدة لأمر المتعة ، لأنه نزل قبل ﴿حقاً على المحسنين﴾^(٦) فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتنع ، فنزلت : ﴿حقاً على المتقين﴾ فوجب ذلك عليهم . قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : هذا الإيجاب من تقويل الطبري ، لا من لفظ ابن زيد^(٧)).

هذا ما أورده الإمام الطبري في تفسيره ، واستدراك القاضي ابن عطية عليه . فماذا يفهم العلماء من رواية ابن زيد هذه؟

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٢) تفسير الطبري (٥/٢٦٢-٢٦٤) .

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، كان صاحب قرآن وتفسير (ت : ١٨٢هـ) . انظر السير (٨/٣٤٩) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٥) تفسير الطبري (٥/٢٦٤) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٧) * (١) وفي هذه العبارة القاسية أن يقول : هذا الإيجاب من فهم الطبري .

(٧) المحرر الوجيز (٢/٢٤٤-٢٤٥) .

قال الواحدي : ((قال ابن زيد : لما نزل قوله : ﴿ومتعوهن على الموسع قدره﴾ إلى قوله : ﴿حقاً على الحسنين﴾^(١) قال رجل من المسلمين : إن أحسنت فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله تعالى ﴿وللمطلقات﴾ إلى قوله : ﴿حقاً على الحسنين﴾ . يعني المتقين الشرك ، فبين أن لكل مطلقة متاعاً^(٢) .

وقال البغوي : ((وقيل : إنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ إلى قوله : ﴿حقاً على الحسنين﴾^(٣) قال رجل من المسلمين : إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل ، فقال الله تعالى : ﴿وللمطلقات متاع﴾ . جعل المتعة هن بلام التملك^(٤) .

وقال الألوسي : ((والتكرير للتأكيد والتصريح بما هو أظهر في الوجوب ... ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿متاعاً بالمعروف حقاً على الحسنين﴾^(٥) قال رجل : إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله تعالى هذه الآية ...^(٦) .

وقال ابن جزى - في قوله : ﴿حقاً على المتقين﴾ - : ((يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات ؛ لأن التقوى واجبة ، ولذلك قال بعضهم نزلت مؤكدة للمتعة ؛ لأنه نزل قبلها ﴿حقاً على الحسنين﴾^(٧) فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت ﴿حقاً على المتقين﴾^(٨) .

فالذي يظهر من كلام هؤلاء العلماء أنهم فهموا من الآية مع الرواية ما فهمه الإمام الطبري ، وهو وجوب المتعة وتأكيدها .

يبقى هل عبد الرحمن بن زيد قال بهذا الوجوب ؟ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٢) الوسيط (٣٥٤/١) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٤) معالم التنزيل (٢٢٣/١) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٦) روح المعاني (١٦٠/٢) .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (١٥٤/١) .

الجواب : ليس في كلام ابن زيد ذكر للوجوب ، وإنما فيه بيان سبب نزول قوله : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ ، وأما أنه صرح برأيه في المسألة فلا ، فيكون استدراك ابن عطية على الإمام الطبري وارداً في هذه المسألة ؛ لأنه ذكر ترجمة غالبها بلفظ الرواية التي جاءت عن ابن زيد ، وزاد في آخرها ((فرجب ذلك عليهم)) ثم قال : ((ذكر من قال ذلك)) ثم ساق ما قاله ابن زيد .
نعم يعتذر للإمام الطبري بأن الرواية التي ذكرت عن ابن زيد تفيد وجوب المتعة ، والظاهر أن ابن زيد لا يخالفها .

وفي ختام هذه المسألة أذكر أن المالكية لا يرون وجوب المتعة للمطلقة^(١) ، والإمام الطبري يرى أنها واجبة لكل مطلقة^(٢) .

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٢١٧/١) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٦٤/٥ ، ٢٦٥) .

٢٠- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ - : ((وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام ، والمراد بها خاص ، وإنما معناه : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ لأهل الكفر بالله ؛ لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن الآية مخرجها في نفي الشفاعة عام والمراد خاص فقال : ((وأخبر تعالى أن الشفاعة أيضاً معدومة في ذلك اليوم ، فحمل الطبري ذلك على عموم اللفظ وخصوص المعنى ، وأن المراد ولا شفاعة للكفار ، وهذا لا يحتاج إليه ، بل الشفاعة المعروفة في الدنيا ، وهي انتداب الشافع وتحكمه على كره المشفوع عنده مرتفعة يوم القيامة البتة وإنما توجد شفاعة ياذن الله تعالى فحقيقتها رحمة من الله تعالى لكنه شرف الذي أذن له في أن يشفع ، وإنما المعدوم مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة))^(٢).

إذاً الإمام الطبري يرى أن الآية لفظها العموم ومعناها الخصوص ، فالشفاعة المنفية هنا بالنسبة للكفار ، وأما الشفاعة للمؤمنين فهي مثبتة ، بينما يرى القاضي ابن عطية ، أن الآية تحمل على عمومها ، وأن الشفاعة المعروفة في هذه الحياة الدنيا لا يوجد منها شيء يوم القيامة ، وما جاء في النصوص من إثبات الشفاعة يوم القيامة إنما حقيقتها رحمة من الله تعالى وهي شرف للذي أذن له فيها .

هذا الذي فهمته من كلام الطبري وابن عطية رحمهما الله تعالى .

والآن نرى ما موقف علماء التفسير في هذه المسألة ؟

قال أبو الليث السمرقندي - في قوله : ﴿ ولا شفاعة ﴾ - ((للكافرين كما يكون في الدنيا))^(٣).

وقال الواحدي : وقوله : ﴿ ولا شفاعة ﴾ إنما نفى الشفاعة عاماً ؛ لأنه أراد الكافرين ، بأن هذه

الأشياء لا تنفعهم ، ألا ترى أنه قال : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾^(٤).

(١) تفسير الطبري (٣٨٣/٥ ، ٣٨٤).

(٢) المحرر الوجيز (٢٧٣/٢).

(٣) بحر العلوم (٢٢٢/١).

(٤) الوسيط (٣٦٤/١).

وقال الفخر الرازي : ((أوهم ذلك نفي الخلة والشفاعة مطلقاً ، فذكر تعالى عقيه ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ ليدل على أن ذلك النفي مختص بالكافرين))^(١).

وقال الخازن^(٢) : ((وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة ، وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاماً مخصوصاً))^(٣).

وقال أبو حيان : ((اللفظ عام ، والمراد الخصوص ، أي لا شفاعة للكفار ... وقيل: المراد العموم، والمعنى: أن انتداب الشافع وتحكمه على كره المشفوع عنده لا يكون يوم القيامة البتة ، وأما الشفاعة التي توجد بالإذن من الله تعالى فحقيقتها رحمة الله ، لكن شرف تعالى الذي أذن له في أن يشفع))^(٤).

فهؤلاء كلهم كما ترى يذهبون إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري في تفسير هذه اللفظة ﴿ولا شفاعة﴾ وكذلك غير هؤلاء^(٥).

أما قول القاضي ابن عطية فهناك - أيضاً - من قال به إلا أن أنصاره فيما يبدو لي أقل.

فأبو حيان أشار إليه كما رأيت فيما تقدم وجعله تالياً للقول الذي يراه الطبري ، وصدره بقيل. وأشار إليه ابن جزي بقوله : ((... ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله ، فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله))^(٦).

وكذلك ابن عاشور قال : ((والشفاعة المنفية هنا مراد بها الشفاعة التي لا يسع المشفوع إليه ردها، فلا يعارض ما ورد من شفاعة النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة ؛ لأن تلك كرامة أكرمها الله تعالى بها وأذن له فيها...))^(٧).

(١) التفسير الكبير (١٧٥/٦).

(٢) علي بن محمد بن إبراهيم من فقهاء الشافعية عالم بالتفسير والحديث (ت : ٧٤١هـ). انظر الأعلام (٥/٥).

(٣) تفسير الخازن (٢٦٧/١).

(٤) البحر المحيط (٢/٢٨٥).

(٥) انظر غرائب التفسير (١/٢٢٤) ، وتفسير النسفي (١/١٢٨) ، وزاد المسير (١/٣٠٢) ، وتفسير كتاب الله العزيز لسرد

ابن محكم (١/٢٣٨).

(٦) التسهيل (١/١٥٨).

(٧) التحرير والتنوير (٣/١٦) ، وأشار إليه أيضاً باختصار الثعالبي . انظر الجواهر الحسان (١/٢٤٢).

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة ، وقول ابن جرير أولى من قول القاضي لأسباب :

١- يبعد تصور ما نزل ابن عطية الآية على نفيه في جانب الله تعالى ، حتى يقال الآية على عمومها ، وهو المقصود بالنفي.

٢- إذا نظرت إلى حقيقة تفسير ابن عطية وجدته يؤول إلى أن - ﴿ولا شفاعة﴾ - عام مخصوص ، لأن ما ذكر أنه المنفي ما هو إلا بعض معاني الشفاعة التي توجد بين بني آدم^(١).

٣- تفسير الطبري يلمس فيه تقوية مذهب أهل السنة المثبتين للشفاعة في أصحاب الذنوب ، أما تفسير ابن عطية فهو وإن كان لا يتضمن نفي مذهب أهل الحق إلا أنه قد يلمس فيه ما يضعف ذلك ؛ لأنه يقول : حقيقة تلك الشفاعة ما هي إلا رحمة ، وتكريم ، وهذا ربما تأوله متأول ، على غير مقصد حسن . والله أعلم.

(١) انظر معاني الشفاعة في عمدة الحفاظ (٢/٣٢٠ ، ٣٢١).

٢١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ -: ((وأصل الكرسي العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب ((كُرَّاسَة))... ومنه يقال للعلماء ((الكراسي)) ؛ لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : ((أوتاد الأرض)) يعني بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض ومنه قول الشاعر^(١) :

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب

يعني بذلك علماء بخوادث الأمور ونوازلهما^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن الألفاظ التي ذكرها - على أن الكرسي بمعنى العلم - تعطي نقض ما ذهب إليه فقال : ((واختلف الناس في الكرسي الذي وصفه الله تعالى بأنه وسع السموات والأرض ، فقال ابن عباس : كرسية ، علمه^(٣) ، ورجحه الطبري ، وقال : منه الكراسية للصحائف التي تضم العلم ، ومنه قيل للعلماء الكراسي ؛ لأنهم المعتمد عليهم كما يقال : أوتاد الأرض ، وهذه الألفاظ تعطي نقض ما ذهب إليه من أن الكرسي العلم))^(٤).

بيان هذا الاستدراك أن ما حكاه الإمام الطبري من أدلة لترجيح ما اختاره من أن الكرسي ((العلم)) لا تفيد ذلك ، بل تناقضه .

فإذا رجعت إلى ما قاله علماء اللغة والتفسير نجد أن الزجاج قال : ((وقوله عز وجل: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ قيل فيه غير قول ، قال ابن عباس : كرسية علمه ، ويزوي عن عطاء أنه قال (ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة)^(٥) ، وهذا القول بين ، لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه ، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم ، عليه

(١) لم أظف على قائله ، والبيت في النكت والعيون (١/٢٢٥) ، وفي أساس البلاغة (٢/٣٠٣) ((كرسي)) ، والبحر (٢/٢٩٠) ، والدر المصون (٢/٥٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٥/٤٠٢).

(٣) سيأتي تخريج هذا الأثر والحكم عليه قريباً إن شاء الله تعالى.

(٤) المخرر الوجيز (٢/٢٧٧-٢٧٨) وقد رجح - رحمه الله - في آخر بحثه هذه المسألة أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش . وهذا هو الحق كما سيأتي بيانه إن شاء الله في آخر المسألة.

(٥) لم أظف عليه عن عطاء.

السموات والأرضون ، والكرسي في اللغة والكراسة إنما هو الشيء الذي ثبت ولزم بعضه بعضاً ، والكرسي ما تلبد بعضه على بعض في آذان الغنم ومعادن الإبل))^(١).

وفي تهذيب اللغة : ((... الكرسي كرس البناء وكرس الحوض حيث تقف النعم فيتلبد ، وكذلك يكرسُ أسُ البناء فيصلب ، وكذلك كرس الدمنة إذا تلبدت فلزقت بالأرض ... والكرسي ما تعرفه العرب من كراسي الملوك...))^(٢).

وقال ابن فارس : ((الكاف والراء والسين أصل صحيح يدل على تلبد شيء فوق شيء وتجمعه. فالكرسي: ما تلبد من الأبعاد والأبوال في الديار ، واشتقت الكراسة من هذا ؛ لأنها ورق بعضه فوق بعض...))^(٣).

وقال الراغب : ((الكرسي في تعارف العامة اسم لما يقعد عليه قال : ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ﴾^(٤) وهو في الأصل منسوب إلى الكرسي أي المتلبد أي المجتمع ، ومنه الكراسة للمتكرس من الأوراق ، وكروست البناء فتكرس ... والكرسي أصل الشيء يقال : هو قديم الكرسي ، وكل مجتمع من الشيء كرس ...))^(٥).

ونص صاحب القاموس أن من معاني الكرسي : السرير والعلم^(٦).

ونحو قول الطبري واستدلله فعل الماوردي في تفسيره^(٧) ، وكذلك الكرمانى^(٨).

وقال أبو حيان - بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى الكرسي - : ((وقيل الكرسي العلم ، لأن موضع العالم هو الكرسي ، سميت صفة الشيء باسم مكانه على سبيل الخجاز ، ومنه يقال للعلماء : كراسي ؛ لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : أوتاد الأرض ، ومنه الكراسة))^(٩).

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/٣٢٧-٣٢٨).

(٢) تهذيب اللغة (١٠/٥٢-٥٣) ((كرسي)).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/١٦٩) ((كرسي)).

(٤) سورة ص ، الآية : ٢٤ .

(٥) المفردات ص (٤٢٨).

(٦) انظر ترتيب القاموس المحيط (٤/٣٦) ((كرسي)).

(٧) انظر النكت والعيون (١/٣٢٥) والماوردي هو : علي بن محمد بن حبيب الفقيه القاضي ، أحد أئمة الشافعية (ت: ٤٥٠هـ).

(٨) انظر طبقات المفسرين للداودي (١/٤٢٧).

(٩) انظر غرائب التفسير (١/٢٢٥) ولم يرجح كما فعل الماوردي.

(٩) البحر (٢/٢٩٠).

وقال الرازي : ((القول الثالث : أن الكرسي هو العلم ؛ لأن العلم موضع العالم وهو الكرسي ، فسميت صفة الشيء باسم مكان ذلك الشيء على سبيل اجاز ؛ لأن العلم هو الأمر المعتمد عليه ، والكرسي هو الشيء الذي يعتمد عليه ، ومنه يقال للعلماء كراسي ، لأنهم الذين يعتمد عليهم كما يقال لهم أوتاد الأرض))^(١).

وإنما سقت من كتب التفاسير ما ينحو منحى رأي الإمام الطبري ، حتى نرى هل ألفاظ الطبري التي ذكرها تقوي ما ذهب إليه ، أم تناقضه ، وهذا موطن استدراك ابن عطية.

وبعد : فالذي يظهر لي والله أعلم أن ألفاظ الإمام الطبري لا تناقض ما ذهب إليه مجازاً ، فالكراسة حقيقتها أنها أوراق يضم بعضها إلى بعض وتوصف بأنها علم لاشتغالها في الغالب على علم مكتوب فيها وهذا مجاز . والعلماء اتصفوا بصفة العلم فهم علماء حقيقة ، ويقال لهم : كراسي مجازاً بجامع الاعتماد فالكرسي يعتمد عليه في الجلوس وهذا حقيقة ، والعالم أشبه الكرسي لاعتماد الناس على ما يحمله من علم فصح أن يطلق عليه كرسي.

يبقى الكرسي هل يقال له علم ؟ مجازاً نعم ؛ لأنه يعتمد عليه والعلم يعتمد عليه . هذا هو تعليل ما يؤخذ عن العرب من إطلاق الكرسي على العالم ، وإطلاق العلم على الكرسي.

لكن هذا لا يسلم للإمام الطبري أنه ظاهر القرآن ؛ لأنه قد جاء في الأخبار الصحيحة أن المقصود به في هذه الآية حقيقته ، فقد روى الحاكم^(٢) في المستدرک عن سعيد بن جبیر^(٣) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((الكرسي موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره))^(٤).

وقد جاء عن أبي موسى الأشعري^(٥) مثل هذه الرواية التي جاءت عن ابن عباس^(٦).

(١) التفسير الكبير (١٢/٧).

(٢) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم ، إمام ناقد حافظ علامة (ت : ٤٠٥ هـ) انظر السير (١٦٢/١٧).

(٣) سعيد بن جبیر بن هشام ، الإمام الحافظ المقرئ المفسر (ت : ٩٥ هـ) انظر السير (٣٢١/٤).

(٤) المستدرک (٣١٠/٢) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وواقفه الذهبي . وقال

الأزهري : هذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها . انظر تهذيب اللغة (٥٤/١٠) ((كرس)).

(٥) عبد الله بن قيس الصحابي ، قدم بعد فتح خيبر (ت : ٤٢ هـ) انظر الإصابة (١٩٤/٦).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص (٧٨) برقم (٦٠) وقال محقق كتاب العرش : صحيح . والطبري في تفسيره

(٣٩٨/٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٨/٢) . وقال الحافظ : رواه ابن المنذر بإسناد صحيح . انظر الفتح

وأما ما روي عن ابن عباس أن كرسيه علمه^(١) ، فأهل العلم بالأخبار لا يشتون ذلك .

نعم جاء عن ابن جبير أنه قال : كرسيه علمه^(٢) .

لكن الرواية الأخرى التي جاءت من طريق ابن جبير عن ابن عباس أن الكرسي موضع قدميه هي

المعتمدة لعدة أسباب :

١- جاء عن رسول الله ﷺ ما يشهد لصحتها ، فقد روى أبو ذر^(٣) رضي الله عنه عن رسول الله

ﷺ أنه قال : ((ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي

كفضل تلك الفلاة))^(٤) وهذا يدل على أن الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش ، وأنه جرم قائم

بنفسه ، وليس شيئاً معنوياً .

٢- قد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ما يوافق القول المشهور ، وهذا مما يضعف قوله هذا .

٣- هذه الرواية وإن صحح إسنادها الحافظ فقد قال الإمام القصاب^(٥) إنها وهم^(٦) .

٤- قول الصاحب إذا ثبت مقدم على قول التابعي .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٧/٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٤/٢-١٣٥) وقال: وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد بالكرسي المشهور المذكور مع العرش . وقال أبو منصور الأزهرى - بعد أن ذكر هذه الرواية - ليس مما يبته أهل المعرفة بالأخبار . انظر تهذيب اللغة (٥٤/١٠) ((كرس)). وطعن الحافظ القصاب في ثبوت هذه الرواية عن ابن عباس . انظر نكت القرآن (١٤٦/١) ، وكذلك الشيخ الألباني . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦/١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٩/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿إِن خِفْتُمْ فِرْجَالَ﴾ تعليقاً وقال الحافظ : وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح . انظر الفتح (١٩٩/٨).

(٣) حنبل بن حنادة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ (ت : ٥٣٢هـ) . انظر السير (٤٦/٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص (٧٧) برقم (٥٨) ، والطبري في تفسيره (٣٩٩/٥) وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٥٨٧/٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٨/٢-١٤٩) قال الشيخ الألباني - بعد أن أورد طرق هذا الحديث- : ((وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح وخيرها الطريق الأخير)) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦/١) ويعني الشيخ بالطريق الأخير رواية الإمام الطبري .

(٥) محمد بن علي بن محمد أبو أحمد الكرجي القصاب ، إمام حافظ محدث ناقد فقيه ، (ت : في حدود ٣٦٠هـ) . انظر سير أعلام النبلاء (٢١٣/١٦) وقسم التحقيق من رسالتي الماجستير ((نكت القرآن الدالة على البيان)) للإمام القصاب ص (٢٨).

(٦) انظر كتابه ((نكت القرآن الدالة على البيان)) (١٤٩/١).

بقي أن تعلم أن اختيار الإمام الطبري في هذه المسألة ليس واضحاً فإنه تارة يقول : ((غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر ... أتت امرأة النبي ﷺ فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال إن كرسيه وسع السموات والأرض وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع...))^(١).

وتارة يقول : ((وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس ... أنه قال: هو علمه))^(٢) ولم يصرح باختياره.

(١) انظر تفسيره (٣٩٩/٥ ، ٤٠٠) . وهذا الخبر أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٥١/١-٢٥٢) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص(١٠٦) ، والدارقطني في كتاب النزول ص (٤٨-٤٩) ، والضياء في المختارة (٢٦٣/١) وما بعدها . وجملة القول في هذا الحديث أنه لا يثبت عن رسول الله ﷺ . انظر كلام ابن خزيمة عليه في كتاب التوحيد ص (١٠٦) ، وابن كثير في تفسيره (٣١١/١) ، والألباني في الضعيفة (٢٥٧/٢) ، وأحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (٤٠٠/٥).

(٢) انظر تفسيره (٤٠١/٥).

٢٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((واختلف أهل البحث^(١)) في معنى قوله: ﴿هو العلي﴾ فقال بعضهم : يعني بذلك وهو العلي عن النظر والأشباه ، وأنكروا أن يكون معنى ذلك ((وهو العلي المكان)) وقالوا : غير جائز أن يخلو منه مكان ، ولا معنى لوصفه بعلو المكان ؛ لأن ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان . وقال آخرون : معنى ذلك : وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه ؛ لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه ، وخلقه دونه ، كما وصف به نفسه أنه على العرش ، فهو عال بذلك عليهم))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري حكاية القول الثاني فقال: ((والعلي: يراد به علو القدر والمنزلة ، لا علو المكان ؛ لأن الله منزّه عن التحيز^(٣) . وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه . قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه : وهذا قول جهلة مجسمين ، وكان الوجه أن لا يُحكى))^(٤).

والآن نرى ماذا قال العلماء في هذه المسألة.

أورد السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ قال: ((يريد لا أعلى منه ، ولا أعز ، ولا أجل ، ولا أكرم))^(٥).

وعن الحسن البصري أنه قال - في قوله تعالى: ﴿وهو العلي﴾ -: ((لا شيء أعلى منه))^(٦).

وقال أبو الليث في معنى ﴿العلي﴾ الرفيع تعالى فوق خلقه^(٧) . وكذلك قال البغوي^(٨).

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((واسمه ((العلي)) يفسر بهذين المعنيين: يفسر بأنه أعلى من غيره قدراً فهو أحق بصفات الكمال ، ويفسر بأنه العلي عليهم بالقهر والغلبة فيعود

(١) قال محمود شاكر : يعني بذلك أهل النظر من المتكلمين . انظر تفسير الطبري (٢٨٧/٥) حاشية رقم (٢).

(٢) تفسير الطبري (٤٠٦/٥).

(٣) التحيز من الألفاظ المجملة فقد يراد بذلك نفي صفة العلو ، وقد يراد بذلك نفي أن يحيط به شيء . وانظر ما قال شيخ

الإسلام على هذا اللفظ ، وما ينبغي على من أورد عليه في مجموع الفتاوى (٢٩٨/٥) وما بعدها.

(٤) المحرر الوجيز (٢٧٩/٢).

(٥) انظر الدر المنثور (٣٢٩/١) ، ونسب إخراج هذا الأثر إلى الطبراني في السنة.

(٦) انظر تفسير كتاب الله العزيز (٢٣٩/١).

(٧) انظر بحر العلوم (٢٢٤/١).

(٨) انظر معالم التنزيل (٢٤٠/١) وقد أشار إلى القول الآخر.

إلى أنه القادر عليهم وهم المقدررون ... وكلاهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء ، فلا شيء فوقه ، كما قال النبي ﷺ : ((أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء))^(١) فلا يكون شيء قبله ، ولا بعده ، ولا فوقه...^(٢).

وقال ابن كثير : فقوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ كقوله: ((وهو الكبير المتعال))^(٣) وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمرؤها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه^(٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي^(٥) - في قوله: ﴿وهو العلي﴾ - : ((بذاته ، على جميع مخلوقاته ، وهو العلي بعظمة صفاته ، وهو العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات خضعت له الصعاب ، وذلت له الرقاب))^(٦).

فهؤلاء تفسرهم على أن العلو حقيقة ، صفة من صفات الله تعالى .
وهناك فريق آخر من علماء التفسير يرى ما يراه ابن عطية ، فهذا الواحدي يقول: ((فمعنى العلو في وصف الله تعالى : اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح))^(٧).

وقال الماوردي : ((في ﴿العلي﴾ تأويلان ، أحدهما : العلي بالاقتدار ونفوذ السلطان . والثاني: العلي عن الأشباه والأمثال))^(٨).

وقال الفخر الرازي : ((واعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد بالعلو بالجهة))^(٩).

(١) هذا قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم كاملاً في صحيحه من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ . صحيح مسلم (٢٠٨٤/٤) ، كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ح(٢٧١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٨/١٦).

(٣) لم أقف على آية بهذا النص ، ولعله يقصد الآية التي في سورة الرعد ونصها ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ الآية: ٩.

(٤) تفسير ابن كثير (٣١١/١).

(٥) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المفسر العلامة (ت : ١٣٧٦هـ) انظر الأعلام (٣٤٠/٣).

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٢٠٣/١).

(٧) الوسيط (٣٦٩/١).

(٨) النكت والعيون (٣٢٦/١).

(٩) التفسير الكبير (١٢/٧).

وقال بهذا القول غير هؤلاء ، مما لا طائل بنقل كلامهم ؛ لأنه بمعنى ما قد سمعت^(١).

وبعد فإنني ذاكر أشياء حول هذه المسألة تتلخص فيما يلي:

١- الذي يظهر أن هذا القول الذي اعترض ابن عطية على حكايته ليس قول المجسمة المشبهة ، ولكنه قول أهل الحق المثبتين لصفات الله تعالى ؛ لأن الإمام الطبري حكى عنهم أنهم قالوا: ((لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه ، وخلقه دونه كما وصف به نفسه أنه على العرش فهو عال بذلك عليهم)) وهذا قول أهل السنة رحمهم الله تعالى. ومما يدل على أنه قول أهل الحق أن الإمام الطبري قد جعل قولهم هذا في مقابل قول أهل الباطل نفاة الصفات. وإنما الخلاف قائم بين الفريقين ، أما المشبهة الذين يشبهون صفات الله تعالى بصفات المخلوقين فقولهم ظاهر البطلان كفرهم به أئمة الإسلام ، ولا يمكن أن يحكيه الإمام الطبري ويسكت عليه هكذا.

٢- إذا كان هذا القول الذي حكاه الإمام الطبري واعترض عليه القاضي قول من قد ذكرنا ، فهل الصواب مع الطبري في حكايته أم مع ابن عطية في قوله : ((وهذا قول جهلة مجسمين وكان الوجه أن لا يحكى))؟.

الجواب: يتولاه الإمام الشوكاني^(٢) حيث قال - بعد أن ذكر اعتراض ابن عطية على الإمام الطبري: ((والخلاف في إثبات الجهة معروف في السلف والخلف ، والنزاع فيه كائن بينهم ، والأدلة من الكتاب والسنة معروفة ، ولكن الناشئ على مذهب يرى غيره خارجاً عن الشرع ولا يتنظر في أدلته ، ولا يلتفت إليها ، والكتاب والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل ، ويتبين به الصحيح من الفاسد ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض﴾^(٣))).^(٤)

(١) انظر الكشاف (٣٨٦/١) ، وتفسير البيضاوي (١٣٤/١) ، وتفسير النسفي (١٢٨/١) ، والجواهر الحسان (٢٤٤/١) ، والتحرير والتنوير (٢٤/٣).

(٢) محمد بن علي الشوكاني اليمني الإمام العلامة (ت: ١٢٥٥هـ) انظر البدر الطالع (٢١٤/٢).

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١.

(٤) فتح القدير (٢٧٢/١).

٣- لفظ المكان الذي جاء في نقل الإمام الطبري على لسان المثبتين لصفة العلو ، من الألفاظ المجملة التي قد يراد بها حق ، ويراد بها باطل ، وأهل الحق إن وقعت في كلامهم فمرادهم بها ^{حق} ^{بأشئ} وهو (أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه ^{بأشئ} بالعلم من خلقه) (١).

٤- الذين يشنعون على أهل السنة في هذا الباب ، قصارى ما يقولون : إن الله تعالى كان ولا مكان ، ثم خلق المكان وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان . فنقول له : ماذا تعني بالمكان الذي كان الله ولم يكن ؟ هل تعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم ؟ فهذه أمكنة حادثة ونحن لا نقول بوجود الله في شيء منها إذ لا يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته . وأما إذا أراد بها المكان العدمي فهذا لا يقال إنه لم يكن ثم خلق ؛ إذ لا يتعلق به الخلق فإنه أمر عدمي ، فإذا قيل إن الله في مكان بهذا المعنى كما دلت عليه الآيات والأحاديث فأبي محذور في هذا (٢).

(١) انظر منهاج السنة (٢/١٤٤-١٤٥) ، ودرء تعارض العقل والنقل (٦/٢٤٩) فقد فصل في مسألة المكان نفيًا وإثباتًا بما لا تظفر به عند غيره.

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص(٨٩-٩٠). ومضمون كلامه مقدر في كتب شيخ الإسلام. انظر مجموع الفتاوى (٦/٣٩) ، ومنهاج السنة (٢/٣٤٩) . وصفة العلو أثبتها أهل السنة على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل . وظلت فيها المعتزلة وتابعيم الأشاعرة وابن عطية منهم . وإن أردت مزيد بيان في هذه المسألة فانظر كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ص(١١٢) ، والحجة في بيان المحجة (٢/٨٢) ، والعلو للعلي الغفار ص(٨٣) وما قبلها وما بعدها ، ومختصر الصواعق (٢/٣٢٠) ، وإثبات صفة العلو ص(٤١) وما بعدها.

٢٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ - : ((اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار... كان لهم أولاد قد هودوهم ، أو نصرّوهم ، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام...))^(١) ثم ذكر من قال ذلك بالأسانيد . ثم قال : ((وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يكره أهل الكتاب على الدين إذا بذلوا الجزية، ولكنهم يقرون على دينهم ، وقالوا : الآية في خاص من الكفار ، ولم ينسخ منها شيء))^(٢) ثم ذكر من قال ذلك بالأسانيد . ثم قال : ((وقال آخرون : هذه الآية منسوخة ، وإنما نزلت قبل أن يفرض القتال ذكر من قال ذلك))^(٣) ثم أورد من قال ذلك بالأسانيد .

ونسب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - القول بالنسخ إلى الإمام الطبري ثم استدرك ذلك عليه فقال - بعد أن أورد القول الثالث - : ((قال الطبري والآية منسوخة في هذا القول ، قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : ويلزم على هذا أن الآية مكية ، وأنها من آيات المواعدة التي نسختها آية السيف))^(٤).

أقول : نسبة القول إلى الإمام الطبري أن الآية منسوخة ليس كذلك ، من خلال النسخ التي بين يدي من تفسير الإمام الطبري^(٥) ، وإنما فيه أنه ذكر الأقوال في معنى الآية ومن بينها ما تقدم : ((وقال آخرون هذه الآية منسوخة...)) وهذا حكاية لقول من يرى هذا ، ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الإمام الطبري لا يرى هذا القول ، ويرجح عليه غيره فهو يقول : ((وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس ، وقال : عني بقوله تعالى ذكره: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ أهل الكتابين والجوس ، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق ، وأخذ الجزية منه ، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخاً . وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لما قد دللنا عليه في كتابنا ((كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام)) من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفى

(١) تفسير الطبري (٤٠٧/٥).

(٢) المصدر نفسه (٤١٢/٥).

(٣) المصدر نفسه (٤١٤/٥).

(٤) آخر الوجيز (٢٨٠/٢-٢٨١).

(٥) منها نسخة دار المعارف بمصر تحقيق أحمد ومحمود ابني محمد شاكر ، والأميرية بيولاق ، وطبعة دار الكتب العلمية.

حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما ، فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي ، وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير مستحيل أن يقال : لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه ، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب ، والمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم ، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل ، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم ، كان بيناً بذلك أن معنى قوله : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام . ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالإذن بالمخاربة ... فتأويل الكلام إذاً : قد وضع الحق من الباطل ، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه ، فتميز من الضلالة والغواية ، فلا تكررهم من أهل الكتابين ومن أبحث لكم أخذ الجزية منه [أحدًا] على دينكم دين الحق ، فإن من حاد عن الرشاد بعد استباته له ، فإلى ربه أمره ، وهو ولي عقوبته في معاده^(١).

تين من سياق كلام الإمام الطبري أن الآية عنده لفظها العموم ومعناها الخصوص ، وأنها بمعزل من

النسخ بآية المخاربة.

٢٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((واختلف أهل التأويل في القرية التي مر عليها القائل: ﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ فقال بعضهم: هي بيت المقدس... وقال آخرون: بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا. ذكر من قال ذلك : حدثني يونس^(١) ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد- في قول الله تعالى ذكره- : ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾^(٢) قال قرية كان نزل بها الطاعون، ثم اقتص قصتهم التي ذكرناها في موضعها عنه ، إلى أن بلغ ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ في المكان الذي ذهبوا يتغنون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾^(٣) قال : ومر بها رجل وهي عظام تلوح ، فوقف ينظر فقال: ﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾ إلى قوله : ﴿لم يتسنه﴾^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري في وضع هذه الترجمة (بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت...) عنواناً لهذا القول فقال: ((وقال ابن زيد : إن القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا مر عليهم رجل وهم عظام تلوح ، فوقف ينظر ، فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام، وترجم الطبري على هذا القصص بأنه قول بأن القرية التي مر عليها هي التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم . قال القاضي أبو محمد : وقول ابن زيد لا يلئم الترجمة ؛ لأن الإشارة بهذه على مقتضى الترجمة هي إلى المكان ، وعلى نفس القول هي إلى العظام والأجساد...))^(٥).

تبين لنا من سياق كلام الإمامين أن أحدهما يفهم من كلام عبد الرحمن بن زيد أنه يقصد المكان، والآخر لا يفهم منه إلا أنه أراد العظام والأول هو الذي فهمه الإمام الطبري ، والثاني هو الذي فهمه القاضي ابن عطية.

(١) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الإمام الحافظ (ت : ٢٦٤هـ) انظر السير (١٢/٣٤٨).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣ .

(٤) تفسير الطبري (٥/٤٤٢-٤٤٤).

(٥) المحرر الوجيز (٢/٢٩٠-٢٩١).

وليس لنا في هذه المسألة إلا أن نرجع إلى النص الذي نقله الطبري عن عبد الرحمن بن زيد وندقق فيه النظر عسى أن نهتدي إلى الصواب نسأل الله أن يهدينا إليه.

فعند الرجوع إلى النص وجدنا عبد الرحمن بن زيد يقول عند قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾^(١): ((قرية كان نزل بها الطاعون فخرجت طائفة منهم وقامت طائفة ، فأخ الطاعون بالطائفة التي أقامت ، والتي خرجت لم يصبهم شيء ، ثم ارتفع ثم نزل العام القابل ، فخرجت طائفة أكثر من التي خرجت أولاً فاستمر الطاعون بالطائفة التي أقامت ، فلما كان العام الثالث نزل فخرجوا بأجمعهم وتركوا ديارهم ، فقال الله تعالى ذكره: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾^(٢) ليست الفرقة أخرجتهم ، كما يخرج للحرب والقتال ، قلوبهم مؤتلفة ، إنما خرجوا فراراً . فلما كانوا حيث ذهبوا يتغون الحياة ، قال لهم الله موتوا في المكان الذي ذهبوا يتغون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾^(٣) قال: وممر بها رجل وهي عظام تلوح فوقف ينظر فقال: ﴿ أنى يحيى هذه الله بعد موتها ﴾ فأماته الله مائة عام))^(٤).

هذا النص الذي أمامنا تقدم في أوله ذكر القرية التي خرجوا منها حذر الموت ، وجاء بعده ذكر المكان الذي خرجوا إليه يتغون فيه الحياة فماتوا فيه ، ثم يأتي بعد ذلك قوله: ((قال وممر بها رجل وهي عظام تلوح)) وهنا عند النص الأخير نقف فهل قوله: ((وممر بها رجل)) يرجع إلى القرية المفهومة من السياق أنهم خرجوا إليها ، وهذا بعيد لأنه قال: ((فلما كانوا حيث ذهبوا يتغون الحياة قال لهم الله موتوا)) وهذا أعم من أن يكون قرية ، أو غيرها فيبقى مكاناً ولو أراد إرجاع الضمير إليه لقال: ((وممر به رجل)) إذاً إرجاع الضمير إلى ما قد يفهم أنه قرية لا يصلح وهو بعيد.

فهل يمكن أن يرجع الضمير إلى القرية المتقدمة في النص وهي قوله: ((قرية كان نزل بها الطاعون)) وهذا لا يصلح لأن نص الكلام يدل أنهم قد تركوا تلك القرية وانتقلوا إلى مكان آخر فأماتهم الله فيه.

(١) ، (٢) ، (٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣ .

(٤) تفسير الطبري (٥/٢٧٣ ، ٢٧٤) . وما نقل في أول هذه المسألة اختصره الطبري من هذا .

بقي هل يمكن أن يرجع الضمير في قوله: ((فمر بها رجل)) إلى الأجساد باعتبار ما كان؟. الظاهر نعم ويرشح ذلك ما جاء بعد من قوله: ((فإذا هي عظام تلوح)) أي فإذا هذه الأجساد عظام تلوح. ويقوي هذا أيضاً أن العلماء قد نقلوا عن عبد الرحمن بن زيد أنه فسر قوله تعالى: ﴿أني يحيي هذه الله بعد موتها﴾ أي أني يحيي الله هذه العظام بعد موتها^(١)، فأعاد الضمير في قوله: ﴿هذه﴾ إلى العظام لا إلى القرية، فتبين بهذا أن استدراك ابن عطية هو كما قال والله أعلم.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٨٩/٣). وذكر هذا القول غير القرطبي على أنه مما يمكن أن يرجع إليه الضمير في قوله ((هذه)) من غير تعيين القائل به. انظر البحر المحيط (٣٠٣/٢)، والدر المصون (٥٦٠/٢)، والفتوحات الإلهية (٢١٢/١).

٢٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله ﴿ فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ فلما تبين له ﴾ فلما اتضح له عياناً ما كان مستكراً من قدرة الله وعظمته ، عنده قبل عيانه ذلك ﴿ قال أعلم ﴾ الآن بعد المعاينة والإيضاح والبيان ﴿ أن الله على كل شيء قدير ﴾))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير الآية فقال: ((وقال الطبري المعنى في قوله: ﴿ فلما تبين له ﴾ أي لما اتضح له عياناً ما كان مستكراً في قدرة الله عنده قبل عيانه ، ﴿ قال أعلم ﴾ . قال القاضي أبو محمد : وهذا خطأ ؛ لأنه ألزم ما لا يقتضيه اللفظ ، وفسر على القول الشاذ والاحتمال الضعيف . وقرأ ابن كثير ونافع^(٢) وأبو عمرو وعاصم^(٣) وابن عامر ﴿ أعلم أن ﴾ مقطوعة الألف مضمومة الميم ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ قال اعلم أن الله ﴾ موصولة الألف ساكنة الميم ... وقرأ عبد الله بن مسعود^(٤) والأعمش^(٥) ((قيل اعلم)) فأما هذه فيينة المعنى ، أي قال الملك له ، والأولى بينة المعنى ، أي: قال هو أنا أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وهذا عندي ليس بإقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبري ، بل هو قول بعته الاعتبار كما يقول الإنسان المؤمن إذا رأى شيئاً غريباً من قدرة الله : الله لا إله إلا هو ونحو هذا ، وقال أبو علي^(٦) : معناه أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته ، قال القاضي ... يعني علم المعاينة ، وأما قراءة حمزة والكسائي فتحتمل وجهين: أحدهما : قال الملك له اعلم . والآخر : أن ينزل نفسه منزلة المخاطب الأجنبي المنفصل ، فالمعنى فلما تبين له قال لنفسه : اعلم))^(٧).

تبين مما تقدم أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري هو كيف يفسر قوله تعالى: ﴿ فلما تبين له ﴾ على قول من قال: إن سؤاله عن الإحياء كان سؤال المنكر لقدرة الله.

(١) تفسير الطبري (٤٨١/٥).

(٢) نافع بن أبي نعيم ، الإمام حيز القرآن (ت : ١٦٩هـ) . انظر السير (٣٣٦/٧).

(٣) عاصم بن أبي النجور، الإمام الكبير المقرئ (ت : ١٢٧هـ) . انظر السير (٢٥٦/٥).

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل ، الإمام الحبر فقيه الأمة (ت : ٣٢هـ) . انظر السير (٤٦١/١).

(٥) سليمان بن مهران ، شيخ المقرئين والمحدثين (ت : ٤٨هـ) . انظر السير (٢٢٦/٦).

(٦) هو الفارسي صاحب الحجة.

(٧) المحرر الوجيز (٢/٢٩٩-٣٠٠) . وقد آثرت نقل كل هذا ليتبين لنا رأي ابن عطية.

وللوصول إلى معرفة الحق في هذا الاستدراك لا بد من بحث قوله تعالى: ﴿ قال أنى يجيبى هذه الله بعد موتها ﴾ فهو الأساس الذي بنى عليه الإمام الطبري ما قال في قوله: ﴿ فلما تبين له ﴾ وهذا الموضع من الآية محل خلاف بين أهل التفسير.

١- فأكثر المفسرين وجهورهم - حسب ما اطلعت عليه^(١) - على أن هذا السؤال لم يكن إنكاراً لقدرة الله وشكاً فيها ، بل كان ذلك استعظماً لقدرة الخبي واعتزافاً بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء. واستدل هؤلاء بأدلة بعضها من الآية نفسها وبعضها من خارج الآية ؛ فأما التي من الآية فقوله: ﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ فأخبر عن نفسه بما يدفع أن يكون شاكاً في قدرة الله. والمعنى: علمت بالمعينة ما كنت أعلمه قبل ذلك غيباً^(٢).

وعلى قراءة من قرأ على لفظ الأمر فهي دالة أيضاً أنه لم يكن شاكاً . فلربما ^{يكون} يخطر له خاطر من وساوس الشيطان فدفعه عن نفسه بأن قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير وهذا على طريقة التجريد حيث نزل نفسه منزلة الأجنبي فخطبها بهذا^(٣).

ثم إن الإمامة والإحياء معجزة من المعجزات حسبما نطقت به الآية ويعد أن يجعل مثل هذا في كافر يكذب بقدرة الله على البعث^(٤).

وأما ما يدل - من خارج الآية - على أنه لم يكن شاكاً فما ذكره بعض المفسرين من أن هذا السائل لم يكن إنساناً عادياً ، بل كان نبياً من المصطفين الأخيار^(٥).

(١) انظر بحر العلوم (٢٢٦/١) ، والوسيط (٣٧٤/١) ، ومعالم التنزيل (٢٤٣/١) ، وزاد المسير (٣٠٩/١) ، وغرائب التفسير (٢٢٧/١) ، والتفسير الكبير (٢٦/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٩/٣) ، وتفسير النسفي (١٣١/١) ، وتفسير الخازن (٢٧٧/١) ، والجواهر الحسان (٢٤٨/١) ، وتفسير ابن كثير (٣١٥/١) ، وتفسير أبي السعود (٢٥٢/١) ، وروح المعاني (٢٠/٣) . وقد نسب الرازي القول بكفر السائل إلى مجاهد وأكثر مفسري المعتزلة . ثم قال: والباقون على أنه كان مسلماً . انظر الموضع المتقدم من التفسير الكبير.

(٢) انظر بحر العلوم (٢٢٧/١).

(٣) انظر الحجة للقراء السبعة (٢٨٣/٢) مع شيء من التصرف في فهم الدليل وعرضه.

(٤) انظر وضع البرهان (٢٢٣/١) مع شيء من التصرف في فهم الدليل وعرضه.

(٥) انظر على سبيل المثال تفسير الطبري (٤٤٧/٥-٤٥٤) ، وبحر العلوم (٢٢٦/١) ، وزاد المسير (٣٠٩/١) ، والدر المنثور (٣٣١/١).

٢- وذهب بعض المفسرين - ومنهم الطبري^(١) - إلى أن سؤاله كان على جهة الشك في قدرة الله والرجل كان كافراً شاكاً في البعث^(٢) ، وأدلتهم على ذلك أن قالوا :

(١) أن الله حكى عنه أنه قال : ﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ وهذا كلام من يستبعد من الله الإحياء بعد الإماتة وذلك كفر^(٣).

(٢) أن الله تعالى قال في حقه: ﴿فلما تبين له﴾ وهذا يدل على أنه قبل ذلك لم يكن ذلك التبين حاصلًا له ، وهذا شك^(٤).

(٣) وما يدل على كفره أن الله تعالى نظمه مع الذي كفر وادعى أنه يحيى ويميت وهذا دال على كفره^(٥).

(٤) قراءة ﴿اعلم﴾ بالأمر تدل على أنه لم يكن عالماً أن الله على كل شيء قدير وهذا كفر.

هذا قول الفريقين وأقوى أدلتهم التي رأيتها في كتب التفسير ، أو يمكن أن يستدل لهم بها. والراجح والله أعلم القول الأول وأنه لم يكن كافراً ولا شاكاً ، بل قال ذلك اعترافاً بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء ، واستعظاماً لقدرة المحيي . ويتزجج ذلك بعدة أشياء:

١- أنه قول أكثر المفسرين فيما رأيت.

٢- ظاهر القرآن يدل على أن الله كلمه مبيناً له أن الأمر الذي كان يستعظمه هو يسير سهل على الله تعالى ، وهذا كلام تعليم وتكريم ، لا توبيخ وتأنيب ، وهذا دال على أن الرجل مؤمن ، موحد، بل يدل هذا على أنه كان نبياً مختاراً.

(١) هو المفهوم من كلامه وإن لم يصرح بكفره عند هذا الجزء من الآية . انظر تفسيره (٤٤٦/٥ ، ٤٤٧).

(٢) تقدم أن الرازي قال : هو قول مجاهد وأكثر المفسرين من المعتزلة . انظر التفسير الكبير (٢٦/٧) . وانظر الكشاف

(٣٨٩/١) فقد فسّر الآية على أنه كافر ودافع عن ذلك . وكذلك فعل الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره

(٢٠٨/١).

(٣) انظر التفسير الكبير (٢٦/٧).

(٤) انظر التفسير الكبير (٢٩/٧) ، وانظر تيسير الكريم الرحمن (٢٠٨/١).

(٥) انظر الكشاف (٣٨٩/١).

٣- الأصل في الاستفهام أن يكون عما يجمله الإنسان فيسأل مسترشداً متعلماً ، وقد يخرج الاستفهام إلى الجحد والإنكار لقرينة تدل عليه ، وهنا لا يوجد قرينة تسلم من الاعتراض فنرجع إلى الأصل.

رضي الله عنه

٤- ثبت عن علي بن أبي طالب أن السائل كان نبياً ، فقد أخرج الحاكم بسنده عن علي رضي الله عنه قال : ((خرج عزيز نبي الله من مدينته ، وهو رجل شاب فمر على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، فأول ما خلق عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينظم بعضها إلى بعض ثم كسيت لحماً ، ونفخ فيه الروح ، وهو رجل شاب فقيل له: كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام . قال : فأتى بالمدينة^(١) وقد ترك جاراً له إسكافاً^(٢) شاباً فجاء وهو شيخ كبير))^(٣).

والأدلة التي ذكرها من زعم أنه كافر شك يرد عليها بما يلي:

١- قولهم : إن الله حكى عنه أنه قال : ﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ وهذا كلام من يستبعد من الله الإحياء ... إلخ. يقال: ليس كل من سأل عن شيء يحمل سؤاله على التكذيب والإنكار ، فلعل سؤاله عن كيفية الإحياء حتى يصل من اليقين إلى عين اليقين بدليل أن الله قال له: ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ﴾.

٢- قولهم : إن الله قال في حقه: ﴿ فلما تبين له ﴾ وهذا يدل على أنه قبل ذلك لم يكن ذلك التبين حاصلًا له ، وهذا شك .

الجواب عن هذا أن يقال: نعم تبين الإحياء على سبيل المشاهدة ما كان حاصلًا له قبل ذلك، فأما أن يحمل التبين على سبيل الاستدلال الذي لم يكن حاصلًا من قبل فممنوع^(٤).

(١) ((بالمدينة)) كذا في نسخة المستدرك التي بين يدي . وفي الدر المنثور (٣٣١/١) نقلاً عن المستدرك وغيره ((فأتى مدينته وقد ترك)).

(٢) الإسكاف : الخراز وصانع الأحذية . انظر المعجم الوسيط (٤٥٦/١) ((سكف)).

(٣) المستدرك على الصحيحين (٣١٠/٢) ، كتاب التفسير . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورافقه الذهبي . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٣١/١) ونسب إخراجهم إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي .

(٤) انظر التفسير الكبير (٢٦/٧).

٣- وأما قولكم : مما يدل على كفره أن الله نظم مع الذي كفر وادعى أنه يحيى الموتى ، وهذا دال على كفره . يقال : هذا معارض بضده فقد نظمت قصته مع قصة إبراهيم عليه السلام في نسق واحد ، فليس الاستدلال على كفره باقتزان قصته مع قصة ثمود^(١) أولى من الاستدلال على إيمانه بانتظامها أيضاً مع قصة إبراهيم .

٤- وأما قولكم : إن قراءة ﴿اعلم﴾ بالأمر تدل على أنه لم يكن عالماً أن الله على كل شيء قدير وهذا كفر . يقال : سياق الآية يدل على أن المقصود اعلم ذلك الضرب من العلم وهو علم المشاهدة والكيفية ، لا على ما قلتم أنه لم يكن عالماً أن الله على كل شيء قدير ، وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾^(٢) فهل يفهم منه أنه لم يكن متقياً؟! .

وبهذا يتبين أن قول الإمام الطبري ومن معه قول ضعيف مرجوح ، فيكون استدراك القاضي ابن عطية وارداً على الإمام الطبري .

(١) يقال هو : ثمود بن كوش بن كنعان . كافر محرق . انظر تاريخ الطبري (١/١٧٢) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ١ .

٢٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال أبو جعفر: ... واختلف أهل التأويل في سبب مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، فقال بعضهم : كانت مسألته ذلك ربه أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطيور فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها ... ليرى ذلك عياناً فيزداد يقيناً برؤيته ذلك عياناً إلى علمه به خيراً... وقال آخرون : بل كان سبب مسألته ربه ذلك، المناظرة والحاجة التي جرت بينه وبين عمروذ في ذلك ... وقال آخرون : بل كانت مسألته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذ خليلاً ، فسأل ربه أن يريه عاجلاً من العلامة له على ذلك ، ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلاً ، ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيداً ... وقال آخرون : قال ذلك لربه ؛ لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى ، ذكر من قال ذلك))^(١) ثم ساق بسنده إلى ابن عباس أنه قال : ((ما في القرآن آية أرجى عندي منها))^(٢).

وساق أثراً آخر عن ابن جريج^(٣) قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال : ((دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى﴾ قال : ﴿فخذ أربعة من الطير ليريه﴾^(٤).

(١) تفسير الطبري (٤٨٥/٥-٤٨٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٨٩/٥) من طريق معمر عن أيوب قال قال ابن عباس . وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١٠٦/١) عن معمر عن قتادة قال قال ابن عباس . وهو في المستدرک (١٢٨/١) بغير هذا اللفظ من طريق

أخرى إلى ابن عباس وصححه الحاكم وتعقبه النهي فقال فيه انقطاع . وقال الحافظ - بعد أن أورد هذه الطرق - : ﴿ ولم يسن الطبري وجه الرها وهم قول ابن عباس ، ولكن كدروا هذه ، هذه طرق يشد بعضها بعضاً . انظر الفتح (٤١١/٦) . يدرك على زنه يفهم منه أن إبراهيم قد دخل قلبه شيء من الشرك ولم يدخل ذلك بمرسنة إيمانه وشيوعته . والصواب في وجه الرها وإسناده إلى عمر طبعه ذكره في كدوم ابن عظيم . (٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الإمام الحافظ شيخ الحرم (ت : ١٥٠هـ) انظر السير (٢٢٥/٦) .

(٤) انظر تفسير الطبري (٤٩٠/٥) فقد أخرجه من طريق حجاج عن ابن جريج عن عطاء ، وأورده الحافظ في الفتح

(٤١١/٦) عن عطاء من طريق ابن جريج ونسبه إلى ابن أبي حاتم.

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة^(١) أن رسول الله ﷺ قال : ((نحن أحق بالشك من إبراهيم ، قال :

﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾^(٢))).

ثم قال : ((وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قاله ، وهو قوله :

((نحن أحق بالشك من إبراهيم ، قال : ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن﴾ وأن تكون

مسألته ربه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه ، كالذي ذكرنا عن ابن

زيد أنفأ^(٣) : من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر ، قد تعاوره^(٤) دواب

البر ، ودواب البحر ، وطير الهواء ألقى الشيطان في نفسه فقال : متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟

فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، ليعاين ذلك عياناً ، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن

يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك فقال له ربه : ﴿أو لم تؤمن﴾؟ يقول : أو لم

تصدق يا إبراهيم بأنني على ذلك قادر ؟ قال بلى يا رب ، لكن سألتك أن تربيني ذلك ليطمئن قلبي فلا

يقدر الشيطان أن يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت))^(٥).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ترجيحه نسبة الشك إلى إبراهيم

عليه السلام ، فقال : ((وترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون سأل ذلك ربه ، لأنه شك في

قدرة الله على إحياء الموتى ، وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال : ما في القرآن آية أرجى عندي

منها ، وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال :

﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾؟ وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((نحن أحق

بالشك من إبراهيم)) ... الحديث . ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث ، وقال :

إن إبراهيم لما رأى الجيفة تأكل منها الخيتان ، ودواب البر ألقى الشيطان في نفسه فقال : متى يجمع الله

(١) عبد الرحمن بن صخر السدوسي الأزدي ، صاحب رسول الله ﷺ سيد الحفاظ (ت : ٥٧٧هـ) . انظر السير (٥٧٨/٢).

(٢) تفسير الطبري (٤٩٠/٥) ، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤١٠/٦-٤١١) . كتاب

أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿وَنبِئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، ح(٢٣٧٢) ، ومسلم في صحيحه

(١٣٣/١) ، كتاب الإيمان ، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ، ح(١٥١) وعندنا زيادة ليست هنا.

(٣) انظر تفسيره (٤٩١/٥) فقد أخرجه عن شيخه يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : فذكره.

(٤) تعاوره : أي تناوبت وخلف بعضها بعضاً للأكل منه . انظر لسان العرب (٤٧١/٩) ((عور)).

(٥) تفسير الطبري (٤٩١/٥ ، ٤٩٢)

هذه من بطون هؤلاء ... قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : وما ترجم به الطبري عندي مردود ، وما أدخل تحت الترجمة متأول ، فأما قول ابن عباس : هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى ، وسؤال الإحياء في الدنيا ، وليست مظنة ذلك ، ويجوز أن يقول : هي أرجى آية لقوله: ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِن﴾ أي أن الإيمان كاف لا يحتاج بعده إلى تنقيح وبحث. وأما قول عطاء بن أبي رباح: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حب المعاينة ، وذلك أن النفوس مستشرقة إلى رؤية ما أخبرت به ولهذا قال النبي عليه السلام: ((ليس الخير كالمعاينة))^(١) وأما قول النبي عليه السلام: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم)) فمعناه : أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به ، ونحن لا نشك ، فأبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشك ، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم ، والذي روي فيه عن النبي عليه السلام أنه قال : ((ذلك محض الإيمان))^(٢) إنما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت ، وأما الشك فهو توقف بين أمرين ، لا مزية لأحدهما على الآخر ، وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام ، وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع ، وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به ، يدلك على ذلك قوله : ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٣) فالشك يعد على من ثبت قدمه في الإيمان فقط ، فكيف بمرتبة النبوة والخلة ، والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً ، وإذا تأملت سؤاله عليه السلام ، وسائر ألفاظ الآية لم تعط شكاً ؛ وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول ، نحو قولك : كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا ، ومتى قلت: كيف ثوبك؟ وكيف زيد؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله ، وقد تكون كيف خيراً عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف ، نحو قولك : كيف شئت فكن ، ونحو قول البخاري : كيف كان بدء الوحي ، وكيف في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء ، والإحياء متقرر ، ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لا تصح ،

(١) هذا بعض حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧١/١) من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ ، وابن حبان في صحيحه - مع الإحسان - (٩٦/١٤) وقال محققه حديث صحيح رجاله رجال الشيخين . وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٤/١٢) ، والحاكم في المستدرک (٣٥١/٢) وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . وأورده الميمني في مجمع الزوائد (١٥٣/١) عن ابن عمر يرفعه وقال الميمني : رواه أحمد والبخاري في الكبير والأوسط ورجالهم رجال الصحيح . وانظر طبعة المسند الذي يشرف عليها التركي (٢٦١/٤) فقد قال المحقق : حديث صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٩/١) ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان ، ح (١٣٣).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨ .

فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح ، مثال ذلك أن يقول مدع : أنا أرفع هذا الجبل ، فيقول له المكذب له : أرني كيف ترفعه؟ فهذه طريقة مجاز في العبارة ، ومعناها تسليم جدلي ، كأنه يقول: افرض أنك ترفعه أرني كيف؟ فلما كان في عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك انجازي ، خلى الله له ذلك وحمله على أن يبين الحقيقة فقال له : ﴿أو لم تؤمن﴾ قال بلى ، فكمّل الأمر وتخلص من كل شك، ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة^(١).

هذا رأي الإمام الطبري ، واستدراك القاضي ابن عطية عليه ، فماذا قال علماء التفسير في هذه المسألة؟.

١- قال الجمهور: لم يكن سبب سؤال إبراهيم شكاً في قدرة الله تعالى وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت ، فإن الخبر ليس كالمعاينة كما قال عليه السلام^(٢). ومن هؤلاء من يذكر أسباباً أخرى في باعث السؤال غير الشك^(٣). ودليل هؤلاء ما تقرر أن الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها على الإطلاق^(٤). فكيف ينسب إلى أحد أولي العزم من الرسل أنه شك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى!!؟.

وذكروا أدلة تؤيد ما ذهبوا إليه لم أر من قررها وجمعها بأحسن من تقرير القاضي ابن عطية رحمه الله تعالى وجمعه لها ، ولذلك فلا داعي لتكرارها.

٢- وقال آخرون: سأل ربه ذلك لأنه شك في قدرة الله تعالى^(٥). ثم من هؤلاء من يقول كان ذلك قبل النبوة^(٦) ، ومنهم من يجعل سبب السؤال وسوسة الشيطان التي لم تستقر ، ولا زلزلت الإيمان

(١) أخرجه الوجيز (٣٠٢/٢-٣٠٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧/٣-٢٩٨) ، والتسهيل لعلم التنزيل (١٦٢/١) ، وفتح القدير (٢٨١/١).

(٣) تقدم أن الطبري ذكر بعضها ، وأوصلها الرازي إلى أحد عشر سبباً .. انظر التفسير الكبير (٣٤٧-٣٥).

(٤) انظر البحر المحيط (٣٠٨/٢).

(٥) انظر تفسير الطبري (٤٨٩/٥) ، والتفسير الكبير (٣٥/٧) ، وفتح الباري (٤١١/٦).

(٦) انظر فتح الباري (٤١١/٦) ، وأقول حتى قبل النبوة لا يجوز ذلك عليه والله قد قال عنه ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده

من قبل وكنا به علمين ﴾ .

الثابت^(١) . ويستدل هؤلاء بظاهر الآية^(٢) وبما ثبت في الحديث الصحيح ((نحن أحق بالشك من إبراهيم))^(٣) ففهموا منه أن النبي ﷺ يثبت الشك لإبراهيم.

وبما جاء عن ابن عباس أنه قال : ((أرجى آية في القرآن ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ هذا لما في الصدور ويوسوس الشيطان ، فرضي الله من قول إبراهيم بقوله : ((أو لم تؤمن قال بلى))^(٤) . وبما رواه ابن جريج أنه سأل عطاء عن هذه الآية قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال ذلك.

وأقوى دليل هؤلاء هو الحديث ((نحن أحق بالشك من إبراهيم)) وقد أجاب عنه العلماء بعدة أجوبة ذكرها الحافظ في فتح الباري^(٥) .

ومن أقوى هذه الأجوبة ما ذكره القاضي قبل قليل ، وهو جواب أبي سليمان الخطابي^(٦) أيضاً فقد قال: ((ليس في قوله: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم)) اعتراف بالشك على نفسه ، ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما يقول : إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك ، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس...))^(٧) .

وأما استدلالهم بالآية فالآية لا تدل لهم بل هي أدل على نفي الشك عن إبراهيم من إثباته ، فقد سأل إبراهيم عليه السلام بـ ((كيف)) التي يسأل بها عن شيء معلوم ثابت ولكن تجهل كيفيته ، ثم نفى إبراهيم عليه السلام الشك عن نفسه عندما سأله ربه ﴿قال أو لم تؤمن﴾ قال بلى . ثم علل سبب سؤاله بما يدل أنه أراد أن يزداد يقيناً إلى يقينه فقال: ((ولكن ليطمئن قلبي)).

فإن قالوا : ما جاء عن ابن عباس وتلميذه عطاء يدل على قولنا فيقال: الإجابة عن ذلك من ثلاثة

وجوه:

(١) انظر المصدر السابق (٤١١/٦).

(٢) يظهر أن وجه استدلالهم بالآية حسب ما ذكر عن عطاء.

(٣) الحديث في الصحيحين وتقدم تخريجه قريباً.

(٤) هذا اللفظ على ما روى الحاكم (١٢٨/١). وفيه انقطاع كما تقدم ، والعبارة غير واضحة . وفي فتح الباري (٤١١/٦)

قال ابن عباس : هذا لما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان فرضي الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى.

(٥) انظر (٤١٢/٦).

(٦) حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي ، إمام علامة ، حافظ لغوي (ت : ٣٨٨هـ). انظر السير (٢٣/١٧).

(٧) معالم التنزيل (٢٤٨/١) فقد نقل البغوي ذلك عنه.

١- لا يعقل أن ابن عباس أراد أنها أرجى آية من ناحية أن الإنسان يشك في قدرة الله على إحياء الموتى ويبقى له إسلامه وإيمانه ، بل الأمر كما قال ابن عطية.

٢- ابن عباس وعطاء ما قالوا إن قلب إبراهيم دخله شك غاية ما يفهم من كلامهما أن إبراهيم عليه السلام خطر له خاطر جار لا يثبت أبداً فسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، ومثل هذا لا يضر، فإن النبي ﷺ سئل عن مثل هذا فقال : ((ذاك صريح الإيمان))^(١).

٣- لنفرض أن ابن عباس وعطاء يقولان : إن إبراهيم شك فهل تتبعهما أو تتبع ما تقرر من إجماع الأمة أن الأنبياء معصومون من هذا؟!.

وبهذا يتضح أن قول من قال : إن قلب إبراهيم دخله الشك في قدرة الله على إحياء الموتى ، قول بعزل من الصواب ، لا يجوز على من ثبت قدمه في الإيمان فكيف ينسب إلى أحد أولي العزم من الرسل الذي اتخذ الله خليلاً ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب وآتاه أجره في الدنيا ورفع ذكره فيها وهو في الآخرة من الصالحين المقربين؟!.

وقد أحسن ابن عطية رحمه الله تعالى في تفنيد هذا القول ورده ، حتى أصبح رده هذا يردد على السنة العلماء وينقلونه في مصنفاتهم^(٢). وهذا الذي رده ابن عطية ، قد رده أيضاً العلماء وصدر من بعضهم في حق قائله عبارات قاسية ، من ذلك نعت الرازي لقائله أنه من الجهال ، ثم أردفه بقبيله : ((وهذا القول سخيف ، بل كفر ، وذلك لأن الجاهل بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى كافر ، فمن نسب النبي المعصوم إلى ذلك فقد كفر النبي المعصوم ، فكان هذا بالكفر أولى ، ومما يدل على فساد ذلك وجوه. أحدها: قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّطَمْسِنَ قَلْبِي﴾ ولو كان شاكاً لم يصح ذلك. وثانيها: قوله: ﴿وَلَكِن لِّطَمْسِنَ قَلْبِي﴾ وذلك كلام عارف طالب لمزيد اليقين ، ومنها أن الشك في قدرة الله تعالى يوجب الشك في النبوة فكيف يعرف نبوة نفسه . أما قوله : ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ ففيه وجهان: أحدهما: أنه استفهام بمعنى التقرير قال الشاعر^(٣):

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٨-٢٩٩) ، وفتح الباري (٦/٤١٢-٤١٣) ، والجواهر الحسان (١/٢٥١) ، وفتح القدير (١/٢٨١).

(٣) جرير بن عطية الخطفي . والبيت في ديوانه ص(٩٨) وفي لسان العرب (٤/٢٦٢) ((نقص)) الشطر الأول منه ، وشرح المفصل (٨/١٢٣).

وأندى العالمين بطون راح

ألستم خير من ركب المطايا

والثاني: المقصود من هذا السؤال أن يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون أنه عليه السلام كان مؤمناً عارفاً به ، وأن المقصود من هذا السؤال شيء آخر.

أما قوله تعالى : ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ فاعلم أن اللام في ﴿ليطمئن﴾ متعلق بمحذوف والتقدير: سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب، قالوا : والمراد منه أن يزول عنه الخواطر التي تعرض للمستدل وإلا فاليقين حاصل على كلتا الحالتين^(١).

وقال القرطبي - بعد أن نقل كلام ابن عطية - : ((قلت: هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ، ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فإنه كفر ، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث، وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأوليائه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٢) وقال اللعين: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾^(٣) وإذا لم يكن له عليهم سلطنة فكيف يشكهم ، وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى ، بعد تفريقها وإيصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها فأراد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين^(٤) فقوله: ﴿أرني كيف﴾ طلب مشاهدة الكيفية^(٥).

وأختم هذا البحث فأقول : كلام الإمام الطبري قد يمكن أنه أراد به أن ما حصل لإبراهيم عليه السلام من قبيل الخاطر الذي لا يثبت ، ولا يقصد به أن الشك تمكن من قلب إبراهيم عليه السلام، ويرشحه ويرشحه هذا ثلاثة أشياء:

١- لم يصرح الإمام الطبري أن إبراهيم شك ، بل عبارته أن قال: ((لعارض من الشيطان عرض في

قلبه))^(٦) وهذا يمكن أن يؤول بما ذكرت.

(١) التفسير الكبير (٣٥/٧).

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(٣) سورة ص ، الآية : ٨٣ .

(٤) في الجامع لأحكام القرآن ((من علم اليقين ، إلى علم اليقين)) والغالب أنه تكرر ، وما أثبت هو مراد المؤلف.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٩/٧).

(٦) انظر كلامه في تفسيره (٤٩١/٥) وقد تقدم نقله قريباً.

٢- ذكر الإمام الطبري أن التأويل الذي ذهب إليه - وأنه لعارض من الشيطان عرض في قلبه - يبني عليه تفسير قوله: ﴿ليطمئن قلبي﴾ بمعنى ليزداد إيماناً أو يقيناً ، ونص عبارته كالتالي: ((وهذا التأويل الذي قلناه في ذلك ، هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله: ﴿ليطمئن قلبي﴾ إلى أنه ليزداد إيماناً ، أو إلى أنه ليوقن ذكر من قال ذلك : ليوقن ، أو ليزداد يقيناً ، أو إيماناً))^(١) ثم أورد عدة آثار تدل على هذا.

وزيادة الإيمان ، أو اليقين لا يكون إلا للمؤمن ، أو موقن ، فأما من شك فلا يبقى معه إيمان ، أو يقين حتى يقال يزداد إيماناً ، أو يقيناً ، بل نقول : يؤمن ، أو يسلم.

٣- يبعد في حق إمام مثل الطبري عارف بالمنقول والمعقول أن يدعي على نبي عظيم أنه كان في وقت من الأوقات شاكاً في قدرة الله على إحياء الموتى ، وما ذكرت عنه سابقاً من نصوص تؤيد هذا الاتجاه. ويؤيده أيضاً قول الخافظ : ((وجمله^(٢) أيضاً الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت))^(٣). والله أعلم بما قصد الإمام الطبري ، فإنا لا أدعي له العصمة، ولا لمن هو أعظم منه غير الرسل.

(١) تفسيره (٤٩٢/٥).

(٢) يعني الخافظ بقوله : ((وجمله)) أي حمل حديث ((نحن أحق بالشك من إبراهيم)).

(٣) الفتح (٤١١/٦).

٢٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((ومعنى قوله : ﴿ليطمئن قلبي﴾ ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه. وهذا التأويل الذي قلناه في ذلك ، هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله: ﴿ليطمئن قلبي﴾ إلى أنه ليزداد إيماناً ، أو إلى أنه ليقن . ذكر من قال ذلك: ليقن ، أو ليزداد يقيناً أو إيماناً))^(١) ثم ساق عدة آثار عن سعيد بن جبير ، وقتادة وغيرهما حاصلها أن الإيمان واليقين يزيدان^(٢).

واعترض القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على زيادة الإيمان واليقين ، فقال: ((وقال الطبري: معنى ﴿ليطمئن﴾ ليقن ، وحكى نحو ذلك عن سعيد بن جبير ، وحكى عنه ليزداد يقيناً ، وقاله: إبراهيم^(٣) وقتادة ، وقال بعضهم لأزداد إيماناً مع إيماني. قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : ولا زيادة في هذا المعنى تمكن إلا السكون عن الفكر ، وإلا فاليقين لا يتبعض))^(٤).

فإذا رجعت إلى كتب التفسير في هذه المسألة تجد فريقاً منهم يفسر الآية على أن اليقين يزيد وكذلك الإيمان ، فهذا الواحدي ينقل تفسر ابن جبير في معنى الآية - مقراً له - فيقول : ((وقال سعيد بن جبير: ﴿ليطمئن قلبي﴾ لأزداد إيماناً))^(٥).

وينقل الماوردي زيادة اليقين في معنى الآية مصدراً به الأقوال فيقول : ((فيه ثلاثة أوجه - يعني قوله: ﴿ليطمئن قلبي﴾ - أحدها : ليزداد يقيناً إلى يقينه ، هكذا قال الحسن ، وقتادة ، وسعيد بن جبير والربيع^(٦)))^(٧).

والبغوي يفسر الآية على زيادة اليقين فيقول: ((ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين))^(٨) وبذلك فسرها الكرماني^(٩) ، وابن الجوزي^(١٠) ، وغيرهما^(١١).

(١) تفسر الطبري (٤٩٢/٥).

(٢) انظر المرجع السابق (٤٩٢/٥ ، ٤٩٣).

(٣) إبراهيم بن يزيد النخعي ، الإمام الحافظ النخعي (ت: ٥٩٦هـ) انظر السير (٤/٥٢٠).

(٤) المحرر الوجيز (٢/٣٠٤).

(٥) الوسيط (١/٣٧٥).

(٦) لعله : الربيع بن أنس البكري من تلاميذ أبي العالية والحسن البصري (ت : ١٣٩هـ). انظر تهذيب التهذيب

(٢/٢٣٨)، وانظر تاريخ التراث العربي (١/٧٩) فقد ذكره سزكين في المفسرين.

(٧) النكت والعيون (١/٣٢٣-٣٢٤).

(٨) معالم التنزيل (١/٢٤٨).

(٩) انظر غرائب التفسير (١/٢٢٩).

(١٠) انظر زاد المسير (١/٣١٣) فقد أورده عن سعيد على أنه أحد الأقوال في معنى الآية. وابن الجوزي هو : عبد الرحمن

ابن علي الإمام العلامة ، الحافظ المفسر (ت : ٥٩٧هـ) . انظر السير (٢١/٣٦٥).

(١١) انظر الكشاف (١/٣٩٢) فقد قال: ((وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين)) ، وانظر الجامع لأحكام

القرآن (٣/٢٩٩) ، وتفسير الخازن (١/٢٨٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (١/٢٠٨) .

وبعض المفسرين يورد في تفسيره نظير ما رآه ابن عطية كالرازي فإنه قال - عند تفسير قوله : ﴿ليطمئن قلبي﴾ - : ((سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب قالوا: والمراد منه أن يزول عنه الخواطر التي تعرض للمستدل وإلا فاليقين حاصل على كلتا الحالتين . وهنا بحث عقلي وهو أن هذا التفسير مفرع على أن العلوم مجوز أن يكون بعضها أقوى من بعض ، وفيه سؤال صعب ، وهو أن الإنسان حال حصول العلم له إما أن يكون مجوزاً لنقيضه ، وإما أن لا يكون ، فإن جوز نقيضه بوجه من الوجوه ، فذاك ظن قوي لا اعتقاد جازم ، وإن لم يجوز نقيضه بوجه من الوجوه امتنع وقوع التفاوت في العلوم))^(١).

وبعد: فتعقبي على هذه المسألة ينحصر في شيئين:

أحدهما : ظاهر هذا الاستدراك على غير الطبري ، لكنه في الحقيقة استدراك على الإمام الطبري ؛ لأنه فسر ﴿ليطمئن قلبي﴾ ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه ، ثم ذكر أن هذا التأويل الذي يراه هو تأويل الذين وجهوا معنى ﴿ليطمئن﴾ إلى أنه ليزداد يقيناً ، أو إيماناً ، وجاء القاضي فاعترض على ذلك.

الثاني : ما ذهب إليه القاضي من أن اليقين لا يزيد قول مرغوب عنه دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين على خلافه.

١- أما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿إن هذا هو حق اليقين﴾^(٣) دلت هذه الآيات الثلاث أن اليقين درجات بعضها أزيد من بعض فعلم اليقين مثل ما أخبرنا الله به في كتابه من نعيم الجنة هذا نعلمه ونوقن به ، فإذا رأيناه وعاييناه انتقلنا إلى درجة أعلى في اليقين هي عين اليقين ، فإذا دخلناه وباشرناه انتقلنا إلى أعلى الدرجات في اليقين ، وهي حق اليقين .

(١) التفسير الكبير (٧/٣٥-٣٦).

(٢) سورة التكاثر ، الآية : ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥ .

((سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى - عن قوله تعالى: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(١) و ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(٢) و ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾^(٣) ما معنى كل مقام منها ، وأي مقام أعلى؟ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: للناس في هذه الأسماء مقالات معروفة : منها : أن يقال: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ما علمه بالسمع والخبر والقياس والنظر ، و ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ما شهد به عاينه بالبصر ، و ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار . فالأولى مثل من أخبر أن هناك عسلاً ، وصدق المخبر ، أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده . والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه ، وهذا أعلى ، كما قال ﷺ : ((ليس المخبر كالمعائن))^(٤) . والثالث: مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله...))^(٥) .

٢- وأما السنة فروى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال : ((اللهم اعطني إيماناً و يقيناً ليس بعده كفر))^(٦) وهذا لا يفهم إلا على أنه أراد زيادة الإيمان واليقين ؛ لأنه مؤمن موقن ، بل إيمانه ﷺ أعلى إيمان ، و يقينه أكمل يقين .

٣- وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه : ((اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً))^(٧) .

٤- وصح عن سعيد بن جبیر - رحمه الله - أنه فسر قوله تعالى: ﴿ لِيُطْمئن قَلْبِي ﴾ ليزداد

يقيني^(٨) .

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥ .

(٢) سورة التكاثر ، الآية : ٧ .

(٣) سورة التكاثر ، الآية : ٥ .

(٤) تقدم تخرجه في المسألة التي قبل هذه .

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/٦٤٥-٦٤٦) .

(٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١١١٩) .

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٥/٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٨٥) : إسناده جيد . وأورده ابن حجر

في فتح الباري (٤٨/١) ونسبه للإمام أحمد في الإيمان وقال : وإسناده صحيح .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٤٩٢) وقال الحافظ في فتح الباري (١/٤٧) : رواه ابن جرير بسنده الصحيح إلى سعيد .

وكذلك ثبت عن قتادة مثل قول سعيد بن جبير^(١) . إذا تقرر هذا فكل شيء يزيد فهو ينقص^(٢) .
وبهذا يتبين أن قول القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - اليقين شيء واحد لا يزيد ولا ينقص قول
لا يسلم له ، وأن الصواب في القول الذي اعترض عليه . والله أعلم .

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١٠٧/١) قال : قال معمر وقال قتادة : لأزداد يقيناً . وكذلك أخرجه الطبري في
تفسيره (٤٩٣/٥) من هذا الطريق . وكذلك جاء هذا التفسير عن الضحاك ، وعن الربيع ، لكن الطريق إلى الضحاك
فيها حوير . انظر تفسير الطبري (٤٩٣ ، ٤٩٢/٥) .

(٢) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (٦٩) فقد قالوا ذلك في الإيمان ، واليقين مثله في مسألة الزيادة والنقصان .

٢٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ﴾ ... فإن قال قائل : وهل رأيت سنبلة فيها مئة حبة أو بلغتك ، فضرب بها مثل المنفق في سبيل الله ماله؟ قيل : إن يكن ذلك موجوداً فهو ذلك ، وإلا فجانز أن يكون معناه : كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، إن جعل الله ذلك فيها . ويحتمل أن يكون معناه : في كل سنبلة مئة حبة ، يعني أنها إذا هي بذرت أنبتت مئة حبة ، فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المئة الحبة ، مضافاً إليها ؛ لأنه كان عنها . وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل ، ذكر من قال ذلك))^(١) ثم ساق بسنده عن الضحاك^(٢) أنه قال : ((كل سنبلة أنبتت مئة حبة فهذا لمن أنفق في سبيل الله ﴿وا لله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾))^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري في أنه جعل قول الضحاك نحو ما قال هو ، وذلك غير لازم من لفظ الضحاك . فقال : ((وقال الطبري - في هذه الآية - إن قوله : ﴿ في كل سنبلة مئة حبة ﴾ ، معناه : إن وجد ذلك ، وإلا فعلى أن نفضه . ثم أدخل عن الضحاك أنه قال : ﴿ في كل سنبلة مئة حبة ﴾ ، معناه كل سنبلة أنبتت مئة حبة ، فجعل الطبري قول الضحاك نحو ما قال هو وذلك غير لازم من لفظ الضحاك))^(٤).

هذا الاستدراك الذي أورده ابن عطية على الإمام الطبري قد نقله القرطبي في تفسيره نقل المسلم به^(٥).

والحق أنك إذا تأملت كلام الإمام الطبري كاملاً غير مبتور ظهر لك وبان أن استدراك القاضي ابن عطية عليه غير مسلم ؛ وذلك أن الإمام الطبري ذكر احتمالين : الأول : قوله : إن يكن ذلك موجوداً

(١) تفسير الطبري (٥/٥١٤ ، ٥١٥).

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، صاحب التفسير ، من أوعية العلم (ت : ١٠٢ هـ) . انظر السير (٤/٥٩٨).

(٣) انظر تفسير الطبري (٥/٥١٥) فقد أخرجه من طريق جوير . وجوير هذا قال فيه الحافظ : راوي التفسير ضعيف جداً . انظر تقريب التهذيب رقم (٩٨٧).

(٤) الخمر الوجيز (٢/٣١٠).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٠٤).

فهو ذاك، وإلا فجازر أن يكون معناه : كمثله سنبله أنبت سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة ، إن جعل ذلك فيها.

الاحتمال الثاني ذكره بقوله : ويحتمل أن يكون معناه : في كل سنبله مئة حبة ، يعني أنها إذا هي بذرت أنبت مئة حبة ، فيكون ما حدث عن البذر كالذي كان منها من المئة الحبة مضافاً إليها لأنه كان عنها.

ثم قال بعد ذلك : وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل ، ثم أورد قول الضحاك أنه قال : ((كل سنبله أنبت مئة حبة)) فأعاد كلام الضحاك إلى الوجه الأخير ، وكلام الضحاك وما جاء في الوجه الأخير متطابقان تماماً لا فرق بينهما ، فجاء ابن عطية فنقل عن الطبري الوجه الأول ثم ذكر كلام الضحاك، ونسب إلى الإمام الطبري أنه أورده كذلك على أن قول الضحاك نحو ما ذكر في الوجه الأول، والطبري ما قصد هذا قطعاً ، يدل ذلك على هذا أنه ذكر احتمالين ، الثاني منهما موافق لقول الضحاك ثم قال : ((وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل)) فماذا يُفهم من قوله : ((على هذا الوجه)) لا شك أن اسم الإشارة يرجع إلى أقرب مذكور ، حتى ولو لم يكن بينهما موافقة ، فكيف وهما متفقان تماماً.

ويؤكد اتفاقهما أن الإمام البغوي قد ذكر في تفسيره الاحتمال الثاني وحمل عليه قول الضحاك، فقال : ((وقيل : معناه إنها إن بذرت - يعني السنبله - أنبت مئة حبة - فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافاً^(١) إليها ، وكذلك تأوله الضحاك فقال : كل سنبله أنبت مئة حبة))^(٢).

(١) في النسخة المعتمد عليها ((مضاعفاً)) والتصويب من نسخة أخرى.

(٢) معالم التنزيل (١/٢٤٩).

٢٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ قال أبو جعفر: ... والربوة من الأرض ما نشز منها فارتفع عن السيل ، وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه ؛ لأن ما ارتفع عن المسائل^(١) والأودية أغلظ ، وجنان ما غلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمرأ وغرسأ وزرعأ ، مما رق منها ، ولذلك قال أعشى بني ثعلبة^(٢) في وصف روضة:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

فوصفها بأنها من رياض الحزن ؛ لأن الحزون غروسها ونباتها أحسن ، وأقوى من غروس الأودية والتلاع^(٣) وزروعها^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إنشاد البيت على أن الربوة من الأرض هي رياض الحزن ؛ لأن رياض الحزن إنما هي الرياض المنسوبة إلى نجد فقال: ((والربوة ما ارتفع من الأرض ارتفاعاً يسيراً معه في الأغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه ، وما كان كذلك فنباته أحسن ، ورياض الحزن ليست من هذا كما زعم الطبري ، بل تلك هي الرياض المنسوبة إلى نجد ؛ لأنها خير من رياض تهامة ، ونبات نجد أعطر ، ونسيمه أبرد وأرق ، ونجد يقال لها الحزن))^(٥).

أهل التفسير يذكرون نحو ما ذكره الطبري في معنى الربوة^(٦) ، ومنهم من ينشد هذا البيت عند ذكره لمعنى الربوة^(٧).

وقد نقل اعتراض ابن عطية على الطبري القرطبي ، وأبو حيان ، والشوكاني ، ولم يعقبوا على ذلك بشيء^(٨).

(١) المسائل : جمع لمسبل الماء . انظر تهذيب اللغة (٦٧/١٣) ((سول)).

(٢) ميمون بن قيس . والبيت في ديوانه ص (١٤٥) ، وفي لسان العرب (١٥٩/٣) ((حزن)) وفي الدر المنصون (٣٦/٩).

(٣) التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض ، والجمع التلاع . لسان العرب (٤٣/٢) ((تلع)).

(٤) تفسير الطبري (٧١/٣) دار الكتب العلمية ، وطبعة دار المعارف التي حققها الشيخ أحمد وأخوه (٥٣٦-٥٣٥/٥) وطبعة بولاق (٤٨/٣).

(٥) المحرر الوجيز (٣١٧/٢).

(٦) انظر غريب القرآن وتفسيره ص (٩٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٤٨/١) ، ومعالم التنزيل (٢٥٢/١).

(٧) انظر تفسير الخازن (٢٨٦/١).

(٨) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣١٥/٢) ، والبحر المحيظ (٣٢٤/٢) ، وفتح القدير (٢٨٥-٢٨٦).

والذي يظهر لي من سياق كلام الإمام الطبري أنه لم يرد من إنشاده هذا البيت أن يقول: الربوة هي رياض الحزن ، ولكنه قصد أن يقول : ما قلته من أن جنان ما غلظ من الأرض وارتفع يكون أحسن وأزكى ثمرأ وغرسأ وزرعأ مما رق منها يدل عليه قول الشاعر:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

وهذا استشهاد صحيح للمشابهة الموجودة بين الربوة وبين ما ذكره الشاعر في بيته.

وهذا الترجيح مبني على فهمي لنص الطبري من خلال النسخ التي بين يدي لتفسيره^(١) لكن بالرجوع إلى الكتب التي تنقل كلام الطبري واعتراض ابن عطية عليه وجدت الشوكاني يقول - بعد أن ذكر معاني الربوة - : ((قال الطبري : وهي رياض الحزن التي تستكثر العرب من ذكرها ، واعترضه ابن عطية فقال: إن رياض الحزن منسوبة إلى نجد ؛ لأنها خير من رياض تهامة ، ونبات نجد أعطر ، ونسيمه أبرد وأرق ، ونجد يقال لها حزن ، وليست هذه المذكورة هنا من ذلك))^(٢).

أقول : إن ثبت أن الطبري قال هذا ، فالراجح ما قاله ابن عطية ؛ لأن ((الربوة)) - وإن كان التشابه قائماً بينها وبين رياض الحزن - لفظ عام ، لم يقصد به مكان بعينه ، ورياض الحزن مكان بعينه، فكون الإمام الطبري يحمل ((الربوة)) على أنها رياض الحزن فهذا يعني عنده أن كل مكان مرتفع غليظ يسمى رياض الحزن ، والأمر ليس كذلك إذ رياض الحزن هي ما ذكره ابن عطية من أنها الرياض المنسوبة إلى نجد^(٣).

لكن أرجع فأقول : الظاهر أن الشوكاني أخذ ما نسبه إلى الطبري من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتصرف في كلام القرطبي^(٤) ، ولم يأخذ ذلك النص الذي ذكره عن تفسير الطبري ، فيترجح أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري.

(١) وهي ثلاث: التي حققها الشيخ أحمد شاكر وأخوه ، والتي طبعت في بولاق ، والتي طبعت في دار الكتب العلمية.

(٢) فتح القدير (٢٨٥/١-٢٨٦).

(٣) انظر تهذيب اللغة (٣٦٥/٤) ((حزن)) ومعجم البلدان (١٠٠/٣) (٢٩٣/٢) ، وترتيب القاموس (٦٣٦/١) ((حزن)) ، وخزانة الأدب (٢٩/١١-٣٠) ، ولسان العرب (١٥٩/٣) ((حزن)) ، ومعجم قبائل الغرب (٢١/١).

(٤) ونصه : ((قال ابن عطية : ورياض الحزن ليست من هذا كما زعم الطبري ، بل تلك هي الرياض المنسوبة إلى نجد)).
الجامع لأحكام القرآن (٣١٥/٣).

٣٠ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت﴾ ... وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أمواهم رناء الناس في هذه الآية ، نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله: ﴿فمثلته كممثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾^(١) قال أبو جعفر: وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية ... وأحسنهم إبانة لمعناها ، وأقربهم إلى الصواب قولاً فيها السدي^(٢) ثم ساق بسنده إلى السدي - من طريق أسباط^(٣) - قال: ((هذا مثل آخر لنفقة الرياء ، إنه ينفق ماله يراني الناس به ، فيذهب ماله منه وهو يراني ، فلا يأجره الله فيه ، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته ، وجدها قد أحرقها الرياء ، فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته ، جاءت ريح سموم فأحترقت جنته ، فلم يجد منها شيئاً فكذلك المنفق رياء))^(٤).

وأخرج بسنده أيضاً إلى ابن زيد من طريق ابن وهب ((قال ، قال ابن زيد، وقرأ قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾^(٥) ثم ضرب ذلك مثلاً فقال: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ حتى بلغ ﴿فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت﴾ قال: جرت أنهارها وثمارها وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، أيود أحدكم هذا ، كما يتجمل أحدكم إذ يخرج من صدقته ونفقته ، حتى إذا كان له عندي جنة وجرت أنهارها وثمارها وكانت لولده وولد ولده ، أصابها ريح إعصار فحرقها))^(٦).

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

(٢) تفسير الطبري (٥/٥٤١ ، ٥٤٣) .

(٣) أسباط بن نصر الهمداني . قال الحافظ : صدوق كثير الخطأ يغرب . انظر التقريب رقم (٣٢١) .

(٤) تفسير الطبري (٥/٥٤٤) وهذا الأثر رواه ابن جرير عن شيخه موسى بن هارون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي: وهو بهذا السند ضعيف ؛ لضعف أسباط .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

(٦) تفسير الطبري (٥/٥٤٩ ، ٥٥٠) . وهذا الأثر أخرجه الطبري من طريق شيخه يونس بن عبد الأعلى ، قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد . والأثر إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات .

((قال أبو جعفر: وإنما دللنا أن الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه^(١)؛ لأن الله جل ثناؤه تقدم إلى عباده المؤمنين بالنهي عن المن والأذى في صدقاتهم، ثم ضرب مثلاً لمن من وآذى من تصدق عليه بصدقة، فمثله بالمرائي من المنافقين المنفقين أموالهم رياء الناس، وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظيرة ما ضرب لهم من المثل قبلها، فكان إلحاقها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثل ما لم يجر له ذكر قبلها ولا معها^(٢))).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من ترجيح لقول السدي فقال - بعد أن أورد الآية - : ((حكى الطبري عن السدي أن هذه الآية مثل آخر لنفقة الرياء، ورجح هو هذا القول، وحكى عن ابن زيد أنه قرأ قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾^(٣) الآية، قال: ثم ضرب في ذلك مثلاً فقال: ﴿أيود أحدكم﴾ الآية. قال القاضي أبو محمد: وهذا أبين من الذي رجح الطبري وليست هذه الآية بمثل آخر لنفقة الرياء، هذا مقتضى سياق الكلام، وأما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه حال كل منافق أو كافر عمل وهو يحسب أنه يحسن صنعا، فلما جاء إلى وقت الحاجة لم يجد شيئاً، وقد سأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أصحاب النبي ﷺ عن هذه الآية فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال - وهو غاضب - : قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال له ابن عباس هذا مثل ضربه الله كأنه قال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير، فإذا فني عمره واقترَب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء، فرضي ذلك عمر^(٤). وروى ابن أبي مليكة^(٥) أن عمر تلا هذه الآية ﴿أيود أحدكم﴾ وقال هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً

(١) يعني الذي اختاره أنها مثل آخر للمرائي وهو قول السدي.

(٢) تفسير الطبري (٥/٥٥٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٤) يأتي - إن شاء الله تعالى - تخريج هذا الأثر قريباً.

(٥) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه، (ت: ١١٧هـ). انظر تقريب التهذيب رقم

حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل عمل السوء^(١). قال القاضي أبو محمد : فهذا نظر يحمل الآية على كل ما يدخل تحت ألفاظها . وقال بنحو هذا مجاهد وقتادة والربيع وغيرهم^(٢) ((٣)). محل الخلاف بين الإمامين أن الطبري يرى أن مضمون هذه الآية هو مثل آخر لنفقة المراني ، وابن عطية يرى أن الآية تتضمن مثلاً آخر مستقلاً عن المثل الذي ضرب لنفقة المراني.

وقد أورد أبو حيان القولين من غير ترجيح أحدهما على الآخر ، أو ذكر لاستدراك ابن عطية^(٤).

والقرطبي أورد القولين مع تعقيب ابن عطية ، من غير ترجيح أو تعقيب^(٥).

وهناك من المفسرين من يفسر الآية بما ذهب إليه الإمام الطبري^(٦).

وهناك من يفسرها بنحو ما ذهب إليه ابن عطية^(٧).

والآية محتملة للوجهين ، وكل قول قد قال به بعض السلف ، غير أن ما وصفه أبو محمد بالأبين هو

كذلك إن شاء الله تعالى لأسباب منها:

١- أنه موافق لما جاء في معناها عن ابن عباس وعمر بمحضر من الصحابة ففسى صحيح البخاري أن

عمر بن الخطاب قال يوماً لأصحاب النبي ﷺ : ((فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿أيود أحدكم أن تكون

له جنة﴾؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في

نفسى منها شيء يا أمير المؤمنين . قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضربت

مثلاً لعمل. قال عمر : أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز

وجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله))^(٨).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٥٤٥) ، وهو مرسل لأن ابن أبي مليكة لم يدرك عمر بن الخطاب . وسبأني نحوه متصلاً في صحيح البخاري.

(٢) أخرج ذلك عنهم الطبري في تفسيره (٥/٥٤٦-٥٤٩) . وقول قتادة أخرجه أيضاً عبد الرزاق في تفسير القرآن (١٠٨/١).

(٣) انحرر الوجيز (٢/٣١٩-٣٢٠).

(٤) انظر البحر المحيط (٢/٣٢٦).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٣١٨).

(٦) كما فعل الرازي في التفسير الكبير (٧/٥١).

(٧) كما فعل ابن كثير في تفسيره (١/٣٢٠).

(٨) صحيح البخاري - مع الفتح - (٨/٢٠١ ، ٢٠٢) ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة﴾...

فمضمون هذه الرواية أن الآية ضربت مثلاً في غير المراني المتقدم ذكره. وقد أشار إلى هذا أبو محمد.

٢- هذا القول أشار إلى قوته ابن كثير ، فقال - بعد أن أورد الأثر الذي في صحيح البخاري - :

((وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية))^(١).

ورجحه الألويسي فقال - بعد أن أورد قول ابن عباس وأشار إلى قول السدي - : ((وهذا أحسن من

أن يكون تمثيلاً لمن يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء ، وفصل عنه لاتصاله بما ذكر بعده أيضاً ؛ لأن

ذلك لا عمل له))^(٢).

٣- سياق الآيات يقوي هذا القول ، بيان ذلك : أن الله سبحانه وتعالى ضرب مثلاً لنفقة المراني -

الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر - بالصفوان الذي عليه التراب فيصيبه وابل من المطر ، فلا يبقى عليه

شيئاً. ثم ضرب مثلاً لنفقة المؤمن الموقن بما عند الله بالستان في الربوة العالية يؤتي أكله ضعفين، ثم بعد

ذلك ضرب الله تعالى ما ذكره في هذه الآية لحال من يعمل بالطاعات ، ثم يعقب ذلك بالمعاصي ، فتأتي

على تلك الحسنات فتتلفها . فهذه ثلاثة أمثال ، أولها ضرب لكافر ، وثانيها لمؤمن ، وثالثها لمن يعمل

الطالحات بعد الصالحات.

٤- حمل الآية على تأسيس معنى جديد ، أولى من حملها على تأكيد معنى قد ذكر في غيرها.

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٢٠).

(٢) روح المعاني (٣/٣٨).

٣١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿ لا يسألون الناس

إلحافاً ﴾ قال أبو جعفر : يقال : قد ألحف السائل في مسأله ، إذا ألح ، فهو يلحف فيها إلحافاً .

فإن قال قائل : أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف ؟ قيل : غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة إلحافاً أو غير إلحاف ؛ وذلك أن الله عز وجل وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف ، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسماهم . فلو كانت المسألة من شأنهم ، لم تكن صفتهم التعفف ، ولم يكن بالنبي ﷺ إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة ، وكانت المسألة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم))^(١) .

ثم ساق بسنده ((عن أبي سعيد الخدري^(٢)) قال : أعوزنا مرة فقبل لي : لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته فانطلقت إليه معنقاً^(٣) ، فكان أول ما واجهني به : ((من استعفَّ أعفه الله ، ومن استغنى أغناه الله ، ومن سألنا لم ندخر عنه شيئاً نجده)) قال فرجعت إلى نفسي فقلت : ألا استعف فيعفي الله؟ فرجعت ، فما سألت رسول الله ﷺ شيئاً بعد ذلك من أمر حاجة ، حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا إلا من عصم الله))^(٤) .

قال الإمام الطبري ((وفي الخبر ... الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفي معنى المسألة من الشخص الواحد ، وأن من كان موصوفاً بالتعفف فغير موصوف بالمسألة إلحافاً أو غير إلحاف .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فما وجه قوله : ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ وهم لا يسألون الناس إلحافاً ، أو غير إلحاف . قيل له : وجه ذلك أن الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعفف ، وعرف عباده أنهم ليسوا أهل مسألة بحال بقوله: ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ وأنهم إنما

(١) تفسير الطبري (٥/٥٩٧ ، ٥٩٨) .

(٢) سعد بن مالك بن سنان شهد بيعة الرضوان ، وغيرها من المشاهد (ت : ٧٤هـ) انظر السير (٣/١٦٨) .

(٣) معنى ((معنقاً)) مسرعاً . انظر النهاية في غريب الحديث (٣/٣١٠) ((عنتق)) .

(٤) تفسير الطبري (٥/٥٩٨) وهذا الحديث قال عنه الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . وأخرجه النسائي في سننه (٩٨/٥) باب الإلحاف في المسألة ، ح (٢٥٩٥) ، من طريق عمارة بن غزية عن أبي سعيد بنحوه ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٩/٣) عن أبي سعيد من طريق عمارة بن غزية أيضاً . والحديث في صحيح البخاري (مع الفتح) (٣٣٥/٣) كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، ح (١٤٦٩) لكن الذي فيه عن أبي سعيد أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ .

يعرفون بالسيما ، زاد عباده إبانة لأمرهم وحسن ثناء عليهم بنفي الشره والضراعة التي تكون في الملحين من السؤال عنهم.

وقد كان بعض القائلين يقول: ذلك نظير قول القائل: (قلما رأيت مثل فلان) ولعله لم ير مثله أحداً ولا نظيراً^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إنهم لا يسألون البتة فقال: ((وذهب الطبري والزجاج وغيرهما إلى أن المعنى لا يسألون البتة . قال القاضي أبو محمد - رحمه الله - والآية تحمل المعنيين نفي السؤال جملة ، ونفي الإحاف فقط ، أما الأولى فعلى أن يكون التعفف صفة ثابتة لهم ، وبحسبهم الجاهل بقرهم لسبب تعففهم أغنياء من المال ، وتكون من لابتداء الغاية ويكون قوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْخَافًا﴾ لم يرد به أنهم يسألون غير إحاف بل المراد به التبييه على سوء حالة من يسأل إحافاً من الناس ، كما تقول : هذا رجل خير لا يقتل المسلمين . فقولك ((خير)) قد تضمن أنه لا يقتل ولا يعصي بأقل من ذلك ، ثم نبهت بقولك ((لا يقتل المسلمين)) على قبح فعل غيره ممن يقتل . وكثيراً ما يقال مثل هذا إذا كان المنبه عليه موجوداً في القضية مشاراً إليه في نفس المتكلم والسامع ، وسؤال الإحاف لم تخل منه مدة ، وهو مما يكره ، فلذلك نه عليه.

وأما المعنى الثاني : فعلى أن يكون التعفف داخلاً في المحسبة أي أنهم لا يظهر لهم سؤال^(٢) ، بل هو قليل . ويا جمال فالجاهل به مع علمه بقرهم بحسبهم أغنياء عفة ، فمن لبيان الجنس على هذا التأويل، ثم نفى عنهم سؤال الإحاف وبقي غير الإحاف مقررراً لهم حسماً يقتضيه دليل الخطاب . وهذا المعنى في نفي الإحاف فقط هو الذي تقتضيه ألفاظ السدي^(٣).

تبين من عرض كلام الطبري وابن عطية رحمهما الله تعالى أن الأول : يفهم الآية على أنه لم يكن من هؤلاء القوم سؤال ولا إحاف.

والثاني : يفهم الآية على أنها تحتل الأمرين : الأول ما قاله الإمام الطبري ، والثاني : أن المنفي عنهم هو سؤال الإحاف فيفهم منه إثبات سؤال لا إحاف فيه .

(١) تفسير الطبري (٥/٥٩٨، ٥٩٩).

(٢) في النسخة المغربية ((سؤالاً)) ، والصواب من القطرية.

(٣) المحرر الوجيز (٢/٣٤٠-٣٤١).

والتقاضي ابن عطية إذ يورد هذا عقب النص على الطبري وقوله ، لسان حاله يقول: قول الطبري ومن معه ليس بمرضي عندي ، وإنما الصواب فيما قلت.

وهذه المسألة الخلاف فيها ثابت في دواوين التفسير والأقوال فيها تفصيلاً ثلاثة:

القول الأول : ذهب جمهور المفسرين - فيما اطلعت عليه ، منهم الفراء والزجاج وابن الأنباري - إلى نفي السؤال أصلاً فهم لا يسألون الناس إلخافاً ولا غير إلخاف^(١). وأدلة هؤلاء تقدم أن الإمام الطبري حكى طائفة منها وهي تلخص فيما يلي:

١- أن الله سبحانه وتعالى قد وصفهم وأثنى عليهم بأنهم أهل تعفف فقال: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ ووجه الدلالة من هذه الآية من ناحيتين :

الأولى : أنه قال: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ ولو كانوا يسألون حتى من غير إلخاف لبان أمرهم للجاهل وغيره^(٢).

الثانية : أنه قال : ﴿من التَّعَفُّفِ﴾ والتعفف معناه في سياق هذه الآية عدم المسألة.

٢- أن الله تعالى قال: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ ولو كانوا يسألون لما كنا بحاجة إلى أن نتبين معرفتهم بالعلامة^(٣).

٣- ما جاء في الأخبار عن رسول الله ﷺ من أن التعفف معنى يضاد السؤال فإذا وصف به الشخص فغير جائز أن يتصف بضده ، ومن هذه الأخبار ما جاء عن أبي سعيد الخدري أنه انطلق يريد سؤال رسول الله ﷺ فسمعه يقول: ((من استعف أعفه الله ، ومن استغنى أغناه الله ، ومن سألنا لم ندخر عنه شيئاً نجده))^(٤) فجعل ﷺ الاستعفاف شيئاً يقابله السؤال.

(١) انظر الوسيط (١/٣٩٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٣/٣٤٣) ، وفتح القدير (١/٢٩٣) . وهذا الذي نقلوه عن الجمهور هو الظاهر من خلال كتب التفسير والمعاني . انظر معاني القرآن للفراء (١/١٨١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١/٣٥٧) ، ونخر العلوم (١/٢٣٣) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (١/١٧٩) ، والنكت والعيون (١/٣٤٧) ، وزاد المسير (١/٣٢٩) ، ووضع البرهان (١/٢٢٨) ، والتفسير الكبير (٧/٧١) ، والدر المصون (٢/٦٢٥) ، وروح المعاني (٣/٤٧) ، والتحرير والتنوير (٣/٧٦).

(٢) انظر تفسير الخازن (١/٢٩٥).

(٣) انظر معالم التنزيل (١/٢٥٩).

(٤) تقدم تخريجه قريباً وهو من أدلة الطبري.

٤- من أساليب العرب التي نزل القرآن بلغتهم أنهم يذكرون قيماً في المنفي لا يريدون من ذكر ذلك القيد ثبوت ضده ، كقولهم: ((قلما رأيت مثل فلان)) وهو لم ير مثله لا قليلاً ولا كثيراً^(١).

وقد جاء في أشعارهم كثير من هذا ، مثل قول أعشى باهلة^(٢):

لا يغمز الساق من أين ولا وصب
ولا يعض على شرسوفه الصفر
معناه: ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها.

وقول الآخر^(٣):

لا يفزع الأرنب أهواها
ولا ترى الضب بها ينجر

أي ليس فيها أرنب فيفزع هوها ، ولا ضب فينجر ، وليس المعنى أنه ينفي الفزع عن الأرنب والآنجر عن الضب^(٤).

هذه أدلة الجمهور ، وأكثرها قد أشار إليه الإمام الطبري .

القول الثاني : ذهب بعض المفسرين إلى نفي السؤال المقيد بالإحاف وإثبات سؤال لا إحاف فيه^(٥).

وأدلة هؤلاء:

١- ما جاء عن بعض التابعين أنه قال - عند تفسير هذه الآية - : إذا كان عندهم غداء لا يسألون

عشاء ، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء^(٦).

(١) نحوه في معاني القرآن للفراء (١/١٨١). وقد قال المناقب الدكتور عبد الله عجمي: لا أرى أن مثل هذا يحصل في القرآن فيغير مجازاً يكن

(٢) عامر بن الحارث بن رباح الباهلي شاعر جاهلي. انظر خزنة الأدب (١/١٨٨)، والأعلام (٣/٢٥٠). والبيت لم

أجده في ديوانه، إذ هو في لسان العرب (٧/٣٥٨) باختلاف، والدر المنصور (٢/٦٢٦)، والمفردات ص (٢٨٣).

والأين: الإعياء. والوصب: الوجع. والشراسيف: هي الأضلاع. والصفر قيل: داء، وقيل حية. انظر الخزنة

(١/١٩٧)، ولسان العرب (٧/٣٥٨) ((صفر)).

(٣) عمرو بن أحمز كان من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام، توفي على عهد عثمان. انظر الخزنة (٦/٢٥٧). والبيت في

الخصائص (٣/١٦٥)، وفي خزنة الأدب (١٠/١٩٢) ((لا تفزع الأرنب أهواها))، وفي الدر المنصور (٢/٦٢٥)

والرواية هنا منقولة منه.

(٤) انظر الدر المنصور (٢/٦٢٥).

(٥) انظر معالم التنزيل (١/٢٥٩)، والكشاف (١/٣٩٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٦٧).

(٦) انظر معالم التنزيل (١/٢٥٩)، وتفسير الخازن (١/٢٩٥) ونسبه البغوي إلى عطاء، ولم اطلع عليه بسند إليه وجاء عن

ابن عباس ما يخالفه فقد ذكر عنه أنه قال: لا يسألون الناس إلحاحاً ولا غير إلحاح. انظر بحر العلوم (١/٢٣٣).

٢- ما تقرر في أصول الفقه أن دلالة اللفظ على المعنى تنقسم إلى قسمين : دلالة المنطوق ، وهي دلالة اللفظ على المعنى في محل النطق. الثاني: دلالة المفهوم ، وهي دلالة اللفظ على المعنى لا في محل النطق، بل في محل السكوت ، وهي أقسام ^{وسمى} مفهوم الصفة^(١). وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾ من هذا.

القول الثالث : ذهب القاضي ابن عطية وبعض العلماء^(٢) ، إلى أن الآية تحتمل القولين السابقين ، ولم يرجحوا قولاً على قول. وهؤلاء يصلح لهم أدلة القولين السابقين.

وبعد : فلا شك أن المسألة محتملة وقابلة لوقوع هذا الخلاف فيها ، والفصل في النزاع والخلاف هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ اللذان أمرنا الله بالرجوع إليهما في قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣) والقرآن والسنة يشيران إلى أن القول الأول هو الأولى في معنى هذه الآية الكريمة.

أما القرآن فبيان ذلك أن هذه المسألة منشأ الخلاف فيها الأخذ بمفهوم المخالفة ، ومفهوم المخالفة أقسام: منها مفهوم الصفة وهو عمدة الذين يشبثون لهؤلاء المتعفين سؤالاً لا إحفاف فيه ، أو يقولون: يحتمل أنهم يسألون سؤالاً لا إحفاف فيه.

ومفهوم الوصف ، متفق على اعتباره - عند القائلين به - إن علق الحكم بصفة من صفات الذات مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾ ففي سؤال الإحفاف أمر متفق عليه^(٤). واختلفوا في أن اللفظ هل يدل كذلك على نفي الحكم عن الذات عند انتفاء هذا الوصف . على قولين معروفين في أصول الفقه^(٥).

منهم من يشبث الحكم ، ومنهم من ينفيه والقرآن يشهد لقول النافين في آيات كثيرة ، منها:

(١) انظر أصول الفقه لمحمد أبي النور (٢/٢٨٥، ٢٨٨).

(٢) انظر فتح الباري (٨/٢٠٣) ، والجواهر الحسان (١/٢٦٨).

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٤) انظر أصول الفقه لمحمد أبي النور (٢/٢٩٦).

(٥) قال ابن قدامة : قال به - يعني بإثبات مفهوم الصفة - : حل أصحاب الشافعي . واختار التميمي أنه ليس بخجة وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين . انظر روضة الناظر (٢/٢٢٣).

قوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾^(١) ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾^(٣) ، وقوله: ﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾^(٤) ، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾^(٥) .

فإن قالوا : هذه الآيات ليست محل نزاع لأننا نقول بمفهوم الوصف فيما لم يظهر لذكر الوصف فائدة أخرى^(٦) . قلنا : قد ظهرت فائدة أخرى في الآية المتنازع فيها فلم يبق لكم فيها حجة^(٧) .

وأما السنة - فقد تقدم الاستدلال ببعض الأحاديث لمن يرون هذا القول ، وأقوى منها دلالة وثبوتاً ، ما أخرجه البخاري ومسلم^(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((ليس المسكين بالذي ترده التمرة و﴿ التمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان ، إنما المسكين المتعفف ، اقرأوا إن شئتم ﴾ لا يسألون الناس إلفاً ﴾^(٩) .

ووجه الدلالة من الحديث أن النبي ﷺ جعل المساكين قسمين : قسم ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان ، وهذا ظاهر للناس معلوم ، وإنما ظهر لأنه يسأل فيعطى لسأله . القسم الثاني : هو المتعفف وهو الذي يكف نفسه عن السؤال ، ويحملها على الصبر والنزاهة عن ذلك^(١٠) . وهذا قد جعله

(١) سورة غافر ، الآية : ١٨ . ووجه الاستدلال أن الظالمين ليس لهم حميم ولا شفيع ، مطاع أو غير مطاع .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧ . ووجه الاستدلال أن قوله « لا برهان له به » ليس له مفهوم .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٣ . ووجه الاستدلال أنه قوله « اللاتي في حجوركم » لا مفروض له .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٥١ . ووجه الاستدلال أن قوله « ما لم ينزل به سلطاناً » لا مفروض له .

(٥) سورة الإسراء ، الآية : ٣١ . ووجه الاستدلال أن قوله « خشية إملاق » لا مفروض له .

(٦) انظر الإبهاج شرح المنهاج (١/٢٧٥-٢٧٦) .

(٧) سيأتي بيان سبب ذكر إنقيد .

(٨) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، الإمام الحجة الحافظ صاحب الصحيح (ت : ٢٦١ هـ) . انظر السير

(١٢/٥٥٧) .

(٩) منفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه مع الفتح (٨/٢٠٢) ، كتاب التفسير باب ﴿ لا يسألون الناس إلفاً ﴾

ح (٤٥٣٩) ، ومسلم في صحيحه (٢/٧١٩) ، كتاب الزكاة ، باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يظن له فيتصدق

عليه ، ح (١٠٣٩) .

(١٠) قال ابن الأثير - في قوله ﷺ ((ومن يستعفف يعفه الله)) - : الاستعفاف طلب العفاف والتعفف وهو الكف عن

الحرام والسؤال من الناس ... وقيل : الاستعفاف : الصبر والنزاهة عن الشيء . انظر النهاية (٣/٢٦٤) ((عفف)) .

الرسول ﷺ في مقابل القسم الأول فعلمنا أن هذا القسم لا يسأل بحال . ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ إشارة منه ﷺ أن هذا القسم هو المقصود في الآية الكريمة فزال عن المتأمل إشكال هذا القيد ﴿ إلحافاً ﴾ وإنه إنما ذكر لنكتة^(١) بدیعة سیأتي بيانها إن شاء الله تعالى .
فإن قيل : إن كنتم تقولون هذا القيد لا يفهم منه إثبات السؤال من غير إلحاف فما سبب ذكره في هذه الآية؟ .

فالجواب على هذا من وجوه:

أحدها : هذا القيد جيء به للتنبيه على سوء هذه الحالة والتنفير منها ، وقد أشار إليه ابن عطية وغيره^(٢) .

الثاني : بين تعالى شدة حاجة هؤلاء الفقراء ، ومن اشتدت حاجته فإنه لا يمكنه ترك السؤال إلا بإلحاح شديد منه على نفسه ، فكانوا لا يسألون الناس ، وإنما أمكنهم ترك السؤال عندما ألحوا على أنفسهم ومنعوها بالتكليف الشديد^(٣) .

الثالث : أن من سأل فلا بد وأن يلح في بعض الأوقات ؛ لأنه إذا سأل فقد أراق ماء وجهه ويحمل الذلة في إظهار ذلك السؤال فيقول : لما تحملت هذه المشاق فلا أعود بغير مقصود فهذا الخاطر يحمله على الإلحاف ... فثبت أن كل من سأل فلا بد وأن يقدم على الإلحاف في بعض الأوقات فكان نفي الإلحاف عنهم مطلقاً موجباً لنفي السؤال عنهم مطلقاً^(٤) .

الرابع : إنما ذكر الله هذا الوصف ونفاه ، لقصد نفي المتربات على المنفي الأول ، لأنه نفى السؤال على سبيل العموم فانتفت مرتباته فكانه قال لا سؤال فلا إلحاف^(٥) .

وبهذا يتبين ما أشرت إليه سابقاً أنه الأولى ، وهو قول الإمام الطبري . والله أعلم .

(١) النكتة : المسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر . انظر المعجم الوسيط (٢/٩٨٨) ((نكت)) . قلت : وقد ألف في نكت القرآن علماء من أحسن ما رأيت لهم ((نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام)) للإمام الحافظ : محمد بن علي القصاب المتوفى في حدود ستين وثلاثمئة رحمه الله تعالى ، والكتاب حقق من قبل ثلاثة طلاب أنا أحدهم .

(٢) انظر المحرر الوجيز (٢/٣٤٠) ، والتفسير الكبير (٧/٧٢) .

(٣) انظر التفسير الكبير (٧/٧٢) .

(٤) انظر المصدر السابق (٧/٧٢) .

(٥) انظر الدر المصون (٢/٦٢٤) بتصرف .

٣٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿فإن لم تفعلوا﴾ فإن لم تذرُوا ما بقي من الربا.

واختلف القراءة في قراءة قوله : ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ فقراءته عامة قراءة أهل المدينة ﴿فأذنوا﴾ بقصر الألف من ﴿فأذنوا﴾ وفتح ذالها ، بمعنى كونوا على علم واذن . وقرأه آخرون ، وهي قراءة عامة قراءة الكوفيين : ﴿فأذنوا﴾ بمد الألف من قوله : ﴿فأذنوا﴾ وكسر ذالها بمعنى : فأذنوا غيركم : أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم . قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ : ﴿فأذنوا﴾ بقصر ألفها وفتح ذالها ، بمعنى : اعلّموا ذلك واستيقنوه ، وكونوا على إذن من الله عز وجل لكم بذلك . وإنما اخترنا ذلك ؛ لأن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ أن ينبذ إلى من أقام على شركه الذي لا يقر على المقام عليه ، وأن يقتل المرتد عن الإسلام منهم بكل حال إلا أن يراجع الإسلام ، آذنه المشركون بأنهم على حربيه أو لم يؤذنه . فإذا كان المأمور بذلك لا يخلوا من أحد أمرين : إما أن يكون كان مشركاً مقيماً على شركه الذي لا يقر عليه ، أو يكون كان مسلماً فارتد وأذن بحرب . فأي الأمرين كان ، فإنما نبذ إليه بحرب ، لا أنه أمر بالإيدان بها إن عزم على ذلك ؛ لأن الأمر إن كان إليه ، فأقام على أكل الربا مستحلاً له ولم يؤذن المسلمون بالحرب ، لم يلزمهم حربيه ، وليس ذلك حكمه في واحدة من الحالين ، فقدم علم أنه المأذون بالحرب ، لا الآذن بها . وعلى هذا التأويل ، تأوله أهل التأويل^(١) . ثم ساق عدداً من الآثار فيها ما يدل على أن الله تعالى هو الذي أوعدهم بالحرب ، لا أنهم أمروا بأن يعلموا بها^(٢) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على من رجح قراءة المد أو القصر فقال - بعد أن ذكر القراءتين ، وترجيح الفارسي لقراءة المد - : ((قال الطبري : قراءة القصر أرجح ؛ لأنها تختص بهم ، وإنما أمروا على قراءة المد بإعلام غيرهم . قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : والقراءتان عندي سواء ؛ لأن المخاطب في الآية محصور بأنه كل من لم يذر ما بقي من الربا ، فإن قيل لهم : فأذنوا فقد عمهم الأمر ، وإن قيل لهم : فأذنوا بالمد فالمعنى أنفسكم وبعضكم بعضاً ، وكان هذه

(١) تفسير الطبري (٦/٢٤ ، ٢٥).

(٢) انظر تفسير الطبري (٦/٢٥ ، ٢٦).

القراءة تقتضي فسحاً لهم في الارتياح والثبوت ، أي فاعلموا نفوسكم هذا ثم انظروا في الأرجح لكم ، ترك الربا ، أو الحرب))^(١).

هذا رأي الإمام الطبري والقاضي ابن عطية في هذه المسألة ، وملخص البحث فيها كما يلي :

- ١- القراءتان اللتان ذكرهما الإمام الطبري ، ورجح إحداهما على الأخرى قراءتان متواترتان^(٢).
- ٢- هناك من وافق الطبري فيما ذهب إليه فقد أشار الزمخشري إلى ترجيح قراءة القصر ، لكن من غير تصريح^(٣).

ومال أبو علي الفارسي ومكي إلى عكس ما ذهب إليه الإمام الطبري والزمخشري ، فرجحا قراءة المد^(٤). قال الفارسي : ((فمن قال : ﴿فَأَذِنُوا لِمَنْ آذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ فقصر فمعناه : اعلموا بحرب من الله ، والمعنى : أنكم في امتناعكم من وضع ذلك حرب لله ورسوله . ومن قال : ﴿فَأَذِنُوا بِحَرْبٍ﴾ فتقديره : فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ، والمفعول هنا محذوف ... وقد أثبت ... في قوله : ﴿فَقُلْ آذَنُكُمْ عَلَىٰ سِوَاءِ﴾^(٥) وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم أيضاً أنهم حرب إن لم يمتنعوا عما نهوا عنه من وضع الربا عمن كان عليه ، وليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم فهذا في الإبلاغ أكد))^(٦).

وهناك من ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه هؤلاء العلماء فقد ذكر السمين الحلبي عن أبي حاتم السجستاني أنه استبعد قراءة المد معللاً ذلك بأنه يصبح الأمر لغير المخاطبين ، وهذا لا يصلح ؛ لأن المخاطبين هم المأمورون بترك الربا^(٧).

(١) ائخر الوجيز (٢/٣٥٣).

(٢) انظر المبسوط في القراءات العشر ص (١٥٤) ، وإرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي ص (٢٥٢) ، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٣٦).

(٣) انظر الكشاف (١/٤٠١).

(٤) لكن رجح مكي عن ترجيحه بسبب أن جماعة القراء على القصر. انظر الكشاف (١/٣١٨).

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٩.

(٦) الحجة (٢/٤١٣).

(٧) انظر الدر المصون (٢/٦٤٠) . وقد أجاب السمين بقوله : ((وهذا الذي قاله غير لازم ، لأنك إذا كنت على حالة نقلت لك يا فلان : اعلم فلاناً أنه مرتكب فيجأ . وهو شيء مماثل لما أنت عليه ، علمت قطعاً أنك مأمر به أيضاً)).

الذئب

٣- أكثر من رأيت مؤلفاتهم من المفسرين وأصحاب المعاني على ذكر القراءتين والمعنيين اللذين

ذكرهما الطبري والفارسي من غير ترجيح قراءة على قراءة^(١).

٤- هل الصواب فيما ذهب إليه الإمام الطبري أم في استدراك القاضي ابن عطية ؟

الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة ؛

وذلك للأسباب التالية:

١- القراءتان متواترتان ظاهر معناه فلا داعي إلى ترجيح واحدة على الأخرى . إذ مسلك ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة مسلك غير جيد وتختلف فيه الأنظار فما رجحه الطبري هنا جاء من يقول: قراءة المد أرجح لأنها تتضمن العلم والإعلام ، وأبعد من هذا المسلك من يرجح معنى قراءة شاذة على معنى قراءة متواترة ولو سد الباب من أول مرة لما وجد مثل هذا.

٢- هذا يؤدي في بعض الأحيان إلى المبالغة التي تكاد تسقط القراءة الأخرى ، وهذا غير مرضي لأن كليهما متواترة^(٢).

٣- جاء عن طائفة من العلماء - الذين لا يقلون شأنًا عن رأى ترجيح قراءة على قراءة - تخرجهم من هذا المسلك ، وما هو أقل منه ، بل وردهم له ، وإليك بعض أقوالهم فيما يلي:

أ- نقل عن إمام اللغة ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى الكلام (كلام الناس) فضلت الأقوى^(٣).

قلت : رحم الله ثعلباً وإنما هذا في الإعراب فكيف بتقديم قراءة على أخرى بدعوى أن معناها أظهر.

ب- قال أبو جعفر النحاس^(٤) : ((والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن

الجماعة أن لا يقال : إحداهما أجود من الأخرى ؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة رحمهم الله ينكرون مثل هذا))^(٥).

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ص (١٨٢)، وبحر العلوم (١/٢٣٥-٢٣٦)، والنكت والعيون (١/٣٥٢)، والوسيط

(١/٣٩٧-٣٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/٣٥٩)، وتفسير البيضاوي (١/١٤٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل

(١/١٦٩)، وتفسير الخازن (١/٣٠١)، ومعالم التنزيل (١/٢٦٥)، وروح المعاني (٣/٥٣)، والتحرير والتنوير

(٣/٩٥)، وفتح القدير (١/٢٩٧).

(٢) انظر البرهان (١/٣٣٩-٣٤٠) فقد أورد نحوه الزركشي عن أبي شامة والكواشي.

(٣) انظر المصدر السابق (١/٣٣٩). والذي فهمته أنه يعني أن الإعراب إذا كان سبب اختلافه اختلاف في القراءة السبعة

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري، العلامة، إمام العربية (ت: ٣٣٨هـ). انظر السير (١٥/٤٠١).

(٥) إعراب القرآن (٥/٦٢).

لم يفضل أهل الإعراب على النظر
فمنه على قراءة أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري

ج - قال ابن النقيب^(١) - وقد ذكر التوجيه في قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ و ﴿وَاعَدْنَا﴾^(٢) - : ولا وجه للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض في مشهور كتب الأئمة من المفسرين والقراء والنحويين^(٣).

(١) محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ، مفسر من فقهاء الحنفية (ت : ٦٩٨هـ) . انظر طبقات المفسرين للداري (١٤٩/٢).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥١ . والقراءتان متواترتان . انظر المبسوط في القراءات العشر ص(١٢٩).

(٣) الرهان في علوم القرآن (١/٣٤٠).

٣٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ... واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأن تصدقوا برؤوس أموالكم على الغني والفقير منهم خير لكم ذكر من قال ذلك...))^(١) ثم ساق بسنده إلى قتادة أنه قال : ((إن تصدقوا بأصل المال خير لكم))^(٢) وعنه أنه قال : ((أي برأس المال فهو خير لكم))^(٣) . وعن إبراهيم النخعي في قوله : ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾ ((قال من رؤوس أموالكم))^(٤) وعنه أنه قال : ((إن تصدقوا برؤوس أموالكم))^(٥) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله أقوال قتادة وإبراهيم النخعي تحت الترجمة التي وضعها ، وهذه الأقوال لا يلزم منها أنهما يقولان : تصدقوا على الغني فقال : ((وقال الطبري : وقال آخرون : معنى الآية وأن تصدقوا على الغني والفقير خير لكم ، ثم أدخل الطبري تحت هذه الترجمة أقوالاً لقتادة وإبراهيم النخعي لا يلزم منها ما تضمنته ترجمته ، بل هي كقول جمهور الناس ، وليس في الآية مدخل للغني))^(٦) .

هذه ترجمة الطبري وما أدخل تحتها واستدرك ابن عطية عليه في ذلك .

وهذه المسألة يتلخص البحث فيها فيما يلي :

- ١- محل استدراك ابن عطية : أن الطبري وضع ترجمة وأدخل تحتها ما ليس داخلياً .
- ٢- تابع القرطبي أبا محمد فأورد ترجمة الطبري وصحح أن الصدقة على المعسر من الغرماء ، وأن الغني لا مدخل له في الآية . إلا أنه لم ينسب هذا لابن عطية^(٧) ، وتابع الشوكاني القرطبي فأورد ما قال إلا أنه لم ينسبه إليه ولا إلى ابن عطية^(٨) .

(١) تفسير الطبري (٣٥/٦) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥/٦) من طريق سعيد عن قتادة ، وأورد الجصاص في أحكام القرآن (٢٠٤/٢) ، عن قتادة نحوه .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦/٦) من طريق سعيد عن قتادة .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦/٦) من طريق سفيان عن المغيرة عن إبراهيم .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦/٦) من طريق سفيان عن مغيرة عن إبراهيم ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١١٢/١) من الطريق نفسه ، وأورد الجصاص في أحكام القرآن (٢٠٤/٢) عن إبراهيم نحوه .

(٦) آخر الوجيز (٣٥٧/٢) .

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٣) .

(٨) انظر فتح القدير (٢٩٨/١) .

٣- لم أر - في حد اطلاقى - من تابع الطبري فيورد الترجمة بالصفة المذكورة ويورد تحتها أقوال قتادة وإبراهيم . نعم أبو حيان ذكر عن قتادة ما يؤيد فعل الطبري ، فقال : ((وقال قتادة : ندبوا إلى أن يتصدقوا برؤوس أمراهم على الغني والفقير))^(١).

والذي يبدو أن أبا حيان نسب لقتادة هذا القول بهذه الصيغة متأثراً بترجمة الإمام الطبري وما أدخل تحتها.

٤- الذي يترجح عندي أن استدراك أبي محمد على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة ؛ لأن أقوال قتادة وإبراهيم ليس فيها إلا ذكر الصدقة برأس المال ، أو من رأس المال ، فلا يصلح أن يقال : إنهما أرادا بذلك الصدقة على الغني ، بل الذي يفهم أن أقوالهما موافقة لقول الجمهور^(٢) - كما قال أبو محمد - وأن مقصودهما الصدقة على الفقير ؛ لأن الصدقة إذا ذكرت تنصرف إليه . والله أعلم.

(١) البحر المحيط (٢/٣٥٦).

(٢) قول الجمهور هو أن الصدقة على المعسر ، أسنده الإمام الطبري إلى السدي والضحاك وابن زيد وغيرهم . وهو الذي فسر به الإمام الطبري الآية ورجحه على ما ظنه قولاً آخر . انظر تفسيره (٦/٣٦ ، ٣٧).

٣٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فاكتبوه ﴾ قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ فاكتبوه ﴾ فاكتبوا الدين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض . واختلف أهل العلم في اكتاب الكتاب بذلك على من هو عليه ، هل هو واجب أو هو نذب...))^(١) ثم سرد الأقوال فيه ، وأتبعه بتفسير قوله تعالى : ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ﴾ وذكر أقوال أهل العلم في معنى الأمر في قوله : ﴿ ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ﴾ ثم عقب ذلك كله بقوله : ((قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله عز وجل أمر المتدائنين إلى أجل مسمى باكتاب كتب الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل . وأمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد ونذب ، ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتاب الكتب في ذلك ، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك، نذب وإرشاد . فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ومن ضيعه منهم كان حرجاً بتضييعه...))^(٢) ثم أخذ في الرد على أقوال المخالفين له فيما ذهب إليه ، إلى أن قال : ((وأما الذين زعموا أن قوله : ﴿ فاكتبوه ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ ولا يأب كاتب ﴾ على وجه النذب والإرشاد ، فإنهم يسألون البرهان على دعواهم في ذلك ، ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذي أمر في كتابه ، ويسألون الفرق بين ما ادعوه في ذلك وأنكروه في غيره . فلم يقولوا في شيء من ذلك إلا ألزموا في الآخر مثله))^(٤).

ولما جاء القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - إلى تفسير آية الدين ذكر أقوال أهل العلم واختلافهم في معنى الأمر في قوله : ﴿ فاكتبوه ﴾ إلى أن قال : ((وقال جمهور العلماء : الأمر بالكتب نذب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب ، وإذا كان الغريم تقياً فما يضره الكتاب ، وإن كان غير ذلك فالكتب ثقاف في دينه، وحاجة صاحب الحق . وقال بعضهم : إن أشهدت فحزم ، وإن ائتمنت ففي حل وسعة وهذا هو القول الصحيح ، ولا يترتب نسخ في هذا؛ لأن الله تعالى نذب إلى الكتب فيما للمرء أن يهبه ويتركه

(١) تفسير الطبري (٤٧/٦).

(٢) المصدر السابق (٥٣/٦).

(٣) في تفسير الطبري ((فاكتبوا)) والتلاوة بالماء ((فاكتبوه)).

(٤) المصدر السابق (٥٥/٦).

بإجماع ، فندبه إنما هو على جهة الحيلة للناس ، ثم علم تعالى أنه سيقع الائتمان فقال : إن وقع ذلك ﴿فليؤد﴾^(١) الآية ، فهذه وصية للذين عليهم الديون ، ولم يجزم تعالى الأمر نصاً بأن لا يكتب إذا وقع الائتمان . وأما الطبري رحمه الله فذهب إلى أن الأمر بالكتب فرض واجب وطول في الاحتجاج ، وظاهر قوله أنه يعتقد الأوامر على الوجوب حتى يقوم دليل على غير ذلك^(٢).

تبين مما تقدم أن الإمام الطبري يرى الأمر بكتابة الدين في الآية محمول على الوجوب ، وأن القاضي ابن عطية يرى أن الأمر في الآية محمول على الندب ويصفه بالقول الصحيح ، ثم يردفه بقول الطبري المخالف لما وصفه بالصحيح ، وفي هذا ما يفيد الاستدراك ، وإن لم يصرح به ابن عطية.

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالدين المأمور بكتابته في هذه الآية على قولين:

١ - منهم من يرى أن الدين المذكور في الآية هو دين السلم^(٣) خاصة وهو ابن عباس^(٤).

٢ - والباقون - غير ابن عباس - يرون أن الآية عامة في جميع المدائبات ، ثم هؤلاء اختلفوا في معنى

الأمر المذكور في الآية على ثلاثة أقوال:

(١) جمهور العلماء - الأئمة الأربعة وغيرهم - يذهبون إلى حمل الأمر في الآية على الندب^(٥).

وحجتهم فيما ذهبوا إليه ما يلي:

أ- ما أخرجه الإمام البخاري وغيره عن أبي هريرة ((عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : انتني بالشهداء أشهدهم ، فقال كفى بالله شهيداً ، قال فانتني بالكفيل ، قال كفى بالله كفيلاً . قال : صدقت ، فدفعها إليه على أجل مسمى...))

(١) ﴿فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ ، سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢.

(٢) المحرر الوجيز (٢/٣٥٩-٣٦٠).

(٣) السلم : نوع من البيوع يجعل فيه الثمن ، وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم . انظر أنيس الفقهاء ص (٢١٩).

(٤) رواه عنه البخاري معلقاً (٤/٤٣٤) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣١٤) ، كتاب التفسير من طريق إبراهيم بن

بشار عن سفيان . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي : إبراهيم ذو زوائد عن ابن عيينة .

وانظر روح المعاني (٣/٥٥) فقد ذكر أن ابن عباس يخص الآية بدين السلم . وقال الإمام الشافعي عند هذه الآية :

يختل كل دين ويختل السلم خاصة ، وقد ذهب فيه ابن عباس إلى أنه في السلف . انظر أحكام القرآن له (١/١٣٧).

قلت : وقوله في السلف يعني به ((السلم)).

(٥) انظر الخلی (٨/٣٤٦) ، والتحرير والتنوير (٣/١٠٠) فقد نصوا على أنه رأي الأئمة الأربعة إلا أن ابن حزم ما ذكر

رأي الإمام أحمد . وهو كذلك من خلال كتبهم . انظر الأم (٣/٨٨ - ٨٩) ، وأحكام القرآن للحصص (٢/٢٠٦) ،

والمغني (٤/٣٠٢ - ٣٠٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٣/٣٨٢).

الحديث (١). ووجه الإستهناد: أن الذي حُكي عن شرع من قبلنا مقرر في شرعنا ، ولم ينكر عدم الكتابة والإشهاد (٢).

ب- ما جاء عن بعض الصحابة والتابعين أنهم كانوا لا يرون وجوب كتابة الدين ، وهم كانوا أعلم بالقرآن والسنة (٣).

ج- أن الله تعالى قال : ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة﴾ (٤) والرهن لا يجب إجماعاً ، وقد جعله الله بدلاً من الكتابة عند تعذرها فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً فتبين بهذا أن الأمر للندب والإرشاد (٥).

د- في إيجاب كتابة الدين حرج على المسلمين (٦) ، وهذا يتنافى مع الشريعة التي أرسل بها محمد ﷺ وفيها ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (٧) ، ووصفها رسول الله ﷺ بقوله : ((بعثت بالحنيفية السمحة)) (٨).

هـ - تدب الله إلى الكتب فيما للمرء أن يهبه ويتركه بإجماع فندبه إنما هو على جهة الخيطة للناس ، ثم علم تعالى أنه سيقع الائتمان فقال : إن وقع ذلك ﴿فليؤد الذي أوتمن أمانته﴾ (٩) فهذه وصية للذين عليهم الديون ولم يجزم تعالى الأمر نصاً بأن لا يكتب إذا وقع الائتمان (١٠).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤٦٩/٤) ، كتاب الكفالة ، باب الكفالة في القرض والديون

بالأبدان وغيرها ، ح (٢٢٩١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/٣٣٥).

(٣) انظر أحكام القرآن للحصاص (٢/٢٠٥) ، والتفسير الكبير (٧/٩٦).

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٥) انظر أضواء البيان (١/٣٦٠).

(٦) انظر التفسير الكبير (٧/٩٦) ، والمعني (٤/٣٠٣).

(٧) سورة الحج ، الآية : ٧٨.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٦٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وذكر ابن كثير في تفسيره (٢/٤٠٤) أن

هذا الحديث قد جاء من طرق وحسن الحافظ في الفتح (١/٩٤) ما هو بمعناه من حديث ابن عباس .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(١٠) انظر المحرر الوجيز (٢/٣٥٩-٣٦٠).

و - الأمر في الآية قرين الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (١) ، فكما أنه لا يجب الانتشار ، بل هو محمول على الندب فكذلك هنا في الأمر بالكتابة (٢).

(٢) وذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمر كان للوجوب ثم نسخ الوجوب بقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَمَلُودٌ لِّذِي أَوْثَمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ (٣) . ودليل هؤلاء : ما أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى : ﴿ فَإِنِ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ قال : هذه نسخت ما قبلها (٤).

(٣) وذهب أهل الظاهر وابن جرير الطبري ، والإمام محمد بن علي القصاب إلى أن الأمر للوجوب ، وجنح إليه صاحب التحرير والتنوير ابن عاشور (٥) . ودليلهم أن الله سبحانه وتعالى أمر بالكتابة فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتَبُوا ﴾ فهذا أمر من الله تعالى لا يسع المكلف إلا التسليم له وامتناله إذ هو للوجوب ولا يصرف عن الوجوب إلا بنص آخر ، أو بضرورة حس ، وهما هنا مفقودان (٦).

وبعد : فهذه المسألة الخلاف فيها مشهور بين جمهور أهل العلم وبين أهل الظاهر والإمام الطبري ومن مع هؤلاء ممن يرون الوجوب وتعقيب عليها بما يلي :

١ - يتفق قول من يرى أن الوجوب منسوخ وقول من يرى حمل الأمر على الندب في النتيجة .

- (١) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .
 (٢) انظر معالم التنزيل (٢٦٧/١) بتصرف .
 (٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ . ونسب الإمام الطبري القول بالنسخ إلى الشعبي وابن زيد والحسن وذلك بما رواه في تفسيره عنهم . انظر تفسيره (٤٨/٦ ، ٤٩) ، وانظر أحكام القرآن للحصاص (٢٠٥/٢) .
 (٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٠/٦) من رواية ابن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري وأورده ابن كثير في تفسيره (٣٢٨/١) وقال : رواه ابن أبي حاتم بإسناد جيد .
 (٥) انظر تفسير الطبري (٥٣/٦) ، والمحلى (٨٠/٨) ، ونكت القرآن الدالة على البيان (١٦١/١) ، والتحرير والتنوير (١٠٠/٢) وروي عن أبي موسى وكعب وابن جريج والضحاك ما يفيد أنهم يرون الوجوب . انظر تفسير الطبري (٤٧/٦) ، وأحكام القرآن للحصاص (٢٠٦/٢) .
 (٦) انظر تفسير الطبري (٥٣/٦) ، والمحلى (٨٠/٨) . ويعنون بضرورة الحس ما هو كقوله تعالى: ﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ .

(١) أن أجمعهم، أنفسهم قد اختلفوا في شرع من قبلنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه فمنهم من يقول: هو شرع لنا، ومنهم من يقول: ليس بشرع لنا (٢). فيقال لهم: ألا يصلح هذا دليلاً علينا مع اختلافكم أنتم فيه؟ إن أنسخنا منكم ما لا نرضى به منكم من شرعنا، فما يرضى الله به من شرعنا، ثم الحديث ليس فيه ذكر للكتابة، لا من قريش ولا من بعدهم (٣) وإنما فيه ذكر الشهادة والكفالة، وهما شيء والكتابة شيء آخر مبني على ما لا يملكه إلا الله، لم يسمعنا أحد من أتينا بغير شرع الله.

٢- وأما استدلالهم بما روي عن بعض الصحابة والتابعين، فهذا مغارض بمثله بالنسبة للتابعين فقد روي أيضاً ما يدل على أن بعضهم يرى الوجوب في كتابة الذين (٤) يؤمنون به، ثم روي أيضاً ما يدل على أن بعضهم يرى من خالفه من التابعين (٥) كتابة الله تعالى ما يشاء.

وأما ما جاء عن بعض الصحابة فقد تقدمت الإجابة عليه عند مناقشة دليل القائلين بالنسخ بحسب ما في (٦) وأما استدلالهم بأن القول بوجوب الكتابة فيه أخرج وضيقاً بالأحزاب، لا أخرج ولا ضيقاً في الأمر بوجوب كتابة الدين، إن قيل: الكتاب قد لا يوجد، فقلنا: هذه الحال لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ومتى وجد وجب أن يكتب ذلك.

ثم قيل: إن في عدم الكتابة من المشاقة والمخاصمة والاختلاف في الحقوق ما يوجد معه الخرج والمشقة، وكان هذا صحيحاً والواقع يصدق ذلك: بل روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب ما يرضى به من شرعنا، ثم روي أيضاً ما يدل على أن من لم يسلم دليل - من أدلة القائلين بأن الأمر بكتابة الذين يؤمنون بالله على النبوة - من الاعتراض لذلك دليل القائلين بالنسخ.

وأما في نظري أن سياق القرآن الكريم يقوي قول من قال بالوجوب، فقد جاء في هذه الآية عدة مؤيدات تدل على أن القول بالوجوب أظهر، وهي ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ فهذا ظاهره الإيجاب على الكاتب أن يكتب ما

(١) انظر روضة الناظر (١/٤٧٠، ١/٤٧١) - (٢) انظر تفسير الطبري (٤٧/٦)، وقد تقدم هذا قريبا. وانظر نواسخ القرآن لابن الجوزي ص (٢٢١) فقد ذكر الوجوب عن جماعة من التابعين ص (٢٠٦).

(٣) انظر مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ص (٩٨).

(٤) انظر روضة الناظر (١/٤٧٠، ١/٤٧١).

(٥) انظر تفسير الطبري (٤٧/٦).

٢- ذكر الإملاء ، وما فيه من عدم الإسقاط حتى مع سفه المملي ، أو ضعفه ، أو عدم استطاعته ، فإن وليه يقوم مقامه في هذا الحال ، ولو كان الأمر على الندب لما كان فيه مثل هذا ، فتأمل قوله : ﴿وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ، ولا يبغض منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾ فإنه يدل على ما ذكرت .

٣- النهي عن السأم من كتابة الدين صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، وبيان فوائد الكتابة بأنها أعدل عند الله ، وأصوب للشهادة ، وأجدر ألا يحصل الشك في الحق والأجل ، وهذا كله يقوي الوجوب ، فتأمل معي قوله تعالى : ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا﴾ تجده كذلك .

٤- استثناء حالة التجارة الحاضرة التي تدار بين الأفراد برفع الجناح عن من لم يكتبها ، وهذا بمفهومه المخالف يفيد وقوع الإنم في غير هذه الحال وهذا مما يقوي الوجوب ، فتأمل معي قوله تعالى : ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾ تجده كذلك إن شاء الله تعالى .

وبهذا وغيره مما تقدم يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري - بأن الصحيح في غير ما ذهب إليه - ليس وارداً . والله أعلم .

٣٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾)) ثم ذهب إلى أن المراد بالسفيه هو الجاهل بالإملاط والأمر ، وليس الصغير^(١) . وبناء على ذلك فقد قال: إن المراد بالولي في قوله: ﴿فليملل وليه بالعدل﴾ هو صاحب الحق . أي صاحب الدين فقال ((فوضع الله جل وعز عنهم فرض إملاط ذلك للعلل التي وصفنا - إذا كانت بهم - وعذرهم بترك الإملاط من أجلها ، وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولي الحق بإملاطه فقال: ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾ يعني: ولي الحق))^(٢) . ثم ساق بسنده عن الربيع أنه يقول: ولي الحق^(٣) .

وساق أثراً آخر عن ابن عباس أنه قال : ((إن كان عجز عن ذلك ، أملاً صاحب الدين بالعدل))^(٤) . واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من إعادة الضمير على ﴿الحق﴾ ونسبته ذلك إلى ابن عباس فقال - بعد أن ذكر أن معنى الولي هو ولي السفيه الذي يحق له أن يحجر عليه من أب أو وصي - : ((وذهب الطبري إلى أن الضمير في ﴿وليه﴾ عائد على الحق وأسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس . قال القاضي أبو محمد : وهذا عندي شيء لا يصح عن ابن عباس ، وكيف تشهد البيعة على شيء ، وتدخل مالا في ذمة السفيه بإملاط الذي له الدين؟ . هذا شيء ليس في الشريعة ، والقول ضعيف ، إلا أن يريد قائله : إن الذي لا يستطيع أن يمل بمرضه إذا كان

(١) انظر تفسير الطبري (٥٧/٦) . وسيأتي نقل شيء من ذلك .

(٢) انظر المصدر نفسه (٥٨/٦ ، ٥٩) .

(٣) انظر المصدر السابق (٥٩/٦) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩/٦) عن شيخه محمد بن سعد ، قال حدثني أبي قال حدثني عمي ، قال حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فذكره . ونص السيوطي أن هذا هي طريق العوفي عن ابن عباس فقال: وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس : فليملل وليه قال صاحب الدين . انظر الدر المنثور (٣٧١/١) . والعوفي قال عنه الخافظ: صدوق يخطئ كثيراً ، وكان شيعياً مدلساً ، من الثالثة ... انظر تقريب التهذيب ص (٣٩٣) رقم (٤٦١٦) . وقال السيوطي: وطريق العوفي عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً ، والعوفي ضعيف ليس بواه ، وربما حسن له الترمذي . انظر الإتيان (٥٣٥/٢) . وقال الذهبي قبلهما : ضعفه . انظر الكاشف (٢٣٥/٢) . تبين مما تقدم أن العوفي ضعيف وأن ما قاله ابن عطية في هذا الأثر هو كما قال .

عاجزاً عن الإملاء فليمل صاحب الحق بالعدل ، ويسمع الذي عجز ، فإذا كمل الإملاء أقر به ، وهذا معنى لم تعن الآية إليه ، ولا يصح هذا إلا فيمن لا يستطيع أن يمل بمرض^(١).

الظاهر أن استدراك القاضي ابن عطية في شيئين :

الأول : أن الطبري أسند إلى ابن عباس قولاً لا يصح^{سمنه} ، وهذا لا ينبغي.

الثاني : أن هذا التفسير الذي اختاره الإمام الطبري ليس في الشريعة ، وهو قول ضعيف.

ونبدأ أولاً : باستدراكه على الأثر ، فقول ابن عطية : إن نسبة القول إلى ابن عباس لا تصح ، هو كما قال ؛ لأن في الطريق إلى ابن عباس عطية بن سعد العوفي^(٢) ، وعطية هذا ضعيف نص على ذلك علماء الجرح والتعديل ، وتقدم قريباً بحث ذلك عند تخريج الأثر الذي ساقه الطبري عن ابن عباس.

وأما استدراكه على القول وقوله : ليس في الشريعة وهو قول ضعيف. فهذا يبحث من الجوانب التالية:

١ - اختلف العلماء في مرجع الضمير في قوله : ﴿وليه﴾ على قولين:

إل القول الأول : أنه يعود على الذي عليه الحق ، والتقدير : فليملل ولي الذي عليه الحق المنوع من الإملاء بالسفه والضعف والعجز^(٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أ - أن الله تعالى أمر بالكتاب والإشهاد فعرّفنا من ذلك أن المقصود بـ ﴿وليه﴾ هو ولي من عليه الحق، إذ لو كان المقصود بـ ﴿وليه﴾ صاحب الحق وهو الدائن لما كان هناك حاجة إلى الكتاب والإشهاد والقول قوله^(٤).

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٦٢-٣٦٣).

(٢) هو : عطية بن سعد العوفي ، أبو الحسن ، ضعيف ، (ت : ١١١هـ) . انظر الكاشف (٢/٢٣٥).

(٣) انظر تفسير الطبري (٦/٥٧-٦٠) فقد رواه الطبري عن الضحاك وابن زيد صريحاً وعن السدي ومجاهد ما يدل أنهما يريان ذلك ، وقال به كثير من المفسرين كالزجاج والزمخشري والواحدي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والسمين ، وأبي السعود ، والخازن . انظر معاني القرآن وإعرابه (١/٣٦٣) ، والوسيط (١/٤٠٣) ، والكشاف (١/٤٠٣) ، وتفسير البيضاوي (١/١٤٤) ، وتفسير النسفي (١/١٤٠) ، والدر المصون (٢/٦٥٥) ، وتفسير أبي السعود (١/٢٧٠) ، وتفسير الخازن (١/٣٠٥).

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه (١/٣٦٣).

ب- لا يعرف في الشريعة الإسلامية أنها تطلب من الشهود الشهادة على إدخال حق إلى ذمة السفية ياملاء الذي له الحق^(١).

ج- إنما قلنا : إن الضمير يعود على الذي عليه الحق ؛ لأنه صاحب الولي في الإطلاق ، يقال : ولي السفية ، وولي الضعيف ، ولا يقال ولي الحق ، إنما يقال : صاحب الحق^(٢).

القول الثاني : أن الضمير في ﴿وليه﴾ يعود على الحق ، والتقدير فليملل ولي الحق^(٣).
ودليل هؤلاء ما يلي:

أ- ما جاء عن ابن عباس أنه فسر الولي في قوله: ﴿وليه﴾ أنه صاحب الدين^(٤).

ب- رأيت الإمام الطبري يبيّن ترجيحه لهذا القول على تفسير العلل التي تمتع الإملاء وهي قوله: ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل﴾ ويستبعد أن يكون معنى السفية الصغير، ويوجه القول في هؤلاء أنهم جميعاً بالغون عاقلون إذ لو كانوا غير ذلك لما جاز مدايبتهم بحال^(٥)، ثم يقول: ((وإذا كان ذلك كذلك كان معلوماً أن الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوة على الإملال ، غير أنه وضع عنه فرض الإملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه ، وأن الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن إملاله ، وإن كان شديداً رشيداً إما لعي لسانه أو خرس به ، وأن الموصوف بأنه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع من إملاله ، إما بالحبس الذي لا يقدر معه على حضور الكاتب الذي يكتب الكتاب فيمل عليه وإما لغيبته عن موضع الإملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن إملال الكتاب . فوضع الله جل وعز عنهم فرض إملال ذلك للعلل التي وصفنا ... وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولي الحق ياملله...))^(٦) ثم يقول : ((ولا وجه لقول من زعم أن ((السفيه)) في هذا الموضع هو الصغير ، وأن ((الضعيف)) هو الكبير الأحمق ؛ لأن ذلك إن كان كما قال يوجب أن يكون

(١) انظر المحرر الوجيز (٢/٣٦٢-٣٦٣).

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (١/٢٥١).

(٣) قال ابن الجوزي هذا قول ابن عباس وابن حبير والربيع بن أنس ومقاتل ، واختاره ابن قتيبة . انظر زاد المسير (١/٣٣٧-٣٣٨) . قلت وهو اختيار الطبري كما رأيت . وعليه فسر هود بن محكم . انظر تفسير كتاب الله العزيز (١/٢٥٩).

(٤) تقدم تخريج ذلك قريباً وأن ذلك لا يصح عن ابن عباس.

(٥) انظر تفسير الطبري (٦/٥٧-٥٩).

(٦) انظر المصدر السابق (٦/٥٨، ٥٩).

قوله: ﴿أو لا يستطيع أن يعمل هو﴾ هو العاجز من الرجال العقلاء الجائزي الأمر في أمواهم وأنفسهم عن الإملال ، أما لعله بلسانه من خرس أو غيره من العلل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب . وإذا كان ذلك كذلك معناه لبطل معنى قوله: ﴿فليعمل وليه بالعدل﴾ لأن العاقل الرشيد لا يولى عليه في ماله وإن كان أخرس أو غائباً ولا يجوز حكم أحد في ماله إلا بأمره . وفي صحة معنى ذلك ما يقضي على فساد قول من زعم أن ((السفيه)) في هذا الموضع ، هو الطفل الصغير ، أو الكبير الأحمق^(١).

هذا ما يراه الطبري أنه حجة له فيما ذهب إليه . والذي فهمت من هذه الحجة أنها تتلخص فيما يلي:

أ- هذه الأوصاف التي ذكرت ليس فيها ما يفيد نقص العقل أو التصرف ؛ لأن الحال لو كان كذلك لما جاز مداينة من هذا صفته.

ب- إذا كان هؤلاء يتصفون بالعقل والرشد فلا يجوز بحال أن يولى عليهم في أمواهم ، إذا معنى ﴿وليه﴾ ولي الحق ، وهو صاحب الدين.

٢- موقف العلماء من هذا الخلاف الواقع في مرجع الضمير في قوله : ﴿وليه﴾ يرى الفراء أن لك أن تعيد الضمير إلى أيهما شئت فيقول: ((فإن شئت جعلت ((الهاء)) للذي ولي الدين ، وإن شئت جعلتها للمطلوب))^(٢).

وقال الراغب : ((لا يجوز أن يكون ولي الحق ، كما قال بعضهم ؛ لأن قوله لا يؤثر إذ هو مدع))^(٣). وقال ابن العربي^(٤) - بعد أن ذكر القولين - : ((والظاهر أنه يعود على الذي عليه الحق؛ لأنه صاحب الولي في الإطلاق ، يقال : ولي السفيه وولي الضعيف ، ولا يقال ولي الحق ، إنما يقال صاحب الحق))^(٥).

(١) تفسير الطبري (٥٩/٦).

(٢) معاني القرآن (١٨٣/١).

(٣) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٣٦١/٢).

(٤) محمد بن عبد الله الأندلسي الإشبيلي القاضي الإمام العلامة ، (ت : ٥٤٣هـ). انظر السير (١٩٧/٢٠).

(٥) أحكام القرآن (٢٥١/١).

ونعت الرازي ما ذهب إليه ابن عطية بقوله : ((وهذا هو القول الصحيح))^(١) وقال في الذي اختاره الطبري : ((وهذا بعيد ؛ لأنه كيف يقبل قول المدعي؟ وإن كان قولاً معتبراً ، فأى حاجة بنا إلى الكتابة والإشهاد))^(٢).

وتابع القرطبي ابن عطية فيما قال فأدخل ما قاله في تفسيره راضياً به^(٣).

ووصف الشوكاني ما ذهب إليه الطبري بأنه ضعيف جداً^(٤).

٣- ما ذهب إليه ابن عطية هو الظاهر في هذه المسألة للأسباب التالية:

أ- لأن الرواية عن ابن عباس في تفسير ((الولي)) أنه صاحب الدين من طريق العوفي ، وهي طريق ضعيفة لا يعتمد عليها في التفسير.

ب- ولما أشار إليه العلماء سابقاً أن القول ، إنما هو قول من عليه الحق ، وليس لمن يدعي قبل الآخر حقاً قول ، وهذا الذي أشاروا إليه قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع قررها الرسول ﷺ بقوله : ((لو يعطى الناس بدعواهم ، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ، ولكن البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر))^(٥).

ج- ولما قال ابن العربي: من أن الولي في الإطلاق ينصرف إلى ولي السفيه وولي الضعيف ، ولا يقال: ولي الحق، وإنما يقال : صاحب الحق ، فلو كان الأمر على ما قال الإمام الطبري لقال (فليملل صاحبه بالحق).

د- ولأن الله جعل الذي عليه الحق صنفين : صنف مستقل بنفسه مستطيع ، وصنف لا يستقل بنفسه وهو السفيه والضعيف ومن لا يستطيع أن يمل. فقول الإمام الطبري: إن هؤلاء كاملو العقل والتصرف ولا ولاية لأحد عليهم يلزم منه إعادة الصنفين إلى صنف واحد ، وهذا مخالف لقسمة القرآن الكريم. بقي أن يجاب عما اعتمد عليه الإمام الطبري فيما ذهب إليه:

(١) التفسير الكبير (٩٨/٧).

(٢) المصدر السابق (٩٨/٧).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٨٨/٣).

(٤) انظر فتح القدير (٣٠١/١).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٥٢/١٠) من حديث ابن عباس . وقال الحافظ - في بلوغ المرام ص(٢٩١) - :

إسناده صحيح. قلت: أصل الحديث في الصحيحين.

فقوله: إن السفيه أو الضعيف أو من لا يستطيع أن يمل هؤلاء كلهم لا نقص في عقولهم وتصرفاتهم، وإلا لما جاز مدايبتهم ، يجاب عنه بما يلي:

لا نسلم أن السفيه والضعيف هو من لا نقص في عقله وتصرفاته ، قال الله تعالى: ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾^(١) قال أبو منصور الأزهري : ((يعني المرأة والولد وسميت سفية لضعف عقلها ... وكذلك الأولاد ما لم يؤنس رشدهم))^(٢).

وقال الزجاج : ((السفيه الخفيف العقل ، ومن هذا قيل تسفحت الريح الشيء إذا حركته واستخفته... فالنساء والصبيان اللاني لا يميزن تمييزاً صحيحاً سفهاء ، والضعيف في عقله سفية))^(٣).

وأما الضعيف فيحتمل بالإضافة إلى ما قال الإمام الطبري أن يكون الضعيف في بدنه لصغر أو كبر وكلاهما يلزم عنهما الضعف في العقل غالباً وقد ذكرا في القرآن ، فمن الضعف الذي سببه الصغر قول الله تعالى: ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾^(٤) وقال في الضعف الذي سببه الكبر: ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ﴾^(٥) وتفسير الضعف بما ذكرت منصوص عليه في كتب التفسير^(٦).

ولا يلزم من تفسير السفيه والضعيف بما ذكر أنه لا تصح مدايبتة ، بل تصح مدايبتة ووليه في هذه الحال يقوم مقامه.

وبما تقدم يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري في فرع هذه المسألة.

(١) سورة النساء ، الآية : ٥ .

(٢) تهذيب اللغة (٦/١٣٤).

(٣) معاني القرآن (١/٢٦٢-٢٦٣) . وانظر أيضاً في معنى السفه معاني القرآن الكريم للنحاس (١/٣١٥-٣١٦) ، والمفردات للراغب ص (٢٣٤-٢٣٥).

(٤) سورة النساء ، الآية : ٩ .

(٥) سورة الروم ، الآية : ٥٥ .

(٦) انظر معالم التنزيل (١/٢٦٨) ، والكشاف (١/٤٠٣) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٢٥٠) ، والتحرير والتنوير

٣٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ قال أبو جعفر يعني بذلك جل ثناؤه : وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم، عاجل ذلك وآجله ، ونقده ونسائه ، فإن إرخاصي لكم في ترك اكتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجري بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يدأ بيد ونقداً ، ليس يارخاص مني لكم في ترك الإشهاد منكم على من بعتموه شيئاً أو ابتعتم منه ؛ لأن في ترككم الإشهاد على ذلك خوف المضرة على كل من الفريقين ... ثم اختلفوا في معنى قوله : ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ أهو أمر من الله واجب بالإشهاد عند المبايعه أم هو ندب ، فقال بعضهم هو ندب إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد))^(١) ثم ساق بسنده إلى الحسن والشعبي^(٢) أنهما يقولان : الإشهاد ندب^(٣) . ثم قال : ((وقال آخرون الإشهاد على ذلك واجب)) ثم ساق بسنده إلى الضحاك ما يفهم منه أنه يرى الإشهاد واجباً^(٤) .

ثم قال : ((قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن الإشهاد على كل مبيع ومشترى حق واجب وفرض لازم ، لما قد بينا : من أن كل أمر لله ففرض إلا ما قامت حجته من الوجه الذي يجب التسليم له بأنه ندب وإرشاد . وقد دللنا على وهي قول من قال : ذلك منسوخ بقوله: ﴿فليؤد الذي أوتمن أمانته﴾^(٥) فيما مضى فأغنى عن إعادته))^(٦) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله بوجوب الإشهاد على البيع فقال: ((وقوله تعالى : ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ قال الطبري : معناه وأشهدوا على صغير ذلك وكبيره . واختلف الناس هل ذلك على الوجوب ، أو على الندب ؟ فقال الحسن والشعبي وغيرهما^(٧) :

(١) تفسير الطبري (٦/٨٢ ، ٨٣) .

(٢) عامر بن شراحيل الهمداني إمام عالم حافظ ، (ت : ١٠٥هـ) . انظر السير (٤/٢٩٤) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٦/٨٣ ، ٨٤) .

(٤) انظر تفسير الطبري (٦/٨٤) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣ .

(٦) تفسير الطبري (٦/٨٤ ، ٨٥) وسيأتي نقل شيء من ذلك .

(٧) في النسخة المغربية ((وغيرهم)) والتصويب من النسخ الأخرى .

ذلك على الندب. وقال ابن عمر^(١) والضحاك : ذلك على الوجوب . وكان ابن عمر يفعل في قليل الأشياء وكثيرها، وقاله عطاء ورجح ذلك الطبري. قال القاضي أبو محمد : والوجوب في ذلك قلق: أما في الدقائق فصعب شاق . وأما ما كثر فرمما يقصد التاجر الاستئلاف بترك الإشهاد ، وقد يكون عادة في بعض البلاد ، وقد يستحيي من العالم والرجل الكبير الموقر فلا يُشهد عليه ، فيدخل ذلك كله في الائتمان. وَيَبْقَى الأمر بالإشهاد ندباً لما فيه من المصلحة في الأغلب ما لم يقع عذر يمنع منه كما ذكرنا^(٢).

هذه المسألة مختلف فيها بين أهل العلم :

١- فذهب جمهور أهل العلم - منهم الأئمة الأربعة وغيرهم - إلى حمل الأمر في قوله:

﴿وأشهدوا﴾ على الندب^(٣) ، وحجتهم فيما ذهبوا إليه ما يلي:

أ- روى أبو داود^(٤) وغيره عن عمارة بن خزيمة^(٥) أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ ((أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستبعه النبي ﷺ ليقتضيه ثمن فرسه فأسرع رسول الله ﷺ المشيء وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : ((أو ليس قد ابتعته منك)) فقال الأعرابي لا والله ما بعته. فقال النبي ﷺ ((بلى قد ابتعته منك)) فطفق الأعرابي يقول هلم شهيداً فقال خزيمة بن ثابت^(٦) : أنا أشهد أنك قد بايعته ، فأقبل

(١) في الطبعة المغربية ((ابن عمرو)) والصواب من النسخ الأخرى ومن الكتب التي شاركت المؤلف في هذه المسألة . وابن عمر هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب ، الصحابي ابن الصحابي ، روى علماء كثيراً ، (ت : ٧٣هـ). انظر السير (٢٠٣/٣).

(٢) الخمر الوجيز (٣٧١/٢).

(٣) انظر الأم (٨٨/٣) ، وأحكام القرآن للخصاص (٢٠٦/٢) ، والمخلى (٣٤٦/٨) ، والمغني (٣٠٢/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٠٢/٣ ، ٤٠٣) ، والتحرير والتنوير (١١٦/٣ ، ١١٧).

(٤) سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني ، شيخ السنة مقدم الحفاظ (ت : ٢٧٥هـ). انظر السير (٢٠٣/١٣).

(٥) عمارة بن خزيمة بن ثابت الأنصاري المدني ، ثقة ، (ت : ١٠٥هـ) انظر تقريب التهذيب ص(٤٠٩) رقم (٤٨٤٤).

(٦) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الصحابي ذو الشهادتين (ت : ٣٧هـ). انظر السير (٤٨٥/٢).

النبي ﷺ على خزيمة فقال: ((بم تشهد؟)) فقال بتصديقك يا رسول الله ، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين^(١).

ب- في إيجاب الإشهاد حرج ومشقة يتنافى مع ما وصفت به هذه الشريعة من السماحة وعدم

الحرج ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(٢).

ج- نقلت الأمة خلفاً عن سلف عقود المداينات والأشربة والبياعات في أمصارهم من غير إشهاد مع علم فقهاءهم بذلك من غير نكير منهم عليهم ولو كان الإشهاد واجباً لما تركوا النكير على تاركه مع علمهم به وفي ذلك دليل على أنهم رأوه ندباً ، وذلك منقول من عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا ولو كانت الصحابة والتابعون تشهد على بيعاتها وأشريتها لورد النقل به متواتراً مستفيضاً ، ولأنكرت على فاعله ترك الإشهاد^(٣).

٢- وذهب بعض أهل العلم إلى أن الإشهاد كان واجباً ثم نسخ الوجوب بقوله تعالى: ﴿فإن أمن

بعضكم بعضاً فليؤد الذي أوثمن أمانته﴾^(٤).

٣- وذهب أهل الظاهر والإمام الطبري والإمام محمد بن علي القصاب إلى أن الأمر بالإشهاد محمول

على الوجوب^(٥). وأدلتهم :

أ- قوله تعالى : ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ وظاهر الأمر للوجوب.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٠٨/٣) ، كتاب الأقضية ، باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به ، ح(٣٦٠٧) ، والإمام أحمد في المسند (٢١٥-٢١٦). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. انظر سير أعلام النبلاء (٤٨٦/٢) حاشية (٣).

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧٨.

(٣) انظر أحكام القرآن للحصاص (٢٠٦/٢).

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٣. وهذا القول أسنده الإمام الطبري في تفسيره (٤٨/٦ ، ٤٩) عن عامر الشعبي والحسن وابن زيد. وانظر أيضاً أحكام القرآن للحصاص (٢٠٥/٢).

(٥) انظر الخليلي (٨٠/٨) ، ونكت القرآن الدالة على البيان (١٦٢/١ ، ١٦٣) ، وقد تقدم نقل كلام الطبري في هذا.

ب- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: ((ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل كانت تحته امرأة سيئة فلم يطلقها ورجل كان له مال فلم يشهد عليه ، ورجل أتى سفيهاً ماله وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَتُوتُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ ﴾^(١))).^(٢)

وروي أيضاً ما يفيد الوجوب عن بعض الصحابة والتابعين غير أبي موسى الأشعري^(٣).

هذه أقوال المختلفين في الإشهاد على البيع وأدلتهم ، وقد نوقشت بعض هذه الأقوال والأدلة بما يلي:
١- أما من يقول بالنسخ فقد ناقشهم ابن حزم بقوله: ((دعوى النسخ جملة لا يجوز إلا ببرهان متيقن؛ لأن كلام الله تعالى إنما ورد ليؤتمر له ويطاع بالعمل به لا لتركه ، والنسخ يوجب الترك فلا يجوز لأحد أن يقول في شيء أمره الله تعالى به هذا لا تلزمني طاعته إلا بنص آخر عن الله عز وجل ، أو عن رسوله عليه السلام بأنه قد نسخ ، وإلا فالقول بذلك لا يجوز))^(٤).

وقال الإمام الطبري : لو كان مثل هذا ناسخاً لكان قوله : ﴿ فَمَنْ تَجَدَّوا مَاءً فَتَيْمَمُوا ﴾^(٥) ناسخاً للوضوء بالماء ، وقوله : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾^(٦) ناسخاً قوله : ﴿ فَتَحْرِيرِ رَقَبَةٍ ﴾^(٧) . ونقول أيضاً : إنما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة ، فأما إن كان أحدهما غير ناف حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء^(٨).

(١) سورة النساء ، الآية : ٥ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣١/٢) ، كتاب التفسير مرفوعاً وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى . وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه لأن الجمهور رروه عن شعبة موقوفاً ، ورفع معاذ بن معاذ عنه .

(٣) كابن عمر وإبراهيم وعطاء . انظر أحكام القرآن للحصاص (٢٠٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٠٢/٣) ، والمغني (٣٠٢/٤) وقد ذكر الأخيران غير هؤلاء أيضاً .

(٤) المحلى (٣٤٦/٨) .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٦ .

(٦) سورة المجادلة ، الآية : ٤ .

(٧) سورة المجادلة ، الآية : ٣ . وهذا الجواب بتصريف من كلام الإمام الطبري الذي أحال عليه . انظر تفسيره (٥٤٠٣/٦) .

(٨) انظر تفسيره (٥٤/٦) . وقد تقدم بعض هذا في مسألة كتابة الدين .

وقال الجصاص^(١): إن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾^(٢) لم يتبين تأخر نزوله عن صدر الآية المشتملة على الأمر بالإشهاد ، بل وردا معاً ، ولا يجوز أن يرد الناسخ والمنسوخ معاً في حالة واحدة^(٣).

٢- وأما أدلة القائلين بالوجوب فنوقش بعضها بما يلي:

أ- الأثر المروي عن أبي موسى ناقشه الجصاص بقوله: ((لا دلالة على أنه رآه واجباً ألا ترى أنه ذكر معه من له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ولا خلاف أنه ليس بواجب على من له امرأة سيئة الخلق أن يطلقها، وإنما هذا القول منه على أن فاعل ذلك ^{تارك} تاركاً للاحتياط والتوصل إلى ما جعل الله تعالى له فيه المخرج والخلاص))^(٤).

ب- ما روي عن ابن عمر أنه كان يشهد ، وعن إبراهيم وعطاء أنهما يشهدان على القليل كله عندنا أنهم رأوه ندباً لا إيجاباً^(٥).

٣- وأما أدلة الجمهور فقد ناقش بعضها ابن حزم بما يلي:

الحديث الذي فيه ذكر شراء الفرس وأن النبي ﷺ لم يشهد فقد ناقشه من ثلاثة وجوه:

- (١) أنه خبر لا يصح لأنه راجع إلى عمارة بن خزيمه وهو مجهول.
- (٢) لو صح لما كانت لهم فيه حجة ؛ لأنه ليس فيه أن الأمر تأخر مقدار مدة يمكن فيها الإشهاد... وإنما فيه أن رسول الله ﷺ ابتاع منه الفرس ثم استبعه ليوفيه الثمن فأسرع عليه السلام وأبطأ الأعرابي والبيع لا يتم إلا بالتفرق بالأبدان ففارقه النبي ﷺ ل يتم البيع وإلا فلم يكن تم بعد ، وإنما يجب الإشهاد بعد تمام البيع وصحته ، لا قبل أن يتم.
- (٣) لو صح أنه عليه السلام ترك الإشهاد وهو قادر عليه بعد تمام البيع فليس فيه أنه كان بعد نزول الآية ونحن نقر بأن الإشهاد إنما وجب بنزول الآية لا قبل نزولها^(٦).

(١) أحمد بن علي الرازي ، الإمام العلامة المجتهد (ت: ٣٧٠هـ) انظر السير (١٦/٣٤٠).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٣) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٥-٢٠٦) فقد ناقشهم بنحو هذا.

(٤) المصدر السابق (٢/٢٠٦).

(٥) انظر المصدر السابق (٢/٢٠٦).

(٦) انظر الخلى (٨/٣٤٨).

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن الإشهاد على البيع ليس حتماً يعصي التارك له ويأثم إلا أنه الخير الذي لا يعتاض منه ، ولا ينبغي أن يفرض فيه لا سيما فيما له خطر وشأن .

أما أنه لا يعصي التارك له فلأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾^(١) والرسول ﷺ أشهد أحياناً^(٢) ، وترك الإشهاد أحياناً كما في الحديث الذي تقدم ذكره أن النبي اشترى فرساً من أعرابي ولم يشهد . فدل هذا على أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تباعتم ﴾ ليس حتماً كالصلاة والزكاة وغيرهما مما أمر الله به على الحتم والإلزام . ولأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾^(٣) ولو حمل الأمر على الوجوب لشق ذلك على المسلمين إذ أن البيع والشراء يكثر بين الناس ولا يتأتى في كل وقت وجود الشاهد ثم قد يكون البيع والشراء في أمور يسيرة لا تساوي البحث عن الشاهد وإحضاره وما في ذلك من مشقة . لكن لا ينبغي إهمال الإشهاد - خاصة فيما له خطر وشأن - والنظر إليه على أن فعله وتركه سيان ، بل فعله هو الأحوط للدين والدنيا معاً ، وإلى هذا أشار الإمام الشافعي - وهو ممن لا يرى الوجوب - بقوله : ((والذي أختار أن لا يدع المتبايعان الإشهاد ، وذلك أنهما إذا أشهدا لم يبق في أنفسهما شيء ؛ لأن ذلك إن كان حتماً فقد أدياه ، وإن كان دلالة فقد أخذ بالخطأ فيها ، وكل ما ندب الله تعالى إليه من فرض أو دلالة فهو بركة على من فعله ، ألا ترى أن الإشهاد في البيع إن كان فيه دلالة كان فيه أن المتبايعين أو أحدهما إن أراد ظلماً قامت البينة عليه فيمنع من الظلم الذي يآثم به ، وإن كان تاركاً لا يمنع منه ولو نسي أو وهم فجحد منع من المأثم على ذلك بالبينة وكذلك ورثتهما بعدهما...))^(٤)

وهذا الترجيح لا يقلقه ما اعترض به أبو محمد الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى .

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .

(٢) كما جاء في الحديث الذي رواه العلاء بن خالد بن هوذة وفيه ((هذا ما اشترى العلاء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله ﷺ اشترى منه عبداً أو أمة ، لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع المسلم للمسلم)) . أخرجه ابن ماجه في سننه (٧٥٦/٢) ، كتاب التجارات ، باب شراء الرقيق ، ح (٢٢٥١) . وقال الشيخ الألباني : حسن . انظر صحيح سنن ابن ماجه (٢٣/٢) .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

(٤) الأم (٨٧/٣-٨٨) .

١- لأن قوله عن حديث شراء النبي للفرس وإنكار الأعرابي للبيع لا يصبح من أجل أن في سنده عمارة بن خزيمه وهو مجهول ، لا يسلم له ما قال في عمارة ، فقد تقدمت ترجمته وأن الحافظ: قال ثقة. وأيضاً فقد ترجمه في تهذيب التهذيب ، وأورد توثيق الأئمة له ثم قال: ((وغفل ابن حزم في المحلى قال: إنه مجهول لا يُدرى من هو))^(١).

٢- وأما قوله : إن مفارقة النبي ﷺ للأعرابي كان من أجل أن يتم البيع . فيه بعد إذ ظاهر الحديث أنه قد تم البيع ولو لم يكن قد تم لما قال له النبي ﷺ : ((بلى قد ابتعته منك)) منكرأ عليه قوله: ((لا والله ما بعته)). فالبيع قد تم من غير إسهاد ، ومفارقة النبي ﷺ له إنما هو من أجل أن يقضيه ثمن فرسه.

٣- أما إشارته إلى أن الآية ناسخة للحديث . فالجواب : أن الأصل عدم النسخ.

٣٧- أخرج الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - بسنده ((عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ إنما يعني بذلك في السفر ، فأما الحضرة فلا، وهو واجد كاتباً ، فليس له أن يرتهن ولا يأمن بعضهم بعضاً))^(١). (قال أبو جعفر وهذا الذي قاله الضحاك من أنه ليس لرب الدين اتئمان المدين وهو واجد إلى الكاتب والكتاب والإشهاد عليه سبيلاً - وإن كان في سفر - فكما قال ؛ لما قد دللنا على صحته فيما مضى قبل . وأما ما قاله ؛ من أن الأمر في الرهن أيضاً كذلك مثل الاتئمان : في أنه ليس لرب الحق الارتئان بماله إذا وجد إلى الكاتب والشهيد سبيلاً ، في حضر أو سفر ؛ فإنه قول لا معنى له ؛ لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ : أنه اشترى طعاماً نساء ورهن به درعاً له))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري موافقته على قول الضحاك في عدم الاتئمان عند توفر أسباب الكتابة والإشهاد ، فقال: ((وذهب الضحاك ومجاهد^(٣) إلى أن الرهن والاتئمان إنما هو في السفر ، وأما في الحضرة فلا ينبغي شيء من ذلك ، وضعف الطبري قولهما في الرهن بحسب الحديث الثابت الذي ذكرته ، وقوى قولهما في الاتئمان ، والصحيح ضعف القول في الفصلين، بل يقع الاتئمان في الحضرة كثيراً ويحسن))^(٤).

هذه المسألة تتعلق بكتابة الدين ، وقد تقدم بحث ذلك ، وترجيح قول من قال بوجوب الكتابة، وذكر الأدلة هناك فلا نعيد^(٥).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٨/٦) عن الضحاك من طريق جوير ، وهي طريق ضعيفة كما هو معروف عند أهل العلم.

(٢) تفسير الطبري (٩٨/٦) . والحديث الذي أشار إليه الطبري في صحيح البخاري - مع الفتح - (١٤٠/٥) ، كتاب الرهن ، باب في الرهن في الحضرة... ، ح (٢٥٠٨) . وصحيح مسلم (١٢٢٦/٣) ، كتاب المساقاة ، باب الرهن وجوازه في الحضرة والسفر ، ح (١٦٠٣).

(٣) قول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره (٩٥/٦) من طريق ابن أبي نجیح . وأورده ابن كثير في تفسيره (٣٣٨/١) ، والسيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/١) ونسب إخراجهم إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم.

(٤) الخمر الوجيز (٣٧٥/٢).

(٥) انظر المسألة رقم (٣٤).

٣٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : القول في تأويل قوله : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ ثم ذكر معناها ، وما قيل فيها عن السلف^(١) . ثم قال : ((قال أبو جعفر: إن خطأنا لنا قائل : وهل يجوز أن يؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا ، فيسألوه ألا يؤاخذهم بذلك؟ . قيل: إن النسيان على وجهين : أحدهما : على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكل به ، وضعف عقله عن احتماله . فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط فهو ترك منه لما أمر بفعله فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به ، وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة ، فقال في ذلك : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾^(٢) . وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه : ﴿ فاليوم تنساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾^(٣) فرغبة العبد إلى الله عز وجل بقوله : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا ، ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك تفريطاً منه فيه وتضييعاً ، كفراً بالله عز وجل فإن ذلك إذا كان كفراً بالله فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة ؛ لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به فمسألته فعل ما قد أعلمهم أنه لا يفعله خطأ . وإنما تكون مسألته المغفرة فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ، ومثل نسيانه صلاة أو صياماً باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما .

بمراعاته
وأما الذي العبد به غير مؤاخذ ، لعجز بنيتة عن حفظه وقلة احتمال عقله ما وكل بمراعاته فإن ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفر له ؛ لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب . وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه ، كالرجل يحرص على حفظ القرآن يجد منه فيقرأه ، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكن بعجز بنيتة عن حفظه وقلة احتمال عقله ذكر ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الرب مغفرته ؛ لأنه لا ذنب للعبد فيه فيغفر له باكتسابه .

(١) تفسير الطبري (٦/١٣٢) .

(٢) سورة طه ، الآية : ١١٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥١ .

وكذلك الخطأ وجهان : أحدهما : من وجه ما نهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة ، فذلك خطأ منه ، وهو به مأثوذ يقال منه ((خطئ فلان وأخطأ)) فيما أتى من الفعل ، و ((أثم)) إذا أتى ما يأنم فيه وركبه ، ومنه قول الشاعر^(١) :

الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

يعني أخطأوا الصواب ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه إلا ما كان من ذلك كفراً .

والوجه الآخر منهما : ما كان منه على وجه الجهل به ، والظن منه بأن له فعله ، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً وهو يحسب أن الفجر لم يطلع ، أو يؤخر صلاة في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره إياها دخول وقتها فيخرج وقتها ، وهو يرى أن وقتها لم يدخل فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد الذي وضع الله عز وجل عن عباده الإثم فيه ، فلا وجه لمسألة العبد ربه أن لا يؤاخذه به . وقد زعم قوم أن مسألة العبد ربه أن لا يؤاخذه بما نسي أو أخطأ ، إنما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى ، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة ، فأما على وجه مسألته الصفح ، فما لا وجه له عندهم^(٢) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من جعله النسيان في هذه الآية بمعنى الترك ، ومن جعله الخطأ أنه الخطأ المقصود ، فقال : ((واختلف الناس في معنى قوله : ﴿ نسينا أو أخطأنا ﴾ فذهب الطبري وغيره إلى أن النسيان بمعنى الترك ، أي إن تركنا شيئاً من طاعتك ، وأنه الخطأ المقصود ، قالوا : وأما النسيان الذي يغلب المرء والخطأ الذي هو عن اجتهاد فهو موضوع عن المرء فليس بأمور في الدعاء بأن لا يؤاخذه به ، وذهب كثير من العلماء إلى أن الدعاء في هذه الآية إنما هو في النسيان الغالب ، والخطأ غير المقصود ، وهذا هو الصحيح عندي .

قال قتادة - في تفسير الآية - : بلغني أن النبي ﷺ قال : ((إن الله تجاوز لأمتي عن نسيانها وخطأها))^(٣) وقال السدي : لما نزلت هذه الآية فقالوها ، قال جبريل للنبي ﷺ ((قد فعل الله ذلك يا

(١) عبيد بن الأبرص بن عوف ، شاعر جاهلي . انظر خزنة الأدب (٢١٥/٢) . وبيته هذا في ديوانه ص (٥٨) ، وفي اللسان (٢٠٤/١) ((أمر)) .

(٢) تفسير الطبري (١٣٣/٦-١٣٥) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٦) بنحوه ، وسيأتي تخريجه قريباً إن شاء الله .

محمد^(١) قال القاضي أبو محمد : فظاهر قوليهما ما صححته ؛ وذلك أن المؤمنين لما كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى : ﴿يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٢) أمرؤا بالدعاء في دفع ذلك النوع الذي ليس من طاقة الإنسان دفعه ، وذلك في النسيان والخطأ . والأصر الثقل وما لا يطاق على أتم أنواعه ، وهذه الآية على هذا القول تقضي بجواز تكليف ما لا يطاق ؛ ولذلك أمر المؤمنون بالدعاء في أن لا يقع هذا الجائز الصعب ، ومذهب الطبري والزجاج أن تكليف ما لا يطاق غير جائز ، فالنسيان عندهم المتروك من الطاعات ، والخطأ هو المقصود من العصيان^(٣) .

هذه المسألة محل خلاف بين علماء التفسير ، فمنهم من يفسر الآية بما ذهب إليه الإمام الطبري^(٤) . ومنهم من يفسرها بما ذهب إليه القاضي ابن عطية^(٥) . وهو قول الأكثرين^(٦) . وحكى أبو حيان والثعالبي قول الطبري ، وتصحيح ابن عطية للقول المخالف له ولم يعقبا على ذلك بشيء^(٧) .

والذي يظهر - والله أعلم - أن الصواب في معنى الخطأ والنسيان ما صححه القاضي ابن عطية ؛ لما ذكره من دليل وتعليل ، وتفصيل بعض ذلك فيما يلي :

أخرج الإمام مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لما نزلت هذه الآية : ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾^(٨) قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء . فقال النبي ﷺ : ((قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا)) . قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم . فأنزل الله تعالى : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٦) بلفظ قال له حبريل ﷺ فقل ذلك يا محمد . وسيأتي تخرجه قريباً .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤ .

(٣) المحرر الوجيز (٢/٣٩١-٣٩٢) .

(٤) انظر زاد المسير (٣٤٧/١) ، والوسيط (٤١٠/١) ، ووضح اليرهان (٢٣١/١) .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٣١/٣) ، والانصاف من الكشاف (٤٠٨/١) ، وتفسير ابن كثير (٣٤٣/١) ، والتسهيل

(٦) (١٧٦/١) ، وفتح القدير (٣٠٧/١) ، وإصلاح الوجوه والنظائر ص (١٥٩) .

(٧) قاله البغوي في معالم التنزيل (٢٧٤/١) .

(٨) انظر البحر (٣٨٣/٢) ، والجواهر الحسان (٢٨٥/١) ، (٢٨٦) .

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤ .

أو أخطأنا ﴿ قال : قد فعلت ﴾ ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ ﴿
 (قال : قد فعلت) ﴿ واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ﴾ ﴿ (قال : قد فعلت) ^(١).

وفي رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - ((قال : نعم)) ^(٢).

والشاهد في الحديث : ((قال : قد فعلت - قال : نعم)). ووجه الاستشهاد : أن الله تعالى قال : ((قد فعلت)) وهذا لا يناسبه ما ذهب إليه الإمام الطبري إذ كيف نحمل النسيان على التفريط والتضييع والتزك للمأمور . ونحمل الخطأ على أنه الذي يكون عن قصد وإرادة للخطأ ثم يقول الله عز وجل : قد أسقطت عنك إثم ذلك الخطأ والنسيان.

بل الصواب أن من كان هذا حاله فهو تحت مشيئة الله - إن مات قبل التوبة - إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ^(٣) ، قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ^(٤).

وأما حمل الحديث على المعنى الذي صححه ابن عطية فهو مناسب إذ يكون معناه : قد فعلت فاستجبت لكم ، ووضعت عنكم ذلك الجائز الصعب من مؤاخذتكم بالنسيان ، الذي هو ضد الذكر، وبالخطأ الذي هو ضد العمد.

وأما الاعتراضات التي أشار إليها الإمام الطبري فهي غير مانعة من حمل الآية على ما صححه ابن عطية؛ لأن قوله - رحمه الله - : إن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد ... فلا وجه لمسألة العبد ربه أن لا يؤاخذ به ، يجب عنه بما ذكره الطبري - نفسه - عن قوم أنهم قالوا : إن مسألة العبد ربه ألا يؤاخذ بما نسي أو أخطأ إنما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى ، أو لما ندبه إليه من التذلل له، والخضوع بالمسألة.

قلت : - ومع أن الطبري قد صدر هذه الإجابة بما يفيد أنه غير مسلم بها - فهي إجابة قوية ، للدلالة القرآن عليها في أكثر من آية ، منها قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين

(١) صحيح مسلم (١/١١٦) ، كتاب الإيمان ، ح (١٢٦).

(٢) المصدر السابق ، كتاب الإيمان ، ح (١٢٥).

(٣) انظر معالم التنزيل (١/٢٧٤).

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١٦.

يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴿١﴾ . وقال تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ ﴿٢﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ﴾ ﴿٣﴾ .
وأما ما حكاه الإمام الطبري من قول القائل : وهل يجوز أن يؤخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا ، فيسألوه ألا يؤاخذهم بذلك؟

فالإجابة على هذا السؤال ما ذكره العلامة أبو السعود بقوله : ((أي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ ، من تفريط وقلّة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف ، أو بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر ، أو مطلقاً إذ لا امتناع في المؤاخظة بهما عقلاً فإن المعاصي كالسموم ، فكما أن تناولهما ولو سهواً أو خطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطي المعاصي أيضاً لا يعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عن عزيمة ، ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه ، فإن ذلك من آثار فضله ورحمته ، كما ينبي عنه الرفع في قوله - عليه السلام - : ((رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان)) ﴿٤﴾ .

وقد روي أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئاً عجّلت لهم العقوبة . فدعأؤهم بعد العلم بتحقيق الموعود للاستدامة ، والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ربنا وآتسما ما وعدتسما على رسلك ﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ .

وأما ما أشار إليه ابن عطية من أن المسألة بناها الإمام الطبري على أن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق ، ثم يرى - ابن عطية - أن له أن يكلفه ما لا يطيق . أقول الإمام الطبري لم يصرح بهذا ، وهذه مسألة

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦ .

(٤) أخرجه الدارقطني في السنن (١٧٠/٤ ، ١٧١) من حديث ابن عباس ، وابن حبان في صحيحه - الإحسان -

(٥) (٢٠٢/١٦) ، والحاكم في المستدرک (٢١٦/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه

الذهبي . وعند هؤلاء بلفظ ((تجاوز لأمّتي)) وهو اللفظ الذي ذكره ابن عطية سابقاً . وقال الشيخ الألباني : ((والمنشهور

في كتب الفقه والأصول بلفظ ((رفع عن أمّتي)) . انظر إرواء الغليل (١٢٣/١) . وقد صحح هذا اللفظ في (١٩٤/٨)

من كتاب الإرواء .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٤ .

(٦) تفسير أبي السعود (٢٧٧/١) .

عقيمة ، من ثمرات علم الكلام ، والله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه الكريم: ﴿ لا يكلف الله نفساً
إلا وسعها ﴾ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بعد أن فصل القول في مسألة تكليف ما لا يطاق :
(وإذا عرف هذا فإطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام ، كإطلاق القول: بأن
الناس مجبورون على أفعالهم ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على إنكار ذلك، وذم من يطلقه...) (١).

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٢٢). ومن أراد التقصي في هذه المسألة - مسألة التكليف بما لا يطاق - فليُنظر الإبهاج
(١/١٦٢)، ونزعة خاطر العاطر (١/١٣٩)، وأصول الفقه لمحمد أبي النور (١/١٧٢، ١٧٣).

سورة آل عمران

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿والقناطير المقنطرة﴾ - : ((وأما المقنطرة)) فهي المضعفة ، وكان القناطير ثلاثة ، والمقنطرة تسعة ، وهو كما قال الزبيع بن أنس : المال الكثير بعضه على بعض^(١) . ثم ساق بسنده إلى بعض التابعين أنهم فسروا الآية على هذا القول^(٢) . ولم ير ابن عطية هذا الذي قاله الإمام الطبري ، فقال - بعد أن ذكر رأي الإمام الطبري وغيره في معنى ((مقنطرة)) - : ((والذي أقول: إنها إشارة إلى حضور المال ، وكونه عتيداً ، فذلك أشهى في أمره؛ وذلك أنك تقول في رجل غني من الحيوان والأملاك : فلان صاحب قناطير مال ، أي لو قومت أملاكه لاجتمع من ذلك ما يعدل قناطير ، وتقول في صاحب المال الحاضر العتيد : هو صاحب قناطير مقنطرة ، أي قد حصلت كذلك بالفعل بها ، أي قنطرت فهي مقنطرة ، وذلك أشهى للنفس ، وأقرب للانتفاع وبلوغ الآمال . وقد قال مروان بن الحكم^(٣) : ما المال إلا ما حازته العياب^(٤) ، وإذا كان هذا فسواء كان المال مسكوكاً ، أو غير مسكوك ، أما أن المسكوك أشهى لما ذكرناه ، ولكن لا تعطي ذلك لفظة ﴿المقنطرة﴾^(٥) .

ظاهر ما فعله القاضي ابن عطية من ذكره لقول الإمام الطبري وغيره ، ثم تعقيبه على ذلك بقوله: ((والذي أقول ... إلخ)) أن ذلك استدراك منه على قول الطبري وغيره .
والآن نعرض رأي أرباب المعاني وأهل التفسير في تفسير ما وقع فيه الخلاف .

اختلف المفسرون في معنى هذه الكلمة ﴿المقنطرة﴾ على أكثر من قول ملخصها كالتالي:

١- ذهب بعض المفسرين من التابعين إلى أن معناها المال الكثير بعضه على بعض^(٦) .

(١) تفسير الطبري (٢٤٩/٦) .

(٢) انظر المصدر السابق (٢٤٩/٦ ، ٢٥٠) .

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، كان ذا شهامة وشجاعة ومكر ودهاء . (ت : ٦٥٥هـ) . انظر السير (٤٧٦/٣) .

(٤) العياب ، جمع ، ومفردهما ((عيبة)) وهو: وعاء من آدم يكون فيه المتاع . انظر لسان العرب (٤٩٠/٩) ((عيب)) .

(٥) انحرر الوجيز (٣٤/٣) .

(٦) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٢٤٩/٦ ، ٢٥٠) عن قتادة من طريق سعيد ، وعن الضحاك من طريق عبيد بن

سليمان أنه قال: المال الكثير من الذهب والفضة .

٢- وروي عن السدي أنه قال في قوله : ﴿المقنطرة﴾ هي المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم^(١).

٣- وقال الفراء : القناطير ثلاثة ، والمقنطرة تسعة^(٢).

٤- وقال أبو عبيدة : ﴿المقنطرة﴾ منفعة ، مثل قولك ألف مؤلفة^(٣). وذكر النحاس نحو هذا القول^(٤)، وكذلك ابن قتيبة من قبله^(٥).

٥- وقال الراغب : وقوله : ﴿والقناطير المقنطرة﴾ أي المجموعة فنطاراً فنطاراً ، كقولك : دراهم مدرهمة، ودنانير مدنرة^(٦).

٦- ﴿المقنطرة﴾ قيل : المحكمة المحصنة ، من قنطرت الشيء إذا عقدته وأحكمته . ذكره الألويسي^(٧).

٧- وقال يمان^(٨) : المدفونة^(٩).

٨- وقيل : المخزونة ، المدفونة ، حكاه أبو حيان^(١٠).

٩- وقال ابن عطية : الحاضرة العتيذة^(١١) . ونحوه قال النيسابوري^(١٢).

(١) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٢٥٠/٦) عن السدي من طريق أسباط.

(٢) انظر معاني القرآن (١٩٥/١).

(٣) انظر مجاز القرآن (٨٨/١) . ونحوه قول مكّي ((المقنطرة)) المكلمة.

(٤) انظر معاني القرآن (٣٦٧/١) ونص كلامه ((أي مكلمة كما تقول: آلاف مؤلفة)).

(٥) انظر تفسير غريب القرآن ص(١٠٢).

(٦) المفردات ص(٤٠٧).

(٧) انظر روح المعاني (١٠٠/٣) ، والقول من غير تعليل نسبة البغوي في معالم التنزيل (٢٨٤/١) إلى الضحاك.

(٨) هكذا أورده الكرمانى ، وأبو حيان من غير نسبة ، ولعله : يمان بن رثاب الخراساني ، قال الدارقطني ضعيف يرى رأي

الخوارج. انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢١٨/٣) ، وميزان الاعتدال (٤٦٠/٤).

(٩) انظر غرائب التفسير (٢٤٦/١).

(١٠) انظر البحر (٤١٥/٢).

(١١) انظر المحرر الوجيز (٣٤/٣).

(١٢) انظر وضع الرهان (٢٣٦/١) والنيسابوري هو : محمود بن أبي الحسن النيسابوري ، كان مفسراً لغويّاً (ت :

٥٥٥هـ) انظر طبقات المفسرين (٣١١/٢) . ومقدمة المحقق لوضع الرهان (١٥/١).

وفي نظري أن أمثل هذه الأقوال التسعة في معنى ﴿المقنطرة﴾ هو الذي قاله الراغب من أنها: المجموعة قنطاراً قنطاراً؛ لأن هذا هو الذي يفيد اللفظ ، فإنه يفيد أن هناك عملاً قام به رب المال بعد أن اجتمع عنده منه الشيء الكثير وذلك هو تجزئته قنطاراً قنطاراً ، وإذا كان كذلك فهو ((مقنطر)) اسم مفعول.

ومما يزيد هذا القول قوة أنه لا ينفي الأقوال الأخرى المعبرة . فقول الإمام الطبري: إنه المضعف وهو المال الكثير بعضه على بعض صحيح ؛ إذ لا يمكن تجزئة المال قنطاراً قنطاراً فيكون ((مقنطراً)) إلا إذا كان متصفاً بالكثرة.

وقول ابن عطية : إنه المال الحاضر العتيد صحيح على هذا القول ؛ لأنه لا يمكن أن يجزأ إلى هذا القدر الذي كان معروفاً لديهم ((بالقنطار)) إلا المال الحاضر المعد من الذهب والفضة فأما العقار والمواشي والأطيان من أنواع الأموال المعروفة فهو شيء متفرق ولا يصلح أن يقال فيه : ((مقنطر)) ، إذ في الآية ﴿القناطر المقنطرة من الذهب والفضة﴾ .

وأما قول أبي عبيدة وابن قتيبة والنحاس فمؤداها واحد وهو المال المكمل المجمع الكثير كما يقال: ألوف مؤلفة ، وهو داخل تحت هذا القول ، والتعليل فيه كالتعليل لقول الإمام الطبري.

وأما القول الذي حكاه الألويسي أن ﴿المقنطرة﴾ المحكمة المحصنة فهذا صحيح من حيث الاشتقاق، ولذلك قال الزجاج : والذي يخرج في اللغة أن القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه ، والقنطرة مأخوذة من ذلك^(١) . إذاً فقوله ((المحكمة المحصنة)) صفة عامة تقال في ((القنطار)) و ((القنطرة)) و ((المقنطر)) أيضاً. ولا يصلح أن تستقل بالمعنى ؛ لأنها لا تدل على التجزئة المقصودة هنا في لفظ ((مقنطرة)).

وأما القول السابع والثامن فهما متقاربان ، وقد عد السابع في غرائب التفسير^(٢).

والثامن مثله ؛ لأنهما قولان بعيدان عما يفيد لفظ ((مقنطرة)).

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٨٣/١).

(٢) انظر غرائب التفسير (٢٤٦/١).

أما القول الثاني : وهو الذي روي عن السدي أن المقصود ((المقنطرة)) هي المضروبة حتى صارت دنائير ودراهم ، فالأمر فيه كما قال القاضي ابن عطية : هو أشهى للنفوس ولكن لا تعطي ذلك لفظة ﴿المقنطرة﴾ .

وأما القول الثالث : وهو الذي قاله الفراء : من أن القناطير ثلاثة ، والمقنطرة تسعة . فقد نقد أبو حيان هذا القول بأنه تحكم ، وقال فيمن علل لصحة هذا القول بأنه جمع الجمع : هذا غير صحيح^(١) . فالواضح في معنى ﴿المقنطرة﴾ هو ما قاله الراجز ، والأقوال المعتبرة لهذا مخرج على هذا المعنى ، وأما البعيدة فقد بين سبب بعدها .

وبهذا يتبين أن قول الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية هما من لوازم المعنى للفظ ﴿المقنطرة﴾ ولا يستقلان بالمعنى .

(١) انظر البحر المحيط (٢/٤١٥) .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة ، وأولوا العلم . ف ﴿الملائكة﴾ معطوف بهم على اسم ﴿الله﴾ و ﴿أنه﴾ مفتوحة بـ ﴿شهد﴾ قال أبو جعفر : وكان بعض البصريين يتأول قوله : ﴿شهد الله﴾ قضي الله ، ويرفع ﴿الملائكة﴾ بمعنى والملائكة شهود وأولوا العلم . وهكذا قرأت قراءة أهل الإسلام بفتح الألف من ﴿أنه﴾ على ما ذكرت من إعمال ﴿شهد﴾ في ﴿أنه﴾ الأولى ، وكسر الألف من ﴿إن﴾ الثانية^(١) وابتدائها . سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعاً بفتح ألفيهما بمعنى : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأن الدين عند الله الإسلام ، فعطف بـ ﴿أن الدين﴾ على ﴿أنه﴾ الأولى ثم حذف واو العطف ، وهي مرادة في الكلام^(٢) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تقدير واو العطف المحذوفة ، فقال - بعد أن ذكر معنى الآية - : ((وقرأ جميع القراء ﴿أنه لا إله﴾^(٣) بفتح الألف من ﴿أنه﴾ وبكسرها من قوله : ﴿إن الدين﴾ واستئناف الكلام . وقرأ الكسائي وحده ﴿أن الدين﴾ بفتح الألف . قال أبو علي : ﴿أن﴾ بدل ﴿أنه﴾ الأولى ، وإن شئت جعلته من بدل الشيء من الشيء وهو هو ؛ لأن الإسلام هو التوحيد والعدل ، وإن شئت جعلته من بدل الاشتمال ؛ لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل ، وإن شئت جعلت ﴿أن الدين﴾ بدلاً من القسط ، لأنه هو في المعنى . ووجه الطبري هذه القراءة بأن قدر في الكلام واو العطف ثم حذفته وهي مرادة ، كأنه قال : (وأن الدين) وهذا ضعيف^(٤) .

محل الاستدراك في هذه المسألة واضح لا يحتاج إلى بيان والكلام عليها على النحو التالي :

(١) يعني التي في صدر الآية ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

(٢) تفسير الطبري (٦/٢٦٧ ، ٢٦٨) .

(٣) كان الأولى أن يأتي بالإنيات ﴿أنه لا إله إلا هو﴾ .

(٤) المحرر الوجيز (٣/٤٠ ، ٤١) .

١- لم يصرح الطبري باسم القارئ الذي قرأ بفتح الهمزة من قوله : ﴿أَنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ﴾ إلا أن ابن عطية أفصح عن اسمه أنه علي بن حمزة الكسائي ، فتبين بهذا أن هذه القراءة متواترة ، سبعة^(١).

٢- اختلف العربون والموجهون للقراءات في توجيه قراءة فتح الهمزة من قوله : ﴿أَنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ﴾.

وخلاصة ذلك فيما يلي:

القول الأول : أنها بدل ، ثم اختلف هؤلاء ^مبمّا تبدل:

ف قيل : بدل من ﴿أَنْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وعلى هذا فنوع البدل فيه وجهان:

الأول : بدل الشيء من الشيء ؛ وذلك أن الدين الذي هو الإسلام يتضمن العدل والتوحيد وهو هو في المعنى.

الثاني : أنه بدل اشتمال ؛ لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل.

وقيل : ﴿أَنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ﴾ بدل من قوله : ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ وعلى هذا فنوع البدل

فيه وجهان :

الوجه الأول : بدل الشيء من الشيء ؛ لأن دين الإسلام قسط وعدل.

الوجه الثاني : بدل اشتمال ؛ لأن دين الإسلام مشتمل على القسط ، وهو العدل . وهذا كله ذكره

أبو علي النيسابسي في الحجة^(٢) ، ومكي بن أبي طالب في الكشف^(٣) ، وذكر بعضه الزمخشري في

كشافه^(٤) ، وفصله تفصيلاً السمين في الدر^(٥).

(١) انظر النشر (٢٣٨/٢) وهذا لا يخفى وإنما زده تأكيداً لئلا يغتر مطلع على تفسير الطبري فيقبل ما قاله في رد هذه

القراءة، وعجياً أن يصدر منه هذا . وقد ألفت رسالة علمية في القراءات التي أنكرها الإمام الطبري. ونص كلامه في
إطار هذه القراءة المتواترة أن قال: «وكفى شاهداً على خطأ قراءته فهو وبعمامة قراءة أصل الإسلام» انظر
(٢) انظر (٢٣/٣).

(٣) انظر (٣٣٨/١).

(٤) انظر (٤١٨/١).

(٥) انظر (٨٢/٣).

القول الثاني - في توجيه فتح الهمزة من ﴿أن الدين عند الله الإسلام﴾ - أن يكون ﴿أن الدين﴾ معطوفاً على ﴿أنه لا إله إلا هو﴾ قاله الزجاج والطبري^(١) ، وذكره غيرهما وجهاً^(٢) .

القول الثالث : أن يكون معمولاً لقوله: ﴿شهد الله﴾ ، أي شهد الله بأن الدين فلما حذف الحرف جاز أن يحكم على موضعه بالنصب أو بالجر ، أشار إليه الفراء في معاني القرآن^(٣) ، وقرره السمين في الدر المصون^(٤) .

فإن قيل : قد استغنى الفعل ﴿شهد﴾ بـ ﴿أن﴾ الأولى فهي التي معمولة له - ويعني بأن الأولى التي في قوله: ﴿أنه لا إله إلا هو﴾ - فلا يتجه هذا القول . فالجواب : بل هو متجه بأن تجعل الأولى على حذف لام العلة ، فيكون التقدير : شهد الله أن الدين عند الله الإسلام لأنه لا إله إلا هو^(٥) .

القول الرابع : أن يكون في موضع المعمول للحكيم في إسقاط حرف الجر ، والتقدير بأن؛ لأن الحكيم فعيل للمبالغة كالعليم والسميع والخبير ، والتقدير : لا إله إلا هو العزيز الحاكم أن الدين عند الله الإسلام^(٦) .

٣- وأختم هذه المسألة بذكر الأشياء التالية:

١- أكثر من رأيت من العرب والمفسرين يجعل إعراب ﴿أن الدين عند الله الإسلام﴾ بدلاً^(٧) . وقد ذكر الفخر الرازي أن هذا القول مذهب بصري^(٨) .

(١) انظر معاني القرآن (٣٨٦/١) ، وتفسير الطبري (٢٦٨/٦) .

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٣٧٠/١) ، ومعالم التنزيل (٢٨٦/١) .

(٣) انظر (١٩٩/١) .

(٤) انظر (٨٦-٨٥/٣) .

(٥) الاعتراض وجوابه بنصرف من الدر المصون (٨٦/٣) .

(٦) قاله أبو حيان في البحر (٤٢٥/٢) .

(٧) انظر المكتفى في الوقف والابتداء ص (١٩٨) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (١٩٥/١) ، والبيان في إعراب القرآن

(٢٤٨) ، ووضح البرهان (٢٣٧/١) ، والوسيط (٤٢٢/١) ، والنسبيل لعلوم التنزيل (١٨٢/١) ، وتفسير البضاوي

(١٥٣/١) ، وتفسير النسفي (١٤٩/١) ، وروح المعاني (١٠٦/٣) ، والتحرير والتنوير (١٨٨/٣) .

(٨) انظر التفسير الكبير (١٨٠/٧) .

٢- اعترض أبو حيان على جعله بدلاً ، بأنه غير جيد ؛ لأنه يؤدي إلى تركيب بعيد أن يأتي مثله في كلام العرب . حاصله أنه فصل بين البديل وهو ﴿أن الدين﴾ والمبدل منه وهو ﴿أنه لا إله إلا هو﴾ بالعطف وهو ﴿والملائكة وأولوا العلم﴾ وهذا الفصل لا يجوز .
ثم إنه فصل - أيضاً - بين البديل والمبدل منه بالحال وهو ﴿قائماً﴾ وهذه الحال لغير المبدل منه ، وهو لا يجوز ؛ لأنه فصل بأجنبي^(١) .

وقد أجاب تلميذه السمين عن الاعتراض بقوله : ((ولا يظهر لي منع ذلك ولا عدم صحة تركيبه حتى يقول : ليس بجيد وبعيد أن يأتي عن العرب مثله))^(٢) .

٣- اعترض الواحدي على الثالث بأنه لو كان كذلك لم يحسن إعادة الاسم الجليل (الله) مظهراً ، ولكان التركيب (أن الدين عنده الإسلام) لأن الاسم قد سبق فالوجه الكناية .
وأجاب : بأن العرب ربما أظهرت في موضع الإضمار ، ويزيده حسناً هنا أنه في موضع تعظيم وتفخيم^(٣) .

٤- وافق أبو حيان على تضعيف القاضي ابن عطية لما ذهب إليه الإمام الطبري فقال - بعد أن حكى قول الطبري - : ((قال ابن عطية : هذا ضعيف ، ولم يبين وجه ضعفه ، ووجه ضعفه أنه متنافر التركيب مع إضمار حرف العطف فيفصل بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول ، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع المشارك الفاعل في الفاعلية ، وبجملي الاعتراض ، وصار في التركيب دون مراعاة الفصل نحو (أكل زيد خبزاً وعمرو سمكاً) وأصل التركيب (أكل زيد وعمرو خبزاً وسمكاً) فإن فصلنا بين قولك (وعمرو) وبين قولك (وسمكاً) يحصل شنع التركيب ، وإضمار حرف العطف لا يجوز على الأصح))^(٤) .
قلت : حكم أبو حيان أن استدراك ابن عطية وارد على الإمام الطبري ، وليس لي كلام بعد أبي حيان إلا أنني أقول لعل الإمام الطبري لا يرى هذا الإعراب ، وإنما نقل لنا قراءة الكساني وإعرابه لها ،

(١) انظر البحر (٢/٤٢٥) .

(٢) الدر المصون (٣/٨٤) .

(٣) انظر الدر المصون (٣/٨٦) .

(٤) البحر المحيط (٢/٤٢٥) .

لأنني رأيت أبا جعفر النحاس يقول: ((قال الكسائي: أنصهما جميعاً، بمعنى شهد الله أنه كذا، وأن الدين عند الله الإسلام))^(١).

ومما يؤيد هذا أن الإمام الطبري يزعم أن القراءة التي قرأ بها الكسائي مردودة^(٢).

٥- الظاهر أن القاضي ابن عطية يرى في هذه المسألة البدلية ولعل هذا أمثل ما قيل فيها لأن ذلك قد جاء عن أكثر الأئمة - فيما رأيت - وحتى النحاس قد عد البدلية وجهاً في إعرابها^(٣). وما قاله أبو حيان في نقد هذا القول لم يسلم له، وقد تقدم جواب تلميذه السمين، ويضاف إلى ما تقدم أيضاً أن السمين قال: ((وما ادعاه... أن فيه الفصل بأجنبي فيه نظر إذ هذه الجملة صارت كلها كاجملة الواحدة لما اشتملت عليه من تقوية كلمات بعضها ببعض))^(٤).

قلت: وقد قال أبو حيان نفسه: ((وأشبه ما قالوه أن يكون ﴿أن الدين﴾ بدلاً من قوله: ﴿أنه

لا إله إلا هو﴾^(٥).

(١) معاني القرآن الكريم (١/٣٧٠).

(٢) انظر تفسيره (٦/٢٦٨). وقد أشرت سابقاً إلى أن الإمام الطبري لم يصب في رد قراءة متواترة. ونظمت نصر كلامه في الحاشية.

(٣) انظر معاني القرآن (١/٣٧٠).

(٤) الدر المنصور (٣/٨٤-٨٥).

(٥) النهر اللامع (٢/٤٠٧).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ - : ((وأما الذرية فإنها جمع، وقد تكون في معنى الواحد ، وهي في هذا الموضع واحد ؛ وذلك أن الله عز وجل قال في موضع آخر مخبراً عن دعاء زكريا ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾^(١) ولم يقل أولياء ، فدل على أنه سأل واحداً))^(٢).

وتعقبه القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - فقال : ((وقال الطبري: إنما أراد هنا بالذرية واحداً، ودليل ذلك طلبه ولياً ، ولم يطلب أولياء... وفيما قال الطبري تعقب ؛ وإنما الذرية والولي اسما جنس يقعان للواحد فما زاد ، وهكذا كان طلب زكريا عليه السلام))^(٣).

تبين مما تقدم أن الإمام الطبري يرى أن المقصود بالذرية هنا الواحد ؛ لأنها وإن كانت تأتي بمعنى الجمع، فهناك ما يمنع من أن نحملها على ذلك وهو ما جاء في سورة مريم من قوله : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾^(٤) ، ولم يقل أولياء.

والقاضي يرى أن الذرية والولي اسما جنس يقعان على الواحد فما زاد فلا يلزم أن زكريا طلب واحداً.

وهذه المسألة محل خلاف بين المفسرين:

فمنهم من ينحو في تفسير الآية منحى القاضي ابن عطية^(٥).

والأكثر - فيما رأيت - يذهبون إلى قول الطبري مدللين بالدليل الذي ذكره^(٦).

وقد أشار أبو حيان إلى قول الإمام الطبري واستدراك القاضي ابن عطية ، ولم يعقب على ذلك بشيء^(٧).

(١) سورة مريم ، الآية : ٥ .

(٢) تفسير الطبري (٦/٣٦٢).

(٣) المحرر الوجيز (٣/٧٠-٧١).

(٤) سورة مريم ، الآية : ٥ .

(٥) انظر الكشاف (١/٤٢٨) ، وتفسير النسفي (١/١٥٦) ، والجواهر الحسان (١/٣١٤).

(٦) انظر معاني القرآن للفراء (١/٢٠٨) ، والنكت والعيون (١/٣٨٩) ، ومعالم التنزيل (١/٢٩٧) ، وزاد المسير

(١/٢٨٠) ، وغرائب التفسير (١/٢٥٣) ، والتفسير الكبير (٨/٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٤/٧٢) ، وتفسير الخازن

(١/٣٤٣) ، وتفسير أبي السعود (٢/٣١) ، والفتوحات الإلهية (١/٢٦٦) ، وفتح القدير (١/٣٣٧) ، وروح المعاني

(٣/١٤٤).

(٧) انظر البحر (٢/٤٦٣).

والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية غير وارد ، وأن القول قول الإمام الطبري ، وذلك للأسباب التالية:

أ- أنه لما كان المرجح الذي رجح به الإمام الطبري - وهو قوله: ﴿ هب لي من لدنك ولياً ﴾^(١) - قد يحتمل الواحد ، وأكثر وإن كان في الأصل للواحد نظرنا هل هناك دليل آخر يقوي قول الإمام الطبري ، فوجدنا قول الله تعالى: ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾^(٢) فهذا يدل على أن المقصود بالذرية في قوله: ﴿ هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾ واحد ؛ لأن الله قال: ﴿ استجبنا ﴾ واستجابة الله معناها أنه أعطاه ما سأل لا بعضه ، ثم فسر الاستجابة بإعطائه يحيى وإصلاحه الزوجة ، وإصلاح الزوجة بأن هيأها للحمل بعد أن كانت عاقراً^(٣) ، وهذا من اللازم لاستجابة الدعوة.

ب - هذا القول قال به كثير من أهل العلم من بينهم لغريون لا يخفى عليهم - في الغالب - ما تمسك به ابن عطية ، فهذا دليل على أنهم لم يروه.

ج - أن الله سبحانه وتعالى قد وصف يحيى بقوله: ﴿ وسيداً وحسبوا ﴾^(٤) و((الخصور)) الذي لا يأتي النساء في قول أكثر المفسرين^(٥). فدل ذلك أنه لم يكن ليحيى ذرية حتى يقال: إن ذرية يحيى هم ذرية لذكرياً . والله أعلم.

(١) سورة مريم ، الآية : ٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠ .

(٣) انظر تفسير الطبري (٧٩/٩) وقال ابن عطية : وهذا الذي يشبه الآية (١٦٢/١١).

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٣٩ .

(٥) بهذا قال الإمام الطبري ، ورواه عن ابن مسعود ، وابن المسيب ، وعطاء ، ومجاهد ، وقتادة ، والحسن ، وابن زيد . انظر تفسيره (٣٧٦/٦ ، ٣٧٧) وما بعدهما . وذكر ابن عطية أن هذه الصفة جمع عليها ممن يعتد بقوله . انظر المحرر الوجيز

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿وَإِذ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ * إذ قالت امرأة عمران رب إنني^(١) نذرت لك ما في بطني محرراً^(٢) ﴿وَإِذ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾^(٣).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الراجح في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: ((قال الطبري: العامل في ﴿إِذ﴾ قوله: ﴿سَمِيعٌ﴾ فهو عطف على قوله: ﴿إِذ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾^(٤). وقال كثير من النحاة: العامل في ﴿إِذ﴾ في هذه الآية فعل مضمّر تقديره (واذكر) وهذا هو الراجح؛ لأن هذه الآيات كلها إنما هي إخبارات بغيب تدل على نبوة محمد عليه السلام، مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ رونق الكلام^(٥).

هذا ما يراه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية. فماذا قال النحاة والمفسرون فيما وقع فيه الخلاف؟ للاطلاع على رأي النحاة والمفسرين كاملاً لا بد أن ننظر في موضعين، الأول عند قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ فهو الموضع الذي اعترض ابن عطية على الإمام الطبري فيه.

والثاني: عند قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾^(٦)؛ لأنه القاعدة التي يبنى عليها إعراب قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾.

(١) ((إني)) ليست في النسخة التي حققها الشيخ أحمد. وسقطها سهو؛ لأنها ثابتة في التلاوة، وهي في النسخ الأخرى أيضاً. انظر نسخة دار الكتب العلمية (٢٦٢/٣)، ونسخة بولاق (١٧٩/٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٤، ٣٥.

(٣) تفسير الطبري (٢٩٣/٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(٥) المحرر الوجيز (٨٢/٣).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

وعندما رجعت إلى كلامهم عند الآية الثانية رأيتهم يشيرون إشارة إلى إعرابها. فيقولون : إن شئت جعلت هذا الظرف نسقاً على الظرف قبله ، وهو قوله : ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾^(١) وإن شئت جعلته منصوباً بمقدر^(٢).

وبعضهم يذكر القولين - اللذين رأهما الإمام الطبري والقاضي ابن عطية - فيقول : عامل الإعراب هاهنا في ﴿ إذ ﴾ هو ما ذكرناه في قوله : ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾^(٣) من قوله : ﴿ سمع عليم ﴾^(٤) ثم عطف عليه : ﴿ إذ قالت الملائكة ﴾ وقيل : تقديره : واذكر إذ قالت الملائكة^(٥).

وبعضهم أشار إلى زيادة الظرف^(٦) ، وبعضهم قال : العامل فيها معنى الاصطفاء^(٧).
وبعضهم قال : الظرف منصوب بمقدر - في المشهور - والجملة معطوفة على الجملة السابقة ، عطف القصة على القصة لكمال المناسبة^(٨).

فالحاصل من هذه الأقوال أن الظرف الثاني - على القول بعدم زيادته - له ثلاثة إعرابات :
الأول : منصوب بفعل مقدر تقديره (اذكر) وهذه الجملة معطوفة على الجملة السابقة. وهذا هو رأي ابن عطية.

الثاني : منصوب بـ ﴿ سمع عليم ﴾^(٩) معطوف على السابق. وهذا هو رأي الإمام الطبري.

الثالث : منصوب بمعنى الاصطفاء عطفاً على سابقه.

وأما إعرابهم للظرف الأول فهو كما قيل في الظرف الثاني ، إلا أنني أفضل ذكر أقوالهم عنده مرة أخرى نظراً إلى أن الأقوال نسبت إلى أصحابها عنده ، واعتراضات العلماء دونت فيه ، ولا شك أن ما قيل فيه يجري حكمه على الموضوع الثاني ، وملخص الأقوال فيه على النحو التالي :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٥ .

(٢) قاله العكبرتي في التبيان (٢٥٩/١) ، والسمين في الدر المنون (١٦٩/٣).

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٣٥ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٣٤ .

(٥) قاله الرازي في التفسير الكبير (٣٨/٨).

(٦) انظر مجاز القرآن (٩٣/١).

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/١).

(٨) انظر روح المعاني (١٥٤/٣).

(٩) سورة آل عمران ، الآية : ٣٤ .

١- ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة إلى أن ﴿إِذ﴾ في قوله تعالى : ﴿إِذ قَالَت امرأة عمران﴾ زائدة^(١).

٢- وذهب فريق آخر إلى عدم زيادتها ثم اختلف هؤلاء في إعرابها على ثلاثة أقوال.

أ- قال الأخفش والمبرد : منصوب بفعل مقدر تقديره (اذكر)^(٢).

ب - وذهب الزجاج إلى أن العامل في ﴿إِذ﴾ معنى الاصطفاء فيكون المعنى : واصطفى آل عمران

﴿إِذ قَالَت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾^(٣) واصطفاهم ﴿إِذ قَالَت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾^(٤).

ج - وذهب الإمام الطبري - وإليه نحا صاحب الكشاف^(٥) - إلى أن الظرف منصوب بـ ﴿سمع

عليم﴾^(٦).

وقد استبعد العلماء القول بزيادة ﴿إِذ﴾. وقالوا: إنها تدل على ما مضى من الوقت فكيف يكون

الدليل على ما مضى من الوقت لغواً؟^(٧).

واشترطوا لصحة قول الزجاج أن يكون ذلك من باب عطف الجمل ، لا من باب عطف المفردات؛

إذ لو جعل بين عطف المفردات ، للزم أن يكون وقت اصطفاء آدم وقت قول امرأة عمران: ﴿إني

نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ وليس كذلك لتغاير الزمانين^(٨). وهذا جواب عن اعتراض أورد

على هذا القول^(٩).

ثم تباينت أقوالهم أمام ما ذهب إليه الإمام الطبري وما رجحه القاضي ابن عطية.

(١) انظر مجاز القرآن (٩٠/١) ، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٣).

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش (٤٠٦/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/١) ، وإعراب القرآن (٣٦٩/١).

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٣٥ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/١).

(٥) انظر الكشاف (٤٢٤/١). قال أبو حيان : هو ظاهر قول الزمخشري . انظر البحر (٤٥٥/٢).

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٣٤ .

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/١) ، والبحر (٤٥٦/٢) ، والدر المصون (١٣٠/٣) والتعليل المذكور للأول منهم.

(٨) انظر البحر (٤٥٥/٢) ، والدر المصون (١٢٩/٣).

(٩) انظر التفسير الكبير (٢٢/٨).

فالرّمخشري يجوز الإعرابين ويقدم قول الطبري في الذكر^(١) . وابن الأنباري يجوز القولين أيضاً ويقدم في الذكر ما رجحه القاضي ابن عطية^(٢) . والرازي يرى رأي الإمام الطبري في الموضع الثاني^(٣) .
 أما محمود بن حمزة الكرمانى المقرئ النحوي فإنه يعد قول الإمام الطبري في الغريب الضعيف ، ويعلل ذلك بقوله : لأن سمعه وعلمه - سبحانه - لا يختص بزمان دون زمان^(٤) .
 وينضم إليه في تضعيف هذا القول - بل القول بعدم صحته - أبو حيان فيقول : ولا يصح ذلك ؛ لأن قوله : ﴿عليم﴾ إما أن يكون خبراً بعد خبر ، أو وصفاً لقوله : ﴿سميع﴾ فإن كان خبراً فلا يجوز الفصل به بين العامل والمعمول ؛ لأنه أجنبي منهما ، وإن كان وصفاً فلا يجوز أن يعمل ﴿سميع﴾ في الظرف ؛ لأنه قد وصف ، واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وصف قبل أن يأخذ معموله لا يجوز له إذ ذاك أن يعمل ، على خلاف لبعض الكوفيين في ذلك . ولأن اتصافه تعالى بسميع عليم لا يتقيد بذلك الوقت^(٥) .

وبعد : فالظاهر - والله أعلم - ما ذهب إليه ابن عطية للأسباب التالية :

- ١- أن هذا هو المشهور الذي درج عليه العربون من قديم ، وحديث^(٦) .
- ٢- ولما قال القاضي : من أن هذه الآيات إخبارات بغيب تدل على نبوة نبينا محمد ﷺ ، مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ روتق الكلام .
- ٣- ولسلامة هذا الوجه من الاعتراضات الواردة على غيره .

(١) انظر الكشاف (٤٢٤/١) .

(٢) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (٢٠٠/١) .

(٣) انظر التفسير الكبير (٣٨/٨) .

(٤) انظر غرائب التفسير (٢٥١/١) .

(٥) انظر البحر المحيط (٤٥٥/٢-٤٥٦) .

(٦) انظر روح المعاني (١٥٤/٣) .

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله : ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ ... قال قوم - وهو قول قتادة - إن الكلمة التي قال الله عز وجل : ﴿بكلمة منه﴾ هو قوله : ((كن))^(١) ... وقال آخرون : بل هي اسم لعيسى سماه الله بها ، كما سمي سائر خلقه بما شاء من الأسماء . وروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال : ((الكلمة)) هي عيسى^(٢).

ثم ساق بسنده عن عكرمة^(٣) عن ابن عباس في قوله : ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ قال : عيسى هو الكلمة من الله^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله قول ابن عباس تحت الترجمة التي مقتضاها أن الكلمة هي اسم عيسى ، فقال : ((واختلف المفسرون لم عبر عن عيسى عليه السلام بكلمة ، فقال قتادة : جعله كلمة إذ هو موجود بكلمة ، وهي قوله تعالى لمراته (كن) وهذا كما تقول في شيء حادث هذا قدر الله ، أي هو عن قدر الله ، وكذلك تقول : هذا أمر الله . وترجم الطبري فقال : وقال آخرون : بل الكلمة اسم لعيسى سماه الله بها كما سمي سائر خلقه بما شاء من الأسماء . فمقتضى هذه الترجمة أن الكلمة اسم مرتجل لعيسى . ثم أدخل الطبري تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال : الكلمة هي عيسى . وقول ابن عباس يحتمل أن يفسر بما قال قتادة ، وبغير ذلك مما سنذكره الآن ، وليس فيه شيء مما ادعى الطبري رحمه الله . وقال قوم من أهل العلم : سماه الله كلمة من حيث كان تقدم ذكره في توراة موسى وغيرها من كتب الله وأنه سيكون ، فهذه كلمة سبقت فيه من الله فمعنى الآية: أنت يا مريم مبشرة بأنك المخصوصة بولادة الإنسان الذي قد تكلم الله بأمره وأخبر به في ماضي كتبه المنزلة على أنبيائه ، واسمه في هذا الموضع ، معناه تسميته ، وجاء الضمير مذكراً من أجل المعنى ؛ إذ الكلمة عبارة عن ولد^(٥).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١١/٦) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٢) تفسير الطبري (٤١٢/٦).

(٣) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس ، حافظ مفسر (ت : ١٠٥ هـ) انظر السير (١٢/٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٢/٦) عن سماك عن عكرمة ، عن ابن عباس . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥/٢)

ونسب إخراجهم إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) المحرر الوجيز (٨٦/٣-٨٧).

الذي ظهر لي - في هذه المسألة - أن الإمام الطبري إن أراد بما فعل ما ذكره عنه القاضي ابن عطية ، فاستدراك القاضي وارد عليه ؛ لأن قول ابن عباس - رضي الله عنهما - : ((الكلمة هي عيسى)) مجرد بيان للمقصود بالكلمة ، وأنه عيسى ، أما إنه اسم مرتجل ، أو غير اسم فهذا لم يتعرض له ابن عباس . ويؤيد هذا أنني لم أر - فيما اطلعت عليه - من ينص هذا عن ابن عباس ، أعني أنه اسم مرتجل أطلق على عيسى .

ولعل الإمام الطبري لم يرد من ذكر قول ابن عباس إذخاله تحت الترجمة المذكورة ، بل أراد أنه قول منفصل ، ويؤيد هذا أنه لم يقل - بعد الترجمة المذكورة - ذكر من قال ذلك .

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراءة الحجاز والمدينة وبعض قراءة الكوفيين ﴿ويعلمه﴾ بالياء رداً على قوله : ﴿كذلك الله يخلق ما يشاء﴾^(١). ﴿ويعلمه الكتاب﴾ فألقوا الخبر في قوله : ﴿ويعلمه﴾ بنظير الخبر في قوله : ﴿يخلق ما يشاء﴾^(٢) وقوله : ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾^(٣).

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين وبعض البصريين ﴿ونعلمه﴾ بالنون عطفاً به على قوله : ﴿نوحيه إليك﴾^(٤) كأنه قال : ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾^(٥) ﴿ونعلمه الكتاب﴾ وقالوا : ما بعد ﴿نوحيه﴾ في صلته إلى قوله : ﴿كن فيكون﴾^(٦) ثم عطف بقوله : ﴿ونعلمه﴾ عليه^(٧). واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري توجيه القراءتين فقال : ((قرأ نافع وعاصم ﴿ويعلمه﴾ بالياء ، وذلك عطفاً على ﴿يبشرك بكلمة﴾^(٨) كذا قال أبو علي.

ويحتمل : أن يكون في موضع الحال عطفاً على ﴿ويكلم﴾^(٩). وقرأ الباقون ﴿ونعلمه﴾ بالنون ، وهي مثل قراءة الياء في المعنى لكن جاءت بنون العظمة . قال الطبري : قراءة الياء عطف على قوله : ﴿يخلق ما يشاء﴾^(١٠) وقراءة النون عطف على قوله : ﴿نوحيه إليك﴾^(١١) قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه : وهذا الذي قاله خطأ في الوجهين مفسد للمعنى^(١٢).

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٤٤ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٤٤ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .

(٧) تفسير الطبري (٦/٤٢١ ، ٤٢٢).

(٨) من قوله : ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ آل عمران : ٤٥ .

(٩) من قوله : ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ آل عمران : ٤٦ .

(١٠) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .

(١١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٤ .

(١٢) المحرر الوجيز (٣/٩١).

هذه المسألة البحث فيها من الجوانب التالية :

١- قراءة الياء أو النون في قوله: ﴿ ويعلمه ﴾ كالتأنيدي قراءة متواترة ، فقرأ المدنيان وعاصم ويعقوب^(١) بالياء ، وقرأ الباقون بالنون^(٢).

٢- اختلف العربون الموجهون للقراءات في إعراب ﴿ ويعلمه ﴾ بالياء ، والنون على أقوال ملخصها فيما يلي:

(١) أن ﴿ ويعلمه ﴾ - بالياء والنون - معطوف على ﴿ يشرك ﴾ .

(٢) معطوف على ﴿ يخلق ﴾ .

(٣) أن يعطف على ﴿ يكلم الناس في المهد ﴾^(٣) فيكون منصوباً على الحال ، والتقدير : يشرك بكلمة مكلماً معلماً.

(٤) أن يعطف على ﴿ وجيهاً ﴾ من قوله: ﴿ وجيهاً في الدنيا والآخرة ﴾^(٤) ؛ لأن ﴿ وجيهاً ﴾ في تأويل اسم منصوب على الحال كما تقدم تقريره في قوله: ﴿ ويكلم ﴾ .

(٥) أن يكون معطوفاً على الجملة المخكية بالقول ، وهي قوله: ﴿ كذلك الله يخلق ﴾^(٥).

(٦) أن يكون ﴿ ويعلمه ﴾ - بالياء والنون - مستأنفاً لا محل له من الإعراب. وهذه الأقوال الستة مفرقة في الكتب وقد جمعها السمين الحلبي في الدر المصون^(٦).

(٧) جعل الإمام الطبري قراءة الياء عطفاً على ﴿ يخلق ﴾ وقراءة النون عطفاً على ﴿ نوحيه ﴾ .

٣- رأي العلماء فيما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية :

(١) يعقوب بن إسحاق بن زيد البصري ، إمام حافظ مقرئ مجود ، (ت : ٢٠٥ هـ) انظر السير (١٠/١٦٩).

(٢) انظر النشر (٢/٢٤٠).

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٤٥ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .

(٦) انظر الدر المصون (٣/١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤).

وافق الإمام أبو جعفر النحاس الإمام الطبري فيما ذهب إليه من أن ﴿ ونعلمه ﴾ بالتون معطوف على ﴿ نوحيه ﴾^(١).

وأما قوله : ((أن ﴾ ويعلمه ﴾ بالياء معطوف على ﴿ يخلق ﴾ فقد وافقه جماعة على ذلك منهم الزمخشري^(٢) ، والفخر الرازي^(٣) ، والسمين^(٤) ، وأبو السعود^(٥) ، والشوكاني^(٦).

وأما شيخ نحاة المفسرين أبو حيان فقد خالف الإمام الطبري في بعض ووافقه في البعض الآخر ، فقال - بعد أن نقل إعراب الطبري واعتراض ابن عطية عليه - : ((ولم يبين ابن عطية جهة إفساد المعنى . أما قراءة التون فظاهر فساد عطفه على ﴿ نوحيه ﴾ من حيث اللفظ ، ومن حيث المعنى . أما من حيث اللفظ : فمثله لا يقع في لسان العرب لبعده الفصل المفرط ، وتعقيد التركيب ، وتنافر الكلام .

وأما من حيث المعنى فإن المعطوف بالواو شريك المعطوف عليه فيصير المعنى بقوله : ﴿ ذلك من أبناء الغيب ﴾^(٧) أي إخبارك يا محمد بقصة امرأة عمران ، وولادتها لمريم ، وكفالة زكريا ، وقصته في ولادة يحيى له ، وتبشير الملائكة لمريم بالاصطفاء والتطهير كل ذلك من أخبار الغيب نعلمه أي نعلم عيسى الكتاب فهذا كلام لا ينتظم معناه مع معنى ما قبله . وأما قراءة الياء وعطف ﴿ ويعلمه ﴾ على ﴿ يخلق ﴾ فليست مفسدة للمعنى ، بل هو أولى وأصح ما يحمل عليه عطف ﴿ ويعلمه ﴾ لقرب لفظه وصحة معناه - وقد ذكرنا جوازه قبل - ويكون الله قد أخبر مريم بأنه تعالى يخلق الأشياء الغريبة التي لم تجر بها عادة مثل ما خلق ولداً من غير أب ، وأنه تعالى يعلم هذا الولد الذي يخلقه لك ما لم يعلمه قبله من الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ... وهذا يظهر لي أنه أحسن ما يحمل عليه عطف ﴿ ويعلمه ﴾^(٨).

(١) انظر إعراب القرآن (١/٣٧٨).

(٢) انظر الكشاف (١/٤٣١).

(٣) انظر التفسير الكبير (٨/٤٧).

(٤) انظر الدر المنصون (٣/١٨٢).

(٥) انظر تفسيره (٢/٣٨).

(٦) انظر فتح القدير (١/٣٤١).

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٤٤.

(٨) البحر (٢/٤٨٥).

أما رأي العلماء فيما ذهب إليه ابن عطية ، فابن عطية رحمه الله جوز في إعراب ﴿ ويعلمه ﴾ وجهين: أحدهما : أن يكون معطوفاً على ﴿ يبشرك ﴾ ، والثاني : أن يكون في موضع الحال عطفاً على ﴿ ويكلم ﴾ وقراءة النون مثل قراءة الياء عند ابن عطية^(١).

والوجه الأول قال به أبو علي^(٢) ومكي^(٣) والزمخشري^(٤).

وأما الوجه الثاني : فنقله أبو حيان والسمين وقالوا : جوزوه ابن عطية وغيره^(٥).

وهذان الوجهان اللذان رأهما ابن عطية في إعراب ﴿ ويعلمه ﴾ لم يقرهما أبو حيان فقد استبعد الأول بقوله: وهذا بعيد جداً لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه^(٦).

واستبعد الثاني أيضاً معللاً ذلك بطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يقع مثله في لسان العرب^(٧).

والآن ترى أنه لم يبق من الأقوال السابقة بدون نقد إلا قول من قال : معطوف على ﴿ وجهياً ﴾ ، أو قول من قال : معطوف على الجملة المحكية بالقول ، أو قول من قال : إنه مستأنف لا محل له من الإعراب.

واثنان من الثلاثة وجه إليهما أبو حيان سهامه فقال في قول من قال إنه معطوف على ﴿ وجهياً ﴾ : بعيد لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ولا يقع مثله في لسان العرب^(٨).

وقال في قول من قال : إنه مستأنف : ((إن عني أنه استئناف إخبار عن الله أو من الله على اختلاف القراءتين فمن حيث ثبوت الواو لا بد أن يكون معطوفاً على شيء قبله فلا يكون ابتداء كلام إلا أن يدعي زيادة الواو في ﴿ ويعلمه ﴾ فحينئذ يصح أن يكون ابتداء كلام . وإن عني أنه ليس معطوفاً على

(١) انظر المحرر الوجيز (٩١/٣) وتقدم قريباً نقل ما قاله.

(٢) انظر الحجة (٤٣/٣).

(٣) انظر الكشف (٣٤٤/١).

(٤) انظر الكشف (٤٣١/١).

(٥) انظر البحر (٤٨٥/٢) ، والدر المصون (١٨٢/٣).

(٦) البحر (٤٨٥/٢).

(٧) انظر المرجع السابق (٤٨٥/٢) ، والدر المصون (١٨٢/٣).

(٨) انظر البحر (٤٨٥/٢).

ما ذكر فكان ينبغي أن يبين ما عطف عليه ، وأن يكون الذي عطف عليه ابتداء كلام حتى يكون المعطوف كذلك^(١).

ولم يسلم له تلميذه السمين هذا النقد فقال : وهذا الاعتراض غير لازم؛ لأنه لا يلزم من جعله كلاماً مستأنفاً أن يدعى زيادة الواو ، ولا أنه لابد من معطوف عليه ؛ لأن النحويين وأهل البيان نصوا على أن الواو تكون للاستئناف^(٢).

٤- الذي يظهر - والله أعلم - أن أمثل ما قيل في قوله تعالى: ﴿ ونعلمه ﴾ بالياء أو النون أنه معطوف على ﴿ يخلق ﴾ وذلك للأسباب التالية:

(١) لما بين ﴿ يخلق ﴾ ﴿ ويعلمه ﴾ من القرب وما كان قريباً فهو أولى أن يعاد عليه المعطوف، ما لم يكن هناك مانع.

(٢) لاستقامة وصحة معناه على القراءتين في ﴿ ويعلمه ﴾ لأنك إن قرأت بالياء فهو ظاهر المعنى، وإن قرأت بالنون صح أيضاً ويكون من باب الالتفات من الغيبة إلى الحضور.

(٣) ولأن هذا القول لم يوجه إليه طعن إلا ما كان من أبي محمد ابن عطية بقوله: إنه مفسد للمعنى ولم يذكر رحمه الله اليرهان على فساد المعنى ولم يتبين للعلماء أي علة يمكن أن تفسد المعنى.

(٤) ولشهادة من لا يقصر علمه في النحر عن المعترض بأن هذا القول أولى وأصح وأحسن ما يحمل عليه عطف ﴿ ويعلمه ﴾.

وبهذا يتبين أن استدراك أبي محمد القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة لا يسلم له جميعاً، ولا يرد عليه جميعاً ، بل بعضه مسلم وبعضه فيه نظر.

(١) المصدر السابق (٢/٤٨٥).

(٢) الدر المصون (٣/١٨٤).

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ - ((واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ فقراءته عامة قراءة الأماص ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ بكسر ألف ﴿ إن ﴾ على ابتداء الخبر . وقراه بعضهم ﴿ أن الله ربي وربكم ﴾ بفتح ألف ﴿ أن ﴾ بتأويل ﴿ وجنتكم بآية من ربكم ﴾^(١) ﴿ أن الله ربي وربكم ﴾ على رد ﴿ أن ﴾ على ((الآية)) والإبدال منها))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري توجيه قراءة فتح الهمزة فقال: ((وقرأ جمهور الناس ﴿ إن الله ربي وربكم ﴾ بكسر الألف على استئناف الخبر ، وقراه قوم ﴿ أن الله ربي وربكم ﴾ بفتح الألف قال الطبري : ﴿ أن ﴾ بدل من ((آية)) في قوله: ﴿ جنتكم بآية ﴾^(٣) وفي هذا ضعف، وإنما التقدير : أطيعون؛ لأن الله ربي وربكم ، أو يكون المعنى ؛ لأن الله ربي وربكم فاعبدوه))^(٤).

وسيكون البحث في هذه المسألة على النحو التالي:

١- قراءة فتح الهمزة من قوله تعالى: ﴿ إن الله ربي وربكم ﴾ قراءة شاذة^(٥).

٢- حكي السمين الحلبي أن في إعرابها ثلاثة أوجه :

أ- بدل من ((آية)).

ب- أن إعراب فتح الهمزة يكون على إضمار لام العلة ، ولام العلة متعلقة بما بعدها من قوله:

﴿ فاعبدوه ﴾ ، والتقدير : فاعبدوه لأن الله ربي وربكم.

ج- أن يكون ﴿ أن الله ﴾ على إسقاط الخافض وهو ((على)) و ((على)) يتعلق بآية نفسها،

والتقدير: وجنتكم بآية على أن الله ، كأنه قيل: لعلامة ودلالة على توحيد الله^(٦).

(١) الفزة جمع قارى. انظر تحذيب اللغة (٩/٢٧٤) «قرأ».

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٥٠ .

(٣) تفسير الطبري (٦/٤٤١ ، ٤٤٢).

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٥٠ .

(٥) الخمر الوحيز (٣/٩٩).

(٦) انظر المختصر في شواذ القرآن ، ص (٢٠).

(٧) انظر الدر المصون (٣/٢٠٦).

قلت : ويظهر أن هناك قولاً رابعاً : حاصله : ﴿ أن الله ربي وربكم ﴾ معطوف على جملة ﴿ جنتكم ﴾ الأولى في قوله : ﴿ قد جنتكم بآية ﴾^(١) ، وقد أشار إلى هذا الألوسي ، وهو ظاهر كلام الأخفش فإنه قال : ((وقال بعضهم : ((أن)) فنصب على (وجنتكم بأن الله ربي وربكم) هذا معناه))^(٢) .
وسياتي من يقول : إن الأخفش يعربها بدلاً .

٣- موقف العلماء من إعراب الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية .

من العلماء من أعرب ﴿ أن الله ﴾ بفتح الهمزة على أنها بدل كالزنجشري^(٣) ، وأبي السعود^(٤) ، والألوسي في وجه^(٥) وهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري .

ومن العلماء من عارض أن تعرب ﴿ أن الله ﴾ على البذل من ((آية)) قال أبو جعفر النحاس : ((وحكى أبو حاتم عن الأخفش : أن بالفتح على البذل من آية ورده أبو حاتم وزعم أنه لا وجه له قال : لأن الآية العلامة التي لم يكونوا رأوها فكيف يكون قولاً))^(٦) .

ثم رد أبو جعفر ما نسب إلى الأخفش هذا بقوله : ((ليس هكذا روى من يضبط عن الأخفش، ولا كذا في كتبه ، والرواية عنه الصحيحة أنه قال : وحكى بعضهم ﴿ أن الله ﴾ بفتح ﴿ أن ﴾ على معنى وجنتكم بأن الله ربي وربكم . وهذا قول حسن))^(٧) .

ولم يسلم ما ذهب إليه القاضي ابن عطية من النقد أيضاً فقد قال أبو حيان : ((وقال ابن عطية : التقدير : أطيعون لأن الله ربي وربكم ... وليس قوله بظاهر . والأمر بالتقوى والطاعة تحذير ودعاء، والمعنى : أنه تظاهر بالحجج والخوارق في صدقه فاتقوا الله في خلافي وأطيعون في أمري ونهيي))^(٨) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .

(٢) معاني القرآن (٤٠٩/١) .

(٣) انظر الكشاف (٤٣٢/١) .

(٤) انظر تفسيره (٤٠/٢) .

(٥) انظر روح المعاني (١٧٢/٣) .

(٦) إعراب القرآن (٣٨٠/١) .

(٧) المصدر السابق (٣٨٠/١) .

(٨) البحر المحيط (٤٩٢/٢) .

وأما القول الثاني الذي ذكره ابن عطية في الإعراب - وهو قوله : أو يكون المعنى : لأن الله ربي وربكم فاعبدوه - فقد اعترض عليه بأنه متى كان المعمول ((أن)) وما في صلتها امتنع تقديمها على عاملها، لا يجيزون : (أن زيدا منطلق عرفت) تريد : (عرفت أن زيدا منطلق) للقبح اللفظي ، إذ تصدرها لفظاً يقتضي كسرهما^(١).

قلت : بقي قولان من الأقوال السابقة لم أذكر ما قيل فيهما من اعتراض أحدهما : أن يكون ﴿أن الله﴾ على إسقاط الخافض وهو (على) . والثاني : أن جملة ﴿أن الله ربي وربكم﴾ معطوفة على جملة ﴿قد جنتكم بآية من ربكم﴾^(٢) . وقد اعترض على الأول السمين بقوله : فيه بعد^(٣).

والثاني : اعترض عليه أبو حيان بأنه لا يجوز إضمار حرف العطف على الأصح^(٤).

٤- الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية في هذه المسألة وارد ، وهو وإن كان لم يبين وجه الضعف فقد ذكر غيره ما هو علة قادحة في إعراب الجملة بدلاً وهو أن الآية هي العلامة التي لم يكونوا رأوها فكيف يكون قولاً . ومقصوده من هذا أن البدل والمبدل منه لا بد أن يكون بينهما رابط وهو هنا مفقود فصح أن ينعت هذا الوجه من الإعراب بالضعف.

ولعل أمثل الأقوال بعد استبعاد القول السابق قولان :

أحدهما : أن يكون فتح ((أن)) على إسقاط الخافض فيكون التقدير جنتكم بعلامة ودلالة على توحيد الله وما بينهما اعتراض ، وهذا الوجه في نظري جيد لأمرين : أحدهما : وضوح المعنى عليه . والثاني : أن أبا حيان قد جوزه ولم يذكر فيه علة^(٥) . وكذلك الألوسي^(٦).

ولا يضر بعد هذا ما قاله السمين من أن فيه بعداً ؛ لأنه لم يبين لنا سبب البعد فلعل ما يراه بعيداً يراه

غيره قريباً.

(١) انظر الدر المصون (٢٠٦/٣).

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .

(٣) انظر الدر المصون (٢٠٦/٣).

(٤) انظر البحر المحيط (٤٢٥/٢).

(٥) انظر البحر (٤٩٢/٢).

(٦) انظر روح المعاني (١٧٢/٣).

الثاني : أن تكون جملة ﴿ أن الله ربي وربكم ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قد جنتكم بآية من ربكم ﴾^(١) والمعنى على هذا الوجه واضح أيضاً إذ التقدير: قد جنتكم بآية من ربكم ... وجنتكم بأن الله ربي وربكم.

ومما يطمئن إلى هذا القول أن قد قال به إمام من أئمة النحو (سعيد بن مسعدة الأخفش)^(٢) ووصفه أبو جعفر النحاس بقوله : وهذا قول حسن^(٣) . وحسبك بهذين الإمامين رحمهما الله تعالى . وما قيل: من أنه قد يعترض عليه بأن حذف حرف العطف لا يجوز ، لا يضر إذ هناك من يعارض هذا القول ولهذا فإن أبا حيان - وهو ممن يعارض بما ذكر - يقيد هذه المسألة بقوله: ((على الأصح))^(٤) ولا يكون المعترض به أصح إلا والمعترض عليه صحيح. والله أعلم.

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .

(٢) انظر معاني القرآن (٤٠٩/١) وقد تقدم نقل ذلك عنه .

(٣) انظر إعراب القرآن (٣٨٠/١) وقد تقدم نقل ذلك أيضاً .

(٤) انظر البحر (٤٢٥/٢) .

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى - مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم - إذ قال الله جل ثناؤه : ﴿إِنِّي مَتْوَفِيكَ﴾ ، ف ﴿إِذْ﴾ صلة من قوله : ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(١) يعني ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى : ﴿إِنِّي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فتوفاه ورفعاه إليه ...))^(٢)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : ((إِذْ)) صلة من قوله : ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(٣) فقال : ((قال الطبري : العامل في ﴿إِذْ﴾ قوله تعالى : ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(٤) قال غيره من النحاة : العامل فعل مضمّر تقديره : (اذكر) قال القاضي أبو محمد : وهذا هو الأصوب))^(٥) هذا ما رآه الإمام الطبري في إعراب ﴿إِذْ﴾ وما يرى القاضي أنه الأصوب ، وهذه المسألة تبحث على النحو التالي :

- ١- لم يكن استدراك القاضي تخطيطاً لقول الإمام الطبري ، وهذا واضح من نعتة لما يرى بالأصوب .
- ٢- اختلف العلماء - الذين يرون أن ﴿إِذْ﴾ ليست استئنافاً^(٦) - في تقدير العامل في قوله : ﴿إِذْ﴾ قال الله يا عيسى ﴿على أقوال :

١- أن العامل هو قوله : ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(٧) أي ومكر الله بهم في هذا الوقت^(٨) .

٢- العامل هو قوله : ﴿خَيْرَ الْمَاكِرِينَ﴾^(٩) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٤ .

(٢) تفسير الطبري (٤٥٥/٦) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٥٤ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٥٤ .

(٥) المحرر الوجيز (١٠٤/٣) .

(٦) من العلماء من يرى أن ((إِذْ)) ليست متعلقة بشيء فهي للاستئناف . انظر التحرير والتنوير (٢٥٧/٣) ويظهر أن في هذا

بعداً إذ السياق يدل على تعلقها بشيء ، ولذلك قل من يشير إلى استئنافها .

(٧) انظر الكشاف (٤٣٢/١) ، والفريد في إعراب القرآن الجيد (٥٧٨/١) .

(٨) انظر الدر المنثور (٢١٣/٣) .

(٩) انظر الكشاف (٤٣٢/١) ، والفريد (٥٧٨/١) .

٣- العامل هو قوله : ((مكروا))^(١).

٤- العامل فعل مضمر واختلف في تقديره:

أ) فليل: تقديره: ((اذكر))^(٢).

ب) وقيل تقديره ((وقع ذلك))^(٣).

٣- موقف العلماء من رأي الإمام الطبري والقاضي ابن عطية في هذه المسألة:

قال أبو حيان : ((العامل في ﴿إِذْ﴾ و﴿مَكَرَ اللَّهُ﴾ قاله الطبري ، أو (اذكر) قاله بعض النحاة، أو ﴿خَيْرَ الْمَاكِرِينَ﴾ قاله الزمخشري))^(٤).

وقال ابن الأنباري : ((إذ تتعلق بفعل مقدر وتقديره (اذكر أني متوفيك ورافعك إلي...)))^(٥).

والسمين ذكر ثلاثة أقوال في العامل في ﴿إِذْ﴾ من بينها ما ذكره الطبري وابن عطية^(٦).

وابن جزي يقول: ((العامل فيه فعل مضمر ، أو يمكر))^(٧).

والألوسي يذكر نحو ما ذكره السمين بعد استبعاد قول من قال : إن العامل ﴿خَيْرَ الْمَاكِرِينَ﴾^(٨).

وغير هؤلاء - أيضاً - يسوق القولين ، مساق القبول من غير تفضيل^(٩).

مما تقدم يظهر أنه لا فرق بين القولين ، وحتى من ذكر قولاً واحداً فإنه لا يدل ذلك على نفي ما

سواه.

٤- لم يذكر القاضي السبب في جعل قول من قدر (اذكر) أصوب من قول الطبري الذي جعله

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، والذي يظهر لي أن هذه المفاضلة بناها القاضي على أساس معنوي حاصله : أن القصة

سقت في القرآن الكريم للتذكير والاعتبار ، وما ذكره الله تعالى - هاهنا - عن عيسى عليه السلام هو

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٩٩/٤).

(٢) انظر مشكل إعراب القرآن (١٦١/١)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٢٠٥/١)، والفريد (٥٧٨/١).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٩٩/٤) ، وتفسير أبي السعود (٤٣/٢)، وروح المعاني (١٧٩/٣).

(٤) البحر (٤٩٦/٢).

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢٠٥/١).

(٦) انظر الدر المنصون (٢١٣/٣).

(٧) التسهيل (١٩٣/١).

(٨) انظر روح المعاني (١٧٩/٣).

(٩) انظر الفريد في إعراب القرآن الجيد (٥٧٨/١) ، وتفسير البيضاوي (١٦٣/١).

من هذا الباب فالمناسب أن يقدر العامل (اذكر) وإنما قلت هذا قياساً على ما قاله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).
فقد رجح تقدير العامل فيه (واذكر) وصرح بنحو هذا السبب هناك فانظره في الاستدراك رقم (٤) من هذه السورة.

٥- الظاهر - والله أعلم - أن ما قدره الطبري ها هنا - وإن كان صواباً فما قال ابن عطية إنه أصوب هو كذلك للسبب المعنوي الذي ذكر قريباً ، ولهذا فقد ذكر المولى تبارك وتعالى بعد هذا القصص الذي منه قصة عيسى عليه السلام أنه آيات فقال: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾^(٢) . وهذه الآيات تدعو العبد إلى التذكر والاعتبار ، ولهذا قال في موطن آخر : ﴿وَيبين آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾^(٤) وقال في الاعتبار: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٥).

٦- الأقوال الأخرى صحيحة أيضاً فقد قال بها أنمة ، ولم أر فيما اطلعت عليه من يرد شيئاً منها ، إلا أعمال ﴿خير الماكرين﴾ فقد قال الألوسي : ((وتعلقه بالماكرين بعيد لا يظهر وجه حسن لتقييد قوة مكره تعالى بهذا الوقت))^(٦).

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٥٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٢١ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٦ .

(٥) سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

(٦) روح المعاني (١٧٩/٣) .

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله: ﴿ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ها أنتم﴾ القوم الذين [قالوا في إبراهيم ما قالوا ﴿حاجتكم﴾] ، خصمتم وجادلتم ﴿فيما لكم به علم﴾ من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم، وأتكم به رسل الله من عنده ، وفي غير ذلك مما أوتيموه وثبتت عندكم صحته . ﴿فلم تحاجون﴾ يقول: فلم تجادلون وتخاصمون ﴿فيما ليس لكم به علم﴾ يعني: في الذي لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه، ولم تجدوه في كتب الله ، ولا أتكم به أنبياءكم ، ولا شاهدتموه فتعلموه))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفسيره لقوله تعالى: ﴿فيما لكم به علم﴾ على ظاهره من أن عندهم علم حقيقياً فقال: ((ومعنى قوله تعالى: ﴿فيما لكم به علم﴾ أي على زعمكم ، وإنما المعنى فيما تشبه فيه دعواكم ، ويكون الدليل العقلي لا يرد عليكم . وفسر الطبري هذا الموضع بأنه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وأنبيائهم مما أيقنوه وثبتت عندهم صحته. قال الفقيه الإمام : وذهب عنه - رحمه الله - أن ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه إلى محاجة ؛ لأنهم يجدونه عند محمد ﷺ ، كما كان هنالك على حقيقته وباقي الآية بين))^(٢).

هذه المسألة تبحث من الجوانب التالية:

١- الظاهر من كلام الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فيما لكم به علم﴾ أنه يرى أن تأويلها: فيما لكم به علم صحيح جاءكم من جهة أنبيائكم ووجدتموه في كتبكم وثبتت عندكم صحته. إذا هم يجادلون في حق ثابت عندهم من الله فيه برهان . وابن عطية : يرى أن قوله: ﴿فيما لكم به علم﴾ المقصود بهذا العلم على حد دعواهم وزعمهم ، وفي الحدود التي لا يحيلها العقل كأن يزعموا شيئاً يتعلق بشريعة موسى وعيسى ، وإلا فهم في حقيقة الأمر لا علم عندهم فيما جادلوا فيه إذ لو كان عندهم علم حقيقي ثابت صحيح نقلوه كما جاءت به رسالهم من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا

(١) تفسير الطبري (٤٩٢/٦).

(٢) المحرر الوجيز (١١٧/٣).

نقصان لما وقع فيه الجدل من قبل الرسول ﷺ وأتمته إذ أن هذا القرآن مصدق الذي بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه:

٢- كلام المفسرين في تأويل قوله: ﴿ فيما لكم به علم ﴾ يمكن أن يجعلوا على ضوئه فريقين

اثنين.

الأول: وهو جمهورهم - فيما رأيت - ينحون في تفسيرهم منحى الإمام الطبري فيسيرون مع ظاهر القرآن الكريم في تقسيم دعوى أهل الكتاب ومجادلتهم إلى قسمين: قسم لهم فيه علم، وقسم لا علم عندهم فيه، ومن هؤلاء من هو أقدم من الإمام الطبري وقد استشهد بتفسيره على ما ذهب إليه فأخرج ((عن قتادة أنه قال في قوله تعالى: ﴿ ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم ﴾ يقول: فيما شهدتم ورأيتم وعانيتم، ﴿ فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعينوا...))^(١).

وأخرج عن السدي أنه قال: ((أما الذي لهم به علم فما حرم عليهم وما أمروا به، وأما الذي ليس لهم به علم فشأن إبراهيم))^(٢).

وأخرج ابن أبي حاتم^(٣) عن أبي العالية^(٤) أنه قال - في قوله تعالى: ﴿ فيما لكم به علم ﴾ :- ((فيما شهدتم ورأيتم وعانيتم))^(٥).

وأخرج عن الحسن أنه سئل عن هذه الآية فقال: ((يعذر من حاج بعلم، ولا يعذر من حاج بالجهل))^(٦).

فهؤلاء جماعة من التابعين يفسرون الآية بنحو القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري.

(١) أخرجه في تفسيره (٤٩٣/٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة وسنده حسن.

(٢) أخرجه في تفسيره (٤٩٢/٦-٤٩٣) من طريق أسباط عن السدي وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢١/١/٢) من طريق أسباط. وقال الدكتور حكمت: إسناده حسن.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، العلامة الحافظ صاحب التفسير (ت: ٣٢٧هـ) انظر السير (٢٦٣/١٣).

(٤) رُفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر (ت: ٩٠هـ) انظر السير (٢٠٧/٤).

(٥) انظر تفسيره (٣٢١/١/٢) وقال الدكتور حكمت: إسناده حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٢/١/٢) وقال الدكتور حكمت: في إسناده من لم أحده.

ومعظم المتأخرين من أرباب المصنفات التفسيرية يفهم من كلامهم هذا المنحى ، وهذا الاتجاه^(١) .
 الفريق الثاني من المفسرين يتجه في تفسيره إلى المنحى الذي نحاه القاضي ابن عطية ، يقول الرازي :
 ((المراد من قوله: ﴿ حاجتكم فيما لكم به علم ﴾ هو أنهم زعموا أن شريعة التوراة والإنجيل مخالفة
 لشريعة القرآن))^(٢) .

وقال البيضاوي : ((... أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عناداً ، أو
 تدعون وروده فيه))^(٣) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي : ((فهب أنهم حاجوا فيما لهم به علم ، فكيف يحتاجون في هذه
 الحالة...))^(٤) .

٣- من العلماء من تعرض لاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، وجنح إلى ما رآه الإمام
 الطبري ، كآبي حيان فإنه بعد أن ذكر استدراك القاضي قال : ((والظاهر في قوله: ﴿ فيما لكم به
 علم ﴾ إثبات العلم لهم))^(٥) .

وكذلك عبد الرحمن الثعالبي قال - بعد أن ذكر استدراك القاضي - : ((قلت وما قاله الطبري أبين؛
 وهو ظاهر الآية...))^(٦) .

قلت: فهذان عالمان يجنحان إلى أن استدراك القاضي غير وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة ؛
 لأن ظاهر القرآن يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري والأمر كما قالوا ، وبيان ذلك أنك إذا نظرت في
 جدال اليهود والنصارى وجدتهم يجادلون في أمور لها أساس في التوراة والإنجيل ، كقوله تعالى في اليهود:
 ﴿ كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ﴾^(٧) فتحريم بعض

(١) انظر بحر العلوم (١/٢٧٦) ، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢٩٨) ، والنكت والعيون (١/٤٠٠) ، والوسيط
 (١/٤٤٨) ، والكشاف (١/٤٣٥) ، وزاد المسير (١/٢٣٥) ، وتفسير النسفي (١/١٦٣) ، والتسهيل لعلوم التنزيل
 (١/١٩٥) ، والدر المصون (٣/٢٣٥) ، وروح المعاني (٣/١٩٥) .

(٢) التفسير الكبير (٨/٧٩) .

(٣) تفسيره (١/١٦٥) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/٢٥١) .

(٥) البحر المحيط (٢/٥٠٩-٥١٠) .

(٦) الجواهر الحسان (١/٣٣٠) .

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٩٣ .

الأطعمة كان موجوداً في التوراة ، إلا أن التحريم لم يكن شاملاً لكل ما ادعوا تحريمه ونسبوه للتوراة^(١) ، كذلك الإخبار بمجيء رسولنا ﷺ ومعرفتهم بنعته كانوا يعلمونه وهو موجود في التوراة ، لكنهم يجادلون فيه بالباطل ويدعون دعوى كاذبة ، قال الله تعالى مبيناً لهذه الحقيقة: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾^(٢) .
وكذلك النصارى كانوا يجادلون في عيسى عليه السلام ويعطونه فوق ما أعطاه الله فيجعلونه إلهاً ، وقد كذبهم الله في هذه الدعوى فقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾^(٣) .

فالضالون كان عندهم علم بأنه ولد من غير أب ونحو ذلك مما يعلمونه من أمر عيسى ، لكنهم ضلوا فيه وجادلوا فيه بالباطل فكذبهم الله في القرآن وبين حال عيسى ومنشأه وما جاء به ، ونهايته . وكذلك رجم الزاني المحصن هذا موجود في التوراة وعند اليهود علم بذلك ، لكنهم أخفوه وجادلوا الرسول فيه بالباطل . وقد أشار إلى هذا بعض المفسرين ، فقال القرطبي : ((قوله تعالى : ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم﴾ يعني في أمر محمد ﷺ ؛ لأنهم كانوا يعلمونه فيما يجادلون من نعته في كتابهم فحاججوا فيه بالباطل))^(٤) .

وقال الثعالبي - بعد أن نقل اعتراض ابن عطية وحجته - : ((قلت : وما قاله الطبري أبين ، وهو ظاهر الآية ، ومن المعلوم أن أكثر احتجاجاتهم ، إنما كانت تعسفاً وجحداً للحق))^(٥) .
وقال الشوكاني : ((والمراد بما لهم به علم هو ما كان في التوراة ، وإن خالفوا مقتضاه وجادلوا فيه بالباطل))^(٦) .

(١) انظر المحرز الوجيز (١٥٩/٣) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٧٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠٨/٤) .

(٥) الجواهر الحسان (٣٣٠/١) .

(٦) فتح القدير (٣٤٩/١) .

١٠ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿وَدَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ قال أبو جعفر: ... والإضلال في هذا الموضع ، الإهلاك ، من قول الله عز وجل : ﴿وقالوا أنذا ضللنا في الأرض أننا لفي خلق جديد﴾^(١) يعني إذا هلكنا ومنه قول الأخطل - في هجاء جرير - :

قذف الأتي به فضل ضلالاً^(٢)

كنت القذى في موج أكر مزبد

يعني : هلك هلاكاً . وقول نابغة بني ذبيان :

وغودر بالجولان حزم ونائل^(٣)

قآب مضلوه بعين جليّة

يعني : مهلكوه^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن تفسير ((الضلال)) بالهلاك ، غير خاص باللفظة ، فهو تفسير غير قويم ، فقال - عند هذه الآية - : ((أخبر الله تعالى عن طائفة أنها تود وتشتهي أن تضل المسلمين ، أي تنهيهم عن دينهم وتجعلهم في ضلال... وقال الطبري : ﴿يضلونكم﴾ معناه : يهلكونكم . واستشهد بيت جرير^(٥) :

قذف الأتي به فضل ضلالاً

كنت القذى في موج أخضر مزبد

وقول النابغة :

قآب مضلوه بعين جليّة

البيت . وهذا تفسير غير خاص باللفظة ، وإنما اطرد ؛ له لأن^(٦) هذا الضلال في الآية ، وفي البيتين اقترن به هلاك . وأما أن تفسير لفظة ((الضلال)) بالهلاك فغير قويم^(٧).

(١) سورة السجدة ، الآية : ١٠ .

(٢) البيت في ديوانه ص (٢٥٢) والأتي : سبل يأتي من مكان بعيد . قاله محمود شاعر . انظر تفسير الطبري (٤٩٦/٢).

(٣) البيت في ديوانه ص (٩٠) ، وفي تهذيب اللغة (٤٦٥/١١) ، ومعجم مقاييس اللغة (٣٥٦/٣) ، ولسان العرب (٨٢/٨) ((ضلال)) . والجولان موضع بالشام . قاله ابن منظور . قلت : وهو الآن تحت احتلال اليهود مع القدس وغيرهما من بلاد الإسلام . والبيت في الديوان ((مضلوه)) بالصاد وهو على هذا لا شاهد فيه .

(٤) تفسير الطبري (٥٠٠/٦).

(٥) البيت ليس لجرير ، وإنما هو للأخطل .

(٦) ((لأن)) ساقطة من النسخة المحققة في المغرب ، وكذلك نسخة دار الكتب العلمية ، وهي موجودة في النسخة التي

حققها الأستاذ أحمد صادق الملاح . انظر (٤٦٢/٢) ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٧) انحرر الوجيز - تحقيق الملاح - (٤٦٠/٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٢).

الذي يبدو من كلام القاضي ابن عطية أنه لا يرى أن يفسر الضلال بالهلاك ويدل على ذلك أنه قال - كما هو معنى كلامه - : إنما اطرد للطبري تفسير الضلال بالهلاك ، لاقرآن الهلاك بالضلال . ويؤكد أن هذا مقصود القاضي أنه قال في آخر استدراكه : ((وأما أن تفسر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم)) فيكون معنى قوله في أول الاستدراك : ((وهذا تفسير غير خاص باللفظة)) أي ليس من معانيها . فإن كان أبو محمد يعني هذا ، فلا يوافق عليه ، واستدراكه على الإمام الطبري غير وارد ؛ لأن الضلال يأتي بمعنى الهلاك .

قال ابن فارس : ((ويقولون : ضل اللبن في الماء ، ثم يقولون : استهلك))^(١) .

وفي مختار الصحاح : ((وأضله أضاعه ، وأهلكه))^(٢) .

وقال ابن منظور : ((وأضله أي أضاعه وأهلكه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿إن الجرمين في ضلال

وسعراً﴾^(٣) أي في هلاك))^(٤) .

وفي المعجم الوسيط : ((الضلال : الغياب ، والهلاك ، والباطل ، والنسيان ، والعدول عن الطريق

المستقيم...))^(٥) .

وأيضاً فإنني قد رأيت طائفة من المفسرين يذكرون هذا المعنى بخصوصه عند هذه الآية الكريمة ، وهم بين مفرد له ، وبين ذاكر له ، وجهاً في معنى الآية .

قال ابن الجوزي : ((والضلال الحيرة ، وفيه هاهنا قولان . أحدهما : أنه الاستنزال عن الحق إلى

الباطل وهو قول ابن عباس ومقاتل^(٦) . والثاني : الإهلاك ومنه : ﴿إذا ضللنا في الأرض﴾^(٧) قاله

ابن جرير والدمشقي))^(٨) .

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٥٦) ((ضل)).

(٢) مختار الصحاح ، ص (٢٨٦) ((ضل)).

(٣) سورة القمر ، الآية : ٤٧ .

(٤) لسان العرب (٨/٨٠) ((ضلل)).

(٥) المعجم الوسيط (١/٥٦٣) ((ضلل)).

(٦) لعله : مقاتل بن سليمان البلخي ، قال ابن المبارك : وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة (ت : نيف وخمسين ومئة) .

انظر السير (٧/٢٠١) .

(٧) سورة السجدة ، الآية : ١٠ .

(٨) زاد المسير (١/٤٠٤) . والدمشقي لعله : عبد الرحمن بن أحمد أبو سليمان الداراني (ت : ٢١٥هـ) . انظر السير

وقال الفخر الرازي - عند قوله تعالى : ﴿ وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ من نفس الآية - : ((وهو يحتمل وجوهاً منها إهلاكهم أنفسهم باستحقاق العقاب على قصدهم إضلال الغير))^(١).
ونقل القرطبي والألوسي هذا المعنى وجهاً في الآية ونسباه للإمام الطبري ، وما اعترضوا عليه بشيء^(٢).
وأبو حيان نقل هذا المعنى الذي ذكره الإمام الطبري ، واعتراض القاضي ابن عطية ، ثم قال : ((وقال غير ابن عطية : أصل الضلال في اللغة الهلاك ، من قولهم ضل اللبن في الماء إذا صار مستهلكاً فيه))^(٣).
قلت : وهذا التعقيب الذي ذكره أبو حيان فيه فائدتان : الأولى : أنه يفهم كلام ابن عطية ، على أنه ينفي أن يأتي الضلال بمعنى الهلاك ، ولذلك علق عليه بقوله : ((وقال غير ابن عطية أصل الضلال في اللغة الهلاك)) فهذا يؤيد ما قلت سابقاً أن هذا هو مقصود ابن عطية .

الثانية : أنه لا يوافق ابن عطية على استدراكه.

وقد يكون ابن عطية أراد أن تفسر الضلال في الآية بالهلاك غير مناسب في هذا الموضع ، وهو لا ينفي أن يأتي الضلال بمعنى الهلاك ، أقول : إن كان أراد هذا - وهو احتمال بعيد جداً - فلا أرى هذا وارداً على الإمام الطبري أيضاً ؛ لأنك إذا نظرت إلى المعاني التي ذكرت في معنى ﴿ يضلونكم ﴾ في هذه الآية وجدتها ترجع إلى ما قاله الإمام الطبري.

وبيان ذلك أنهم قد ذكروا للضلال المعاني التالية:

قيل : يضلونكم يردونكم إلى كفركم . وقيل : يستنزلونكم عن الحق إلى الباطل . وقيل : يوقعونكم في الضلال ، ويلقون إليكم ما يشككونكم به في دينكم^(٤).

وقال ابن عطية : تشبههم عن دينهم وتجعلهم في ضلال.

وفي بعض نسخ المحرر : تتلفهم في دينهم وتجعلهم في ضلال^(٥).

فهذه الأقوال كلها إذا تأملت فيها وجدت نهايتها الهلاك ، وهو المعنى الذي ذكره الإمام الطبري.

(١) التفسير الكبير (٨/٨٠).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤/١١٠)، وروح المعاني (٣/١٩٨) وفي الجامع نسبه إلى ابن حريج ، والظاهر أنه تحريف من غير القرطبي وإنما هو ((ابن حريج)).

(٣) البحر المحيط (٢/٥١٣، ٥١٤).

(٤) انظر زاد المسير (١/٤٠٤)، والبحر المحيط (٢/٥١٣، ٥١٤).

(٥) هكذا في النسخة القطرية ، والمغربية ، ونسخة دار الكتب العلمية.

١١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً يأمرکم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ قال أبو جعفر: اختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿ولا يأمرکم﴾ فقرأته عامة قراءة الحجاز والمدينة ﴿ولا يأمرکم﴾ على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي ﷺ أنه لا يأمرکم ، أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً... وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ﴿ولا يأمرکم﴾ ، بنصب الرء عطفاً على قوله : ﴿ثم يقول للناس﴾^(١) وكان تأويله عندهم : ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب ، ثم يقول للناس ، ولا أن يأمرکم بمعنى : ولا كان له أن يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إعرابه قراءة نصب الرء عطفاً على ﴿ثم يقول للناس﴾^(٣) فقال : ((... وأما قراءة من نصب الرء ، فهي عطف على قوله : ﴿أن يؤتیه﴾^(٤) والمعنى : ولا له أن يأمرکم ، قاله أبو علي وغيره . وقال الطبري : قوله : ﴿ولا يأمرکم﴾ بالنصب معطوف على قوله : ﴿ثم يقول﴾^(٥) .

قال الفقيه أبو محمد : وهذا خطأ لا يلتزم به المعنى))^(٦).

هذه المسألة البحث فيها من وجود:

الوجه الأول : قراءتا الرفع والنصب في الرء من ﴿ولا يأمرکم﴾ قراءتان متواترتان ، فالنصب قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب ، والرفع قراءة الباقيين^(٧).

الوجه الثاني : اختلف النحاة والمفسرون في توجيه قراءة نصب الرء على أقوال ثلاثة:

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

(٢) تفسير الطبري (٥٤٧/٦) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

(٦) الخمر الوجيز (١٤١/٣ ، ١٤٢) .

(٧) انظر النشر (٢٤٠/٢) .

١- أن يقدر قبل فعل ﴿يأمركم﴾ أن فيكون منصوباً بها ، ويكون المعنى : ولا له أن يأمركم ، وتكون ((لا)) مؤكدة لمعنى النفي السابق ، مثل أن تقول : ما كان من زيد إتيان ولا قيام ، وأنت تريد انتفاء كل واحد منهما عن زيد. أشار إلى هذا القول أبو علي الفارسي^(١) ، وفصله أبو حيان^(٢).

٢- أن يكون نصبه لعطفه على ﴿أن يؤتية﴾ قاله سيويه والفراء والأخفش^(٣).

قال السمين الحلبي^(٤) : والمعنى : وما كان لبشر أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة^(٤).

٣- أن يكون منصوباً عطفاً على قوله تعالى : ﴿ثم يقول﴾ قاله الإمام الطبري والزمخشري^(٥) ، وابن الأنباري^(٦) - وجهاً - والعكبري^(٧).

قال الزمخشري - في بيان هذا القول - : ((قرئ ﴿ولا يأمركم﴾ بالنصب عطفاً على ﴿ثم يقول﴾ وفيه وجهان . أحدهما : أن تجعل (لا) مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله : ﴿ما كان لبشر﴾ والمعنى : ما كان لبشر أن يستنبه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم ﴿أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً﴾ كما تقول : ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي . والثاني : أن تجعل (لا) غير مزيدة ، والمعنى : أن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزيز والمسيح ، فلما قالوا له : أنتخذك رباً؟ قيل لهم : ما كان لبشر أن يستنبه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء^(٨).

الوجه الثالث : موقف العلماء من استدراك ابن عطية على الإمام الطبري :

(١) انظر الحجة (٥٨/٣).

(٢) انظر البحر المحيط (٥٣٠/٢).

(٣) انظر الكتاب (٥٢/٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢٢٤/١)، ومعاني القرآن للأخفش (٤١٢/١).

(٤) انظر الدر المصون (٢٧٩/٣). وانظر كتاب سيويه (٥٢١٣).

(٥) انظر الكشاف (٤٤٠/١).

(٦) انظر البيان (٢٠٨/١).

(٧) انظر التبيان (٢٧٤/١).

(٨) الكشاف (٤٤٠/١).

١- ذهب أبو حيان إلى موافقة ابن عطية على استدراكه وبين وجه الخطأ وعدم التمام المعنى للذين علل بهما ابن عطية ، فقال - بعد أن نقل إعراب الإمام الطبري واعتراض القاضي - : ((ولم يبين جهة الخطأ، ولا عدم التمام المعنى به ، ووجه الخطأ أنه إذا كان معطوفاً على ﴿ثم يقول﴾ وكانت (لا) لتأسيس النفي ، فلا يمكن إلا أن يقدر العامل قبل (لا) وهو (أن) فينسب من (أن) والفعل المنفي مصدر منتف فيصير المعنى (ما كان لبشر موصوف بما وصف به انتفاء أمره باتخاذ الملائكة والنبين أرباباً) وإذا لم يكن له الانتفاء كان له الثبوت فصار أمراً باتخاذهم أرباباً وهو خطأ. فإذا جعلت (لا) لتأكيد النفي السابق كان النفي منسحباً على المصدرين المقدر ثبوتهما فينتفي قوله كونوا (عباداً لي) وأمره باتخاذ الملائكة والنبين أرباباً . ويوضح هذا المعنى وضع (غير) موضع (لا) فإذا قلت: ما لزيد فقه ولا نحو. كانت لا لتأكيد النفي وانتفى عنه الوصفان ، ولو جعلت (لا) لتأسيس النفي كانت بمعنى غير فيصير المعنى انتفاء الفقه عنه وثبوت النحو له ؛ إذ لو قلت : ما لزيد فقه وغير نحو. كان في ذلك إثبات النحو له، كأنك قلت ما له غير نحو. ألا ترى أنك إذا قلت : جنت بلا زاد كان المعنى : جنت بغير زاد. وإذا قلت: ما جنت بغير زاد ، معناه: أنك جنت بزاد ؛ لأن (لا) هنا لتأسيس النفي . فإطلاق ابن عطية الخطأ وعدم التمام^(١) المعنى إنما يكون على أحد التقديرين في (لا) وهي أن يكون لتأسيس النفي ، وأن يكون من عطف المنفي بلا على مثبت الداخل عليه النفي نحو : ما أريد أن تجهل وأن لا تتعلم. تريد: ما أريد أن لا تتعلم^(٢))).

ثم ذكر أبو حيان توجيه الزمخشري ولم يعترض عليه بشيء^(٣).

٢- وذهب السمين الحلبي إلى رد قول ابن عطية ، فقال - بعد أن نقل الأوجه في إعراب ﴿يأمركم﴾ واعتراض ابن عطية وتأيد أبي حيان له وتوجيه الزمخشري - : ((قلت: وهذا الذي أورده الزمخشري كلام صحيح ، ومعنى واضح على كلا التقديرين كون (لا) لتأسيس النفي ، أو تأكيده،

(١) ((التمام)) بدله في النسخة ((القيام)) والصواب ما أثبت.

(٢) البحر المحيط (٥٣١/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٣١/٢).

فكيف يجعل الشيخ كلام الطبري فاسداً على أحد التقديرين ، وهو كونها لتأسيس النفي؟ فقد ظهر والحمد لله صحة كلام الطبري بكلام أبي القاسم الزمخشري ، وظهر أن رد ابن عطية عليه مردود^(١) . قلت : فهذان عالمان مختلفان في هذا الاستدراك . ويترجح ما قاله السمين لزوال العلة التي قالها ابن عطية ؛ ولأن هذا الوجه - الذي قاله الإمام الطبري - أورده أئمة من النحاة^(٢) والمفسرين^(٣) ، مما يدل على صحته .

٥

(١) الدر المصون (٢٨١/٣).

(٢) تقدم النقل عن بعض أئمتهم . وانظر أيضاً الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٩٣/١) فقد أعربه المنتجب على الوجه الذي ذكره الطبري . وانظر مشكل إعراب القرآن (١٦٤/١) فقد أورده مكى وجهاً .

(٣) انظر معالم التنزيل (٣٢١/١)، والتفسير الكبير (٩٩/٨) ، وتفسير البيضاوي (١٦٩/١)، والتسهيل (١٩٩/١) ، وتفسير النسفي (١٦٦/١)، وتفسير أبي السعود (٥٣/٢)، وفتح القدير (٣٥٥/١).

١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ - : ((خالدين فيها﴾ يعني ما كتبت فيها ، يعني في عقوبة الله))^(١) .
ولم ير القاضي ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: ((والضمير في قوله: ﴿خالدين فيها﴾ قال الطبري: يعود على عقوبة الله التي يتضمنها معنى اللعنة . وقال قوم من المفسرين : الضمير عائد على اللعنة. قال الفقيه الإمام أبو محمد: وقرائن الآية تقتضي أن هذه اللعنة مخلدة لهم في جهنم ، فالضمير عائد على النار ، وإن كان لم يجر لها ذكر ؛ لأن المعنى يفهمها في هذا الموضع ، كما يفهم قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾^(٢) أنها الأرض ، وقد قال بعض الخراسانيين في قوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾^(٣) إن الضمير عائد على النار))^(٤) .

والبحت في هذه المسألة على النحو التالي:

١- موضع الاستدراك في مرجع الضمير في قوله: ﴿فيها﴾ فالإمام الطبري يرى أنه راجع إلى (عقوبة الله) بينما يرى القاضي ابن عطية أن الضمير راجع إلى (النار) ويعلل ذلك بأن ذلك مفهوم من المعنى وإن لم يجر للنار ذكر.

٢- اختلف المفسرون في مرجع الضمير على خمسة أقوال:

- أ- فذهب الإمام الطبري إلى أن مرجع الضمير إلى العقوبة، وذكره بعض المفسرين وجهاً^(٥).
- ب- وذهب القاضي ابن عطية إلى أن مرجع الضمير إلى النار وذكره أيضاً بعض المفسرين وجهاً^(٦).
- ج- وقيل : الضمير يجوز أن يرجع إلى النار ، أو إلى اللعنة^(٧).
- د- وقيل : يجوز أن يرجع الضمير إلى عذاب اللعنة^(٨).

(١) تفسير الطبري (٥٧٧/٦).

(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦ .

(٣) سورة النازعات ، الآية : ٤٥ .

(٤) المحرر الوجيز (١٥٣/٣) والظاهر رجوع الضمير إلى الساعة التي تقدم ذكرها في قوله ﴿يسألونك عن الساعة﴾.

(٥) انظر تفسير البيضاوي (١٧٠/١) ، وتفسير أبي السعود (٥٦/٢) ، وروح المعاني (٢١٧/٣).

(٦) انظر معالم التنزيل (١٣٤/١) ، والكشاف (٣٢٥/١) ، عند الآية (١٦٢) من سورة البقرة.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي العالية ، قال الدكتور حكمت بإسناد حسن . انظر تفسير ابن أبي حاتم (٣٨٥/١/٢)

ونص كلامه : ((يعني في النار ، في اللعنة)).

(٨) قاله الزجاج في إعراب القرآن (٤٤٠/١).

هـ - وقيل : يجوز أن يرجع الضمير إلى اللعنة أو العقوبة ، أو النار^(١).

و- وقيل : الضمير راجع إلى اللعنة^(٢) . قال أبو حيان : وهو الظاهر ، إذ لم يتقدم على الضمير - في اللفظ - إلا اللعنة^(٣).

٣- الظاهر - والله أعلم - أن هذه الأقوال متقاربة ويجمعها كلها ما ذهب إليه أبو محمد من إعادة الضمير إلى النار .

بيان ذلك أن من قال الضمير في ﴿ خالدين فيها ﴾ راجع إلى العقوبة فهذا صحيح ؛ لأن عقوبة الله هي النار . ومن قال الضمير راجع إلى اللعنة فهذا صحيح ؛ إذ أن المقصود باللعنة هنا النار^(٤) فكما أن الرحمة يقصد بها الجنة^(٥) في قوله : ﴿ ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾^(٦) فاللعنة - هنا - يقصد بها النار .

ومن قال الضمير راجع إلى عذاب اللعنة فصحيح - أيضاً - لأن اللعنة يلزم عليها العذاب بالنار . فإن قيل : النار لم يجر لها ذكر حتى تحمل رجوع الضمير إليها . فالجواب ما قاله أبو محمد : إن النار تفهم من المعنى في هذا الموضع ، كما يفهم إعادة الضمير إلى الأرض من معنى قوله : ﴿ كل من عليها فان ﴾^(٧).

فهذا مما يصح إضماره إذا دل عليه السياق ثقة بفهم السامع ، ومن الأمثلة على هذا غير ما ذكره القاضي قول الله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ﴾^(٨) فالضمير في ﴿ عليها ﴾ راجع إلى الأرض ولم يأت لها ذكر فيما تقدم ، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس ﴾^(٩) فالضمير في قوله : ﴿ لأبويه ﴾ راجع إلى الميت الذي دل عليه السياق ولم يجر له ذكر^(١٠) . والله أعلم .

(١) انظر تفسير البضاوي (١٧٠/١) وتفسير أبي السعود (٥٦/٢)، وروح المعاني (٢١٧/٢).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣٨١/١).

(٣) انظر البحر المحيط (٦٣٦/١) وهذا معنى كلامه ، عند الآية (١٦٢) من سورة البقرة.

(٤) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ، ص(٤١٦).

(٥) انظر المصدر السابق ، ص (١٩٩).

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٧ .

(٧) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦ .

(٨) سورة التحل ، الآية : ٦١ .

(٩) سورة النساء ، الآية : ١١ .

(١٠) انظر الإتيان (٥٠٧/١).

١٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به ... ﴾ - : ((وأدخلت الواو في قوله: ﴿ ولو افتدى به ﴾ محذوف من الكلام بعده ، دل عليه دخول الواو ، وكالواو في قوله: ﴿ وليكون من الموقنين ﴾^(١) وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أربناه ملكوت السموات والأرض ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ ولو افتدى به ﴾^(٢))).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تنظيره آية آل عمران بآية الأنعام فقال : ((واختلف الناس في هذه الآية في قوله : ﴿ ولو افتدى ﴾ فقال الطبري : هي متعلقة بمحذوف في آخر الكلام دل عليه دخول الواو ، كما دخلت في قوله : ﴿ وليكون من الموقنين ﴾^(٣) لمزوك من الكلام تقديره : وليكون من الموقنين أربناه ملكوت السموات والأرض . قال الفقيه الإمام : وفي هذا التمثيل نظر فتأمله))^(٤).

هذه المسألة البحث فيها من الوجوه التالية:

١- هذا التمثيل الذي ذكره الإمام الطبري قد نص عليه الإمام الفراء - من قبل الطبري - فقال: ((وقوله : ﴿ ولو افتدى به ﴾ هو بمنزلة قوله: ﴿ وليكون من الموقنين ﴾^(٥) فالواو هنا كأن لها فعلاً مضمراً بعدها))^(٦).

٢- الجامع بين الآيتين تقدير محذوف في الكلام.

٣- يقصد ابن عطية بقوله : ((وفي هذا التمثيل نظر فتأمله)) أن تنظير الإمام الطبري الآية ﴿ ولو افتدى ﴾ بالآية ﴿ وليكون من الموقنين ﴾^(٧) ليس دقيقاً - مع أن الجامع بين الآيتين تقدير محذوف - وبيان ذلك : أن تقدير المحذوف في قوله: ﴿ ولو افتدى به ﴾ هو : لم يقبل منه على كل حال سواء

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٥ .

(٢) تفسير الطبري (٥٨٦/٦) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٧٥ .

(٤) الخرز الوجيز (١٥٦/٣) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٧٥ .

(٦) معاني القرآن (٢٢٦/١) .

(٧) سورة الأنعام ، الآية : ٧٥ .

افتدى ، أم لم يفتد ، كما تقول : الأم تحب ابنها ولو أساء . أي تحبه على كل حال ، إن أحسن أو أساء ،
فالتنظير الصحيح ينبغي أن يكون بقوله تعالى : ﴿ ولن تغني عنكم فنتكم شيئاً ولو كثرت ﴾^(١) ، أما
آية الأنعام فالمحذوف فيها تقديره : أريناه ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين . فالجامع بين
الآيتين تقدير محذوف ، لكن تقدير الحذف فيهما مختلف^(٢) .

٤ - بناء على ما تبين لنا في الوجه الثالث فاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد في
هذه المسألة ؛ لأن الآيتين وإن جمعتهما تقدير محذوف من الكلام ، فهما مختلفتان من حيث المعنى ، والمثالية
تقتضي المطابقة ، بين الممثل ، والممثل به .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١٩ .

(٢) وسبب اختلاف المعنى أن (لو) في قوله ﴿ ولو افتدى به ﴾ شرطية ، واللام في قوله ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ للتعليل .

١٤- ساق الإمام الطبري رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ - بسنده إلى الضحاك أنه قال : في قوله : ﴿ إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ﴾ ((إسرائيل هو يعقوب ، أخذه عرق النسا^(١) فكان لا يبيت الليل من وجعه ، وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً ، وذلك قبل نزول التوراة على موسى ، فسأل نبي الله ﷺ اليهود: ما هذا الذي حرم إسرائيل على نفسه ؟ فقالوا : نزلت التوراة بتحريم الذي حرم إسرائيل . فقال الله محمد ﷺ : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ إلى قوله : ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾^(٢) وكذبوا وافتروا لم تنزل التوراة بذلك))^(٣).

قال الإمام الطبري: ((وتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة ، وبعد نزولها إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، بمعنى لكن إسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك . وكان الضحاك وجه قوله : ﴿ إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ﴾ إلى الاستثناء الذي يسميه النحويون : الاستثناء المنقطع))^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري فهمه لكلام الضحاك ، فقال: ((وترجم الطبري في تفسير هذه الآية بترجم ، وأدخل تحتها أقوالاً توافق تراجمه ، وحمل ألفاظ الضحاك أن الاستثناء منقطع وكان المعنى كل الطعام كان حلالاً لهم قبل نزول التوراة وبعد نزولها . قال الفقيه الإمام أبو محمد : فيرجع المعنى إلى القول الأول الذي حكيناه^(٥) . وحمل الطبري قول الضحاك أن معناه:

(١) هو عرق يخرج من الورك فيستيطان الفخذين ، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر . انظر لسان العرب (١٣١/١٤) ((نسا)).

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٩٤ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٧) قال حدثت عن الحسين بن الفرج ثم ساق السند إلى الضحاك ، فلم يذكر الوسطة بينه وبين الحسين بن الفرج . وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٤٠٠/١/٢) مختصراً . وقال الدكتور حكمت: في إسناده أبو معاذ النحوي . قلت : أخرجه الطبري من طريقه.

(٤) تفسير الطبري (٩/٧).

(٥) حاصل القول الأول : أن معنى الآية الرد على اليهود في قولهم في كل ما حرموه على أنفسهم من الأشياء إنها محرمة عليهم بأمر الله في التوراة فأكذبهم الله بهذه الآية وأخبر أن جميع الطعام كان حلالاً لهم ، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه خاصة ولم يرد به ولده فلما استنواهم به جاءت التوراة بتحريم ذلك عليهم . انظر المحرر الوجيز (١٥٩/٣).

لكن إسرائيل حرم على نفسه خاصة ولم يحرم الله على بني إسرائيل في تورا ولا غيرها . قال الفقيه الإمام:
وهذا تحميل يرد عليه قوله تعالى: ﴿ حرمنا عليهم ﴾^(١) وقوله ﷺ : ((حرمت عليهم الشحوم))^(٢)
إلى غير ذلك من الشواهد))^(٣).

هذه هي الرواية عن الضحاک وفهم الطبري لها ، ونص استدراك ابن عطية ، والبحث في هذه المسألة
على النحو التالي:

١- اختلف العلماء في نوع الاستثناء في قوله: ﴿ إلا ما حرم إسرائيل ﴾ على قولين:

الأول : أن الاستثناء متصل ويكون المعنى : كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل ، إلا ما حرم إسرائيل
على نفسه وعلى بنيه^(٤).

الثاني : الاستثناء منقطع ، ويكون المعنى : كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل لكن حرم إسرائيل على
نفسه خاصة ولم يحرمه عليهم^(٥).

قال أبو حيان : والاتصال أظهر^(٦). وقال السمين : والأول هو الصحيح^(٧). وقال الألوسي:
وضَّح الأول^(٨).

٢- أورد جماعة من المفسرين تفسير الضحاک للآية بنحو ما أورده الطبري^(٩) ، ولم يذكروا نوع
الاستثناء على تفسيره ، إلا أن الألوسي تعقبه بقوله : وهذا في غاية البعد^(١٠).

(١) هذا النص هو بعض آية في سورتين : الأولى في سورة النساء ، آية : ١٦٠ . ونصها ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات أحلت بهم ويصلحهم عن سبيل الله كثيراً ﴾ والثانية في سورة الأنعام آية : ١٤٦ ونصها ﴿ وعلى الذين
هادوا حرمنا عليهم كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما
اختلط بعظم ذلك حزيناهم بيغيهم وأنا لصادقون ﴾.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤٩٦/٦) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ،
ح (٣٤٦٠) من رواية عمر رضي الله عنه.

(٣) ائخر الوجيز (١٥٩/٣-١٦٠).

(٤) انظر التبيان (٢٧٩/١) ، والفريد (٦٠٣/١).

(٥) انظر البحر (٤/٣) ، والدر المصون (٣١١/٣) ، وروح المعاني (٢/٤).

(٦) البحر (٤/٣).

(٧) الدر (٣١١/٣).

(٨) روح المعاني (٢/٤).

(٩) انظر معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (٤٤١/١) ، ومعالم التنزيل (٣٢٧/١) ، وزاد المسير (٤٢٣/١) ، وروح المعاني
(٣/٤).

(١٠) روح المعاني (٣/٤).

٣- الذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة ؛ لأن الإمام الطبري قال : ((وتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، بمعنى لكن إسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك)). فحاصل كلام الطبري أنه يفهم كلام الضحاك على أن الله لم يحرم على بني إسرائيل شيئاً لا قبل نزول التوراة ، ولا بعد نزولها . ويتأول كلام الضحاك على الاستثناء المنقطع . وإذا تأملت كلام الضحاك لم تجده يقل : كل ذلك كان حلالاً لبني إسرائيل قبل نزول التوراة وبعد نزولها وإنما حاصل كلامه أن الله تعالى كذب اليهود في دعواهم أن الذي حرم إسرائيل على نفسه نزلت التوراة بتحريمه عليهم . فلم يعمم النفي الضحاك .

١٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾^(١) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم ، وقتلهم الأنبياء ، ومعصيتهم ربهم ، واعتدانهم أمر ربهم))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في مرجع اسم الإشارة ﴿ ذلك ﴾ فقال : ((وقوله تعالى: ﴿ ذلك بما عصوا ﴾ حمله المفسرون على أن الإشارة بـ ﴿ ذلك ﴾ إلى الشيء الذي أشير إليه بـ ﴿ ذلك ﴾ الأول ، قاله الطبري والزجاج وغيرهما . والذي أقول: إن الإشارة بـ ﴿ ذلك ﴾ الأخير إنما هي إلى كفرهم وقتلهم ؛ وذلك أن الله تعالى استدرجهم فعاقبهم على العصيان والاعتداء بالمصير إلى الكفر ، وقتل الأنبياء ، وهو الذي يقول أهل العلم : إن الله تعالى يعاقب على المعصية بالإيقاع في معصية ، ويجازي على الطاعة بالتوفيق إلى طاعة ، وذلك موجود في الناس إذا توهم))^(٣).

هذه المسألة ملخص البحث فيها على النحو التالي:

١- تحرير محل الاستدراك هو في اسم الإشارة الثاني ﴿ ذلك ﴾ إلى ماذا يرجع؟ فكلام الإمام الطبري يفيد أنه يرجع إلى ما رجع إليه الأول ؛ لأنه قال : ((فعلنا بهم ذلك)) يعني بـ ﴿ ذلك ﴾ بوءهم الذي باؤوا به من غضب الله ، وضرب الذلة عليهم . ((بكفرهم ، وقتلهم الأنبياء ، ومعصيتهم ربهم ، واعتدانهم أمر ربهم)) أي مجموع هذه الأشياء التي وقعت من يهود هي التي سببت لهم الغضب وضرب الذلة ، وهذا يعني أن اسم الإشارة الثاني راجع إلى ما رجع إليه الأول . والأول رجوعه إلى ما حل بهم من الغضب وضرب الذلة موضع اتفاق بين الإمامين .

(١) ونص الآية من أولها ﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما تقفوا إلا نجح من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾.

(٢) تفسير الطبري (١١٧/٧) . وقد صرح الطبري بما نسبه إليه القاضي عند آية (٦١) من سورة البقرة فقال: ((ذلك)) رد على ((ذلك)) الأولى . انظر (١٤٢/٢).

(٣) المحرر الوجيز (١٩٨/٣).

وابن عطية لا يرى ما يراه الطبري في مرجع اسم الإشارة الثاني، وإنما يرى أن اسم الإشارة الثاني راجع إلى ما وقع منهم من الكفر وقتل الأنبياء، فيكون سبب العصيان، والاعتداء، هو معصيتهم بالكفر وقتل الأنبياء. فالمعصية جرت إلى معصية.

٢- رأي المفسرين في مرجع اسم الإشارة:

اختلف علماء التفسير في تعيين مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ على قولين^(١):

الأول: أنه راجع إلى الكفر وقتل الأنبياء، فيكون معنى الآية أن الذي باءوا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم سببه الكفر وقتل الأنبياء، وأن الكفر بالله وقتل الأنبياء سببه العصيان والاعتداء^(٢).

الثاني: أنه راجع إلى الذي باءوا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم، وعلى هذا فاسم الإشارة الثاني تأكيد لما دل عليه الأول^(٣).

والذي يبدو - والله أعلم - أن الذي ذهب إليه ابن عطية هو الأظهر في معنى الآية، وذلك للأسباب التالية:

١- لما ذكره أبو محمد من تعليل.

٢- المعروف عند العلماء أن ألفاظ القرآن الكريم إذا دارت معانيها بين توكيد وتأسيس، فإن حملها على الثاني هو اللائق بكتاب الله الكريم.

٣- أن إرجاع اسم الإشارة إلى الكفر وقتل الأنبياء مناسب لقوله: ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فالعصيان والتمرّد على أوامر الله كانت عاقبته الكفر، والاعتداء كانت نتيجة قتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) أشار إلى القولين الجمل في الفتوحات (٣٠٥/١)، والألوسي في روح المعاني (٢٩/٤)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٥٧/٤).

(٢) انظر تفسير البيضاوي (١٧٧/١)، وتفسير ابن كثير (٣٩٨/١)، وتفسير أبي السعود (٧٢/٢) فقد فسروا الآية على هذا.

(٣) انظر بحر العلوم (٢٩٢/١)، وتفسير الخازن (٤٠٦/١) فقد فسروا الآية على ذلك.

١٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِ تَبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم أيها المؤمنون كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيئاً، ولكن الله ينصركم عليهم إن صبرتم على طاعتي واتباع أمر رسولي ، كما نصرتم بيدر وأنتم أذلة . وإن أنتم خالفتهم أيها المؤمنون أمري ولم تصبروا على ما كلفتم من فرائضي ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتهم أمري وأمر رسولي، فإنه نازل بكم ما نزل بكم بأحد ، واذكروا ذلك اليوم إذ غدا نبيكم يوبئ المؤمنين... وأخرج الخطاب في قوله : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ على وجه الخطاب لرسول الله ﷺ ، والمراد بمعناه الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين. فقد بين إذا أن قوله : ﴿وَإِذْ﴾ إنما جرها في معنى الكلام ما قد بينت وأوضحت^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - جعل هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدمها من الآيات فقال: ((ذهب الطبري - رحمه الله - إلى أن هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدمها من الآيات . والظاهر أنها استقبال أمر آخر ؛ لأن تلك مقابلة في شأن منافقي اليهود ، وهذا ابتداء عتب المؤمنين في أمر أحد، فالعامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمّر تقديره (واذكر) ^(٢).

وكما وقع الخلاف بين الإمامين الطبري وابن عطية ، فقد وقع أيضاً بين المفسرين في هذه المسألة، فأكثرهم - فيما رأيت - لا يرى أن هناك اتصالاً بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ وبين الآيات التي سبقتها - أعني القرية منها - فيقولون : الواو متعلقة بفعل محذوف تقديره (اذكر) وهذا مصير منهم إلى ما رآه أبو محمد من أن هذه الآية مقطوعة مما قبلها من ناحية المعنى^(٣).

(١) تفسير الطبري (١٥٩/٧).

(٢) المحرر الوجيز (٢١٤/٣).

(٣) انظر على سبيل المثال - معاني القرآن وإعرابه (٤٦٥/١)، ومشكل إعراب القرآن (١٧٣/١)، والكشاف

(١/٤٦٠)، وتفسير البيضاوي (١٧٩/١)، والبحر المحيظ (٤٨/٣)، والدر المصون (٣٧٨/٣)، وتفسير النسفي

(١/١٧٩).

وهناك من يرى اتصالاً بين هذه الآية والآيات التي تقدمت عليها - متصلة بها - فيذكر بعضهم اتصالاً من ناحية الإعراب كالرازي فإنه ذكر عدة أوجه قيلت في العامل في ﴿إِذْ﴾ من بينها أن قال: ((والتالث : العامل فيه محيظ تقديره : والله بما يعملون محيظ وإذ غدوت))^(١).

ويذكر بعضهم اتصالاً من ناحية المعنى ، كبرهان الدين البقاعي^(٢) فإنه قال : ((ولما كان ما تضمنته هذه الآية^(٣) من الإخبار ومن الوعد ، ومن الوعيد ، منطوقاً ومفهوماً محتاجاً إلى الاجتلاء في صور الجزئيات ذكرهم سبحانه بالوقائع التي شوهدت فيها أحوالهم من النصر عند العمل بمنطوق الوعد من الصبر والتقوى ، وعدمه عند العمل بالمفهوم ، وشوهدت فيها أحوال عدوهم من المساءة عند السرور ، والسرور عند المساءة ؛ وذلك غني عن دليل لكونه من المشاهدات ، مشيراً إلى ذلك بواو العطف، على غير مذكور مخاطباً لأعظم عباده فطنة وأقربهم إليه رتبة ، تهيئاً لغيره إلى تدقيق النظر، واتباع الدليل من غير أدنى وقوف مع المؤلف فقال تعالى : ﴿وَإِذْ﴾ أي اذكر ما يصدق ذلك من أحوالكم الماضية حين صبرتم واتفقتم فنصرتم ، وحين ساءهم نصركم في كل ذلك في سرية عبد الله بن جحش^(٤) إلى نخلة^(٥)، ثم في بدر ... ونحو ذلك ، واذكر إذ لم يصير أصحابك فأصيبوا ، وإذ سرتهم مصيبتكم في وقعة أحد ...))^(٦).

وهذا الكلام معناه قريب مما ذكره الإمام الطبري ، والشاهد فيه الاتصال المعنوي بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ بِبَنِي الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ وبين معنى الآيات المتصلة بها المتقدمة عليها.

والذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري من الاتصال المعنوي هو كما قال، وذلك للأسباب التالية :

(١) التفسير الكبير (١٧٩/٨).

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، من الأئمة المتقنين المتبحرين (ت : ٨٨٥هـ). انظر البدر الطالع (١٩/١).

(٣) يعني قوله تعالى ﴿... وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ الآية (١٢٠) من سورة آل عمران.

(٤) عبد الله بن جحش بن رباب الأسدي ، أحد السابقين إلى الإسلام (ت : يوم أحد شهيداً) انظر الإصابة (٣٤/٦).

(٥) نخلة : واد من الحجاز ، إلى الجنوب من مكة . انظر معجم البلدان (٣٢١/٥)، واجتمع المدني ص(٢٩).

(٦) نظم الدرر (٥/٤١، ٤٢).

١- لأن القرآن الكريم متصل المعاني ، لا انقطاع في معانيه فهو في هذا الجانب - على تعدد سورته - كالسورة الواحدة ، بل كآية الواحدة ، يدل ذلك على هذا أن مقيده هو الحاكم على مطلقه ، ومبينه هو القاضي على مجمله ، وكذلك الشأن في العام والخاص.

٢- الرابط المعنوي واضح بين قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(١). وبين قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ وذلك أن هذه الآية بداية لذكر المثال على ما أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه السلاح الحقيقي ضد أعدائهم (الصبر والتقوى) فبالصبر والتقوى وصلوا إلى ما وصلوا إليه - بإذن الله - يوم بدر من النصر والظفر على الأعداء ، وبالمفهوم المخالف للصبر والتقوى الذي وقع فيه بعضهم يوم أحد وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الهزيمة وتشفي الأعداء منهم . فهذا مضمون ما أشار إليه الإمام الطبري ، وكذلك الشيخ البقاعي رحمهما الله تعالى ، وحسن هذا الاتصال لا ينكر إلا أنه قد يخفى.

٣- ما قاله أبو محمد والمعربون من أن العامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمّر لا يدفع هذا الرابط المعنوي ، وليس بينهما تعارض ، إذ أن الكلام ربما كان مستأنفاً من ناحية صناعة الإعراب لكن له تعلق معنوي بما تقدمه ، وهذا منه ، ولذلك قال أبو السعود - في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ - : ((كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة من مضرة كيد الأعداء))^(٢).

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٠ .

(٢) تفسير أبي السعود (٧٧/٢) .

١٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ﴾ قال أبو جعفر: اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراءة أهل الحجاز والمدينة والبصرة ﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ﴾ كلاهما بفتح القاف بمعنى إن يمسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح - قتل وجراح - مثله . وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفة ﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ﴾ كلاهما بضم القاف . قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ﴾ بفتح القاف في الحرفين ؛ لإجماع أهل التأويل على أن معناه : القتل والجراح ؛ فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح . وكان بعض أهل العربية يزعم أن ((القَرْحُ)) و ((القُرْحُ)) لغتان بمعنى واحد: والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا . ذكر من قال : إن القَرْحُ الجراح والقتل))^(١).

ثم ساق بسنده عدداً من الروايات عن بعض المفسرين من التابعين مفادها أن ((القَرْحُ)) الجرح والقتل^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من التفريق بين ((القَرْحُ)) و ((القُرْحُ)) بفتح القاف وضمها فقال: ((قال أبو الحسن الأخفش : القَرْحُ والقُرْحُ مصدران بمعنى واحد . ومن قال القرح بالفتح الجراحات بأعيانها ، والقرح بضم القاف ألم الجراحات قبل منه إذا أتى برواية ؛ لأن هذا مما لا يعلم بقياس . وقال بهذا التفسير الطبري))^(٣).

هذه المسألة النظر فيها من وجوه:

الأول : يظهر أن تصريح الإمام الطبري بمعنى قراءته ضم القاف ((القَرْحُ)) قد سقط من النسخ التي وصلت إلينا من تفسيره بذلك على هذا أمران:

(١) تفسير الطبري (٧/٢٣٦-٢٣٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (٧/٢٣٧-٢٣٨).

(٣) الخرز الوجيز (٣/٢٤٢).

١- قول الإمام الطبري ((وكان بعض أهل العربية يزعم أن ((الْقَرْح)) و ((الْقَرْح)) لغتان بمعنى واحد، والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا)) وهو لم يذكر إلا معنى الفتح. ولذلك قال محمود شاكر عند نص الطبري هذا : ((نص قوله هنا دال على خرم في نص الطبري))^(١).

٢- أن القاضي ابن عطية ذكر معنى قراءة ضم القاف ، ثم نسب القول بذلك إلى الإمام الطبري.

الوجه الثاني : فتح القاف ، وضمها من قوله : ﴿قَرْح﴾ فراءتان متواترتان^(٢).

الوجه الثالث : ما ذكره أبو محمد هنا من الاعتراض على قول من فرق بين الفتح والضم متابع فيه لأبي علي الفارسي فهو نص كلامه في الحجة^(٣).

الوجه الرابع : اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : التفريق بين فتح القاف وضمها في هذه اللفظة ﴿قَرْح﴾ فيقولون بفتح القاف الجراح، وبضمها ألم الجراح ، وهذا رأي الفراء^(٤) وقال به البيهقي^(٥) ، ومكي^(٦) . وحكاها صاحب اللسان عن بعض أهل اللغة^(٧).

وقال الماوردي هذا قول الأكثرين^(٨).

القول الثاني : أن قراءة الفتح والضم لغتان بمعنى واحد ، وهو مقتضى كلام الأخفش^(٩) ، ونقلوه عن الكسائي^(١٠) . وإليه ذهب أبو علي الفارسي^(١١) ، والقاضي ابن عطية . وحكاها الزجاج عن أهل

(١) تفسير الطبري بتحقيق أحمد ومحمود شاكر (٢٣٧/٧) حاشية رقم (١).

(٢) حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بضم القاف في الموضعين ، وكذلك في قوله ﴿وأصابهم القرح﴾ وقرأ الباقون بفتحها في الثلاثة. قاله ابن الجزري في النشر (٢٤٢/٢).

(٣) انظر الحجة (٧٩/٣).

(٤) انظر معاني القرآن (٢٣٤/١).

(٥) انظر غريب القرآن وتفسيره ص (١٠٩ ، ١١٠) . والبيهقي هو : عبد الله بن يحيى بن المبارك البيهقي ، كان أديباً نحويّاً لغويّاً مقرئاً (ت : ٢٣٧هـ) . انظر الفهرست ص (٧٥).

(٦) انظر العمدة في غريب القرآن ص (١٠٢) وفي الكشف أشار إلى الخلاف.

(٧) انظر اللسان (٨٩/١١) ((فرح)).

(٨) انظر النكت والعيون (٤٢٦/١).

(٩) انظر معاني القرآن (٤٢١/١).

(١٠) انظر إعراب القرآن (٤٠٨/١) فقد نسبه للكسائي ، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢١٧/٤).

(١١) انظر الحجة (٧٩/٣).

اللغة فقال - بعد أن ذكر القراءتين - : ((وهما عند أهل اللغة بمعنى واحد ، ومعناه : الجراح وألمها))^(١).

القول الثالث : حكاه ابن الجوزي عن أبي عبيد أنه قال : القرع بالفتح : الجراح والقتل ، والقرح بالضم ألم الجراح^(٢).

قلت : هذا القول قريب من القول الذي جعل فتح القاف بمعنى الجراح . إلا أنه أضاف إلى الجراح القتل ، وهو تفسير بالواقع يوم أحد ، ويوم بدر فإن الذي وقع قتل وجراح . وهذا القول هو الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، ونقله عن مجاهد ، وقتادة ، والربيع^(٣).

الوجه الخامس : الذي يبدو في هذه المسألة هو ما ذهب إليه ابن عطية من عدم التفريق بين قراءة الفتح والضم في قوله : ﴿قرح﴾ وذلك أن القائلين بالتفريق لم ينقلوا دليلاً من كلام العرب يقضي بما ذهبوا إليه ، والتعويل في مثل هذا الأمر إنما هو على النقل ؛ لأن التفريق بين القراءتين لا يتصور . فمن قال بفتح القاف الجراح . قيل له : ألم الجراح ملازم للجراح . ومن قال بضم القاف ألم الجراح . قيل : الجراح موجودة على هذا المعنى .

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/٤٧٠).

(٢) انظر زاد المسير (١/٤٦٦).

(٣) انظر تفسيره (٧/٢٣٧-٢٣٨).

سورة النساء

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ ... - : ((وأما قوله : ﴿ هَنِيئًا ﴾ فإنه مأخوذ من : هنأت البعير بالقطران ، إذا جرب فعولج به ، كما قال الشاعر^(١) :

متبدلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

فكان معنى قوله : ﴿ فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ فكلوه دواء شافياً^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿ هنيئاً ﴾ فقال: ((قال الطبري : ومن هناء البعير أن يعطى الشفاء . قال القاضي أبو محمد : وهذا ضعيف ، وإنما قال اللغويون : الطعام الهنيء هو السانغ المستحسن الحميد المغبة ... ودخل رجل على علقمة^(٣) وهو يأكل شيئاً مما وهبته امرأته من مهرها فقال له : كل من الهنيء المريء^(٤) .

وللوقوف على الحقيقة في هذه المسألة لا بد من الرجوع إلى ما قاله اللغويون والمفسرون في معنى

﴿ هنيئاً ﴾ .

أما اللغويون فقد أوردوا أصل هذه اللفظة ﴿ هنيئاً ﴾ في مصنفاتهم وذكروا لها عدة معان من بينها ما ذكره الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية .

قال في المعجم الوسيط ((هنأ)) هنأ : أعطاه طعاماً أو نحوه . والقوم عاهم ، والطعام أصلحه . والطعام الرجل^(٥) : ساغ ولد له ... والإبل طلاها بالقطران . وهنيء له الطعام هنا وهناءة : ساغ ولد^(٦) .

(١) دريد بن الصمة الجشمي البكري من الشعراء المعمرين ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتل يوم حنين سنة (٨هـ) . انظر خزانة الأدب (١١/١١٨) ، والأعلام (٢/٣٣٩) . والبيت في ديوانه ص(٣٤) وفي لسان العرب (٤/٢٤٩) ((نقب)) قال ابن منظور : والنقب القطع المنفرقة من الجرب .

(٢) تفسير الطبري (٧/٥٥٩ ، ٥٦٠) .

(٣) علقمة بن قيس ، الإمام الحافظ الجودي (ت : ٦١ أو ٦٢هـ) انظر السير (٤/٥٣) .

(٤) المحرر الوجيز (٤/٢٠) .

(٥) يعني : هنا الطعام الرجل .

(٦) المعجم الوسيط (٢/١٠٣٧) ((هنأ)) .

وقال الراغب : ((هنا : الهنيء كل ما لا يلحق فيه مشقة ، ولا يعقب وخامة ، وأصله في الطعام ، يقال : هنيء الطعام فهو هنيء قال عز وجل : ﴿ فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ ... والهناء ضرب من القطران ، يقال : هنأت الإبل فهي مهنوءة))^(١).

وقال الأزهري : ((وقد هنأنا الله الطعام ، وكان طعاماً استهنأناه ، أي استمرأناه))^(٢).

ونكتفي بالنقل عن هؤلاء ومضمون ما تقدم موجود عند غيرهم أيضاً^(٣).

أما المنسرون فقد فسر بعضهم هذه اللفظة بنحو تفسير الإمام الطبري كما للماوردي فإنه قال : ((الهنيء ما أعقب نفعاً وشفاء ، ومنه هنا البعير للشفاء))^(٤) ثم أورد البيت الذي ذكره الإمام الطبري. وبنحو تفسير الطبري - أيضاً - فسر أبو حيان فقال : ((و ﴿ هنيئاً مريئاً ﴾ أي شافياً سائغاً))^(٥).

وأورد ابن الجوزي في معنى ﴿ هنيئاً ﴾ ثلاثة معان مضمونها ما قاله الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية، فقال : ((وفي الهنيء ثلاثة أقوال . أحدها : ما تؤمن عاقبته . والثاني : ما أعقب نفعاً وشفاء. والثالث : أنه الذي لا ينغصه شيء))^(٦).

وقال الزمخشري : ((الهنيء والمريء صفتان من هنوء الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً لا تنغص فيه، وقيل : الهنيء ما يلذه الآكل ، والمريء ما يحمد عاقبته...))^(٧).

وقال البغوي : ((سائغاً طيباً ... وقيل : الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء))^(٨).

وقال الواحدي : ((معنى الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء))^(٩).

(١) المفردات ص(٥٤٦) . ونحو قول الراغب قال السمين في عمدة الحفاظ (٤/٣٠٤).

(٢) تهذيب اللغة (٤٣٣/٦) ((هنا)).

(٣) انظر لسان العرب (١٤٢/١٥، ١٤٣)، وختار الصحاح ص(٥٠٩) ، والمصباح المنير ص(٢٤٦) الأولان في ((هنا))

والأخير في ((المن)) والأخيران اقتصرنا على ما ذكره ابن عطية.

(٤) النكت والعيون (١/٤٥١).

(٥) البحر اخبيط (٣/١٧٥).

(٦) زاد المسير (٢/١٢).

(٧) الكشف (١/٤٩٩).

(٨) معالم التنزيل (١/٣٩٣).

(٩) الوسيط (٢/١١).

وهؤلاء الثلاثة - أعني البغوي والواحدى والزحشرى - ينحون في تفسيرهم لهذه اللفظة منحى القاضي ابن عطية.

والذي يبدو - والله أعلم - أن وصف القاضي ابن عطية لقول الإمام الطبري بالضعف هو كما قال؛ لأن أهل اللغة الذين ذكرت كلامهم هنا إنما يذكرون المعنى الذي قال القاضي ابن عطية ، ويذكرون المعنى الآخر على أنه لا علاقة له بالأكل ، وإنما هو ضرب من الدواء.

وأما المفسرون الذين اقتربوا من الإمام الطبري في المعنى الذي ذهب إليه ، فهم قالوا ذلك بناء على أن هذا المعنى قد ورد في اللغة^(١) ، ولأجل هذا - أيضاً - فسر الإمام الطبري الآية بذلك.

غير أنه يقال: ليس كل معنى في اللغة يصلح أن تحمل عليه الآية ، فالسياق له اعتبار كبير في تعيين المعنى المراد في الآية.

(١) ولا يبعد أيضاً أنهم تأثروا بتفسير الإمام الطبري.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ وكفى بالله حسيباً ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : وكفى بالله كافياً من الشهود الذين يشهدهم والي اليتيم على دفعه مال يتيمة إليه... و ((الحسب)) من الرجال المرتفع الحسب ، و ((الحسب)) المكفي))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأظهر في معنى ﴿حسيباً﴾ ليس ما قاله الإمام الطبري فقال: ((والحسب هنا الحسب ، أي هو كاف من الشهود ، هكذا قال الطبري. والأظهر أن ﴿حسيباً﴾ معناه : حاسباً أعمالكم ، ومجازياً بها ، ففي هذا وعيد لكل جاحد حق))^(٢).

للووقوف على الأظهر في تفسير قوله تعالى: ﴿حسيباً﴾ لابد من ذكر آراء المفسرين واللغويين في معناها، فنقول : اختلف المفسرون في معنى ﴿حسيباً﴾ على أقوال:

- ١- فمنهم من فسرها بـ ((شهداً))^(٣).
- ٢- ومنهم من فسرها بـ ((رقيباً))^(٤).
- ٣- ومنهم من فسرها بـ ((حفيظاً))^(٥).
- ٤- ومنهم من فسرها بـ ((كافياً))^(٦) وهذا موافق لما قاله الإمام الطبري.
- ٥- ومنهم من فسرها بـ ((حاسباً، أو محاسباً))^(٧) وهذا موافق لما رأى القاضي ابن عطية أنه الأظهر. وطائفة من المفسرين واللغويين قالوا يحتمل أن تفسر بـ ((كافياً)) ، أو بـ ((محاسباً)) فهؤلاء أجازوا الوجهين ، ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية^(٨).

(١) تفسير الطبري (٥٩٦/٧، ٥٩٧).

(٢) المحرر الوجيز (٢٦/٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٦/٧) عن السدي من طريق أسباط. ونسب هذا القول إلى ابن عباس ومقاتل. انظر زاد المسير (١٨/٢)، والبحر (١٨٢/٣).

(٤) انظر المفردات ص (١١٧) ، وتفسير ابن كثير (٤٥٥/١) وقد ذكر ابن كثير مع هذا القول غيره.

(٥) انظر تفسير كتاب الله العزيز (٣٥٠/١).

(٦) انظر غريب القرآن وتفسيره ص (١١٥) ، والعمدة في غريب القرآن ص (١٠٧).

(٧) انظر تفسير غريب القرآن ص (١٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٥/٥) ، وتفسير البضاوي (٢٠٥) ، وتفسير النسفي

(٢٠٨/١) ، وتفسير أبي السعود (١٤٦/٢).

(٨) انظر الكشاف (٥٠٣/١) ، والبحر (١٨٢/٣) ، وتهذيب اللغة (٣٣١/٤) ، ولسان العرب (١٦٣/٣) ، وترتيب القاموس

(٦٣٧/١) الثلاثة في ((حسب)).

ولا شك أن قول الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية هما أظهر الأقوال في معنى ﴿حسبياً﴾؛ لأنهما المعنيان اللذان أثبتهما أهل اللغة لهذه اللفظة^(١) ، وهما المعنيان اللذان عول عليهما كثير من المفسرين^(٢). ثم إن الذي يبدو لي أن ما ذهب إليه الإمام الطبري من أن ﴿حسبياً﴾ بمعنى ((كافياً)) يتساوى في القوة مع القول الذي ذهب إليه القاضي ابن عطية ، وذلك للأسباب التالية:

١- أثبت أهل العلم باللغة عند هذه الآية الكريمة أن ﴿حسبياً﴾ يكون بمعنى كافياً ومحاسباً، وإذا كان ذلك كذلك فالأصل التساوي ، حتى يثبت خلاف ذلك.

٢- الأمر الذي علل به القاضي ابن عطية لما قال إنه أظهر ، قد ذكر الفخر الرازي أنه موجود أيضاً على المعنيين جميعاً فقال: ((واعلم أن هذا وعيد لولي اليتيم ، وإعلام له أنه تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره لتلا بنوي أو يعمل في ماله ما لا يحل ، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله، وهذا المقصود حاصل سواء فسرنا الحسب بالمحاسب ، أو بالكافي))^(٣).

٣- يظهر لي أن الإمام الطبري عندما فسر ﴿حسبياً﴾ بمعنى ((كافياً من الشهود)) نظر إلى أقرب شيء لهذا التذييل وهو ما يتعلق بالشهادة ، والقاضي ابن عطية عندما فسر ﴿حسبياً﴾ بمعنى (حاسباً) نظر إلى الأمر بدفع مال اليتيم إليه عند إيناس الرشد منه ، والنهي عن أكله إسرافاً وبداراً ، وكلاهما نظر صحيح. ولذلك أجاز بعض المفسرين أن يفسر بهذا أو بهذا^(٤). وأبان الرازي أن الوعيد حاصل على كلا التفسيرين . والله أعلم.

(١) تقدم قريباً ذكر المراجع.

(٢) تقدم قريباً ذكر المراجع.

(٣) التفسير الكبير (١٥٧/٩).

(٤) تقدم قريباً ذكر المراجع في ذلك.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ : - ((محملاً أن يكون مراداً به : وإذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية ، أولوا قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يراد فأوصلوا لأولي قراباتكم الذين لا يرثونكم منه ، وقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفاً ، كما قال في موضع آخر: ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ﴾^(١)))^(٢) وجزم في موضع قريب من هذا بما قال إنه محتمل ما هنا فقال: ((... وإذا كان ذلك كذلك فتأويل قوله : ﴿ وإذا حضر القسمة ﴾ قسمة الموصي ماله بالوصية أولوا قرابته - ﴿ واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ - يقول : فاقسموا لهم منه بالوصية ، يعني: فأوصوا لأولي القربى من أموالكم ، ﴿ وقولوا لهم ﴾ يعني الآخرين، وهم اليتامى والمساكين ﴿ قولاً معروفاً ﴾ يعني يدعى لهم بخير...))^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفريق عود الضميرين في قوله: ﴿ فارزقوهم ﴾ وفي قوله : ﴿ لهم ﴾ فقال : ((والضمير في قوله: ﴿ فارزقوهم ﴾ وفي قوله: ﴿ لهم ﴾ عائد على الأصناف الثلاثة . وغير ذلك من تفريق عود الضميرين كما ذهب إليه الطبري تحكماً))^(٤).

هذه المسألة كما ترى الاستدراك فيها على الإمام الطبري في تفريقه بين الضميرين في ﴿ فارزقوهم ﴾

و ﴿ لهم ﴾ .

والإمام الطبري بنى تفريقه هذا على اختياره أحد الأقوال التي قيلت في تأويل الآية عموماً وهل هي منسوخة أو محكمة ، وكان من بين هذه الأقوال قول يقول صاحبه: إنها محكمة وليست منسوخة، غير أن معنى ذلك: ﴿ وإذا حضر القسمة ﴾ يعني بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصي له به^(٥).

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٠ .

(٢) تفسير الطبري (١٢/٨) .

(٣) المرجع السابق (١٣/٨) .

(٤) آخر الرجيز (٤/٢٨ ، ٢٩) .

(٥) انظر تفسير الطبري (٨/١٠ - ١٢) .

ونقصر البحث في هذه المسألة على موطن الاستدراك تاركين الكلام على قضية هل الآية محكمة أو منسوخة لأن ذلك لم يتعرض له القاضي بالنقد فأقول:

اختلف العلماء القائلون بإحكام الآية في عود الضميرين في قوله: ﴿فارزقوهم﴾ و ﴿لهم﴾ على قولين:

القول الأول: أن الضمير في الموضعين يرجع إلى أولي القربى واليتامى والمساكين ، وهذا قول كثير من المفسرين^(١) ، وهو الذي يراه القاضي ابن عطية.

القول الثاني: أن الضمير في قوله: ﴿فارزقوهم﴾ راجع إلى أولي القربى ، وفي قوله: ﴿لهم﴾ راجع إلى اليتامى والمساكين. هذا الذي يراه الإمام الطبري . وحكي عن سعيد بن جبير قريب من هذا وهو أن المراد من أولي القربى هنا الوارثون ، ومن اليتامى والمساكين غير الوارثين ، وأن قوله سبحانه: ﴿فارزقوهم منه﴾ راجع إلى الأولين ، وقوله تعالى: ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ راجع للآخرين^(٢).

واستدراك القاضي ابن عطية في هذه المسألة هو كما قال وذلك للأسباب التالية:

١- رجوع الضميرين إلى الأصناف الثلاثة هو الظاهر المتبادر من سياق القرآن الكريم ، ولا يعدل

عن الظاهر إلا للدليل.

٢- على هذا القول سار المفسرون في تفاسيرهم ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وأذكر لك هنا

بعض النماذج من أقوالهم، قال الواحدي : ((قوله: ﴿وإذا حضر القسمة﴾ يعني قسمة المال بين

الورثة ﴿أولوا القربى﴾ ذوو القربات الذين يجزون ولا يرثون ﴿واليتامى والمساكين فارزقوهم

منه﴾ هذا على الندب والاستحباب يستحب للوارث أن يرضخ^(٣) هؤلاء بشيء من التركة بقدر ما

(١) انظر الوسيط (١٥/٢)، وتفسير البيضاوي (٢٠٥/١)، وتفسير النسفي (٢٠٩/١)، والتسهيل (٢٢٤/١)، وتفسير

الحازن (٤٨٣/١)، وتفسير ابن كثير (٤٥٦/١-٤٥٧)، والجواهر الحسان (٤١٨/١)، والبحر المحييط (١٨٤/٣-

١٨٥)، وتفسير أبي السعود (١٤٧/٢)، والفتوحات الإلهية (٣٥٨/١)، وفتح القدير (٤٢٨/١)، وروح المعاني

(٢١٢/٤)، وتيسير الكريم الرحمن (٣١٤/١).

(٢) انظر التفسير الكبير (١٦٠/٩)، وروح المعاني (٢١٢/٤).

(٣) الرضخ: العطية. انظر لسان العرب (٢٣٠/٥) ((رضخ)).

تطيب به نفسه من الذهب والورق ، ويقول لهم عند قسمة العقار والرقيق ... ﴿قولاً معروفاً﴾ وهو أن يقول: بورك فيكم^(١).

وقال ابن جزري : ((الآية خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قراباتهم وعلى اليتامى والمساكين))^(٢).

٣- وافق ابن عطية جماعة من المفسرين فوجهوا النقد إلى هذا القول - أعني قول الإمام الطبري - واعتبروه تحكماً لا دليل عليه ، بل استغربه ، وعدوه بعيداً.

قال أبو حيان : ((وما قيل من تفريق الضمير تحكماً لا دليل عليه))^(٣).

وقال الحافظ ابن كثير: ((وقد اختار ابن جرير هاهنا قولاً غريباً جداً وحاصله أن معنى الآية عنده ﴿وإذا حضر القسمة﴾ أي وإذا حضر قسمة مال الوصية أولوا قرابة الميت ﴿فارزقوهم منه وقولوا﴾ لليتامى والمساكين إذا حضروا ﴿قولاً معروفاً﴾ هذا معنى ما حاوله بعد طول العبارة والتكرار وفيه نظر... بل المعنى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تنشق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ، وهذا يأخذ ، وهم ياتسون لا شيء يعطونه فأمر الله تعالى وهو الرؤوف الرحيم أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون براً بهم وصدقة عليهم، وإحساناً إليهم، وجيراً لكسرتهم))^(٤).

وقال العلامة الألوسي - بعد أن حكى قول سعيد بن جبير المتقدم - : ((وهو بعيد جداً والمتبادر ما

ذكر أولاً))^(٥).

قلت : ما ذكره أولاً هو القول الموافق لما رآه ابن عطية^(٦).

بقي أن تعلم أن ما نسب إلى سعيد بن جبير مما يفيد تفريق الضمير. الثابت من روايته عن ابن عباس خلاف ذلك فقد أخرج الإمام البخاري عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ((إن ناساً يزعمون أن

(١) الوسيط (١٥/٢).

(٢) التسهيل (٢٢٤/١).

(٣) البحر (١٨٥/٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٥٦/١، ٤٥٧).

(٥) روح المعاني (٢١٢/٤).

(٦) أنظر المرجع السابق (٢١٢/٤).

هذه الآية نسخت ، ولا والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاون الناس ، هما واليان : وال يرث وذاك الذي يرزق ، ووال لا يرث فذاك الذي يقول بالمعروف ، يقول : لا أملك لك أن أعطيك^(١).

فهذا ليس فيه قصر الرزق على أحد الأصناف الثلاثة ، ولا فيه كذلك قصر القول بالمعروف على أحد هؤلاء ، وإنما فيه أن الذي أمر بإيصال الرزق إليهم يختلف حاله ، عن الذي أمر أن يقول لهم قولاً معروفاً.

وهذا الذي رواه عن شيخه ابن عباس قد أخرجه عنه الإمام الطبري من قوله^(٢) . فتبين بهذا أن ما نسب إليه من تفريق الضمير فيه نظر . والله أعلم.

(١) صحيح البخاري - مع الفتح - (٣٨٨/٥) ، كتاب الوصايا ، باب قول الله عز وجل ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ... ﴾ ح(٢٧٥٩).

(٢) انظر تفسير الطبري (٨/٨) فقد أخرجه عن شيخه يعقوب بن إبراهيم ، قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبیر أنه سئل عن قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾ فذكره من قوله . وهذا إسناد صحيح . فيعقوب بن إبراهيم الدورقي ثقة . وهشيم بن بشر بن أبي خازم ثقة ثبت مدلس لكنه صرح بالسماع . وأبو بشر هو جعفر بن إياس ثقة من أثبت الناس في سعيد . انظر تراجمهم في تقريب التهذيب الأول برقم (٧٨١٢) ، والثاني برقم (٧٣١٢) ، والثالث برقم (٩٣٠).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ ... اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم فأذوهما﴾ فقال بعضهم: هما البكران اللذان لم يحصنا ، وهما غير اللاتي عينن بالآية قبلها . وقالوا: قوله: ﴿واللاتي يأتيان الفاحشة من نسائكم﴾ معنى به الثيبات المحصنات بالأزواج ، وقوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ يعني به البكران غير المحصنين ... وقال آخرون : بل عني بقوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ الرجلان الزانيان ... وقال آخرون : بل عني بذلك الرجل والمرأة ، إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب ... قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ قول من قال : عني به البكران غير المحصنين إذا زنيا ، وكان أحدهما رجلاً والآخر امرأة ؛ لأنه لو كان مقصوداً بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال ، كما كان مقصوداً بقوله: ﴿واللاتي يأتيان الفاحشة من نسائكم﴾ قصد البيان عن حكم الزواني لقيل : (واللذين يأتونها منكم فأذوهم) أو قيل : (والذي يأتيها منكم) كما قيل في التي قبلها ﴿واللاتي يأتيان الفاحشة﴾ فأخرج ذكرهن على الجميع ، ولم يقل : (واللتان يأتيان الفاحشة) وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعله ، أو الصد الوعيد عليه ، أخرجت أسماء أهله بذكر الجميع أو الواحد - وذلك أن الواحد يدل على جنسه - ولا تخرجها بذكر اثنين فتقول: (الذين يفعلون كذا فلهم كذا ، والذي يفعل كذا فله كذا) ولا تقول: (اللذان يفعلان كذا فلهما كذا) إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين ، كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية. فإذا كان ذلك كذلك قيل: بذكر الاثنين ، يراد بذلك الفاعل والمفعول به . فأما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به ، أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين ، فذلك ما لا يعرف في كلامها...))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن المراد بـ ﴿واللذان﴾ الذكر والأنثى الزانيان البكران فقال : ((قال مجاهد وغيره : الآية الأولى في النساء عامة لمن، محصنات وغير محصنات^(٢)، والآية الثانية في الرجال وبين بلفظ الثنية صنفى الرجال ممن أحصن

(١) تفسير الطبري (٨/٨١، ٨٢، ٨٣) وقد ذكر بعد كل قول من قال به بالسند.
 (٢) يعني قوله: ﴿واللاتي يأتيان الفاحشة من نسائكم﴾ سورة النساء ، الآية: ١٥. وقد نص عليها الطبري في كلامه السابق.

ومن لم يحصن ، فعقوبة النساء الحبس ، وعقوبة الرجال الأذى ، وهذا قول يقتضيه اللفظ ، ويستوفي نص الكلام أصناف الزناة عليه ، ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الأولى : ﴿من نسائكم﴾ وقوله في الثانية: ﴿منكم﴾ . وقال السدي وفتادة وغيرهما : الآية الأولى في النساء المحصنات ، يريد ويدخل معهن من أحصن من الرجال بالمعنى ، والآية الثانية : هي في الرجل والمرأة البكرين . قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا القول تام ، إلا أن لفظ الآية يقلق عنه ، وقد رجحه الطبري^(١).

الذي ظهر لي من خلال كلام القاضي ابن عطية أنه فهم عن الطبري والسدي أنهما يقولان الآية الأولى - ﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾^(٢) الآية - في المحصنات من النساء ويدخل معهن من أحصن من الرجال ، والآية الأخرى - ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ الآية - في البكرين من الرجال والنساء. ثم وصف القاضي هذا القول بالقلق ، ويبدو أن وصفه بالقلق من أجل أن دخول الرجل في قوله: ﴿واللاتي﴾ لا يعرف في لغة العرب ، بل المعروف عكسه من تغليب المذكر على المؤنث.

لكن هذا الذي بنى عليه القاضي إطلاق القلق لم يقله فتادة ولا الطبري ، ولا السدي ، ولا يفهم من كلامهم^(٣).

نعم لو قال ابن عطية : إن ما اختاره الطبري مرجوح ؛ لأن المحصن من الرجال يبقى بدون حكم لكان وجهاً . وقد يكون ابن عطية أراد بوجه القلق أن ﴿اللذان﴾ حقيقة للمذكر المثني ، فلا تدخل فيه الأنثى إلا على التغليب ، وهذا بعيد ؛ لأنه لا يخرج الشيء إلى المجاز ومعناه صحيح في الحقيقة^(٤).

(١) المحرر الوجيز (٤٧/٣ ، ٤٨).

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥ .

(٣) انظر كلام الطبري في النص الذي نقل عنه أول المسألة. وأنقل لك بعض كلامه عند تفسير قوله ﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾ فقد صدر تفسير الآية بقوله: ((يعني بقوله جل ثناؤه ﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾ والنساء اللاتي يأتين بالزنا أي يزنين - من نسائك ، وهن محصنات ، ذات أزواج ، أو غير ذات أزواج - فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، يقول فاستشهدوا عليهن. بما أتين من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم...)) تفسيره (٧٣/٨). وأما السدي فقال في قوله: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائك﴾ ... - (هؤلاء اللاتي قد نكحن وأحصن . إذا زنت المرأة فإنها كانت تحبس في البيت)). تفسير الطبري (٧٥/٨). وفتادة لا يفهم من كلامه إلا أنه يقول: الحبس مختص بالمرأة فقد أسند إليه الطبري أنه قال - عند الآية ﴿واللاتي﴾ ... - : ((كان هذا قبل الحدود فكانا يؤذيان بالقول جميعاً ، وبحبس المرأة)) تفسير الطبري (٧٥/٨).

(٤) انظر إعراب القرآن (٤٤٢/١) فقد اختار أبو جعفر أن قوله : ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ للرجلين وعلل بما ذكرت.

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية غير وازد على الإمام الطبري ؛ لأنه بناه على شيء لم يقله الطبري ، ولا السدي ، ولا قتادة.

أما إن ما رجحه القاضي ابن عطية هو الراجح فنعم ؛ لأنه قول يستوفي حكم جميع الزناة والزواني ؛ ولأن الآية الأولى في النساء بالنص - كما قال ابن عطية - والثانية في مقابل الأولى فهي في الرجال ، ويؤيده - كما قال ابن عطية أيضاً - أن في الأولى ﴿ من نسائكم ﴾ وفي الثانية ﴿ منكم ﴾ ؛ ولأنه قد جاء عن ترجمان القرآن أنه قال - في هذه الآية ، ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ﴾ - : ((كان الرجل إذا زنى أو ذى بالتعير ، وضرب بالنعال))^(١).

فجعل الآية في جنس الرجال ، ولم يفرق بين محصنهم وبكرهم . ومما يرجح هذا القول أن جزاء الجنسين معقول فيهما ، فالنساء يصلح لهن الحبس ؛ لأن سب وقوع الفاحشة منهن - في الغالب - الخروج والتعرض للرجال ، فإذا حبست في البيت انقطعت مادة هذه المعصية ، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبسه في البيت ؛ لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه ، وترتيب مهماته^(٢).

ثم ليعلم القارئ الكريم أن البحث والتقصي في هذه المسألة ليس ذا أهمية كبيرة ؛ وذلك أن ما دلت عليه هاتان الآيتان منسوخ^(٣) بما في سورة النور من قوله تعالى: ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ﴾^(٤) وهذا في البكر من الذكور والإناث. وبما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم))^(٥).

(١) أخرجه أبو عبيد في النسخ والمنسوخ ص(١٣٢)، والطبري في تفسيره (٨٥/٨) كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة.
(٢) انظر التفسير الكبير (١٩٠/٩) فقد ذكر الفخر الرازي نحو هذا التعليل. وهذا القول عليه طائفة من الفقهاء والمفسرين، منهم أبو جعفر النحاس ، والجصاص ، وابن العربي ، والسيوطي ، وابن عاشور . انظر إعراب القرآن (٤٤٢/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٤٣/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٦٠/١)، وتفسير الجلالين ص (٩٣)، والتحرير والتنوير (٢٧١/٤-٢٧٣).

(٣) انظر النسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ص (١١٢-١٣٤)، ونواسخ القرآن ص(٢٦٢-٢٦٣).

(٤) سورة النور ، الآية : ٢.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣١٦/٣)، كتاب الحدود ، باب حد الزنى ، ح(١٦٩٠) ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمنكم كتاب الله عليكم ﴾ - : ((وقد ذكر ابن عباس وجماعة غيره أنه كان ملتبساً عليهم تأويل ذلك))^(١) ثم ساق بسنده عن عمرو بن مرة قال قال رجل لسعيد بن جبير : أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية : ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمنكم ﴾ فلم يقل فيها شيئاً ، قال فقال : ((كان لا يعلمها))^(٢).

وساق بسنده أثراً آخر عن مجاهد قال : ((لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل ، قوله : ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمنكم ﴾ إلى قوله : ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ إلى آخر الآية))^(٣).

وذكر القاضي ابن عطية -- رحمه الله تعالى في تفسيره أن الإمام الطبري أسند هاتين الروايتين عنهما ، وعقب على ذلك بقوله : ((ولا أدري كيف نسب هذا القول إلى ابن عباس ، ولا كيف انتهى مجاهد إلى هذا القول))^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٦٥/٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦٥/٨) قال حدثنا محمد بن المنثري ، قال حدثنا محمد بن جعفر ، قال حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال قال رجل لسعيد بن جبير ... إلخ وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير . فشيخ الطبري هو محمد بن المنثري ثقة ثبت . ومحمد بن جعفر الهذلي البصري المعروف بغندر ثقة صحيح الكتاب . وشعبة بن الحجاج بن الورد ثقة حافظ . وعمرو بن مرة الجملي الكوفي الأعمى ثقة عابد . انظر تقريب التهذيب الأول برقم (٦٢٦٤) ، والثاني برقم (٥٧٨٧) ، والثالث برقم (٢٧٩٠) ، والرابع برقم (٥١١٢) . وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر (١٣٩/٢) ونسب إخراجها للطبري فحسب .

(٣) أخرجه في تفسيره (١٦٥/٨) قال حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن مجاهد ... إلخ . وشيخ الطبري هو القاسم بن الحسن ، هكذا ذكر الشيخ أحمد شاکر وقال لم أجد له ترجمة ولكن في تاريخ بغداد (٤٣٣ ، ٤٣٢/١٢) ترجمة القاسم بن الحسن بن يزيد أبو محمد الهمداني الصائغ ت : ٢٧٢ هـ فهذا يصلح أن يكون هو المراد ولكن لا أطمئن إلى ذلك ، ولا أستطيع الجزم به ، بل لا أستطيع ترجيحه (٥٠٧/٧) حاشية (٢) قلت : ترجمه الذهبي في السير (١٥٨/١٣) ، وقال العلامة الثقة سمع يزيد بن هارون ، وعبد الله بكر السهمي ، وعنه ابن مجاهد... وآخرون . وثقه الخطيب توفي اثنين وسبعين ومئتين . والحسين بن داود ، هو سنيد قال الذهبي : مشاه الناس وحملوا عنه وما هو بذلك المتقن . وقال الحافظ : ضعف مع إمامته ومعرفته لكونه كان يلحق شيخه . انظر السير (٦٢٧/١٠) ، وتقريب التهذيب رقم (٢٦٤٦) . وهشيم بن القاسم بن دينار السلمي ثقة ثبت . التقريب برقم (٧٣١٢) وقد تقدم . وعبد الرحمن بن يحيى لم أفق على ترجمته . وقال الشيخ أحمد شاکر : لم أعرف من يكون . انظر (١٦٥/٨) حاشية (١) . وفي الجرح والتعديل (٣٠٢/٥) رجل بهذا الاسم يروي عن طاوس لم يذكر فيه جرح ولا تعديل . وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر المنثور (١٣٩/٢) ونسب إخراجها للطبري .

(٤) المحرر الوجيز (٧٨/٤).

قلت: كلمة ((نسب)) الظاهر أنها مبنية للمعلوم ، والفاعل المستتر فيها يرجع إلى الإمام الطبري، وعلى هذا فهي موطن استدراك . وقد تقرأ بالمبني للمجهول ، وعليه فلا استدراك من القاضي علي الإمام الطبري.

وهذه المسألة البحث فيها من الجوانب التالية:

١- البحث في صحة ثبوتها عن هذين الإمامين.

إنك إذا نظرت إلى سند الرواية عن ابن عباس وجدت أن الرواية إلى تلميذه سعيد بن جبير صحيحة الإسناد^(١) ، ولا شك أن الإمام سعيد بن جبير لا يقول هذا عن شيخه ابن عباس إلا وهو على يقين من ذلك.

أما سند الرواية عن مجاهد بن جبر ففيها من اختلف في توثيقه وتضعيفه^(٢) ، وفيها رجلان أحدهما شيخ الطبري ، والآخر تلميذ مجاهد بن جبر ، فالأول وإن وجد له ترجمة إلا أنه لا يجزم بأنها له^(٣)، والثاني قال عنه الشيخ أحمد شاکر: لم أعرف من يكون^(٤).

٢- أشار العلماء إلى ما ذكره الإمام الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره ، ولم يروا في ذلك غرابة ، قال القاضي ابن العربي : ((وأما من قال : إنها في الإماء كلهن ، فإن ملك الأمة المتجدد على النكاح يبطله فموضع إشكال عظيم ، ولأجله تردد فيه أصحاب محمد ﷺ...))^(٥) . وقال الألوسي : ((وفي المراد بالآية غموض حتى قال مجاهد : لو كنت أعلم من يفسرها لي لضربت إليه أكباد الإبل ، أخرجه عنه ابن جرير...))^(٦).

وقال ابن عاشور: ((وقد نقل عن ابن عباس أنه تحير في تفسير هذه الآية...))^(٧).

(١) تقدم قريباً دراسة السند عند تخريج الأثر.

(٢) هو سنيد ، الحسين بن داود ، ولعل الأمر فيه على ما قال النهي من أن الناس مشوه . وقد تقدم ذلك قريباً عند دراسة السند.

(٣) تقدم قريباً الكلام على هذا الرجل عند دراسة السند.

(٤) انظر تفسير الطبري (١٦٥/٨) حاشية (١) وتقدمت الإشارة إليه.

(٥) أحكام القرآن (٣٨٣/١).

(٦) روح المعاني (٢/٥) وأورد أيضاً أن ابن أبي شيبة أخرج عن أبي السوداء قال: سألت عكرمة عن هذه الآية

﴿واخصنات﴾ ... فقال : لا أدري.

(٧) التحرير والتنوير (٦/٥).

وإلى ما أسنده الطبري في تفسيره أشار - أيضاً - الشوكاني ، ولم يعترض عليه إلا أنه قال: ((ومعنى الآية - والله أعلم - واضح لا ستره به))^(١).

٣- نقل العلماء في مصنفاتهم التفسيرية أن الخلاف قد وقع بين الصحابة والتابعين في تأويل هذه الآية، وأن أقاويلهم قد تباينت في ذلك^(٢)، ومن نقل الخلاف الإمام الطبري والقاضي ابن عطية^(٣) رحمهما الله تعالى.

(١) فتح القدير (٤٤٨/١).

(٢) فقال بعضهم: المحصنات ذوات الأزواج وملك اليمين السبايا. وقال بعضهم: المحصنات كل ذات زوج من النساء حرام على غير أزواجهن إلا أن تكون مملوكة اشتراها مشتر من مولاهما فتحل لمشتريها ويظل بيع سيدها إياها النكاح بينها وبين زوجها. وقال بعضهم: العتائف من النساء حرام عليكم إلا ما ما ملكت إيمانكم منهن بنكاح وصدوق وسنة وشهود. وقال بعضهم: عني بالمحصنات في هذا الموضع العتائف من المسلمين وأهل الكتاب. وقال بعضهم: المحصنات في هذا الموضع ذوات الأزواج غير أن الذي حرم الله منهن في هذه الآية الزنا بهن وأباجهن بقوله ﴿إلا ما ما ملكت إيمانكم﴾ بالنكاح أو الملك. وقال بعضهم: بل هن نساء أهل الكتاب. وقال آخرون: بل هن الحرائر. وقال آخرون: المحصنات هن العتائف وذوات الأزواج وحرام كل من الصنفين إلا بنكاح أو ملك يمين. وقال آخرون: نزلت هذه الآية في نساء كن يهاجرن إلى رسول الله ﷺ ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم أزواجهن مهاجرين فنهى المسلمون عن نكاحهن. انظر تفسير الطبري (١٥١/٨) وما بعدها فقد ذكر هذه الأقوال مسندة إلى القائلين بها وعقب على ذلك بذكر معاني الإحصان الواردة في القرآن ثم اختار أن الآية تشمل تلك المعاني فقال: ((فواجب أن تكون كل محصنة بأي معاني الإحصان كان إحصانها حراماً علينا سفاحاً أو نكاحاً إلا ما ملكه إيماننا منهن بشراء كما أباحه لنا كتاب الله جل ثناؤه ، أو نكاح على ما أطلقه لنا تنزيل الله فالذي أباحه الله تبارك وتعالى لنا نكاحاً من الحرائر الأربع ، سوى اللواتي حرمن علينا بالنسب والصحير - ومن الإماء ما سبينا من العدر ، سوى اللواتي وافق معناهن معنى ما حرم علينا من الحرائر بالنسب والصحير، فإنهن والحرائر فيما يحل ويحرم بذلك المعنى منفقات المعاني - وسوى اللواتي سبناهن من أهل الكتابين ولهن أزواج، فإن السبا يخلهن لمن سباهن بعد الاستبراء ، وبعد إخراج حق الله تبارك وتعالى الذي جعله لأهل الخمس منهن... وأما الأمة التي لها زوج فإنها لا تحل للمالكها إلا بعد طلاق زوجها إياها ، أو وفاته وانقضاء عدتها منه. فأما بيع سيدها إياها فغير موجب بينها وبين زوجها فراقاً ولا تحليلاً لمشتريها لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه خير بريرة إذ أعتقتها عائشة بين المقام مع زوجها الذي كان سادتها زوجها منه في حال رقبتها وبين فراقه ، ولم يجعل ﷺ عتق عائشة لها إياها طلاقاً)) ثم أحاب رحمه الله على ما قد يعترض به على ما ذهب إليه في معنى هذه الآية. وانظر تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (١٥٣/١)، وبحر العلوم (٣٤٥/١)، وأحكام القرآن للحصاص (٨٠/٣، ٨١) وما بعدهما ، والنكس والعيون (٤٦٩/١-٤٧٠)، وأحكام القرآن للكيهراسي (٤٠٥/٢-٤٠٦)، ومعالم التنزيل (٤١٣/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٨١/١-٣٨٢)، وزاد المسير (٥٠/٢).

تجد أن هؤلاء ذكروا أكثر من قول في تفسير الآية.

(٣) انظر المحرر الوجيز (٧٦-٧٧).

وبناء على ما تقدم فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد وذلك للأسباب التالية:

١- صحة سند الرواية إلى سعيد بن جبير ، مما يدفع اللوم عن إيراد الطبري لذلك . وأما الرواية عن مجاهد فالدلائل تشير إلى أنه قد قال ذلك^(١).

٢- أشار العلماء إلى ما أسنده الإمام الطبري عن ابن عباس ومجاهد ، ولم يقع منهم استغراب ذلك ولو لاح لهم عدم صحة ذلك ، أو وجود ما يدفعه لأشاروا إلى ذلك.

٣- وجود الخلاف بين الصحابة والتابعين في معنى هذه الآية الكريمة يدل على أن بعضهم قد توقف في تفسيرها في وقت من الأوقات.

فإن قيل : قد جاء عن ابن عباس ومجاهد أقوال في تفسير هذه الآية ، تدل على أنهما كانا يعلمان تأويلها^(٢).

قيل: هذا لا يتعارض مع ما أسنده الإمام الطبري عنهما إذ ما أسند عن ابن عباس صحيح ويحمل على أنه ما كان يعلمها في وقت من الأوقات فلم يجب فيها السائل ، فلما ظهر له معناها فسرهما.

أما ما جاء عن مجاهد فهذا ليس نصاً على أنه كان لا يعلم تفسيرها ، إذ العالم بالشيء قد يقول هذا رغبة في زيادة العلم ، إذ ربما يكون ذلك العالم الذي تضرب إليه أكباد الإبل يفيد بما لم يكن عنده ، لا سيما وأن الآية قد اختلفت في معناها ، أو لعله أراد لو يعلم من يسند في تفسيرها شيئاً عن رسول الله ﷺ لضرب إليه أكباد الإبل^(٣).

(١) من هذه الدلائل أن شيخه ابن عباس - رضي الله عنه - قد توقف في تفسيرها . ومنها أن بعض أقرانه في الأخذ عن ابن عباس ، وهو عكرمة قد جاء عنه أنه قال عندما سئل عنها : لا أدري (انتظر روح المعاني (٢/٥) . ومنها أن الإمام الطبري عندما أورد ذلك - التوقف في تفسير الآية - أوردته بلفظ يفيد أنه يرى ذلك ثابتاً عنهم فقال: ((وقد ذكر ابن عباس وجماعة غيره أنه كان ملتجئاً عليهم تأويل ذلك)) انظر تفسيره (١٦٥/٨).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (١٥١/٨) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: ((كل ذات زوج إتيانها زناً إلا ما سبت)) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣٣/٢-٣٣٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وأخرج الطبري عنه في التفسير أيضاً (١٥٢/٨) من طريق علي بن أبي طلحة أنه قال في قوله: ﴿واخصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ يقول : ((كل امرأة لها زوج فهي عليك حرام إلا أمة ملكتها ولها زوج بأرض الحرب فهي لك حلال إذا استيرتتها)). وأخرج الطبري (١٦١/٨) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿واخصنات من النساء﴾ قال: ((نهى عن الزنا أن تنكح المرأة زوجين)).

(٣) انظر التحرير والتنوير (٦/٥) فقد ذكر نحو هذا ابن عاشور فقال: ((ولعله يعني من يعلم تفسيرها عين النبي ﷺ)) لكن نسب قول مجاهد إلى ابن عباس.

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ قال أبو جعفر: وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم . وتأويل ذلك: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فليتكح بعضكم من بعض، بمعنى: فليتكح هذا فتاة هذا . فالبعض مرفوع بتأويل الكلام ومعناه، إذ كان قوله: ﴿فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ في تأويل: فليتكح مما ملكت أيمانكم، ثم رد ﴿بَعْضُكُمْ﴾ على ذلك المعنى، فرفع))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعراب ﴿بَعْضُكُمْ﴾ فقال: ((وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ قالت طائفة: هو رفع على الابتداء والخبر، والمقصود بهذا الكلام، أي أنكم أيها الناس سواء بنو الحرائر، وبنو الإماء أكرمكم عند الله أتقاكم، فهذه توطئة لنفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الأمة، فلما جاء الشرع بجواز نكاحها، أعلموا مع ذلك أن ذلك التهجين لا معنى له.

وقال الطبري: هو رفع بفعل تقديره: فليتكح مما ملكت أيمانكم بعضكم من بعض، فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير . وهذا قول ضعيف))^(٢).

هذا قول الإمام الطبري واستدراك القاضي الذي ذكره مجملاً من غير تعليل واكتفى بقوله: وهذا قول ضعيف. وقد ذكر بعض المعربين لآي الذكر الحكيم في رفع ﴿بَعْضُكُمْ﴾ قولين، حاصلهما ما ذكره القاضي ابن عطية والإمام الطبري، فقال أبو جعفر النحاس - في قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: ((ابتداء وخبر، ويجوز أن يكون مرفوعاً بينكح بعضكم من بعض، أي فليتكح هذا فتاة هذا فيكون مقدماً ومؤخراً، أي فمن لم يستطع منكم طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فليتكح بعضكم من بعض...))^(٣).

(١) تفسير الطبري (١٩١/٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨٤/٤-٨٥).

(٣) إعراب القرآن (٤٤٦/١).

وقال العكبري: ((وبعضكم فاعل الفعل المحذوف . والجيد أن يكون ﴿بعضكم﴾ مبتدأ، و ﴿من بعض﴾ خبره ؛ أي بعضكم من جنس بعض في النسب والدين ؛ فلا يترفع الحر عن الأمة عند الحاجة))^(١).

وقال المنتجب^(٢) : ((وقوله: ﴿بعضكم من بعض﴾ ابتداء وخبر... وقيل: ﴿بعضكم﴾ فاعل مضمرة، أي لينكح بعضكم من بعض... والوجه ما ذكرت وهو أن يكون ابتداءً وخبراً))^(٣).
وهذه النقل عن هؤلاء العلماء ترشدك إلى أنهم يجوزون القولين إلا أن المقدم عندهم هو ما ذكره ابن عطية : وهو رفعه على الابتداء.

وإلى رفعه على الابتداء ذهب الأخفش^(٤).

وقد شنع أبو حيان على القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري - بعد أن حمل إعراب الآية على الابتداء - فقال: ((ومن أغرب ما سطروه في كتب التفسير ونقلوه عن قول الطبري، أن فاعل ذلك الفعل المحذوف هو قوله: ﴿بعضكم من بعض﴾ وفي الكلام تقديم وتأخير... وهذا قول يتزه حمل كتاب الله عليه ؛ لأنه قول جمع الجهل بعلم النحو ، وعلم المعاني، وتفكيك نظم القرآن عن أسلوبه الفصيح، فلا ينبغي أن يسطر ، ولا يلتفت إليه))^(٥).

وكذلك اعترض تلميذ أبي حيان السمين على ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: ((ومثل هذا لا ينبغي أن يقال))^(٦).

وتابعهما الألويسي فقال: ((ولا ينبغي أن يخرج كتاب الله الجليل على ذلك))^(٧).

(١) البيان (٣٤٩/١).

(٢) المنتجب بن أبي العز بن رشيد الحمداني ، عالم بالعربية والقراءات (ت : ٦٤٣هـ) انظر العبر (٣/٣٤٩)، والأعلام (٢٩٠/٧).

(٣) الفريد (٧٢١/١).

(٤) انظر معاني القرآن (١/٤٤٠).

(٥) البحر (٣/٢٣١).

(٦) اندر المصون (٣/٦٥٦).

(٧) روح المعاني (٥/٩).

وفي جانب تأييد الإمام الطبري نجد ابن الجوزي والقرطبي ينقلان ما ذهب إليه الإمام الطبري دون اعتراض^(١).

وبعد : فإن كان لي من تعقيب على هذه المسألة فأقول:

١- لم يذكر أبو محمد سبب ضعف هذا القول ، وهذا شيء درج عليه في أكثر استدراكاته النحوية، وليته بين وجه الضعف الذي يراه.

٢- ما ذهب إليه الإمام الطبري قول أداه إليه اجتهاده^(٢) ، ووافقه عليه بعض النحاة فذكره وجهاً، فلا ينبغي إسقاط هذا القول بالكلية والتشريب على من قال به كما فعل أبو حيان غفر الله له ورحمه.

٣- ومع هذا فالظاهر أن استدراك ابن عطية وارد على الإمام الطبري للأسباب التالية:

أ- أنه لا يذهب إلى وجه أبعد في إعراب القرآن الكريم مع وجود وجه أقرب فإن ما ذهب إليه الإمام الطبري يترتب عليه حذف وتقديم وتأخير ، بينا الوجه الذي ذكره أبو محمد لا يحتاج فيه إلى شيء من هذا فكان أظهر.

ب- أن المعنى - على إعراب ﴿بعضكم من بعض﴾ مبتدأ وخبر - يكون بعضكم من جنس بعض في النسب والدين فلا يترفع الحر عن الأمة عند الحاجة^(٣). أما المعنى على ما ذهب إليه الإمام الطبري فيكون: فلينكح هذا فتاة هذا ، والأول أبين ؛ لأن واقع العرب في زمن نزول القرآن على الترفع عن تكاح الإماء واعتبار الولد الذي يأتي منهن في منزلة أخط وتسميته هجيناً فذكر الله في هذه الآية أن بعضهم من بعض أي لا فرق بينكم في النسب والعبارة بالدين كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾^(٤).

ج- تواردت أقوال العلماء على نقد هذا القول ، وجعله مؤخراً في الذكر. مما يدل على أن وصف ابن عطية له بالضعف هو كما قال.

(١) انظر زاد المسير (٥٧/٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤١/٥).

(٢) وهو اجتهاد من عالم شهد له العلماء بالبراعة في النحو وعلوم اللغة . قال غلام ثعلب عن تفسيره: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً خطأ في نحو أو لغة. انظر مقدمة تحقيق الشيخ محمود شاكر (١٢/١).

(٣) انظر التبيان (٣٤٩/١).

(٤) سورة الحجرات ، الآية : ١٣.

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم ... فاهجروهن بترك جماعهن في مضاجعتكم إياهن... وقال آخرون : بل معنى ذلك: واهجروا كلامهن في تركهن مضاجعتكم ، حتى يرجعن إلى مضاجعتكم... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تقربوهن في فرشهن ، حتى يرجعن إلى ما تحبون ... وقال آخرون: معنى قوله: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ قولوا لهن من القول هجراً في تركهن مضاجعتكم^(١)... قال أبو جعفر: ولا معنى له ((الهجر)) في كلام العرب إلا على أحد ثلاثة أوجه. أحدها: هجر الرجل كلام الرجل وحديثه ، وذلك رفضه وتركه ... والآخر: الإكثار من الكلام بترديد كهيئة كلام الهادي يقال منه: (هجر فلان في كلامه يهجر هجراً) إذا هذى ومدد الكلمة ... والثالث: هجر البعير إذا ربطه صاحبه بـ ((الهجار)) وهو حبل يربط في حقوبها ورسغها^(٢) ... فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله: ﴿واهجروهن﴾ موجهاً معناه إلى معنى الربط بالهجار ، على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا (هجره فهو يهجره هجراً) وإذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام: واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن في نشوزهن عليكم فإن اتعظن فلا سبيل لكم عليهن ، وإن أبين الأوبة من نشوزهن فاستوثقوا منهن رباطاً في مضاجعتن ، يعني في منازلهن وبيوتهن التي يضطجعن فيها ويضاجعن فيها أزواجهن^(٣) . ثم استدل - رحمه الله - على ما ذهب إليه بقول النبي ﷺ عندما سئل : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : ((يطعمها ، ويكسوها ، ولا يضرب الوجه ، ولا يقبح ، ولا يهجر إلا في البيت))^(٤).

(١) ذكر الإمام الطبري بعد كل قول من قال به مستنداً ذلك على عادته رحمه الله تعالى.

(٢) الحقوان : الخاصرتان . والرسغ : مفصل ما بين الكف والذراع . انظر لسان العرب (٢٦٦/٣) ((حفا)) و (٢١١/٥) ((رسغ)).

(٣) تفسير الطبري (٣٠٩-٣٠٢/٨).

(٤) أخرجه في تفسيره (٣٠٩/٨) من طريق حكيم بن معاوية عن أبيه ، وأخرجه أبو داود في السنن (٢٤٥/٢) كتاب النكاح ، باب في حق المرأة على زوجها ، ح(٢١٤٢). وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥٩٣/١) كتاب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج ، ح(١٨٥٠) من طريق أبي فرقة عن حكيم بن معاوية عن أبيه ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢٠٥-٢٠٤/٢) من طريق فرقة ، وصححه ووافقه النهي . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٩٥/٧).

وبقوله ﷺ - عندما سأله السائل فقال: يا رسول الله ، نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ - قال: ((حرثك ، فأت حرثك أنى شئت ، غير أن لا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت))^(١).
 واستدل أيضاً ببعض الآثار التي فيها ذكر العظة والضرب ، من غير ذكر الهجر^(٢) ، فقال هذا دليل على أن الهجر إنما هو هيئة من هيئات المضروبة حال الضرب ، فهي تشد بالهजार وتضرب^(٣).
 واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى الهجر فقال - بعد أن ذكر الأقوال في معنى ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ - : ((وقال الطبري معناه اربطوهن بالهजार ، كما يربط البعير به - وهو جبل يشد به البعير - فهي في معنى اضربوهن ونحوها، ورجح الطبري منزعه هذا ، وقدح في سائر الأقوال . وفي كلامه كله في هذا الموضع نظر))^(٤).

هذا ما ذهب إليه الإمام الطبري واستدرك القاضي ابن عطية عليه.

وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر الأقوال في معنى الآية ، وملخصها كما ذكر الإمام الطبري^(٥).

١- ترك جماعهن.

٢- ترك كلامهن.

٣- ترك فرشهن.

٤- أن يقال لها من القول هجراً ، وهو ما غلظ من القول.

٥- أن يربطها بالهजार في منزلها ومضجعها ، وهذا المعنى ذهب إليه الإمام الطبري^(٦).

(١) أخرجه في تفسيره (٣١٠/٨) من طريق بهز بن حكيم عن جده ، وأبو داود في السنن (٢٤٥/٢) كتاب النكاح ، باب في حق المرأة على زوجها ، ح(٢١٤٣) ، والإمام أحمد في المسند (٥/٥) كلاهما عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وقال الشيخ الألباني - بعد أن أورد رواية أبي داود وأحمد - : وهذا سند حسن. انظر إرواء الغليل (٩٨/٧).

(٢) سيأتي شيء من ذلك تفصيلاً عند مناقشة أدلة الإمام الطبري ، وسيأتي أيضاً أثر رواه عن ابن عباس واستدل به على ما ذهب إليه .

(٣) انظر تفسيره (٣١١/٨-٣١٢).

(٤) المحرر الوجيز (١٠٧/٤).

(٥) انظر تفسيره (٣٠٢-٣٠٦) وانظر أيضاً أحكام القرآن للجصاص (١٥٠/٣) فقد ذكر بعضها. وانظر النكت والعيون (٤٨٢/١) فقد استوفى ذكرها. وهكذا ذكرها ابن عطية في المحرر (١٠٦/٤ ، ١٠٧).

(٦) سيأتي - إن شاء الله تعالى - بيان الراجح من هذه الأقوال في آخر المسألة.

وهذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري لم يرضه ابن عطية ، وكذلك كان موقف بعض العلماء من قبل ابن عطية ومن بعده ، قال الزمخشري - بعد أن حكى هذا القول من غير تعيين قائله - : ((وهذا من تفسير الثقلاء))^(١).

وقال القاضي ابن العربي : ((يا لها هفوة من عالم بالقرآن والسنة ، وإني لأعجبكم من ذلك؛ إن الذي أجرأه على هذا التأويل ، ولم يرد أن يصرح بأنه أخذه منه هو حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت أبي بكر^(٢) الصديق امرأة الزبير بن العوام^(٣) كانت تخرج حتى عوتب في ذلك، قال وعتب عليها وعلى ضرثها فعقد شعر واحدة بالأخرى ، وضربهما ضرباً شديداً ... فرأى الربط والعقد مع احتمال اللفظ مع فعل الزبير ، فأقدم على هذا التفسير لذلك. وعجبا له مع تبخره في العلوم وفي لغة العرب كيف بعد عليه صواب القول ، وحاد عن سداد النظر...))^(٤).

قلت: هذا الذي ذكره القاضي ابن العربي من أن الإمام الطبري ذهب إلى هذا القول بسببه ليس ظاهراً، إذ لو أرادته لذكره عندما ذكر أدلته على ما ذهب إليه^(٥).

وجعل الكرماني ما ذهب إليه الإمام الطبري قولاً يتعجب منه ، ثم نقل عن بعض أهل العلم أنه أنكره عليه ، وقال: هذا تعسف^(٦).

ونقل أبو حيان ما قاله الزمخشري ، في قول الطبري مقراً له وراضياً عنه^(٧). وكذلك فعل الألويسي^(٨).

والقرطبي نقل اعتراض القاضيين - ابن عطية وابن العربي - مقراً لهما على هذا النقد^(٩).

(١) الكشف (١/٥٢٤-٥٢٥).

(٢) أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين المهاجرة الصحابية (ت : ٥٧٣هـ) انظر السير (٢/٢٨٧).

(٣) الزبير بن العوام بن حويلد ، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته (ت : ٣٦هـ) انظر السير (١/٤١).

(٤) أحكام القرآن (١/٤١٨).

(٥) قلت هذا ثم رأيت الشيخ محمود شاكر قد سبغني إليه . فانظر حاشية (٥) من (٨/٣١٢) من تفسير الطبري.

(٦) انظر غرائب التفسير (١/٢٩٥).

(٧) انظر البحر (٣/٢٥٢).

(٨) انظر روح المعاني (٥/٢٥).

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/١٧٢).

وهناك من وقف من تأويل الإمام الطبري موقف المعتذر له ، أو المستدرك على حصره بعض الأدلة فيما ذهب إليه . والاعتذار جاء على لسان ابن المنير الإسكندري^(١) حيث قال - تعقيباً على قول الزمخشري: وهذا من تفسير الثقلاء^(٢) - : ((ولعل هذا المفسر يتأيد بقوله: ﴿فَإِنْ أُطْعِمَكُمْ﴾ فإنه يدل على تقدم إكراهه على أمر ما ، وقرينة المضاجع ترشد إلى أنه الجماع ، وإطلاق الزمخشري لما أطلقه في حق هذا المفسر من الإفراط))^(٣).

وتعقب الألوسي تعقيب ابن المنير بقوله: ((وأظن أن هذا لو عرض على الزمخشري لنظم قائله في سلك ذلك المفسر ، ولعد تركه من التفريط))^(٤).

أما الاستدراك على حصر الإمام الطبري دلالة بعض الأدلة على قوله فحسب فجاء على لسان القاضي الماوردي ، حيث قال - بعد أن ذكر قول الطبري منسوباً إليه ، وذكر استدلاله بقول الرسول ﷺ: ((حرثك فأت حرثك أنى شئت غير ألا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت...))^(٥) - : ((وليس في هذا الخبر دليل على تأويله دون غيره))^(٦).

قلت: فالظاهر من قول الماوردي هذا أنه لا يستبعد قول الطبري كلية كما فعل بعض المفسرين. ونقل أبو حيان عن الرازي^(٧) ما يدل على أنه يقول بما ذهب إليه الإمام الطبري ، وذلك في تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها ، فقال: ((وقال الرازي ما ملخصه : يبدأ بلين القول في الوعظ، فإن لم يفد فبخشته ، ثم يترك مضاجعتها ، ثم بالإعراض عنها كلية ، ثم بالضرب الخفيف كاللطمة واللكمة، ونحوها مما يشعر بالاحتقار ، وإسقاط الحرمة ، ثم بالضرب بالسوط والقضيب اللين ونحوه مما يحصل به

(١) أحمد بن محمد بن منصور ، الفقيه المالكي عالم بالتفسير والقراءات (ت: ٦٨٣هـ) انظر طبقات المفسرين للداودي (٨٩/١).

(٢) انظر الكشاف (٥٢٤/١-٥٢٥) وقد تقدم نقل هذا قريباً.

(٣) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (٥٢٤/١).

(٤) روح المعاني (٢٥/٥).

(٥) تقدم تخريج الحديث قريباً.

(٦) النكت والعيون (٤٨٣/١).

(٧) لا أعرف من المشهورين بهذا اللقب إلا اثنين أحدهما الجصاص صاحب أحكام القرآن. والثاني فخر الدين صاحب التفسير الكبير الشافعي ولم أحد فيهما القول بهذا الترتيب ، ولم يذكر مسألة ربطها بالهجر ، وفي التفسير الكبير بعض ما ذكرها هنا.

الألم والإنكاء ، ولا يحصل عنه هشيم ، ولا إراقة دم ، فإن لم يفد شيء من ذلك ربطها بالهजार - وهو الخيل - وأكرهها على الوطء؛ لأن ذلك حقه^(١).

وبعد : فقول الإمام الطبري ، وإن كان ظاهر بعض الآثار قد يؤيده ، والمعنى اللغوي للفظ ((الهجر)) قد يحتمله وبعض أهل العلم قد التمس تقويته وآخر اعترض على بعض أدلته ولم ينفه بالكلية، وثالث قد أورده في عقوبة المرأة ، أقول مع كل هذا ففيه بعد ، بل هو غير صحيح؛ واستدراك القاضي ابن عطية وارد عليه وذلك للأسباب التالية:

١- لم يأت تفسير ((الهجر)) بما قاله الطبري عن رسول الله ﷺ ، ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين، ولا عن أتباعهم ، وما استدلل به الإمام الطبري من ذلك فدلالته على ما ذهب إليه فيها نظر، كقوله ﷺ: ((ولا تهجر إلا في البيت)) معناه - والله أعلم - لا تقل لها كلاماً فيه شدة وغلظة أمام الناس ، وإذا كان ذلك ولا بد ففي البيت. وليس فيما جاء عن بعض التابعين من ذكر العظة والضرب وإسقاط ذكر الهجر^(٢) دليل على أن الهجر بمعنى الضرب ، فلعل هذا القائل يرى أن يفعل بها بعض ما ذكر من غير تدرج وترتيب ؛ لأن الواو لا تفيد الترتيب^(٣) ، وقد تشتمل العظة على كلام فيه غلظة وشدة فيدخل في ذلك الهجر.

أما استدلاله بما جاء عن ابن عباس أنه قال في قوله : ﴿واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ قال: ((يفعل بها ذاك ويضربها حتى تطيعه في المضاجع ، فإذا أطاعته في المضجع فليس له عليها سبيل إذا ضاجعته))^(٤).

(١) البحر المحيط (٢٥٢/٣).

(٢) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٣١١/٨) قال حدثني المنثي ، قال حدثنا عمرو بن عون ، قال أخبرنا هشيم ، عن الحسن قال ((إذا نشزت المرأة على زوجها فليعضها بلسانه ، فإن قبلت فذاك ، وإلا ضربها ضرباً غير مبرح ، فإن رجعت فذاك ، وإلا فقد حل له أن يأخذ منها ويخليها)). وهذا الإسناد فيه عننة هشيم ، وهو كثير التدليس . انظر تقريب التهذيب رقم (٧٣١٢).

(٣) انظر البحر (٢٥٢/٣) فقد ذكر نحو هذا في الواو.

(٤) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٣١١/٨) عن ابن عباس من طريق شيخه ابن حميد ، قال حدثنا جرير ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس . وإسناده إلى ابن عباس ضعيف لضعف شيخ الطبري محمد بن حميد . انظر الكاشف (٣٢/٣) ، وتقريب التهذيب رقم (٥٨٣٤).

فقوله يفعل بها ذاك راجع - والله أعلم - إلى ((الهجر)) ، والهجر يحتمل هنا ما قاله الإمام الطبري، ويحتمل مجانية كلامها ، والثاني هو الأولى ؛ لأنه لو فهم ذاك عن ابن عباس لذكره عنه العلماء غير الطبري ثم هذا الأثر إسناده إلى ابن عباس ضعيف ؛ لأنه من رواية محمد بن حميد شيخ الطبري، وقد ضعفه العلماء.

٢- هذا القول تابعت عليه ردود العلماء، ونقدم له ، واعتباره قولاً غريباً مما يؤذن بضعفه وبعده، وما كان كذلك فلا يحمل عليه كتاب الله تعالى.

٣- وما يدل على ضعف هذا القول وبعده أن فيه إهانة للمرأة ووضعاً من كرامتها الإنسانية التي كرمها الله بها فقال: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾^(١) لأن غاية هذا القول أن تربط المرأة مثل الحمار ، وربما جاء من يقول: وتضرب في هذه الحال - كما هو رأي الطبري^(٢) - بل وتجامع^(٣) ، فانظر قيد ، وضرب، ومضاجعة في آن واحد ، إنا بهذا الفهم قد جاوزنا ما جعله الرسول ﷺ دليلاً على عدم الحياء حين قال ﷺ : ((أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته، كما يضرب العبد. يضربها أول النهار ، ثم يضاجعها آخره، أما يستحي))^(٤).

٤- وما يدل على ضعف هذا القول وبعده أن أهل اللغة لم يحملوا الآية عليه ، قال الزجاج: ((وقوله عز وجل : ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ أي في النوم معهن ، والقرب منهن))^(٥). وقال الرازي : ((الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن ، أو باللسان ، أو بالقلب ، قال تعالى : ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ كناية عن عدم قربهن))^(٦).

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠.

(٢) انظر تفسيره (٣١٢/٨) حيث قال: ((لم يوجبوا للهجر معنى غير الضرب، ولم يوجبوا هجرًا؛ إذ كان هيئة من الهيئات التي تكون بها المضروبة عند الضرب)).

(٣) انظر غرائب التفسير للكرماني (٢٩٥/١) وهذا مما فهموه من كلام الإمام الطبري.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٤٢/٩) من حديث عائشة رضي الله عنها . وصححه الهندي في كنز العمال برقم (٤٤٩٨٣)، وأصله في صحيح البخاري ومسلم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤٧/٢).

(٦) المفردات ص(٥٣٦).

وفي المعجم الوسيط : ((ويقال : هجر زوجته: اعتزل عنها ولم يطلقها ، وفي التنزيل العزيز ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾^(١)))

إذا ما ذهب إليه الإمام الطبري - وإن كان من معاني الهجر - لم يوافق عليه المختصون في لغة العرب ثم إن الإمام الطبري رحمه الله عندما حمل ﴿واهجروهن﴾ على أنه ربط المرأة بالحبل لم يبق على هذا فحسب ، بل ذكر في موطن آخر أن الهجر يأتي بمعنى الضرب^(٢).

فهل نفسر الآية بالمعنى الأول ؟ أم الثاني ؟ أم بهما جميعاً ؟ والثالث هو الذي نزع إليه الإمام الطبري، وهو في غاية الغرابة.

إذا تبين ضعف قول الإمام الطبري ، فاعلم أن القاضي ابن عطية لم يرجح شيئاً من الأقوال الباقية^(٣). وقد رجح الفقيه القرطبي قول من قال : إن المقصود ترك فرشهن ، فقال: ((وقال مجاهد: جنبوا مضاجعهن فيتقدر على هذا الكلام حذف وبعضه ﴿واهجروهن﴾ من الهجران وهو البعد، يقال: هجره أي تباعد ونأى عنه. ولا يمكن بعدها إلا بترك مضاجعها . وقال معناه إبراهيم النخعي والشعبي وقتادة والحسن البصري... واختاره ابن العربي وقال: حملوا الأمر على الأكثر الموثق ، ويكون هذا القول كما تقول : اهجره في الله . وهذا أصل مالك. قلت - القائل القرطبي - هذا قول حسن ؛ فإن الزوج إذا أعرض عن فراشها فإن كانت محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح ، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها ، فيتبين أن النشوز من قبلها))^(٤).

قلت: بنحو هذا التعليل علل الفقيهان أبو الليث السمرقندي ، والفخر الرازي^(٥). ومؤدى هذا الترجيح أنه لا يجمعها وإياه فراش ولا وطء ، حتى ترجع إلى ما يريد . وهذا ذكره ابن العربي - عن الذين تقدم قول القرطبي إن ما رجحه هو معنى قولهم - فقال : ((الثالث : لا يجمعها

(١) المعجم الوسيط (١٠١٢/٢) ((هجر)).

(٢) انظر تفسيره (٣١٢/٨) فقد قال: ((فكل هؤلاء الذين ذكرنا قولهم لم يوجبوا للهجر معنى غير الضرب)).

(٣) انظر آخر الوجيز (١٠٦/٤، ١٠٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧١/٥) وقوله: ((فيظهر النشوز منها... إلخ)) لعل أوضح منه قول الرازي: ((فكان ذلك دليلاً

على كمال نشوزها)) التفسير الكبير (٧٣/١٠).

(٥) انظر بحر العلوم (٣٥٢/١)، والتفسير الكبير (٧٣/١٠).

وإياه فراش ولا وطء حتى ترجع إلى الذي يريد . قاله إبراهيم والشعبي وقتادة والحسن البصري، ورواه ابن وهب وابن القاسم^(١) عن مالك وغيرهم^(٢).

وقول من قال : معناه من (الهجر) وهو الإفحاش في القول معارض بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٣) ويقوله: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٤).

ومن قال الهجر عدم الكلام ، فإن كان يعني أنه لا يكلمها ويجمعها فهذا - كما قال ابن العربي - سخافة^(٥). ثم قد نهى عن هجر المؤمن فوق ثلاث^(٦).

وقد اعترض الإمام الطبري على ما رجع آنفاً بقوله: كيف يهجرها فيما طلب منها^(٧)؟.

قلت: هذا الاعتراض مبني على أن (في) في قوله: ﴿وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ للسببية . ولا شك أن (في) قد تحتل السببية . وتحتل أنها ظرف للهجران ، والقولان المذكوران في كتب العرب للقرآن^(٨).

وكونها ظرفاً للهجران هو الأظهر - والله أعلم - لأن حملها على السببية يقصر الهجر على نشوز معين، ويدع ما سواه.

قال الثعالبي - بعد أن حكى القولين في إعراب (في) - : ((وكونها للظرفية أظهر))^(٩).

(١) عبد الرحمن بن القاسم المصري ، عالم الديار المصرية ومفتيها ، صاحب الإمام مالك (ت: ١٩١هـ) انظر السير (١٢٠/٩).

(٢) أحكام القرآن (٤١٨/١).

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

(٥) انظر أحكام القرآن (٤١٩/١).

(٦) وبالثلث على هذا القول حدد الإمام الشافعي . انظر التفسير الكبير (٧٣/١٠).

(٧) انظر تفسيره (٣٠٧/٨ ، ٣٠٨).

(٨) أعني التي تعرضت لإعرابها واطلعت عليها وهي البيان في غريب إعراب القرآن (٢٥٢/١) ، والبيان في إعراب القرآن

(١/٣٥٤) ، والدر المصون (٦٧٢/٣ ، ٦٧٣) وقد اعترض السمين على من قصرها على السببية.

(٩) الجواهر الحسان (٤٠٤/١).

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى في قوله جل ذكره: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً...﴾ - ((... يقول : وأمركم بالوالدين إحساناً ، يعني برأ بهما ؛ ولذلك نصب الإحسان ، لأنه أمر منه جل ثناؤه بلزوم الإحسان إلى الوالدين على وجه الإغراء))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعراب الإحسان فقال: ((و ﴿إحساناً﴾ نصب على المصدر ، والعامل فعل مضمّر تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً . وما ذكر الطبري أنه نصب بالإغراء خطأ))^(٢).

هذا ما ذهب إليه الإمام الطبري واستدرك القاضي ابن عطية عليه . ولم يبين القاضي ابن عطية رحمه الله وجه الخطأ في إعراب الإمام الطبري ، وهذا على عادته في أغلب استدراكاته النحوية.

وقد اختلف أهل العلم في الناصب لـ ﴿إحساناً﴾ على أقوال:

١- أن يكون نصبه على أن يكون مصدراً والعامل فيه فعل محذوف تقديره ((وأحسنوا)) . قاله الأخفش والزجاج والأزهري^(٣).

٢- أن يكون نصبه على أن يكون مفعولاً به ، والتقدير: وقلنا : استوصوا بالوالدين إحساناً، وهذا أشار إلى جوازه الإمام الطبري^(٤) ، وقاله ابن الأنباري والعكبري وغيرهما^(٥).

٣- ويجوز أن يكون مفعولاً له ، أي: ووصيتهم بالوالدين لأجل الإحسان إليهم ذكره العكبري وغيره^(٦).

٤- أن يكون منصوباً على الإغراء ، وهذا نسبة ابن الجوزي إلى الفراء^(٧) . ونص كلامه في معانيه: ((وأمرهم بالإحسان إلى الوالدين))^(٨).

(١) تفسير الإمام الطبري (٣٣٤/٨).

(٢) الخمر الوجيز (١٠٩/٤ ، ١١٠).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٣٠٨/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٠/٢) ، وعلل القراءات للأزهري (٥٣/١).

(٤) انظر تفسير الطبري (٣٣٤/٨).

(٥) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (١٠٢/١) ، والبيان في إعراب القرآن (٨٤/١) ، والبحر المحيط (٤٥٢/١).

(٦) انظر البيان في إعراب القرآن (٨٤/١) ، والبحر المحيط (٤٥٢/١).

(٧) انظر زاد المسير (٧٩/١).

(٨) معاني القرآن (٢٦٦/١).

وقد ترى في بعض المراجع زيادة على هذا العدد - أعني عدد الأقوال - إلا أنها في الحقيقة لا تخرج عما ذكر^(١).

وقد ذهب إلى القول الأخير منها الإمام الطبري ، وإلى القول الأول القاضي ابن عطية ، وطعن فيما ذهب إليه الإمام الطبري.

وفي نظري أنه ليس بعيد فقد نسب إلى إمام كبير ، ونقله ابن الجوزي ولم يعترض عليه بشيء ، ولم أر في باب الإغراء من كتب النحو ما يمنع هذا القول^(٢).

قال ابن عقيل^(٣) : الإغراء : هو أمر المخاطب بلزوم ما يحمده به ، وهو كالتحذير : في أنه إن وجد عطف ، أو تكرار وجب إضمار ناصبه ، وإلا فلا . ولا تستعمل فيه ((إيا))^(٤).

قلت : فهذه الآية فيها أمر للمخاطب بلزوم ما يحمده به ، وقد جاء فيها العطف بالواو - ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ - التي توجب إضمار الفعل الناصب لـ ﴿إحساناً﴾.

والمعنى في الآية مستقيم سواء على تقدير الإمام الطبري الذي قال فيه : وأمركم بالوالدين إحساناً ، أو على تقدير القاضي الذي قال فيه : وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

ولا شك أن ما ذهب إليه القاضي هو المقدم ؛ لأن المصدر يدل على فعله^(٥) ؛ ولأن النحاة والمعرّبين - الذين اطلعت على مصنفاتهم - بين مفرد له بالذكر^(٦) ، أو مقدم له على غيره في الذكر أيضاً^(٧) ،

ولأن الإمام الطبري قد ذهب إليه في سورة البقرة^(٨) عند قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل

(١) انظر البحر المحيط (٤٥٢/١) ، والدر المصون (٤٦٢/١-٤٦٣).

(٢) انظر شرح ملحّة الإعراب ص (٢٣١ ، ٢٣٢) ، وأوضح المسالك (٧٩/٤) ، والنحو الوافي (١٣٦/٤).

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ، قال فيه أبو حيان : ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل (ت : ٧٦٩ هـ). انظر البدر الطالع (٣٨٦/١).

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٧٦/٢).

(٥) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧٣٠/١).

(٦) انظر معاني القرآن للأخفش (٣٠٨/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٥٠/٢) ، وإعراب القرآن (٤٥٤/١).

(٧) انظر مشكل إعراب القرآن (١٠٢/١) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (١٠٢/١) ، والبيان في إعراب القرآن

(٨٤/١) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٣٢٤/١).

(٨) انظر تفسيره (٢٩١/٢) . وقد رجعت في أكثر هذا البحث إلى هذا الموطن. أعني من سورة البقرة .

لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً ﴿١﴾ ، ولأن عدداً من المفسرين - الذين اطلعت على تفاسيرهم - على هذا القول^(١).

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

(٢) انظر بحر العلوم (٣٥٣/١) ، والكشاف (٥٢٦/١) ، والتفسير الكبير (٧٧/١٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١٨٢/٥) ، وتفسير البيضاوي (٢١٩/١) ، وتفسير النسفي (٢٢٥/١) ، وتفسير الخازن (٥٢٢/١) ، والجواهر الحسان (٤٤٢/١) ، وتفسير الجلالين ص (١٥) ، وتفسير أبي السعود (١٧٥/٢) ، وفتح القدير (٤٦٤/١) ، وروح المعاني (٢٨/٥) ، والتحرير والتنوير (٥٨٣/١) .

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿وابن السبيل﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم: ابن السبيل ، هو المسافر الذي يجتاز ماراً))^(١) ثم ساق بسنده عن مجاهد أنه قال : ((هو الذي يمر عليك وهو مسافر))^(٢).

ثم قال الإمام الطبري : ((وقال آخرون : هو الضيف))^(٣) ثم ساق بسنده عن قتادة أنه قال: هو الضيف^(٤). وكذلك أخرجه عن الضحاك^(٥).

وأورد ابن عطية في تفسيره ما يفيد الاعتراض على صنيع الطبري هذا فقال : ((وذكر الطبري أن مجاهداً فسره بأنه المار عليك في سفره ، وأن قتادة وغيره فسره بأنه الضيف . قال القاضي أبو محمد: وهذا كله قول واحد))^(٦).

محل الاستدراك الذي عناه القاضي ابن عطية هو أن الإمام الطبري جعل ما جاء عن مجاهد وفتادة قولين وإنما هما في الحقيقة قول واحد.

وقد رجعت إلى كتب التفسير للنظر إلى صنيع مؤلفيها في تفسيرهم هذه الآية الكريمة ﴿وابن السبيل﴾ فوجدت بعضاً ممن اطلعت على تفاسيرهم يورد التفسيرين على أنهما قولان مختلفان^(٧).

قال البغوي : ((قيل: هو المسافر ؛ لأنه ملازم السبيل ، والأكثر: على أنه الضيف))^(٨).

وقال الكرماني : ((هو المسافر ، وقيل : الضيف))^(٩).

وقال الزمخشري : ((المسافر المنقطع به ، وقيل : الضيف))^(١٠).

(١) تفسير الطبري (٣٤٦/٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٦/٨) من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١٥٩/١) عن معمر عن قتادة ، وعن معمر أيضاً عن أبي نجیح عن مجاهد .

(٣) تفسير الطبري (٣٤٦/٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٧/٨) من طريق سعيد ، عن قتادة . وإسناده حسن . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧١/١) عن ابن عباس ونسب إخراج له لابن أبي حاتم.

(٥) من طريق جوير . انظر تفسيره (٣٤٧/٨).

(٦) المحرر الوجيز (١١٢/٤-١١٣).

(٧) انظر الرسيط (٥٠/٢) ، والتفسير الكبير (٧٨/١٠) ، وتفسير البيضاوي (٢١٩/١) ، والبحر المحييط (٧/٢) ، وتفسير أبي السعود (١٧٦/٢) ، وفتح القدير (٤٦٥/١) ، وروح المعاني (٢٩/٥) .

(٨) معالم التنزيل (٤٢٥/١) .

(٩) غرائب التفسير (٢٩٦/١) .

(١٠) الكشاف (٥٢٦/١) .

وقال الخازن : ((وقوله تعالى : ﴿وابن السبيل﴾ يعني المسافر اجتاز بك الذي قد انقطع به . وقال الأكثرون : المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن إليه))^(١) .

وفريق ثان من المفسرين اقتصر على ذكر قول واحد ، كالفراء فإنه قال : ﴿وابن السبيل﴾ الضيف^(٢) . وكذلك قال الزجاج^(٣) ، والنحاس^(٤) ، وأبو الليث السمرقندي^(٥) .

فقد يكون هؤلاء يرون أن هذا المعنى شامل للمعنى الآخر فاقصروا على هذا ، وقد يكون فعلهم هذا لسبب آخر . وهناك أيضاً من اقتصر على المعنى الآخر^(٦) .

وبعد : فالذي يظهر أن قول أبي محمد (وهذا كله قول واحد) هو كما قال ؛ لأن اجتاز المار عليك مسافراً هو في الحقيقة ضيف . ولأن من قال هو الضيف قد يكون مراده في هذا الموطن الضيف المار في الطريق ، لأن ألفاظ الآية تشير إلى هذا القيد ، ولهذا قال ابن كثير رحمه الله تعالى - بعد أن حكى القولين - : ((إن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق فهما سواء))^(٧) .

وقال ابن الجوزي : ((... إن كان مسافراً ، فإنه ضيف لم ينزل))^(٨) .

(١) تفسير الخازن (١/٥٢٣) .

(٢) معاني القرآن (١/٢٦٧) .

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه (٢/٥٠) .

(٤) انظر معاني القرآن الكريم (٢/٨٤) .

(٥) انظر بحر العلوم (١/٣٥٣) .

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/١٨٩) ، والجواهر الحسان (١/٤٤٣) ، وتفسير الجلالين ص (٩٨) .

(٧) تفسير ابن كثير (١/٤٩٦) .

(٨) زاد المسير (١/١٧٩) .

١٠ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ... وقد قال مجاهد: إن هذا من صفة اليهود^(١)). وهو بصفة أهل النفاق - الذين كانوا أهل شرك، فأظهروا الإسلام تقية من رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به، وهم على كفرهم مقيمون - أشبه منه بصفة اليهود؛ لأن اليهود كانت توحدهم بالله، وتصدق بالبعث والمعاد، وإنما كان كفرها تكذيبها بنبوته محمد ﷺ. وبعد: ففي فصل الله بين صفة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم في الآية قبلها، وأخبر أن لهم عذاباً مهيناً - بالواو الفاصلة بينهم - ما ينسب عن أنهما صفتان من نوعين من الناس مختلفي المعاني، وإن كان جميعهم أهل كفر بالله. ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع من الناس لقليل - إن شاء الله - (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً الذين ينفقون أموالهم رياء الناس) ولكن فصل بينهم بـ ((الواو)) لما وصفنا. فإن ظن ظان أن دخول ((الواو)) غير مستكر في عطف صفة على صفة لموصوف واحد في كلام العرب، فإن ذلك وإن كان كذلك فإن الأفصح في كلام العرب إذا أريد ذلك ترك إدخال ((الواو))، وإذا أريد بالثاني وصف آخر غير الأول، إدخال الواو^(٢). وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه كتابه أولى بنا من توجيهه إلى الأنكر من كلامهم^(٣))).

وهذا التعقيب الذي قاله الإمام الطبري تعقبه القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - بقوله: ((...)) وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في اليهود. قال الطبري: وهذا ضعيف. لأنه نفى عن هذه الصفة الإيمان بالله واليوم الآخر واليهود ليسوا كذلك. قال القاضي أبو محمد: وقول مجاهد متجه على المبالغة والإلزام إذ إيمانهم باليوم الآخر كإيمان، من حيث لا ينفعهم^(٤))).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٦/٨) من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد في قول الله ﷻ الذين ييخلون ويأمرون الناس

بالخل ﷻ إلى قوله ﷻ وكان الله بهم عليماً ﷻ ما بين ذلك في يهود.

(٢) كذا في النسخة المحققة ((إدخال الواو)) وهو يعني ((أدخل الواو)).

(٣) تفسير الطبري (٣٥٦-٣٥٧).

(٤) الخمر الوجيز (١١٥/٤-١١٦).

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، حكى ذلك ابن الجوزي فقال : ((قوله تعالى : ﴿ والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم اليهود ... والثاني : أنهم المنافقون ... والثالث : مشركو مكة أنفقوا على عداوة النبي ﷺ))^(١).

وقد أورد القرطبي وأبو حيان استدراك ابن عطية على الإمام الطبري ولم يعقبا على ذلك بشيء^(٢) .
ورجح الفخر الرازي القول الذي رآه الإمام الطبري فقال - بعد أن حكاه - : ((وهو الوجه لذكر الرياء وهو ضرب من النفاق))^(٣).

إذا عرفت هذا فاعلم أن الإمام الطبري لم ينص على ضعف قول مجاهد ، وإنما قال الآية بصفة أهل النفاق أشبه ، وفي نظري أن لفظ ((أشبه)) يفيد أن القول الآخر فيه شبه .

ثم إن القاضي استفاد من ضعف الدليل الأول للطبري ، وبنى عليه اتجاه قول مجاهد^(٤) .
ولا شك أن قول مجاهد فيه اتجاه من الناحية التي ذكرها ابن عطية ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾^(٥) .
وقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾^(٦) .

ففي الآية الأولى جمع لهم المولى بين صفتين عدم الإيمان بالله واليوم الآخر وكونهم من أهل الكتاب . وفي الآية الثانية : نفى الله عنهم أن يكونوا على شيء من أمر الدين^(٧) ، ومع ذلك سماهم أهل كتاب^(٨) .

(١) زاد المسير (٢/٨٢، ٨٣) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/١٩٣، ١٩٤) ، والبحر المحييط (٣/٢٥٨) .

(٣) التفسير الكبير (١٠/٨١) .

(٤) ويبدو أن الإمام الطبري أحسن بضعف هذا الدليل فأججه إلى الاعتماد على الدليل الثاني ، وهذا واضح من قوله : ((وبعد فني فصل الله ... إلخ)) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٦٨ .

(٧) الذي جاءهم به موسى وعيسى . انظر تفسير الطبري (١٠/٤٧٣) .

(٨) ومعلوم أن المقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى .

لكن هذا الاتجاه - بما سبق له من أدلة - لا يجعله مقدماً على القول الذي اختاره الإمام الطبري - وهذا باعتراف ابن عطية كما سيأتي - لأن للقول الذي اختاره الإمام الطبري أدلة أخرى تبقى له الصدارة إن شاء الله تعالى .

من هذه الأدلة ما ذكره الإمام الطبري من إدخال الواو الفاصلة بين من اتصف بالكفر ومن اتصف بالنفاق.

ومنها ما ذكره الفخر الرازي من أن ذكر الرئاء في الآية مرجح لرأي الطبري ؛ لأن الرئاء نفاق . ومنها أن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو قول جمهور أهل العلم^(١)، وقد وصفه ابن عطية نفسه بأنه القول الصحيح^(٢)، وتابعه على ذلك بعض المفسرين^(٣).

ومنها أن السياق يدل على رجحان ما رآه الإمام الطبري ، وذلك أن الله جل وعلا أمر المؤمنين أن يشعروا على التوحيد^(٤) ، وأن يحسنوا بوالديهم ، وأمرهم أيضاً بما عطف على هذين فقال: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى﴾^(٥) ثم ذكر الكافرين في الآية التي تليها فقال: ﴿وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾^(٦) ثم ذكر بعد هذا الصنف الثالث وهم المنافقون فقال: ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ ثم بعد آيات قليلة من هذه - تتعلق بالمنافقين والمؤمنين - ذكر الله اليهود فقال: ﴿لم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل﴾^(٧) واستمر الحوار معهم في آيات كثيرة. فهذا السياق - والله أعلم - يدل لما قال الإمام الطبري.

(١) قاله ابن عطية ، والقرطبي وأبو حيان . انظر المحرر الوجيز (١١٦/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩٣/٥) ، والبحر المحيظ (٢٥٨/٣).

(٢) انظر المحرر الوجيز (١١٦/٤).

(٣) انظر الجواهر الحسان (٤٤٤/١).

(٤) انظر بحر العلوم (٣٥٣/١).

(٥) سورة النساء ، الآية : ٣٦ .

(٦) سورة النساء ، الآية : ٣٧ .

(٧) سورة النساء ، الآية : ٤٤ .

١١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ - : ((وإنما نصب ((القرين)) لأن في ((ساء)) ذكراً من الشيطان ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ بنس للظالمين بدلاً ﴾^(١) وكذلك تفعل العرب في ((ساء)) ونظائرهما))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من جعله هذه الآية مثل التي في سورة الكهف ، فقال: (((وقريناً)) نصب على التمييز ، والفاعل لساء مضمّر تقديره: ساء القرين قريناً ، على حد بنس . وقرن الطبري هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ بنس للظالمين بدلاً ﴾^(٣) وذلك مردود ؛ لأن بدلاً حال . وفي هذا نظر))^(٤).

موضع الاستدراك الذي يقصده ابن عطية ، هو أن الإمام الطبري قرن آية النساء بآية الكهف ، وهو يعني أن إعراب ﴿ قريناً ﴾ و ﴿ بدلاً ﴾ تميز . وأبو محمد ابن عطية لا يرى هذا ، بل يرى أن ﴿ قريناً ﴾ يعرب تمييزاً ، و ﴿ بدلاً ﴾ يعرب حالاً ، فينبغي فرق.

والحقيقة أن الإمام الطبري لم يصرح بإعراب ﴿ قريناً ﴾ ولا بإعراب ﴿ بدلاً ﴾ وإنما فهم ذلك من قرنه آية النساء بآية الكهف ، ومن التقدير الذي ذكره هنا حيث قال - عند قوله تعالى: ﴿ فساء قريناً ﴾ - : ((فساء الشيطان قريناً))^(٥).

وقد أيد أبو حيان ما ذهب إليه الإمام الطبري ، ورد قول ابن عطية في إعراب ﴿ بدلاً ﴾ فقال - بعد أن ذكر إعراب ﴿ قريناً ﴾ على التمييز ، وضعف ما سواه - : ((قال ابن عطية : وقرن الطبري هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ بنس للظالمين بدلاً ﴾^(٦) وذلك مردود ؛ لأن ﴿ بدلاً ﴾ حال ، وفي هذا نظر . والذي قاله الطبري صحيح ، و ﴿ بدلاً ﴾ تمييز لا حال ، وهو مفسر للضمير المستكن في بنس على

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥٠ .

(٢) تفسير الطبري (٣٥٨/٨) .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٥٠ .

(٤) الخرز الوجيز (١١٦/٤ - ١١٧) .

(٥) تفسير الطبري (٣٥٨/٨) .

(٦) سورة الكهف ، الآية : ٥٠ .

مذهب البصريين، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: هم، أي الشيطان وذريته. وإنما ذهب إلى إعراب المنصوب بعد نعم وبنس حالاً الكوفيون على اختلاف بينهم مقرر في علم النحو^(١).

وكلام أبي حيان أفادنا ما يلي:

الأول: أنه أكد لنا ما فهمناه من كلام الإمام الطبري من أن إعراب الموضعين تمييز.

الثاني: أنه قضى للإمام الطبري على الإمام ابن عطية في هذه المسألة.

الثالث: أنه أشار إلى أن الخلاف في هذه المسألة قد وقع بين مدرستي البصرة والكوفة، فهو خلاف قديم، قد سبق مجيء الإمام الطبري وابن عطية.

وقد أشار أيضاً إلى الخلاف ابن عقيل عندما ذكر أقسام مرفوع^(٢) نعم وبنس فقال - بعد أن ذكر الأول والثاني - : ((الثالث أن يكون مضمراً مفسراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحو ((نعم قوماً معشره)) ففي ((نعم)) ضمير مستتر يفسره ((قوماً)) و ((معشره)) مبتدأ وزعم بعضهم أن ((معشره)) مرفوع بنعم وهو الفاعل ولا ضمير فيها، وقال بعض هؤلاء إن ((قوماً)) حال، وبعضهم إنه تمييز. ومثل ((نعم قوماً معشره)) قوله تعالى: ﴿بنس للظالمين بدلاً﴾^(٣).

وكذلك أشار إلى الخلاف السمين الحلبي^(٤).

وبعد: فالذي يبدو - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري في إعراب ﴿بدلاً﴾ هو الظاهر وذلك للأسباب التالية:

١- أن ما ذهب إليه هو قول جمهور أهل العلم^(٥).

٢- قال ابن هشام^(٦): ((دخول التمييز في باب نعم وبنس أكثر من دخول الحال))^(٧)، وهذا مما

يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري.

(١) البحر المحيط (٢٥٩/٣).

(٢) شرح ابن عقيل (١٥١/٢-١٥٢).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٤) انظر الدر المنصون (٦٧٩/٣).

(٥) قال الشيخ محمد نحي الدين: والجمهور يجعلون فاعل نعم ضميراً مستتراً، والاسم المنكر المنصوب تمييزاً مفسراً للفاعل... انظر عدة المسالك (بهاشم أوضح المسالك) (٢٧٣/٣). قلت: وبنس مثلها تماماً.

(٦) عبد الله بن يوسف الأنصاري الإمام العلامة في النحو (ت: ٧٦١هـ) انظر بغية الوعاة (٦٨/٢).

(٧) شرح قطر الندى ص (٢٤٣).

٣- الإمام الطبري ألحق النظر بنظيره، وهذا منهج متعارف عليه بين الباحثين؛ أما أبو محمد فقد فرق بين التماثلين من غير ذكر للسبب الذي دعاه إلى هذا المنهج.

وأقول فرق بين التماثلين؛ لأن عدداً من المختصين نصوا على أن ((ساء)) تعمل عمل ((بئس)) لا يختلفان في العمل^(١).

٤- مما يدل على ظهور قول الإمام الطبري أن الإمام أبا حيان قد صححه^(٢)، واقتصر على ذكره عدد من النحاة، والمعربين للقرآن الكريم والمفسرين عندما أعربوا آية الكهف^(٣).

٥- مما يدل على قوة ما ذهب إليه الإمام الطبري، أنك إذا أعربت ﴿بدلاً﴾ حالاً ربما أشعر أن إبليس وذريته مخصوصون بالدم في حال كونهم بدلاً لا غير، والشأن ليس كذلك، لأنهم مخصوصون بالدم في هذه الحال وفي غيرها، فالدم لا يفارقهم أبداً.

(١) قال ابن يعيش: ((وقد تستعمل ساء استعمال بئس بمعنى الدم، فيقال: ساء رجلاً زيد، كما تقول بئس رجلاً زيداً

فيكون في ساء ضمير مستتر يفسره الظاهر، كما يكون في بئس...)) شرح المفصل (١٢٩/٧). وقال الألويسي - عند

آية النساء - : ((وساء منقولة إلى باب نعم وبئس فهي ملحقة بالجامدة)) روح المعاني (٣٠/٥). وسبق الفراء هذين

انظر معاني القرآن (٢٦٧/١)، وانظر أيضاً التبيان (٣٥٧/١).

(٢) تقدم نقل ذلك قريباً.

(٣) انظر شرح ملحة الإعراب ص (١٩٨)، والبيان في إعراب غريب القرآن (١١١/٢)، وأوضح المسالك (٢٧٣/٣)، والدر

المصون (٥٠٨/٧)، والفتوحات الإلهية (٣٠/٣)، والتحرير والتنوير (٣٤٢/١٥).

١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تاويل قوله : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرة ، فكيف بهم ﴾ إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ يعني بمن يشهد عليها بأعمالها ، وتصديقها رسلها أو تكذيبها ﴾ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ يقول : وجئنا بك يا محمد ﴿ على هؤلاء ﴾ على أمتك ﴿ شهيداً ﴾ يقول : شاهداً))^(١) ، ثم استشهد على تفسيره هذا بما ساق بسنده عن السدي : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ ((قال : إن النبيين يأتون يوم القيامة ، منهم من أسلم معه قومه ، الواحد ، والاثنان ، والعشرة ، وأقل وأكثر من ذلك ، حتى يؤتى بقوم لوط ﷺ ، لم يؤمن معه إلا ابتاه ، فيقال لهم : هل بلغت ما أرسلتم به ؟ فيقولون : نعم . فيقال : من يشهد ؟ فيقولون : أمة محمد ﷺ فيقال لهم - أشهدوا - إن الرسل أودعوا عندكم شهادة ، فبم تشهدون؟ فيقولون : ربنا نشهد أنهم قد بلغوا - كما شهدوا في الدنيا بالتبليغ - فيقال : من يشهد على ذلك ؟ فيقولون : محمد ﷺ . فيدعى محمد عليه السلام فيشهد أن أمته قد صدقوا وأن الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير هذه الآية من أن أمة محمد ﷺ تشهد للرسول أنها قد بلغت أقوامها ، فقال : ((وما ذكره الطبري من شهادة أمة محمد بتبليغ الرسل ... فليست هذه آيته ، وإنما آيته ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾))^(٣) .^(٤)

إذاً موضع الاستدراك أن الإمام الطبري يرى أن المقصود بقوله : ﴿ هؤلاء ﴾ هم المؤمنون الذين يشهدون للرسول أنها قد بلغت أقوامها ، وابن عطية لا يرى أن هذه الآية هي التي تدل على هذا ، وإنما هي آية أخرى.

(١) تفسير الطبري (٣٦٨/٨-٣٦٩).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ . والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٩/٨) من طريق أسباط عن السدي.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .

(٤) المحرر الوجيز (١٢٢/٤).

وما ذهب إليه الإمام الطبري من دلالة الآية على ما قصد قد ذكره بعض المفسرين وجهاً من الأوجه التي تحملها الآية الكريمة. والثاني : أن ﴿هؤلاء﴾ راجع إلى الكفار. والثالث : على الشهداء المتقدم ذكرهم^(١). والرابع : على أمته عموماً^(٢).

وفي نظري أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري ، وذلك للأسباب التالية:

١- أن الله قال: ﴿على هؤلاء﴾ فدل هذا أنها شهادة عليهم ، لا لهم ، إذ لو كان المقصود أن يشهد لهم بالصدق في شهادتهم لقال : (وجئنا بك هؤلاء شهداء)^(٣).

٢- ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ ذرفت عيناه عندما بلغ ابن مسعود تلاوة هذه الآية^(٤) ، وإنما بكى ﷺ من هول المطلع عندما يؤتى بكل نبي يشهد على أمته ، ويؤتى به ﷺ شاهداً على أمته ، ولو كانت المسألة مسألة تزكية لأمته بالصدق فيما شهدت به على الأمم لما كان في هذا داع إلى البكاء لأن هذا مقام فخر وفرح بما وصلت إليه أمته من المكانة عند الله تعالى.

٣- مما يرجح استدراك ابن عطية ما أخرجه الطبراني أن النبي ﷺ أمر قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهداء﴾ فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياه ، فقال : ((أي رب شهدت على من أنا بين ظهريه ، فكيف بمن لم أرى؟))^(٥). فهذا يفيد أن النبي ﷺ فهم من الآية أنه شهيد على أمته ممن كان بين ظهرايهم ومن هو آت منهم إلى يوم القيامة.

(١) انظر تفسير البيضاوي (٢٢٠/١)، وتفسير أبي السعود (١٧٨/٢)، وروح المعاني (٣٤/٥).

(٢) انظر معالم التنزيل (٤٢٩/١).

(٣) انظر البحر المحيط (٢٦٣/٣).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٢٥٠/٨)، كتاب التفسير ، باب ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهداء﴾ ، ح (٤٥٨٢).

(٥) أخرجه في المعجم الكبير (٢٤٣/١٩-٢٤٤) من حديث يونس بن محمد بن فضالة الظفري عن أبيه ، وكان ممن صحب النبي ﷺ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٧) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وأخرجه أيضاً أبو الليث في بحر العلوم (٣٥٦/١).

١٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وكان الله على كل شيء مقبلاً ﴾ بعد أن ذكر اختلاف أهل العلم في معنى ﴿مقبلاً﴾ - : ((والصواب من هذه الأقوال ، قول من قال: معنى (المقبى) القدير . وذلك أن ذلك فيما يذكر كذلك بلغة قريش، وينشد للزبير بن عبد المطلب^(١)، عم رسول الله ﷺ^(٢)):

وذي ضغن كفت النفس عنه وكنت على مساءته مقبلاً

أي: قادراً وقد قيل: إن منه قول النبي ﷺ : ((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقبى))^(٣) وفي رواية من رواها ((يقبى)) يعني من هو تحت يديه وفي سلطانه من أهله وعياله ، فيقدر له قوته. يقال منه: أقات فلان الشيء يقبته إقافة. وقاته يقوته قيافة وقوتاً . والقوت الاسم. وأما ((المقبى)) في بيت اليهودي^(٤) الذي يقول فيه:

ليت شعري وأشعرن إذا ما قربوها منشورة ودعيــــــــــــــــت
ألي الفضل أم علي إذا حو سبت ؟ إني على الحساب مقبىت

فإن معناه : فإني على الحساب موقوف ، وهو من غير هذا المعنى))^(٥).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن ((مقبى)) في بيت اليهودي بمعنى موقوف ، فقال - بعد أن أنشد البيتين - : ((فقال فيه الطبري : إنه من غير هذا المعنى

(١) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، أدركه النبي في طفولته ، وهو أكبر أعمامه . انظر الأعلام (٤٢/٣).

(٢) اختلف في قائل هذا البيت فقيل للزبير بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ . وقيل : لأبي قيس بن رفاعة. انظر لسان العرب (٣٤٠/١١) . وفي معجم الطبراني الكبير (٢٥٢/١٠) من طريق جوير - وهي طريق لا تقوم بها حجة - منسوب إلى النابغة ، وفي الدر المنثور (١٨٧/٢) منسوب إلى أحيحة بن الأنصاري. والبيت في تهذيب اللغة (٢٥٥/٩) ، ولسان العرب (٣٤١/١١) ، والدر المصون (٥٦/٤).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (١٣٢/٢) ، كتاب الزكاة ، باب صلة الرحم ، ح (١٦٩٢) ، والإمام أحمد في المسند (١٦٠/٢) ، والحاكم في المستدرك (٥٧٥-٥٧٦) جميعاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح.

(٤) السموأل بن عاد ياء اليهودي شاعر جاهلي. انظر خزائن الأدب (٤٩٧/٨) ، والأعلام (١٤٠/٣). والبيتان في ديوانه ص (٨١) ، وفي مجاز القرآن (١٣٥/١) ، وتهذيب اللغة (٢٥٥/٩) ، الثاني منهما ، وفي لسان العرب (٣٤٠/١١) كلاهما في ((قوت)).

(٥) تفسير الطبري (٥٨٤/٨-٥٨٥).

المتقدم ، وإنه بمعنى موقوف^(١) . قال القاضي أبو محمد - رحمه الله - : وهذا يضعفه أن يكون بناء فاعل بمعنى بناء مفعول^(٢) .

وقد ذهب إلى هذا التفسير الذي ذكره الطبري ها هنا أبو عبيدة من قبل حيث قال - عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ - : ((أي حافظاً محيطاً ، قال اليهودي في غير هذا المعنى:

ليت شعري وأشعرن إذا ما
قربوها مطوية ودعيست
ألي الفضل أم علي إذا حو
سبت ؟ إني على الحساب مقيت

أي: هو موقوف عليه^(٣) .

وقول الطبري في تفسير بيت السمائل أورده القرطبي في تفسيره ولم يعترض عليه بشيء^(٤) . وهذا الاستدراك بعينه أورده أبو حيان في البحر ، ولم ينسبه لابن عطية^(٥) . فهذه النقول التي أوردها هنا تفيد أن ما ذهب إليه الإمام الطبري قد قال به بعض أهل اللغة ، وأن استدراك ابن عطية قد أورده غيره أيضاً على الإمام الطبري . وبعد: فقول ابن عطية أن قول الطبري يضعفه أن يكون بناء فاعل بمعنى بناء مفعول هو على رأي بعض نحاة البصرة ، والكوفيون يجيزون مثل هذا ، ولا يرونه ضعيفاً ، فالمسألة محل خلاف بين مدرستين قديمتين .

قال الزجاج - عند قوله تعالى : ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾^(٦) - : ((معناه : مدفوق ، ومذهب سيويوه وأصحابه : أن معناه النسب إلى الاندفاق ، المعنى من ماء ذي اندفاق))^(٧) .

(١) في المغربية ((موقوف)) والتصويب من القطرية .

(٢) المحرر الوجيز (٤/١٩٥) .

(٣) مجاز القرآن (١/١٣٥) .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٩٦) .

(٥) انظر البحر (٣/٣٢٢) .

(٦) سورة الطارق ، الآية : ٦ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥/٣١١) .

وقال أبو البركات ابن الأنباري - عند قوله تعالى -: ﴿حجَاباً مُسْتَوِراً﴾^(١) - : ((فيه وجهان: أحدهما: أن يكون قوله : ﴿حجَاباً مُسْتَوِراً﴾ أي ذا ستر على النسب ... والثاني: أن يكون ﴿مستوراً﴾ بمعنى سائر فيجيء مفعول بمعنى فاعل ، كما يجيء فاعل بمعنى مفعول كقولهم: سر كاتم، وماء دافق، أي سر مكتوم ، وماء مدفوق. وهذا قول الفراء))^(٢).

قلت : وقال القاضي ابن عطية : ((يصح أن يكون الماء دافقاً ؛ لأن بعضه يدفع بعضاً ، فمنه دافق، ومنه مدفوق))^(٣).

والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية هو كما قال لسبين:

الأول : مضمون ما ذكره ابن عطية من أن بناء فاعل بمعنى مفعول ضعيف . قال أبو جعفر النحاس: ((فاعل بمعنى مفعول فيه بطلان البيان ، ولا يصح ولا ينقاس ، ولو جاز هذا لجاز ضارب بمعنى مضروب))^(٤).

قلت: والأدلة التي ذكرها الكوفيون على أن فاعل بمعنى مفعول يدخلها التأويل . وهذا المنهج يؤدي إلى التوسع في كلام العرب ، والخروج عن الظاهر.

الثاني: أن بيت السؤال يمكن أن يبقى على ظاهره ، فيكون قول الشاعر ((إني على الحساب مقيت)) أي شاهد حافظ. قال ابن منظور - بعد أن أورد بيت السؤال - : ((أي أعرف ما عملت من سوء؛ لأن الإنسان على نفسه بصيرة . حكى ابن بري^(٥) ، عن أبي سعيد السيرافي^(٦) ، قال: الصحيح رواية من روى (ربي على الحساب مقيت) قال : لأن الخاضع لربه لا يصف نفسه بهذه الصفة. قال ابن بري: ولو ذهب مذهب من يقول: إنه الحافظ للشيء والشاهد له ... لم ينكر الرواية الأولى))^(٧).

ثم نقل ابن منظور عن الزجاج أنه قال: إن المقيت بمعنى الحافظ والحفيظ^(٨)

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٥ .

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٩١/٢).

(٣) المحرر الوجيز (٢٧٦/١٦).

(٤) إعراب القرآن (١٩٨/٥).

(٥) عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري ، النحوي اللغوي ، العلامة (ت: ٥٥٨٢هـ). انظر بغية الوعاة (٣٤/٢).

(٦) الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، إمام في النحو واللغة (ت: ٣٦٨هـ) انظر بغية الوعاة (٥٠٧/١).

(٧) لسان العرب (٣٤٠/١١) ((قوت)).

(٨) المرجع السابق (٣٤٠/١١) ((قوت)).

١٤ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى ﴿ واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ - : ((...)) ﴿ واستغفر الله ﴾ يا محمد ، وسله أن يصفح لك عن عقوبة ذنبك في محاصمتك عن الخائن ، من خان مالا لغيره ﴿ إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ يقول: إن الله لم يزل يصفح عن ذنوب عباده المؤمنين ، بتركه عقوبتهم عليها إذا استغفروه منها ﴿ رحيماً ﴾ بهم . فافعل ذلك أنت يا محمد، يغفر الله لك ما سلف من خصومتك عن هذا الخائن))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في نسبة الذنب إلى النبي ﷺ بسبب هذه الحادثة فقال: ((وقوله تعالى: ﴿ واستغفر الله ﴾ ذهب الطبري إلى أن المعنى: استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين . قال القاضي أبو محمد : وهذا ليس بذنب ؛ لأن النبي ﷺ إنما دافع عن الظاهر ، وهو يعتقد براءتهم ، والمعنى : استغفر للمذنبين من أمتك والمتخاصمين في الباطل ، لا أن تكون ذا جدال عنهم ، فهذا حدك ، ومحلك من الناس أن تسمع من المتداعيين وتقضي بنحو ما تسمع وتستغفر للمذنب))^(٢).

وقد اختلف المفسرون في هذه المسألة التي استدركها ابن عطية (أي هل صدر من الرسول ﷺ ذنب حتى يستغفر منه) فطائفة من المفسرين كلامهم يدور مدار كلام القاضي ابن عطية ، وإن اختلف الأسلوب^(٣).

ومن هؤلاء المفسرين من نقل تفسير الإمام الطبري واستدراك القاضي ابن عطية عليه كالمسلم به الراضي عنه كالقرطبي ، وأبي حيان ، والثعالبي^(٤).

ومن المفسرين من ذهب إلى التأويل الذي قاله الإمام الطبري^(٥) . منهم الشوكاني فإنه نص على قول الإمام الطبري وبدأ بذكره ، ولم يعقب عليه بشيء ، وأورد قولاً آخر بلفظ قيل^(٦) ، فالظاهر أنه يجنح إلى قول الإمام الطبري.

(١) تفسير الطبري (١٧٦/٩).

(٢) المحرر الوجيز (٢٤٨/٤-٢٤٩).

(٣) انظر التفسير الكبير (٢٨/١١)، وتفسير الخازن (٥٩٤/١)، والتحرير والتنوير (١٩٣/٥).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٧٧/٥-٣٧٨)، والبحر المحيظ (٣٥٩/٣)، والجواهر الحسان (٤٩٠/١).

(٥) انظر بحر العلوم (٣٨٥/١)، وتفسير ابن كثير (٥٥٣/١)، والتسهيل (٢٨٠/١). وقالوا ذلك بالمعنى ولم ينصوا على قول

الطبري.

(٦) انظر فتح القدير (٥١١/١).

وطائفة كبيرة من المفسرين ، تفسرها على أن هناك همأ هم به رسول الله ﷺ ولم يفعله فأمره الله بالاستغفار من ذلك المهم^(١).

والذي يبدو - والله أعلم - أن ما ذهب إليه أبو محمد في نفي الذنب الصادر من الرسول ﷺ هو كما قال وذلك للأسباب التالية:

١- غاية ما قيل في سبب نزول هذه الآيات أن أحد المنافقين نقب بيت أحد المسلمين وأخذ سلاحه وطعامه فكلم ابن أخيه فيما أصابه فذهب ابن الأخ إلى رسول الله ﷺ فاشتكى إليه وذكر بعض من يتهم، فجاء أولئك فاعتذروا مما قيل فيهم ، ثم جاء المشتكى الأول مرة أخرى إلى رسول الله ﷺ فقال له: ((عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقه على غير ثبت ولا بينة ، قال فرجعت ، ولو وددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه^(٢)) فقال يا ابن أخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ فقال الله المستعان فلم يلبث أن نزل القرآن ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾^(٣) يعني بني أبيرق^(٤) ﴿واستغفر الله﴾ أي مما قلت لقتادة^(٥) ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾^(٦).

(١) انظر معاني القرآن وإعراجه (١٠١/٢)، وتفسير كتاب الله العزيز (٤٢١/١)، والوسيط (١١٢/٢)، ومعالم التنزيل (٤٧٧/١)، والكشاف (٥٦١/١)، وتفسير البيضاوي (٢٤٢/١)، وتفسير النسفي (٢٤٩/١)، وتفسير الجلالين ص (١١١)، وتفسير أبي السعود (٢٢٩/٢).

(٢) رفاعه بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري ، عم قتادة بن النعمان. انظر الإصابة (٢٨٢/٣).

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٠٥ .

(٤) قيل: هم بشر ^{وبشير} وبشير . انظر سنن الترمذي (٢٤٤/٥).

(٥) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر أمير مجاهد ، من نجباء الصحابة (ت : ٥٢٣هـ). انظر السير (٢٣١/٢).

(٦) أخرجه الترمذي في السنن (٢٤٤/٥) كتاب التفسير ، باب ومن سورة النساء ، ح (٣٠٣٦) وهو بعض من قصة طويلة قال أبو عيسى بعد رواية هذا الحديث : هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني، وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسل لم يذكر فيه عن أبيه عن جده. وأخرج هذا الخبر الطبري في تفسيره (١٧٧/٩)، والحاكم في المستدرک (٤٢٦/٤) وقال صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢١٥/٢) وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وهذا الخبر - إن ثبت - فلا يفيد أن النبي ﷺ صدر منه ذنب ؛ لأنه كما قال أبو محمد دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءتهم ، وكذلك قال ابن جزى^(١).

قال الألويسي - في قوله تعالى: ﴿ واستغفر الله ﴾ - : ((مما قلت لقتادة ، أو مما هممت به في أمر طعمة، وبراءته لظاهر الحال. وما قاله ﷺ لقتادة ، وكذا اهتم بالشئ خصوصاً إذ يظن أنه الحق ليس بذنب حتى يستغفر منه لكن لعظم النبي ﷺ وعصمة الله تعالى له وتنزيهه عما يورثهم النقص وحاشاه أمره بالاستغفار لزيادة الثواب وإرشاده إلى الثبت))^(٢).

٢- أخبر الله في آخر الآيات التي تحدثت عن ملابسة هذا الحادث أنه قد عصم نبيه ومنعه أن يقع في شيء من الزلل وإن سعى أولئك المنافقون إلى ذلك فقال: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾^(٣).

وأما قوله: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾^(٤) فهذا لا يفيد أن النبي ﷺ قد وقع منه الخصام عن الخائنين بحال وهو مثل قوله تعالى لنيه داود: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ لا يعني - والله أعلم - أنه قد صدر منه ذنب .

قال الخازن : ((لم يفعل رسول الله ﷺ المنهي عنه في قوله: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ ولم يخاصم عن طعمة^(٦) ... وإنما مال رسول الله إلى نصره طعمة وهم بذلك بسبب أنه في الظاهر من المسلمين فأمره بالاستغفار لهذا القدر))^(٧).

(١) انظر التسهيل (١/٢٨٠).

(٢) روح المعاني (٥/١٤٠).

(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٣ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٠٥ .

(٥) سورة ص ، الآية : ٢٦ .

(٦) هو أحد بني أبيرق الذي تقدم ذكرهم تارة يقولون بشير ، وتارة طعمة ، وتارة أبو طعمة . انظر مستدرک الحاكم

(٤/٤٢٧)، وأسباب النزول للواحدي ص(١٨١).

(٧) انظر تفسير الخازن (١/٥٩٤)، وهناك أجوبة أخرى ذكرها الرازي . انظر التفسير الكبير (١١/٢٨).

قلت : هذا بناء على ما روي أن طعمة لما اتهم بذلك أخذ المسروق وطرحه في بيت يهودي ليوقع به ويرى نفسه (١).

٣- ما ذهب إليه أبو محمد هو قول جمهور المفسرين الذين اطلعت على مصنفاتهم مما يفيد قوة هذا القول وترجيحه على ما سواه . وقد تقدم أنهم بين ناف له ، وبين قائل : إن ذلك مجرد هم . والهـم كما قال الألوـسي ليس بذنب.

(١) انظر أسباب النزول للواحي ص(١٨١). وأخرج نحوه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١٧٢/١) من طريق معمر عن

١٥ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً ﴾ - : ((... وإنما ويخجل ثناؤه بهذه الآيات^(١) الخائنين الذين خانوا الدرع التي وصفنا شأنها ، الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿ ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾^(٢) وحذر أصحاب محمد ﷺ أن يكونوا مثلهم ، وأن يفعلوا فعل المرتد في ارتداده ولحاقه بالمشركين ، وعرفهم أن من فعل فعله منهم فلن يضر إلا نفسه ولن يوبق برذته غير نفسه لأنه يحتاج مع جميع ما في السموات وما في الأرض إلى الله ، والله الغني عنهم ، ثم توعدهم في قوله : ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ﴾ بالهلاك والاستئصال ، إن هم فعلوا فعل ابن أبيرق طعمة المرتد ، وباستبدال آخرين غيرهم بهم ، لنصرة نبيه محمد ﷺ ، وصحبه ، ومؤازرته على دينه ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾^(٣)))^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من قصر الوعيد المفهوم من الآية فيمن شفع في طعمة بن أبيرق ، فقال : ((وقوله تعالى : ﴿ أيها الناس ﴾ مخاطبة للحاضرين من العرب ، وتوقيف للسامعين لتحضر أذهانهم ... وتحتل ألفاظ الآية أن تكون وعيداً لجميع بني آدم ، ويكون الآخرون من غير نوعهم ، كما قد روي : أنه كان في الأرض ملائكة يعبدون الله قبل بني آدم ، وقدرة الله تعالى على ما ذكر تقضي بها العقول ببدانها^(٥) . وقال الطبري : هذا الوعيد والتوبيخ هو للقوم الذين شفعوا في طعمة بن أبيرق ، وخاصموا عنه في أمر خيانتته في الدرع والدقيق . قال القاضي أبو محمد - رحمه الله - : وهذا تأويل بعيد واللفظ إنما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة ، أو العالم الحاضر^(٦))).

(١) يعني بالآيات المذكورة وآيتين قبلها ، وهي قوله تعالى ﴿ والله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً * والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾ سورة النساء ، الآية : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٠٥ .

(٣) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .

(٤) تفسير الطبري (٢٩٨/٩) .

(٥) في السنة الطبرية ((ببديتها)) «ببديتها» كذا في النسبة الفطرية وهو الصواب ، وأما لفظة «ببديتها» .

(٦) المحرر الوجيز (٤/٢٧٧-٢٧٨) .

هذا الاستدراك الذي أورده أبو محمد على الإمام الطبري أورده أيضاً أبو حيان فقال: ((وقال الطبري الخطاب للذين شفَعُوا في طعمة بن أبرق وخاصم وخاصموا عنه في أمر خيانتة في الدرع والدقيق، وهذا التأويل بعيد ، وقد يظهر العموم ، فيكون خطاباً للعالم الحاضر الذي يتوجه إليه الخطاب والنداء))^(١) وكذلك نقله التعالبي بحروفه^(٢).

والذي يبدو - والله أعلم - أن وصف القاضي ابن عطية تفسير الإمام الطبري بالبعد هو كما قال؛ وذلك للأسباب التالية:

١- ظاهر هذه الآية أنها سبقت مساق العموم ، فتعين الإمام الطبري حادثاً بعينه ، وذكره لأشخاص وحمل الآية على ذلك هو خلاف الظاهر.

٢- هذه الآية الكريمة ، تحمل في طياتها الوعيد والتهديد ، وهو مسلك من مسالك التربية التي أشار إليها القرآن الكريم ، وإنما يتوجه حمل هذا المسلك على العموم - ما لم توجد قرينة تصرف عن ذلك - لتستقيم حياة الإنسان في هذا الكون ، فلعل الكافر أن يقلع عن كفره وجحده ، والعاصي يتوب ويرجع عن معصيته ، والطائع الملتزم بأوامر الله يدوم على ذلك ويزداد خيراً وصلاحاً إلى خيره وصلاحه.

٣- مما يدل على أن الآية عامة لا يقصد بها شخص بعينه أنني لم أر - فيما اطلعت عليه - مفسراً يذكر للآية سبباً معيناً ، ولا من يربطها بتلك الحادثة غير الإمام الطبري . والظاهر أن هذه الآية مستقلة لم تقصد فيها تلك الحادثة بخصوصها - وإن كان أصحابها يدخلون في عموم الوعيد التي انطوت عليه تلك الآية - لأن الحديث عن تلك الحادثة قد انتهى عند قوله تعالى: ﴿ ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ﴾^(٣).

وقد يكون قبل هذا عند قوله تعالى: ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ﴾^(٤).

(١) البحر المحيط (٣/٣٨٣) . والظاهر أنه اطلع على ما في المحرر.

(٢) انظر الجواهر الحسان (١/٥٠٢).

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٧ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٢٣ .

١٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿إِن الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله : إن الذين آمنوا بـعيسى ، ثم كفروا به ، ثم آمنوا - يعني النصارى - بعيسى ، ثم كفروا به ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾ . ذكر من قال ذلك^(١) .

ثم ساق بسنده عن قتادة أنه قال في قوله: ﴿إِن الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كفراً﴾ وهم اليهود والنصارى آمنت اليهود بالتوراة ثم كُفرت ، وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كُفرت ، وكفرهم به : تركهم إياه . ثم ازدادوا كفراً بالفرقان ومحمد ﷺ . فقال الله : ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾ يقول: لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريق هدى ، وقد كفروا بكتاب الله وبرسوله محمد ﷺ^(٢) .

ثم ذكر الأقوال الأخرى فقال: ((وقال آخرون : بل عني بذلك أهل النفاق ، أنهم آمنوا ثم ارتدوا ، ثم آمنوا ثم ارتدوا ، ثم ازدادوا كفراً بموتهم على الكفر^(٣)... وقال آخرون : بل هم أهل الكتابين ، التوراة والإنجيل ، أتوا ذنوباً في كفرهم فتأبوا ، فلم تقبل منهم التوبة فيها ، مع إقامتهم على كفرهم^(٤)... قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بذلك أهل الكتاب الذين أقرؤا بحكم التوراة ، ثم كذبوا بخلافهم إياه ، ثم أقر من أقر منهم بعيسى والإنجيل ، ثم كذب به بخلافه إياه ، ثم كذب بمحمد ﷺ والفرقان ، فإزداد بتكذيبه به كفراً على كفره . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويل هذه الآية ؛ لأن الآية قبلها في قصص أهل الكتابين - أعني قوله : ﴿يا أيها الذين

(١) تفسير الطبري (٩/٣١٤-٣١٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٣١٥) من طريق سعيد عن قتادة . وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٧٦) قال أخبرنا معمر عن قتادة فذكره بنحوه.

(٣) أسنده إلى مجاهد بن طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج . وإلى ابن زيد من طريق ابن وهب.

(٤) أسنده أيضاً إلى أبي العالية من طريق داود بن أبي هند.

آمنوا بالله ورسوله ﴿١﴾ - ولا دلالة تدل على أن قوله: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا﴾ منقطع معناه من معنى ما قبله ، فإلحاقه بما قبله أولى ، حتى تأتي دلالة دالة على انقطاعه منه﴾^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما رجحه من أنها في أهل الكتاب، فقال - بعد أن ذكر قول قتادة ، وقول من قال: إن الآية في الطائفة من أهل الكتاب التي قالت: ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره﴾^(٣) وهو قول الحسن ابن أبي الحسن ثم ذكر قول من قال: إنها في المنافقين - ((وهذا هو القول المترجح^(٤)) ، وقول الحسن ابن أبي الحسن جيد محتمل ، وقول قتادة وأبي العالية^(٥) - وهو الذي رجح الطبري - قول ضعيف تدفعه ألفاظ الآية ؛ وذلك أن الآية إنما هي في طائفة يتصف كل واحد منها بهذه الصفة من التردد بين الكفر والإيمان ، ثم يزداد كفراً بالموافاة ، واليهود والنصارى لم يترتب في واحد منهم إلا إيمان واحد وكفر واحد، وإنما يتخيل فيهم الإيمان والكفر مع تلفيق الطوائف التي لم تتلاحق في زمان واحد ، وليس هذا مقصد الآية﴾^(٦).

حاصل استدراك ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة أنه رجح قولاً ضعيفاً.

والأقوال في هذه المسألة - كما ذكر الإمام الطبري والقاضي ابن عطية - أربعة ، اشتركا في ذكر اثنين منها وانفرد الطبري بذكر ثالث لم يذكره ابن عطية ، وكذلك ابن عطية ذكر قولاً في الثلاثة لم يذكره الطبري.

وهناك خامس لم يذكره جميعاً ، وهو جدير بالذكر حاصل هذا القول : أن الآية فيمن تكررت منه الردة^(٧).

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٦ .

(٢) تفسير الطبري (٣١٥/٩-٣١٧).

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٧٢ .

(٤) يعني قول من قال : إنها في المنافقين .

(٥) الذي رأته في تفسير الطبري (٣١٦/٩) أن أبا العالية قال : هم اليهود والنصارى أذنبوا في شركهم ثم تابوا، فلم تقبل توبتهم ، ولو تابوا من الشرك لقبيل منهم. وقد اعتبره الطبري قولاً مستقلاً كما رأيت.

(٦) المحرر الوجيز (٢٨٢/٤).

(٧) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤٩٠/١) قولاً . ومال إليه الألوسي ورجحه على غيره في روح المعاني (١٧١/٥) وقال ابن جزري إنه الأظهر . انظر التسويل (٢٨٨/١).

ويبدو أن استدراك القاضي ابن عطية على ما رجحه الإمام الطبري هو كما قال ، وذلك للأسباب التالية:

١- لما علل به بقوله: وذلك أن الآية إنما هي في طائفة يتصف كل واحد منها بهذه الصفة... إلخ.
 ٢- ولما علل به ابن عاشور بقوله^(١) - بعد أن ذكر نحو القول الذي رجحه الطبري - : وهو بعيد؛ لأن الآية حكم لآدم لقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾ فإن الأولين من اليهود كفروا إذ عبدوا العجل، ولكنهم تابوا فما استحقوا عدم المغفرة وعدم الهداية ، كيف وقد قيل لهم: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾^(٢) إلى قوله: ﴿فتاب عليكم﴾.

٣- ولأن المنافقين هم المتلاعبون بالدين ، فحيث لقوا المؤمنين قالوا آمنا ، وإذا لقوا أصحابهم قالوا: إنا مستهزون^(٣).

٤- ولأنه جاء بعد الآية التي وقع فيها النزاع ما يقوي ما ذهب إليه ابن عطية فذكر الله تعالى جزاء المنافقين الذين هذا حالهم من التلاعب بالدين وهذه الآية صريحة في المنافقين ، أما الآية التي رجح بها الإمام الطبري قبل الآية المختلف فيها^(٤)، وقوله : إنها في قصص أهل الكتابين فمختلف فيها فمن العلماء من قال: إنها في أهل الكتابين ، ومنهم من قال : الخطاب فيها للمؤمنين ، ويكون المقصود من الأمر الثبوت والدوام، وقيل : الخطاب للمنافقين ، والمعنى : يا أيها الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم لكن إيمانكم حقيقة^(٥).

(١) التحرير والتنوير (٥/٢٣١).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥٤ .

(٣) انظر البحر المحيط (٣/٣٨٧) وقد قال صاحبه : والظاهر أنها في المنافقين.

(٤) وهي قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل...﴾ سورة النساء ، الآية : ١٣٦.

(٥) انظر المحرر الوجيز (٤/٢٨٣).

سورة المائدة

١ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿ولا الهدى ولا القلاند﴾ قال أبو جعفر: أما ﴿الهدى﴾ فهو ما أهده المرء من بعير أو بقرة أو شاة ، أو غير ذلك إلى بيت الله تقريباً به إلى الله وطلب ثوابه ... وقد روي عن ابن عباس أن ﴿الهدى﴾ إنما يكون هدياً ما لم يقلد^(١). ثم ساق بسنده من طريق العوفي عن ابن عباس ، قوله: ﴿ولا الهدى﴾ قال : ((الهدى ما لم يقلد ، وقد جعل على نفسه أن يهديه ويقلده))^(٢).

ثم قال : ((وأما قوله: ﴿ولا القلاند﴾ فإنه يعني : ولا تحلوا أيضاً القلاند . ثم اختلف أهل التأويل في القلاند التي نهى الله عز وجل عن إحلالها ، فقال بعضهم : عني ب ((القلاند)) قلاند الهدى . وقالوا: إنما أراد الله جل وعز بقوله : ﴿ولا الهدى ولا القلاند﴾ ولا تحلوا الهدايا المقلدات منها وغير المقلدات . فقوله: ﴿ولا الهدى﴾ ما لم يقلد من الهدايا . ﴿ولا القلاند﴾ المقلد منها . قالوا : ودل بقوله: ﴿ولا القلاند﴾ على معنى ما أراد من النهي عن استحلال الهدايا المقلدة . ذكر من قال ذلك^(٣). ثم ساق بسنده عن ابن عباس من طريق العوفي - أيضاً - أنه قال في قوله: ﴿ولا القلاند﴾: ((القلاند مقلدات الهدى . وإذا قلد الرجل هديه فقد أحرم...))^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما نسبه إلى ابن عباس في معنى ﴿الهدى﴾ فقال: ((واختلف الناس في القلاند ، فحكى الطبري عن ابن عباس أن القلاند هي الهدى المقلد، وأن الهدى إنما يسمى هدياً ما لم يقلد ، فكانه قال: ولا الهدى الذي يقلد، والمقلد منه. قال القاضي أبو محمد : وهذا الذي قاله الطبري تحامل على ألفاظ ابن عباس، وليس يلزم من كلام ابن عباس

(١) تفسير الطبري (٤٦٧، ٤٦٦/٩).

(٢) أخرجه في تفسيره (٤٦٧/٩) من طريق العوفي ، وهي طريق ضعيفة لضعف العوفي . وأورده السيوطي في الدر (٢٥٤/٢) ونسب إخراج له لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير الطبري (٤٦٧/٩).

(٤) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٤٦٧/٩) من طريق العوفي ، وهي طريق ضعيفة لضعف العوفي . وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر (٢٥٤/٢) ونسب إخراج له لابن جرير وابن أبي حاتم.

أن الهدى إنما يقال لما لم يقلد ، وإنما يقتضى أن الله نهى عن استحلال الهدى جملة ، ثم ذكر المقلد منه تأكيداً ومبالغة في التبيه على الحرمة في التقليد^(١).

محل الخلاف بين الإمامين هو في فهم كلام ابن عباس ، الذي روي عنه أنه قال فيه ((الهدى ما لم يقلد...)) فالإمام الطبري يرى أن معناه : أن الهدى إنما يكون هدياً ما لم يقلد. فقصر الإمام الطبري الهدى فيما لم يقلد وهذا يلزم عليه أن الهدى إنما يكون لما كان بهذه الصفة فلا يدخل معه غيره ولا يشاركه. وابن عطية يرى أن هذا تحامل على اللفظ المروي عن ابن عباس إذ اللفظ المروي عنه لا يوجد فيه قصر الهدى على ما لم يقلد ، وإنما هو مطلق ، فقد يدخل معه غيره ، مما يوجد فيه صفة الهدى.

وفي نظري أن أبا محمد مصيب فيما قال ؛ لأن اللفظ المروي عن ابن عباس قد جاء خالٍ من أسلوب القصر ، أما لفظ الإمام الطبري الذي نسبه إلى ابن عباس فقد جاء بأسلوب القصر ، وفرق كبير بين العبارتين ، إذ معنى الكلام على ما روي عن ابن عباس ((الهدى ما لم يقلد)) فلم يقصر الهدى على ما كان هذا صفته ، وإنما أخبر مجرد خبر ، كما تقول : ((زيد ناجح)) فلا يلزم أن غيره لم ينجح ، وبناء على هذا فلا يلزم على اللفظ المروي عن ابن عباس في معنى ((الهدى)) أن ((القلاند)) لا تكون هدياً بل هي في الأصل ((هدى)) إلا أنها قلدت فأصبحت تسمى ((قلاند)) بالإضافة إلى أنها ((هدى)) فعلى هذا هي ((هدى)) وهي ((قلاند)) فهي مذكورة مرتين ، فالله نهى عن استحلال الهدى فدخلت القلاند في هذا النهي ؛ لأنها هدى ، ثم ذكرها الله مرة أخرى بقوله : ((ولا القلاند)) وهذا تأكيد ومبالغة في حرمتها كما قال أبو محمد.

ويدل على صحة هذا الفهم ما روي عن ابن عباس في معنى ((القلاند)) أنه قال : ((القلاند مقلدات الهدى)) فهذا يفيد أن القلاند في الأصل هدى.

أما معنى عبارة الإمام الطبري التي نسبها إلى ابن عباس بقوله : ((الهدى إنما يكون هدياً ما لم يقلد)) فمعناها قصر الهدى على ما كانت هذه صفته ، فلا يدخل معه غيره ، كما تقول : ((إنما زيد هو الناجح)) ، فقصرت النجاح على زيد . وبناء على هذا فـ ((القلاند)) لا تدخل في مسمى الهدى . هذا مؤدى اللفظ الذي حكاه الإمام الطبري عن ابن عباس ، وهو لم يقصد رحمه الله تعالى أن يقول ابن عباس

ما لم يقل ، لكن العبارة كان ينقصها شيء من التحرير أدى إلى ما رأيت ، وكفى المرء نبلاً أن تعد معانيه.

ومما يدل على صحة ما أخذ ابن عطية أن أبا حيان قد أورد هذا الاستدراك ، وسكت عليه^(١).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ - : ((... ثم اختلف أهل التأويل في صفة هذه النعمة التي ذكر الله جل ثناؤه أصحاب نبيه ﷺ بها ، وأمرهم بالشكر له عليها...))^(١) ثم ذكر الأقوال إلى أن قال : ((وقال آخرون : بل النعمة التي ذكرها الله في هذه الآية، فأمر المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ بالشكر له عليها : أن اليهود كانت همت بقتل النبي ﷺ في طعام دعوه إليه ، فأعلم الله عز وجل نبيه ﷺ ما هموا به ، فانتهى هو وأصحابه عن إجابتهم إليه ، ذكر من قال ذلك))^(٢) ثم ساق بسنده عن ابن عباس أنه قال : ((وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام ، فأوحى الله إليه بشأنهم ، فلم يأت الطعام ، وأمر أصحابه فلم يأتوه))^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله ما روي عن ابن عباس تحت الترجمة التي وضعها ، إذ أن ما روي عن ابن عباس خلاف ما ترجم به ، فقال : ((وحكى الطبري أن الآية نزلت بسبب قوم من اليهود أرادوا قتل النبي ﷺ في طعام فأشعره الله بذلك . ثم أدخل الطبري تحت هذه الترجمة عن ابن عباس خلاف ما ترجم به من أن قوماً من اليهود صنعوا للنبي ﷺ وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام . قال القاضي أبو محمد : فيشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير المتقدمة))^(٤).

هذا ما فعله الإمام الطبري ، واستدراك القاضي عليه .

فإذا قارنت بين ما يوجد في تفسير الطبري وبين ما نقله عنه ابن عطية رأيت أن ابن عطية قد اختصر ما ذكره الإمام الطبري بعض الاختصار.

(١) تفسير الطبري (١٠/١٠١).

(٢) تفسير الطبري (١٠/١٠٤-١٠٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/١٠٥) من طريق العوفي عن ابن عباس ، وهي طريق ضعيفة عند أهل العلم لضعف العوفي. وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر (٢/٢٦٦) من طريق العوفي ونسب إخراجها لابن جرير وابن أبي حاتم . وقد ذكر الشيخ أحمد أنه في المخطوطة ((وأمر أصحابه فأتوه)) وفي المطبوعة ((فأبوه)).

(٤) المحرر الوجيز (٥/٥٥).

والظاهر من كلام أبي محمد أنه قصر لنا استدراكه على الطبري فيما ذكر لنا من ألفاظه ، فيكون مدار البحث فيما ذكر ابن عطية فحسب^(١).

فإذا تأملت ما ترجم به الإمام الطبري وما أدخله تحت الترجمة ، وذلك من خلال ما نقله ابن عطية عنه ، وجدت أن في الترجمة ما يفيد أن اليهود أرادت قتل النبي ﷺ في الطعام بأن يدسوا له سماً في الطعام أو نحو ذلك ، وهذا ليس في الأثر ، وإنما الذي فيه أن يهود صنعوا الطعام للنبي وأصحابه ليقتلوه إذا أتى الطعام ، وهذا يفيد أن القتل لا يلزم أن يكون بالطعام.

فهذا الذي يظهر أن القاضي ابن عطية استدركه على الإمام الطبري. ولا شك أن الرواية ليس فيها أن اليهود أرادت قتل النبي في الطعام ، وإنما فيها صنعوا له طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام. ولعل الإمام الطبري استجاز أن يذكر ما ذكر في الترجمة ويدخل تحته ما روي عن ابن عباس ؛ لأنه لما كان الطعام وسيلة إلى انجاء برسول الله ﷺ فنال منه يهود ما أرادت صح أن يقال: إن اليهود كانت همت بقتل النبي ﷺ في طعام دعوه إليه.

والقاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - جعل هذا الاستدراك مقدمة لما يجنب إليه من إرجاع هذا القول - الذي ذكره الطبري وأدخل تحته ما روي عن ابن عباس - إلى معنى قول آخر ، وهو ما ذكره بقوله: ((فيشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير المتقدمة)) وهو يعني بقصة بني النضير المتقدمة ما ذكر في كتب التفسير والسير من أن سب نزول قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ... ﴾ الآية أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير في بعض أصحابه يستعينهم في دية رجلين قتلتهما بعض أصحابه فلما كلمهم قالوا نعم يا أبا القاسم انزل حتى نصنع لك طعاماً وننظر في

(١) قلت : هذا لأننا لو استجزنا الخروج عما قصر ابن عطية الخلاف فيه ، لوحدنا أن هناك مخالفة بين آخر الترجمة ، وآخر ما روي عن ابن عباس فقد ذكر عمود شاكر أنه في نسخ الطبري المخطوطة الرواية التي فيها هكذا ((وأمر أصحابه فأتوه)) وذكر أن ذلك مخالف لما جاء في آخر الترجمة من قول الطبري : ((فانتهى هو وأصحابه عن إحابتهم إليه)) وذكر أنه أثبت في الرواية ((وأمر أصحابه فلم يأتوه)) اعتماداً على ما نقله السيوطي ، ولأنه الموافق لترجمة الطبري. انظر تفسير الطبري (١٠/١٠٥) حاشية (١). قلت: وابن عطية لم يرد باستدراكه هذا الموطن من الرواية والترجمة وإنما أراد ما ذكرت في الأصل.

معونتك، فنزل رسول الله ﷺ في ظل جدار فتأمروا بينهم في قتله... وجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ فقام رسول الله ﷺ من المكان وتوجه إلى المدينة ونزلت الآية في ذلك^(١).

فإذا تأملت في الروایتين رأيت أن ظاهر رواية ابن عباس تفيد أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بدعوة منهم بينما في القصة الثانية أن النبي ﷺ ذهب إليهم ليستعينهم في دية القتيلين دون سابق دعوة.

ومن هنا استقام للإمام الطبري أن يجعل كلاً من القصتين قولاً مستقلاً في سبب نزول الآية.

نعم قد يقال: إنه بعد وصول الرسول ﷺ إلى ديارهم رحبوا به ، وأجابوه إلى ما طلب ودعوه إلى طعام هو وأصحابه ومن هنا استقام لابن عطية أن يقول: يشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير، وأنا أجنح إلى ما جنح إليه ابن عطية لأسباب من أهمها:

١- أنه قد روي عن ابن عباس أن سبب نزول الآية ما همت به بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فيشبه أن يكون هذا هو الأصل وأن الرواية التي جعلها الطبري قولاً مستقلاً ترجع إلى هذا القول.

٢- أن جمهور المفسرين - الذين اطلعت على مصنفاتهم - لم يشيروا إلى رواية ابن عباس ، ولم يذكروا من بين الأقوال ما يشير إليها^(٢)، فلعلهم اعتبروها داخلة في قصة بني النضير ، بل إن ابن الجوزي قد جعل الروایتين قولاً واحداً^(٣).

٣- لم تشر كتب السيرة - في حد اطلاعي وعلمي - إلى مثل هذه الحادثة استقلالاً ، وإنما الذي ذكر فيها قصة يهود بني النضير وأن ذلك كان سبب نزول الآية ، فلو كانت هذه الحادثة وقعت مستقلة عن قصة بني النضير لذكرها علماء السيرة لتوفر الدواعي على ذكرها.

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٠٤)، وهذا السبب أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/١٠٢) من طرق منها عن يزيد بن أبي زياد . وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص(٤٢٢، ٤٢٣) من طريق ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس. وأورده الواحدي في أسباب النزول ص(١٩٣) بقوله: وقال مجاهد والكلبي وعكرمة فذكره ، وأورده السيوطي في لباب النقول ص(٢٤١) ونسب إخراجها لابن جرير . وذكر ابن عطية أن هذا السبب في نزول الآية هو قول الجمهور . انظر آخر الوجيز (٥/٥٤).

(٢) انظر معاني القرآن الكريم (٢/٢٧٨)، وبحر العلوم (١/٤٢٠)، والنكت والعيون (٢/١٩)، وأسباب النزول للواحدي ص(١٩٢-١٩٤)، ومعالم التنزيل (٢/١٩)، والكشاف (١/٥٩٩)، وزاد المسير (٢/٣٠٨)، والتفسير الكبير (١١/١٤٤)، وتفسير البيضاوي (١/٢٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (٦/١١١)، وتفسير الخازن (٢/٢٤)، والبحر اخیط (٣/٤٥٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٣٠٧)، وتفسير أبي السعود (٣/١٣)، والفتوحات الإلهية (١/٤٧٠)، وفتح القدير (٢/٢٠)، وروح المعاني (٦/٨٤)، والتحرير والتنوير (٦/١٣٧)، وتفسير كتاب الله العزيز (١/٤٥٥).

(٣) انظر زاد المسير (٢/٣٠٨، ٣٠٩).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ - : ((وأصل (السحت) كلب الجوع ، يقال منه : فلان مسحوت المعدة إذا كان أכולاً لا يلقى أبداً إلا جائعاً ، وإنما قيل للرشوة (السحت) تشبيهاً بذلك ، كأن بالمسترشي من الشره إلى أخذ ما يعطاه من ذلك ، مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشره إلى الطعام ، يقال منه : (سحته وأسحته) ، لغتان محكيتان عن العرب ، ومنه قول الفرزدق بن غالب^(١) :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحاً أو مجلف

يعني به (المسحت) الذي قد استأصله هلاكاً بأكله إياه وإفساده، ومنه قوله تعالى: ﴿ فيسحتكم بعذاب ﴾^(٢) وتقول العرب للحالق: اسحت الشعر أي: استأصله^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أن جعل (كلب الجوع) أصلاً للسحت ، فقال - بعد أن حكى بعض ما تقدم من قول الطبري - : ((وفي عبارة الطبري بعض اضطراب ؛ لأن مسحوت المعدة هو مأخوذ من الاستئصال والذهاب ، وليس كلب الغرث أصلاً للسحت^(٤)).

إذا نظرت في كلام أهل اللغة والمعاني والتفسير تجد أنهم يجعلون أصل (السحت) الاستئصال والهلاك وهذا الأصل تكاد تجمع كلمتهم عليه. قال الزجاج: ((يقال سحته ، وأسحته إذا استأصله، وقال بعضهم: سحته أذهبه قليلاً قليلاً إلى أن استأصله ... ويجوز أن يكون سحته وأسحته إذا استأصله، كان ذلك شيئاً بعد شيء ، أو كان دفعة واحدة^(٥))).

(١) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري ، كان من أشعر أهل زمانه (ت : ١١٠ هـ) انظر السير (٤/٥٩٠)،
وخزانة الأدب (٢١٧/١). والبيت في ديوانه (٧٥/٢)، وفي لسان العرب (١٨٦/٦) ((سحت)) ، وخزانة الأدب
(٢٣٧/١) «ومجلف» هكذا جاء مرئوعاً، وصاعراً من على الفرزدق في ذلك. انظر تفصيل المسألة في فرائد

(٢) سورة طه ، الآية : ٦١ .

(٣) تفسير الطبري (١٠/٣٢٤).

(٤) المحرر الوجيز (٥/١٠٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٧٧).

وقال الفراء: ((وقوله : ﴿ فيسحتكم ﴾^(١) وسحت أكثر وهو الاستئصال ، يستأصلكم بعذاب .
وقال الفرزدق :

وعض زمان يابن مزوان لم يدع
من المال إلا مسحاً أو مجلف

والعرب تقول : سحت وأسحت بمعنى واحد^(٢) .

وقال أبو منصور - بعد أن نقل المعنى المتقدم عن الفراء - : ((أبو عبيد عن الأحمري^(٣) : المسحوت :
الجانح ، وامرأة مسحوتة^(٤))).

وقال ابن قتيبة - عند الآية - : ((... وهو من أسحته الله وسحته إذا أبطله وأهلكه^(٥))).

وقال ابن فارس : ((السين والحاء والتاء أصل صحيح منقاس . يقال : سحت الشيء ، إذا استؤصل .
وأسحت ... ومن الباب رجل مسحوت الجوف إذا كان لا يشبع ، كأن الذي يبلعه يستأصل من جوفه
فلا يبقى ...^(٦))).

ونحو هذا ذكر غيرهم من أهل اللغة والمعاني^(٧) .

وقال الزمخشري : ((السحت : كل ما لا يحل كسبه ، وهو من سحته إذا استأصله ؛ لأنه مسحوت
البركة^(٨))).

وقال القرطبي : ((قوله : ﴿ أكالون للسحت ﴾ على التكثير . والسحت في اللغة : أصله الهلاك
والشدة ... وقال الفراء : أصله كلب الجوع ...^(٩))). ونحو هذا نقل أبو حيان ، وتلميذه السمين^(١٠) .

(١) سورة طه ، الآية : ٦١ .

(٢) معاني القرآن (١٨٢/٢) .

(٣) لعله خلف بن حيان ، أبو محرز المعروف بالأحمري ، عالم بالأدب ، راية (ت : ١٨٠ هـ) . انظر بغية الوعاة (١/٥٥٤) .

(٤) تهذيب اللغة (٢٨٥/٤) ((سحت)).

(٥) تفسير غريب القرآن ص (١٤٣) .

(٦) معجم مقاييس اللغة (١٤٣/٣) ((سحت)).

(٧) انظر مجاز القرآن (٢٠/٢ ، ٢١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٠٩/٢) ، والمفردات ص (٢٢٥) ، ولسان العرب (٦/١٨٦) ،

ومختار الصحاح ص (٢١٨) ، وترتيب القاموس (٥٢٦/٢ ، ٥٢٧) ، والمعجم الوسيط (٤٣٤/١) ((سحت)).

(٨) الكشاف (٦١٤/١) .

(٩) الجامع لأحكام القرآن (٦/١٨٢ ، ١٨٣) .

(١٠) انظر البحر المحيط (٣/٤٩٧) ، والدر المصون (٤/٢٦٨ ، ٢٦٩) .

وبعد: فالذي يظهر - والله أعلم - أن كلب الجوع ناتج عن استئصال ما في الجوف ، كما أن أصل السحت الاستئصال إذاً كلب الجوع والسحت مجتمعان في أصل واحد هو الاستئصال والهلكة، يدل على هذا الاجتماع أن ابن فارس ذكر أن أصل السحت الاستئصال ، ثم قال: ومن الباب رجل مسحوت الجوف إذا كان لا يشبع كأن الذي يبلعه يستأصل من جوفه فلا يبقى. فأرجع معنى مسحوت الجوف إلى أصل السحت وهو الاستئصال وإذا كان الأمر كذلك فما قاله الإمام الطبري فيه بعض اضطراب كما قال أبو محمد.

نعم قد يحتمل ذلك لا سيما وأنه قد نقل عن الفراء ، ويقال في توجيهه : (كلب الجوع) استئصال ما في الجوف ، كما أن السحت الاستئصال ، فجعل الإمام الطبري ما أصله الاستئصال أصلاً للسحت ، وهو قريب ؛ لأن فرع الأصل ، قد ينوب عن أصله . أو تقول : لأن فرع الأصل أصل . والله أعلم.

قال السمين : وعن الفراء : السحت : كلب الجوع . وهو راجع للهلكة^(١).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾))^(١) ثم ذكر الخلاف في معنى قوله: ﴿مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ، وساق بسنده ((عن مجاهد : ﴿ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ محمد ﷺ مؤتمن على القرآن))^(٢).

ثم قال : ((فتأويل الكلام على ما تأوله مجاهد : وأنزلنا الكتاب مصدقاً الكتب قبله إليك، مهيمناً عليه ، فيكون قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حالاً من الكتاب وبعضاً منه ، ويكون التصديق من صفة (الكتاب) و (المهيمن) حالاً من الكاف التي في ﴿إِلَيْكَ﴾ وهي كناية عن ذكر اسم النبي ﷺ ، والهاء في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ عائدة على الكتاب.

وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب ، بل هو خطأ؛ وذلك أن (المهيمن) عطف على (المصدق) فلا يكون إلا من صفة ما كان (المصدق) صفة له ، ولو كان معنى الكلام ما روي عن مجاهد ، لقليل : (وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب مهيمناً عليه) ؛ لأنه لم يتقدم من صفة الكاف التي في ﴿إِلَيْكَ﴾ بعدها شيء يكون ﴿مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ عطفاً عليه. وإنما عطف به على (المصدق)؛ لأنه من صفة ﴿الكتاب﴾ الذي من صفته (المصدق) فإن ظن ظان أن (المصدق) - على قول مجاهد وتأويله هذا - من صفة الكاف التي في ﴿إِلَيْكَ﴾ فإن قوله : ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يبطل أن يكون تأويل ذلك كذلك ، وأن يكون (المصدق) من صفة الكاف التي في ﴿إِلَيْكَ﴾ ؛ لأن الهاء في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كناية اسم غير المخاطب، وهو النبي ﷺ في قوله: ﴿إِلَيْكَ﴾ ، ولو كان (المصدق) من صفة الكاف لكان الكلام : أنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديك من الكتاب ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . فيكون معنى الكلام حينئذ كذلك))^(٣).

(١) تفسير الطبري (٣٧٧/١٠).

(٢) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٣٨١/١٠) من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٣) تفسير الطبري (٣٨١/١٠ ، ٣٨٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري استدراكه على مجاهد فقال - بعد أن حكى قول مجاهد المتقدم - : ((وغلط^(١)) الطبري رحمه الله في هذه اللفظة على مجاهد، فإنه فسر تأويله على قراءة الناس ﴿مهيمناً﴾ بكسر الميم الثانية ، فبعد التأويل . ومجاهد رحمه الله إنما يقرأ هو وابن محيصن^(٢) ﴿ومهيمناً عليه﴾ بفتح الميم الثانية فهو بناء اسم المفعول، وهو حال من الكتاب معطوفة على قوله: ﴿مصدقاً﴾ وعلى هذا يتجه أن المؤمن عليه هو محمد ﷺ و ﴿عليه﴾ في موضع رفع على تقدير أنها مفعول لم يسم فاعله . هذا على قراءة مجاهد . وكذلك مشى مكى رحمه الله ، وتوغل في طريق الطبري في هذا الموضع ... ويحتمل أن يكون ﴿مصدقاً﴾ و ﴿مهيمناً﴾ حالين من الكاف في ﴿إليك﴾ ، ولا يخص ذلك قراءة مجاهد وحده كما زعم مكى^(٣).

موضع الخلاف بين الإمامين في تفسير الإمام مجاهد رحمه الله تعالى لقوله تعالى: ﴿مهيمناً﴾ فالإمام الطبري يرى أن تفسيره لا يستقيم على المفهوم من كلام العرب ؛ لأنه حينئذ يكون ﴿مهيمناً﴾ حالاً من الكاف في ﴿إليك﴾ فيكون المعنى : أنزلنا إليك يا محمد القرآن حال كونك مهيمناً عليه أي مؤتمناً عليه ، وهذا لا يصح لوجود الواو العاطفة لـ ﴿مهيمناً﴾ على ﴿مصدقاً﴾ ومصدقاً لا يصح إلا أن يكون حالاً من ﴿الكتاب﴾ ، إذ لو كان حالاً من الكاف في ﴿إليك﴾ العائدة على الرسول ﷺ لكان المعنى : وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديك من الكتاب ومهيمناً عليه^(٤) . وهذا لا يصح . فتبين أن مصدقاً ومهيمناً حالان من الكتاب والمعنى على ذلك أن الله أنزل القرآن بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ومهيمناً عليها أي وشهيداً عليها أنها حق من عند الله أميناً عليها ، حافظاً لها^(٥).

(١) في الطبعة القطرية ((وغلظ)) بالعين والظاء ، والظاهر أنها بالطاء من غير إعجام ، يدل على ذلك سياق الكلام، وما في الدر المصون (٢٩٠/٤) نقلاً عن المحرر . ^{وهو} استدراك ^{بفتح} في الحالين.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير (ت : ١٢٢٣هـ) انظر غاية النهاية (١٦٧/٢).

(٣) المحرر الوجيز (١١٩/٥ ، ١٢٠).

(٤) هذا الفهم واضح من كلام الطبري . وانظر الدر المصون (٢٨٩/٤) فقد شرح كلام الإمام الطبري بهذا.

(٥) انظر تفسير الطبري (٣٧٧/١٠) فقد ذكر هذا التفسير عندما بدأ الكلام على الآية.

بينما يرى القاضي ابن عطية أن اعتراض الإمام الطبري غير وارد على قراءة مجاهد ، لأن هذا الذي قاله الطبري يصلح على قراءة مهيمناً بكسر الميم الثانية مع حمل المعنى على قول مجاهد ، ومجاهد إنما يقرأ بفتح الميم الثانية ، وإذا كان ذلك كذلك فما قاله في معنى ﴿مهيمناً﴾ واضح لا يرد .

قلت : هذه القراءة - أعني قراءة فتح الميم الثانية - قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد من العشرة^(١) . ثم قراءة مجاهد أوردها بعض أهل العلم ، ومعناها الذي قاله ، دون اعتراض عليها ، أو توجيه لها^(٢) . وأشار الزمخشري إلى توجيهها بقوله : ((وقرى ﴿ومهيمناً عليه﴾ بفتح الميم... والذي هيمن عليه الله عز وجل ، أو الحفاظ في كل بلد ، لو حرف حرف منه ، أو حركة أو سكون لتبه عليه كل أحد ، ولاشأزوا رادين ومنكرين))^(٣) .

وذكر أبو حيان قراءة فتح الميم ووجهها بما قاله الزمخشري وابن عطية ، ثم نص على أن مجاهداً قرأ بفتح الميم وأورد المعنى الذي رواه عنه الطبري ، وذكر ما طعن به الإمام الطبري على قراءة مجاهد ، وأعرض عن استدراك ابن عطية على الطبري فلم يذكره ، وجنح في آخر بحث المسألة إلى تعضيد اعتراض الطبري فقال في ذكر الرواية وما بعدها : ((وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قراءته بالفتح وقال معناه : محمد مؤتمن على القرآن . قال الطبري فعلى هذا يكون ﴿مهيمناً﴾ حالاً من الكاف في ﴿إليك﴾ ، وطعن في هذا القول لوجود الواو في ﴿ومهيمناً﴾ لأنها عطف على ﴿مصدقاً﴾ و ﴿مصدقاً﴾ حال من الكتاب ، لا حال من الكاف إذ لو كان حالاً منها لكان التركيب (لما بين يديك) بكاف الخطاب ، وتأويله على أنه من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة بعيد عن نظم القرآن ، وتقديره : وجعلناك يا محمد مهيمناً عليه أبعد))^(٤) .

وأورد السمين ما قاله الزمخشري وأبو حيان ، واعتراض الطبري على مجاهد واستدراك ابن عطية على الطبري ، وجنح في آخر بحثه إلى تأييد الإمام الطبري بقوله : ((وما قاله أبو محمد ليس فيه ما يرد على

(١) انظر مختصراً في شواذ القرآن ص(٣٢) ، فقد ذكر أن فتح الميم الثانية قراءة مجاهد وابن محيصن ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص (٢٠٠) ، فقد نص الدماطي على أنها قراءة ابن محيصن ، ولم يذكر أن أحداً من القراء العشرة وافقه عليها .

(٢) انظر معاني القرآن الكريم (٣١٨/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢١٠/٦) .

(٣) الكشف (٦١٨/١) .

(٤) البحر المحيط (٥١٣/٣) .

الطبري ، فإن الطبري استشكل كون ﴿مهيمناً﴾ حالاً من الكاف على قراءة مجاهد، وأيضاً فقد قال ابن عطية بعد ذلك : ويحتمل أن يكون ﴿مصدقاً﴾ و﴿مهيمناً﴾ حالين من الكاف في ﴿إليك﴾، ولا يخص ذلك قراءة مجاهد وحده كما زعم مكي . فالناس استشكلوا كونهما حالين من كاف ﴿إليك﴾ لقلق التركيب...»^(١).

قلت : فأبو حيان والسمين لم يريا استدراك ابن عطية وارداً على الإمام الطبري^(٢) ، وأنا أميل إلى عدم وروده أيضاً ؛ وذلك أن الإمام الطبري استشكل هذا المعنى الذي قاله مجاهد ، ويحتمل أن الإمام مجاهد عندما ذكر هذا المعنى بناه على القراءة المتواترة ، ومحتمل أنه بناه على القراءة الشاذة ، والأصل أن المفسر إذا ذكر معاني القرآن فإنما يذكرها على المتواتر المعروف من القراءة، لا على الشاذ ، حتى وإن كان يحفظ قراءة شاذة، قد سُمعت عنه.

ثم هذا المعنى الذي ذكره مجاهد مشكل حتى وإن حمل على القراءة الشاذة ، فإن ﴿مهيمناً﴾ على هذه القراءة إما أن يكون حالاً من الكاف في ﴿إليك﴾ وقد بين الإمام الطبري أن ذلك لا يتجه ، وكذلك السمين الحلبي.

وإما أن يكون حالاً من الكتاب معطوفاً على ﴿مصدقاً﴾ كما هو رأي ابن عطية وفيه عطف اسم المفعول على اسم الفاعل ، فيؤول إلى تصحيح عطف المفعول على الفاعل؟-١-

١

(١) الدر المصون (٤/٢٩٠).

(٢) وأيضاً فقد ذكر ابن عطية أن مكي بن أبي طالب يرى رأي الإمام الطبري في تفسير مجاهد.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل﴾ قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك... وذكر عن أبي جعفر القاري^(١) أنه كان يقرؤه : ﴿وَعَبِدَ الطَّاغُوتِ﴾ ... قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا معنى لها؛ لأن الله تعالى ذكره ، إنما ابتداء الخبر بدم أقوام ، فكان فيما ذمهم به عبادتهم الطاغوت. وأما الخبر عن أن الطاغوت قد عبُد ، فليس من نوع الخبر الذي ابتداء به الآية، ولا من جنس ما ختمها به ، فيكون له وجه يوجه إليه في الصحة))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تضعيفه لهذه القراءة ، فقال - بعد أن حكاها - : ((وضعف الطبري هذه القراءة ، وهي متجهة))^(٣).

هذه القراءة التي ضعفها الإمام الطبري ، واستدرك عليه القاضي ذلك ، قراءة شاذة - وإن كانت منسوبة إلى أحد القراء العشرة - لم أجد من يشتمها في العشر^(٤) ، ووجدت من يذكرها في الشواذ^(٥). وقد بين السمين وجه الضعف في هذه القراءة - بعد أن استدرك على ابن عطية عدم بيان وجه الضعف، ولا توجيه القراءة على حد قوله إنها متجهة - فقال: ((ووجه الضعف أنه تخلو الجملة المعطوفة على الصلة من رابط يربطها بالموصول ؛ إذ ليس في ﴿عَبِدَ الطَّاغُوتِ﴾ ضمير يعود على ﴿من لعنه الله﴾ لو قلت : (أكرمت الذين أهنتم ، وضرب زيد) على أن يكون و (ضرب) عطفاً على (أكرمت) لم يجز فكذلك هذا))^(٦).

وكما أن وجه الضعف الذي أشار إليه الطبري ~~من غير بيان~~ قد بين ، فكذلك بين وجه قول ابن عطية إنها متجهة ، فقال الزمخشري : ((وعبد الطاغوت على البناء للمفعول ، وحذف الراجع بمعنى : وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم))^(٧). وكذلك قال أبو حيان والسمين^(٨).

(١) يزيد بن القعقاع ، أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات ، (ت : ١٢٧هـ). انظر السير (٢٨٧/٥).

(٢) تفسير الطبري (٤٣٩/١٠ ، ٤٤٠ ، ٤٤١).

(٣) الخمر الوجيز (١٤٥/٥).

(٤) انظر المبسوط في القراءات العشر ص (١٨٦)، وإرشاد المبتدئ ص (٢٩٨)، والنشر (٢/٢٥٥).

(٥) انظر مختصراً في شواذ القرآن ص (٣٣)، والمختص (٢١٦/١).

(٦) الدر المصون (٤/٣٣١ ، ٣٣٢).

(٧) الكشف (١/٦٢٦).

(٨) انظر البحر (٣/٥٢٩)، والدر المصون (٤/٣٣٢).

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي وارد على الإمام الطبري ، فهذه القراءة مع شذوذها لها وجه صحيح في العربية بينه العلماء كما تقدم ، وعائد الصلة يصح حذفه ، جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾^(٢) التقدير : خلقت ، وبعثه^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ ويشرب مما تشربون ﴾^(٤) أي منه^(٥) .

ومما يدل على أن هذه القراءة وجهاً قول ابن جني^(٦) - لما جاء إلى توجيه القراءة الشاذة في هذه

الآية - : ((وأما ﴿ عَبْدَ الطَّاعُوتِ ﴾ فظاهر))^(٧) .

(١) سورة المدثر ، الآية : ١١ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٤١ .

(٣) انظر شرح ابن عقيل (١/١٦٠) .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٣٣ .

(٥) انظر شرح ابن عقيل (١/١٦٤) .

(٦) عثمان بن جني أبو الفتح ، العلامة إمام العربية (ت : ٣٩٢هـ) . انظر السير (١٧/١٧) .

(٧) المحتسب (١/٢١٦) . ويعني بقوله : ((فظاهر)) أي : معناها ظاهر .

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله: ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ ... قيل : إنها نزلت في النجاشي^(١) ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه . ذكر من قال ذلك))^(٢).

ثم ساق بسنده ((عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي وفدأ إلى النبي ﷺ فقرأ عليهم النبي ﷺ فأسلموا . قال فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ إلى آخر الآية . قال فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم النجاشي ، فلم يزل مسلماً حتى مات...))^(٣) وأورد أيضاً ((عن مجاهد في قول الله: ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ قال : هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر^(٤) وأصحابه من أرض الحبشة))^(٥).

ثم أورد عن ابن عباس أثراً طويلاً مضمونه أن النبي لما أودى أصحابه بعثهم إلى النجاشي فأرسلت قريش من يردهم فلما سمع النجاشي منهم القرآن بكى هو وأصحابه ولم يردهم إلى قريش^(٦).

ثم قال الطبري : ((وقال آخرون : بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ آمنوا به . ذكر من قال ذلك))^(٧) ثم ساق بسنده ((عن قتادة قوله : ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ فآكتبنا مع الشاهدين ﴾^(٨) أناس من أهل

(١) أصحمة ملك الحبشة ، أسلم ولم يهاجر (توفي في حياة النبي ﷺ) فصلى عليه بالناس صلاة الغائب . انظر السير (٤٢٨/١).

(٢) تفسير الطبري (٤٩٨/١٠ ، ٤٩٩).

(٣) أخرجه في تفسيره (٤٩٩/١٠) من طريق خصيف عن سعيد ، وهو مرسل كما ترى.

(٤) جعفر بن أبي طالب الصحابي المهاجر الشهيد (ت: ٥٨) انظر السير (٢٠٦/١٠).

(٥) أخرجه في تفسيره (٤٩٩/١٠) من طريق ابن أبي شيح.

(٦) أخرجه في تفسيره (٤٩٩/١٠ ، ٥٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة.

(٧) تفسير الطبري (٥٠١/١٠).

(٨) سورة المائدة ، الآية : ٨٣.

الكتاب كانوا على شريعة من الحق لما جاء به عيسى ، يؤمنون به وينتهون إليه . فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ ، صدقوا به وآمنوا به ، وعرفوا الذي جاء به أنه الحق ، فأثنى عليهم ما تسمعون))^(١) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفريقه بين قول من قال : بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ آمنوا به . وقول من قال : عني بذلك القوم الذين كان النجاشي بعثهم إلى رسول الله ﷺ ، فقال : ((وذكر سعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وابن عباس أن هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ليروه ويعرفوا حاله ، فقرأ النبي ﷺ عليهم القرآن فبكروا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي فآمن ، ولم يزل مؤمناً حتى مات فصلى عليه النبي ﷺ ... وقال قتادة: نزلت هذه الآيات في قوم كانوا مؤمنين ثم آمنوا بمحمد عليه السلام . قال القاضي أبو محمد : وفرق الطبري بين هذين القولين وهما واحد))^(٢) .

إذا نظرت في مصنفات التفسير فإنك ترى طائفة من أربابها ينحون عند تفسيرهم لهذه الآية المنحى الذي نحاه الإمام الطبري فيذكرون في قوله تعالى: ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ القولين اللذين ذكرهما الإمام الطبري ومن هؤلاء الماوردي ، وابن الجوزي^(٣) . وطائفة أخرى من المفسرين تكفي بذكر القول الذي جاء عن سعيد بن جبير عند تفسيرها هذه الآية الكريمة ، ومن هؤلاء الواحدي والزمخشري ، والرازي^(٤) .

ففعل الطائفة الأولى يقوي ما فعله الإمام الطبري ، وفعل الطائفة الثانية يستأنس به إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية .

وفي نظري أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد في هذه المسألة فقول قتادة عام يتضمن كل من كان على شريعة عيسى ثم آمن بمحمد ﷺ سواء كان له وفد على الرسول ﷺ أو لم يفد ، وأما قول ابن عباس وسعيد بن جبير فهو خاص لأنه أضاف إلى الصفتين الموجودتين في أولئك

(١) أخرجه في تفسيره (٥٠١/١٠) من طريق سعيد .

(٢) المحرر الوجيز (١٧٠/٥ ، ١٧١) .

(٣) انظر النكت والعيون (٥٨/٢) ، وزاد المسير (٤٠٨/٢) ، وانظر أيضاً معالم التنزيل (٥٧/٢ ، ٥٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/٦ ، ٢٥٧) ، والبحر المحيط (٥/٤) .

(٤) انظر الوسيط (٢١٧/٢) ، والكشاف (٦٣٨/١) ، والتفسير الكبير (٥٦/١٢) .

صفات أخرى هي الوفود إلى رسول الله ﷺ ، أو العلاقة به عن طريق إيواء أصحابه ونحو ذلك من الروابط التي كانت تربط بين الرسول ﷺ وبين نصارى الحبشة الذين آمنوا.

فإن قيل : كل من كان بهذه الصفات داخل في قول قتادة.

قيل: لكن من ذكرهم قتادة ليس فيهم كل هذه الصفات من الوفود والعلاقة بالرسول وأصحابه، ومن شرط جعل القولين قولاً واحداً ألا يوجد فوارق في أحدهما تميزه عن الآخر.

وبعد: فإنك إذا تأملت في عرض الإمام الطبري للقولين وجدته ساق قول سعيد بن جبير ومن معه على أنه سبب لنزول الآية. وساق قول قتادة على أنه تفسير للآية.

وابن عطية ساق القولين على أنهما سبب لنزول الآية ثم أعاد أحدهما إلى الآخر فنظرة الإمام الطبري تختلف عن نظرة ابن عطية .

وواقع الرواية عن قتادة يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري فإن قول قتادة ما هو إلا تفسير للآية، وليس فيه ذكر لسبب النزول^(١).

(١) سبق نقل الرواية قريباً.

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب... ﴾ -
 ((بالغيب ﴾ بمعنى : في الدنيا ، بحيث لا يراه))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الظاهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال:
 ((و﴿ بالغيب ﴾ قال الطبري : معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه ، فهو غائب عنه. والظاهر أن
 المعنى بالغيب من الناس أي في الخلوة ، فمن خاف الله انتهى عن الصيد من ذات نفسه، وقد خفي له لو
 صاد))^(٢).

إذا الإمام الطبري يرى أن بالغيب أي في حال غياب العبد عن ربه في هذه الحياة الدنيا، فإنه لم يره بعد
 ومع ذلك يخاف عقابه ويرجو ثوابه.

أما القاضي ابن عطية فيرى أن قوله : ﴿ بالغيب ﴾ في حال غيابه عن أعين الناس ، يخاف الله تعالى .
 وعلى ^{هذين} القولين فسر علماء التأويل هذه اللفظة الكريمة ، فمنهم من ذهب في تأويلها مذهب الإمام
 الطبري^(٣).

وبعضهم فسرها على نحو ما ذهب إليه القاضي ابن عطية^(٤).

وقد تعرض أبو حيان - رحمه الله تعالى - إلى تفسير الإمام الطبري واستدراك القاضي عليه ولم يعقب
 على ذلك بشيء^(٥).

وأورد ابن عاشور ما قاله ابن عطية بعد أن فسر الآية بنحو ما ذهب إليه الإمام الطبري وعقب على
 ذلك بقوله : ((وهذا ينظر إلى ما بنوا عليه أن الآية نزلت في صيد غشيمهم في سفرهم عام الحديدية
 يغشاهم في رحالهم ، وخيامهم ، أي كانوا متمكنين من أخذه بدون رقيب...))^(٦).

قلت: ما ذكره ابن عاشور بيان وتعليل لتفسير القاضي ابن عطية.

(١) تفسير الطبري (٥٨٤/١٠).

(٢) المحرر الوجيز (١٨٩/٥).

(٣) انظر معالم التنزيل (٦٤/٢)، والوسيط (٢٢٨/٢)، وزاد المسير (٤٢٢/٢) والتفسير الكبير (٧٢/١٢)، والبحر
 (٢٠/٤)، وتفسير الخازن (٩١/٢)، والفتوحات الإلهية (٥٢٤/١).

(٤) انظر التبيان في إعراب القرآن (٤٦٠/١)، وتفسير ابن كثير (٩٩/٢)، وروح المعاني (٢٢/٧).

(٥) انظر البحر المحيط (٢٠/٤).

(٦) التحرير والتنوير (٤١/٧).

وبعد: فالقولان معتبران في تفسير الآية ، وقد قال بكل طائفة من أهل العلم ، وفي نظري أن المعنى الذي ذهب إليه الإمام الطبري هو الظاهر من السياق ، ويؤيده ما ذكره أبو حيان بقوله: ((و﴿بالغيب﴾ في موضع نصب على الحال ، ومعناه : أن الخائف غائب عن رؤية الله تعالى ، ومثله ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾^(١) و ﴿يخشون ربهم بالغيب﴾^(٢) وقال عليه السلام : ((فإن لم تكن تراه فإنه يراك))^(٣) ((٤)).

(١) سورة ق ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٨ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٧/١) ، كتاب الإيمان ، ح (٨) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٤) البحر المحيط (٢٠/٤) .

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ - : ((وأولى المعنيين بقوله: ﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ اليمين ، لا الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره ، لمن هي عنده ، على من هي عليه عند الحكام ، لأننا لا نعلم لله تعالى ذكره حكماً يجب فيه على الشاهد اليمين ، فيكون جائزاً صرف الشهادة في هذا الموضع ، إلى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة . وفي حكم الآية في هذه ، اليمين على ذوي العدل - وعلى من قام مقامهم باليمين بقوله: ﴿تَجَسَّسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ - أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك، من أن (الشهادة) فيه الأيمان ، دون الشهادة التي يقضى بها للمشهدود على المشهود عليه ، وفساد ما خالفه. فإن قال قائل : فهل وجدت في حكم الله تعالى ذكره يمناً تجب على المدعي ، فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع إلى الصحة؟ . فإن قلت : ((لا)) تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأولت ؛ لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان في قوله: ﴿فَإِنْ عَشَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأَنَّ يَاقُوتَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾^(١) هما المدعيين. وإن قلت: بلى . قيل لك : وفي أي حكم لله تعالى ذكره وجدت ذلك؟ قيل : وجدنا ذلك في أكثر المعاني ، وذلك في حكم الرجل يدعي قبل رجل مالا فيقر به المدعى عليه قبله ذلك ، ويدعي قضاءه . فيكون القول قول رب الدين ، والرجل يعرف في يد الرجل السلعة فيزعم المعرف في يده أنه اشتراها من المدعي، أو أن المدعي وهبها له ، وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه. وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى ذكره في هذا الموضع اليمين على المدعيين اللذين عثرا على الخائنين فيما خانا فيه^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الشهادة بمعنى اليمين ، وكذلك استدرك على من قال: إنها بمعنى الحضور ، فقال: ((قوله: ﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ قال قوم : الشهادة هنا بمعنى الحضور ، وقال الطبري: الشهادة بمعنى اليمين وليست بالتي تؤدى. قال القاضي أبو محمد : وهذا كله ضعيف ، والصواب أنها الشهادة التي تحفظ لتؤدى^(٣).

﴿المعنيين﴾ هكذا في جميع النسخ التي اطلعت عليها.

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠٧.

(٢) تفسير الطبري (١١/١٥٧، ١٥٨).

(٣) المحرر الوجيز (٥/٢٢٠).

إذا الإمام الطبري يرى أن الشهادة في هذه الآية الكريمة بمعنى اليمين ، والقاضي ابن عطية يرى أن الشهادة المذكورة على ظاهرها ، وأنها التي تحفظ لتؤدي وأن ما ذهب إليه الإمام الطبري وغيره في معنى الشهادة هنا كله ضعيف .

وهذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك محل خلاف بين أهل العلم ، والأقوال فيها ثلاثة ، وزاد بعضهم قولاً رابعاً ، وهي :

القول الأول : أنها الشهادة بالحقوق عند الحكام .

القول الثاني : أنها بمعنى اليمين .

القول الثالث : أنها شهادة الحضور للوصية^(١) .

القول الرابع : أنها بمعنى الوصية ، هكذا ذكر أبو حيان وعده قولاً رابعاً^(٢) .

والقول الأول هو الذي ذهب إليه القاضي وضعف غيره ، إلا أنه لم يذكر أدلة هذا القول ، وقد ذكرها الجصاص - بعد أن اختار هذا القول - فقال : ((... فأما تأويل من تأولها على اليمين دون الشهادة التي تقام عند الحكام ، فقول مرغوب عنه ، وإن كانت اليمين قد تسمى شهادة في نحو قوله تعالى : ﴿ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ﴾^(٣) لأن الشهادة إذا أطلقت فهي الشهادة المتعارفة كقوله تعالى : ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾^(٤) ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾^(٥) ﴿ ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا ﴾^(٦) ﴿ واستشهدوا ذوي عدل منكم ﴾^(٧) كل ذلك قد عقل به الشهادات ، على الحقوق لا الأيمان ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ شهداء بينكم ﴾ المفهوم فيه الشهادة المتعارفة ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ إذا حضر أحدكم الموت ﴾ ويعد أن يكون المراد : أيمان بينكم إذا حضر أحدكم الموت ؛ لأن حال الموت ليس حالاً للأيمان ، ثم زاد بذلك بياناً بقوله : ﴿ اثنان ذوا عدل منكم أو

(١) انظر النكت والعيون (٧٥/٢) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٧١٨/٢) .

(٢) انظر البحر (٤٤/٤) .

(٣) سورة النور ، الآية : ٦ .

(٤) سورة الطلاق ، الآية : ٢ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٧) سورة الطلاق ، الآية : ٢ .

آخران من غيركم ﴿ يعني - والله أعلم - إن لم يوجد ذوا عدل منكم ، ولا يختلف في حكم اليمين وجود ذوي العدل ، وعدمهم ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ ولا نكتم شهادة الله ﴾ يدل على ذلك أيضاً ؛ لأن اليمين موجودة ظاهرة ، غير مكتومة^(٢) . ثم ذكر يمين الورثة بعد اختلاف الوصيين على مال الميت وإنما الشهادة التي هي اليمين هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾^(٣) ، ثم قوله: ﴿ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ﴾^(٤) يعني به الشهادة على الوصية ، إذ غير جائز أن يقول: أن يأتوا باليمين على وجهها. وقوله تعالى: ﴿ أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم ﴾^(٥) يدل أيضاً على أن الأول شهادة ؛ لأنه ذكر الشهادة واليمين ، كل واحدة بحقيقة لفظها^(٦) .

واستدل للقول الثاني - وهو الذي ذهب إليه الإمام الطبري - بما تقدم نقله من حجج الإمام الطبري.

وأيضاً بقولهم : إن اليمين تسمى شهادة^(٧) ، كما في قوله تعالى: ﴿ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ﴾^(٨) .

وأما أصحاب القول الثالث فقد عللوا ما ذهبوا إليه بأن قالوا : الشهادة في هذه الآية بمعنى الحضور ، كقولك شهدت وصية فلان ، بمعنى حضرت ، قال الله تعالى: ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾^(٩) يريد الحضور^(١٠) .

(*) «وعدمهم» هكذا في النسخة المصحفة المنقولة مننا، ولعل الصواب «وعدمها» .

(١) في نسخة دار إحياء التراث العربي ((مكتوبة)) ، والصواب أنها ((مكتومة)) بالميم بعد الواو ، بدليل ﴿ ولا نكتم شهادة

الله ﴾ فما وقع تحريف من بعض النساخ.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٠٧ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٠٨ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١٠٨ .

(٥) أحكام القرآن للحصاص (٤/١٥٩ ، ١٦٠) .

(٦) انظر أحكام القرآن للكيالفراسي (٣/١١٩) .

(٧) سورة النور ، الآية : ٦ .

(٨) سورة النور ، الآية : ٢ .

(٩) انظر معالم التنزيل (٢/٧٣) .

وأما من قال : إن الشهادة بمعنى الوصية فلعله استدل بأن الشهادة تأتي لعدة معان منها ((الوصية)) قال الألوسي : ((للشهادة معان : الإحضار ، والقضاء ، والحكم ، والحلف ، والعلم، والإيضاء ، والمراد بها هنا الأخير كما نص عليه جماعة من المفسرين))^(١).

وقد أورد الإمام القرطبي قول الإمام الطبري ، وما قاله ابن عطية ، ولم يعقب على ذلك بشيء، وكذلك تابعه الشوكاني^(٢).

وبعد فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه ابن عطية من أن الشهادة هي التي تحفظ لتؤدى هو كما قال وذلك للأسباب التالية:

١- أن المعارف من الشهادة في القرآن والسنة إنما هي الشهادة المعروفة ، كقوله تعالى : ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾^(٣) ، وقوله : ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾^(٤) وقوله : ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾^(٥) ونظائره .

فإن قيل : قد سمي الله أيمان اللعان شهادة في قوله : ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله﴾^(٦) ، وقال : ﴿ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله﴾^(٧) .

قيل : إنما سمي أيمان الزوج شهادة لأنها قائمة مقام البينة ؛ ولذلك ترجم المرأة إذا نكلت، وسمى أيمانها شهادة ، لأنها في مقابلة شهادة الزوج . وأيضاً فإن هذه اليمين خصت من بين الأيمان بلفظ الشهادة بالله ، تأكيداً لشأنها وتعظيماً لخطرها^(٨).

٢- قوة أدلة من قال : إنها الشهادة وكثرتها مما يقدم هذا القول على غيره.

(١) روح المعاني (٤٦/٧).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/٦)، وفتح القدير (٨٦/٢).

(٣) سورة الطلاق ، الآية : ٢ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

(٥) سورة الطلاق ، الآية : ٢ .

(٦) سورة النور ، الآية : ٦ .

(٧) سورة النور ، الآية : ٨ .

(٨) بدائع التفسير (١٢٩/٢ ، ١٣٠).

٣- من قال : إنها الشهادة التي تحفظ لتزودى فقوله يدخل فيه قول من قال : إنها بمعنى الحضور؛ لأن الحضور من لوازم الشهادة غالباً ، فهو يرجع إليها.

وأما من قال : إنها الشهادة بمعنى الوصية ، فيمكن أن يجتمع في القصة التي نزلت بسببها الآيتان ، قال ابن كثير : ((إنهما يكونان شاهدين - وهو ظاهر سياق الآية الكريمة - فإن لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع فيهما الوصفان الوصاية والشهادة كما في قصة تميم الداري^(١) ، وعدي بن بدء^(٢)))^(٣).

٤- أن الله تعالى قال : ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ وهذا اللفظ جاء بعينه في مكان يتفق فيه الجميع أنه لا يكون إلا في الشهادة ، وهو قوله تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾^(٤).

أما ما ذكره الإمام الطبري من إشكال على قول من قال : إنها الشهادة التي تحفظ لتزودى ، فقد أجاب ابن كثير عن ذلك بقوله : ((وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين ، قال : لأننا لا نعلم حكماً يحلف فيه الشاهد . وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة ، وهو حكم مستقل بنفسه ، لا يلزم أن يكون جارياً على قياس جميع الأحكام على أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص ، وقد اغتفر فيه من الأمور ما لم يغتفر في غيره ، فإذا قامت قرينة الريبة حلف هذا الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية الكريمة))^(٥).

(١) تميم بن أوس بن خاجة الفلسطيني الصحابي (ت : ٤٠هـ) انظر السير (٢/٤٤٢).

(٢) عدي بن بدء ، قال بعضهم له صحبة ، وأنكر آخرون ذلك ، وفي بعض الروايات ما يشير إلى أنه مات نصرانياً. انظر الإصابة (٦/٤٠٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/١١٢). والقصة مذكورة في صحيح البخاري - مع الفتح - (٥/٤٠٩ ، ٤١٠)، كتاب الوصايا ، باب قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ ح (٢٧٨٠).

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٥) تفسير ابن كثير (٢/١١٢ ، ١١٣).

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى : عند قوله تعالى : ﴿ قالوا لا علم لنا... ﴾^(١) - :
 ((اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقد عظيم : معنى قولهم : ﴿ لا علم لنا ﴾ : لم يكن ذلك من
 الرسل إنكاراً ، أن يكونوا كانوا عالمين ما علمت أممهم ، ولكنهم ذهلوا عن الجواب ، من هول ذلك
 اليوم ، ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم حقهم بالشهادة على أممهم...^(٢) وقال آخرون : معنى ذلك : لا
 علم لنا إلا ما علمتنا...^(٣) وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا...^(٤)
 وقال آخرون : معنى ذلك ﴿ ماذا أجبتهم ماذا عملوا بعدكم؟ وماذا أحدثوا... ﴾^(٥) قال أبو جعفر :
 وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به بنا ؛ لأنه تعالى ذكره
 أخبر عنهم أنهم قالوا : ﴿ لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ أي : إنك لا يخفى عليك ما عندنا من
 علم ذلك ، ولا غيره من خفي العلوم وحجبتها . فإثما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك علم
 لا يعلمه هو تعالى ذكره ، لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا . وكيف يجوز أن يكون ذلك
 كذلك ، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم ، وأنهم يستشهدون على تبليغهم
 الرسالة شهداء ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس
 ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾^(٦)
 وجعل القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - القول الأول الذي أورده الإمام الطبري هنا من قول
 الإمام الطبري ، وأورد عليه أن بعض السلف قد ضعفوه ، فقال : ((واختلف الناس في معنى قولهم عليهم
 السلام : ﴿ لا علم لنا ﴾ فقال الطبري ذهلوا عن الجواب حول المطلاع . وذكر عن الحسن أنه قال :

(١) والآية بتمامها ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيهم ﴾ ذهلوا عن الجواب حول المطلاع . وذكر عن الحسن أنه قال :

(٢) أسند الإمام الطبري هذا القول إلى مجاهد بن حسن وسنني . انظر تفسيره (٢١٠/١١) . وأخرجه عبد الرزاق في تفسير

القرآن (٢٠١/١) عن الثوري ، عن الأعمش عن مجاهد ، وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره ص(١٠٥) من الطريق

المذكورة . وانظر الدر المنثور (٣٤٤/٢) . ونسب السيوطي إخراجهم إلى غير هؤلاء .

(٣) أسند الإمام الطبري هذا القول إلى مجاهد بن حسن وسنني . انظر تفسيره (٢١١/١١) .

(٤) أسند الإمام الطبري هذا القول إلى ابن عباس بن سيرين عن عبيد بن جراح عن عبيد بن جراح عن عبيد بن جراح عن عبيد بن جراح . انظر تفسيره (٢١١/١١) . وأورده السيوطي

في الدر (٣٤٤/٢) ونسب إخراجهم لابن جراح عن عبيد بن جراح وابن جراح عن عبيد بن جراح . انظر تفسيره (٢١١/١١) .

(٥) أسند الإمام الطبري هذا القول إلى ابن جراح عن عبيد بن جراح . انظر تفسيره (٢١١/١١) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .

(٧) تفسير الطبري (٢١٠/١١-٢١٢) .

لا علم لنا من هول ذلك اليوم^(١)، وعن السدي أنه قال : نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول ، فقالوا : ﴿ لا علم لنا ﴾ ثم نزلوا منزلاً آخر شهدوا على قومهم^(٢).

وعن مجاهد أنه قال : يفزعون فيقولون لا علم لنا^(٣). قال القاضي أبو محمد: وضعف بعض الناس هذا المنزاع بقوله تعالى: ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾^(٤) والأنبياء في أشد أهوال يوم القيامة، وحالة جواز الصراط يقولون: سلم سلم ، وحاهم أعظم ، وفضل الله عليهم أكثر من أن تذهل عقولهم ، حتى يقولوا ما ليس بحق في نفسه . وقال ابن عباس - رضي الله عنه - : معنى الآية: لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا^(٥). قال القاضي أبو محمد : وهذا حسن ، كأن المعنى: لا علم لنا يكفي ، وينتهي إلى الغاية...^(٦)

ومحل الاستدراك في هذه المسألة أن ابن عطية قال: إن الإمام الطبري قال: ((ذهلوا عن الجواب لهول المطلع)) ثم أورد عليه أن بعض الناس ضعف هذا المنزاع ، وابن عطية يرى أنه ضعيف، لأنه لم يرد عليهم ذلك ، وقد استحسّن قول ابن عباس في معنى الآية ، واستصوبه^(٧).

وفي نظري أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري ؛ لأنه إنما حكى قول من قال ذلك، وحكى غيره من الأقوال كما رأيت ثم تعقب بعض تلك الأقوال^(٨) ، واختار القول الذي جاء عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة^(٩) ، وهو القول الذي وصفه القاضي ابن عطية بأنه الأصوب^(١٠).

(١) تقدم أن الإمام الطبري أخرجه عن الحسن.

(٢) تقدم أيضاً أن الإمام الطبري أخرجه ، وهو من طريق أسباط.

(٣) تقدم أن الإمام الطبري أخرجه.

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣ .

(٥) تقدم أن الإمام الطبري أخرجه عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة.

(٦) المحرر الوجيز (٥/٢٢٨ ، ٢٢٩).

(٧) حيث قال : ((وقول ابن عباس أصوب هذه المناحي ؛ لأنه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الأمر إليه...)) انظر المحرر (٥/٢٢٩).

(٨) وهو قول ابن حريج.

(٩) علي بن أبي طلحة مولى بني العباس ، صدوق قد يخطئ (ت: ١٤٣هـ) انظر التقريب رقم (٤٧٥٤).

(١٠) ووصف ابن كثير هذا القول بالحسن ، فقال في تفسيره (٢/١١٥) - بعد أن ذكر أنه اختار الإمام الطبري - : ((ولا شك أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله . أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء فنحن وإن كنا أحبنا وعرفنا من أحبنا ، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره ، لا علم لنا بباطنه ، وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء ، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم فإنك ﴿ أنت علام الغيوب ﴾.

وقد يقال : لعل القاضي اطلع على نسخة من تفسير الإمام الطبري فيها ما نسب إليه . فأقول هذا بعيد
لسيين :

الأول : ترجيح الطبري واختياره لقول ابن عباس ينفي ذلك ؛ إذ كيف يقول : ذهلوا عن الجواب
لهول المطلع . ثم يرجح ما هو خلاف ذلك؟

الثاني : لم أر - فيما اطلعت عليه - من ينسب هذا القول إلى الإمام الطبري ، غير القاضي ابن
عطية .

سورة الأنعام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى : ((القول في تأويل قوله: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ قال أبو جعفر : يقول - تعالى ذكره - : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وأظلم الليل ، وأنار النهار ... فإن قال قائل : فما معنى قوله إذا: ﴿جعل﴾ ؟ قيل: إن العرب تجعلها ظرفاً للخبر والفعل فتقول : (جعلت أفعل كذا) و (جعلت أقوم وأقعد) تدل بقولها (جعلت) على اتصال الفعل، كما تقول: (علقت أفعل كذا) لا أنها في نفسها فعل ، يدل على ذلك قول القائل : (جعلت أقوم) وأنه لا جعل هناك سوى القيام ، وإنما دل بقوله : ((جعلت)) على اتصال الفعل ودوامه ، ومن ذلك قول الشاعر^(١):

وزعمت أنك سوف تسلك فardاً والموت مكتنع طريقي قادر
فاجعل تحلل من يمينك إنما حنث اليمين على الأثيم الفاجر

يقول : (فاجعل تحلل) بمعنى : تحلل شيئاً بعد شيء ، لا أن هناك جعلاً من غير التحليل ، فكذلك كل ((جعل)) في الكلام ، إنما هو دليل على فعل له اتصال ، لا أن له حظاً في معنى الفعل.

فقوله : ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ إنما هو : أظلم ليلهما ، وأنار نهارهما^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿جعل﴾ فقال: ((و﴿جعل﴾ هاهنا بمعنى خلق ، لا يجوز غير ذلك ... وقال الطبري : جعل هذه هي التي تتصرف في طرق الكلام كما تقول: جعلت أفعل كذا ، فكأنه قال : وجعل إظلامها وإنارتها . قال القاضي أبو محمد: وهذا غير جيد ؛ لأن جعل إذا كانت على هذا النحو فلا بد أن يرتبط معها فعل آخر ، كما يرتبط في أفعال المقاربة ، كقولك: كاد زيد يموت ، وجعل زيد يجيء ويذهب . وأما إذا لم يرتبط^(٣) معها فعل فلا يصح أن تكون تلك التي ذكر الطبري^(٤)).

(١) لم أرف على اسم الشاعر ، ولا على من يذكر البيت. وكذلك قال الشيخ محمود. انظر تفسير الطبري (١١/٢٥٠).

حاشية رقم (٢، ٣).

(٢) تفسير الطبري (١١/٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١).

(٣) في النسخة المغربية ((تربط)) والتصويب من النسخة القطرية.

(٤) المحرر الوجيز (٦/٢).

تبين من نص كلام الإمام الطبري ، يرى أن ﴿ جعل ﴾ التي في الآية ليست على حقيقتها فعلاً، وإنما هي دليل على اتصال الفعل ، أو دليل على فعل له اتصال . وأما القاضي فيرى أنها على حقيقتها فعل ، وهي بمعنى خلق.

والذي رأيت في كتب التفسير والمعاني ، والإعراب هو الذي ذكره القاضي أبو محمد ، وهو أنها بمعنى خلق^(١) ، وقد يقولون : بمعنى أحدث وأنشأ وأوجد^(٢).

وما رأيت أحداً - في حد اطلاعي - يذكر المعنى الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، إلا ما كان من أبي حيان ، وتلميذه السمين ، فإنهما قد ذكراه مقروناً بالرد عليه فقال أبو حيان : ((وقول الطبري: ﴿ جعل ﴾ هنا هي التي تتصرف في طرف الكلام ، كما تقول : (جعلت أفعل كذا) فكأنه قال : وجعل إظلامها وإنارتها تخليط ؛ لأن تلك من أفعال المقاربة تدخل على المبتدأ والخبر ، وهذه التي في الآية تعدت إلى مفعول واحد ، فهما متباينان معنى واستعمالاً))^(٣).

وقال السمين : ((وقال الطبري (جعل) هنا هي التي تتصرف في طرف الكلام كما تقول: جعلت أفعل كذا ، فكأنه : وجعل إظلامها وإنارتها . وهذا لا يشبه كلام أهل اللسان))^(٤).

نعم الشيخ محمود شاكر أتى على الإمام الطبري بقوله - بعد أن ذكر نظائر لما قاله الإمام الطبري جاءت في تفسيره - : ((وقد أجاد أبو جعفر العبارة ، عن هذا المعنى ، فقيده وحفظه))^(٥).

وبعد فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد وذلك للأسباب التالية:

(١) انظر مجاز القرآن (١/١٨٥)، وإعراب القرآن (٢/٥٥)، وبحر العلوم (١/٤٧٣)، والوسيط (٢/٢٥١)، ومعالم التنزيل (٢/٨٣)، والبيان في غريب إعراب القرآن (١/٣١٣)، والنكت والعيون (٢/٩٢)، وزاد المسير (٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٦/٣٨٧)، وتفسير أخازن (٢/١١٧)، وغرائب التفسير (١/٣٥٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٣)، وتفسير كتاب الله العزيز (١/٥١٣)، وفتح القدير (٢/٩٨).

(٢) انظر المفردات ص (٩٤)، والكشاف (٢/٣)، والتفسير الكبير (١٢/١٢٥)، وتفسير البيضاوي (١/٣٠١)، وتفسير التنسي (٢/٢)، ونظم الدرر (٧/٤)، وتفسير غرائب القرآن (٧/٩٦)، وتفسير أبي السعود (٣/١٠٤)، وروح المعاني (٧/٨١)، وأرأغب هو الذي جعلها بمعنى أوجد. وكل هذه المعاني [خلق ، أحدث ، أنشأ ، أوجد] تدل على وقوع فعل.

(٣) البحر المحيط (٤/٧٣).

(٤) الدرر المصون (٤/٥٢٣).

(٥) تفسير الطبري (١١/٢٥٠) حاشية رقم (١).

١- لأن قول أهل اللغة ، والمعاني ، والتفسير على أن ﴿جعل﴾ التي في هذه الآية الكريمة ، هي التي بمعنى (خلق) التي تتعدى إلى مفعول واحد^(١) ، ومن هؤلاء أبو جعفر النحاس فإنه قال - عند قوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ - : ((بمعنى خلق ، فإذا كانت ﴿جعل﴾ بمعنى (خلق) لم تتعد إلا إلى مفعول واحد))^(٢).

وقال ابن الأنباري : ((الظلمات ﴿مفعول جعل﴾ وهو يتعدى إلى مفعول واحد بمعنى خلق))^(٣).

وقال الواحدي : ((جعل هاهنا بمعنى خلق ، كقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾^(٤))).^(٥)

وقال السمين : ((جعل هنا تتعدى لمفعول واحد ؛ لأنها بمعنى خلق ، هكذا عبارة النحويين))^(٦).

٢- ولأن ما ذكره الإمام الطبري من أمثلة وشعر لا يتطابق مع ما جاء في الآية الكريمة ، وقد أبان عن هذا الشيء الإمامان ابن عطية وأبو حيان بما لا مزيد عليه فارجع إلى نص كلامهما. أما ثناء الشيخ محمود على الإمام الطبري في أنه حفظ هذا المعنى وقيدته ، فهو كما قال ، إلا أن حمل (جعل) التي في الآية على هذا المعنى لا يصح .

(١) وكذلك على المعاني الأخرى التي تقدم ذكرها ، إنما هي متعدية إلى مفعول واحد.

(٢) إعراب القرآن (٥٥/٢).

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٣١٣/١).

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠.

(٥) الوسيط (٢٥١/٢).

(٦) الدر المنصون (٥٢٣/٤).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : ﴿قل﴾ يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ، ويحثونك على عبادتها : أغير الله فاطر السموات والأرض ، وهو يرزقني وغيري ، ولا يرزقه أحد أتخذ ولياً هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضاً : إنني أمرني ربي ﴿أن أكون أول من أسلم﴾ أول من خضع له بالعبودية ، وتذلل لأمره ونهيه ، وانقاد له من أهل دهري وزماني))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تأويل هذه الآية فقال: ((قال الطبري وغيره : أمر أن يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه إلى عبادة أوثانهم ، فتجيء الآية على هذا جواباً لكلامهم . قال القاضي أبو محمد : وهذا التأويل يحتاج إلى سند في أن هذا نزل جواباً ، وإلا فظاهر الآية لا يتضمنه . والفصيح هو أنه لما قرر معهم أن الله تعالى : له ما في السموات والأرض ، وله ما سكن في الليل والنهار ، وأنه سميع عليم ، أمر أن يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف أغير هذا الذي هذه صفاته أتخذ ولياً ؟ بمعنى أن هذا خطأ لو فعلته بين ، وتعطي قوة الكلام أن من فعله من سائر الناس بين الخطأ))^(٢).

تبين من سياق نص الإمامين أن الإمام الطبري يرى أن الآية أمر لرسول الله ﷺ أن يقول للمشركين الذين يدعونهم إلى عبادة الأوثان ﴿أغير الله أتخذ ولياً﴾ فيكون هذا جواباً عما طلبوه منه.

والقاضي يرى أن الآية لا تتضمن ما ذهب إليه الإمام الطبري وأن تفسيره كذلك يحتاج إلى سند، وأن الفصيح في معناها أن يكون أمراً لرسول الله ﷺ أن يقول لهم ذلك على جهة التوبيخ والتوقيف، بمعنى أنه تعالى لما ذكر من صفاته ما يكون بها مستحقاً لإخلاص العبادة ، أمر الله رسوله أن يقول كيف يحق لي أن أعبد غير من هذه صفاته ، ففي هذا إيقاف لهم على علة إفراد الله بالعبادة ، وتوبيخ لمن عدل عن ذلك.

(١) تفسير الطبري (٢٨٥/١١).

(٢) المحرر الوجيز (١٥/٦).

وقد ذهب أبو حيان إلى ما ذهب إليه القاضي في الاستدراك على الإمام الطبري فقال - بعد أن ذكر نحو المعنى الذي ارتضاه القاضي في تفسير الآية - : ((وقال الطبري وغيره : أمر أن يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه إلى عبادة أوثانهم ، فتجيء الآية على هذا جواباً لكلامهم ... وهذا يحتاج إلى سند في أن سبب نزول هذه الآية هو ما ذكره))^(١).

بينما ذهب ابن عاشور إلى أن ما قاله الإمام الطبري ، وغيره مما يشعر به أسلوب الكلام ، وإن قال ابن عطية ما قال ، ونص كلامه : ((وقد ذكر ابن عطية عن بعض المفسرين أن هذا القول أمر به الرسول ﷺ ليجيب المشركين الذين دعوه إلى عبادة أصنامهم . أي هو مثل ما في قوله تعالى : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾^(٢) وهو لعمرى مما يشعر به أسلوب الكلام ، وإن قال ابن عطية : إن ظاهر الآية لا يتضمنه ، كيف ولا بد للاستئناف من نكتة))^(٣).

هذا وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى حمل الآية على المعنى الذي ذكره الإمام الطبري ، منهم البيهقي وابن الجوزي ، وأبو الليث السمرقندي ، والحازن ، والشوكاني^(٤).

وبعد : فالآية محتملة للمعنيين ، وليس تفسيرها بأحدهما بأولى من الآخر ، فلا ينبغي أن يرد ما قاله الإمام الطبري ؛ لأن القرآن قد دل أن الكفار طلبوا من الرسول ﷺ أن يترك عبادة ربه تبارك وتعالى ، ويعبد الأصنام فقال الله تعالى : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾^(٥).

فإذا كان هذا المعنى مقرراً في القرآن الكريم ، معلوماً ، وكانت هذه الآية شبيهة بتلك لم يكن في ذلك حرج على المفسر إن شاء الله تعالى أن يقول فيها نظير ما قيل في تلك سيما وأن سياق الآية نفسها ، والآية التي بعدها يدلان عليه ، فإن الله قال : ﴿ قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن

(١) البحر المحيط (٤/٩٠).

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٦٤ .

(٣) التحرير والتنوير (٧/١٥٦).

(٤) انظر معالم التنزيل (٢/٨٨)، وزاد المسير (٣/١٠)، وبحر العلوم (١/٤٧٦)، وتفسير الحازن (٢/١٢٢)، وفتح القدير (٢/١٠٤).

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٦٤ . وانظر ما قيل في سبب نزولها تفسير ابن كثير (٤/٦٢)، ولباب النقول في أسباب النزول ص (٧٥٠).

من المشركين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴿١﴾ فهذا - والله أعلم -
 تأسيس للمشركين فيما يرومونه ومحاولونه من ثني النبي ﷺ عن توحيد الله تعالى بالعبادة.
 ومما يدل على أن ما قاله الإمام الطبري مما تحتمله الآية أن جمعاً من المفسرين قد قال به^(٢) ، وأيده ابن
 عاشور بما سمعت ، ويعد في جمع كهؤلاء أن يقتصرُوا في الآية على معنى لا تحتمله.
 أما ما استدل به القاضي ابن عطية بقوله : هذا التأويل يحتاج إلى سند في أن هذا نزل جواباً ، ومتابعة
 أبي حيان له في ذلك . فالجواب عنه أن الإمام الطبري لم يزعم أن هذا سبب نزول الآية الكريمة حتى
 يطالب في ذلك بالسند غاية ما في الأمر أنه رأى أن الآية الكريمة يصح تفسيرها بما ذكر فقال ، وفرق بين
 أن يقول المفسر سبب نزول الآية كذا ، وبين أن يقول : معنى الآية كذا . والله أعلم.

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤ ، ١٥ .

(٢) تقدم ذكر مراجع ذلك.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ - : ((وكانت مجادلتهم رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في هذه الآية، فيما ذكر ... عن ابن عباس قوله : ﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك ﴾ الآية قال : هم المشركون ، يجادلون المسلمين في الدييحة ، يقولون : ((أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون ! وأنتم تتبعون أمر الله تعالى ذكره))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وابن عباس أن ذكرا هذا المثل عند هذه الآية وهما لا يتطابقان ، فقال : ((وقد ذكر الطبري عن ابن عباس أنه مثل من ذلك قولهم : إنكم أيها المتبعون محمداً تأكلون ما قتلتم بذبحكم ، ولا تأكلون ما قتل الله ، ونحو هذا من التخليط الذي لا تركب منه حجة. قال القاضي أبو محمد : وهذا جدال في حكم ، والذي في الآية إنما هو جدال في مدافعة القرآن ، فلا تفسر الآية عندي بأمر الذبح))^(٢).

وقد اعتبرت هذا من تفسير الطبري ، وإن كان في الأصل مروياً عن ابن عباس ، لأن الإمام الطبري يرى هذا القول بدليل أنه قد صدر كلامه بقوله : ((وكانت مجادلتهم رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في هذه الآية فيما ذكر...)) ثم ساق أثر ابن عباس ، ولم يذكر غير هذا القول.

وقد ذكر الماوردي اختلاف أهل العلم في المقصود بمجادلتهم في هذه الآية فقال : ((فيما كانوا يجادلون به النبي ﷺ قولان : أحدهما : أنهم كانوا يجادلونه بما ذكره الله تعالى عنهم ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ قاله الحسن . والثاني : هو قولهم : تأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون ما قتل ربكم . قاله ابن عباس))^(٣).

وذكر أبو حيان ما روي عن ابن عباس ، وعقب على ذلك بقوله : ((وهذا فيه بعد ، وظاهر المجادلة أنه في المسموع الذي هم يستمعون إلى الرسول بسببه وهو القرآن...))^(٤).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٠/١١) من طريق العوفي عن ابن عباس ، وهي طريق لا تقوم بها حجة ؛ لأن العوفي ضعيف.

(٢) المحرر الوجيز (٢٨/٦).

(٣) النكت والعيون (١٠٤/٢).

(٤) البحر المحيط (١٠٢/٤).

وبعد : فاستدراك أبي محمد ابن عطية على تفسير الآية بما روي عن ابن عباس ، هو كما قال ، وذلك

للأسباب التالية:

١- لما ذكره أبو محمد من أن ما ذكر عن ابن عباس جدال في حكم ، والذي في الآية إنما هو جدال

في مدافعة القرآن.

٢- ولأن ظاهر القرآن يدل على أن جداهم وقع بقولهم : ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ ،

ولهذا قال بعض أهل العلم : إن قوله تعالى: ﴿ يقول الذين كفروا ﴾ تفسير لقوله :

﴿ يجادلونك ﴾^(١).

٣- هذا الأثر الذي جعل تفسيراً مجادلتهم لا يثبت عن ابن عباس ، فإنه جاء من طريق العوفي ،

والعوفي ضعيف عند أهل العلم^(٢).

٤- المعروف في كتب التفسير والحديث ، وأسباب النزول أن هذا الذي روي عن ابن عباس إنما

جادل به المشركون في استحلال أكل الميتة ؛ لأنها مما ذبحها الله ، فقد أخرج أبو داود وغيره ، من طريق

عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾^(٣) يقولون ما ذبح الله فلا

تأكلوا وما ذبحتم أنتم فكلوا ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾^(٤).

فلا يبعد أن الراوي عن ابن عباس ظن أن هذا الذي يذكر في أمر الحلال والحرام هنا يصلح أيضاً

هناك، وهذا لا يصلح كما قال ابن عطية فإن هذا جدال في حكم ، والذي في الآية إنما هو جدال في

مدافعة القرآن.

(١) انظر الكشاف (١٢/٢)، وتفسير البيضاوي (٣٠٦/١)، وتفسير النسفي (٨/٢).

(٢) تقدم بيان ذلك عند ترجمته.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (١٠١/٣)، كتاب الأضاحي ، باب في ذبائح أهل الكتاب ، ح(٢٨١٨)، وابن ماجه

(١٠٥٩/٢)، كتاب الذبائح ، باب التسمية عند الذبح ، ح(٣١٧٣)، والحاكم في المستدرک (٢٥٨ ، ٢٥٧/٤)

وصححه، ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في تفسيره (١٧٢/٢) وهذا إسناد صحيح. وانظر أيضاً الصحيح المسند من

أسباب النزول ص(٦٥ ، ٦٦).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءك من نبي المرسلين ﴾ :-
 ((... ولقد جاءك يا محمد من خير ، من كان قبلك من الرسل ، وخبر أمهم وما صنعت بهم - حين
 جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم - أنباء . وترك ذكر أنباء لدلالة ﴿ من ﴾ عليها))^(١).
 واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تقدير فاعل
 ﴿جاءك﴾ ، فقال : ((... وفاعل جاءك مضمرة على ما ذهب إليه الطبري ، والروماني^(٢) ، تقديره : ولقد
 جاءك نبأ ، أو أنباء . قال القاضي أبو محمد : والصواب عندي في المعنى أن يقدر (جاء ، أو بيان))^(٣).
 اختلف أهل العلم في فاعل ﴿جاءك﴾ هل هو ظاهر أو مضمرة - على قولين - وإذا كان مضمراً
 كيف يقدر؟. والأقوال في ذلك على النحو التالي:

١- ذهب أبو الحسن الأخفش أن فاعل ﴿جاءك﴾ ظاهر، وهو ﴿نبأ﴾ و ﴿من﴾ صلة^(٤). وإليه
 ذهب أبو علي الفارسي أيضاً^(٥).

واعترض عليه بأن ﴿من﴾ لا تزداد في الإيجاب ، وإنما تزداد في النفي كقولك : ((ما جاءني من
 أحد))^(٦).

واعترض على هذا القول أيضاً بقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا
 عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾^(٧) فهذا خبر من الله تعالى أنه لم يقصص جميع أنباء الرسل على
 رسولنا ﷺ^(٨).

٢- وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن فاعل ﴿جاءك﴾ مضمرة ثم اختلفوا في تقديره:

(١) تفسير الطبري (٣٣٥/١١).

(٢) علي بن عيسى أبو الحسن الروماني المعتزلي ، العلامة ، النحوي (ت : ٣٨٤هـ). انظر السير (٥٣٣/١٦).

(٣) المحرر الوجيز (٤٢/٦).

(٤) انظر معاني القرآن (٤٨٨/٢).

(٥) انظر المحرر الوجيز (٤٢/٦).

(٦) انظر المحرر الوجيز (٤٢/٦)، والبحر المحيط (١١٨/٤).

(٧) سورة غافر ، الآية : ٧٨.

(٨) انظر البحر المحيط (١١٨/٤).

أ - فمنهم من قال تقديره : (نبا أو أنباء) ، ودل على هذا المضمرة قوله: ﴿ من نبا المرسلين ﴾ وإلى هذا ذهب الإمام الطبري ، والرماني^(١).

ب - ومنهم من قال تقديره : (جلاء أو بيان) وإلى هذا ذهب القاضي ابن عطية^(٢).

ج - ومنهم من قال تقديره : (مجيء من نبا المرسلين) فيكون الفاعل مصدراً ، دل عليه قوله : ﴿ جاءك ﴾^(٣).

د - ومنهم من قال تقديره (هو) وهذا الضمير يعود على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة، أي: ولقد جاءك هذا الخبر من تكذيب أتباع الرسل للرسل ، والصبر والإيذاء إلى أن نصرخوا ، وأن هذا الإخبار هو بعض نبا المرسلين الذين يتأسى بهم ، ذهب إلى هذا أبو حيان^(٤).

وبعد : فالقول الثاني هو المعتمد وهو أن الفاعل مضمرة^(٥) وأما تقدير المضمرة فالظاهر أن الأقوال الأربعة - التي قبلت - معتبرة ، وأينها قول الإمام الطبري والقاضي ابن عطية ، وفي نظري أن تقدير الإمام الطبري أقوى من تقدير القاضي ابن عطية لسببين:

الأول : وجود الدليل على ما قدر ، وهو ذكر الرسل ، لأن من ضرورة الرسول الرسالة ، وهي نبا^(٦).

الثاني: أن ما قدر الإمام الطبري متضمن لما قدر القاضي ابن عطية ، إذ النبا، لا يكون نبا إلا إذا كان جلياً بيناً.

(١) انظر تفسير الإمام الطبري (٣٣٥/١١)، واخره الوجيز (٤٢/٦).

(٢) انظر اخره الوجيز (٤٢/٦).

(٣) انظر غرائب التفسير (٣٥٧/١)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٣٢٠/١)، والبيان في إعراب القرآن (٤٩٢/١).

(٤) انظر البحر اخبيط (١١٨/٤). ولو قال أبو حيان : ((من تكذيب أمم الرسل لرسولهم)) لكان أولى من قوله : ((من تكذيب أتباع الرسل للرسل)).

(٥) وأما القول الأول فبعيد لما أنير حوله من اعتراضات وجيهة .

(٦) انظر التبيان في إعراب القرآن (٤٩٢/١).

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : وأنذر يا محمد ، بالقرآن الذي أنزلناه إليك ، القوم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، علماً منهم بأن ذلك كائن ، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده ، عاملون بما يرضي الله ، دائبون في السعي فيما ينقلدهم في معادهم من عذاب الله... وقيل : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا ﴾ ومعناه ، يعلمون أنهم يحشرون ، فوضعت (المخافة) موضع (العلم) ؛ لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده ، من غير شك منهم في ذلك))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على من فسّر الخوف هنا بالعلم بقوله : ((ويخافون على بابها في الخوف ، أي الذين يخافون ما تحققوه من أن يحشروا ، ويستعدون لذلك ورب متحقق لشيء مخوف وهو بقلّة النظر والحزم لا يخافه ولا يستعد له . قال القاضي أبو محمد : وقال الطبري : وقيل يخافون - هنا - بمعنى يعلمون ، وهذا غير لازم))^(٢).

وجه دخول استدراك ابن عطية على الإمام الطبري ، أن الإمام الطبري أدخل هذا القول في تفسيره ، وعلل له ، وهذا يعطي أنه يقول به ويرضاه .

والقولان اللذان ذكرهما الإمام الطبري في معنى ﴿ يخافون أن يحشروا ﴾ ذكرهما بعض المفسرين في مصنفاتهم^(٣) ، وقد يقتصر بعضهم على المعنى الأول^(٤) ، والبعض الآخر لا يذكر إلا المعنى الثاني^(٥) . وقد قال طائفة من أهل العلم بلغة العرب أن الخوف يأتي بمعنى العلم ، منهم الفراء^(٦) - ولعل الطبري اطلع على هذا المعنى في كتابه معاني القرآن - وابن قتيبة^(٧) ، وابن منظور^(٨) ، وغير هؤلاء^(٩) .

(١) تفسير الطبري (١١/٣٧٣).

(٢) المحرر الوجيز (٦/٥٥٠).

(٣) انظر معالم التنزيل (٢/٩٨)، والجامع لأحكام القرآن (٦/٤٣٠، ٤٣١)، وتفسير الخازن (٢/١٣٥)، وفتح القدير (٢/١١٩).

(٤) انظر الوسيط (٢/٢٧٤)، والتحرير والتنوير (٧/٢٤٤).

(٥) انظر بحر العلوم (١/٤٨٦).

(٦) انظر معاني القرآن (١/٣٣٦).

(٧) انظر تأويل مشكل القرآن ص (١٩١).

(٨) انظر لسان العرب (٤/٢٤٩) ((خوف)).

(٩) انظر ترتيب القاموس المحيط (٢/١٢٨)، والمعجم الوسيط (١/٢٧١) ((خوف)).

وهذا المعنى أيضاً مذكور في كتب الوجوه والنظائر - التي اطلعت عليها - عند هذه الآية الكريمة^(١).
 والمقصود من كل هذا بيان أن الخوف يأتي بمعنى العلم ، فتنفسره في الآية بهذا المعنى ليس ببعيد.
 ومع كل هذا فالقول كما قال القاضي ابن عطية إنه ليس بلازم أن نحمل الخوف في الآية على العلم،
 بل يبقى على ظاهره ؛ وذلك أن الخوف هو توقع مكروه أو فوات محبوب عن أمانة مظنونة ، أو
 معلومة^(٢). وهنا نقول: ليس الخوف المذكور في الآية الكريمة متعلق بذات الحشر ، الذي هو الجمع
 والتوجيه إلى ناحية أرض الحشر، ولكن الخوف متعلق بما يترتب على ذلك الجمع والتوجيه من حصول
 العذاب ؛ لأن المؤمن ، وإن تيقن الحشر ، فلم يتيقن العذاب الذي يخاف منه ، لتجويزه أن يموت على
 الإيمان والعمل الصالح ، وتجويزه ألا يموت على هذه الحالة^(٣).
 فالخاصل أن هذا من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب ، وهذا معروف عند العرب في كلامهم
 ومحاطباتهم .

الجواب الثاني - وإليه يشير كلام القاضي ابن عطية - أن الخوف يتعلق أيضاً بما يتحققه الإنسان
 وليس مقصوراً على ما يتوقعه من حلول مكروه ، أو فوات محبوب.

(١) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص(١٦٥)، ونزهة الأعين النواظر ص(٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) انظر كتاب التعريفات ص(١٠١)، والمفردات ص(١٦١) فما ذكر هنا متزع من مجموع ما قاله.

(٣) انظر التفسير الكبير (١٩٢/١٢).

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سب جماعة من ضعفاء المسلمين قال المشركون له : لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك ... عن خباب^(١) في قول الله تعالى ذكره : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ إلى قوله: ﴿فتكون من الظالمين﴾ قال جاء الأقرع بن حابس التميمي^(٢) ، وعيينة بن حصن الفزاري^(٣) ، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال^(٤) وصهيب^(٥) وعمار^(٦) وخباب ، في أناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جنناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم . قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً . قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا علياً ليكتب . قال : ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بهذه الآية ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾^(٧).

(١) خباب بن الأرت بن حندلة أبو يحيى التميمي ، من نجباء السابقين (ت : ٣٢٧هـ) انظر السير (٢/٣٢٣).

(٢) الأقرع بن حابس بن عقال الجاشعي الدارمي التميمي ، صحابي (ت : ٣٢١هـ). انظر الأعلام (٥/٢).

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، أسلم بعد الفتح ، وقيل : قبل الفتح. انظر الاستيعاب (٩/٩٧)، والإصابة (٧/١٩٥).

(٤) بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله ﷺ ، من السابقين الأولين الذين عبدوا في الله (ت : ٢٠هـ) انظر السير (١/٣٤٧).

(٥) صهيب بن سنان أبو يحيى النمرى ، ويعرف بالرومي ؛ لأنه أقام في الروم مدة ، من كبار السابقين البدرين (ت : ٣٨هـ) انظر السير (٢/١٧).

(٦) عمار بن ياسر بن عامر ، أحد السابقين الأولين ، والأعيان البدرين (ت : ٣٢٧هـ). انظر السير (١/٤٠٦).

(٧) تفسير الطبري (١١/٣٧٤، ٣٧٦) ، والأثر أخرجه الإمام الطبري عن شيخه الحسين بن عمرو العنقزي قال حدثنا أبي قال حدثنا أسباط ، عن السدي عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب . والأثر فيه رجلان : أحدهما أسباط ضعفه بعض أهل العلم ، وبعضهم رجع توثيقه . الثاني : الحسين بن عمرو العنقزي ، قال الذهبي : قال أبو زرعة : كان لا يصدق ، روى عن أبيه . انظر الميزان (١/٥٤٥). والأثر أخرجه أيضاً ابن ماجه (٢/١٣٨٢) ، كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء ، ح (٤١٢٧) من طريق أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، عن عمرو بن محمد العنقزي به . وذكر محمد فؤاد عبد الباقي أن صاحب الزوائد قال : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . سنن ابن ماجه (٢/١٣٨٢). وقال الشيخ الألباني : صحيح . انظر صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٩٧).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على هذه الرواية التي يظهر أن الإمام الطبري يرى القول بها فقال - بعد أن ذكر ما أسند الطبري مختصراً لذلك - : ((وهذا تأويل بعيد في نزول الآية؛ لأن الآية مكية ، وهؤلاء الأشراف لم يقدوا إلا في المدينة . وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم ، ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمدة ، اللهم إلا أن تكون الآية مدنية))^(١).

والعلماء أمام هذا السبب الذي ذكر للآية الكريمة فريقان ، فريق يورده في تفسيره من غير تعقيب عليه^(٢) ، والثاني يورده ويعقب عليه ، وهؤلاء منهم من يحاول أن يجد له مخرجاً ، ومنهم من لا يرى له وجهاً فيرده . فابن عاشور يورد تعقيب ابن عطية ، ويحاول أن يجد لهذه الرواية مخرجاً مع التبيه أن في سند الرواية من لا يسلم من الجرح فيقول : ((ووقع في سنن ابن ماجه^(٣) عن خباب أن قائل ذلك للنبي ﷺ الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، وأن ذلك سبب نزول الآية . وقال ابن عطية وهو بعيد ؛ لأن الآية مكية، وعيينة والأقرع إنما وفدا مع وفد بني تميم بالمدينة سنة الوفود. قلت - القائل ابن عاشور: - ولعل ذلك وقع منهما فأجابهم رسول الله ﷺ بهذه الآية التي نزلت في نظير اقتراحهما . وفي سننه أسباط بن نصر أو نصر ولم يكن بالقوي ، وفيه السدي ضعيف))^(٤).

ونحو ما ذكر القاضي ابن عطية من نقد ذكر أبو حيان ، فقال - بعد أن أورد الرواية - : ((وهذا فيه بعد ؛ لأن الآية مكية ، وهؤلاء الأشراف لم يقدوا إلا بالمدينة))^(٥).

وتعقب الخازن هذه الرواية بعد أن ذكرها وغيرها من الروايات بقوله : ((... إسلام المؤلف قلوبهم بعد الفتح ، وسورة الأنعام مكية ، والصحيح ، ما روي عن ابن مسعود ... في ذلك^(٦) ويعضده حديث

(١) المخر الرجز (٦/٥٦، ٥٧).

(٢) انظر - على سبيل المثال - معالم التنزيل (٢/٩٩)، وزاد المسير (٣/٤٤، ٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (٦/٤٣٢).

(٣) محمد بن يزيد ، الحافظ المحدث المنسّر (ت: ٢٧٣هـ). انظر السير (١٣/٢٧٧).

(٤) التحرير والتنوير (٧/٢٤٦). والسدي عند الحافظ: صدوق ييم. انظر تقريب التهذيب رقم (٤٦٣) وقد تقدمت

ترجمته.

(٥) البحر المحيط (٤/١٣٨).

(٦) يعني بذلك ما ذكر في تفسيره (٢/١٣٧) بقوله : وقال ابن مسعود مر ملاً من فريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء بدلاً من قومك ، هؤلاء الذين من الله عليهم

من بيننا ، أنحن نكون تبعاً هؤلاء اطردهم فلعلك إن طردتهم أن تبعك فنزلت هذه الآية.

سعد بن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي ﷺ اطرده هؤلاء^(١) . يعني ضعفاء المسلمين^(٢) .

وعد الإمام ابن كثير هذه الرواية التي رواها الإمام الطبري وابن ماجه غريبة ، فقال - بعد أن أوردها - : ((وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس ، وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر))^(٣) .

وهذا الذي قاله ابن كثير عن هذا الأثر نقله الشوكاني في تفسيره ، كالمستدل به على غرابة هذا الأثر^(٤) .

وقال الشيخ محمود شاكر - بعد أن أورد تخريج الحديث وما قال ابن كثير - : ((وهذا هو الحق إن شاء الله))^(٥) . يعني بذلك من الحكم على الحديث بالغرابة .

وبعد : فعلى الرغم من أن الأثر الذي أخرجه الإمام الطبري تحت الترجمة التي ذكرها قد صحح نظراً للمتابعة التي تشهد بذلك ، وعلى الرغم مما قيل من اعتذار لهذا القول فإنني أجنح إلى الرأي الآخر الذي يرى أن فيها بعداً ، وذلك للأسباب التالية:

١- أكثر من ذكرت آراءهم يستبعدون هذا ، وواقع التاريخ يشهد ببعده .

٢- أن هذه الرواية تخالف الروايات الكثيرة المتظافرة ، أن سبب نزول الآية كان لمقولة كفار قريش اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا ، ومنها ما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر . فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا . قال: وكنت أنا وابن مسعود ، ورجل من هذيل ، وبلال ، ورجلان لست أسميهما . فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء

(١) سيأتي إن شاء الله تخريجه قريباً .

(٢) تفسير الخازن (١٣٧/٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (١٣٦/٢) .

(٤) انظر فتح القدير (١٢١/٢) .

(٥) تفسير الطبري (٣٧٧/١١) حاشية رقم (١) .

الله أن يقع . فحدّث نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾^(١).

٣- جاء في عدد من الآثار أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة^(٢) ، وهي وإن كان في بعضها ضعف، إلا أن بعضها يشد بعضاً ويقويه ، وهذا يفيد أن هذه الآية مكية ، وأن احتمال القول بمدنيتها بعيد.

وعلى التسليم أن هناك بعض الآيات من هذه السورة مدني فإنني لم أر - في حد اطلاعي - من يعد هذه الآية من ذلك إلا ما كان في هذه الرواية^(٣).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٧٨/٤)، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ح(٢٤١٣).

(٢) انظر تفسير القرآن لعبد الرزاق (٢٠٣/٢)، وجمع الزوائد (١٩/٧ ، ٢٠)، والدر المنثور (٢/٢ ، ٣)، وموسوعة فضائل سور وآيات القرآن (٢٥٧/١) وما بعدها.

(٣) انظر الدر المنثور (٣/٢).

٧- أسند الإمام الطبري عن ابن جريج - عند قوله تعالى: ﴿ قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين ﴾ - أنه قال : ((بلغني في قوله : ﴿ لقضي الأمر ﴾ قال ذبح الموت))^(١).

ثم قال الإمام الطبري : ((وأحسب أن قائل هذا القول ، نزع لقوله : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ﴾^(٢) فإنه روي عن النبي ﷺ في ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر^(٣) . وليس قوله : ﴿ لقضي الأمر بيني وبينكم ﴾ من ذلك في شيء ، وإنما هذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك ، ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه ، مني ومن جميع خلقه))^(٤).

وأشار القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - إلى خلاف قول الإمام الطبري في حمل ما قاله ابن جريج ، فقال - بعد أن ضعف قول من قال إن المراد لذبح الموت - : ((وأسند الطبري هذا القول إلى ابن جريج غير مقيد بهذه السورة ، والظن بابن جريج أنه إنما فسر الذي في يوم الحسرة))^(٥).

الحاصل من هذا أن الإمامين الطبري وابن عطية يتفقان في تضعيف قول من قال: إن معنى ﴿ لقضي الأمر ﴾ أي لذبح الموت ، ويختلفان في الموضع الذي ذكر فيه ابن جريج هذا التفسير فالإمام الطبري يفهم من كلامه أنه يقول بهذا المعنى عند آية الأنعام ، حملاً لها على آية مريم ، وابن عطية يفهم من كلامه أنه إنما فسر آية مريم بهذا المعنى ليس إلا.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٠/١١) من طريق أبي خالدة الأحمري عن ابن جريج . وقال أبو حيان : وما روي عن ابن جريج: من أن المعنى لذبح الموت لا يصح ، ولا له هنا معنى . البحر المحيط (٤/١٤٦).

(٢) سورة مريم ، الآية : ٣٩ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٥/٨) ، وهو الخير الذي جاء فيه أنه يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أبلح فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى في أهل الجنة والنار هل يعرفونه فيقولون: نعم ، هذا الموت ، ثم يؤمر به فيذبح ، قال: فيقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ .

(٤) تفسير الإمام الطبري (٤٠٠/١١ ، ٤٠١).

(٥) المحرر الوجيز (٦٤/٦).

وفي نظري أن ابن جريج قد فسر آية الأنعام بهذا المعنى ، وكلامه واضح في هذا ، فاستدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري . والله أعلم.

نعم كلامه عند آية مريم أصرح من هنا حيث قال : ((يحشر أهل النار حين يذبح الموت ، والفريقان ينظرون فذلك قوله: ﴿إِذْ قَضَى الْأَمْرَ﴾^(١) قال: ذبح الموت ...))^(٢).

(١) سورة مريم ، الآية : ٣٩ .

(٢) تفسير الطبري (٣٤٥/٨) .

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لبيه ﷺ : قل يا محمد ، هؤلاء العادلين بربهم ، الداعين إلى عبادة أوثانهم من الذي ينجيكم ﴿من ظلمات البر﴾ إذا ^{ضللتهم} ظللتهم فيه فتحرتم ، فأظلم عليكم الهدى والحجة ، ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة ، فأظلم عليكم فيه السبيل ، فلا تهتدون له ، غير الله الذي إليه مفرعكم حينئذ بالدعاء ... ونحن ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل))^(١) ثم ساق بسنده من طريق العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية﴾ يقول: إذا أضل الرجل الطريق دعا الله ﴿لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على من فسّر ﴿ظلمات البر والبحر﴾ أنه ضلال الطرق في الظلمات ، أو غير ذلك مما فيه تخصيص ، فقال: ((وحكى الطبري^(٣) في قوله: ﴿ظلمات﴾ أنه ضلال الطرق في الظلمات ونحوه ... قال القاضي أبو محمد : وهذا التخصيص كله لا وجه له ، وإنما هو لفظ عام لأنواع الشدائد في المعنى ، وخص لفظ الظلمات بالذكر لما تقرر في النفوس من هول الظلمة))^(٤).

يظهر أن قول الإمام الطبري ، ينحو منحى من يقول بالحقيقة في ظلمات البر والبحر ، وقول القاضي ابن عطية ينحو منحى من يقول بالمجاز في ظلمات البر والبحر^(٥) ، والأول يذكر بعض أفراد العام لهذه الحقيقة، والثاني: يرى أن هذا تخصيص من غير محخص.

والصواب في هذا - والله أعلم - أننا نحمل ظلمات البر والبحر على الحقيقة ، ونقول: هي عامة في كل ظلمة من ظلمات البر والبحر.

(١) تفسير الطبري (٤١٤/١١).

(٢) أخرجه في تفسيره (٤١٥/١١) من طريق العوفي عن ابن عباس ، وهذا إسناد لا تقوم به حجة لضعف العوفي.

(٣) يبدو أن قوله : ((وحكى)) بمعنى ((وقال)) وحتى وإن كانت على ظاهرها فالطبري يذهب إلى ذلك القول المحكى فاستدراك ابن عطية يشملها.

(٤) المحرر الوجيز (٦٩/٦).

(٥) وهما قولان في معنى ﴿ظلمات البر والبحر﴾ ذكرهما المفسرون . انظر البحر المحيط (١٥٤/٤)، والفتوحات الإلهية

(٤١/٢)، والتحرير والتنوير (٧/٢٨٠، ٢٨١)، وروح المعاني (٧/١٧٩).

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : وَإِذَا رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ ، الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا إِلَيْكَ ، وَوَحِينَا الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ ... ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يقول : فصد عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم ﴿ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ يقول : حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الْاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ مِنْ حَدِيثِهِمْ بَيْنَهُمْ ...^(١)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على قول يرى أن تفسير ابن جرير الطبري يتركب عليه فقال - بعد أن ساق الآية الكريمة - : ((لفظ هذا الخطاب مجرد للنبي ﷺ وحده ، واختلف في معناه ، فقيل : إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه . قال القاضي أبو محمد : وهذا هو الصحيح ؛ لأن علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تشملهم وإياه . وقيل : بل المعنى - أيضاً - إنما أريد به النبي ﷺ وحده ؛ لأن قيامه عن المشركين كان يشق عليهم ، ورفاقه لهم على معارضته ، وإن لم يكن المؤمنون عندهم كذلك ، فأمر النبي ﷺ أن ينايذهم بالقيام عنهم إذا استهزءوا وخاضوا ليتدابروا بذلك ، ويدعوا الخوض والاستهزاء ، وهذا التأويل يتركب على كلام ابن جرير رحمه الله^(٢) .

وجه دخول ما قاله أبو محمد في استدراكاته على الإمام الطبري ، أنه قد جعل الصحيح في خلاف القول الذي يتركب عليه كلام ابن جرير . وفي هذا إشارة إلى أن الطبري يحمل الآية على القول المرجوح.

وإذا تأملت الألفاظ التي ذكرها الإمام الطبري في تفسير الآية وجدتها - كما قال ابن عطية - تتركب على القول الذي يقصر الأمر بالقيام على الرسول ﷺ .

لكن الطبري وإن فسر الآية على حسب الظاهر من اللفظ ، فهذا لا يعني أنه يرى القول الذي صحح

ابن عطية بخلافه ، وذلك لسببين اثنين :

(١) تفسير الطبري (١١/٤٣٦).

(٢) المحرر الوجيز (٦/٧٢).

الأول : قول الإمام الطبري في آخر كلامه: ((وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل))^(١) ثم ساق بسنده جملة من الآثار من بينها ما أخرجه عن السدي أنه قال : ((كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ والقرآن فسبوه واستهزأوا به ، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره))^(٢) فهذا الأثر يتركب على القول الذي وصفه ابن عطية بالصحة ، وقد جعل الطبري هذا الأثر بنحو تفسيره.

الثاني : أن الإمام الطبري لا يخفى عليه أن الخطاب للرسول ﷺ خطاب لأُمَّته ، ما لم يَقم دليل معتبر يفيد الخصوصية ، وإنما الذي دعاه إلى المجيء بتلك الألفاظ التي تتركب مع القول المرجوح هو إرادة موافقة لفظ الآية.

فتبين بهذا أن الإمام الطبري يتفق مع القاضي ابن عطية في أن الخطاب للرسول ﷺ ، ولأُمَّته ، وهذا هو القول الحق الذي دل القرآن الكريم على صحته^(٣) ، في قوله تعالى : ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾^(٤).

(١) تفسير الطبري (٤٣٦/١١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٧/١١) عن السدي من طريق أسباط.

(٣) انظر الجواهر الحسان (٦٣٤/١) فقد استدلل الثعالبي بهذه الآية على دخول المؤمنين مع الرسول ﷺ في الخطاب.

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٠.

١٠ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله : ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : وإن تعدل النفس التي أبسلت بما كسبت ، يعني : ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ يعني : كل فداء . يقال منه : (عدل يعدل) إذا فدى ، (عدلاً) ، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿أو عدل ذلك صياماً﴾^(١) وهو ما عادله من غير نوعه ، وبنحو الذي قلنا في ذلك ؛ قال أهل التأويل ... وقد تأول ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى : وإن تقسط كل قسط لا يقبل منها ، وقال : (إنها التوبة في الحياة). وليس لما قال من ذلك معنى ، وذلك أن كل تائب في الدنيا فإن الله تعالى ذكره يقبل توبته))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري في أن استدراكه على بعض أهل العربية غير لازم ، فقال - بعد أن ذكر أن معنى ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ وإن تعط كل فدية ، وإن عظمت فتجعلها عدلاً لها لا يقبل منها - : ((وحكى الطبري عن قائل أن المعنى : وإن تعدل من العدل المضاد للجور ، ورد عليه وضعفه بالإجماع على أن توبة الكافر مقبولة . قال القاضي أبو محمد: ولا يلزم هذا الرد ؛ لأن الأمر إنما هو يوم القيامة ، ولا تقبل فيه توبة ، ولا عمل ، والقول نص لأبي عبيدة))^(٣). وقد أورد أبو حيان الاستدراك نفسه على الإمام الطبري ولم يشر إلى أنه أخذه من المحرر الوجيز^(٤) ، وأورده الثعالبي وعزاه لابن عطية^(٥).

وقد تأملت في كلام أبي عبيدة ، واستدراك الطبري عليه ، واستدراك القاضي على الإمام الطبري فوجدت استدراك الطبري يسلم له بعضه ، وبعضه لا يسلم ، ووجدت استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري لا يسلم له على حسب الظاهر من نقل الإمام الطبري ، وفهمه ، وبيان ذلك فيما يلي :

١ - نص كلام أبي عبيدة إنما هو : ((إن تقسط كل قسط لا يقبل منها ؛ لأنما التوبة في الحياة))^(٦).

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٥ .

(٢) تفسير الطبري (١١/٤٤٧ ، ٤٤٨) .

(٣) المحرر الوجيز (٦/٧٦) .

(٤) انظر البحر (٤/١٦٠) .

(٥) انظر الجواهر الحسان (١/٦٣٦) .

(٦) مجاز القرآن (١/١٩٥) .

فمعنى كلام أبي عبيدة أن الكافر يوم القيامة لو عدل كل عدل ما قبل الله منه ، لأنما هذا ينفعه لو كان في الحياة الدنيا أما وقد مات فإن التوبة قد انقطعت ، فهو يفهم الآية على أنها في الدار الآخرة وأن العدل هو القسط الذي هو ضد الجور ، وقد أحسن رحمه الله في فهمه الآية على أنها في الدار الآخرة وأنه أصبح هذا العبد في مكان بحيث لا يقبل فيه العمل ، وأما حمله للعدل في الآية على أنه بمعنى القسط فإن العلماء لم يسلموا له بذلك .

فجاء الإمام الطبري ففهم كلامه على أنه يفسر العدل بالقسط ، وأن هذا القسط يقع من العبد في الحياة الدنيا .

ولم يقل أبو عبيدة : إن ذلك في الحياة الدنيا ، وإنما نص عبارته ((لأنما التوبة في الحياة)) وهذا صريح في أن العبد قد انتهى من هذه الدار وأنه يفهم الآية على هذا .

وإنما أتى الإمام الطبري - والله أعلم - من لفظ ((لأنما)) فهو وجدها في بعض النسخ ((لأنها)) بالهاء بعد النون ، وبعد الهاء ألف أو قرأها هكذا^(١) ؛ لأن الميم قد تقرأ في المخطوطات هاء^(٢) .

وجاء القاضي ابن عطية فاستدرك على الإمام الطبري ، ولم ينقل نص كلامه كما هو ، وتابعه من تابعه على ذلك فأهملوا جميعاً أن الإمام الطبري يذكر عن ذلك العالم أنه يفسر الآية على أن العبد لا زال في الحياة الدنيا ، وأنها التوبة في هذه الحياة .

فما قاله الإمام الطبري ضد أبي عبيدة ملزم له في الظاهر^(٣) ، وهو على سبيل التنزل مع الخصم ، فكانه يقول : سلمنا لك أن هذا في الحياة الدنيا ، وأن المقصود التوبة ، فهذا مردود بأن كل تائب في الدنيا يقبل الله توبته .

فالخاص : أن أبا عبيدة لا يلزمه كل ما قيل في الاستدراك عليه ، وأن الإمام الطبري لا يلزمه مما قال ابن عطية شيء . والله أعلم .

(١) يرجح الأول لمكانة الإمام الطبري في الثبوت والتحقيق .

(٢) فإن قيل لماذا لا يكون العكس ، وأنها صحفت في النسخة التي بين يديك من الهاء إلى الميم ((لأنما))؟ قيل: قد يكون ذلك إلا أن عالماً بالعربية كأبي عبيدة يعد كل البعد أن يحمل الآية على الحياة الدنيا ، ومن حقق كتابه - وهو الدكتور فواد سزكين - مشهود له بالتدقيق في تحقيق النصوص والثبوت في قراءتها .

(٣) أعني بالظاهر ، أي حسب النسخة التي اعتمد عليها الطبري في النقل .

١١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُنذِرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ... ﴾ - : ((...)) و ﴿ نُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ﴾ يقول : ونرد إلى أديبارنا ، فترجع القهقري خلفنا ، لم نظفر بمجنتنا . وقد بينا معنى الرد على العقب ، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها رد على عقبيه^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذكره في معنى الرد على العقب ، فقال : ((قال الطبري وغيره : الرد على العقب يستعمل فيمن أمل أمراً فخاب أمله. قال القاضي أبو محمد : وهذا قول قلق^(٢)) وهذا ذكره بعد أن شرح ﴿ نرد على أعقابنا ﴾ بقوله : ((تشبيه ، وذلك أن المردود على العقب هو أن يكون الإنسان يمشي قُدماً ، وهي المشية الجيدة فيرد يمشي القهقري ، وهي المشية الدنية ، فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير إلى شر ، ووقعت في هذه الآية في تمثيل الرجوع من الهدى إلى عبادة الأصنام^(٣))).

لم يبين أبو محمد ما وجه القلق ، ولعله يعني بوجه القلق : أن ما ذكر الإمام الطبري معناه لا يتناسب مع ما في الآية الكريمة ، لأن الذي في الآية ، هو من كان على خير ، فتركه ورجع إلى شر ، والذي يؤمل لم يصل إلى مطلوبه ، حتى يقال : إنه رجع عنه إلى شر . وما ذهب إليه الإمام الطبري ، قاله أبو عبيدة أيضاً^(٤) . وأورده أبو حيان في البحر ، ولم يتعرض له بشيء^(٥) . وقد أورد أبو جعفر النحاس في معنى الآية قولين : الأول : ما ذكره أبو عبيدة ، والإمام الطبري .

والثاني : ذكره عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال : معناه يعقب بالشر بعد الخير...^(٦)

(١) تفسير الطبري (١١/٤٥٠).

(٢) الخزر الوجيز (٦/٧٨).

(٣) المرجع السابق (٦/٧٧ ، ٧٨).

(٤) انظر مجاز القرآن (١/١٩٦).

(٥) انظر البحر (٤/١٦٠).

(٦) انظر معاني القرآن (٢/٤٤٥).

وأكثر من رأيت كلامه في معنى الآية من أهل المعاني والتفسير يتناسب مع القول الذي ذكره محمد ابن يزيد (١).

ولعله هو الظاهر في معنى الآية لما ذكرت سابقاً ، في وجه القلق الذي قاله أبو محمد ؛ ولأن الله تعالى قال: ﴿ بعد إذ هدانا الله ﴾ ، ولما قال أبو محمد في أصل الرد على العقب : أن يكون الإنسان يمشي قدماً، وهي المشية الجيدة ، فيرد يمشي القهقري ، وهي المشية الدنية.

ولا شك أن ما قاله الإمام الطبري ومن معه ليس ببعيد من المعنى الثاني ، لأن من يؤمل خيراً ثم يتبين له خلاف ما كان يؤمل قد يصدق عليه أنه مردود على عقبيه ، ^{لكنه} ~~بإسئ~~ هذا المثل ^{لعله} إلا يساوي ما أراده الله في الآية الكريمة ، ومن هنا - والله أعلم - يتجه قول أبي محمد : ((وهذا قول قلق)).

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٦٢)، وبحر العلوم (١/٤٩٣)، والوسيط (٢/٢٨٧)، ومعالم التنزيل (٢/١٠٦)، وزاد المسير (٢/٦٦)، والكشاف (٢/٢٨)، والتفسير الكبير (١٣/٢٥)، وتفسير البيضاوي (١/٣١٦)، وتفسير الخازن (٢/١٤٦)، وتفسير النسفي (٢/١٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٣)، وغرائب القرآن (٧/١٦٧)، وتفسير ابن كثير (٢/١٤٦)، ونظم الدرر (٧/١٥١)، وتفسير أبي السعود (٣/١٤٩)، والفتوحات الإلهية (٢/٤٦)، وروح المعاني (٨/١٨٨)، والتحرير والتنوير (٧/٣٠٠)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٣٥)، وتفسير كتاب الله العزيز (١/٥٣٦).

١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر ﴾ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنيه محمد ﷺ : واذكر يا محمد - لحجاجك الذي تحاج به قومك ، وخصومتك إياهم في آنتهم ، وما تراجعهم فيها ، مما تلقى إليك ونعلمك من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون ، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين ، وحقيقة ما أنت به عليهم محتج - حجاج إبراهيم خليلي قومه ، ومراجعتهم إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان ، وانقطاعه إلى الله ، والرضى به ولياً وناصرأ دون الأصنام ، فاتخذة إماماً واقتد به ، واجعل سيرته في قومه لنفسك مثلاً إذ قال لأبيه مفارقاً لدينه ، وعائياً عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذكره من العلاقة بين قصة الخليلين مع قومهما ، وأن لبنينا قدوة في أبيه إبراهيم فقال - بعد أن ذكر أن العامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمّر - : ((قال الطبري نبه الله تعالى محمداً ﷺ على الاقتداء بإبراهيم في محاجته قومه إذ كانوا أهل أصنام، وكان قوم محمد أهل أصنام . قال القاضي أبو محمد : وليس يلزم هذا من لفظ الآية، أما إن جميع ما يجيء من مثل هذا عرضة للاقتداء))^(٢).

حاصل كلام الإمام الطبري في تفسير الآية يفيد أن هذه الآية توجه الرسول ﷺ إلى الاقتداء بأبيه إبراهيم في محاجة المشركين الذين يعبدون الأصنام ، وأن الآية دلت عليها بلفظها ، ولذلك قال: ((واذكر يا محمد لحجاجك الذي تحاج ...)).

وأبو محمد : لا يرى أن الآية تدل على هذا المعنى بلفظها ، لكن يؤخذ ذلك من سياق القصة ، وكل ما كان من هذا الباب عرضة لأن يقتدي به الرسول ﷺ.

والثعالبي أورد ما حكاه ابن عطية عن الطبري ، وأعرض عن إيراد استدراك ابن عطية عليه^(٣). وفي هذا دلالة على أنه أخذ بقول الطبري ، ولا يرى استدراك القاضي وارداً عليه . وقد ذكر بعض المفسرين

(١) تفسير الطبري (٤٦٥/١١).

(٢) المخرر الوجيز (٨٥/٦).

(٣) انظر الجواهر الحسان (٦٣٨/١).

أن إيراد هذه القصة حجة على المشركين عساهم أن يرجعوا عن عبادة الأصنام ؛ لأن من يقرون بفضله ينكر عبادتها ؛ لأنها لا تضر ولا تنفع^(١).

ونبه أبو حيان أن في هذه القصة التنبيه على اقتفاء من سلف من صالحى الآباء والأجداد^(٢). وهذا نحو ما قاله الطبري.

ولا شك أن ما ذهب إليه الإمام الطبري في توجيه الآية جيد دل عليه قول الله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾^(٣).

لكن لا يؤخذ هذا من لفظ الآية ، كما أخذ الاقتداء به في البراءة من الشرك وأهله في قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾^(٤).

(١) انظر التفسير الكبير (٢٩/١٣)، والبحر (١٦٨/٤).

(٢) انظر البحر (١٦٨/٤).

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٩٠.

(٤) سورة الممتحنة ، الآية : ٤.

١٣- أورد الإمام الطبري اختلاف أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ إلى أن قال : ((وقال آخرون منهم: إن معنى الكلام: أهدأ ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ ، أي: ليس هذا ربي . وقالوا قد تفعل العرب مثل ذلك فتحذف الألف التي تدل على معنى الاستفهام . وزعموا أن من ذلك قول الشاعر^(١):

رفوني وقالوا : يا خويلد لا ترع
فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يعني : أنهم هم ؟ قالوا : ومن ذلك قول أوس^(٢):

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً
شعيت بن سهم أم شعيت بن منقر

بمعنى : أشعيت بن سهم؟ فحذف الألف، ونظائر ذلك^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الاستشهاد بالبيت الأول على هذا القول ؛ لأنه لا حجة فيه فقال: ((وحكى الطبري هذا عن فرقة ، وقالت إنه استفهم على جهة التوقيف بغير ألف ، قال : وهذا كقول الشاعر:

رفوني وقالوا : يا خويلد لم ترع
فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يريد أنهم هم^(٤) ثم أورد البيت الثاني ثم قال: ((والبيت الأول لا حجة فيه عندي^(٥)).

إذا تأملت نص الإمام الطبري في تفسيره وعبارة القاضي عنه وجدت بينهما فرقاً ، فالطبري في تفسيره ينسب الاستدلال بالبيت إلى الذين قالوا ذلك القول ، ويصدره بكلمة ((زعموا)) والقاضي جاء بعبارة تدل على أن الطبري هو الذي استشهد لهذا القول بهذا البيت ، وليس الأمر كذلك كما رأيت.

فالظاهر من كلام الإمام الطبري أنه يتفق مع ابن عطية أنه لا حجة في البيت ، وذلك لما يلي:

(١) خويلد بن مرة أبو خراش الهذلي ، أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه (ت : نحو ١٥ هـ) انظر خزنة الأدب (٤٤٣/١) ، والأعلام (٣٢٥/٢) ، والبيت في ديوان الهذليين (١٤٤/٢) ، ولسان العرب (٢٦٣/٥) ((رفأ)) ، وخزنة الأدب (٤٤٠/١) . ومعنى رفوني سكنوني ، يقال: رفوت الرجل إذا سكنته . انظر لسان العرب (٢٦٢/٥) ((رفأ)).
(٢) أوس بن حجر بن مالك التميمي ، عمر طويلاً ولم يدرك الإسلام ، من أكبر شعراء عجم . انظر خزنة الأدب (٣٧٩/٤) ، والأعلام (٣١/٢) ، والبيت في كتاب سيبويه (١٧٥/٣) ، وخزنة الأدب (١٣١/١١) وهو عند الأول منسوب إلى الأسود بن يعفر، وفي الثاني باختلاف عما هنا . وهو في معني اللبيب أيضاً (٤٢/١) من غير نسبة.

(٣) تفسير الطبري (٤٨٤/١١).

(٤) الخرز الوحيز (٨٩/٦).

(٥) المصدر نفسه (٩٠/٦).

- ١- أنه قال : ((وزعموا أن من ذلك قول الشاعر)) وهذا إشارة منه أنه لا حجة في البيت.
- ٢- لما جاء إلى ذكر البيت الذي لا جدال أن همزة الاستفهام مقدرة فيه قال : ((قالوا: ومن ذلك قول أوس))^(١).
- ولا يخفى ما بين هذين الأسلوبين من الاختلاف ، مما يدل على أنه غير مقتنع باحتجاجهم ببيت الهذلي.
- ٣- الإمام الطبري لا يرى صحة القول الذي استشهد بالبيت عليه ، بل يرجح في آخر بحثه ما هو خلافه فيقول : ((وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: ﴿لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾^(٢) الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم ، وأن الصواب من القول في ذلك الإقرار بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه ، والإعراض عما عداه))^(٣).
- إذا تبين هذا فالبيت الذي قال ابن عطية إنه لا حجة فيه محل خلاف بين أهل الأدب والنحو.
- فمنهم من يرى أنه لا شاهد فيه ، قال شارح ديوان الهذليين - الذي ورد البيت فيه - : ((ليس هذا باستفهام (هم هم) أي: هم الذين كنت أخاف))^(٤).
- وإبن قتيبة يرى أن معنى (هم هم) أي: هم الذين أخاف^(٥).
- والبغدادي يذهب إلى هذا الرأي فيقول - في شرح محل الشاهد - : ((أي هم الذين يطردونني ويطلبون دمي))^(٦).
- وكذلك ابن جني قال : ((وهم هم ، أي: هم الذين أعرفهم بالشر والنكر لم يستحيلوا ولم يتغيروا))^(٧).
- وإلى هذا - أيضاً - ذهب ابن منظور^(٧).

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٧ .

(٢) تفسير الطبري (٤٨٥/١١) ومقصوده من هذا أن ما ذكره الله عن إبراهيم كان نظراً ، لا مناظرة .

(٣) ديوان الهذليين (١٤٤/٢) .

(٤) انظر المعاني الكبير (٩٠٢/٢) .

(٥) خزانة الأدب (٤٤٠/١) .

(٦) الخصائص (٣٣٨/٣) .

(٧) انظر لسان العرب (٨/١٥) ((ها)) .

ومن أهل الأدب والنحو من يرى أن في البيت شاهداً كابن فارس ، فإنه قال : ((وربما حذف العرب ألف الاستفهام . من ذلك قول الهذلي :

فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

رفوني وقالوا : يا خويلد لم ترع

أراد : أهم.؟))^(١).

وقال صاحب المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية - بعد أن أورد البيت وذكر أماكن وجوده - : ((والشاهد فيه قوله : ((هم هم)) يريد : أهم هم ، فحذف همزة الاستفهام))^(٢). وبعد : فالبيت محتمل للقولين ويؤيد مذهب الفريق الأول أن الشاعر كان يتوقع ويتخوف خروج هؤلاء القوم الذي يعرف قبيلتهم وما يريدون به^(٣) ؛ فلما رآهم قال : (هم هم) على جهة الإخبار لنفسه ومن معه.

ويؤيد مذهب الفريق الثاني قول الشاعر ((وأنكرت الوجوه)) فإنكاره لوجوههم يفيد أنه لم يعرف هل هم الأعداء أم غيرهم فهو مستفهم لا مخبر.

(١) الصاحبي ص(٢٩٦).

(٢) المعجم المفصل (٨٧٣/٢).

(٣) انظر خزانة الأدب (١/٤٤٠ ، ٤٤١) ترى أن قصة إنشاد الشاعر للبيت ترشد إلى هذا.

١٤ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله : ﴿وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه﴾ قال أبو جعفر: وأخرجنا أيضاً جنات من أعناب يعني: بساتين من أعناب واختلف القراءة في قراءة ذلك ، فقراه عامة القراءة: ﴿وجناتٍ﴾ نصباً ، غير أن التاء كسرت ؛ لأنها تاء جمع المؤنث وهي تخفض^(١)).

ثم ساق يسنده ((عن الأعمش أنه قرأ ﴿وجناتٍ من أعناب﴾ بالرفع ، فرفع جنات على إبتاعها ((القنوان)) في الإعراب ، وإن لم تكن من جنسها ، كما قال الشاعر^(٢):

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجيز أن يقرأ ذلك إلا بها النصب : ﴿وجناتٍ من أعناب﴾ لإجماع الحجة من القراءة على تصويبها ، والقراءة بها ، ورفضهم ما عداها ، ويبعد معنى ذلك من الصواب إذا قرئ رفعاً^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري توجيه قراءة ﴿جناتٍ﴾ بالرفع عطفاً على قنوان بأنها ضعيفة فقال: ((وقرأ الأعمش ... ﴿وجناتٍ﴾ بالرفع على تقدير ولكم جنات أو نحو هذا. وقال الطبري : هو عطف على قنوان . قال القاضي أبو محمد: وقوله ضعيف^(٤)).

والكلام على هذه المسألة من وجوه:

الوجه الأول : قراءة الرفع في ﴿جناتٍ﴾ قراءة شاذة^(٥).

(١) تفسير الطبري (٥٧٧/١١).
 (٢) عبد الله بن الزبيرى السهمي القرشي ، أسلم في فتح مكة (ت : ١٥ هـ) انظر الإصابة (٨١/٦)، والأعلام (٨٧/٤).
 والبيت نسبته إلى ابن الزبيرى في الكامل (٤٣٢/١)، وهو في الخصائص (٤٣١/٢)، وشرح المفصل (٥٠/٢)، ولسان العرب (٢٠/٦) (زجج)، وخزانة الأدب (٢٣١/٢). وعند هؤلاء جميعاً ((يا ليت زوجك)). والشاهد في هذا البيت - في كتب النحو - في قوله : ((ورمحا)) حيث نصبه بعامل محذوف تقديره : معتقلاً؛ لأنه لا يجوز القول: تقلد الرمح، ويجوز تضمين ((متقلداً)) معنى ((حاملاً)) حين ذلك يصح تسليطه على ((رمحاً)). انظر المعجم في شواهد النحو الشعرية (١٦٢/١).

(٣) تفسير الطبري (٥٧٧/١١).

(٤) المحرر الوجيز (١١٨/٦ ، ١١٩).

(٥) انظر مختصراً في شواذ القراءات ص (٣٩) ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص (٤٦).

الوجه الثاني : لعل وجه تضعيف القاضي لقول الإمام الطبري ما نقله أبو جعفر النحاس عن أبي حاتم

أنه قال : هي محال ؛ لأن الجنات لا تكون من النخل^(١).

أو ما قاله أبو البقاء العكبري : ولا يجوز أن يكون معطوفاً على قنوان ؛ لأن العنب لا يخرج من

النخل^(٢).

الوجه الثالث : في إعراب ﴿جنات﴾ قولان^(٣) :

أحدهما : مرفوعة بالابتداء ، والخبر محذوف ، في تقديره أقوال منها ما ذكره القاضي بقوله : (ولكم

جنات) وقيل : من الكرم جنات^(٤) ، وقيل : ولهم جنات^(٥) ، وقيل : وثم جنات^(٦) ، وهذا كله الخير فيه

متقدم.

قال النحاس - بعد أن قدر الخير (ولهم جنات) - : وأجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والقراء^(٧).

وقدّر أيضاً الخبر متأخراً ، وقيل في تقديره : وجنات من أعناب أخرجناها^(٨).

الثاني : أن ﴿جنات﴾ مرفوعة عطفاً على ﴿قنوان﴾ وقد اختلف أهل العلم في قبول عطفه على

﴿قنوان﴾.

فمنهم من رأى ذلك جائزاً ، وعلى رأس هؤلاء الإمام الطبري ، واحتج له بالبيت الذي تقدم ذكره

ووجه الحجة فيه على رأي الإمام الطبري أن الرمح ليس من جنس السيف وقد عطف عليه ، فكذلك

جنات الأعناب ليست من جنس قنوان النخل ومع ذلك يجوز عطفها عليه.

وكذلك القراء يرى جواز هذا القول حيث قال : ((ولو رفعت الجنات تتبع القنوان كان صواباً))^(٩).

(١) انظر إعراب القرآن (٨٦/٢).

(٢) انظر التبيان (٥٢٥/١).

(٣) قد ترى في بعض المراجع: ثلاثة أقوال، وإنما هي في الحقيقة قولان. كما ذكر الزنجشيري. انظر الكشاف (٣٩/٢، ٤٠).

(٤) انظر التبيان (٥٢٥/١).

(٥) انظر إعراب القرآن (٨٦/٢).

(٦) انظر الكشاف (٣٩/٢، ٤٠).

(٧) إعراب القرآن (٨٦/٢).

(٨) انظر الدر المصون (٧٦/٥).

(٩) معاني القرآن (٣٤٧/١).

وكذلك أعربه أبو منصور الأزهري^(١).

وانتصر محمود بن حمزة الكرمانى لأصحاب هذا القول فقال: ((وقول من قال: ((لا وجه للرفع؛ لأنه لا يكون من النخل جنات فكلام لا طائل تحته))^(٢).

وهذا الوجه قبله الزمخشري مع تقدير مناسب ليستقيم المعنى فقال: ((والثاني: أن يعطف على قنوان على معنى: وحاصله، أو مخرجه من النخل قنوان - وجنات من أعناب - أي من نبات أعناب))^(٣).

وكذلك فعل أبو حيان، ومن كلامه في ذلك ((... وهذا العطف على أن لا يلاحظ فيه قيد ﴿من النخل﴾ ... كما تقول: من بني تميم رجل عاقل، ورجل من قريش منطلقان))^(٤).

وفريق ثان لم ير هذا القول، أو رأى أنه ضعيف لا ينبغي أن تحمل عليه هذه القراءة، وقد تقدم النقل عن بعض هؤلاء عند بيان وجه تضعيف القاضي ما ذهب إليه الإمام الطبري، وعلّة عدم جواز هذا القول عند هؤلاء هو ما تقدم - أيضاً - من أن الجنات إنما تكون من الأعناب، لا من النخل.

قال الإمام مكّي بن أبي طالب: ((... ولا يجوز عطفه على ﴿قنوان﴾ لأن الجنات لا تكون من النخل))^(٥).

وقال ابن الأنباري: ((... وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿قنوان دانية﴾ وأنكره قوم، وقالوا:

لا يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿قنوان﴾؛ لأن الجنات لا تكون من النخل))^(٦).

وبعد: فالقول الواضح في إعراب ﴿جنات﴾ على قراءة الرفع أن تكون مرفوعة على الابتداء كما ذكر القاضي ومن معه، إلا أن القول الآخر الذي ذهب إليه الإمام الطبري يصح أيضاً لكن لا بد من مقدر مناسب ليستقيم المعنى وإلى هذا ذهب أبو حيان والزمخشري، كما تقدم.

ولعل القاضي لو ظهر له هذا التقدير الذي ذكره الزمخشري ما ضعف هذا القول الذي ذهب إليه

الإمام الطبري، قال السمين: ((وقد ذكر الطبري... عطفها على ﴿قنوان﴾ وضعفه ابن عطية،

كأنه لم يظهر له ما ظهر لأبي القاسم من المعنى المشار إليه))^(٧).

(١) انظر علل القراءات (١/١٩٣، ١٩٤).

(٢) غرائب التفسير (١/٣٧٧).

(٣) الكشاف (٢/٤٠).

(٤) البحر (٤/١٩٤).

(٥) مشكل إعراب القرآن (١/٢٦٤).

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن (١/٣٣٣).

(٧) الدر المصون (٥/٧٧) ويريد بالمعنى المشار إليه، هو ما ذكره الزمخشري من مقدر مناسب يستقيم المعنى عليه.

١٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدركه الأبصار ﴾ فقال بعضهم : معناه : لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها... واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم هذا ، بأن قالوا : إن الله قال : ﴿ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت ﴾^(١) قالوا : فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ، ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً . قالوا : فمعنى قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ بمعنى لا تراه بعيد^(٢) ؛ لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه كما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل أصحاب موسى ﴿ لموسى حين قرب منهم أصحاب فرعون : ﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾^(٣) لأن الله قد كان وعد نبيه موسى ﴿ أنهم لا يدركون لقوله : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾^(٤) قالوا : فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ، ويدركه ولا يراه ، فكان معلوماً بذلك أن قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ من معنى لا تراه الأبصار بمعزل ، وأن معنى ذلك : لا تحيط به الأبصار ؛ لأن الإحاطة به غير جائزة^(٥))).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من الاستدلال بآية الشعراء على التفريق بين الرؤية والإدراك ، فقال - بعد أن ذكر أن أهل السنة يشنون الرؤية ويحملون - **أي عدم الرؤية -** آية الأنعام على نفي الإحاطة ، أو أن ذلك مخصوص بالدنيا - ((وأما الطبري - رحمه الله - ففرق بين الرؤية والإدراك ، واحتج بقول بني إسرائيل: ﴿ إنا لمدركون ﴾^(١) فقال: إنهم رأوهم ولم يدركوهم.

(١) سورة يونس ، الآية : ٩٠ .

(٢) ((بعيد)) هكذا في جميع النسخ التي رقت عليها من تفسير الطبري ولعله «بعين» .

(٣) سورة الشعراء ، الآية : ٦١ .

(٤) سورة طه ، الآية : ٧٧ .

(٥) تفسير الطبري (١٢/١٣ ، ١٤ ، ١٥) .

(٦) سورة الشعراء ، الآية : ٦١ .

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه : وهذا كله خطأ ؛ لأن هذا الإدراك ليس بإدراك البصر، بل هو مستعار منه ، أو باشتراك^(١).

تحرير محل الاستدراك : أن الإمام الطبري يجعل الرؤية شيئاً والإدراك شيئاً ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾^(٢) فأخبر الله أن الجمعين رأى بعضهم بعضاً، لكن لم يدرك الأعداء قوم موسى^{عليه السلام} بدليل أن الله تعالى قد قال في آية أخرى : ﴿ لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾^(٣).

ويجعل الإمام الطبري هذا دليلاً له على أن نفي الإدراك في قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ لا يدل على نفي الرؤية.

وأبو محمد ابن عطية - وإن كان من المثبتين للرؤية - إلا أنه يرى أن الإدراك المذكور في آية الشعراء ﴿إنا لمدركون﴾^(٤) غير الإدراك المذكور في قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ إذ مصدر كل منهما يختلف عن الآخر. ففي آية الأنعام مصدر الإدراك - البصر، وفي آية الشعراء مصدره إهلاك الأعداء بهم. والحق - إن شاء الله تعالى - أن استدلال الإمام الطبري على هذا النحو الذي تقدم استدلال صحيح لا خطأ فيه ، يشهد بصحة ذلك كلام أهل اللغة في معنى الإدراك ، وموافقة العلماء له على ذلك، واعتراف ابن عطية نفسه أن بين الإدراكين علاقة اشتراك أو مجاز.

أما كلام أهل اللغة في معنى ((درك)) فقد قال ابن فارس : ((المدال والرء والكاف أصل واحد، وهز لحوق الشيء بالشيء ، ووصوله إليه . يقال : أدركت الشيء أدركه إدراكاً...))^(٥). وفي المعجم الوسيط : ((أدرك ... الشيء لحقه وبلغه وناله ... والشيء يبصره رآه ، والمعنى بعقله فهمه))^(٦).

(١) المحرر الوجيز (١٢٣/٦).

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٣) سورة طه ، الآية : ٧٧.

(٤) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٥) معجم مقاييس اللغة (٢٦٩/٢) ((درك)).

(٦) المعجم الوسيط (٢٩١/١) ((درك)).

وقال الزجاج - عند آية الأنعام - : ((فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع. وليس في هذه الآية دليل على دفعه ؛ لأن معنى هذه الآية ، معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته))^(١).

إذا يفهم من كلام أهل العلم المتقدم أن ((الإدراك)) خوق الشيء والوصول إليه والإحاطة بحقيقته، وهذا هو المنفي في آية الأنعام وهو أيضاً المقصود بما ذكره الله من مقالة قوم موسى بقوله: ﴿إنا لمدركون﴾^(٢) أي لاحق بنا فرعون وجنوده ومحيطون بنا^(٣).

يبقى الفرق بين الإدراكين من حيث المصدر ، ففي آية الأنعام مصدر الإدراك البصر ، وفي آية الشعراء مصدر الإدراك ما هو أعم من البصر^(٤). وإذا كان صدور الإدراك عن البصر لا تخلو منه آية الشعراء لم يبق للقاضي ابن عطية حجة على الإمام الطبري.

وأما موافقة العلماء للإمام الطبري فهذا موجود من أئمة في التفسير والعقيدة ، فإنهم قد استدلوا على نحو ما استدل وسلخوا المنهج الذي سلك^(٥). وأما اعتراف القاضي ابن عطية أن بين الإدراكين علاقة ففي قوله : ((لأن هذا الإدراك ليس بإدراك البصر ، بل هو مستعار منه ، أو باشتراك)).

أقول : إذا كان الإدراك يشتركان فيما بيني عليه القياس وهي العلة صح أن تقاس آية الأنعام على آية الشعراء . والله أعلم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢٧٩/٢).

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٣) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص (١٧٢) ، والتفسير الكبير (١٠٤/١٣) ، والاتصاف (٤٧/٢).

(٤) وقولي ((مصدر الإدراك ما هو أعم من البصر)) إذ البصر له علاقة في إدراك فرعون وقومه لقوم موسى عليه السلام ، إذ لو كان هؤلاء الأعداء لا يصرون لم يبق لقول أصحاب موسى ﴿إنا لمدركون﴾ وجه.

(٥) انظر معالم التنزيل (١٢٠/٢) ، والتفسير الكبير (١٠٤/١٣) ، وتفسير الخازن (١٦٧/٢) ، والاتصاف (٤٢/٢) ، وشرح العتيدة الطحاوية (٢١٥/١).

١٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكملت كلمة ربك ، يعني القرآن . سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقوها الشاعر : هذه كلمة فلان . ﴿ صدقاً وعدلاً ﴾ يقول : كملت كلمة ربك من الصدق والعدل))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفسيره للكلمة بالقرآن الكريم فقال : ((وذهب الطبري إلى أنه القرآن ، كما يقال : كلمة فلان في قصيدة الشعر والخطبة البليغة . قال القاضي أبو محمد : وهذا عندي بعيد معترض ، وإنما القصد العبارة عن نفوذ قوله تعالى صدقاً فيما تضمنه من خبر ، وعدلاً فيما تضمنه من حكم))^(٢).

هذا قول الإمام الطبري واستدراك القاضي عليه ورأيه هو في معنى ﴿ كلمة ربك ﴾.

فإذا رجعنا إلى تفسير أهل العلم لقوله : ﴿ كلمة ربك ﴾ ﴿ كلمات ربك ﴾ نجد أنهم قد اختلفوا فيها على أقوال هي :

- ١- أن المراد بـ ﴿ كلمة ربك ﴾ أو ﴿ كلمات ربك ﴾ القرآن الكريم روي ذلك عن قتادة ، وهو ما ذهب إليه الإمام الطبري.
- ٢- أن المراد : أقضيته وعداته.
- ٣- أن المراد : وعده ووعيده ، وثوابه وعقابه^(٣).
- ٤- وذهب الزمخشري إلى تفسيرها بقوله : تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد ، وأوعد^(٤).

(١) تفسير الطبري (٦٢/١٢).

(٢) المحرر الوجيز (١٣٦/٦).

(٣) ذكر الثلاثة الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير (١١١/٣) على قراءة الجمع. وقد قال بعض أهل العلم: إن قراءة الأفراد

بمعنى الكثرة . انظر الحجة (٣٨٩/٣) ، والكشف (٤٤٨/١).

(٤) الكشف (٤٦/٢) وتفسيره هذا على قراءة الجمع ، ولا يبعد أن الزمخشري يريد من قوله هذا تنبئ بدعته من أهل

الكبائر من الموحدون يخلدون في النار.

٥- وذهب أبو محمد القاضي ابن عطية إلى التفريق بين معني القراءتين المتواترتين فقال في قراءة الجمع^(١) ﴿كلمات﴾ : والكلمات ما نزل على عباده^(٢). وقال في قراءة الأفراد^(٣) ﴿كلمة﴾ ما قد رأيت سابقاً من قوله : وإنما قصد العبارة عن نفوذ قوله تعالى.

٦- وذهب بعضهم^(٤) إلى أن المراد بـ ((الكلمة)) دين الله تعالى ، كما في قوله سبحانه : ﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾^(٥).

وقد رجح ابن عاشور ما ذهب إليه الإمام الطبري ، وذكر أن ذلك قول جمهور المفسرين فقال - بعد ذكر القراءات في ﴿ كلمة ربك ﴾ - : ((قيل المراد بالكلمات ، أو الكلمة القرآن وهو قول جمهور المفسرين ونقل عن قتادة ، وهو الأظهر المناسب ؛ لجعل الجملة معطوفة على جملة ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾^(٦) ... واستبعد ابن عطية أن يكون المراد من ﴿كلمات ربك﴾ بالجمع أو الأفراد القرآن^(٧) ، واستظهر أن المراد منها : قول الله : أي نفذ قوله وحكمه ... لكن السياق يشهد بأن تفسير الكلمات بالقرآن أظهر^(٨)).

وبعد : فيظهر أن قول الإمام الطبري ليس بعيد ، ولا يتوجه عليه اعتراض ابن عطية ، لما ذكره ابن عاشور من دلالة السياق عليه ، ويضاف إلى ما قال ابن عاشور في مناسبة السياق لقول الإمام الطبري أن الله سبحانه وتعالى قال - منكرأ على الكفار في ابتغاء حكم غير الله - : ﴿ أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾^(٩) ثم قال على إثر ذلك : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً

(١) وهي قراءة الجمهور . انظر النشر (٢/٢٦٢).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٦/١٣٦).

(٣) وبها قرأ الكوفيون ويعقوب . انظر النشر (٢/٢٦٢).

(٤) نسبه الألوسي في روح المعاني (٨/١٠) إلى أبي مسلم المعتزلي.

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٤٠.

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ١١٤.

(٧) لا يظهر استبعاد دخول القرآن على قراءة الجمع فيما فسرها به القاضي . وراجع نص كلامه.

(٨) التحرير والتنوير (٨/١٨ ، ١٩).

(٩) سورة الأنعام ، الآية : ١١٤.

وعدلاً ﴿ فهذا إشارة إلى ما تضمنه الكتاب الذي أنزله الله مفصلاً من الصدق في الأخبار ، والعدل في الأحكام.

ثم هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، هو قول جمهور المفسرين على ما نقل صاحب التحرير والتنوير^(١) . وهذا مما يقوي اتجاه الإمام الطبري.

ويمكن أن يجمع بين ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية ، فيقال: قول القاضي ابن عطية هو عبارة عن نفوذ قول الله تعالى ليس ببعيد من قول الإمام الطبري إنه القرآن الكريم إذ القرآن الكريم من قول الله الذي نفذ صدقاً فيما تضمنه من أخبار ، وعدلاً فيما تضمنه من أحكام . والله أعلم.

(١) انظر التحرير والتنوير (١٨/٨) ، وقد تقدم نقل ذلك قريباً.

١٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ - : ((والصدق والعدل نصبا على التفسير^(١) للكلمة ، كما يقال : عندي عشرون درهماً))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إعراب ﴿صدقاً وعدلاً﴾ على التمييز فقال : ((وهما مصدران في موضع الحال . وقال^(٣) الطبري : نصبا على التمييز . وهذا غير صواب))^(٤).

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، والأقوال فيها ثلاثة:

الأول : أن يكونا مصدرين في موضع الحال ، أي تمت الكلمات صادقات في الوعد ، عادلات في الوعيد . وهذا رأي أبي علي الفارسي^(٥) ، وإليه ذهب ابن عطية.

الثاني : أنهما نصبا على التمييز - تمييز النسبة - أي تمت من جهة الصدق والعدل . وإلى هذا ذهب الإمام الطبري.

الثالث : أنهما نصبا على المفعول من أجله ، أي تمت لأجل الصدق والعدل الواقعين منهما^(٦).

ولم يفصح أبو محمد عن سبب رده لما ذهب إليه الإمام الطبري ، وهذا على عادته - رحمه الله - في أكثر مسائل النحو التي تعقب الإمام الطبري فيها.

وقد التمس سليمان بن عمر المعروف بالجمل^(٧) السبب في رد أبي محمد فقال : ((وقوله^(٨) : تمييز تبع فيه أبا البقاء والطبري . قال ابن عطية : وهو غير صواب ، ولعل مراده أن كلمات الله من شأنها الصدق والعدل ، والتمييز إنما يفسر ما انبهم ، وليس في ذلك إبهام))^(٩).

(١) يقصد بالتفسير التمييز . انظر شذور الذهب لابن هشام ص(٢٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٦٢/١٢).

(٣) في المغربية ((قال)) والتصويب من القطرية (٣٢٨/٥).

(٤) ائخر الوجيز (١٣٦/٦).

(٥) انظر الحجة (٣٨٨/٣).

(٦) ذكر هذه الثلاثة الأقوال العكيري في التبيان (٥٣٤/١) ، والبيضاوي في تفسيره (٣٢٨/١) ، والسمين في الدر المنصور

(١٢٤/٥) وغيرهم. وقد أورد السمين على القول الثالث أنه محل نظر . الدر (١٢٤/٥).

(٧) سليمان بن عمر بن منصور العجيلي ، المعروف بالجمل ، عالم له مؤلفات (ت : ١٢٠٤هـ) . انظر الأعلام (١٣١/٣).

(٨) أي وقول الجلال السيوطي.

(٩) الفتوحات الإلهية (٨١/٢).

وقد أورد هذا الاستدراك أبو حيان وتلميذه السمين مجرد إيراد من غير تعقيب^(١).

بينما أورد الشيخ ابن عاشور هذا الاستدراك وتعقبه فقال: ((وانتصب ﴿صديقاً وعدلاً﴾ على الحال عند أبي علي الفارسي ، بتأويل المصدر باسم الفاعل ، أي: صادقة وعادلة ، فهو حال من كلمات ، وهو المناسب لكون التمام بمعنى التحقق.

وجعلهما الطبري منصوبين على التمييز ، أي تمييز النسبة . أي تمت من جهة الصدق والعدل فكأنه قال: تم صدقها وعدلها ، وهو المناسب لكون التمام بمعنى بلوغ الشيء أحسن ما يطلب من نوعه . وقال ابن عطية : هذا غير صواب . وقلت : لا وجه لعدم تصويبه^(٢).

وبعد : فالوجهان - الحال والتمييز - معتبران في إعراب ﴿صديقاً وعدلاً﴾ ، ولا يرد استدراك أبي محمد علي الإمام الطبري لما قال ابن عاشور من أن إعرابهما تمييز مناسب لكون التمام بمعنى بلوغ الشيء أحسن ما يطلب من نوعه.

ولأن إعرابهما تمييز لا يحتاج إلى تكلف تقدير وهذا مما يقوي اتجاه الإمام الطبري . قال سليمان بن عمر الجمل - بعد أن ذكر الوجهين (التمييز والحال) - : ((وعلى الأول يكون الصدق باقياً على معناه الحقيقي ؛ لأن المعنى تمت من جهة الصدق والعدل ، وعلى الثاني يكون بمعنى الصادق والعدل))^(٣).

(١) انظر البحر (٢١٢/٤)، والدر المصون (١٢٤/٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٩/٨).

(٣) الفتوحات الإلهية (٨١/٢).

١٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم ، أيها الناس ، في هاتين الآيتين من قوله : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾^(١) وأمركم بالوفاء به ، هو صراطه ، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده^(٢) .

ورأى أبو محمد أن الإشارة إلى ما هو أعم فقال: ((الإشارة هي إلى الشرع الذي جاء به محمد ﷺ بجملته . وقال الطبري : الإشارة هي إلى هذه الوصايا التي تقدمت من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾^(٣)))^(٤) . هذا الاستدراك يؤخذ بالإشارة من كلام القاضي لا بالنص الصريح.

وقد اختلف أهل العلم في مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي﴾ على أربعة أقوال، ذكرها أبو حيان بقوله : ((والإشارة بـ ﴿هَذَا﴾ إلى الإسلام ، أو القرآن ، أو ما ورد في هذه السورة؛ لأنها كلها في التوحيد وأدلة النبوة ، وإثبات الدين ، أو إلى هذه الآيات التي أعقبتها هذه الآية؛ لأنها المحكمات التي لم تنسخ في ملة من الملل . أقوال أربعة))^(٥) .

وهذه الأقوال الأربعة متفرقة في كتب التفسير فبعضهم يذكر واحداً منها ، وبعضهم يذكر اثنين ، وبعضهم يذكر ثلاثة^(٦) ، وقل من جمعها كما فعل أبو حيان .

ثم هذه الأقوال الأربعة كلها محتملة ، وأولها - بحمل الآية عليه - ما قاله أبو محمد ، ثم من قال إنه القرآن ، ثم ما قاله الإمام الطبري .

وأجد نفسي تجنح إلى المعنى الذي ذكره أبو محمد - وهو أن اسم الإشارة راجع إلى الشرع الذي جاء به محمد ﷺ بجملته - وذلك لأسباب منها:

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١ .

(٢) تفسير الطبري (٢٢٨/١٢) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١ .

(٤) الخمر الوجيز (١٨٢/٦) .

(٥) البحر المحيط (٢٥٤/٤) .

(٦) انظر بحر العلوم (٥٢٤/١) ، ومعالم التنزيل (١٤٢/٢) ، والنكت والعيون (١٨٨/٢) ، وروح المعاني (٥٦/٨) .

١- أن هذا القول شامل للأقوال الأخرى ، فهو محتمر عليها ، ولا تحتوي عليه. فمن قال القرآن ، أو خصوص الوصايا ، أو ما ورد في هذه السورة فإنما هذا بعض الشرع الذي جاء به محمد ﷺ.

٢- هذا القول يشير إليه حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ خطأ بيده ، ثم قال : ((هذا سبيل الله مستقيماً)) قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : ((هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ ﴾))^(١).

فيعد أن يجعل رسول الله ﷺ سبيل الله كله هذه الوصايا بخصوصها ، أو هذه السورة بعينها، أو حتى القرآن بمفرده ، وإنما أراد - والله أعلم - جملة الشرع الذي جاء به ﷺ وهو الإسلام بدليل أنه قد ذكر ما هو ضده وهي سبل الشيطان . ونصوص القرآن والسنة إذا احتملت العموم والخصوص كان حملها على العموم أولى ؛ لأنه الأصل.

٣- ولأن هذا القول يلائمه سياق الكلام ، وهو ما ذكره الله تعالى من النهي عن اتباع سبل الشيطان ذكر نحو هذا الألويسي في تفسيره^(٢) . وقد أشرت إلى تقريره في وجه الاستدلال بالحديث.

٤- ولما قال الفخر الرازي : ((أنه تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به أجمل في آخره إجمالاً يقتضي دخول ما تقدم فيه ، ودخول سائر الشريعة فيه فقال : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ فدخل فيه كل ما بينه الرسول ﷺ من دين الإسلام ، وهو المنهج القويم والصراط المستقيم))^(٣) . وهذا ترجيح بمناسبة الآية لما قبلها.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٦٥/١) ، والحاكم في المستدرک (٣٤٨/٢ ، ٣٤٩) وصححه . وله شاهد من حديث جابر في سنن ابن ماجه (٦/١) المقدمة ح(١١) قال عنه الشيخ الألباني : صحيح . انظر صحيح سنن ابن ماجه (٧/١).

(٢) انظر روح المعاني (٥٦/٨).

(٣) التفسير الكبير (٤/١٤).

١٩ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً^(١) بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالتهم ، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله فقال : من جاء بها فله عشر أمثالها))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قصره الآية على الثانيين من الذين فارقوا دينهم ، فقال : ((وقال الطبري : قوله : ﴿من جاء بالحسنة﴾ الآية يريد من الذين فارقوا دينهم ، أي من جاء مؤمناً فله الجنة . قال القاضي أبو محمد : والقصد بالآية إلى العموم في جميع العالم ألبق باللفظ))^(٣).

ما ذكره الإمام الطبري وابن عطية قولان من ثلاثة ، والثالث : أنها تختص بالأعراب الذين أسلموا^(٤).

وما ذهب إليه الإمام ابن عطية هو الظاهر دل على ذلك الكتاب والسنة وأقوال المفسرين:

١ - أما الكتاب ، فقول الله تعالى : ﴿من جاء بالحسنة﴾ و ﴿من﴾ شرطية تدل على العموم . وهي من ألفاظه المتعارف عليها في أصول الفقه^(٥).

٢ - وأما السنة فقد جاءت الأحاديث الكثيرة^(٦) دالة على المعنى الذي جاء في الآية الكريمة وبألفاظ العموم ، التي لا تعطي مجالاً لحملها على فئة معينة من العاملين ، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي

(١) يعني من الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ سورة الأنعام ، الآية:

١٠٥٩.

(٢) تفسير الطبري (٢٧٤/١٢).

(٣) انحرر الوجيز (١٩١/٦).

(٤) ذكر الثلاثة أبو حيان . انظر البحر (٢٦٢/٤) ، وذكر الماوردي في النكت (١٩٣/٢) **قولين** : أحدهما العموم ،

والثاني : أنها في الأعراب.

(٥) انظر روضة الناظر (١٢٣/٢ ، ١٢٤).

(٦) انظر تفسير ابن كثير (١٩٧/٢) ، وتفسير الخازن (٢٠٦/٢ ، ٢٠٧).

ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ((يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد . ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ...))^(١).

٣- وأما أقوال المفسرين ، فقد جاء عن طائفة منهم ألفاظ تدل على أن الآية محمولة على العموم،

فمن ذلك قول الإمام أبي حيان : ((وظاهر ﴿من جاء﴾ العموم))^(٢).

وقال ابن جزري : ((فضل عظيم على العموم في الحسنات وفي العاملين))^(٣).

وقدم الماوردي العموم في الذكر على غيره^(٤).

وعلى حمل الآية على العموم مشى طائفة من المفسرين غير من ذكر^(٥).

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٦٨) ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ، ح(٢٦٨٧).

(٢) البحر المحيط (٤/٢٦٢٢).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٥٠).

(٤) انظر النكت والعيون (٢/١٩٣).

(٥) انظر الوسيط (٢/٣٤٢)، وتفسير أبي السعود (٣/٢٠٦)، والفتوحات الإلهية (٢/١١٦)، وفتح القدير (٢/١٨٣)،

وروح المعاني (٨/٦٨، ٦٩). والعموم مستفاد من ألفاظهم في تفسير الآية ، لا أنهم تعرضوا لبحث هذه المسألة.

سورة الأعراف

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ - : ((... جهل عدو الله وجه الحق ، وأخطأ سبيل الصواب ، إذ كان معلوماً أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علواً ، والذي في جوهره من ذلك هو الذي حمل الخيـث - بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق - على الاستكبار عن السجود لآدم ، والاستخفاف بأمر ربه ، فأورثه العطب والهلاك ... وكان معلوماً أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والحياء ، والتثبت ، وذلك الذي هو في جوهره من ذلك كان الداعي لآدم - بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق - إلى التوبة من خطيئته ، ومسألته ربه العفو عنه والمغفرة. ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان : (أول من قاس إبليس)^(١) يعنيان بذلك القياس الخطأ، وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله ، وبعده من إصابة الحق...))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من ترجيح فضل آدم على إبليس بما ذكر من مزايا لمادته التي خلق منها وهو الطين ، فقال : ((وظن إبليس أن النار أفضل من الطين ، وليس كذلك ، بل هما في درجة واحدة من حيث هما جماد مخلوق ، فلما ظن إبليس أن صعود النار وخفتها يقتضي فضلاً على سكون الطين وبلادته قاس أن ما خلق منها أفضل مما خلق من الطين فأخطأ قياسه ، وذهب عليه أن الروح الذي نفخ في آدم ليس من طين . قال الطبري : ذهب عليه ما في النار من الطيش والخفة والاضطراب ، وما في الطين من الوقار والأناة والحلم والتثبت . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي كلام الطبري نظر))^(٣).

وجه استدراك القاضي على الإمام الطبري في هذه المسألة أن تفضيل آدم على إبليس لا يظهر بتفضيل عنصر الطين على عنصر النار ، إذ لكل منهما فوائد ليست للآخر وهما في درجة واحدة من حيث هما جماد مخلوق.

(١) سيأتي إن شاء الله تخريج هذا الأثر في المسألة التي بعد هذه.

(٢) تفسير الطبري (١٢/٣٢٧).

(٣) الحرر الوجيز (٥/٤٤٢). ومن هذه المسألة إلى آخر الاستدراكات اعتمدت على النسخة القطرية، إلا في مسائل قليلة،

وأهل التفسير تكاد كلمتهم تجمع على تفضيل عنصر آدم وهو الطين ، على عنصر إبليس - لعنه الله - وهو النار ، أي أنهم يذكرون نحو التعليل الذي ذكره الإمام الطبري^(١).

وهناك من يقول : لكل منهما فوائد لا توجد في العنصر الآخر ، ويذكر تفضيل النار على الطين^(٢). وعلى كل حال أنا أوافق أبا محمد إن أراد أن تفضيل آدم إنما هو بغير هذه الناحية التي ذكرها الإمام الطبري - وغيره من المفسرين - وذلك للأسباب التالية:

١- أن كلاً من التراب والنار يختص بفوائد ليست لغيره ، وكل منهما ضروري في هذه النشأة ، ولكل منهما فضيلة في مقامه وحاله ، فترجيح بعضها على بعض تطويل بلا طائل^(٣).

٢- أننا لن نعدم من ينازعنا في الترجيح بهذه الناحية - ناحية العناصر - فيقول النار أفضل ؛ لأنها مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس ، ولأنها قوية التأثير والفعل ، ولأنها مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحياة ، ولأنها تضيء ، ولأنها زكية لا تلتصق بها الأقدار^(٤).

٣- ولأن التفضيل بالعناصر تشبه بمنهج إبليس الذي كان السبب في شقاوته وإبعاده . قال العلامة البيضاوي وأبو السعود : ((ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر ، وزل عنه ما من جهة الفاعل ، كما أنبأ عنه قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾^(٥) أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به ، وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾^(٦) وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له عليه السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض ، وأن له خواص ^{ليست} ~~تجس~~ لغيره^(٧))).

(١) انظر - على سبيل المثال - بحر العلوم (٥٣٣/١) ، ومعالم التنزيل (١٥٠/٢ ، ١٥١) ، وزاد المسير (١٧٤/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٧١/٧) ، وتفسير الخازن (٢١٣/٢) ، وتفسير النسفي (٤٦/٢) ، وتفسير ابن كثير (٢٠٤/٢) ، وفتح القدير (١٩١/٢).

(٢) انظر روح المعاني (٨٩/٨) ، والتحرير والتنوير (٤٢/٨/٢).

(٣) انظر روح المعاني (٨٩/٨).

(٤) انظر التفسير الكبير (٢٨/١٤) ، والتحرير والتنوير (٤٢/٨/٢).

(٥) سورة ص ، الآية : ٧٥٠.

(٦) سورة الحجر ، الآية : ٢٩.

(٧) تفسير البيضاوي (٣٤٣/١) ، وتفسير أبي السعود (٢١٦/٣) . والنص من الثاني.

فالحاصل أن تفضيل آدم إنما هو بما ورد النص به كما أشار إليه العلماء ، ومنهم الإمام الطبري نفسه وابن عطية^(١) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فإنه قد استدل بالآيتين اللتين ذكرهما البيضاوي وأبو السعود على تفضيل آدم ، وقرر وجه الدلالة من آية الحجر بقوله: ((فعلّق السجود بأن ينفخ فيه من روحه فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله))^(٢).

(١) انظر تفسير الطبري (٣٢٧/١٢)، والمحرر الوجيز (٤٤٢/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٥).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ - : ((... كان الحسن وابن سيرين يقولان : ((أول من قاس إبليس))^(١) يعينان بذلك : القياس الخطأ))^(٢).

ثم أورد نص كلام الحسن وابن سيرين فساق بسنده إلى الحسن أنه قال : ((قاس إبليس ، وهو أول من قاس))^(٣).

وساق بسنده إلى ابن سيرين أنه قال : أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس))^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن الحسن وابن سيرين يعينان القياس الخطأ ، فقال - بعد أن أورد كلام ابن سيرين ونسبه إلى الحسن أيضاً - : ((قال الطبري : يعني القياس الخطأ . ولا دليل من لفظهما عليه ، ولا يتأول عليهما إنكار القياس ، وإنما خرج كلامهما نهياً عما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم ، فأرادوا حمل الناس على الجادة))^(٥).

هذا ما رأى الإمام الطبري أن يحمل عليه كلامهما ، واستدراك القاضي عليه.

وقد ذكر بعض المفسرين قول الإمام الطبري في تفسير كلامهما على أنهما قالا ذلك ، فقال : كان الحسن وابن سيرين يقولان : أول من قاس إبليس فأخطأ^(٦).

ولا أدري هل اعتمد من نسب ذكر الخطأ عنهما على رواية مأثورة ، أو ^{يكون} يمكن اختلط عليه كلام الطبري بكلامهما ، فأسند كل ذلك إليهما.

ثم نقف مع نص أبي محمد ثلاث وقفات :

(١) يأتي تخريجه - إن شاء الله - قريباً.

(٢) تفسير الطبري (٣٢٧/١٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٨/١٢) عن مطر الوراق عن الحسن . وقال ابن كثير - في تفسيره (٢٠٤/٢) بعد أن أورد بسند الطبري - : إسناد صحيح.

(٤) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٣٢٨/١٢) عن هشام عن ابن سيرين . وقال ابن كثير - في تفسيره (٢٠٤/٢) ، بعد أن أورد بسند الطبري - : إسناد صحيح أيضاً.

(٥) المحرر الوجيز (٤٤٢/٥).

(٦) انظر تفسير الخازن (٢١٣/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١٧١/٧).

الوقففة الأولى مع قوله : ((ولا دليل من لفظهما عليه)) وهذا صحيح ، لأن لفظهما مطلق في ذم القياس ، فالقول إنهما أرادا قياس الخطأ ليس ظاهراً .

الوقففة الثانية مع قوله : ((ولا يتأول عليهما إنكار القياس)) هذا فيه نظر ، فقد نقل العلماء كلامهما هذا في معرض ذم القياس ورده ، فابن حزم الأندلسي - وهو من نفاة القياس - يستدل بما قاله ابن سيرين على نفي القياس ورده ^(١) . وابن القيم ^(٢) - وهو من مثبتة القياس - قال : ((فصل: وكذلك أئمة التابعين وتابعوهم يصرحون بدم القياس وإبطاله والنهي عنه)) ^(٣) ويورد على هذا أمثلة ، وأولها قول ابن سيرين المتقدم ^(٤) .

الوقففة الثالثة ، مع قوله : ((وإنما خرج كلامهما نهياً عما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم)) وهذا في نظري لا فرق بينه وبين قول الإمام الطبري - ((يعنيان القياس الخطأ)) - إلا في اللفظ ، وإلا فالمعنى واحد . إذ أقيسة الخوارج تصنف في القياس الخطأ .

فالحاصل أن اللفظ المنقول عن الحسن وابن سيرين ظاهره إنكار القياس ، وهو محمول على إنكار القياس الخطأ إذ قد جاء كلامهما في معرض ذلك ، وإن كان لا دليل من لفظهما على هذا الحمل ، إلا أنه أقرب ما يقال .

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام (٣٢/٨) .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، العلامة المجهود درس بالصدرية ، وأم بالجزوية (ت : ٧٥١هـ) انظر البدر الطالع (١٤٣/٢) .

(٣) إعلام الموقعين (٣٢٢/١) .

(٤) انظر المصدر السابق (٣٢٢/١) . ولعل ابن القيم يحمل كلام هؤلاء على نفي القياس الباطل .

٣- ساق الإمام الطبري - رحمه الله تعالى بسنده ، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ - عن البراء بن عازب^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ((ذكر قبض روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ((^(٢)).

وساق بسنده أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : ((الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، قال: فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله. وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق^(٣) وآخر من شكله أزواج. فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى

(١) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري ، من أعيان الصحابة (ت: ٧٢هـ) انظر السير (١٩٤/٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٤/١٢) من طريق شيخه أبي كريب ، قال حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش عن النهال ، عن زاذان عن البراء عن رسول الله ﷺ . وهذا الإسناد - في نظري - حسن ، لأن رجاله إما ثقة وإما صدوق ، وعتنة الأعمش لا تضر لأنه قد صرح بالسماع عند أحمد والحاكم. انظر في حال هؤلاء الرجال تقريب التهذيب الأول برقم (٦٢٠٤)، والثاني برقم (٧٩٨٥)، والثالث برقم (٢٦١٥)، والرابع برقم (٦٩١٨) ، والخامس برقم (١٩٧٦). والجديد أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٨٧، ٢٨٨) من طريق ابن نمير عن الأعمش به ، ومن طريق أبي مغازية عن الأعمش بأطول من هذا ، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده من طريق أبي عوانة عن الأعمش به ص (١٠٢) رقم (٧٥٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (١/٩٣، ٩٤) من طريق ابن نمير وأبي معاوية عن الأعمش به وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعاً بالنهال بن عمرو ، وزاذان أبي عمر الكندي ... وله شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته (١/٩٦). وأخرجه أيضاً الآجري في الشريعة ص(٣٦٧، ٣٦٨) قال : حدثنا الفريابي ، قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش. وقال الشيخ الألباني - بعد أن نقل تصحيح الحاكم وإقرار الذهبي له - : وهو كما قالوا. انظر أحكام الجنائز وبدعها ص(١٥٩).

(٣) الغساق - بتخفيف السين وتشديدها - هو ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٦٦).

السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقولون : فيلان . فيقولون : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة ، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء ، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر^(١).

ثم أسند أن هناك حديثاً آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه^(٢).

وعقب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على هذه الآثار ، ولم يوردها ، بقوله : ((وذكر الطبري في كيفية قبض روح المؤمن والكافر آثاراً اختصرتها إذ ليست بلازمة في الآية ، وللين أسانيداً أيضاً^(٣))).

فهذا التعقيب يفهم منه أنه يقول: ذكر الطبري آثاراً ليست لازمة في الآية ، وهي أيضاً ليست الأسانيد، وما كان كذلك فعدم ذكره هو الصحيح.

وهذا الفهم يدل على صحته أنه أعرض عن ذكر شيء من ذلك في تفسيره.

أقول : إن كان ما ذكرته هو مقصد أبي محمد فالمسألة داخلية في الاستدراكات ، وتبحث من وجهين:

الوجه الأول : قول أبي محمد : هذه الآثار ليست بلازمة في الآية.

معنى هذا أن ابن عطية يرى أن الآية لم تشر إلى كيفية قبض روح المؤمن والكافر فذكر هذه الآثار التي أشارت إلى كيفية قبض روح المؤمن والكافر عند الآية لا يلزم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٤/١٢ ، ٤٢٥) من طريق شيخه أبي كريب قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ . وهذا الإسناد - في نظري - حسن ؛ لأن رجاله إما ثقة ، وإما صدوق . انظر في حال هؤلاء الرجال تقريب التهذيب الأول (٦٢٠٤) ، والثاني برقم (٤٤٩٤) ، والثالث برقم (٦٠٨٢) ، والرابع برقم (٦١٨٧) ، والخامس برقم (٢٤٢٣) . وهذا الحديث أشار إليه الحاكم في المستدرک (٩٥/١) من طريق أبي حازم عن أبي هريرة .

(٢) ساق إسناده الإمام الطبري في تفسيره (٤٢٥/١٢) - ولم يذكر لفظه - فقال: حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: حدثنا ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه . وهذا الإسناد - في نظري - حسن ؛ لأن رجاله إما ثقة ، وإما صدوق . انظر في حال هؤلاء الرجال تقريب التهذيب الأول برقم (٦٠٢٨) ، والثاني برقم (٥٧٣٦) ، والثالث برقم (٦٠٨٢) ، والرابع برقم (٦١٨٧) ، والخامس برقم (٢٤٢٣) .

(٣) المحرر الوجيز (٥٠٢/٥) .

وقد أورد جماعة من المفسرين هذه الآثار ، أو بعضها عند تفسير هذه الآية^(١) ، فهؤلاء يتفق رأيهم مع رأي الإمام الطبري أن هناك علاقة بين الآية والآثار ، إلا أنني لم أر فيما اطلعت عليه من يبين هذه العلاقة.

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن هناك علاقة بين الآية والآثار ، وليست هذه العلاقة من ناحية كيفية قبض روح المؤمن والكافر ، وإنما هي من ناحية أن الآية دلت على أن روح الكافر لا تفتح لها أبواب السماء^(٢) ، وتفهمها المخالف على أن روح المؤمن تفتح لها أبواب السماء وقد دلت الآثار على ما دلت عليه الآية الكريمة.

ومن هنا ذكر الإمام الطبري وغيره من أهل العلم هذه الآثار ، عند هذه الآية الكريمة.

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ليس وارداً في فرع هذه المسألة.

الوجه الثاني : وصف أبي محمد أسانيد هذه الآثار التي أوردها الإمام الطبري باللين ، ولا شك أن لين الإسناد قدح في الأثر يعطل الاحتجاج به على معنى الآية ، لكن هذه الآثار تبين لي من دراسة أسانيدها أنها حسنة إن شاء الله تعالى^(٣).

وعلى الرغم من هذه النتيجة التي توصلت إليها فإطلاق القاضي ابن عطية أن أسانيدها لينة لا نستطيع دفعه ؛ لأن وجهات النظر تختلف في بعض الرواة ، فالذي قال عنهم المحافظ صدوق ، قد يرى القاضي ابن عطية أنهم في درجة الضعف ، وينعت السند الذي جاءوا فيه بأنه لئِن.

فالحاصل أن إيراد الإمام الطبري لهذه الآثار له وجه ، ولتعقيب القاضي ابن عطية وجه ، وكلاهما مأجور إن شاء الله تعالى.

(١) انظر معاني القرآن الكريم (٣/٣٤، ٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٢٠٦)، وتفسير الخازن (٢/٢٢٨)، والبحر المحيط (٤/٢٩٩)، وتفسير ابن كثير (٢/٢١٤، ٢١٥)، وغرائب القرآن (٨/٩٤)، والدر المنثور (٢/٨٣)، والفتوحات الإلهية (٢/١٤١)، وروح المعاني (٨/١١٨).

(٢) وقع الخلاف في معنى ﴿ لا تفتح لهم ﴾ فقيل لأعمالهم ، وقيل لدعائهم ، وقيل لأرواحهم ، وهو المعتمد لمجئته عن رسول الله ﷺ . وجمع الشوكاني بين المعاني الثلاثة بقوله : ((ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح ، والدعاء ، والأعمال)) فتح القدير (٢/٢٠٥).

(٣) انظر ذلك عند تحريجها.

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ﴾ - : ((زاد في أجسامكم طولاً وعظماً على أجسام قوم نوح ، وفي قواكم على قواهم ، نعمة منه بذلك عليكم))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله: إن الزيادة على قوم بأعيانهم ، فقال: ((قال الطبري : المعنى : زادكم على قوم نوح ... قال القاضي أبو محمد - رحمه الله - : واللفظ يقتضي أن الزيادة هي على جميع العالم ، وهو الذي يقتضي ما يذكر عنهم . وروي أن طول الرجل منهم كان مئة ذراع ، وطول أقصرهم ستين ، ونحو هذا))^(٢).

حاصل الخلاف بين الإمامين أن أحدهما - وهو الإمام الطبري - يرى أن تحمل الآية على الخصوص، والثاني : يرى أن تحمل على العموم.

والمسألة موضع خلاف بين أهل العلم - إذا كان ﴿ الخلق ﴾ بمعنى المخلوقين - على أقوال حكاها أبو حيان بقوله : ((وإذا كان ﴿ الخلق ﴾ بمعنى المخلوقين ، فالخلق قوم نوح ، أو أهل زمانهم ، أو الناس كلهم أقوال ، وقيل الزيادة في الأجرام ، وهي ما تصل إليه يد الإنسان إذا رفعها ، وقيل: الزيادة هي في القوة والجلادة لا في الأجرام...))^(٣).

قلت : جمع بعض المفسرين بين القولين - اللذين ذكرا في معنى الزيادة - بأن قوم هود قد اتصفوا بهما جميعاً وهذا رأي الإمام الطبري وغيره من المفسرين^(٤).

والذي يعنينا هل الزيادة عامة ، أو خاصة ؟ .

الذي يظهر - والله أعلم - أنها عامة كما قال ابن عطية وذلك للأسباب التالية:

١- لما ذكره أبو محمد من تعليل.

(١) تفسير الطبري (٥٠٥/١٢).

(٢) المحرر الوجيز (٥٥١/٥). وما ذكره أبو محمد بقوله: وروى... الخ منة الأسرانيات التي لا تقع.

(٣) البحر المحيط (٣٢٨/٤).

(٤) انظر معالم التنزيل (١٧٠/٢)، وزاد المسير (٢٢٢/٣)، وتفسير البيضاوي (٣٥٥/١)، وتفسير الخازن (٢٤٨/٢)،

ومحاسن التأويل (٥٨٣/٣).

٢- ولأن الله تعالى قال : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾^(١).

ووجه الاستدلال بالآية أن الاستفهام في قوله : ﴿ من أشد منا قوة ﴾ إنكارى بمعنى لا أحد أشد منا قوة، وأقرهم الله على هذا فلم يذكر أن هناك من هو أشد منهم إلا هو سبحانه ، وهذا معناه العموم.

٣- وأيضاً قول الله تعالى: ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾^(٢).

ف ﴿ إرم ﴾ فيها أقوال ، رجح الإمام الطبري أنها اسم قبيلة^(٣). و ﴿ ذات العماد ﴾ فيها أقوال أيضاً، فقيل: قيل لهم ذلك لشدة أبدانهم وقواهم ، وقيل: قيل ﴿ ذات العماد ﴾ لأنهم كانوا طوال الأجسام. وقيل: بل قيل لهم ﴿ ذات العماد ﴾ لأنهم كانوا أهل عمد ينتقلون إلى الكلا حيث كان ورجح الإمام الطبري الآخرين^(٤).

وعلى كل حال فالآية تشير إلى ما رجحه ابن عطية . والله أعلم.

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الفجر ، الآية : ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٣) انظر تفسير الطبري (١٢/٥٦٧).

(٤) انظر المصدر السابق (١٢/٥٦٧، ٥٦٨).

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ - : ((ومنه قيل سحر المطر الأرض ، إذا جادها^(١) فقطع نباتها من أصوله وقلب الأرض ظهراً لبطن ، فهو يسحرها سحراً ، والأرض مسحورة ، إذا أصابها ذلك))^(٢) .
 واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في المعنى اللغوي لـ ((سحر)) ، فقال : ((قال الطبري : والسحر مأخوذ من سحر المطر الأرض إذا جادها حتى يقلب نباتها ويقلعه من أصوله ، فهو يسحرها سحراً ، والأرض مسحورة . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وإنما سحر المطر الطين إذا أفسده حتى لا يمكن فيه عمل))^(٣) .

إيراد ابن عطية كلام الطبري وتعقيبه عليه بهذه الصيغة يفيد أنه يقول : الطبري يذهب إلى أن سحر مأخوذ من سحر المطر الأرض إذا جادها حتى يقلب نباتها ويقلعه من أصله ، وإنما الصواب عندي أن يقال : سحر المطر الطين إذا أفسده حتى لا يمكن فيه عمل .

فابن عطية لم يصرح بنقد الطبري ، وإنما جاء بصيغة تؤدي مقصوده من غير تصريح .
 والذي يبدو أن محل استدراك ابن عطية على الإمام الطبري أن ابن عطية يرى أن الطبري ذكر معنى لا يفيد فساد الأرض بالكلية ، وإنما فيه إبقاء عليها نوعاً ما .
 وأنا أورد - فيما يلي - بعض أقوال أهل اللغة في المعنى المتنازع فيه ، لعل ذلك يبين عن وجه الصواب في هذه المسألة .

قال الإمام الأزهري : ((وأرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها . وغيث ذو سحر إذا كان ماؤه أكثر مما ينبغي ويقال للأرض التي ليس فيها نبت ... أرض مسحورة))^(٤) .
 وقال ابن منظور : ((أرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها . وغيث ذو سحر إذا كان ماؤه أكثر مما ينبغي . وسحر المطر الطين والتراب سحراً أفسده فلم يصلح للعمل))^(٥) .
 وقال الفيروزآبادي : ((والمسحور المفسد من الطعام والمكان لكثرة المطر))^(٦) .

(١) إذا جادها . أي إذا أصابها . انظر المعجم الرسيط (١٥١/١) ((حاد)).

(٢) تفسير الطبري (١٩/١٣) .

(٣) الخمر الرجز (٣٠/٦) .

(٤) تهذيب اللغة (٢٩١/٤) ((سحر)).

(٥) لسان العرب (١٦٠/٦) ((سحر)).

(٦) ترتيب القاموس (٥٢٨/٢) ((سحر)).

وفي المعجم الوسيط : ((سحر ... الشيء أفسده . يقال : سحر المطر الأرض أفسدها لكثرتها))^(١).
وبعد : فالذي ظهر لي - بعد مقارنة ما ذكره ابن عطية عن الطبري بما هو في تفسير الطبري ، وبعد
الاطلاع على كلام أهل اللغة ومقارنة كلام الإمامين به - ما يلي:

١- يبدو أن القاضي ابن عطية بنى استدراكه على بعض كلام الإمام الطبري ، وترك البعض الآخر
منه حيث قال : قال الطبري : ((والسحر مأخوذ من سحر المطر الأرض إذا جادها حتى يقلب نباتها
ويقلعه من أصوله ، فهو يسحرها سحراً ، والأرض مسحورة)) فترك من نص الإمام الطبري قوله:
((وقلب الأرض ظهراً لبطن)).

٢- كلام أهل اللغة مؤيد لما ذكره ابن عطية حيث إن مضمون كلامهم أن السحر مأخوذ من سحر
المطر الأرض ، أو الطين إذا أفسدهما.

٣- في نظري أنه لا فرق بين ما قاله الإمام الطبري وبين ما ذهب إليه ابن عطية - وجاءت عبارة
اللغويين مؤيدة له - إلا في اللفظ ، وإلا فالمعنى واحد ، وذلك أن الإمام الطبري فصل فذكر أنه يقال:
أرض مسحورة إذا قطع نباتها من أصوله ، ثم جاء بعد ذلك بما يفيد أن قطع النبات ، إنما حصل لإفساد
الطين، وقلبه ظهراً لبطن فقال: ((وقلب الأرض ظهراً لبطن)) وابن عطية ومن ذكر كلامهم من أهل
اللغة طووا قضية النبات ؛ لأن الأرض المسحورة لا يلزم أن يكون فيها نبات ، ولو وجد ففساده تبع
لفساد الطين عندما يسحره المطر.

وأظن أبا محمد لو تنبه لقول الطبري : ((وقلب الأرض ظهراً لبطن)) لرأى أنه يؤدي المعنى الذي ذكر
وزيادة.

وقد أثنى الشيخ محمود شاكر على المعنى الذي ذكره الإمام الطبري فقال : ((هذا البيان عن معنى
((سحر المطر الأرض)) جيد جداً ، مبين عن معنى الكلمة ، وهو أوضح مما جاء في كتب اللغة ، فليقيد
هذا هناك))^(٢).

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية في هذه المسألة غير وارد على الإمام الطبري . والله أعلم.

(١) المعجم الوسيط (٤٣٥/١) ((سحر)).

(٢) تفسير الطبري (١٩/١٣) حاشية (١).

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال أبو جعفر : يقين تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله ﷺ وأذكروا ... إذ أنجيناكم من آل فرعون وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري غيره أظهر وأبين منه فقال: ((وقالت فرقة : هذه الآيات خاطب بها موسى من حضره من بني إسرائيل . وقال الطبري: بل خاطب بهذه الآية من كان على عهد محمد ﷺ تقريراً لهم بما فعل بأوائلهم وما جازوا به . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والأول أظهر وأبين))^(٢).

هذه المسألة محل خلاف بين أهل التفسير ، وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في فاعل ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾
عليه السلام
فمن قال : إنه موسى قال الخطاب لأجداد المعاصرين لموسى عليه السلام ، وهذا ذهب إليه ابن عطية وبعض المفسرين^(٣).

ومن قال فاعل الإنجاء إنما هو الله سبحانه وتعالى قال هذا خطاب من الله لليهود وإلى هذا ذهب الإمام الطبري وجمع من المفسرين^(٤).

وتمسك من ذهب إلى القول الأول بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ من تمتة كلام موسى عليه السلام كما يقتضيه السياق، وبعضه قراءة ابن عامر^(٥) ﴿وَإِذْ أَنْجَاكُمْ﴾^(٦).

(١) تفسير الطبري (٨٥/١٣).

(٢) المحرر الوجيز (٦٣/٦، ٦٤).

(٣) انظر الفترحات الإلهية (١٨٦/٢) : وتحرير والتنوير (٨٤/٩).

(٤) انظر بحر العلوم (٥٦٦/١)، والتفسير الكبير (١٨٤/١٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٤/٧)، وتفسير الخازن

(٢٨١/٢)، والدر المصون (٥٤٦/٥) - وتفسير ابن كثير (٢٤٤/٢)، ونظم الدر (٧٢/٨)، وتفسير أبي السعود

(٢٦٨/٣)، وتيسير الكريم الرحمن (١٥١/٦).

(٥) الجمهور ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ بالجمع . وابن عمر ﴿أَنْجَاكُمْ﴾ بالإنفراد . انظر النشر (٢٧١/٢).

(٦) انظر التحرير والتنوير (٨٤/٩).

٢- سورة الأعراف مكية ، ولم يكن في المكي من القرآن ما هو مجادلة مع اليهود^(١).

واستدل لأصحاب القول الثاني بما يلي:

١- الخطاب للموجودين المعاصرين للرسول ﷺ تذكيراً لهم بالنعمة التي أنعم الله بها على الأبناء ، لأنها في الحقيقة نعمة عليهم إذ ببقاء الأصول تبقى الفروع ، كما قال الله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾^(٢).

٢- السياق يعضد هذا القول إذ الظاهر أن خطاب موسى لقومه انتهى عند قوله تعالى: ﴿قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾^(٣) ثم استأنف تعالى فقال: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ ويقوي هذا قراءة الجمهور ﴿أنجيناكم﴾ بنون العظمة^(٤) الدالة على أن الفعل صادر من الله تعالى ، لا من موسى عليه السلام .

٣- خير ما يفسر به القرآن القرآن ، وهذه الآية التي في سورة الأعراف فيها نوع من الإشكال يزيل هذا الإشكال ما جاء في الآيات الأخر الكثيرة التي لا تختلف فيها نحن ولا أنتم أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾^(٥). وقوله: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون * وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾^(٦). وقوله: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾^(٧). وقوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾^(٨). وقوله تعالى:

(١) انظر المصدر السابق (٨٥/٩).

(٢) سورة الحاقة ، الآية : ١١ . وذكر نحو هذا الدليل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٨١/١) ، (٢٧٤/٧).

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٠ .

(٤) انظر النشر (٢٧١/٢) . وقد تقدم قريباً ذكر الخلاف.

(٥) سورة الشعراء ، الآية : ٦٥ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٥٠ .

(٨) سورة طه ، الآية : ٨٠ .

﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾^(١)

وبعد: فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو الأولى في معنى الآية وذلك للأسباب التالية:

١- لما ذكر من دلالة آيات أخر كثيرة ترجح جانب الإمام الطبري وتعيد معنى الآية المتنازع فيها إلى المعنى الذي يتفق عليه الفريقان.

٢- أن الفريقين يتفقان أن المنجى حقيقة إنما هو الله سبحانه وتعالى ، وإنما كان موسى سبباً من الأسباب التي هيأها الله لنجاة بني إسرائيل فلو أسقط السبب وربط الأمر بالله مباشرة لما كان في ذلك حرج، والعكس لا يصح.

٣- ولأن رأي الإمام الطبري - أعني قوله : أن فاعل الإنجاء هو الله سبحانه وتعالى - عليه جمهور المفسرين فيما اطلعت عليه من مصنفاتهم^(٢).

٤- ولأن ما ذكر من أدلة لقول ابن عطية إنما هو سياق الآيات ، وأن السورة مكية ، فالأول معارض بمثله ، والثاني لا يصح أن المتنازع فيه مكي بل يترجم من مكية السورة ، فكيف كل آياتها -

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٦ .

(٢) تقدم قريباً الإشارة إلى المراجع.

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿وَإِذ تَأْذَنُ رَبِّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿وَإِذ تَأْذَنُ﴾ واذكر يا محمد ، إذ آذن ربك وأعلم . وهو تفعل من (الإيذان) ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس^(١) :

صرموا حبل آلف مألوف

أذن اليوم جيرتي بخفوف

يعني بقوله : (أذن) أعلم^(٢) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿تأذن﴾ بأنه قلق من جهة التصريف ، وذلك بعد أن حكى رأيه هو ، فقال : ((بنية ﴿تأذن﴾ هي التي تقتضي التكسب ، من أذن أي علم ، وآذن أي أعلم ، مثل كرم وأكرم وتكرم ، إلا أن تعلم ، وما جرى مجرى هذا الفعل إذا كان مسنداً إلى اسم الله عز وجل لم يلحقه معنى التكسب الذي يلحق المحدثين ، وإنما يترتب بمعنى علم صفة لا بتكسب ، بل هي قائمة بالذات ، وإلى هذا المعنى ينحو الشاعر^(٣) بقوله :

تعلم أبيت اللعن

لأنه لم يأمره بالتعلم الذي يقتضي جهالة ، وإنما أراد أن يوقفه على قوة علمه ، ومنه قول زهير^(٤) :

ينادى في شعارهم يسار

تعلم أن شر الناس حي

فمعنى هذه الآية : وإذ علم الله ليعثن عليهم ، وتقتضي قوة الكلام أن ذلك العلم منه مقترن بإنفاذ وإمضاء ، كما تقول في أمر قد عزمت عليه غاية العزم : (علم الله لأفعلن كذا) نحا إليه أبو علي الفارسي .

(١) البيت في ديوانه ص (١١٣) ، والنكت والعيون (٢٧٣/٢) .

(٢) تفسير الطبري (٢٠٤/١٣) .

(٣) لم أف على هذا الشاعر ، ولا على البيت . وقوله (أبيت اللعن) كلمة كانت تحمي بها العرب الملوك ، ومعناها : أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه . انظر تهذيب اللغة (٦٠٥/١٥) ((أبي)). وهناك أبيات فيها هذه اللفظة (أبيت اللعن) تنسب لعبيدة بن ربيعة بن قحطان . انظر خزنة الأدب (٢٩٩/٥) .

(٤) زهير بن أبي سلمى الزني ، حكيم الشعراء في الجاهلية ت : ١٣ ق هـ) انظر خزنة الأدب (٣٣٢/٢) ، والأعلام (٥٢/٣) .

والبيت في ديوانه (٣٣) ومعاني القرآن وإعرابه (٣٨٧/٢) ، وخزنة الأدب (٤٥٦/٥) .

وقال الطبري وغيره : ﴿ تَأْذَن ﴾ معناه أعلم . وهو قلق من جهة التصريف إذ نسبة ﴿ تَأْذَن ﴾ إلى الفاعل غير نسبة (أعلم) وتبين ذلك من التعدي وغيره^(١).

اعلم أن أبا محمد لا يرد قول الطبري الذي قاله في معنى الآية ولكنه يرى أن فيه قلقاً ، ^{ويبين} وعينه أن ذلك القلق من ناحية التصريف وشرحه بقوله : إذ نسبة تأذن إلى الفاعل ، غير نسبة (أعلم) وتبين ذلك من التعدي وغيره.

والذي فهمت من تعليقه هذا أنه يريد أن يقول : تأذن غير متعد ، فكون الإمام الطبري يشرحه بفعل متعد وهو (أعلم) فيه قلق . وإنما ينسأبه (علم).

وما ذهب إليه الإمام الطبري وافقه عليه جمهور أهل العلم فيما رأيت^(٢) ، فهم يذكرون المعنى الذي ذكر ، ومن هؤلاء أئمة في اللغة مثل ابن قتيبة وأبي إسحاق الزجاج ، وأبي جعفر النحاس ، والعكبري^(٣).

وقد أورد هذا الاستدراك أبو حيان ، وتلميذه السمين ، وابن عاشور ، إلا أنهم لم يعقبوا على ذلك بشيء يذكر^(٤).

ولا شك أن هناك أقوالاً أخرى في معنى ﴿ تَأْذَن ﴾ استوعبها أبو حيان في تفسيره ، وهي - بالإضافة إلى أعلم وعلم - حتم ، ووعد ، وأخبر ، وأمر ، وقال ، وأقسم ، وعزم^(٥).

وعلى كل حال فقول الإمام الطبري أبين هذه الأقوال وأظهرها ، وذلك للأسباب التالية:

١- لما نقله السمين عن الواحدي أنه قال : ((وأكثر أهل اللغة على أن التأذن بمعنى الإيذان وهو

الإعلام))^(٦).

٢- ولأن (أعلم) أبلغ في المعنى من (علم) الذي اختاره ابن عطية ؛ لأن من (أعلم) فقد علم ، وليس

العكس.

(١) المحرر الوجيز (١٢٣/٦ ، ١٢٤).

(٢) نظرت في أكثر من ثلاثين مؤلفاً في التفسير والغريب ومعاني القرآن وإعرابه فرأيت أصحابها على قول الإمام الطبري.

(٣) انظر تفسير القرآن ص (١٧٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٨٧/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٩٦/٣) ، والتبيان في إعراب القرآن (٦٠١/١).

(٤) انظر البحر المحيط (٤١٢/٤) ، والدر المصون (٥٠١/٥) ، والتحرير والتنوير (١٥٥/٩).

(٥) انظر البحر المحيط (٤١٢/٤).

(٦) الدر المصون (٥٠٠/٥).

٣- ولأن تاويل ﴿تأذن﴾ بمعنى (أعلم) هو الذي يشهد له القرآن الكريم ، فإن الله قد أعلمنا في كتابه الكريم بهذه الذلة والمهانة التي يلقاها اليهود كما قال تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾^(١).
 وأما قول ابن عطية : إن نسبة ﴿تأذن﴾ إلى الفاعل غير نسبة (أعلم) فلا يضر إذ لا يلزم في المعنى أن يكون مطابقاً في التعدي واللزوم . والله أعلم.

رسمه الله تعالى

٨- قال الإمام الطبري - عند قوله تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ - : ((وأما قوله : ﴿ودرسوا ما فيه﴾ فإنه معطوف على قوله : ﴿ورثوا الكتاب﴾ ومعناه : ... قرأوا ما فيه ، يقول : ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه ، فضيعوه وتركوا العمل به ، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك))^(١).

رسمه الله تعالى

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن ﴿ودرسوا﴾ معطوف على ﴿ورثوا الكتاب﴾ فقال : ((وقوله تعالى : ﴿ودرسوا﴾ معطوف على قوله : ﴿ألم يؤخذ﴾ الآية بمعنى الماضي ، ويقدر : أليس قد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ؟ وبهذين الفعلين تقوم الحجة عليهم في قورهم الباطل... وقال الطبري وغيره : قوله : ﴿ودرسوا﴾ معطوف على قوله : ﴿ورثوا الكتاب﴾ . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي هذا نظر لبعده المعطوف عليه ؛ لأن قوله : ﴿ودرسوا﴾ يزول منه معنى إقامة الحجة بالتقدير الذي في قوله : ﴿ألم﴾^(٢).

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، والأقوال فيها ثلاثة:

القول الأول : أن قوله : ﴿ودرسوا﴾ معطوف على قوله : ﴿ألم يؤخذ﴾ لأن الاستفهام فيه بمعنى التقرير ، أي أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ، وإلى هذا ذهب الزمخشري^(٣) وابن عطية. القول الثاني : أن قوله : ﴿ودرسوا﴾ معطوف على قوله : ﴿ورثوا﴾ وإلى هذا ذهب الإمام ابن الأنباري ، والعكبري ، والكرمانى^(٤). وهو قول الإمام الطبري.

القول الثالث : أنه على إضمار (قد) ، والتقدير : وقد درسوا . حكاها أبو حيان من غير نسبة^(٥). وقد جنح أبو حيان إلى القول الأول ، واستبعد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري فقال : ((﴿ودرسوا﴾ معطوف على قوله : ﴿ألم يؤخذ﴾ ... وهذا العطف على التقرير ؛ لأن معناه : (قد

(١) تفسير الطبري (٢١٥/١٣).

(٢) المحرر الوجيز (١٢٩/٦).

(٣) انظر الكشاف (١٢٨/٢).

(٤) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (٣٧٨/١)، والبيان (٦٠٢/١)، وغرائب التفسير (٤٢٦/١).

(٥) انظر البحر (٤١٥/٤).

أخذنا عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه) ... وقال الطبري وغيره: هو معطوف على قوله: ﴿ورثوا الكتاب﴾ وفيه بعد . وقيل: هو على إضمار قد . أي وقد درسوا ما فيه . وكونه معطوفاً على التقرير هو الظاهر؛ لأن فيه معنى إقامة الحجة عليهم في أخذ ميثاق الكتاب بكونهم حفظوا لفظه ، وكرروه ، وما نسوه ، وفهموا معناه ، وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل^(١).

وإلى ما ذهب إليه أبو حيان ، ذهب تلميذه السمين من استظهار القول الأول ، فقال: ((قوله : ﴿ودرسوا﴾ فيه ثلاثة أوجه ، أظهرها ما قال الزمخشري ، وهو كونه معطوفاً على قوله : ﴿ألم يؤخذ﴾ ، لأنه تقرير...^(٢)).

وبعد : فالذي يظهر لي أن القولين معتبران قرينان أعني - ما ذهب إليه الطبري وابن عطية - وأن من قال بأحدهما فهو مصيب لا تثريب عليه.

أما وجه قوة قول الإمام الطبري فإنه عطف الخبر على الخبر ؛ لأن قوله : ﴿ورثوا﴾ ، وقوله : ﴿ودرسوا﴾ أصيلان في الخبرية لفظاً ومعنى بعكس قوله : ﴿ألم يؤخذ﴾ وقوله : ﴿ودرسوا﴾ فإن أحدهما - وهو ﴿ألم يؤخذ﴾ - لفظه لفظ الإنشاء ، لا الخبر .

ولا يضر الطبري ما علل به ابن عطية بقوله : إن المعطوف عليه يصبح بعيداً . أقول: لا يضره هذا؛ لأن ما بين قوله : ﴿ورثوا﴾ وقوله : ﴿ودرسوا﴾ اعتراض^(٣) ، والمعتز لا تأثير له حتى يقال: إن هناك بعداً بين المتعاطفين.

وأما وجه قوة قول القاضي ابن عطية فهو من ناحية المعنى لأن معنى الكلام على إعرابه يكون: أخذنا عليهم الميثاق ودرسوا ما في الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ، وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل . وهذا أبلغ في توبيخ وتفريع اليهود من المعنى الذي يكون على إعراب الإمام الطبري ، إذ تقديره على إعرابه : ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه ألا يقولوا على الله إلا الحق ، وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل . والله أعلم.

(١) البحر المحيط (٤/٤١٥).

(٢) الدر المصون (٥/٥٠٥، ٥٠٦).

(٣) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (١/٣٧٨)، والبيان في إعراب القرآن (١/٦٠٢).

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾^(١) قال أبو جعفر : ... اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلها فيما أوتيا من المولود . فقال بعضهم : جعل له شركاء في الاسم ... وقال آخرون : بل المعنى بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم جعل الله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد ... قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب ، قول من قال : عني بقوله : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء ﴾ في الاسم ، لا في العبادة ، وأن المعنى بذلك آدم وحواء ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . فإن قال قائل : فما أنت قائل - إذ كان الأمر على ما وصفت في تأويل هذه الآية ، وأن المعنى بها آدم وحواء - في قوله : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ ؟ ... فإن قلت : في الأسماء دل على فساده قوله : ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ﴾^(٢) فإن قلت : في العبادة . قيل لك : أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره ؟ قيل له : إن القول في تأويل قوله : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ ليس بالذي ظننت ، وإنما القول فيه : فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله : ﴿ جعل له شركاء فيما آتاهما ﴾ ثم استأنف قوله : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾^(٣) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري جعله ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ منفصلاً مما قبله فقال : ((... وقال الطبري والسدي في قوله تعالى : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ إنه كلام منفصل ليس من الأول وإن خبر آدم وحواء تم في قوله : ﴿ فيما آتاهما ﴾ وإن هذا كلام يراد به مشركو العرب . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا تحكم لا يساعده اللفظ ، ويتجه أن يقال : تعالى الله عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الاسم ، ويبقى الكلام في جهة

(١) هذه الآية رقمها (١٩٠) ، وأما الآية (١٨٩) فهي قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها يسكن إليها فلما نفشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين ﴾ وقد أشرت إليها في أعلى الصفحات لعلاقتها الوثيقة بالآية التي أشار إليها الإمامان ؛ ولأن بعض المفسرين سيذكروها فيما يأتي .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٩١ .

(٣) تفسير الطبري (٣/٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥) .

أبوينا آدم وحواء عليهما السلام . وجاء الضمير في ((يشركون)) ضمير جمع ؛ لأن إبليس مدبر معهما تسمية الولد عبد الحارث))^(١).

اختلف أهل العلم في اتصال هذا الجزء من الآية ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ بما قبله وانفصاله عنه على قولين اثنين:

القول الأول : أن قوله تعالى: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ متصل بما قبله وهؤلاء لهم مسلكان: المسلك الأول : ما ذهب إليه ابن عطية من جعل الآية الأولى في آدم وزوجه حواء ، والثانية فيهما أيضاً والشرك الذي وقع منهما إنما هو في التسمية.

وقوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ أي عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الاسم ويبقى الكلام في الآيتين في جهة أبوينا آدم وحواء. وهذا المسلك وجه إليه طعون عدة ، متفرقة في كتب التفاسير ، أتى على معظمها الرازي حيث قال: ((واعلم أن هذا التأويل فاسد ويدل عليه وجوه: الأول: أنه تعالى قال: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ وذلك يدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة. الثاني: أنه تعالى قال بعده : ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾^(٢) وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى ، وما جرى لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر. الثالث: لو كان المراد إبليس لقال : أيشركون من لا يخلق شيئاً ، ولم يقل : ﴿ما لا يخلق شيئاً﴾ لأن العاقل إنما يذكر بصيغة (من) لا بصيغة (ما). الرابع: أن آدم عليه السلام كان أشد الناس معرفة بابليس ، وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾^(٣) فكان لا بد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحارث ، فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ، ومع علمه بأن اسمه هو الحارث كيف سمي ولد نفسه بعبد الحارث؟ وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى إنه لم يجد سوى هذا الاسم؟ الخامس: أن الواحد منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح ، فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسميه بمثل هذه الأسماء لجزره وأنكر عليه أشد الإنكار ، فآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه الكثير

(١) المحرر الوجيز (١٧٥/٦).

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٩١.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣١.

الذي حصل من قوله: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾^(١) وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس كيف لم يتنبه لهذا القدر؟ وكيف لم يعرف أن ذلك من الأفعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز منها؟...^(٢)

ومن الطعون التي وجهت لهذا المسلك الذي نحى إليه ابن عطية أنه مبني على أحاديث وآثار لا تثبت عن رسول الله ﷺ ، وبعضها إسرائيلية لا يعول عليها من له قلب^(٣).

المسلك الثاني من القول الأول : المعنى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ، وخلق لكل نفس زوجاً من جنسها ، فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً ، وهو ماء الفحل ، فلما أثقلت بمصير ذلك الماء حملاً ودماً وعظماً دعا الرجل والمرأة ربهما لتن آيتنا صالحاً ، أي ذكراً سوياً لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاها أي فلما أعطى الله تعالى الأب والأم ما سألاه ، جعل له شركاء فسميا عبد اللات ، وعبد العزى ، وغير ذلك ثم رجعت الكناية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ إلى الجميع ، ولا تعلق للآية بآدم وحواء عليهما السلام أصلاً^(٤).

وهذا المسلك أثنى عليه كثير من أهل العلم ، وأشاروا إليه في مصنفاتهم ، ومن هؤلاء ابن العربي حيث قال: ((وهذا القول أشبه بالحق ، وأقرب إلى الصدق ، وهو ظاهر الآية وعمومها الذي يشمل جميع متناولاتها ، ويسلم فيه الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر ، فكيف بساداتهم وأنبيائهم))^(٥).

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣١ .

(٢) التفسير الكبير (٧٠/١٥) .

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٨١٩/٢ ، ٨٢٠) ، وتفسير ابن كثير (٢٧٥/٢ ، ٢٧٦) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦٧٨/٣ ، ٦٧٩) .

(٤) انظر روح المعاني (١٤١/٩) . وقرر ابن العربي هذا المسلك بقوله : ((إن المراد بهذا جنس آدميين ، فإن حالهم في الحمل وخفته وثقله إلى صفة واحدة . وإذا خف عليهم الحمل استمروا به ، فإذا ثقل عليهم نذروا كمثل نذر فيه ، فإذا ولد لهم ذلك الولد جعلوا فيه لغير الله شركاء في تسميته وعمله ، حتى إن منهم من ينسبه إلى الأصنام ، ويجعله لغير الله ، وعلى غير دين الإسلام . أحكام القرآن (٨٢٠/٢) .

(٥) أحكام القرآن (٨٢٠/٢) .

وقال أبو حيان : ((وأما من جعل الخطاب للناس ، وليس المراد في الآية بالنفس وزوجها آدم وحواء... فيتسق الكلام اتساقاً حسناً من غير تكلف تأويل ، ولا تفكيك))^(١).

وقال ابن كثير - بعد أن ساق عن الحسن أنه قال : عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده، يعنى ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ وعنه أيضاً أنه قال : اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا - : ((وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية))^(٢).

وقد قُرر هذا المسلك بطرق مختلف عما ذكرت في اللفظ لكن المؤدي واحد ، فانظرها إن شئت في كتب التفسير^(٣).

القول الثاني: أن قوله تعالى: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ منفصل عما قبله فالآيتان من قوله: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ إلى قوله: ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ في آدم وحواء ، وقوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ في مشركي العرب الذين جعلوا لله أنداداً وشركاء وإلى هذا القول ذهب الإمام الطبري وبعض المفسرين^(٤).

وحجة هؤلاء أن الشرك يتناقض مع مقام النبوة ، وأما قوله: ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ فإنما هو في التسمية وهذا ليس بشرك.

وبعد : فانت إذا نظرت في قولي الإمام الطبري وابن عطية ، وجدتهما يتفقان في إثبات القصة لآدم وحواء عليهما السلام ، ويقولان : ما حصل منهما إنما هو في التسمية . وهذه التسمية يرى الإمام الطبري أنها ليست بشرك ، ولذلك لا يصلح أن يقال : إن قوله تعالى: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ راجع إلى ما وقع من هذه التسمية.

(١) البحر المحيط (٤/٤٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٦).

(٣) كالتفسير الكبير (٧١/١٥)، والانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (٢/١٣٦، ١٣٧).

(٤) انظر الوسيط (٢/٤٣٥) فقد نسب لابن عباس ومقاتل والسدي . وانظر أيضاً معالم التنزيل (٢/٢٢١) ، وزاد المسير

والقاضي ابن عطية يجنح إلى أن في هذه التسمية ما قد يوهم شائبة الشرك ، ولذلك يصلح أن نعيد قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ إلى تنزيه الله عن هذه الشائبة.
والظاهر أن قول ابن عطية أقرب - مع أن الصواب في نظري ^{نحو} غير ما ذهب إليه - وذلك للأسباب التالية:

١- ظاهر السياق يدل على أن قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ مرتبط بما قبله ، فلا يصلح فصله عنه ، وأعني بقولي بما قبله ما جاء في نفس الآية من قوله: ﴿جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾.
٢- ولوجود شائبة الشرك والتعظيم فيمن نسبت له العبودية ولذلك نهى النبي ﷺ عما هو أقل من ذلك، فروى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي ، كلكم عبيد الله ، وكل نساتكم إماء الله . ولكن ليقبل غلامي وجاريتي ، وفتاتي وفتاتي))^(١).

٣- ولأن الإمام الطبري مجوز لأصل القصة فلا يسعه دفع ما هو من تمامها إلا بشيء من التكلف.
ثم اعلم أن الصحيح في تفسير الآيتين هو ما ذكر في ^{المسلك} القسم الثاني من القول الأول ، وذلك لما يلي:
١- أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- ما اتصل من التعنيف والتوبيخ بهذه القصة يدل على أنها صدرت من بعض ذرية آدم، لا من آدم، وزوجه عليهما السلام ، وذلك قوله تعالى: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون* ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون* وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدَعَوْتَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾^(٢).

٣- ولأن ما ذكر من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة^(٣).

(١) صحيح الإمام مسلم (٤/١٧٦٤) ، كتاب الألقاظ من الأدب وغيرها ، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمرء والسيد ، ح (٢٢٤٩).

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) بعض ما رجحت به هذا القول مأخوذ من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٠٤).

سورة الأنفال

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ - : ((واختلف أهل العربية في وجه تأنيث (البين) فقال بعض نحويي البصرة : أضاف ذات إلى البين وجعله (ذاتاً) ؛ لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث ، وبعضاً يذكر نحو (الدار) و (الحائط) أنث الدار ، وذكر الحائط . وقال بعضهم : إنما أراد بقوله : ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحال التي للبين ، فقال : وكذلك ذات العشاء ، يريد الساعة التي فيها العشاء ، قال : ولم يضعوا مذكراً للمؤنث ولا مؤنثاً للمذكر إلا لمعنى . قال أبو جعفر : وهذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التي ذكرتها له))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من ترجيح للقول الثاني فقال : ((وذات في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته . والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات ، وذات ذلك هي المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه ، فحضر الله عز وجل على إصلاح تلك الأجزاء ، فإذا صلحت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم... وذكر الطبري عن بعضهم أنه قال : ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحال التي لبينكم ، كما ذات العشاء الساعة التي فيها العشاء . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ورجحه الطبري وهو قول بين الانتقاض))^(٢).
لم يبين أبو محمد وجه انتقاض قول الإمام الطبري ، وكذلك لم يبينه من نقل هذا الاستدراك ، وهو أبو حيان^(٣).

وقد فسر بعض أهل اللغة الآية بما ذهب إليه الإمام الطبري ، فنقل أبو منصور الأزهري عن أبي العباس أحمد بن يحيى أنه قال في قوله تعالى : ((﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ قال : أراد الحالة التي للبين ، وكذلك أتيتك ذات العشاء ، أراد الساعة التي فيها العشاء))^(٤).
ويظهر أن الإمام الطبري أراد بقوله : (وقال بعضهم) قول أبي العباس هذا.

(١) تفسير الطبري (٣٨٤/١٣).

(٢) المحرر الوجيز (٦/٢١٣، ٢١٤).

(٣) انظر البحر المحيط (٤/٤٥٤) فقد أورد أبو حيان استدراك القاضي هذا ، ولم يعقب عليه بشيء.

(٤) تهذيب اللغة (١٥/٤٢) في تفسير ((ذو وذات)).

وقد نقل هذا القول غير واحد من أهل اللغة في معنى الآية مقراً له ، غير معترض عليه بشيء^(١) .
 وذهب بعض أهل اللغة والتفسير^(٢) إلى تفسير الآية بالقول الذي ذهب إليه ابن عطية ، وعلى رأس
 هؤلاء أبو إسحاق الزجاج فقد قال : ((معنى ﴿ذات بينكم﴾ حقيقة وصلكم))^(٣) .
 وفريق ثالث : نفى أن يكون تفسير الذات بالحقيقة والنفس من كلام العرب . قال ابن جزري :
 ((وذات هنا بمعنى الأحوال قاله الزمخشري . وقال ابن عطية يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء
 وحقيقته . وقال الزبيري^(٤) : إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب))^(٥) .
 وقال الراغب : ((وقد استعار أصحاب المعاني الذات فجعلوها عبارة عن عين الشيء جوهرأ كان أو
 عرضاً ، واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمرة بالألف واللام وأجروها مجرى النفس والخاصة ، فقالوا :
 ذاته ونفسه وخاصته وليس ذلك من كلام العرب))^(٦) .
 قلت : لعل من قال ليست من كلام العرب يعنون أنه اصطلاح حادث ، وقد أشار إلى ذلك الألووسي
 حيث قال : ((و ﴿ذات﴾ كما قيل : بمعنى صاحبة صفة لمفعول محذوف ... أي أحوالاً ذات افتراقكم ،
 أو ذات وصلكم ... وقال الزجاج وغيره : إن ﴿ذات﴾ هنا بمنزلة حقيقة الشيء ونفسه كما بينه ابن
 عطية وعليه استعمال المتكلمين^(٧)))^(٨) .

(١) انظر لسان العرب (١١/٥) ، والمعجم الوسيط (٣١٩/١) . الأول في ((ذو وذوات)) والثاني في ((ذات)) .

(٢) انظر زاد المسير (٣/٣٢٢) ، والجواهر الحسان (١٠٨/٢) ، وتفسير الجلالين ص (٢٠٩) ، ويظهر أن هؤلاء تأثروا بقول
 الزجاج ، وابن عطية .

(٣) معاني القرآن وإعراجه (٤٠٠/٢) .

(٤) لعله صاحب ملاك التأويل . أحمد بن إبراهيم بن الزبير القرناطي ، العلامة برع في علوم كثيرة منها العربية
 (ت : ٧٠٨هـ) . انظر بغية الوعاة (٢٩١/١) .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٠/٢) .

(٦) المفردات ص (١٨٢) .

(٧) المتكلمون هم المشتغلون بعلم يبحث عن أمور يعلم منها المعاد وما يتعلق به من الجنة والنار والصراف والميزان والشواب
 والغناب . من كتاب التعريفات ص (١٨٥) .

(٨) روح المعاني (١٦٤/٩) .

وبعد : فالذي يظهر أن ما ذهب إليه الإمام الطبري حق لا انتقاض فيه ، وكذلك ما ذهب إليه ابن عطية ليس بعيد إلا أن الإمام الطبري فسرها بما هو أعرق عربية ، وابن عطية نحى في تفسيرها منحى المتكلمين ، ويدلك على أن تفسير الإمام الطبري مقدم ، وأن ما ذهب إليه ابن عطية جازئ شينان :

الأول : ما شرح به ابن عاشور هذه اللفظة ﴿ذات﴾ فقال : ((و ﴿ذات﴾ يجوز أن تكون مؤنث (ذو) الذي هو بمعنى صاحب فتكون ألفها مبدلة من الواو ، ووقع في كلامهم مضافاً إلى الجهات ، وإلى الأزمان ، وإلى غيرهما ، مجرؤه مجرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق كقوله تعالى : ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾^(١) ... على تأويل جهة . وتقول : لقيته ذات ليلة ، ولقيته ذات صباح ، على تأويل المقدر ساعة ، أو وقت ، وجرت مجرى المثل في ملازمتها هذا الاستعمال . ويجوز أن تكون ﴿ذات﴾ أصلية الألف كما يقال : أنا أعرف ذات فلان ، فالمعنى حقيقة الشيء وماهيته ، كذا فسرها الزجاج ... فتكون كلمة مقحمة لتحقيق الحقيقة جعلت مقدمة ، وحقها التأخير ؛ لأنها للتأكيد مثل المعنى في قولهم : جاءني بذاته ... فالمعنى : أصلحوا بينكم ، ولذا فذات مفعول به ، على أن (بين) في الأصل ظرف فخرج عن الظرفية ، وجعل اسماً متصرفاً ، كما قرئ ﴿لقد تقطع بينكم﴾^(٢) برفع بينكم في قراءة جماعة فأضيفت ذات فصار المعنى : أصلحوا حقيقة بينكم ، أي اجعلوا الأمر الذي يجمعكم صالحاً غير فاسد ... واعلم أنني لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن^(٣).

الثاني : أن بعض أهل اللغة وبعض أصحاب المعاني والتفسير ذكروا المعنيين اللذين ذكرهما الإمام الطبري وابن عطية عند تفسير هذه الآية ، وما ذاك منهم فيما يظهر إلا تجويز للمعنيين^(٤) ، حتى أن أبا

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩٤ .

(٣) التحرير والتنوير (٢٥٣/٩ ، ٢٥٤) .

(٤) انظر - على سبيل المثال - تهذيب اللغة (٤٢/١٥) ، ولسان العرب (١١/٥) ، والبحر المحيط (٤٥٣/٤ ، ٤٥٤) ،

وتفسير النسفي (٩٣/٢) ، وترتيب القاموس المحيط (٢٤٤/٢) في مادة ((ذو)).

إسحاق الزجاج وهو ممن صدر عنه القول الذي ذهب إليه ابن عطية يذكر المعنى الذي ذهب إليه الإمام الطبري عقب القول الذي ذهب إليه ابن عطية^(١) ، فهذا يدل على أن كليهما صحيح عنده. ويؤكد هذا الاتجاه - أعني تصحيح المعنيين - أن أبا جعفر النحاس قال في كتابه معاني القرآن الكريم: ((الذات الحقيقة))^(٢).

وقال في كتابه إعراب القرآن : ((أي الحال التي يقع بها الاجتماع))^(٣).

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/٢) فقد أردف تفسيره للآية بقوله : ((وكذلك اللهم أصلح ذات البين . أي أصلح

الحال التي بها يجتمع المسلمون)).

(٢) انظر (١٢٩/٣).

(٣) انظر (١٧٥/٣).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله : ﴿ إذ يغشاكم النعاس أمانة منه... ﴾ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾^(١) ﴿ إذ يغشاكم النعاس ﴾... يلقي عليكم النعاس))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أن جعل العامل في ﴿ إذ ﴾ هو ﴿ ولتطمئن ﴾ فقال : ((العامل في ﴿ إذ ﴾ هو العامل الذي عمل في قوله : ﴿ وإذ يعدكم ﴾ بتقدير تكراره؛ لأن الاشتراك في العامل الأول نفسه لا يكون إلا بحرف عطف ، وإنما القصد أن يعدد نعمه تبارك وتعالى على المؤمنين في يوم بدر فقال : (واذكروا إذ فعلنا بكم كذا) . وقال الطبري: العامل في ﴿ إذ ﴾ قوله : ﴿ ولتطمئن ﴾ . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا مع احتمال فيه ضعف، ولو جعل العامل في ﴿ إذ ﴾ شيئاً قريباً مما قبلها لكان الأولى في ذلك أن يعمل في ﴿ إذ ﴾ ﴿ حكيم ﴾ ؛ لأن إلقاء النعاس عليهم وجعله أمانة حكمة من الله عز وجل))^(٣).

حاصل الخلاف بين الإمامين - الطبري وابن عطية - أن الإمام الطبري يرى أن العامل في ﴿ إذ ﴾ فعل ظاهر متقدم عليها هو ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾^(٤).

وابن عطية يرى أن العامل في ﴿ إذ ﴾ هو العامل الذي عمل في قوله : ﴿ وإذ يعدكم ﴾^(٥) ويعني بذلك أنه فعل مقدر تقديره : (واذكر) نص على ذلك بقوله : ((وقوله تعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾^(٦)... إذ متعلقة بفعل تقديره واذكر إذ ، وهو الفعل الأول الذي عمل في قوله : ﴿ وإذ يعدكم ﴾^(٧))).

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١٠ .

(٢) تفسير الطبري (٤١٩/١٣) .

(٣) المحرر الوجيز (٢٣١/٦) .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ١٠ .

(٥) من قوله: ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ سورة الأنفال ، الآية : ٧ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : ٩ .

(٧) المحرر الوجيز (٢٢٦/٦) .

ويرى أن ما ذهب إليه الإمام الطبري في تقدير العامل مع احتمالاه ففيه ضعف ، ولم يفصح القاضي ابن عطية عن سبب الضعف ، وكذلك بعض من اطلعت على مصنفاتهم ممن يهتم بنقل أقواله واستدراكاته كأبي حيان لم يذكر السبب لتضعيف ابن عطية لما ذهب إليه الإمام الطبري^(١). ولعل سبب تضعيفه لقول الطبري هو طول الفصل بين العامل والمعمول ، أو أنه يرى أن الآية سيقت مساق الامتنان بتعديد النعمة على المؤمنين يوم بدر ، وهذا لا يصلح له إلا تقدير ((اذكر)) ، وبدل لهذا الاحتمال قول ابن عطية : ((ولو جعل العامل في إذ شيئاً قريباً مما قبلها لكان الأولى في ذلك أن يعمل في ﴿إذ﴾ حكيم))^(٢).

الإمامان

وأنت إذا نظرت في كتب الإعراب والتفسير وجدت المسألة في تقدير العامل محتملة لما ذكره الإمامان ولغير ذلك فقد حكى الزمخشري الأقوال في تقدير العامل في قوله: ﴿إذ يغشيكم﴾ فقال: ((بدل ثان من ﴿إذ يعدكم﴾ أو منصوب بالنصر ، أو بما في ﴿من عند الله﴾^(٣) من معنى الفعل ، أو بما جعله الله ، أو يا ضمير اذكر))^(٤).

وقد علق أبو حيان على ما ذكره الزمخشري من أقوال بقوله : ((أما كونه بدلاً ثانياً من ﴿إذ يعدكم﴾ فوافقه عليه ابن عطية فإن العامل في ﴿إذ﴾ هو العامل في قوله: ﴿وإذ يعدكم﴾ بتقدير تكراره ؛ لأن الاشتراك في العامل الأول نفسه لا يكون إلا بحرف عطف وإنما القصد أن يعدد نعمه على المؤمنين في يوم بدر فقال : (واذكروا إذ فعلنا بكم كذا ، واذكروا إذ فعلنا كذا) . وأما كونه منصوباً بالنصر ففيه ضعف من وجوه . أحدها : أنه مصدر فيه أل وفي إعماله خلاف ... الثاني : أنه موصول وقد فصل بينه وبين معموله بالخبر الذي هو ﴿إلا من عند الله﴾ وذلك إعمال لا يجوز لا يقال : ضرب زيد شديد عمراً. الثالث : أنه يلزم من ذلك إعمال ما قبل (إلا) فيما بعدها من غير أن يكون ذلك المفعول مستثنى أو مستثنى منه ، أو صفة له (وإذ) ليس واحداً من هذه الثلاثة ... وأما كونه منصوباً بما في عند الله من معنى الفعل فيضعفه المعنى ، لأنه يصير استقرار النصر مقيداً بالظرف ، والنصر من عند

(١) انظر البحر (٤/٤٦١).

(٢) من قوله تعالى: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ سورة الأنفال ، الآية : ١٠.

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ١٠.

(٤) الكشاف (٢/١٤٦).

الله مطلقاً في وقت غشي وغيره . وأما كونه منصوباً بـ ﴿ ما جعله الله ﴾ فقد سبقه إليه الحوفي^(١) . وهو ضعيف أيضاً لطول الفصل ، ولكونه معمول ما قبل إلا ، وليس أحد تلك الثلاثة . وقال الطبري : العامل في ﴿ إذ ﴾ قوله : ﴿ ولتطمئن ﴾ قال ابن عطية : وهذا مع احتماله فيه ضعف . وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون ظرفاً لما دل عليه ﴿ عزيز حكيم ﴾ وقد سبقه إلى قريب من هذا ابن عطية ... والأجود من هذه الأقوال أن يكون بدلاً^(٢) .

وهذه الأقوال ذكر منها الشوكاني ثلاثة ونعت الباقي بأنه لا وجه له فقال : ((قوله : ﴿ إذ يغشاكم ﴾^(٣) الظرف منصوب بفعل مقدر كالذي قبله أو بدل ثان من ﴿ إذ يعدكم ﴾ أو منصوب بالنصر المذكور قبله . وقيل غير ذلك مما لا وجه له^(٤) .

وبعد : فالذي يبدو أن ما ذهب إليه القاضي هو أجود هذه الأقوال لما أبداه من تعليل ، ولثناء أبي حيان عليه بقوله : ((والأجود من هذه الأقوال أن يكون بدلاً)) .

وأما اعتراضه على ما ذهب إليه الإمام الطبري فهو كما قال لأسباب ثلاثة :

١ - لطول الفصل ^{بين} العامل والمعمول .

٢ - ولأن المعنى يضعف ما ذهب إليه الإمام الطبري إذ يفهم منه أن اطمئنان القلوب وقت غشية النعاس لهم ، والاطمئنان حاصل لهم من قبل هذا إذ قد بشرهم الرسول ﷺ بالنصر على الأعداء قبل بدء المعركة .

٣ - ولأن الآية - كما قال ابن عطية - سقت مساق الامتنان بتعديد النعم على المؤمنين يوم بدر ، وهذا يناسبه تقدير ((اذكر)) .

(١) علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي ، النحوي المفسر (ت : ٤٣٠ هـ) . انظر طبقات المفسرين (١ / ٣٨٨) .

(٢) البحر المحيط (٤ / ٤٦١) .

(٣) بالألف في (يغشاكم) قراءة متواترة . انظر النشر (٢ / ٢٧٦) .

(٤) فتح القدير (٢ / ٢٩٠) .

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَبَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ - : ((والأساطير جمع أسطر ، وهو جمع الجمع، لأن واحد الأسطر ، سطر ، ثم يجمع السطر أسطر ، وسطور ، ثم يجمع الأسطر أساطير وأساطير. وقد كان بعض أهل العربية يقول : واحد الأساطير أسطورة))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن أساطير جمع أسطر فقال: ((وأساطير جمع أسطورة ، ويحتمل أن يكون جمع أسطار ، ولا يكون جمع أسطر كما قال الطبري؛ لأنه كان يجيء (أساطير) بدون ياء ، هذا هو قانون الباب ، وقد شذ منه شيء كصيرف ، قالوا في جمعه : صياريف))^(٢).

هذه المسألة فيها خلاف بين اللغويين ، ومحل الخلاف بينهم في مفرد ﴿أساطير﴾^(٣) ، وأنا أسوق لك جملة من أقوالهم ليتبين لك أن المسألة محل خلاف ، وأن هناك من يتفق قوله مع قول الإمام الطبري. قال أبو عبيدة : ((واحدتها أسطورة ، وإسطارة لغة))^(٤).

وقال ابن قتيبة : ((و﴿أساطير الأولين﴾ أخبارهم ... واحدها سطر ، ثم أسطار ، ثم أساطير جمع الجمع مثل قول ، وأقوال ، وأقاويل . وأبو عبيدة يجعل واحدها أسطورة ، وإسطارة))^(٥). وقال الزجاج : ((واحدها إسطار ، وأسطورة ، وتأويل السطر في اللغة أن تجعل شيئاً ممتداً مؤلفاً، فمن ذلك سطر الكتاب ، يقال: سَطَّرَ وسَطَّرَ ، فمن قال : سطر جمعه أسطار ... وجمع أسطار أساطير، فعلى هذا عندي ﴿أساطير الأولين﴾ . ومن قال : سَطَّرَ فجمعه أسَطَّرَ ، وجمع الجمع أساطرة وأساطير...))^(٦).

(١) تفسير الطبري (١٣/٥٠٣).

(٢) المحرر الوجيز (٦/٢٧٦، ٢٧٧).

(٣) يرى الأخفش أنه من الجمع الذي ليس له واحد . انظر كتابه معاني القرآن (٢/٤٨٦).

(٤) مجاز القرآن (١/١٨٩).

(٥) تفسير غريب القرآن ص (٣٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٣٧، ٢٣٨).

وقال أبو جعفر النحاس : ((واحد الأساطير إسطاره ، ويقال : أسطورة ، ويقال : هو جمع أسطار ، وأسطار جمع سطر ، يقال : سَطَّرَ وسَطَّرَ))^(١).

وقال الزمخشري : ((الأساطير جمع أسطار ، جمع سطر ... وجمع أسطورة أوفق))^(٢).

وقال الراغب : ((وأما قوله : ﴿الأساطير الأولين﴾ فقد قال المبرد : هي جمع أسطورة...))^(٣).

وقال ابن منظور : ((والأساطير الأباطيل ، والأساطير أحاديث لا نظام لها ، واحدها إسطار ، وإسطارة بالكسر ، وأسطير ، وأسطيرة ، وأسطورٌ وأسطورةٌ بالضم . وقال قوم : أساطير جمع أسطار ، وأسطار جمع سطر . وقال أبو عبيدة^(٤) : جمع سطر على أسطر ، ثم جمع أسطر على أساطير...))^(٥).

وقال الفيروزآبادي : ((السطر الصف من الشيء ... ج أسطرٌ ، وسُطُور ، وأسطارٌ ، جج أساطير))^(٦).

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة ؛ لأن هذا القول الذي جوزه الإمام الطبري - وإن كان قد قال به بعض أهل اللغة - الصناعة الصرفية على خلافه ؛ لأن (أساطير) لو كان جمعاً ل (أسطر) كان الصواب (أساطر) - كما قال ابن عطية - لأن (أفاعل) وزن للرباعي المزيد من أوله همزة نحو : أصبع : أصابع ، وأتملة : أنامل ، وأرنب : أرناب ، وأسطر : أساطر^(٧).

ولأن (أفاعيل) وزن للرباعي المزيد فيه همزة من أوله ، وحرف مد في حشوه ، مثل : أسلوب : أساليب ، وإضارة^(٨) : أضاير ، وأسطور : أساطير ، وأسطورة : أساطير^(٩).

(١) إعراب القرآن (٦١/٢).

(٢) الكشف (٤٠/٣).

(٣) المفردات ص (٢٣٢).

(٤) هكذا أبو عبيدة في النسخة التي بين يدي . وقد تقدم قوله في واحد (أساطير) أنه (أسطورة ، وإسطارة) فأما أنه يرى القولين ، وأما أن الكلام لغيره ممن يوافقه في الكنية ، أو يكون تصحفاً وأن الأصل (أبو عبيد).

(٥) لسان العرب (٢٥٧/٦) ((سطر)).

(٦) ترتيب القاموس (٥٦٠/٢) ((سطر)).

(٧) انظر مختصر الصرف ص (٤٥).

(٨) الإضارة : الحزمة من الصحف . انظر المعجم الوسيط (٥٥٣/١) ((ضم)).

(٩) انظر المرجع السابق ص (٤٥) ، والمعجم المفصل في علم الصرف ص (٢٩٥).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ﴾ - : ((يقول فلما تراءت جنود الله من المؤمنين ، و جنود الشيطان من المشركين ونظر بعضهم إلى بعض ﴿نكص على عقبيه﴾ يقول: رجع القهقري على قفاه هارباً. يقال منه : ((نكص ينكص وينكص نكوصاً)) ومنه قول زهير^(١):

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿نكص على عقبيه﴾ فقال : ((وقوله : ﴿نكص على عقبيه﴾ معناه : رجع من حيث جاء. وأصل النكوص في اللغة: الرجوع القهقري. قال زهير:

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا

كذا أنشد الطبري ... وبذلك فسر الطبري هذه الآية ، وفي ذلك بعد ، وإنما رجوعه في هذه الآية مشبه بالنكوص الحقيقي ، وقال اللغويون : النكوص الإحجام عن الشيء ، يقال: أراد أمراً ثم نكص عنه. وقال تابط شراً^(٣):

ليس النكوص على الأدبار مكرمة . إن المكارم إقدام على الأسل

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فليس هاهنا قهقري ، بل هو فرار . وقال مؤرج^(٤) : نكص هي رجع بلغة سليم^(٥).

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وقوله تعالى : ﴿ على عقبيه ﴾ يبين أنه إنما أراد الانهزام والرجوع في ضد إقباله^(٦).

(١) انظر ديوانه ص (٩٣) ، ولسان العرب (٢٧/٣) ((حبك)).

(٢) تفسير الطبري (١١/١٤).

(٣) ثابت بن جابر بن سفيان ، شاعر عداء من فئتك العرب في الجاهلية ، مات قبل الهجرة بزمن كبير. انظر خزنة الأدب (١٣٧/١)، والأعلام (٩٧/٢) . والبيت لم أقف عليه في ديوانه الذي جمعه ذو الفقار ، وهو في الجامع لأحكام القرآن (٢٧/٨)، والدر المنصور (٦١٨/٥).

(٤) مؤرج بن عمرو السدوسي العلامة شيخ العربية ، (ت : ١٩٥ هـ) انظر السير (٣٠٩/٩).

(٥) سليم : قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان ، من العدنانية ، تنفرع إلى عدة عشائر وبطون. انظر معجم قبائل العرب (٥٤٣/٢).

(٦) المحرر الوجيز (٦/٣٣٥ ، ٣٣٦).

حاصل الخلاف بين الإمامين أن الطبري يرى أن معنى ﴿نكص على عقبه﴾ رجوع القهقري على قفاه هارباً.

وابن عطية يرى أن معنى الآية إنما هو الرجوع فاراً منهزماً ، وليس هناك مشية القهقري وإنما هذا مجرد تشبيه.

وبالرجوع إلى كلام أهل اللغة والمعاني والتفسير يتبين لنا الحق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة.

قال أبو عبيدة : ﴿نكص على عقبه﴾ مجازه : رجوع من حيث جاء^(١).

وقال ابن قتيبة : ﴿نكص على عقبه﴾ أي رجوع القهقري^(٢).

وقال الزجاج : ومعنى ﴿نكص﴾ رجوع بخزي^(٣).

وقال الراغب : النكوص الإحجام عن الشيء^(٤).

وقال ابن منظور : ((النكوص : الإحجام والانقذاع عن الشيء تقول : أراد فلان أمراً ثم نكص على

عقبه ... ونكص على عقبه : رجع عما كان عليه من الخير ... النكوص : الرجوع إلى وراء. وهو القهقري))^(٥).

ونحو أقوال هؤلاء الأعلام نحي المفسرون وأصحاب غريب القرآن ومعانيه - الذين اطلعت على

مؤلفاتهم - فبعضهم يذكر أن معنى ﴿نكص على عقبه﴾ رجوع القهقري أو نحو هذا وهذا قول الإمام الطبري^(٦).

وبعضهم يذكر أن معنى ﴿نكص على عقبه﴾ رجوع ، أو رجوع من حيث جاء ، أو نحو هذا. وهذا

قول ابن عطية^(٧) وبعضهم يشير إلى القولين^(٨).

(١) مجاز القرآن (٢٤٧/١).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(١٧٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤٢١/٢).

(٤) المفردات ص(٥٠٦).

(٥) لسان العرب (٢٨٥/١٤) ((نكص)).

(٦) انظر - على سبيل المثال - تفسير غريب القرآن للسجستاني ص(٦٣)، وتفسير كتاب الله العزيز (٩٨/٢)، وغرائب التفسير (٤٤٣/١)، ووضح اليرهان (٣٨٧/١)، وتفسير النسفي (١٠٧/٢)، والفتوحات الإلهية (٢٤٨/٢، ٢٤٩)، وروح المعاني (١٥/١٠).

(٧) انظر - على سبيل المثال - غريب القرآن وتفسيره للبيدي ص(١٥٩)، وبحر العلوم (٢١/٢)، والعمدة في غريب القرآن ص(١٤٤)، والتفسير الكبير (١٤١/١٥)، والتحرير والتنوير (٣٦/١٠).

(٨) انظر معاني القرآن الكريم (١٦٣/٣)، والوسيط (٤٦٥/٢)، ومعالم التنزيل (٢٥٤/٢)، وزاد المسير (٣٦٧/٣).

ولم أر - فيما اطلعت عليه - من ينفي أحد القولين إلا ما كان من القرطبي فإنه قد نحى إلى الأخذ بقول ابن عطية ، ورد القول الآخر^(١).

وقد ذكر السمين ما يمكن أن يخرج عليه تفسير الإمام الطبري فيتنفق مع ما ذهب إليه القاضي ابن عطية، إلا أنه اعترض عليه في آخر كلامه ، ونص كلامه في ذلك كما يلي: ((قوله : ﴿نكص﴾ جواب لما. والنكوص : قال النضر بن شميل^(٢) : ((الرجوع قهقري هارباً)). قال بعضهم : هذا أصله إلا أنه قد اتسع فيه حتى استعمل في كل رجوع وإن لم يكن قهقري ، قال الشاعر^(٣):

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما استلحموا لحموا

وقال المؤرج : النكوص : الرجوع بلغة سليم وقال الشاعر^(٤):

ليس النكوص على الأعقاب مكرمة إن المكارم إقدام على الأسل

فهذا إنما يريد به مطلق الرجوع ؛ لأنه كناية عن الفرار وفيه نظر ؛ لأن غالب الفرار في القتال إنما هو كما ذكر رجوع القهقري^(٥).

قلت : ما ذكره السمين في آخر كلامه هو رد على ابن عطية في استدلاله بالبيت المذكور.

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري ليس ببعيد ، وبدل عليه قوله تعالى: ﴿على عقبيه﴾ فإن حقيقته الرجوع على مؤخرة القدم ، وهذا هو رجوع القهقري كما نص على ذلك أصحاب اللغة. وهذا التفسير لا يتنافى مع قول من قال : رجع من حيث جاء ؛ لأن رجوع القهقري غالباً يكون من الطريق الذي جاء منه ونهايته الفرار ، والخرجة كما دلت على ذلك الآثار^(٦) ، وأشار إلى ذلك الإمام الطبري بقوله : ((هارباً)) ، ونحى إليه ابن عطية في تفسير الآية . والله أعلم.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٧/٨).

(٢) النضر بن شميل بن خرشة المازني البصري، الإمام العلامة النحوي ، (ت : ٢٠٤هـ). انظر السير (٣٢٨/٩).

(٣) تقدم قريباً ذكر قائله وبعض المراجع التي ذكرته.

(٤) تقدم قريباً تخريجه.

(٥) الدر المنصون (٦١٨/٥).

(٦) منها ما أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٧/١٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ((قال جاء إبليس يوم بدر في حند من الشياطين ، معه رايته في صورة رجل من بين مدج ، والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾ فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من الثراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده فولى مدبراً هو وشيعته فقال الرجل يا سراقه تزعم أنك لنا جار؟ قال: ﴿إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ وذلك حين رأى الملائكة)). هكذا ورد الأثر في تفسير الطبري، وفيه بعض اضطراب كما ترى.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في هؤلاء (الآخرين) منهم ، وما هم؟ فقال بعضهم : هم بنو قريظة ... وقال آخرون : من فارس... وقال آخرون : هم كل عدو للمسلمين ، غير الدين أمر النبي ﷺ أن يُشَرِّدَ بهم من خلفهم ، قالوا : وهم المنافقون ... وقال آخرون : هم قوم من الجن))^(١).

ثم قطع الإمام الطبري حديثه عن هذه المسألة بمسألة الراجح في المقصود بالقوة في قوله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ثم عاد إلى إبداء رأيه في الراجح من الأقوال المتقدمة فقال: ((وأما قوله: ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ فإن قول من قال: عني به الجن أقرب وأشبه بالصواب ؛ لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله: ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم. ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب. ولا معنى لأن يقال: وهم يعلمونهم لهم أعداء﴾ و﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ ولكن معنى ذلك إن شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعدائكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ؛ لأن بني آدم لا يرونهم. وقيل: إن سهيل الخيل يهرب الجن ، وأن الجن لا تقرب داراً فيها فرس^(٢).

فإن قال قائل : فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما تنكر أن يكون عني بذلك المنافقون؟ قيل: فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ، ولا سلاحهم ، وإنما كانا يروعهم أن يظهر

(١) تفسير الطبري (٣٥/١٤ ، ٣٦ ، ٣٧).

(٢) ذكر ابن كثير في تفسيره (٣٢٣/٢) خبرين : أحدهما : رواه ابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى: ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ قال: هم الجن. ثم قال رواه الطبراني، وزاد: قال رسول الله ﷺ : ((لا يخيل بيت فيه عتيق من الخيل)) ثم قال ابن كثير: وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه.

المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستترون من الكفر ، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو ، فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون^(١) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من ترجيح أن الآخرين هم الجن فقال - بعد أن ذكر الأقوال المقدمة - : ((ورجح الطبري أن الإشارة إلى الجن، وأسد^(٢)) في ذلك ما روي من أن سهيل الخيل ينفر الجن وأن الشيطان لا يدخل داراً فيها فرس للجهاد، ونحو هذا . وفيه على احتمالها نظر ، وكان الأهم في هذه الآيات أن يبرز معناها في كل ما يقوي المسلمين على عدوهم من الإنس ، وهم المحاربون ، والذين يدافعون عن الكفر ، ورهبتهم من المسلمين هي النافعة للإسلام وأهله ، ورهبة الجن وفزعهم لا غناء له في ظهور الإسلام وهو أجنبي جداً .

والأولى أن يتأول أن المسلمين إذا ظهوروا وعزوا هابهم من جاورهم من العدو المحارب لهم، فإذا اتصلت حالهم تلك بمن بعد من الكفار داخلته الهيبة ، وإن لم يقصد المسلمون إرهابهم فأولئك هم الآخرون . ويحسن أن يقدر قوله: ﴿ لا تعلمونهم ﴾ بمعنى لا تعلمونهم فازعين راهبين ، ولا تظنون ذلك بهم، والله تعالى يعلمهم بتلك الحالة . ويحسن أيضاً أن تكون الإشارة إلى المنافقين على جهة الطعن عليهم والتوبيخ على سوء حالهم ، وليسترب بنفسه كل من يعلم منها نفاقاً إذا سمع الآية ، ولقزعهم ورهبتهم غناء كثير في ظهور الإسلام وعلوه^(٣) .

هذه الأقوال التي تقدمت في معنى الآية أشار إليها المفسرون في مؤلفاتهم^(٤) .

وقد تلمح من إشارات بعضهم الميل إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري^(٥) .

وبعضهم يرجح أن المقصود بالآخرين هم المنافقون^(٦) ، وهذا القول قد استحسنته ابن عطية .

(١) تفسير الطبري (٣٧/١٤ ، ٣٨) .

(٢) الذي رأيته أنه ذكره من غير سند، راجع نص كلامه .

(٣) احرر الوجيز (٣٦٢/٦) .

(٤) منهم الماوردي في النكت والعيون (٣٣٠/٢) ، والزخشي في الكشاف (١٦٦/٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير

(٦٢/٣) ، وأكثر من استوفى ذكرها من هؤلاء الماوردي .

(٥) انظر تفسير الخازن (٤٧/٢) .

(٦) انظر التفسير الكبير (١٤٩/١٥) ، والبحر المحييط (٥٠٨/٤) ، وتفسير ابن كثير (٣٢٣/٢) ، ونظم الدرر (٣١٤/٨) ،

(٣١٥) ، والتسهيل (١٢٣/٢) .

وقد استشكل الرازي ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: ((وهذا القول مشكل ؛ لأن تكثير آلات الجهاد لا يعقل تأثيره في إرهاب الجن))^(١).

وقال الشيخ محمود شاكر : ((وهذا الذي قاله الطبري رده العلماء من قوله ، وحق لهم... والآية عامة لا أدري كيف يخصصها أبو جعفر بخبر لا حجة فيه))^(٢).

وبعد : فاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة هو كما قال ، وذلك لما قاله ابن عطية من تعليل ، وللأسباب التالية أيضاً:

١- الجن عالم آخر من غير جنس الإنس ، لا نراهم ولا تحصل المواجهة بيننا وبينهم ، فيبعد أن يأمرنا الله تعالى بإعداد العدة لتخريفهم ، وهم وإن كان المردة منهم أعداء لبني آدم ، فإن الله قد أرشدنا إلى سلاح ندفعهم به ، وهو الاستعاذة بالله منهم.

٢- سياق الآيات السابقة واللاحقة يرشد إلى أن إعداد القوة إنما هي في مواجهة عدو من جنسنا.

٣- هذا القول مبناه على حديث قال عنه الحافظ ابن كثير : منكر لا يصح إسناده ، ولا منته^(٣).

(١) التفسير الكبير (١٥/١٤٩).

(٢) تفسير الطبري (١٥/٣٨) حاشية (١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٢٣)، وقد تقدم نقل لفظه قرياً.

سورة التوبة

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ - : ((يقول: ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك إذ قالوا لك : (لو استطعنا لخرجنا معك) حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ، ومن لا عذر له منهم ، فيكون إذنا لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقاً وشكاً في دين الله))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تأويل الآية أن غيره أصوب منه فقال : ((وقوله : ﴿الذين صدقوا﴾ يريد في استئذانك ، وأنت لو لم تأذن لهم خرجوا معك. وقوله : ﴿وتعلم الكاذبين﴾ يريد في أنهم استأذونك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك ، وهم كذبة قد عزموا على العصيان ، أذنت لهم ، أو لم تأذن. وقال الطبري: معناه حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذراً ، والكافرين في ألا عذر لهم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وعلى هذا التأويل يختلط المعتذرون ، وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . والأول الأصوب. والله أعلم))^(٢).

الظاهر أن القاضي ابن عطية يفهم تفسير الطبري على أنه يجعل عتاب الله للرسول ﷺ على أن أذن لمن هو ^{مؤمن صادق} ~~مؤمن صادق~~ أن له عذراً ، ^{وكافراً} ~~وكافراً~~ لا عذر له ، ثم يعقب على ذلك بقوله : ((وعلى هذا التأويل يختلط المعتذرون)) يعني أن من يطلب العذر فيهم المؤمن وفيهم المنافق ، ويستدل القاضي على أن هذا هو مقصود الطبري بقوله : ((وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر)) وهو يعني بهذا ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾^(٣) الآية بقوله : ((ظاهر هذه الآية وما يحفظ من قصة تبوك أن الله لما أمر رسوله بغزو الروم ندب الناس ، وكان ذلك في شدة من الحر وطيب من الثمار والظلال ، فنفر المؤمنون واعتذر منهم لا محالة فريق لا سيما من القبائل المجاورة للمدينة ، وبدل على ذلك قوله تعالى في أول هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم

(١) تفسير الطبري (١٤/٢٧٣).

(٢) الخمر الوجيز (٦/٥٠٦، ٥٠٧).

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٤٢.

انفروا في سبيل الله اثأقنتم إلى الأرض ﴿١﴾ لأن هذا الخطاب ليس للمنافقين خاصة ، بل هو عام ، واعتذر المنافقون بأعذار كاذبة ... وكانت أعذار المؤمنين حقيقة ، ولكنهم تركوا الأولى من التحامل...﴾ (٢).

وفسر ابن عطية الآية التي نحن بصدددها ﴿عفا الله عنك ...﴾ بتفسير يحتمل أنه أراد أنها خاصة في المنافقين ، وأن العتاب للرسول إنما هو على إذنه لهم قبل أن يعلم الصادق في الاستئذان من الكاذب فيه ، ويحتمل أنه أراد بها العموم ويشهد للأول أنه قد جعل تفسيره مقابل تفسير الطبري الذي قلت أنه يفهمه على أنه عام.

وبهذا كله يتبين موضع الخلاف بين الإمامين ، على حسب فهم القاضي ابن عطية لتفسير الإمام الطبري ، وسيأتي مناقشة القاضي في هذا الفهم إن شاء الله تعالى.

إذا تبين هذا فما ذكره الإمام الطبري والقاضي ابن عطية في معنى الآية هما قولان للمفسرين ، فبعضهم يفسر الآية بنحو القول الذي قاله الإمام الطبري (٣) ، وبعضهم يفسرها بنحو القول الذي ذهب إليه القاضي ابن عطية (٤).

وقد فسر أبو حيان الآية بالقول الذي ذهب إليه القاضي ابن عطية ، وأعقبه بقول الإمام الطبري منسوباً إليه ، وأعرض عن ذكر ما تعقب به القاضي من أن الأصوب في خلاف قول الإمام الطبري (٥) ، وهذا يرشدك إلى أن القولين عنده معتبران ، وأنهما في القوة سواء.

وأما صاحب الجواهر الحسان - وهو الشعالبي - فقد تابع ابن عطية فيما قال (٦).

وبعد : فالذي ظهر لي في هذه المسألة ما يلي:

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٨ .

(٢) المحرر الوجيز (٥٠٣/٦).

(٣) انظر الوسيط (٥٠١/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٩٧/٢) ، والكشاف (١٩٢/٢) ، وتفسير البيضاوي (٤١٧/١) ، وتفسير النسفي (١٢٨/٢) ، وتفسير الحازن (١٠٣/٢) ، وتفسير أبي السعود (٦٨/٤) ، وفتح القدير (٣٦٥/٢) ، وروح المعاني (١٠٧/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٥١/٢) ، وتفسير كتاب الله العزيز (١٣٥/٢).

(٤) انظر التسهيل (١٤٠/٢) ، والتحرير والتنوير (٢١٠/١٠).

(٥) انظر البحر (٤٩/٥) . ومن ذكر القولين ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤٥/٣).

(٦) انظر الجواهر الحسان (١٧٥/٢).

١- الإمام الطبري يفسر الآية ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ على أنها خاصة في المنافقين ، ولا يفسرها على أنها عامة كما يشير إلى ذلك كلام القاضي ابن عطية.
والأدلة على ما أقول أنك إذا تأملت كلام الإمام الطبري من أوله حتى منتهاه وجدت الحال على ما ذكرت إن شاء الله تعالى.

فقد قال الطبري: ((القول في تأويل قوله : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ ... هذا عتاب من الله تعالى ذكره عتاب به نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين))^(١) فقله: ((عتاب عتاب به نبيه في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين)) صريح في أن الطبري يجعل العتاب على إذن الرسول للمنافقين.
وقال الطبري أيضاً : ((يقول جل ثناؤه: ﴿عفا الله عنك﴾ يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك ، وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه))^(٢).

فهذا النص أيضاً أصرح من الذي قبله في أن الطبري يحمل الآية على خصوص إذن الرسول ﷺ للمنافقين. وما يدل على أن الإمام الطبري يجعل العتاب على خصوص الإذن للمنافقين ، أنه قال: ((وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك))^(٣). ثم ساق بسنده عن مجاهد ((قال ناس قالوا : استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا))^(٤).

فهذا مضمونه أن إذن الرسول وعدمه سواء ، وهذا لا يكون إلا من منافق .
وساق بسنده أيضاً - تحت الترجمة السابقة - عن الأودي^(٥) أنه قال: ((اثنان فعَلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى))^(٦).

فإن قلت : فمن أين جاء القاضي ابن عطية بما نسبته للإمام الطبري؟

(١) تفسير الطبري (٢٧٢/١٤).

(٢) المصدر السابق (٢٧٢/١٤).

(٣) المصدر السابق (٢٧٣/١٤).

(٤) أخرجه في تفسيره (٢٧٣/١٤) من طريق ابن أبي نجیح.

(٥) عمرو بن ميمون الأودي ، إمام حجة (ت: ٧٥هـ). انظر السير (١٥٨/٤).

(٦) أخرجه في تفسيره (٢٧٣/١٤) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن الأودي.

قلت: فهمه مما تقدم نقله عن الطبري في أول المسألة وبالأخص من قول الإمام الطبري: ((فيكون
إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقاً وشكاً في دين
الله)).

فقول الإمام الطبري : ((نفاقاً وشكاً)) هو الذي خوّل لابن عطية أن يقول ما قال. وليس ذكر قيد
النفاق والشك عند من لا عذر له من المنافقين ، بمخوّل لنا أن نجعل الفريق الأول - الذي لم يذكر
عندهم هذا القيد - من غير المنافقين ، وأن نقول : وعلى هذا التأويل يختلط المعتذرون . كما فعل
القاضي رحمه الله.

٢- ما وصفه القاضي بالأصوب هو كذلك - إن شاء الله تعالى - لأن فيه إبداء عور المنافقين للناس
الذين يتخدعون بهم ، وفيه فضيحتهم على رؤوس الملأ ، وفيه عدم إعطاء الفرصة للمنافقين بوصف
المسلمين بالسذاجة ، وأنه يمكن أن يضحك عليهم.

٢- أسند الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ - عن قتادة أنه قال : ((عابه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التي في سورة النور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ، فقال : ﴿ فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴾^(١) فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك))^(٢).

وقول قتادة هذا أورده الإمام الطبري بعد ما فسر الآية بما تقدم عنه في المسألة السابقة ، وصدره بقوله : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله هذا القول في تفسير الآية وهو غلط ، فقال : ((وأدخل الطبري - أيضاً - في تفسير هذه الآية عن قتادة أن هذه الآية نزلت بعدها الآية الأخرى في سورة النور ﴿ فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴾^(٤) قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا غلط ؛ لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق^(٥) في استئذان بعض المؤمنين رسول الله ﷺ في بعض شأنهم ، في يئوتهم في بعض الأوقات ، فأباح الله له أن يأذن ، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى))^(٦).

هذا القول الذي ذكره قتادة أورده طائفة من المفسرين في مصنفاتهم من غير اعتراض عليه^(٧).

واعترض أبو حيان على قتادة بنفس ما ذكره ابن عطية^(٨).

وأشار إلى هذا الاعتراض الثعالبي ناحياً منحى ابن عطية أيضاً^(٩).

(١) سورة النور ، الآية : ٦٢ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧٣/١٤) من طريق سعيد عن قتادة . وإسناده حسن .

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٧٣/١٤) .

(٤) سورة النور ، الآية : ٦٢ .

(٥) في بعض كتب السير أنها كانت سنة خمس في شوال . انظر السيرة النبوية (١٦٥/٣) ، وتاريخ الطبري (٩٠/٢) ، والكامل في التاريخ (٧٠/٢) .

(٦) المخرر الوجيز (٥٠٧/٦) .

(٧) انظر معاني القرآن الكريم (٢١٤/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٥٥/٨) ، والتنوير الكبير (٦١/١٦) ، وتفسير ابن كثير (٣٦١/٢) .

(٨) انظر البحر (٤٩/٥) .

(٩) انظر الجواهر الحسان (١٧٥/٢) .

فإذا رجعت إلى الآية التي في سورة النور^(١) ، وجدت علماء السير يذكرون أنها نزلت في حق العاملين في الخندق ، وأنه كان رجال من المؤمنين تنوبهم الحاجة التي لا بد منها فيذكرون ذلك لرسول الله ﷺ فيأذن لهم فإذا قضى الواحد منهم حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾^(٢) إلى قوله: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) .

وهذا أيضاً أشار إليه عدد غير قليل من المفسرين^(٤) .

وذكر ابن العربي أن بعض أئمة المالكية رووا عن الإمام مالك أن هذه الآية إنما كانت في حرب رسول الله ﷺ يوم الخندق^(٥) .

وفي المقابل نجد من يذكر أن آية النور ناسخة للآية السابقة وآيتين بعدها ، فأبو عبيد أورد القول بالنسخ عن ابن عباس^(٦) ، وكذلك ذكره أبو جعفر النحاس عن الحسن وعكرمة وقتادة^(٧) . وهذا يؤيد ما جاء عن قتادة .

وبعد : فأذكر لك بعض ما أراه حول هذه المسألة فيما يلي:

(١) وهي قوله : ﴿ فَأَذِّن لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٢ .

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (١٦٥/٣-١٦٨) قال حدثني زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المظلي ، قال حدثني يزيد بن رومان ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما فذكروا الخير . وهذا إسناد حسن - إن شاء الله - فابن هشام ترجمه الذهبي في السير (٤٢٨/١٠) ونعته بالعلامة ، وما ذكر فيه جرحاً ، ونص أنه سمع السيرة النبوية من زياد صاحب ابن إسحاق . وبقي الرواة منهم الثقة ، ومنهم الصدوق . انظر تقريب التهذيب رقم (٢٠٨٥) و (٥٧٢٥) ، و (٧٧١٢) و (٣٥٥٢) و (٦٢٥٧) وتدليس ابن إسحاق لا يضر هنا ، لأنه صرح بالتحديث . والخبر أخرجه أيضاً الطبري في تاريخه (٩٠/٢ ، ٩١) ، من طريق ابن إسحاق ، وأورده ابن الأثير في الكامل (٧٠/٢) ، وأورده السيوطي في لباب النقول ص (٤٩٩) وعزاه لابن إسحاق والبيهقي في الدلائل .

(٤) انظر على سبيل المثال بحر العلوم (٤٥١/٢) ، والكشاف (٧٩/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٢١/١٢) ، والبحر المحيظ (٤٣٦/٦) ، والتسهيل (١٥٧/٣) ، والدر المنثور (٦٠/٥) ، ولباب النقول في أسباب النزول ص (٤٩٩) ، وفتح القدير (٥٩/٤) ، وروح المعاني (٢٢٣/١٨) ، والتحرير والتنوير (٣٠٧/١٨) .

(٥) انظر أحكام القرآن (١٤١٠/٣) .

(٦) انظر الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ص (١٩٢) .

(٧) انظر الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل (٤٣٨/٢ ، ٤٣٩) .

١- ما ذهب إليه القاضي ابن عطية من أن آية النور هي التي نزلت قبل - في غزوة الخندق - هو كذلك إن شاء الله تعالى ، ويترتب على هذا أنه لا ناسخ ولا منسوخ بين الآيات التي في سورة التوبة وبين آية النور ، هذا هو القول البين الواضح الذي ينبغي أن يعول عليه لما تقدم ذكره عن علماء التفسير والسير من أن آية النور نزلت في أثناء غزوة الخندق.

ولأن هذا القول هو الذي عليه جمهور أهل العلم^(١) ، ونقله الإمام مكي عن ابن عباس^(٢) ، ورجحه بعض علماء الناسخ والمنسوخ كأبي جعفر النحاس^(٣) وابن الجوزي^(٤).

٢- أرى أن الإمام الطبري لا يلحقه لوم يادخال هذا في تفسيره ؛ لأنه رحمه الله أراد أن يحفظ لنا هذا القول ، فالقول معتبر لم يصل إلى درجة بحيث لا ينظر فيه ، لأنه ثابت عن قتادة ، وورد عن بعض أئمة التابعين ما يؤيده ، بل قد روي عن ابن عباس ما يؤيده.

(١) انظر تفسير المنار (٥٤٦/١٠).

(٢) انظر الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص(٣١٦).

(٣) انظر الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل (٤٣٩/٢).

(٤) انظر نواسخ القرآن ص(٣٦٨).

٣- فسر الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ على أنها في المنافقين^(١)، ثم قال: ((وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك))^(٢).

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة، قال قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً ببيع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه! قالوا ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب؟ قال: فمه))^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله هذا الحديث تحت هذه الآية فقال: ((وأورد الطبري في تفسير هذه الآية قوله ﷺ: ((لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) وما شاكل هذا الحديث مما يقتضي اتباع أمة محمد ﷺ لسائر الأمم. وهو معنى لا يليق بالآية جداً؛ إذ هي مخاطبة لمنافقين كفار أعماهم حابطة، والحديث مخاطبة لموحدين يتبعون سنن من مضى في أفعال دنياوية لا تخرج عن الدين))^(٤).

حاصل الاعتراض الذي أورده ابن عطية هو كيف يذكر الإمام الطبري ما ورد فيه تشبيه المؤمنين بالأمم السابقة في أمور لا تخرج من الملة تحت آية متضمنة تشبيه المنافقين الكافرين بمن هم قبلهم في الكفر وحبوط الأعمال.

(١) انظر تفسير الطبري (٣٤٠/١٤، ٣٤١).

(٢) تفسير الطبري (٣٤١/١٤).

(٣) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٣٤٢/١٤) وقال الشيخ محمود شاكر: هذا خير صحيح الإسناد. وهذا الحديث أخرجه أيضاً الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٣٠٠/١٣)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))، ح (٧٣١٩) مع اختلاف في اللفظ يسير.

(٤) المحرر الوجيز (٥٥٩/٦، ٥٦٠).

وإذا نظرت في كتب التفسير وجدت بعض المفسرين المتقدمين كابن عباس قد روي عنه نحو ما فعل الإمام الطبري من إيراد الحديث في تفسير هذه الآية^(١).

وروي عن أبي هريرة أنه ذكر هذا الحديث ثم قال اقرأوا إن شئتم ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة...﴾ الآية^(٢).

وجاء بعض المفسرين من بعدهما - الطبري وغيره - فأوردوا في تفسير هذه الآية هذا الحديث على أنه موضح للآية ومبيناً لها^(٣).

وبعد : فإذا نظرت في العلاقة بين الآية والحديث وجدتها في مطلق لفظ التشبيه ﴿كالذين من قبلكم﴾ ((لتبعن سنن من كان قبلكم)).

وهذا فيما يبدو هو الذي حوّل للإمام الطبري إيراد الحديث في تفسير الآية بالإضافة إلى ما تقدم أنه روي عن بعض الصحابة. لكن هذين الأمرين لا يصلحان أن يستند إليهما في إيراد الحديث في تفسير الآية ؛ لأن ما روي عن بعض الصحابة ضعيف لا يثبت . ولأن مجرد الاتفاق في لفظ التشبيه غير كاف في إيراد الحديث تحت تفسير هذه الآية للفارق الكبير - الذي أشار إليه ابن عطية - بين أحوال المخاطبين، إذ ما جاء في الآية مخاطبة لمنافقين كفار أعمامهم حابطة ، والحديث مخاطبة لموحدين يتبعون سنن من مضى في أفعال دنياوية لا تخرج عن الدين.

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة . والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٢، ٣٤١/١٤) من طريق عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله. وقال عنه الشيخ محمود شاكر : إسناده ضعيف . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥٥/٣) وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤١/١٤) من طريق أبي معشر . وقال الشيخ محمود شاكر : إسناده ضعيف.

(٣) انظر معالم التنزيل (٣٠٩/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/٨ ، ٢٠١) ، وتفسير ابن كثير (٣٦٩/٢).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ - : ((فإن قال: وكيف قيل: أتتهم رسلهم بالبينات، وإنما كان المرسل إليهم واحداً؟ . قيل: معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم إلى الله ، فتكون رسل رسول الله ﷺ الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته رسلاً إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فديك الخارجي^(١) ((الفديكات)) وأبو فديك واحد ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم ، دعوا بذلك ، ونسبوا إلى رئيسهم ، فكذلك قوله : ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ . وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية ، رسلهم من الله بالبينات))^(٢).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن القول الذي قدمه الإمام الطبري في معنى الآية غيره أبين منه فقال : ((والضمير في قوله: ﴿أتتهم رسلهم﴾ عائد على هذه الأمم المذكورة ، وقيل : على المؤتفكات خاصة ، وجعل لهم رسلاً وإنما كان نبيهم واحداً ؛ لأنه كان يرسل إلى قرية رسولاً داعياً ، فهم رسل رسول الله ، ذكره الطبري ، والتأويل الأول في عود الضمير على جميع الأمم أبين))^(٣).
الأقوال في هذه المسألة ثلاثة ، المذكوران ، والثالث : أن (أتتهم) يعود على المؤتفكات ، أي: أتاهم رسول بعد رسول^(٤).

وعندما تنظر في كتب التفسير تجد أن بعض المفسرين تعرض لهذه المسألة واكتفى بإيراد القول الذي ذكر ابن عطية أنه أبين^(٥). وهؤلاء هم الأكثر.

(١) عبد الله بن ثور بن قيس أبو فديك ، أحد الخوارج ، كان من أصحاب نجدة بن عامر الخارجي ، ثم نار عليه فقتله ، وأصبح له أتباع ينسبون إليه ، قتل في خلافة عبد الملك بن مروان . انظر مقالات الإسلاميين ص(٩٢) ، والفرق بين الفرق ص(٨٨) ، والأعلام (٧٦/٤).

(٢) تفسير الطبري (٣٤٦/١٤).

(٣) المحرر الوجيز (٥٦٢/٦).

(٤) انظر البحر (٧٠/٥) فقد قال إن الكرمانى ذكره ومعروف أن الكرمانى يهتم بإيراد غرائب التفسير وهذا منها.

(٥) انظر زاد المسير (٤٦٨/٣) ، والتفسير الكبير (١٠٤/١٦) ، وتفسير البيضاوي (٤٢٣/١) ، والجواهر الحسان

(١٨٦/٢) ، ونظم الدرر (٥٤١/٨) ، وتفسير كتاب الله العزيز (١٥٠/٢).

ومنهم من ذكر القولين مقدماً القول الذي يقول: إن الضمير في ﴿أتتهم﴾ راجع إلى جميع الأقوام المذكورة^(١)...

وبعضهم نفى أن يرجع الضمير إلى المؤتفكات فقط^(٢).

وبعد : فالقولان الجديران بالبحث والمفاضلة هما القولان اللذان جنح إلى كل منهما الإمام الطبري، والقاضي ابن عطية.

والذي يظهر - والله أعلم - أن القول الذي نعته القاضي ابن عطية أنه أبين هو كما قال، وذلك للأسباب التالية:

١ - سياق الآية الكريمة يدل عليه ؛ لأن الله تعالى ذكر عدداً من الأمم المكذبة ، ثم قال: ﴿أتتهم رسلكم بالبينات﴾ والبينات هي المعجزات^(٣) ، وهذا لا يمكن أن تكون إلا من رسول مؤيد من عند الله بالوحي.

٢ - ولأن قرى قوم لوط وهي ((المؤتفكات)) كانت فيما يبدو مجتمعة في ناحية واحدة^(٤). فالظاهر أن لوطاً عليه السلام جاء إليهم ودعاهم بنفسه .

٣ - ولأن من أشار من المفسرين إلى هذه المسألة - فيما اطّلت عليه - اكتفى بإيراد القول الذي ذكر ابن عطية أنه أبين ، أو قدم ذكره على غيره ، ومنهم من نفى رجوع الضمير في ﴿أتتهم﴾ إلى المؤتفكات فقط ، وهذا كله يؤيد قول من قال : إن الرسل كانت إلى جميع الأمم المذكورة.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/٨)، والدر المنصور (٨٥/٦)، وفتح القدير (٣٨٠/٢).

(٢) انظر روح المعاني (١٣٥/١٠).

(٣) انظر في تفسير البينات بالمعجزات البحر المحيط (٧٠/٥) ، ونظم الدرر (٥٤١/٨).

(٤) قال المفسرون والمؤرخون - فيما رأيت - : إنها كانت في الأردن ببلاد الشام . انظر تاريخ الأمم والملوك (١٧٥/١) ، والتحرير والتنوير (٢٦١/١٠) وسمى ابن عاشور قرى قوم لوط ، وذكر أنها كانت متجاورة ، وكانت في جهات الأردن حول البحر الميت.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لبيه محمد ﷺ : ادع الله هؤلاء المنافقين ، الذين وصفت صفاتهم في هذه الآيات ، بالمغفرة أو لا تدع لهم بها ، وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه: إن استغفرت لهم يا محمد ، أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم))^(١).

وذكر القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الآية تحتمل معنيين الصحيح منهما خلاف قول الإمام الطبري ، فقال : ((وقوله : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ يحتمل معنيين))^(٢) ثم ذكر المعنى الذي قاله الإمام الطبري ، ثم قال : ((وإلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره في معنى الآية . والمعنى الثاني الذي يحتمله اللفظ : أن يكون تخيراً ، كأنه قال له : إن شئت فاستغفر ، وإن شئت لا تستغفر ، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سبعين مرة ، وهذا هو الصحيح لقول رسول الله ﷺ وتبينه ذلك ، وذلك ((أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعه بعد نزول هذه الآية يستغفر لهم فقال يا رسول الله : أتستغفر للمشركين وقد أعلمك الله أنه لا يغفر لهم ، فقال له : ((يا عمر : إن الله قد خيرني فاخترت ، ولو علمت أنني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت))^(٣) ونحو هذا من مقابلة عمر في وقت إرادة النبي ﷺ الصلاة على عبد الله بن أبي سلول^(٤)))^(٥).

هذه الآية الكريمة ذكر طائفة من المفسرين في معناها القولين اللذين أشار إليهما ابن عطية^(٦).

وقد نعت ابن الجوزي القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري بأنه قول المحققين^(٧).

(١) تفسير الطبري (٣٩٤/١٤).

(٢) المحرر الوجيز (٥٨٠/٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٢٢٨/٣) ، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين ح (١٣٦٦) . من حديث ابن عباس عن عمر بنحو ما ذكر ابن عطية.

(٤) عبد الله بن أبي بن مالك الخزرجي ، رأس المنافقين في الإسلام (ت : ٥٩) انظر الأعلام (٦٥/٤).

(٥) المحرر الوجيز (٥٨٠/٦) ، (٥٨١).

(٦) انظر بحر العلوم (٦٥/٢) ، والنكت والعيون (٣٨٦/٢) ، وزاد المسير (٤٧٧/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٠، ٢١٩/٨).

(٧) زاد المسير (٤٧٧/٣).

وإليه ذهب الزمخشري^(١) وغيره^(٢).

ويظهر أن حجة هؤلاء شينان:

الأول : أنهم حملوا ((أو)) في قوله : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ على التسوية لما يقتضيه

سياق القصة، وحملوا السبعين على المبالغة بمعنى أنه لا مفهوم له^(٣).

الثاني : أن الله قال في آخر الآية عن هؤلاء المنافقين : ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾ وقد

أخبر أنه لا يغفر للكفار ، وإذا كان لا يغفر لهم فطلب المغفرة لهم مستحيل ، وطلب المستحيل لا يقع من

النبي ﷺ^(٤).

وأما القول الذي صححه ابن عطية فقد جنح إليه جماعة من المفسرين منهم أبو حيان حيث قال:

((والظاهر أن المراد بهذا الكلام التخيير))^(٥) ، وكذلك ذهب إليه ابن جزى والألوسي^(٦) ، ومن قبل

هؤلاء ذهب إليه جماعة من التابعين^(٧).

ودليل هؤلاء الحديث الذي أشار إليه ابن عطية ، وهو حديث ثابت في الصحيح.

وبعد : فالقول الذي صححه ابن عطية هو القول الأبين في معنى الآية الكريمة ؛ لأن الله تعالى قال

لرسوله ﷺ ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾^(٨) وقد جاء على لسان رسول الله

ﷺ بيان هذه الآية وأنها للتخيير ، ثم رفع هذا المفهوم الصحيح بما جاء في قوله تعالى : ﴿ سواء عليهم

أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾^(٩).

وبقوله تعالى : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله

ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾^(١٠).

(١) انظر الكشاف (٢/٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) انظر معالم التنزيل (٢/٣١٥)، وتفسير البضاوي (١/٤٢٥)، وتفسير النسفي (٢/١٣٨)، وتفسير أبي السعود (٤/٨٧). فكل أصحابنا يرون هذا القول.

(٣) انظر فتح الباري (٨/٣٣٨).

(٤) انظر المصدر السابق (٨/٣٣٩).

(٥) البحر المحيط (٥/٧٧).

(٦) انظر التسهيل (٢/١٤٨)، وروح المعاني (١٠/١٤٧).

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٢٠) فقد ذكر أنه رأى الحسن وقتادة وعروة.

(٨) سورة النحل ، الآية : ٤٤.

(٩) سورة المنافقون ، الآية : ٦.

(١٠) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ . وانظر - في أن هاتين الآيتين نسختا ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ - بواسطة القرآن

ص(٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠) . وأشار إلى ذلك ابن حجر في فتح الباري (٨/٣٣٦، ٣٣٧).

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ إنكم رضيتم بالقيود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ : بعد أن ذكر أن بعض المفسرين قال : الخالفون الرجال ، وقال بعضهم : ﴿ مع الخالفين ﴾ أي مع النساء ، ورد هذا الطبري - ((ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به فاقعدوا مع مرضى الرجال ، وأهل زمانتهم ، والضعفاء منهم والنساء ... ولو وجه معنى ذلك إلى فاقعدوا مع أهل الفساد من قورهم : خلف الرجل عن أهله يخلف خلواً إذا فسد ، ومن قورهم : هو خلف سوء كان مذهباً. وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قورهم : خلف اللبن يخلف خلواً إذا خبث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد ، ومن قورهم : خلف فم الصائم إذا تغيرت ريحها))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما جوزه آخراً في معنى الخالفين فقال: ((والخالفون جميع من تخلف من نساء وصبيان ، وأهل عذر ، غلب المذبح فجمع بالياء والنون، وإن كان ثم نساء ، وهو جمع خالف ... وقال الطبري يحتمل قوله : ﴿ مع الخالفين ﴾ أن يريد مع الفاسدين فيكون ذلك مأخوذاً من خلف الشيء إذا فسد ، ومنه خلوف فم الصائم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا تأويل مقحم ، والأول أفصح وأجرى على اللفظة))^(٢).

هذا المعنى الذي ذهب الإمام الطبري إلى أن الآية تحتمله ذكره أهل اللغة في معاني ((خلف)) ففي تهذيب اللغة : ((يقال : خلف فلان عن كل خير فهو يخلف خلواً إذا فسد ولم يفلح ... وخلف اللبن يخلف خلواً إذا أطيل إنقاعه حتى يفسد))^(٣).

وقال ابن فارس : (((خلف) الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة : أحدها : أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني : خلاف قدام . والثالث : التغير...))^(٤).

وإذا نظرت في كتب المعاني والغريب ، وتفسير القرآن الكريم تجد أن بعضهم يشير إلى المعنيين اللذين ذكرهما الإمام الطبري ، وأكثرهم - فيما رأيت - لا يذكر المعنى الذي وقع الخلاف فيه ، بل يفسر الآية بنحو المعنى المتفق عليه بين الإمامين ، ونذكر بعض النماذج لإيضاح ما قيل.

(١) تفسير الطبري (٤٠٤/١٤ ، ٤٠٥).

(٢) المحرر الوجيز (٥٨٧/٦ ، ٥٨٨).

(٣) تهذيب اللغة (٤٠١/٧) ((خلف)).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢١٠/٢) ((خلف)).

قال أبو عبيدة - في قوله : ﴿ مع الخالفين ﴾ - : ((الخالف الذي خلف بعد شاخص فتعد في رحله ، وهو من تخلف عن القوم . ومنه اللهم اخلفني في ولدي . ويقال : فلان خالفة أهل بيته أي مخالفتهم إذا كان لا خير فيه))^(١) .

وقال البيهقي : ﴿ الخالفين ﴾ الخالف الذي يتعد بعدك^(٢) .

وقال ابن قتيبة - في قوله : ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ - : واحدهما خالف ، وهو من يخلف الرجل في ماله وبيته^(٣) .

وقال الراغب : والخالف المتأخر لنقصان أو قصور ، كالتخلف قال : ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾^(٤) .

وقال الألويسي في قوله : ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ أي المتخلفين لعدم لياقتهم بالنساء والصبيان والرجال العاجزين ، وجمع المذكر للتغليب ، واقتصر ابن عباس على الأخير ، وتفسير الخالف بالتخلف هو المأثور عن أكثر المفسرين السلف ، وقيل : إنه من خلف بمعنى فسد ، ومنه خليف فم الصائم لتغير رائحته^(٥) .

وقد أورد الرازي في معنى الآية أقوالاً ، منها المعنى الذي استدركه القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، ثم قال : ((... لا شك أن اللفظ يصلح جملة على كل واحد منها ؛ لأن أولئك المنافقين كانوا موصوفين بجميع هذه الصفات))^(٦) .

وأورد أبو حيان هذا القول منسوباً إلى الإمام الطبري ، ولم يعترض عليه بشيء^(٧) .

ومن أقر هذا المعنى في ﴿ الخالفين ﴾ أيضاً صاحب نظم الدرر^(٨) .

(١) مجاز القرآن (١/٢٦٥) .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص (١٦٥) .

(٣) تفسير غريب القرآن ص (١٩١) .

(٤) المفردات ص (١٥٧) .

(٥) روح المعاني (١٠/١٥٣) .

(٦) التفسير الكبير (١٦/١٢٠) .

(٧) انظر البحر المحيط (٥/٨٢) .

(٨) انظر نظم الدرر (٨/٥٦٥) .

وبعد: فالذي يظهر لي - والله أعلم - أن قول الإمام الطبري ليس مقحماً ، بل هو معنى تحتمله الآية ، ويشهد له ما ذكره الإمام الطبري من ناحية اللغة ، وكذلك أبو منصور الأزهرى ، ومن قبلهما أبو عبيدة ، وقد يستأنس لهذا القول بقوله تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾^(١) ، وقوله تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾^(٢).

فالخلف - ياسكان اللام الثانية - في الآيتين الرديء المذموم الفاسد^(٣).

فكذلك لا يبعد أن يكون معنى ﴿ الخالفين ﴾ هنا كذلك.

وهذا المعنى واضح إذا فسرنا ﴿ الخالفين ﴾ بالمنافقين ، وهو القول الذي ابتداء الإمام الطبري بذكره في معنى الآية^(٤) ، وذكره غيره من المفسرين^(٥).

وأما على المعنى الذي ارتضاه ابن عطية ففيه إشكال إذ كيف يقال لمن تخلف لعذر صحيح إنه فاسد؟!.

وقد يجاب بأن يقال : يطلق عليهم هذا تجوزاً إذ أنهم قد خرجوا عن حد الاعتدال في هذه الناحية ، ناحية صلاحيتهم للجهاد ، فإطلاق الفساد عليهم نسي . والله أعلم.

(١) سورة مريم ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٩ .

(٣) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٧٤) ، وزاد المسير (٣/٢٨٠) .

(٤) انظر تفسيره (٤٠٣/١٤) .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٢١٨) .

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ :-
 ((فإن قال : ﴿وجاء المعتذرون﴾ ، وقد علمت أن المَعذر في كلام العرب إنما هو الذي يعذر في الأمر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه، وليست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا في طلب ما ينهضون به مع رسول الله ﷺ إلى عدوهم وحرصوا على ذلك ، فلم يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا أولى وأحق منهم بأن يوصفوا بأنهم (عذروا) وإذا وصفوا بذلك فالصواب في ذلك من القراءة ، ما قرأه ابن عباس ... ﴿وجاء المُعذِرُونَ﴾ مخففة ويقول هم أهل العذر^(١) ...

قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهب إليه وأن معناه : وجاء المعتذرون من الأعراب ، ولكن (التاء) لما جاورت (الذال) أدغمت فيها ، فصيرتا ذالاً مشددة لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى كما قيل ((يذكرون)) في ((يتذكرون))... وقد كان بعضهم يقول: إنما جاءوا معذرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله . فمن وجهه إلى هذا التأويل فلا كلفة في ذلك ، غير أنني لا أعلم أحداً من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله إلى ذلك فأستحب القول به .

وبعد : فإن الذي عليه من القراءة قراءة الأمصار ، التشديد في الذال ... ففي ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار ؛ لأن القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمراً عذروا فيه ، وإنما كانوا فرقتين: إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسق لأمر الله مخالف . فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخص مع رسول الله ﷺ ، وإنما هو معذر مبالغ ، أو معتذر...^(٢)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من دفع وصف هؤلاء القوم بالتعذير فقال - بعد أن بين أن المتأولين اختلفوا في إيمان هؤلاء المعذرين فمن قال: إنهم كانوا مؤمنين بوجه هؤلاء القراءة في اللفظة إلى تخفيف ﴿المعتذرون﴾ ومن قرأ من هؤلاء بالتشديد

(١) أخرج الطبري هذه القراءة (٤١٦/١٤) من طريق أبي روق عن الضحاك قال : كان ابن عباس يقرأ ﴿وجاء المُعذِرُونَ﴾

وهي قراءة يعقوب أحد القراء العشرة . انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٨٠).

(٢) تفسير الطبري (٤١٦/١٤ ، ٤١٧ ، ٤١٨) وقد اضطررت إلى نقل معظم كلام الطبري حول هذه الآية ، لأن موطن

الاستدراك الذي جاء في آخر كلامه لا يبين إلا بذلك.

﴿المعذرون﴾ قال أصلها ((المعتذرون)) ولها معنيان : الأول : أنهم المعتذرون بأعذار حق . والثاني : الذين قد بلغوا عذرهم من الاجتهاد في طلب الغزو معك فلم يقدرُوا .

ومن قائل : بل الذين جاءوا بكفرة ، ويقراً هزلاء بالتشديد ﴿المعذرون﴾ ولها معنيان : الأول : أن أصلها (المعتذرون) والمعنى : معتذرون بكذب . والثاني : أن هذه القراءة أصلها من التعذير ، والمعنى : الذين يعذرون الغزو ويدفعون في وجه الشرع - : ((وضعف الطبري قول من قال إن ((المعذرين)) من التعذير وأنحى عليه ، والقول منصوص ووجهه بين ، والله المعين))^(١) .

حاصل كلام الإمام الطبري أنه لا يرى أن يكون ﴿المعذرون﴾ بتشديد الذال المكسورة من التعذير ، وإنما أصله ((المعتذرون)) ويعلل لما ذهب إليه بأن من وصفه بقوله : ﴿المعذرون﴾ فريقان : فريق مجتهد طائع صادق في عذره ، وفريق منافق فاسق ، كاذب في عذره ، وهما بين معتذر بالحق ، ومعتذر بالباطل ، إذاً كل من الفريقين لم يحصل منه تقصير في العذر حتى يقال : إن أصل ﴿المعذرون﴾ من التعذير ، الذي معناه : التقصير في العذر .

وابن عطية يناقضة فيما ذهب إليه فيرى أن ﴿المعذرون﴾ كما يصح أن أصلها ((المعتذرون)) ، يصح كذلك أن تكون من التعذير .

والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد ؛ لأن أهل العلم - الذين اطلعت على كلامهم - منهم من يذكر الوزنين معاً ، ومنهم من يذكر في ﴿المعذرون﴾ معنى لا يكون إلا على الوزن الذي رده الإمام الطبري .

قال الكرمانى : ((قوله : ﴿المعذرون﴾ يحتمل من الفعل وزنين ، أحدهما : مفعول من التعذير وهو التقصير في الاعتذار . والثاني : مفعول من الاعتذار ، وهو طلب العذر من غير تصحيح ، وهذا مدح ، والأول ذم ، ولهذا قال ابن عباس : لعن الله المعذرين ، ذهب إلى أنه من التعذير))^(٢) .

وقال أبو حيان : ((وقرأ الجمهور ﴿المعذرون﴾ بفتح العين وتشديد الذال فاحتمل وزنين أحدهما : أن يكون فعل بتضعيف العين ، ومعناه تكلف العذر ولا عذر له ، ويقال : عذر في الأمر قصر فيه

(١) المخرر الوجيز (٦/٥٩٦، ٥٩٧).

(٢) غرائب التفسير (١/٤٦٢).

وتوانى، وحقيقته: أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له . والثاني : أن يكون وزنه افتعل وأصله
اعتذر كاختصم فأدغمت التاء في الذال...^(١).

وقال الفراء : ((وأما المعذر ، على جهة المُفْعَل فهو الذي يعتذر بغير عذر))^(٢).

وقال الزجاج : ((ويجوز أن يكون المعذرون الذين يعتذرون ، يوهمون أن لهم عذراً ، ولا عذر
لهم))^(٣).

وقال الواحدي : ((المعذرون الذين تكلفوا عذراً بالباطل))^(٤).

وقال الزمخشري : ((«المعذرون» من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد ، وحقيقته أن
يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له))^(٥).

قلت : من ذكر الوزين أجاز أن في «المعذرون» المؤمن الصادق في اعتذاره ، والمنافق الكاذب في
اعتذاره . وهو رأي الإمام الطبري إلا أنه يركب هذا القول على وزن واحد ، لا وزين ، ولا شك أن له
هذا، لكن دفعه للوزن الآخر جعل لابن عطية مقالة.

ثم ما علل به الإمام الطبري - لصحة ما ذهب إليه - بقوله : ((لأن القوم الذين وصفوا بذلك لم
يكلفوا أمراً عذروا فيه)) ، وقوله أيضاً : ((فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخص مع رسول
الله ﷺ)) أقول : هذا يحتمل للإمام الطبري لو جعل من وصفوا بـ «المعذرون» قوماً مؤمنين صادقين في
اعتذارهم - وهو قول في تفسير الآية^(٦) - أما وإنه قد جعل فيهم المؤمن الصادق ، والمنافق الكاذب ،
فلا.

(١) البحر المحيط (١٦/٥).

(٢) معاني القرآن (٤٤٨/١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤٦٤/٢).

(٤) الوسيط (٥١٧/٢).

(٥) الكشاف (٢٠٧/٢).

(٦) راجع ما تقدم عند ذكر استدراك القاضي ابن عطية.

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى : ((القول في تأويل قوله : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : **وقل يا محمد هؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك اعملوا لله بما يرضيه من طاعته ، وأداء فرائضه ...**)^(١).

وذكر القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن ما رآه الإمام الطبري من أن الآية في الذين اعترفوا بذنوبهم من المتخلفين الظاهر في غيره إلا بشرط فقال : ((وقوله : ﴿وقل اعملوا﴾ ... صيغة أمر مضمنها الوعيد . وقال الطبري : المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفين وتابوا . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والظاهر أن المراد بها الذين اعتذروا ، ولم يتوبوا ، وهم المتوعدون ، وهم الذين في ضمير قوله : ﴿ألم يعلموا﴾^(٢) ، إلا على الاحتمال الثاني من أن الآيات كلها في الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً^(٣).

هذا الذي يظهر أنه استدراك ، قد استدركه ابن عطية بقوله : ((إلا على الاحتمال الثاني من أن الآيات كلها في الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً)).

لأن الإمام الطبري يحمل الآيات كلها على أنها في الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فقد قال في الآية التي تحتمل أنها في التائبين ، أو في الذين لم يتوبوا من المتخلفين ، وهي قوله تعالى : ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾^(٤) : ((ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين ، الموثقوا أنفسهم بالسواري ، القائلون لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقنا السائلو رسول الله ﷺ أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس إلى محمد ، وأن ذلك إلى الله ...))^(٥).

(١) تفسير الطبري (٤٦٢/١٤).

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٤ .

(٣) المحرر الوجيز (٢٧/٧).

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١٠٤ .

(٥) تفسير الطبري (٤٥٩/١٤).

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيَمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ، له سلطان السموات والأرض وملكهما ، وكل من دونه من الملوك ، فعبيده وبماليكه، بيده حياتهم وموتهم ؛ يحيى من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم ، فلا تجزعوا أيها المؤمنون، من قتال من كفر بي من الملوك ، ملوك الروم كانوا ، أو ملوك فارس والحيشة ، أو غيرهم ، واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي ، فإنني المعز من أشاء منهم ومنكم ، والمذل من أشاء))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن ما ذهب إليه - مع صحته -

فهو قول يبعد ، فقال: ((وذهب الطبري إلى أن قوله سبحانه : ﴿يَحْيِي وَيَمِيتُ﴾ إشارة إلى أنه يجب أيها المؤمنون ألا تجزعوا من عدو وإن كثر ، ولا تهابوا أحداً فإن الموت المخوف والحياة المحبوبة إنما هما بيد الله تبارك وتعالى . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والمعنى الذي قال صحيح في نفسه ، ولكن قوله: إن القصد بالآية إنما هو لهذا قول يبعد ، والظاهر في الآية إنما هو لما نص في الآية المتقدمة نعمته وفضله على عبيده في أنه متى من عليهم بهداية ، فضله أسع من أن يصرفهم ويضلهم قبل أن تقع منهم معصية ومخالفة أمر أتبع ذلك بأوصاف فيها تمجيد الله عز وجل وتعظيمه وبعث النفوس على إدمان شكره والإقرار بعبوديته))^(٢).

هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري في تفسير الآية نقله ابن كثير في تفسير الآية نقل المقر له الراضي عنه^(٣).

واعترض عليه أبو حيان بأنه غير مناسب ، فقال - بعد أن ذكر أن الآية دليل على قدرة الله الباهرة التي تضمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤) - : ((وتفسير الطبري هنا قوله: ﴿يَحْيِي﴾

(١) تفسير الطبري (٥٣٨/١٤).

(٢) المحرر الوجيز (٦٦/٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣٩٧/٢).

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١١٥.

وميت ﴿ بأنه إشارة إلى أنه يجب للمؤمنين^(١) أن لا يجزعوا من عدو وإن كثر ، ولا يهابوا أحداً فبان الموت المخوف ، والحياة المحتومة إنما هي بيد الله غير مناسب هنا ، وإن كان في نفسه قولاً صحيحاً^(٢) .

قلت : هذا هو استدراك ابن عطية ذكره أبو حيان بمعناه مستدركاً به أيضاً .

وبعد : فالذي يبدو أن ما قاله القاضي ابن عطية في تفسير الآية هو المناسب ويعضده أن فيه محافظة على اتساق نظم القرآن الكريم ، وترايط آياته فإنه جعل الآية مرتبطة بسابقتها مباشرة^(٣) ، بينما ينبغي على تفسير الإمام الطبري أن نلمح قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمواهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ... ﴾^(٤) الآية .

وقد قبي اعتراض ابن عطية موافقة أبي حيان له على ذلك . والله أعلم .

(١) ((للمؤمنين)) هكذا هو في النسخ التي بين يدي . وحروف الجر تتناوب .

(٢) البحر المحيط (١١٠/٥) .

(٣) وهي قوله تعالى : ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم﴾ سورة

التوبة ، الآية : ١١٥ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

١٠ - قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ - : ((وأما قوله : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاین من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله ، على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من معابته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه ، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاینوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك... فإن قال قائل : وما تنكب أن يكون معناه : ليتفقه المتخلفون في الدين؟ قيل : نكر ذلك لاستحالة ؛ وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سبباً لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه ، وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ، ولم ينفروا لم يكن سبباً في منعهم من التفقه.

وبعد : فإنه قال جل ثناؤه : ﴿ولینذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ عطفاً به على قوله : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها ، وللإنذار وخوف الوعيد نفرت ، فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة وقد تساوت في المعرفة بإنذار الله إياهما؟ ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى ، لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة؛ لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ما لم تعاین المقيمة...))^(١).

وأشار القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - إلى رأي الإمام الطبري في هذه المسألة مخالفاً له في القول الذي صنفه بأنه قوي ، فقال : ((والجمهور على أن التفقه إنما هو بمشاهدة رسول الله ﷺ وصحبه. وقالت فرقة يشبه أن يكون التفقه في الغزو في السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه وإظهاره العدد القليل من المؤمنين على الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الإسلام ومكانته من الله تعالى ، ورجحه الطبري وقواه والآخر أيضاً قوي))^(٢).

(١) تفسير الطبري (١٤/٥٧٣، ٥٧٤).

(٢) الخمر الوجيز (٧/٨٠).

هذا الاستدراك من القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ليس نصاً ، ولكنه إشارة ، وذلك أن قوله : ((والآخر أيضاً قوي)) أشار به إلى أن ما فعله الإمام الطبري من تضعيف قول الجمهور ليس كما قال . والآية على أنها من بقية أحكام الجهاد^(١) تحتمل التأويلين اللذين أشار إليهما الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية .

وقد ذكر بعض المفسرين القولين في معنى الآية دون ترجيح أحدهما على الآخر^(٢) . وهناك من يرى أن القول الذي ضعفه الإمام الطبري هو الأبين في معنى الآية ، كالقرطبي ، فإنه ذكر ما اختاره الإمام الطبري ونسبه للحسن ، ونسب القول الآخر إلى قتادة ومجاهد ، ثم قال : ((وقول مجاهد وقاتدة أبين ، أي لتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله ﷺ عن النفور في السرايا))^(٣) . وقال ابن القيم في هذا القول - أعني ما ضعفه الإمام الطبري - : ((وهذا قول الأكثرين ، وهو الصحيح))^(٤) .

وبعد : فالقول الذي ضعفه الإمام الطبري هو كما قال ابن عطية ، قول قوي ، وقوته تظهر من عدة جوانب :

١ - هذا القول هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من قوله تعالى : ﴿ ليتفقها في الدين ﴾ فإن المعروف من التفقه في الدين أنه ملازمة العلماء لأخذ علوم الشرع .

٢ - أن قوله تعالى : ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ يرشد أنهم ينذرونهم بما سمعوا وتعلموا وتفقهوا ، وهذا كإندار النفر من الجن لقومهم الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾^(٥) .

(١) لأن هناك من يقول : إن الآية في طلب العلم ، ولا تعلق لها بالجهاد . فيكون المعنى : فهلا نفر من كل فرقة طائفة تفقه ، وتنذر القاعدة إذا رجعت إليها . انظر التفسير الكبير (١٦/١٨٠) ، وبدائع التفسير (٢/٣٨٦) .

(٢) كالرازي في التفسير الكبير (١٦/١٧٩) ، والخازن في تفسيره (٢/١٦٧ ، ١٦٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٩٥) .

(٤) بدائع التفسير (٢/٣٨٦) .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٩ ، ٣٠ .

٣- ومن الأمور المقوية لهذا القول أن به قال جمهور أهل العلم ، واعتبره الفقيه القرطبي أبين، ونعته الإمام ابن القيم بالصحة.

ويمكن أن يجاب عن اعتراض الإمام الطبري - على هذا القول بقوله: إنه مستحيل لأن خروج الطائفة النافرة لو كان سبباً لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه - بأن يقال: ما وصفه الإمام الطبري بالمستحيل يمكن أن يكون حقيقة واقعة ، وبيان ذلك : أن ذهاب الطائفة النافرة في سبيل الله ^{سبباً} في حصول التفقه ؛ لأنها لو مكثت لاضطرب الأمن ، وتخطف الأعداء البلاد، ومع هذه الحال لا يمكن التفقه ؛ لأن الأمة حينئذ تكون مشغولة بالتعينة العامة لمواجهة من يريد القضاء على الإسلام.

وأما قوله - رحمه الله - ما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة ، وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما ؟. يمكن أن يقال : الإنذار المذكور في الآية مقصود به إنذار الطائفة المتفهمة للطائفة النافرة بما تعلمته من أمور الدين.

سورة يونس عليه السلام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ :-
 ((ومعنى الحكيم في هذا الموضع (الحكم) ، صرف (مُفْعَل) إلى (فَعِيل) كما قيل: ﴿عذاب أليم﴾ بمعنى مؤلم، وكما قال الشاعر^(١) :

أمن ربحانة الداعي السميع

... فمعناه إذاً : تلك آيات الكتاب الحكم ، الذي أحكمه الله وبينه لعباده ، كما قال جل ثناؤه :

﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾^(٢) ((^(٣)).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن كلامه يتضمن قولين ، ساقهما على أنهما واحد ، فقال - بعد أن ذكر معنى حكيم - : ((قال الطبري : فهو مثل أليم بمعنى مؤلم، ثم قال : هو الذي أحكمه وبينه . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فساق قولين على أنهما واحد))^(٤).

الذي يظهر أن استدراك القاضي ابن عطية ، على الإمام الطبري في هذه المسألة هو كما قال؛ وذلك أن الأمثلة التي ذكر الطبري أن (حكيم) مثلها - وهي (أليم) و (السميع) بمعنى (مؤلم) و (مسمع) بكسر عين الفعل^(٥) - تختلف عن المعنى الذي رتبها عليها بقوله : ((فمعناه إذاً : تلك آيات الكتاب الحكم الذي أحكمه الله وبينه)) إذ هذا المعنى الأخير يقتضي أن يكون ((حكيم)) بمعنى ((محكم)) بفتح العين.

(١) عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، الشاعر الفارس ، قيل له صحبة (ت : ٢١٠هـ). انظر الإصابة (١٤٤/٧). والبيت في ديوانه ص (١٤٠) وعجزه (يورقني وأصحابي هجوع) والبيت أيضاً في لسان العرب (٣٦٥/٦) ((سمع))، وفي خزنة الأدب (١٧٨/٨) . واستشهد به على أن فعلاً قد جاء لمبالغة ((مُفْعَل)) على رأي. وذكر أن مثله (أليم) بمعنى مؤلم.

(٢) سورة هود ، الآية : ١ .

(٣) تفسير الطبري (١٢/١٥).

(٤) المحرر الوجيز (٩٥/٧).

(٥) انظر خزنة الأدب (١٧٨/٨، ١٧٩) فقد ذكر أن وزن (مؤلم) و (مسمع) ((مفعَل)) بكسر العين.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ - : ((... والهاء في قوله: ﴿مثله﴾ كناية عن القرآن وقد كان بعض نحويي البصرة يقول معنى ذلك : قل فأتوا بسورة مثل سورته ... وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ، ويزعم أن معناه : فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن . قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ، أن السورة ، إنما هي سورة من القرآن ، وهي قرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، فقل لهم : ﴿فأتوا بسورة مثله﴾.

ولم يقل (مثله) ؛ لأن الكناية أخرجت على المعنى - أعني معنى السورة - لا على لفظها ؛ لأنها لو أخرجت على لفظها لقليل : (فأتوا بسورة مثله) (١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما قاله في توجيه ﴿مثله﴾ فقال : ((وقوله : ﴿مثله﴾ صفة للسورة ، والضمير عائد على القرآن المتقدم الذكر ، كأنه قال : فأتوا بسورة مثل القرآن ، أي في معانيه وألفاظه . وخلطت فرق في قوله : ﴿مثله﴾ من جهة اللسان كقول الطبري : ذلك على المعنى ، ولو كان على اللفظ لقال (مثله) . وهذا وهم بين لا يحتاج إليه)) (٢).

هذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك أكثر من رأيت من المفسرين - الذين اطلعت على مصنفاتهم - يشير إلى أن الضمير في ﴿مثله﴾ راجع إلى القرآن الكريم ، ولا يتكلف غير هذا (٣).

وهناك من ذكر القول الذي رآه الإمام الطبري واستدركه عليه القاضي ابن عطية (٤) والذي يبدو - والله أعلم - أن الأمر كما قال ابن عطية من أن الضمير راجع إلى القرآن المتقدم ذكره ، وأن المقصود (مثله) في ألفاظه ومعانيه ؛ وذلك أن هذا هو المتبادر من السياق ، وهو أدل على الإعجاز لأنه يعطي المتحدى سعة ، فلا يقصره على هذه السورة ، ولأن أكثر من رأيت من المفسرين على هذا المعنى ، كما تقدم ذكر ذلك عنهم . والله أعلم.

(١) تفسير الطبري (٩١/١٥ ، ٩٢).

(٢) المحرر الوجيز (١٥٢/٧).

(٣) انظر - على سبيل المثال - بحر العلوم (٩٩/٢) ، وتفسير كتاب الله العزيز (١٩٤/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٥٤/٢) ، والكشاف (٢٣٧/٢) ، وتفسير النسفي (١٦٤/٢) ، وتفسير الخازن (١٩٠/٢) ، والبحر المحييط (١٥٩/٥) ، والدر المصون (٢٠٥/٦) ، وروح المعاني (١١٨/١١).

(٤) انظر معاني القرآن الكريم (٢٩٤/٣) فقد ذكره أبو جعفر النحاس بلفظ (وقيل) ولم يصدر به تفسير الآية.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ - :
 ((ومعنى قوله : ﴿ أَتُمْ ﴾ في هذا الموضع : أهناك ، وليست ((ثم)) هذه هاهنا التي تأتي بمعنى
 العطف))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ((ثم))
 فقال: ((وقوله تعالى : ﴿ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ الآية ، عطف بقوله : ((ثم)) جملة القول على ما تقدم ، ثم
 أدخل على أجمع ألف التقرير. ومعنى الآية : إذا وقع العذاب وعايتموه آمنتم به حينئذ ، وذلك غير
 نافعكم ، بل جوابكم الآن وقد كنتم تستعجلونه مكذبين به ... وقال الطبري في قوله تعالى : ﴿ أَتُمْ ﴾
 بضم الشاء ، معناه : هنالك ، وقال: ليست ((ثم)) هذه التي تأتي بمعنى العطف . قال القاضي أبو محمد
 رحمه الله : والمعنى صحيح على أنها (ثم) المعروفة ... وما ادعاه الطبري غير معروف))^(٢).

هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، قاله بعض المفسرين - ممن جاء بعده - في الآية^(٣).
 ولعلمهم تأثروا به في ذلك ، فإن هذا القول فيما يبدو لم يسبقه إليه أحد ، ولذلك قال القرطبي - بعد
 أن ذكر القول - : ((وهو مذهب الطبري))^(٤).

وقد تابعت أقوال العلماء في نقد ما ذهب إليه الإمام الطبري.

فقال أبو حيان - بعد أن ذكر قول الطبري - : ((وما قاله الطبري من أن (ثم) هنا ليست للعطف
 دعوى، وأما قوله إن المعنى : أهناك ، فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى ، لا أن ثم المضمومة
 الشاء معناها معنى هنالك))^(٥).

وقال السمين : ((وتم حرف عطف ، وقد قال الطبري ما لا يوافق عليه فقال : (وتم هذه بضم الشاء
 ليست التي بمعنى العطف ، وإنما هي بمعنى هنالك) فإن كان قصد تفسير المعنى - وهو بعيد - فقد أبهم
 في قوله ؛ لأن هذا المعنى لا يعرف في ((ثم)) بضم الشاء...))^(٦).

(١) تفسير الطبري (١٥/١٠١).

(٢) المحرر الوجيز (٧/١٦٣).

(٣) انظر معالم التنزيل (٢/٣٥٧) ، وزاد المسير (٤/٣٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٥١).

(٥) البحر المحیط (٥/١٦٦).

(٦) الدر المصون (٦/٢١٧).

وقال ابن هشام - بعد أن ذكر قول الطبري منسوباً إليه - : ((وهذا وهم، اشتبه عليه، ثم المضمومة الشاء بالفتوحها))^(١).

وبعد : فليس لي من كلام بعد أقوال هؤلاء الأئمة التي تابعت في نقد ما ذهب إليه الإمام الطبري، وتأييد ابن عطية في استدراكه . إلا أنني أذيل بشئين:

الأول : أنني قد اطلعت على أكثر من كتاب فيما يتعلق بالنحو واللغة فلم أظفر بقول يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري^(٢).

الثاني : ظاهر كلام الإمام الطبري أنه فسر الآية على القراءة المتواترة ﴿أْتَمَّ﴾ بضم الشاء وهناك احتمال ضعيف أنه يقرأ الآية بفتح الشاء ﴿أْتَمَّ﴾ ويفسرها على ذلك ، وهي لا شك قراءة شاذة^(٣) ، ويبعد في مثل هذا الإمام أن يقرأ بها ويفسر الآية عليها ، فيبقى مجرد احتمال . والله أعلم.

(١) معني اللبيب (١/١١٩).

(٢) انظر شرح المفصل (٨/٩٤) ، ووصف المباني في شرح حروف المعاني ص(٢٤٩ ، ٢٥٠) ، ولسان العرب (٢/١٣١) ، (١٣٢).

(٣) نسبت إلى طلحة بن مصرف . انظر المحرر الوجيز (٧/١٦٣) ، والبحر (٥/١٦٦) . وما قاله الإمام الطبري يناسب هذه القراءة.

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ :- ((يقول: وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم ، وأيقنوا أنه واقع بهم))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من تخصيص إسرار الندامة من المشركين بالوضعاء والسفلة ، فقال : ((قال الطبري : المعنى وأخفى رؤساء هؤلاء الكفار الندامة عن سفلتهم ، ووضعائهم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : بل هو عام في جميعهم))^(٢).

هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري قال به جمع من المفسرين^(٣) ، بل قد قال الواحدي : إنه قول عامة المفسرين وأهل التأويل^(٤).

وإلى العموم أشار بعض المفسرين كأبي حيان ، وأبي السعود ، والألوسي^(٥).

وقد وجه بعضهم النقد لهذا القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، فقال أبو حيان - بعد أن حكاه - : ((وهذا فيه بعد ؛ لأن من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه ، فكيف له فكر في الحياء، وفي التويخ الوارد من السفلة))^(٦).

وقال الألوسي - بعد أن حكاه أيضاً - : ((وفيه أن ضمير ﴿أسروا﴾ عام لا قرينة على تخصيصه ، على أن هول الموقف أشد من أن يتفكر معه في أمثال ذلك))^(٧).

وبعد : فما ذكره القاضي ابن عطية من العموم هو الأصل في قوله تعالى : ﴿ وأسروا ﴾ حتى يقوم دليل صحيح على تخصيصه بمن ذكر.

ويرشد إلى صحة القول بالعموم ذكر (كل) المضافة إلى (نفس) المذكورة في أول الآية بقوله : ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به﴾ فإنه قد جاء في التفسير أن الضمير في ﴿وأسروا﴾ راجع إلى الأنفس المدلول عليها بكل نفس^(٨) . والله أعلم.

(١) تفسير الطبري (١٥/١٠٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/١٦٦).

(٣) انظر - على سبيل المثال - معاني القرآن للفراء (١/٤٦٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٢٥) ، وبحر العلوم (٢/١٠٢) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٥٧).

(٤) انظر الوسيط (٢/٥٥٠).

(٥) انظر البحر (٥/١٦٨) ، وتفسير أبي السعود (٤/١٥٤) ، وروح المعاني (١١/١٣٧).

(٦) البحر (٥/١٦٨).

(٧) روح المعاني (١١/١٣٧).

(٨) انظر البحر المحيط (٥/١٦٨) ، وفتح القدير (٢/٤٥٣).

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول جنل ذكره : ألا إن كل ما في السموات ، وكل ما في الأرض من شيء لله ملك ، لا شيء فيه لأحد سواه . يقول: فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شيء يملكه فيفتدي به من عذاب ربه ، وإنما الأشياء كلها للذي إليه عقابه...))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في ربط الآيتين بأن فيه بعداً ، وليس من فصيح المقاصد ، فقال : ((قال الطبري : يقول : فليس لهذا الكافر يومئذ شيء يفتدي^(٢) به . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وربط الآيتين هكذا يتجه على بعد ، وليس هذا من فصيح المقاصد))^(٣).

ما ذهب إليه الإمام الطبري في المناسبة بين الآيتين قال به بعض المفسرين^(٤).

وقد اختلفت أنظار أهل العلم في هذا الربط بين مستحسن له ، وراد .

فقال الفخر الرازي - بعد أن ذكره منسوباً إلى بعض الناس - : ((واعلم أن هذا التوجيه حسن))^(٥).

وقال العلامة الألوسي - بعد أن ذكره مصدراً بقليل - : ((وليس بشيء ، وإن ذكره بعض الأجلة ، واقتصر عليه))^(٦).

وبعد : فلا شك أن ذكر العلاقة بين آية وأخرى اجتهاد من المفسر ، ولذلك تختلف وجهات النظر فيه ؛ فما يراه هذا حسناً ، قد يراه آخر ليس بشيء . وما ذكره الإمام الطبري هنا في العلاقة بين الآيتين له اتجاه - في نظري - لأن الكافر ربما إذا سمع قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي

(١) تفسير الطبري (١٥/١٠٣ ، ١٠٤).

(٢) في نسخ آخر الوجيز ((يفتدي)) بالقاف ، والصواب بالفاء كما في تفسير الإمام الطبري.

(٣) آخر الوجيز (٧/١٦٦).

(٤) انظر تفسير الخازن (٢/١٩٤) ، وفتح القدير (٢/٤٥٣).

(٥) التفسير الكبير (١٧/٩١).

(٦) روح المعاني (١١/١٣٨).

الأرض لا فتدت به ﴿١﴾ ففكر ببلادة عقله أنه يبقى مالكا يوم القيامة ، كما كان في الدنيا فيفتدي بما يملك ، وقد ذكر الله هذا التعلق الخاطي عن أحدهم فقال : ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ ﴿٢﴾ فأيسهم الله من ذلك بأن ما في السموات والأرض ملك لله تعالى الذي كفروا به وجحدوه.

وأيضاً فربط الآيتين بما ذكر الإمام الطبري فيه زيادة تحسير وتنديم للنفس الظالمة ، حيث أخبرت بأن ما تود أن تفتدي به ليس لها منه شيء ، ولا تقدر على التوصل إليه ﴿٣﴾ ، وهذا مقصد له اتجاه حسن.

﴿

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٣٦ .

(٣) انظر نظم الدرر (١٤١/٩) فقد ذكر هذا بقوله : وفي الآية زيادة تحسير وتنديم ... إلخ.

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿وَأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتركم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ - : ((وقوله : ﴿وبشر المؤمنين﴾^(١) يقول جل ثناؤه لبيده عليه السلام . وبشر مقيمي الصلاة ، المطيعي الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن التبشير لأمة محمد ﷺ فقال : ((وقوله : ﴿وبشر المؤمنين﴾ أمر لموسى عليه السلام . وقال مكّي والطبري: هو أمر محمد ﷺ ، وهذا غير متمكن))^(٣).

هذه المسألة محل خلاف بين المفسرين.

فمنهم من يذهب إلى أن الضمير في ﴿وبشر﴾ راجع إلى نبينا محمد ﷺ^(٤).
 وذهب الآكثرون - فيما رأيت - إلى أن الضمير في ﴿وبشر﴾ راجع إلى موسى عليه السلام^(٥).
 ومن المفسرين من ذكر القولين ، ورجح أن مرجع الضمير إلى موسى عليه السلام^(٦).
 والذي يظهر - والله أعلم - أن مرجع الضمير هو إلى موسى عليه السلام دل على ذلك سياق الآية الكريمة ، وأيضاً ما قبلها وما بعدها ، فإنها جميعاً في ذكر موسى ، وقومه ، ولم تتعرض لذكر رسولنا ﷺ. ويبدو أن الذي دفع القائلين بأن مرجع الضمير إلى نبينا محمد ﷺ هو توحيد الضمير في قوله : ﴿وبشر المؤمنين﴾ فكان لسان حالهم يقول: لو أراد الله تعالى موسى لذكر معه أخاه هارون فقال: ((وبشرا)).

(١) في النسخة المحققة ، ونسخة دار الكتب العلمية ((وبشر الله المؤمنين)) والتصويب من النسخة الأميرية.

(٢) تفسير الطبري (١٧٦/١٥).

(٣) المحرر الوجيز (٢٠٤/٧).

(٤) كالغوي في معالم التنزيل (٣٦٥/٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٥٥/٤).

(٥) كالرغزباني في الكشف (٢٤٩/٢) ، والرازي في التفسير الكبير (١١٩/١٧) ، والبيضاوي في تفسيره (٤٥٦/١) ،

والنسفي في تفسيره (١٧٣/٢) ، وأبي حيان في البحر (١٨٥/٥) ، وابن القيم في بدائع التفسير (٤٠٩/٢) ، (٤١٠) ،

والبقاعي في نظم الدرر (١٧٨/٩) ، (١٧٩) ، وأبي السعود في تفسيره (١٧١/٤) ، والجمل في الفتحاح الإلهية

(٣٦٨/٢) ، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٦٧/١١).

(٦) كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/٨) ، والنعالي في الجواهر الحسان (٢٥٥/٢) ، والشوكاني في فتح القدير

(٤٦٧/٢).

والجواب : أن موسى عليه السلام هو الأصل في الرسالة ، وأخوه ردؤه ، ووزيره ، وكما كان الأصل في الرسالة ، فهو الأصل في البشارة ، وأيضاً فإن موسى وأخاه لما أرسلوا برسالة واحدة كانا رسولاً واحداً كقوله تعالى : ﴿ إني رسول من رب العالمين ﴾^(١).

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٠٤ . وهذا الجواب هو لابن القيم فقد ذكره من غير أن يتعرض للخلاف في مرجح الضمير في قوله ﴿وبشر المؤمنين﴾ وذكر بعضه أيضاً الرازي . انظر بدائع التفسير (٢/٤١٠)، والتفسير الكبير (١٧/١١٩).

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ - : ((ومعنى الكلام : فما كانت قرية آمنت عند معايتها العذاب ، ونزول سخط الله بها ، بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه ، فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت ، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيه ، واستحقاقه سخط الله بمعصيته إلا قوم يونس ، فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم . فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم ، وأخرجهم منهم ، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم))^(١).

ثم ساق بسنده عن جماعة من المفسرين أنهم قالوا بهذا القول الذي ذهب إليه^(٢) .
 واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن قوم يونس عليه السلام خصوا من بين الأمم بأن تيب عليهم من بعد معاينة العذاب ، فقال : ((وذهب الطبري إلى أن قوم يونس عليه السلام خصوا من بين الأمم بأن تيب عليهم من بعد معاينة العذاب ، ذكر ذلك عن جماعة من المفسرين ، وليس كذلك ، والمعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي تلبس العذاب ، أو الموت بشخص الإنسان كقصة فرعون ، وأما قوم يونس عليه السلام فلم يصلوا هذا الحد))^(٣) .
 هذه المسألة وقع الخلاف فيها بين المفسرين ، قال البغوي : ((واختلفوا في أنهم هل رأوا العذاب عياناً أم لا؟ فقال بعضهم : رأوا دليل العذاب ؟ والأكثر على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله : ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾ والكشف يكون بعد الوقوع ، أو إذا قرب))^(٤) .

(١) تفسير الطبري (١٥/٢٠٥ ، ٢٠٦) .

(٢) انظر المصدر السابق (١٥/٢٠٧ - ٢١٠) .

(٣) المحرر الوجيز (٧/٢٢٣) .

(٤) معالم التنزيل (٢/٣٦٩) . وكذلك نص على وجود الخلاف في هذه المسألة الخازن في تفسيره (٢/٢١١) ، والمباردي في

النكت والعيون (٢/٤٥١) ، وهود بن محكم في تفسير كتاب الله العزيز (٢/٢٠٩) ، وغير هؤلاء ، وهو الواقع في كتب

قلت : ودليل من ذهب إلى أنهم لم يروا العذاب عموم النصوص التي تفيد أن المكلف لا ينفعه الإيمان عند المعاينة ، كقوله تعالى: ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾^(١).

وقوله تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾^(٢).

وقوله ﷺ : ((إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر))^(٣).

قال القرطبي : ((والغرغرة الحشرجة ، وذلك هو حال التلبس بالموت ، وأما قبل ذلك فلا))^(٤).

قال هذا بعد أن ذكر أن الحديث يعضد قول النافين أن قوم يونس رأوا العذاب.

ودليل من ذهب إلى أن قوم يونس رأوا العذاب ظاهر الآية الكريمة فإنها تفيد أن القوم شاهدوا العذاب بدليل قوله: ﴿ كشفنا ﴾ ومع ذلك لم يهلكهم الله كما أهلك القرى الأخرى عند هذه الحال، فهذه خصوصية لقوم يونس في أن الإيمان نفعهم بعد أن رأوا العذاب.

وقد اختلفت أنظار العلماء في هذين القولين ، فبعضهم يؤيد القول الذي يقول : إن قوم يونس لم يروا العذاب ، وذلك كالقرطبي ، والشوكاني^(٥).

وبعضهم يؤيد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري كالألوسي فإنه قال: ((وظاهر الآية يستدعي أن القوم شاهدوا العذاب لمكان ﴿ كشفنا ﴾ وهو الذي يقتضيه أكثر الأخبار ، وإليه ذهب كثير من المفسرين، ونفع الإيمان لهم بعد المشاهدة من خصوصياتهم...))^(٦).

(١) سورة غافر ، الآية : ٨٥.

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٨ . ومن استدل بها الزجاج في معاني القرآن (٣/٣٤).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٥/٥٤٧) ، كتاب الدعوات ، باب فضل التوبة والاستغفار ... ح (٣٥٣٧) من حديث ابن عمر . وقال : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١٤٢٠) ، كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ، ح (٤٢٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/١٣٢) من حديث ابن عمر . وقال الشيخ الألباني : حسن . انظر صحيح سنن ابن ماجه (٢/٤١٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٨٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٨٤) ، والجواهر الحسان (٢/٢٦٠ ، ٢٦١) ، وفتح القدير (٢/٤٧٤).

(٦) انظر روح المعاني (١١/١٩٣).

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو أولى بالصواب للأسباب

التالية:

١- لما ذكر الإمام البغوي وغيره من أن الآية دلت بلفظها على أنهم قد رأوا العذاب إذ الكشف إنما يكون بعد الوقوع ، أو إذا قرب بحيث يرى^(١) . وتفريق ابن عطية بين الرؤية والتلبس يرد عليه قوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾^(٢) .

٢- ولأنه لو لم يكن لقوم يونس خصوصية بالإنجاء من العذاب بعد رؤيته لم يكن للاستثناء المذكور في

الآية معنى.

٣- سياق الآيات في هذه السورة يدل على أن قوم يونس لهم حالة لم تكن لغيرهم حيث ذكر الله تعالى في هذه السورة بعض قصص القوم المكذبين وختم ذلك بقصة فرعون وبين أن إيمانه لم ينفعه في حال المعاناة ، ثم قال قبل الآية المذكور فيها قوم يونس : ﴿إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾^(٣) ثم ذكر قوم يونس كالمستثنى لهم من هذه الحال حالة الاستمرار على التكذيب حتى رؤية العذاب الذي يهلكهم ، وأنهم قد فعلوا ذلك فأنجاهم الله بفضل منه خصوصية لهم.

٤- هذا القول هو قول جمهور المفسرين ، وقد روي عن صحابة وتابعين^(٤) .

٥- يبعد في حق جمع عظيم يصلون إلى مئة ألف أو يزيدون ، قد لجوا في الكفر أن يؤمنوا جميعاً من

غير رؤية ما يضطرهم إلى الإيمان ، وهو العذاب.

فإن قيل : فما الإجابة عن أدلة من يرى أنهم لم يروا العذاب؟

قيل: ما استدلوا به نصوص عامة خص منها قوم يونس - عليه السلام - بلفظ الآية.

(١) لم يذكر الإمام البغوي ((حيث يرى)) لكن هو الغالب في حال الشيء القريب.

(٢) سورة غافر ، الآية : ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٠٧/١٥ - ٢١٠) ، والدر المنثور (٣١٧/٣).

سورة هود عليه السلام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك : افتري محمد هذا القرآن ؟ وهذا الخبر عن نوح ؟ قل لهم : إن افتريته فتخرصته واختلقته ﴿ فعلي إجرامي ﴾ يقول : فعلي إثمي في افترائي ما افتريت على ربي دونكم ، لا تؤاخذون بذنبي ، ولا إثمي ، ولا أواخذ بدينكم ...))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الآية في شأن نبينا محمد ﷺ مع كفار قريش ، فقال : ((وقوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ الآية. قال الطبري وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير : إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح عليه السلام ، وهي في شأن محمد ﷺ مع كفار قريش ، وذلك أنهم قالوا : افتري القرآن وافتري هذه القصة على نوح ، فنزلت الآية في ذلك.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا لو صح بسند وجب الوقوف عنده ، وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح عليه السلام ويبقى اتساق الآية مطرداً ، ويكون الضمير في قوله : ﴿ افتراه ﴾ عائداً إلى العذاب الذي توعدهم به ، أو على جميع أخباره ...))^(٢).

هذه المسألة - التي وقع فيها الاستدراك - اختلف فيها المفسرون على قولين ، حاصلهما ما ذكره الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية^(٣).

وبعضهم قال إن الذي ذهب إليه الإمام الطبري هو قول جمهور أهل العلم^(٤).

وهناك من عكس فقال : إن القول الآخر هو قول جمهور أهل العلم^(٥).

(١) تفسير الطبري (٣٠٥/١٥ ، ٣٠٦).

(٢) المحرر الوجيز (٢٨٢/٧ ، ٢٨٣).

(٣) انظر بحر العلوم (١٢٥/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٨١/٢).

(٤) انظر غرائب التفسير (٥٠٤/١).

(٥) انظر التفسير الكبير (١٧٦/١٧) ، وتفسير الخازن (٢٢٩/٢) ، والفتوحات الإلهية (٣٩٣/٢) ، وروح المعاني

(٤٨/١٢). وأكثر هؤلاء يقول: وعليه أكثر المفسرين. ولعل هذا القول أشبه.

وأبعد ابن جزى - رحمه الله - عندما قال : إن القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري هو قول جميع المفسرين^(١).

وقد اختلفت أنظار أهل العلم في القولين ، فمن مؤيد للقول الذي ذهب إليه الإمام الطبري كابن جزى فإنه فسر الآية على ذلك ، ونعته بأنه قول جميع المفسرين ، ثم قال : ((واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير في ﴿يقولون﴾ لقوم نوح ، وفي ﴿افترأه﴾ لنوح ؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها ، وهو بعيد))^(٢).

وكذلك فعل ابن عاشور ، فقال - بعد أن فسر الآية على أنها معترضة بين جملة أجزاء قصة نوح مع قومه ، وليست منها - : ((ومن جعلها منها فقد أبعد ... ومناسبة هذا الاعتراض أن تفاصيل القصة التي لا يعلمها المخاطبون تفاصيل عجيبة تدعو المنكرين إلى أن يتذكروا إنكارهم ، ويعيدوا ذكره ، ويكون ذلك مطابقاً لما حصل في زمن نوح عليه السلام ...))^(٣).

وفريق آخر يؤيد القول الذي ذهب إليه القاضي ابن عطية كالرازي فإنه قال - بعد أن وصف ما اختاره ابن عطية بأن عليه أكثر المفسرين - : ((وهذه الآية وقعت في قصة محمد ﷺ في أثناء حكاية نوح ، وقولهم بعيد جداً))^(٤).

وكذلك القرطبي رجح القول الذي ذهب إليه ابن عطية بقوله : ((وهو أظهر ؛ لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه ، فالخطاب منهم ولهم))^(٥).

وكذلك أبو حيان قال - بعد أن ذكر القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري - : ((ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده ، ولكن الظاهر أن الضمير في ﴿يقولون﴾ عائد على قوم نوح))^(٦).

وأيضاً الألوسي نحى إلى هذا فاستبعد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، ووصف الآخر أنه الظاهر وعليه الجمهور^(٧).

(١) انظر التسهيل (١٩١/٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١٩١/٢).

(٣) التحرير والتنوير (٦٣/١٢ ، ٦٤).

(٤) التفسير الكبير (١٧٦/١٧) وقوله : ((وهذه الآية إلخ)) بداية ذكر قول الآخرين.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٩/٩).

(٦) البحر المحيط (٢٢٠/٥).

(٧) انظر روح المعاني (٤٨/١٢).

وكذلك الشوكاني ذهب في الترجيح إلى ما ذهب إليه هؤلاء^(١).
وبعد : فإذا تأملت في هذه الآية الكريمة من جهة السياق رأيت فيما ذهب إليه القاضي ابن عطية قوة
لا تنكر. وإذا تأملت في القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري رأيت بلاغة القرآن ولطف إشارته تجيزه
ولا تنفيه فإن في إدخال هذه الآية في أثناء هذه القصة تذكيراً للمشركين بجنايتهم السابقة ، التي ذكرها
الله بقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾^(٢) فكان الله يقول لهم : هذه
القصة - قصة نوح مع قومه - بتفاصيلها الدقيقة تشهد بكدبكم في دعوى أن القرآن مفترى .
كذلك في إدخال هذه الآية المتعلقة برسولنا ﷺ وقومه - في أثناء قصة نوح عليه السلام مع قومه -
تسلياً للرسول ﷺ فكان الله يقول له - هنا - : ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم﴾^(٣). وإلى تجويز أحد الاحتمالين في معنى الآية ذهب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر
السعدي رحمه الله تعالى^(٤).

وفي نظري أن قول الإمام الطبري مقدم ، لما ذكر له من تعليل حسن . والله أعلم.

(١) انظر فتح القدير (٢/٤٩٧).

(٢) سورة هود ، الآية : ١٣ .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : ٣٥ .

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن (٢/٣٦٥ ، ٣٦٦).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ - : ((إن تهزأوا منا اليوم ، فإننا نهزأ منكم في الآخرة ، كما تهزأون منا في الدنيا))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الاستهزاء الحاصل من المؤمنين إنما يكون في الآخرة ، فقال : ((وقوله : ﴿فإننا نسخر منكم﴾ قال الطبري: يريد في الآخرة.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ويحتمل الكلام - بل هو الأرجح - أن يريد : إنا نسخر منكم الآن ، أي نستجهلكم لعلنا بما أنتم عليه من الغرر ، والكون بمدرج عذابه))^(٢).

ما ذهب إليه الإمامان هما قولان من أربعة أقوال قيلت في تفسير الآية ، الأول والثاني ما ذكر ، والثالث : أن السخرية عند الغرق^(٣) . والرابع : أنها عند الغرق ويوم القيامة^(٤).

وقد استبعد الشوكاني قول من قال عند الغرق بقوله : ((وفيه نظر فإن حالهم إذ ذاك لا تناسبه السخرية إذ هم في شغل شاغل عنها))^(٥).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الكفار كانوا يسخرون من نوح عليه السلام عند عمل السفينة ، ومن أتباعه الذين آمنوا به ، وكانوا حوله واثقين بأنه يعمل عملاً عظيماً .

وسخرية نوح عليه السلام والمؤمنين من الكافرين هي من سفه عقولهم ، وجهلهم بالله وصفاته فالسخريةتان مقترنتان في الزمن^(٦).

ويرجح ذلك ما يلي:

١- الكاف في قوله : ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ فإنها حرف تشبيه ، وتشابه السخرية في العقاب إنما هو في حال الحياة.

(١) تفسير الطبري (١٥/٣١٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٢٩٠).

(٣) انظر معالم التنزيل (٢/٣٨٣) ، وزاد المسير (٤/١٠٣).

(٤) انظر الكشف (٢/٢٦٨) ، والبحر (٥/٢٢٢).

(٥) فتح القدير (٢/٤٩٧) ، وأشار إليه أبو السعود في تفسيره (٤/٢٠٧).

(٦) انظر التحرير والتنوير (١٢/٦٨).

٢- ولأن الفعل المضارع - نسخر - الذي جاء التعبير به يدل على الحدوث والتجدد ، فهو نظير قوله: ﴿وكلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه﴾ وهذا يرشد إلى أن السخريتين وقعتا في زمن واحد.

٣- ولأن السخرية من كفار قوم نوح نوع من العقاب لهم ، وهو مناسب أن يكون في حال الحياة، إذ عند الممات لهم عقاب من نوع آخر ، وكذلك في الدار الآخرة ، وهما المذكوران في قوله : ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾^(١).

(١) سورة هود ، الآية : ٣٩ . وفسر ﴿عذاب يخزيه﴾ بالفرق ، و ﴿عذاب مقيم﴾ بعذاب الآخرة . انظر البحر (٥/٢٢٢).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : ونادى نوح ربه فقال : رب إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي ، وقد هلك ابني ، وابني من أهلي ، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ ، الذي لا خلف له ، ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ بالحق ، فاحكم لي بأن تفي لي بما وعدتني ، من أن تنجي لي أهلي ، وترجع إليّ ابني))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما يظهر من كلامه أن مناداة نوح لربه نجاة ابنه كانت بعد غرق الابن ، فقال - بعد أن ساق الآية وما يتصل بها من تمام القصة - : ((هذه جملة معطوفة على التي قبلها دون ترتيب ، وذلك أن هذه القصة كانت في أول ما ركب نوح في السفينة ، ويظهر من كلام الطبري : أن ذلك كان بعد غرق الابن ، وهو محتمل ، والأول أليق))^(٢). هذا الاستدراك لم يستبعد فيه القاضي ابن عطية ما يظهر أن الإمام الطبري ذهب إليه ؛ لأن الآية تحتمله ، ولكن يرى أن غيره أليق بمعنى الآية ، وهو هكذا يفعل في جملة من استدرأته على الإمام الطبري.

ثم ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية هما قولان في هذه المسألة ذكرهما بعض المفسرين من غير ترجيح قول علي قول^(٣).

وكلام العلامة ابن عاشور في تفسيره يدل على أنه ينجح إلى القول الذي يقول: إن المنارة كانت بعد غرق الابن. وقد علل ذلك بتعليين:

التعليل الأول : أن موقع الآية يقتضي أن نداء نوح - عليه السلام - كان بعد استواء السفينة على الجودي.

التعليل الثاني : أن نوحاً - عليه السلام - لما دعا ابنه إلى ركوب السفينة فأبى وجرت السفينة قد علم أنه لا وسيلة إلى نجاته فكيف يسألها من الله فتعين أنه سأل له المغفرة ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤).

(١) تفسير الطبري (٣٣٩/١٥).

(٢) انحرر الوجيز (٣٠٩/٧).

(٣) كالبيضاوي في تفسيره (٤٧٠/١) ، وبرهان الدين البقاعي في نظم الدرر (٢٩٤/٩).

(٤) سورة هود ، الآية : ٤٦ . وانظر التحرير والتنوير (٨٣/١٢).

ومال الزمخشري وأبو السعود والجمل والألوسي إلى أن نداء نوح عليه السلام ربه كان قبل أن يغرق ابنه حين خاف عليه^(١).

قال الزمخشري : ((وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه))^(٢).

وأبو حيان : ذكر أن هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ، ثم أورد تفسير الإمام الطبري ، وأعرض عن ذكر استدراك ابن عطية^(٣).

وبعد : فهذه القصة محتملة أن تكون بعد غرق الابن ويعمل هذا الاحتمال بما ذكره ابن عاشور . ومحتملة أن تكون أول ما ركب نوح السفينة ، قبل أن يغرق الابن ، وهذا قد يكون أولى للأسباب التالية :

١- لما ذكره الزمخشري من أن قوله تعالى : ﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾ يدل على أنه سأله نجاة الابن ، وهذا إنما يكون أول ما ركب السفينة قبل أن يغرق الابن . إذ هذا موضع السؤال في نجاته .

٢- ولما ذكره الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال : ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾ فهذا يشير إلى أن هذه القصة كانت عند أول ما ركب السفينة قبل غرق الابن ، لأنه استنجزه ما وعده من نجاة أهله ظاناً أن ابنه منهم .

٣- ولأن هذا النداء منه عليه السلام يقطر منه الاستعطاف وجميل التوسل إلى من عهده منعماً مفضلاً في شأنه أولاً وآخراً ، وكل هذا يشير إلى أن ذلك كان قبل غرق الابن^(٤).

٤- ولأن قوله : ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ لو كان بعد غرق الابن كان الظاهر منه أنه سؤال استفسار عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بإنجاء أهله وهو منهم - في الظاهر - وهذا لا يقال لمن سأله : ﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾^(٥) فدل ذلك على أن السؤال كان لنجاة الابن قبل غرقه^(٦) . والله أعلم .

(١) انظر الكشاف (٢٧٣/٢) ، وتفسير أبي السعود (٢١٣/٤) ، والفتوحات الإلهية (٤٠١/٢) ، وروح المعاني (٧٠/١٢) .

(٢) الكشاف (٢٧٣/٢) .

(٣) انظر البحر المحيط (٢٢٩/٥) .

(٤) أشار إلى هذا الألوسي في روح المعاني (٦٨/١٢) .

(٥) سورة هود ، الآية : ٤٦ .

(٦) أشار إلى هذا أبو السعود في تفسيره (٢١٢/٤ ، ٢١٣) .

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴾ - : ((وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : ((السجيل)) هو من الحجارة الصلب الشديد ، ومن الضرب ، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر^(١) :

ضرباً توأسى به الأبطال سجيلاً^(٢)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إنشاده البيت باللام ، وإنما هو في قصيدة نونية فقال : ((وقالت فرقة ﴿ سجيل ﴾ معناه : شديد ، وأنشد الطبري في ذلك : ضرباً توأسى به الأبطال سجيلاً ، والبيت في قصيدة نونية : سجيناً^(٣) .

إذا نظرت في كلام الإمام الطبري تجده قد بين أن هذا التفسير والاستشهاد بالبيت عليه إنما هو رأي لبعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين .

وهو يعني بذلك أبا عبيدة معمر بن المثنى ، فهذا هو كلامه في كتابه مجاز القرآن ، والبيت المذكور فيه باللام ((سجيلاً))^(٤) .

ومن خلال مراجعتي لبعض المصادر التي أوردت هذا البيت وجدتها كلها تورده بالنون ((سجيناً))^(٥) .

ثم تأملت في نقل العلماء لكلام أبي عبيدة واستشاده بالبيت ، فوجدت ابن قتيبة والزجاج ، وأبا جعفر النحاس ، والماوردي ، وابن الجوزي ينقلون كلامه موصولاً به استشاده بالبيت المذكور برواية النون ((سجيناً))^(٦) .

(١) تميم بن أبي بن مقبل ، شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم (ت : بعد ٣٧ هـ) انظر خزائن الأدب (١/٢٣١) ، والأعلام (٢/٨٧) . والبيت في ديوانه ص (٣٣٣) من قصيدة له نونية ، و صدره (ورحلة يضربون البيض ضاحية) وهو أيضاً في مجاز القرآن (١/٢٩٦) ، وجمهرة أشعار العرب (٢/٨٦٣) ، وصحيح البخاري - مع الفتح - (٨/٣٥١) ، وتفسير غريب القرآن ص (٢٠٧ ، ٢٠٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٧١) ، وتهذيب اللغة (١٠/٥٨٦) ((سجيل)) ، ولسان العرب (٦/١٨٤) . وهو في هذه المصادر جميعها بالنون كما عهد مجاز القرآن .

(٢) تفسير الطبري (١٥/٤٣٤) .

(٣) انحر الوجيز (٧/٣٧١ ، ٣٧٢) .

(٤) انظر مجاز القرآن (١/٢٩٦) .

(٥) تقدم ذكرها عند تخريج البيت .

(٦) انظر تفسير غريب القرآن ص (٢٠٧ ، ٢٠٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٧٠ ، ٧١) ، ومعاني القرآن الكريم

(٣/٣٧٠) ، والنكت والعيون (٢/٤٩٢ ، ٤٩٣) ، وزاد المسير (٤/١٤٤) .

وكذلك الإمام البخاري أورد كلام أبي عبيدة والبيت الذي استشهد به فكان ذلك برواية النون، وهو وإن لم ينسب ذلك إلى أبي عبيدة، إلا أنه أخذه منه، نص على ذلك الحافظ^(١).

وذكر ابن منظور أن البيت قد روي عن بعض أهل اللغة باللام، فقال - بعد أن أورد البيت برواية النون، وأن هناك من رواه ((سخينا)) - : ((وروي عن المؤرج سجيل))^(٢).

وبعد : فلا شك أن القارئ إذا تأمل كلام الإمام الطبري، وما جاء في مجاز القرآن، وعلى أي القوافي بنيت القصيدة التي جاء البيت منها، وكذلك نقل العلماء عن أبي عبيدة، وما قاله صاحب اللسان إذا تأمل كل هذا ظهر له أشياء منها:

١- أن رواية البيت الصحيحة بالنون ((سجينا))، لأن القصيدة التي ينتمي إليها البيت قافيتها بحرف النون.

٢- أن هذا الاستدراك الذي أوردته القاضي على الإمام الطبري غير وارد عليه، لأن الإمام الطبري اعتمد في ذكره هذه الرواية على إمام من أئمة اللغة يوثق بقوله في ذلك، وأحال القارئ عليه علماً أن هذه المسألة تعتمد على الرواية والنقل، لا على إعمال الفكر، لأنه لا فرق - في المعنى - بين ((سجينا)) و ((سجيلا))^(٣).

٣- رواية اللام التي وقعت في مجاز القرآن يحتمل أن يكون ذلك من أبي عبيدة بناء على ما وصله من رواية، وهو لم يطلع على أصل القصيدة التي منها هذا البيت، ويحتمل أن يكون ذلك وقع في بعض نسخ مجاز القرآن التي وصلت إلى الإمام الطبري وإلينا، وهو من تحريف بعض النساخ التي يقعون فيها من غير قصد.

والاحتمال الأخير عندي أولى لمكان أبي عبيدة، ولأن الأئمة الذين تقدم أنهم نقلوا عنه القول أوردوا الرواية عنه بالنون.

(١) انظر فتح الباري (٣٥١/٨).

(٢) لسان العرب (١٨٤/٦) ((سجن)). واللفظ فيه هكذا ((سجيل)) من غير ألف الإطلاق.

(٣) قاله الإمام البخاري في الصحيح - مع الفتح - (٣٥١/٨)، والزجاج في معاني القرآن (٧١/٣)، ونقله الأزهرى في تهذيب اللغة (٥٨٦/١٠). وأصل القول لأبي عبيدة وقد رده ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص (٢٠٧، ٢٠٨)، ورد الرد أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٣٧٠/٣).

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في التي عنت بهذه الآية من صلوات العشي بعد إجماع جميعهم على أن التي عنت من صلاة الغداة الفجر. فقال بعضهم : عنت بذلك صلاة الظهر والعصر ، قالوا : وهما من صلاة العشي^(١)... وقال آخرون: بل عني بها صلاة المغرب^(٢)... وقال آخرون : عني بها صلاة العصر^(٣)... وقال بعضهم: بل عني بطرفي النهار الظهر والعصر ، ويقوله : ﴿زلفاً من الليل﴾ المغرب والعشاء والصبح^(٤).

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هي صلاة المغرب ، كما ذكرنا عن ابن عباس. وإنما قلنا : هو أولى بالصواب لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر ، وهي تصلى قبل طلوع الشمس ، فالواجب إذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب ؛ لأنها تصلى بعد غروب الشمس ، ولو كان واجباً أن يكون مراداً بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس وجب أن يكون مراداً بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها ، وذلك ما لم نعلم قائلًا قاله إلا من قال : عني بذلك صلاة الظهر والعصر ، وذلك قول لا يخيل^(٥) فساده ؛ لأنهما إلى أن يكونا جميعاً من صلاة أحد الطرفين أقرب منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفي النهار ؛ وذلك أن الظهر لا شك أنها تصلى بعد مضي نصف النهار ، في النصف الثاني منه ، فمحال أن تكون من طرف النهار الأول ، وهي في طرفه الآخر ، فإذا كان لا قائل من أهل العلم يقول : عني بصلاة طرف النهار

(١) هذا القول أسنده الإمام الطبري (٥٠٢/١٥ ، ٥٠٣) إلى مجاهد ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك.
 (٢) هذا القول أسنده الإمام الطبري (٥٠٣/١٥) إلى ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة . وكذلك عن ابن زيد.
 (٣) هذا القول أسنده الإمام الطبري (٥٠٣/١٥ ، ٥٠٤) إلى الحسن وقتادة والضحاك ومحمد بن كعب القرظي . وبه قال الإمام محمد بن علي القصاب في كتابه نكت القرآن (٥٧٠/٢).
 (٤) لم يسنده الإمام الطبري إلى أحد انظر تفسيره (٥٠٤/١٥) وقال به الفراء في معاني القرآن (٣٠/٢) . واختاره ابن العربي كما في أحكام القرآن (١٠٦٨/٣).
 (٥) يقال : أحال الشيء اشتبه ، وهذا الأمر لا يخيل على أحد أي لا يشكل . انظر تعليق محمود شاكر على تفسير الطبري (٥٠٥/١٥) حاشية (١).

الأول صلاة بعد طلوع الشمس ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : عنى بصلاة طرف النهار الآخر صلاة قبل غروبها ، وإذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا في ذلك من القول ، وفسد ما خالفه))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن القول الذي بدأ بذكره الإمام الطبري أحسن من القول الذي رجحه فقال - بعد أن حكى الأقوال المتقدمة - : ((والأول أحسن هذه الأقوال عندي، ورجح الطبري أن الطرفين : الصبح والمغرب ، وأنه الظاهر ، إلا أن عموم الصلوات الخمس بالآية أولى))^(٢).

هذه المسألة محل خلاف بين المفسرين أعني تعيين الصلوات التي تقع في الطرف الثاني ، وكذلك قد وجد الخلاف في تعيين الصلاة التي تقع في الطرف الأول ، وقد استوفى الإمام الطبري ذكر الأقوال المعبرة في المسألة ، وما وقع بين علماء السلف فيها من خلاف^(٣).

وقد جاء المتأخرون فاختلفوا هم - أيضاً - في اختيار أحد الأقوال التي قيلت في الآية .

ولعل عرض اختياراتهم وتعليقاتهم ، وما أورد كل واحد منهم على الأقوال الأخرى يبين لنا القول الأقرب - إن شاء الله تعالى - في هذه المسألة.

فأبو حيان - رحمه الله - يختار قول من قال إن الطرف الأول هو الفجر ، والطرف الثاني هو العصر ، ويعلل ذلك بأنهما طرفا النهار ، ويورد على الطبري في ذكره للإجماع على الطرف الأول ، والخلاف موجود فيه ، ثم يقول : ((واختار ابن عطية قول مجاهد ، وجعل الظهر من الطرف الثاني ليس بواضح ، وإنما الظهر نصف النهار ، والظهر لا يسمى طرفاً للنهار إلا بمجاز بعيد ، ورجح الطبري قول ابن عباس ، وهو أن الطرفين هما الصبح والمغرب ، ولا نجعل المغرب طرفاً للنهار إلا بمجاز ، إنما هو طرف الليل))^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٥/٥٠٢ - ٥٠٥).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤١٦).

(٣) هناك من يجوز أن تكون الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ، وأن المقصود الصلاتان بحكمة صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها ، والزلف من الليل صلاة التهجد. انظر تفسير ابن كثير (٢/٤٦٣) ونظم الدرر (٩/٣٩٥) وسبب نزول الآية الذي في صحيح البخاري - مع الفتح - (٨/٣٥٥) يدفع هذا.

(٤) البحر المحيط (٥/٢٧٠).

وحمل القاضي ابن العربي على الإمام الطبري في اختياره وتعليقه ، فقال - بعد أن اختار قول من قال : إن الطرفين هما الظهر والعصر - : ((والعجب من الطبري الذي يقول : إن طرفي النهار الصبح والمغرب ، وهما طرفا الليل ... قال والدليل عليه إجماع الجميع على أن أحد الطرفين الصبح ، فدل على أن الطرف الآخر المغرب ، ولم يجمع معه على ذلك أحد...))^(١).

ورأى العلامة القرطبي أن هذا تحامل من القاضي ابن العربي على الإمام الطبري ، فقال - بعد أن ذكر كلامه - : ((هذا تحامل من ابن العربي في الرد ، وأنه لم يجمع معه على ذلك أحد ؛ وقد ذكرنا عن مجاهد أن الطرف الأول صلاة الصبح ، وقد وقع الاتفاق - إلا من شذ - بأن من أكل أو جامع بعد طلوع الفجر متعمداً أن يومه ذلك يوم فطر ، وعليه القضاء والكفارة ، وما ذلك إلا وما بعد طلوع الفجر من النهار ، فدل على صحة ما قاله الطبري في الصبح ، وتبقى عليه المغرب ، والرد عليه فيه ما تقدم))^(٢).

والإمام الرازي - أيضاً - يرى أنه لا يجوز أن يقال : الطرف الثاني صلاة المغرب ؛ لأنها داخلة تحت قوله : ﴿وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ ويرجح أن الطرف الثاني هي صلاة العصر^(٣).
وبعد : فهذه الأقوال الأربعة محتملة في تفسير طرفي النهار ، وكل منها له وعليه ، إلا واحداً فإن عليه لاله . فما ذهب إلى اختياره الإمام الطبري يقويه أنه قد جاء عن حبر الأمة وترجمان القرآن من طريق علي بن أبي طلحة^(٤).

ويؤخذ عليه أن صلاة المغرب لا تصح إلا بعد غروب الشمس ، فكيف يقال : إنها في طرف النهار ، وطرف الشيء لا بد أن يكون منه.

وما ذهب إليه ابن عطية يزينه أنه شامل لجميع أوقات الصلوات الخمس .
ويؤخذ عليه أن تسمية الظهر طرف للنهار فيه بعد.

(١) أحكام القرآن (١٠٦٨/٣ ، ١٠٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١٠/٩). وقوله ((والرد عليه فيه ما تقدم)) يعني ما نقله عن ابن عطية أنه قال: المغرب لا تدخل في طرفي النهار الثاني لأنها من صلاة الليل . انظر الجامع (١٠٩/٩) ولم أقف على هذا في النسخ التي بين يدي من المحرر الوخيز.

(٣) انظر التفسير الكبير (٥٨/١٨).

(٤) تقدم أن الإمام الطبري أسند ذلك عنه من هذا الطريق.

وأما قول من قال : إن الطرف الأول الصبح ، والثاني العصر فقول ظاهره القوة، ويؤيده الواقع. ويؤخذ عليه عدم الشمول ، لخروج صلاة الظهر .

وأما قول من قال : الطرفان الظهر والعصر ، والزلف من الليل المغرب والعشاء والفجر ، فقول عليه، لا له ، وقد عد في غرائب التفسير^(١) ، ثم كيف تدخل الفجر في قوله : ﴿ زلفاً من الليل ﴾ وإنما تقع في الطرف الأول من النهار.

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن الذي قال القاضي ابن عطية : إنه أولى هذه الأقوال هو كما قال . وقد وافقه على اختياره وتعليقه الإمام أبو جعفر النحاس ، فقال : ((وقول مجاهد ... أحسن ؛ لأنه يجتمع به الصلوات الخمس))^(٢).

قلت : وما اعترض به عليه من أن الظهر نصف النهار ، والنصف لا يسمى طرفاً إلا بمجاز بعيد عنه جوابان :

الأول : أن يقال : المقصود بطرفي النهار غدوة وعشية ، فصلاة الغدوة الفجر ، وصلاة العشية الظهر والعصر ؛ لأن ما بعد الزوال عشي^(٣).

الثاني : أن يقال : صلاة الظهر أول وقتها بعد زوال الشمس ، ويمتد إلى وقت صلاة العصر ، وصلاة العصر لا شك واقعة في طرف النهار فلما جاورتها صلاة الظهر صح أن يقال : إنها وقعت في طرف النهار.

(١) انظر روح المعاني (١٥٦/١٢).

(٢) معاني القرآن الكريم (٣٨٦/٣).

(٣) انظر الكشاف (٢٦٦/٢).

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : وما كان ربك يا محمد ، ليهلك القرى التي أهلكتها - التي قص عليك نبأها - ظلماً وأهلها مصلحون في أعمالهم ، غير مسئين ، فيكن إهلاكه إياهم مع صلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلماً ، ولكنه أهلكتها بكفر أهلها بالله ، وتماديهم في غيهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وركوبهم السيئات .

وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله : ﴿ بظلم ﴾ يعني بشرك ، ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ فيما بينهم لا يتظالمون ، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم ، وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا^(١) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذكره في الاحتمال الثاني ، فقال : ((وقوله تعالى : ﴿ بظلم ﴾ يحتمل أن يريد : بظلم منه لهم تعالى عن ذلك . قال الطبري : ويحتمل أن يريد : بشرك منهم وهم مصلحون في أعمالهم وسيرهم ، وعدل بعضهم في بعض ، أي أنه لا بد من معصية تقترن بكفرهم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا ضعيف ، وإنما ذهب قائله إلى نحو ما قيل : إن الله تعالى يجهل الدول على الكفر ، ولا يجهلها على الظلم والجور . ولو عكس لكان ذلك متجهاً ، أي : ما كان الله ليعذب أمة بظلمهم في معاصيهم ، وهم مصلحون في الإيمان . والاحتمال الأول في ترتيبنا أصح إن شاء الله^(٢) .

وجه بحث هذه المسألة أن القاضي ابن عطية يرى أن الإمام الطبري يقول : إن الآية تحتمل الوجه المعترض عليه .

وفي نظري أن هناك فرقاً بين قول الإمام الطبري : ((وقد قيل معنى ذلك ... إلخ)) وبين قول ابن عطية : ((قال الطبري ويحتمل أن يريد ... إلخ)).

إذا لا يلزم من نص الإمام الطبري أنه يرى أن الآية محتملة لهذا القول .

وأما على حسب كلام ابن عطية فيلزم منه أن الإمام الطبري يرى أن الآية محتملة للقول المذكور^(٣) .

(١) تفسير الطبري (٥٣٠/١٥) .

(٢) المحرر الوجيز (٤٢٢/٧ ، ٤٢٣) .

(٣) وقد نص أبو حيان أن هذا القول الذي ذكره الطبري هو نقلاً . انظر البحر (٢٧٢/٥) .

ثم هذه الآية قد قيل في معناها غير ما ذكر فبالإضافة إلى هذين القولين هناك من قال : المقصود من الآية ما كان الله ليهلك القرى بظلم أهلها المتقدم ، وهم مصلحون الآن ، أي إنهم بعد أن أصلحوا وتابوا لم يكن ليهلكهم بما سلف منهم من الظلم^(١).

وهناك من يذكر معنى قريباً من هذا ، سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى عند الترجيح^(٢) :

ثم علماء التفسير - الذين اطلعت على مصنفاتهم - منهم من يذكر القولين اللذين ذكرهما الطبري وابن عطية ، دون ترجيح أو تعليق^(٣).

ومنهم من يقتصر - في معنى الآية - على ذكر القول الذي ضعفه ابن عطية^(٤).

وفريق ثالث يكتفي - في معنى الآية - بذكر القول الذي رجحه ابن عطية^(٥).

وهناك من ينص على هذا الاستدراك الذي وقع من ابن عطية على الإمام الطبري كأبي حيان فإنه قد ذكر ما نقله الإمام الطبري ، واستدراك القاضي وما رجحه في معنى الآية ، ولم يعقب على ذلك بشيء^(٦).

ومن كان له مشاركة في تأييد هذا القول - المستدرك عليه - أورده العلامة أبو السعود ، فقد قال - بعد ما ذكره - : ((وأنت تدري أن مقام النهي عن المنكرات التي أقبحها الإشراك بالله لا يلائمه ، فإن الشرك داخل في الفساد في الأرض دخولاً أولاً ، ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت أنباؤهم أمته أولاً عن الإشراك ، ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها ، فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي ، وحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه ، بكون

(١) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٤٤١/٢).

(٢) هذا المعنى ذكره أبو السعود في تفسيره (٢٤٨/٤).

(٣) كالمسمرقندي في بحر العلوم (١٤٦/٢ ، ١٤٧) ، والبغوي في معالم التنزيل (٤٠٦/٢) ، والفراء في معاني القرآن (٣١/٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٤) ، والزنجشيري في الكشف (٢٩٨/٢) ، والحازن في تفسيره (٢٥٨/٢) ، والنسفي في تفسيره (٢٠٩/٢) ، والرازي في التفسير الكبير (٦١/١٨) ، والنيسابوري في غرائب القرآن (٨٨/١٢) ، (٨٩).

(٤) كالواحدي في الوسيط (٥٩٧/٢).

(٥) كابن كثير في تفسيره (٤٦٥/٢) ، والكرماني في غرائب التفسير (٥٢٢/١) ، والنيسابوري في وضوح البرهان (٤٤٦/١) ، وابن حزمي في التسهيل (٢٠٨/٢) ، والباقعي في نظم الدرر (٤٠٠/٩) ، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٨٦/١٢) ، والنعالبي في الجواهر الحسان (٣٠٢/٢).

(٦) انظر البحر المحيط (٢٧٢/٥).

بعضهم متصدين للنهي عنه ، وبعضهم متوجهين إلى الاعتاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد))^(١).

والألوسي ذكر ما نقله الطبري في تفسير الآية ، واستدراك القاضي ابن عطية عليه ، وذكر أن وجه ضعفه ما ذكره بعض المحققين ، ثم أورد بعض ما قاله أبو السعود ، ثم قال : لكن قد جاء ما يدل لهذا التفسير وهو ما روي أن النبي ﷺ سئل عن تفسير هذه الآية ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام : ((وأهلها ينصف بعضهم بعضاً))^(٢) ، ثم قال : ((وهو ظاهر في المعنى الذي نقله الطبري ، ولعله لم يثبت عن رسول الله ﷺ وإلا فالأمر مشكل ، وجعل التصدي للنهي من بعض ، والاعتاظ من بعض آخر من إنصاف البعض البعض كما ترى فافهم))^(٣) .
وبعد : فالظاهر أن القول الذي ذهب القاضي ابن عطية إلى تضعيفه هو كما قال ضعيف ، ووجه ضعفه ما ذكره العلامة أبو السعود .

وأيضاً مما يدل على ضعفه قوله تعالى : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾^(٤) وقد فسر الفساد بالشرك بالله تعالى وعصيانه^(٥) ، فإذا كان الفساد ضد الصلاح ، والشرك أعظم الفساد ، علمنا أن قوله : ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ معني به غير المشركين .

وأما ما ذكر له من أدلة فهي مجرد تعليقات لا تقف أمام ما تقرر في فطر العقول السليمة أن الشرك أعظم الفساد . وقد ناقش ابن عطية وغيره هذه التعليقات .
والحديث الذي تقدم أنه قد يستدل به لهذا القول لا يثبت .

ثم المعنى الذي رجحه القاضي ابن عطية محتمل وأبين منه وأحسن ما ذكره العلامة أبو السعود بقوله : ((فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره ، من أصناف المعاصي ، وحمل الإصلاح

(١) تفسير أبي السعود (٤/٢٤٧، ٢٤٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/٣٠٨) من حديث جرير بن عبد الله ، والخرائطي في مساوي الأخلاق ص(٢٨٧). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٩) : وفيه عبيد بن القاسم الكوفي وهو متروك . والحديث عند الطبراني مرفوع ، وعند الخرائطي موقوف وكلا الطريقتين فيها الرجل المتروك . والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٥٦). ونسبه إخراجاً إلى الطبراني والخرائطي وغيرهما .

(٣) روح المعاني (١٢/١٦٣، ١٦٤).

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦ .

(٥) انظر تفسير الطبري (١٢/٤٨٧).

على إصلاحه والإقلاع عنه يكون بعضهم متصددين للنهي عنه ، وبعضهم متوجهين إلى الاعتاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد^(١).

فهذا معنى جيد دل عليه سياق القرآن الكريم في قوله : ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾^(٢). فإن الله تعالى بين في هذه الآية الكريمة أن سبب هلاك القرون التي قبلنا هو عدم وجود الناهي عن الفساد إلا القليل الذين أنجاهم الله تعالى . ثم أكد الله تعالى هذا المعنى الأخير - وهو أن وجود الناهي عن الفساد سبب في عدم الهلاك - فقال في الآية التي على إثرها : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾.

(١) تفسير أبي السعود (٤/٢٤٧، ٢٤٨).

(٢) سورة هود ، الآية : ١١٦.

سورة يوسف عليه السلام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب... ﴾ - : ((فإن قال قائل : كيف قيل : ﴿ بدم كذب ﴾ وقد علمت أنه كان دماً لا شك فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف؟ .

قيل: في ذلك من القول وجهان : أحدهما : أن يكون قيل : ﴿ بدم كذب ﴾ ؛ لأنه كذب فيه ، كما يقال : (الليلة الهلال) ، وكما قيل : ﴿ فما رجحت تجارتهم ﴾^(١) ، وذلك قول كان بعض نحويي البصرة يقوله. والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله : وجاؤوا على قميصه بدم مكذوب ، كما يقال : (ما له عقل ، ولا معقول) ، (ولا له جلد ، ولا مجلود) والعرب تفعل ذلك كثيراً ، تضع (مفعولاً) في موضع المصدر ، والمصدر في موضع مفعول كما قال الراعي^(٢) :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحمًا ولا لفؤاده معقولاً

وذلك كان يقوله بعض نحويي الكوفة^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري استشهاده بالبيت مع أنه لا شاهد فيه ، فقال : ((ووصف الدم بـ ((كذب)) إما على معنى : بدم ذي كذب ، وإما أن يكون بمعنى مكذوب عليه كما قد جاء (المعقول) بدل (العقل) في قول الشاعر :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحمًا ولا لفؤاده معقولاً

فكذلك يجيء (التكذيب)^(٤) مكان (المكذوب).

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦ .

(٢) عبيد بن حصين ، الراعي النميري ، من شعراء الإسلام المتقدمين (ت : ٩٠ هـ) انظر عزارة الأدب (٣/١٥٠) ، والأعلام (٤/١٨٨) . والبيت في ملحمة (ص ٤٩) ومعاني القرآن للفراء (٢/٣٨) . والبيت يستشهد به على مجيء المصدر ((معقولاً)) على زنة اسم المفعول من الثلاثي ، وهو قليل . انظر المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/٦٦٢) .

(٣) تفسير الطبري (١٥/٥٨٢ ، ٥٨٣) .

(٤) ((التكذيب)) كذا في النسخ ، وهو يعني ((الكذب)) .

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : هذا كلام الطبري ، ولا شاهد له فيه عندي ؛ لأن نفي (المعقول) يقتضي نفي (العقل) ، ولا يحتاج إلى بدل ، وإنما الدم الكذب عندي وصف بالمصدر على جهة المبالغة^(١).

هذا الذي قاله الإمام الطبري ونسبه إلى بعض نحوي الكوفة قاله الإمام الفراء في معاني القرآن^(٢) ، وهو المقصود في كلام الإمام الطبري.

قال الفراء : ((وقوله : ﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾ معناه : مكذوب ، والعرب تقول للكذب مكذوب وللضعف مضعوف ، وليس له عقد رأي ، ومعقود رأي ، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولاً...^(٣)).

وهذا الذي قاله الإمام الفراء هو الذي ذكر في وجه الاستشهاد بالبيت فقيل : الشاهد فيه قوله : ((مفعولاً)) حيث جاء المصدر على زنة اسم المفعول من الثلاثي ، وهو قليل ، ومن غير الثلاثي كثير^(٤). ثم استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري - فيما يظهر - فإن نفي المعقول يلزم عنه نفي العقل ، فلا يحتاج بعد ذلك إلى أن يقال : إن نفي المعقول بدل من نفي العقل إذ قد استغنيا عن البدلية بالتضمن ، أو الالتزام .

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٥٨ ، ٤٥٩).

(٢) انظر معاني القرآن (٣٨/٢).

(٣) معاني القرآن (٣٨/٢).

(٤) انظر ملحة الراعي ص (٤٩) ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/٦٦٢).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، في قوله تعالى : ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ - : ((... وأما قوله: ﴿ وفيه يعصرون ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم : معناه : وفيه يعصرون العنب والسمسسم وما أشبه ذلك^(١) ... وقال آخرون: معنى قوله: ﴿ وفيه يعصرون ﴾ وفيه يجلون^(٢) ... وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله : ﴿ وفيه يعصرون ﴾ إلى وفيه ينجون من الجذب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من (العَصْر) و (العُصْرَة) التي بمعنى المنجاة من قول أبي زيد الطائي^(٣):

ولقد كان عصرة المنجود

صادياً يستغيث غير مغاث

أي المقهور ، ومن قول لييد^(٤):

وقافاً
وما كان وقفاً فلبغير معصر

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه ، خلافة قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين^(٥).
واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الرد الذي رد به قول من قال: إنه من (العصر والعصرة) فقال : ((وقال جمهور المفسرين: هي من عصر النباتات كالزيتون ، والعنب، والقصب، والسمسسم ، والفجل وجميع ما يعصر ، ومصر بلد عصر لأشياء كثيرة ... والحلب منه ؛ لأنه

(١) هذا القول أسنده الإمام الطبري (١٢٩/١٦ ، ١٣٠) إلى ابن عباس من طريقين إحداهما من طريق علي بن أبي طلحة، وكذلك أسنده إلى مجاهد والضحاك وقتادة.

(٢) هذا القول أسنده الإمام الطبري (١٣٠/١٦) إلى ابن عباس ورده الإمام الطبري بأنه خلاف المعروف من قول ابن عباس، وخلاف المعروف من كلام العرب.

(٣) المنذر بن حرمة ، وقيل: حرمة بن المنذر الطائي ، النصراني (ت : ٦٢ هـ تقريباً) انظر خزانة الأدب (١٩٢/٤)، والأعلام (٢٩٣/٧). والبيت في كثير من المصادر منها مجاز القرآن (٣١٣/١) ، وتهذيب اللغة (١٤/٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٣٤٥/٤) ، ولسان العرب (٢٣٧/٩) الكل في ((عصر)) ، والمخصص (٩٦/٩) ، وخزانة الأدب (٥١٢/٨) وبعض هذه المصادر ورد فيها الشطر الثاني فقط.

(٤) لييد بن ربيعة العامري ، الصحابي (ت : ٤١ هـ) انظر الإصابة (٦/٩) ، والأعلام (٢٤٠/٥) . والبيت في ديوانه ص(٦٨) ، وفي تهذيب اللغة (١٤/٢) ، ولسان العرب (٢٣٧/٩) ((عصر)) والأخيران فيهما الشطر الثاني فقط . وكل هذه المراجع ترويه ((بدار معصر)).

(٥) تفسير الطبري (١٢٩/١٦ - ١٣٢) . وهو يعني برده هذا أبا عبيدة . انظر قوله في مجاز القرآن (٣١٣/١ ، ٣١٤).

عصر للضرع . وقال أبو عبيدة وغيره : ذلك مأخوذ من العصرة والعصر ، وهو الملجأ ، ومنه قول أبي زيد في عثمان رضي الله عنه (١) :

ولقد كان عصرة المنجود

صادياً يستغيث غير مغاث

ومنه قول لبيد :

وما كان وقافاً بغير معصر

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم

أي بغير ملتجأ ، فالآية على معنى : ينجون بالعصرة ... ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة رداً كثيراً بغير حجة (٢) :

هذه اللفظة الكريمة ﴿يعصرون﴾ مختلف في معناها على الأقوال التي ذكرت ، ومن المفسرين من ذكر أكثر من هذا (٣) .

والقول المشهور في معناها هو الذي نسبة ابن عطية للجمهور ، وكذلك نسبة غيره (٤) .

أما ما ذهب إليه أبو عبيدة - وهو الذي يعنيه الإمام الطبري بالرد - فقول تابعه عليه طائفة من أهل اللغة والمعاني والتفسير فذكروه ضمن الأقوال التي قيلت في معنى يعصرون (٥) .

وأبو جعفر النحاس يرى أن الأجود في معنى ﴿يعصرون﴾ ما ذكره الجمهور ، وليس ما قال أبو عبيدة حيث قال - بعد أن أورد عن ابن عباس أنه قال : يعصرون العنب والزيت - : ((وزعم أبو عبيدة أن معنى ﴿يعصرون﴾ ينجون من العصرة والعصر ، وهما المنجا ... قال أبو جعفر : والأجود في هذا أن يكون المعنى فيه ما قال ابن عباس...)) (٦) .

(١) ذكر غير ابن عطية أنه قاله في ابن أخته اللجاج . انظر خزنة الأدب (٥١٢/٨) حاشية (٢) .

(٢) المحرر الوجيز (٥٢٩/٧ - ٥٣١) وقد أورد أكثر من هذين البيتين .

(٣) انظر النكت والعيون (٤٥/٣) ، وزاد المسير (٢٣٤/٤) ، (٢٣٥) .

(٤) انظر تهذيب اللغة (١٤/٢) ، وزاد المسير (٢٣٤/٤) ، والجواهر الحسان (٣٢٧/٢) .

(٥) انظر - مثلاً - تفسير غريب القرآن ص (٢١٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١١٤/٣) ، وتهذيب اللغة (١٤/٢) ((عصر)) ، وبحر العلوم (١٦٤/٢) ، والنكت والعيون (٤٥/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٣٠/٢) ، والكشاف (٣٢٥/٢) ،

وغرائب التفسير (٥٤٠/١) ، ووضح البرهان (٤٥٨/١) ، والتفسير الكبير (١٢١/١٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٥/٩) ، وتفسير الخازن (٢٨٨/٢) ، ولسان العرب (٢٣٧/٩) ((عصر)) .

(٦) معاني القرآن (٤٣٤/٣) .

وذكر الزمخشري أن تفسير ﴿يعصرون﴾ ينجون مطابق للإغاثة في قوله: ﴿فيه يغاث الناس﴾^(١). وهذا الذي قاله الزمخشري فيه ما يؤيد ما ذهب إليه أبو عبيدة ، ولهذا قال السمين - بعد أن ذكر قول أبي عبيدة - : ((ويعضد هذا الوجه مطابقة قوله: ﴿فيه يغاث الناس﴾))^(٢). وهذا الذي قاله قد سبقه إليه شيخه أبو حيان في البحر ، ولعله أخذه منه^(٣). ومع هذا كله فالذي تطمئن إليه النفس في تفسير هذه اللفظة الكريمة ﴿يعصرون﴾ هو ما قاله جمهور أهل العلم ، وهو القول الذي نقل عن فسر اللفظة الكريمة من الصحابة والتابعين ، ونعته أبو جعفر النحاس بأنه الأجود ، وقال السمين هو أظهر الأقوال^(٤). وهو القول الذي يشهد له ظاهر لفظ ﴿يعصرون﴾ وذلك أن ظاهر هذا اللفظ استخلاص شيء من شيء ، فلا يترك هذا الظاهر البين ، لمعنى بعيد قد تضمنه قوله : ﴿فيه يغاث الناس﴾ إذ يلزم عن نزول الغيث - وهو المطر هنا - نجاته الناس من الهلاك ، فلا داعي أن يعاد هذا المعنى في قوله: ﴿يعصرون﴾. أما قول القاضي ابن عطية : ((ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة رداً كثيراً بغير حجة)) فالمتأمل في رد الإمام الطبري يرى أنه لا يخلو من الحجة وملخص الحجة التي رد بها قول أبي عبيدة فيما يلي:

١- أن صاحب القول لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل . ومعنى هذا أن من كان هذا حاله فلا يؤخذ قوله مسلماً.

٢- أن صاحب هذا القول يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب . وهذا حجة في رد قول أبي عبيدة في هذا الموطن ؛ لأن من كان هذا حاله فقد يصيب أحياناً ، ويبعد النجعة حيناً ، فليس كل ما يصح في معنى اللفظة - لغة - يصلح أن يفسر به القرآن ، لأن هناك اعتبارات أخر من سياق وأسباب نزول... إلخ.

٣- أن قول هذا القائل مخالف لقول الصحابة والتابعين . وهذه حجة قوية للطبري ؛ لأن الصحابة والتابعين هم أهل اللسان ولا يخفى عليهم المعنى الذي ذكره هذا القائل ومع ذلك عدلوا عنه إلى المعنى الظاهر.

(١) الكشاف (٣٢٥/٢).

(٢) الدر المصون (٥١١/٦).

(٣) انظر البحر (٣١٥/٥).

(٤) انظر الدر المصون (٥١١/٦).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يسرق قوماً أبرياء من السرقة ، ويقول : ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾؟
 قيل : إن قوله : ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ إنما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به ، لا خبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك إذ فقد الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرقة ، ويوسف يعني ذلك السرقة ، لا سرقهم الصواع . وقد قال بعض أهل التأويل إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾^(١)...^(٢) .

وأورد القاضي على الإمام الطبري أنه رجح قول من قال لم يكن تأذين المؤذن عن أمر يوسف فقال : ((... واستسهل الأمر على ما فيه من رمي أبرياء بالسرقة ، وإدخال الهم على يعقوب عليه السلام وعليهم ، لما علم في ذلك من الصلاح في الآجل ، ويوحى لا محالة وإرادة من الله محنتهم بذلك ، هذا تأويل قوم ويقويه قوله تعالى : ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾^(٣) . وقيل : إنما أوحى إلى يوسف أن يجعل السقاية فقط ، ثم إن حافظها فقدما ، فنادى برأيه على ما ظهر إليه ، ورجحه الطبري ، وتفتيش الأوعية يرد عليها...^(٤) .

هذه المسألة البحث فيها من وجوه:

الأول : لم أجد للإمام الطبري من خلال نسخ تفسيره التي بين يدي حول هذه المسألة كلاماً غير الموطن الذي نقلته.

الثاني : ما نسبته القاضي ابن عطية إلى الإمام الطبري من أنه يرجح أن التأذين بالسرقة لم يكن عن أمر يوسف ليس كذلك . وإنما الذي يفهم من نص كلامه أن الذي قام بالتأذين ليس يوسف - عليه السلام - وهذا أمر واضح لم أر من يخالف فيه.

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧٧ .

(٢) تفسير الطبري (١٦/١٩٣ ، ١٩٤) .

(٣) سورة يوسف ، الآية : ٧٦ .

(٤) المحرر الوجيز (٨/٢٦) .

ثم انتقل الإمام الطبري إلى المسألة الواقعة فيها الخلاف فلم يرجح بل قال : ((وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك إذ فقد الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف)).

الثالث : لعل الذي أوقع القاضي ابن عطية في نسبة الترجيح إلى الإمام الطبري ، قول الإمام الطبري ((إنما هو خير من الله عن مؤذن أذن به ، لا خير عن يوسف)) ولم يكمل قراءة النص.

سورة الرعد

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ

عَمَدٍ تَرْوِنَهَا...﴾ - : ((والعمد جمع عمود ، وهي السواري ، وما يعمد به البناء ، كما قال

النابغة^(١) :

يبنون تدمر^(٢) بالصفاح والعمد

وخبس^(٣) الجن إني قد أذنت لهم

وجمع العمود عمد كما جمع الأديم أدم ، ولو جمع بالضم فقليل : عمد جاز ، كما يجمع الرسول

رُسل ، والشكور شكراً^(٤) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن العمد ،

والأدم جمع ، فقال : ((والعمد اسم جمع عمود ، والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة^(٥) ،

كرسول ورُسل ، وشهاب وشهْب ، وغيره ، ومن هذه الكلمة قول النابغة :

يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وخبر الجن إني قد أذنت لهم

وقال الطبري : العمد بفتح العين جمع عمود ، كما جمع الأديم أدمًا ، وليس كما قال . وفي كتاب

سيبويه أن الأدم اسم جمع ، وكذلك نص اللغويون على العمد ، ولكن أبا عبيدة ذكر الأمر غير متيقن

فاتبعه الطبري^(٥) .

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، فذهبت طائفة من أهل العلم بلسان العرب إلى أن ((عمد))

بفتح العين والميم جمع ، مثلها مثل ((عمد)) بضم العين والميم ومن هؤلاء القراء ، والأزهري ، وابن فارس ،

والراغب ، والعكبري^(٦) .

(١) النابغة الذبياني تقدمت ترجمته ، والبيت في ديوانه ص(٢٢) ، وفي مجاز القرآن (١/٣٢٠) ، وتهذيب اللغة (٢/٢٥٢) ،

ولسان العرب (٩/٣٨٨) كلاهما في ((عمد)) . ومعنى ((خبس الجن)) أي ذللها ورضها . انظر لسان العرب

(٤/٢٦٠) ((خبس)) .

(٢) تدمر : بالفتح ثم السكون وضم الميم ، مدينة قديمة مشهورة ، في بيرة الشام . انظر معجم البلدان (٢/٢٠) .

(٣) تفسير الطبري (١٦/٣٢٢ ، ٣٢٣) .

(٤) صوابه بضم الحرفين ؛ لأن الثالث هو حرف الإعراب ، فلا يعتبر ضمه . قاله أبو حيان في البحر (٥/٣٥٣) .

(٥) المحرر الوجيز (٨/١١١) .

(٦) انظر معاني القرآن للقراء (٣/٢٩١) ، وعلل القراءات (٢/٧٩٧) ، ومعجم مقاييس اللغة (٤/١٣٧) ، والمفردات

ص(٣٤٦ ، ٣٤٧) ، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٧٤٩) . وانظر أيضاً مختار الصحاح ص(٣٣٦) ، وترتيب القاموس

المحيط (٣/٣٠٧) ، والمصباح المنير ص(١٦٣) ، والمعجم الوسيط (٢/٦٤٩) ((عمد)) فكلهم على هذا القول .

وعلى هذا طائفة من المفسرين والقراء^(١) منهم الإمام الطبري كما ترى .
 وذهبت طائفة أخرى إلى أن العَمَد - بفتح العين والميم - في قوله: ﴿بغير عمد﴾ هو اسم جمع ،
 وهو الظاهر من كلام أبي علي الفارسي ، وإليه ذهب أبو البركات ابن الأنباري، وابن منظور^(٢) ،
 ونسبوا هذا المذهب إلى سيويه في نظيره^(٣) .

وعلى هذا بعض المفسرين كأبي حيان ، والسمين ، والثعالبي^(٤) .
 وبعد : فالذي يظهر أن الذي أطلق على ﴿عَمَد﴾ جمعاً لم يبعد ، لما قال أبو حيان : من أنه يفهم منه
 ما يفهم من الجمع^(٥) . إلا أن القول الآخر يرجح لأسباب منها :

١- أن ﴿عَمَد﴾ - بفتح العين والميم - لم يكن على وزن خاص بالجمع القياسية^(٦) .
 ولهذا قال مكّي : ((وقيل هو اسم للجمع لأن ((فَعُولاً وَفَعَلًا)) غير مستمرين في الجمع ، وإنما يأتي
 ((فَعَل)) جمعاً لفاعل ، كحارس وحرس ، وغائب وغيب))^(٧) .
 ونحو هذا قال أبو علي الفارسي^(٨) .

وقال السمين - ما معناه - : إن من قال : إن ﴿عَمَد﴾ جمع نظر إلى المعنى دون الصناعة^(٩) .
 ٢- ولأن جمهور أهل العلم على أن ﴿عَمَد﴾ بفتح العين والميم هو اسم جمع ، لا جمع ، قال العلامة
 الألوسي : ((هو اسم جمع عند الأكثرين))^(١٠) .

(١) منهم الواحدي في الوسيط (٣/٣) ، والبغوي في معالم التنزيل (٥/٣) ، والكرماني في غرائب التفسير (٥٥٨/١) ، وابن
 الجزري في النشر (٤٠٣/٢) .

(٢) انظر الحجة (٤٤٣/٦) وهو ما يفهم من كلامه ، ولم يصرح . وانظر أيضاً البيان في غريب إعراب القرآن (٥٣٥/٢) ،
 ولسان العرب (٣٨٨/٩) ((عمد)) .

(٣) انظر المحرر الوجيز (١١١/٨) ، والدر المصون (٨/٧) حاشية (٤) .

(٤) انظر البحر المحيط (٣٥١/٥) ، والدر المصون (٨/٧) ، والجواهر الحسان (٣٥٧/٢) .

(٥) انظر البحر (٣٥١/٥) .

(٦) قاله الدكتور الخراط . انظر الدر المصون (٨/٧) حاشية (٤) . وانظر المعجم المفصل في علم الصرف ص (٢٠٤) .

(٧) الكشف (٣٨٩/٢) .

(٨) انظر الحجة (٤٤٣/٦) .

(٩) انظر الدر المصون (٨/٧) .

(١٠) انظر روح المعاني (٨٦/١٣) . وقال عبد السلام هارون : والمعروف أن ((العَمَد)) بضمين جمع للعمود والعمود ، وأن
 ((العَمَد)) بالتحريك اسم جمع لهما . انظر معجم مقاييس اللغة (١٣٧/٤) ((عمد)) حاشية (٥) .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ - :
 ((وأما قوله : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ فإنه يعني : علا عليه))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على عبارة الإمام الطبري فقال : ((وفي البخاري عن مجاهد أنه قال : ((المعنى : علا على العرش))^(٢) وكذلك هي عبارة الطبري ، والنظر الصحيح يدفع^(٣) هذه العبارة))^(٤)..

لم يفصح أبو محمد - رحمه الله تعالى - عن بيان وجه النظر الصحيح الذي يدفع عبارة التابعي مجاهد والإمام الطبري.

ولعل مقصوده بالنظر الصحيح ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن من اعترض من لم يرض بهذا التفسير أن قال : إذا كان الله لا يزال عالياً على المخلوقات ... فكيف يقال: ثم ارتفع إلى السماء وهي دخان ؟ أو يقال : ثم علا على العرش؟^(٥).

ثم هذا التفسير الذي قاله الطبري ، ومن قبله مجاهد هو أحد تفاسير السلف التي ذكرت في معنى الآية، وهي : استقر ، وعلا ، وارتفع ، وصعد ، قال ابن القيم في الكافية الشافية^(٦) :

فلهم عبارات عليها أربع	قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار	تفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو رابع

وهذا التفسير الذي قاله الإمام الطبري عليه جماعة من العلماء منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي، والإمام البغوي^(٧).

(١) تفسير الطبري (٣٢٥/١٦).

(٢) أورده البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤٠٣/١٣) معلقاً ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، وقال الحافظ: وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.

(٣) في النسخة القطرية ((يرفع)) بالراء بدل الدال ، والتصويب من المغربية ، ونسخة دار الكتب العلمية.

(٤) المحرر الوجيز (١١٣/٨).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٥٢١/٥).

(٦) انظر (٢٣٣/١).

(٧) انظر مجاز القرآن (١٥/٢) ، ومعالم التنزيل (٦/٣).

ولا شك أن هناك معاني للاستواء غير ما ذكر قد قيلت في كتب المعاني والتفسير ، وغيرها من المصنفات ، وكلها لا تصلح في تفسير الآية^(١).

وبعد : فهذا المعنى الذي ذكره الإمام الطبري صحيح ، ولا يدفعه نظر ناظر وذلك لكونه من التفاسير التي قد جاءت عن السلف وحسبك بمجاهد منهم .

وهو معنى صحيح وارد في لغة العرب^(٢) واكتفى بذكره أئمة في معنى الآية ، كما تقدم ، وأثنى عليه آخرون ، مثل ابن بطال^(٣) فقد نقل عنه الحافظ أنه قال : ((وأما تفسير استوى : علا فهو صحيح ، وهو المذهب الحق ، وقول أهل السنة ؛ لأن الله سبحانه وصف نفسه بالعلي ، وقال : ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾^(٤) ، وهي صفة من صفات الذات))^(٥).

ووصف العلامة الألويسي قول مجاهد والطبري بأنه قول متين^(٦).

ولأن ما علل به لاعتراض أبي محمد - من أن الله لا يزال عالياً على المخلوقات فكيف يقال ﴿استوى على العرش﴾ علا على العرش؟ - لا يدفع هذا التفسير . فيقال للإجابة عنه : ((هذا كما أخبر أنه ينزل إلى السماء الدنيا ، ثم يصعد ، وروي ثم ((يعرج)) وهو سبحانه لم يزل فوق العرش ، فإن صعوده من جنس نزوله . وإذا كان في نزوله لم يصر شيء من المخلوقات فوقه ، فهو سبحانه يصعد وإن لم يكن منها شيء فوقه))^(٧) وهذا جواب شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى.

(١) انظر فتح الباري (١٣/٤٠٥ ، ٤٠٦) فقد أتى على ذكرها ، أو على كثير منها.

(٢) انظر تهذيب اللغة (١٣/١٢٥) ((سوى)).

ومنه قول الشاعر :

وقد حلق النجم اليماني فاستوى

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة

أي علا وارتفع . انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٢٠).

(٣) علي بن خلف بن بطال القرطبي ، من كبار علماء المالكية (ت : ٤٤٩هـ) . انظر السير (١٨/٤٧).

(٤) سورة يونس ، الآية : ١٨ . وقد ورد في غيرها أيضاً.

(٥) فتح الباري (١٣/٤٠٦) .

سبحانه وتعالى بمشيبته وقدرته)) مجموع الفتاوى (٥/٥٢٣).

(٦) انظر روح المعاني (٨/١٣٦).

(٧) مجموع الفتاوى (٥/٥٢١ ، ٥٢٢).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ - : ((وقوله : ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره : وَإِنْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّد لَذُو سِتْرٍ عَلَى ذُنُوبٍ مِنْ تَابٍ مِنْ ذُنُوبِهِ مِنَ النَّاسِ ، فَتَارِكٌ فَضِيحَتِهِ بِهَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ ، وَصَافِحٌ لَهُ عَنْ عِقَابِهِ عَلَيْهَا عَاجِلاً وَآجِلاً))^(١) .
ورأى القاضي ابن عطية أن الظاهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال : ((ثم رجي تعالى بقوله : ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ ﴾ قال الطبري : معناه في الآخرة . وقال قوم : المعنى إذا تابوا ، وشديد العقاب إذا كفروا .

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والظاهر من معنى المغفرة هنا إنما هو : ستره في الدنيا ، وإمهاله للكفرة ، ألا ترى التكرير في لفظ ﴿مغفرة﴾ ، وأنها منكرة مقللة ، وليس فيها مبالغة كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ﴾^(٢) ونمط الآية^(٣) يعطي هذا ، ألا ترى حكمه عليهم بالنار ، ثم قال : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ فلما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فأخبر بسيرته في الأمم ، وأنه يعهل مع ظلم الكفر ، ولم يزد في الشرع أن الله تعالى يغفر ظلم العباد^(٤)))^(٥) .

تبين من كلام الإمامين أن الطبري يرى أن المقصود بقوله : ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ ﴾ الموحدين التائبين ، وابن عطية يرى أنها في الكفرة ، والمغفرة ستره في الدنيا ^{وامهاله} ~~وامهاله~~ لهم .
وما ذهب إليه الإمام الطبري في معنى الآية هو أحد محاملها المذكورة في كتب التفسير^(٦) .
وكذلك ما ذهب إليه ابن عطية قد قيل به في معنى الآية^(٧) .

(١) تفسير الطبري (١٦/٣٥٢) .

(٢) سورة طه ، الآية : ٨٢ .

(٣) ونمط الآية ، أي وطريقة الآية . انظر لسان العرب (١٤/٢٩٣) ((نمط)) .

(٤) يعني بالظلم الشرك .

(٥) انحرر الوجيز (٨/١٢٤ ، ١٢٥) .

(٦) انظر النكت والعيون (٣/٩٥) ، والكشاف (٢/٣٥٠) .

(٧) انظر زاد المسير (٤/٣٠٦) ، وتفسير الخازن (٣/٥) .

ومن العلماء من يحمل ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ على إمهاله في الدنيا للكفار والعصاة^(١).

وقد أورد أبو حيان الأقوال في معنى الآية وختمها بذكر ما استظهره ابن عطية كالراضي عنه^(٢). ورد الرازي القولين - قول الطبري وابن عطية - بعد أن ارتضى أن الآية تدل على أنه تعالى قد يعفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة ، فقال : ((... تأخير العقاب لا يسمى مغفرة ، وإلا لوجب أن يقال: الكفار كلهم مغفور لهم ؛ لأجل أن الله تعالى أخر عقابهم إلى الآخرة))^(٣) وهذا رد على ما استظهره ابن عطية.

ثم قال : ((... إنه تعالى تمدح بهذا والتمدح ، إنما يحصل بالفضل ، أما بأداء الواجب فلا تمدح فيه))^(٤).

قلت : وهذا رد منه على من حمل الآية على التائبين ، وهو ما نحى إليه الإمام الطبري.

وعد الكرمانى ما ذهب إليه ابن عطية في غرائب التفسير^(٥).

بينما يرى الطيبي^(٦) أن تأويله بالستر والإمهال أحسن^(٧).

وبعد : فحاصل الأقوال في الآية ثلاثة :

الأول : أن تكون الآية في المشركين والمقصود بالمغفرة على الظلم تأجيل العقوبة عنهم وهذا يرى

الإمام ابن عطية أنه الظاهر.

الثاني : أن تكون الآية في الموحددين ثم هذا القول اختلف أصحابه على قولين :

الأول : أنها في الموحددين والتائبين وإليه ذهب الطبري.

الثاني : أنها في الموحددين غير التائبين وإليه ذهب الرازي.

(١) هو قول ابن حزمي في التسهيل (٢/٢٣٩ ، ٢٤٠).

(٢) انظر البحر (٥/٣٥٩).

(٣) التفسير الكبير (١٩/١١).

(٤) انظر المصدر السابق (١٩/١١).

(٥) انظر غرائب التفسير (١/٥٦١).

(٦) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، الإمام العلامة ، (ت : ٧٤٣هـ) انظر انبدر الطالع (١/٢٢٩).

(٧) انظر روح المعاني (١٣/١٠٧).

الثالث : أن الآية في الكفار والعصاة وهو ما قاله ابن جزى . ويكون مغفرته تأجيل العقوبة عنهم^(١) .
والذي يبدو والله أعلم أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية هو الظاهر كما قال للأسباب التالية:
١- لما ذكره القاضي ابن عطية من تعليل ، ملخصه أن سياق الآية يفيد أنها في المشركين ، وقد وافقه غيره على هذا^(٢) .

٢- ولأن الجار والمجرور في قوله : ﴿على ظلمهم﴾ حال من الناس^(٣) ، وهذا يفيد أن المغفرة تقع وهم متلبسون بالظلم ، ومن كان هكذا فلا يسمى تائباً^(٤) .

٣- ولأن الله تعالى ساق هذه الآية مساق المدح والثناء على نفسه سبحانه ، وهذا لا يلائم أن يقال : إنه يغفر لمن تاب^(٥) ؛ لأن هذا أمر قد أوجبه على نفسه سبحانه .
وأيضاً فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له^(٦) .

فإن قيل : هلا قدمت قول من يجعل الآية في الكفار والعصاة؟

قلت : هو قوي مناسب لذكر الناس في قوله : ﴿إن ربك لذو مغفرة للناس﴾ إلا أن السياق يقدم عليه ما استظهره القاضي ابن عطية . والله أعلم .

(١) انظر التسهيل (٢/٢٣٩ ، ٢٤٠) .

(٢) كابن عاشور في التحرير والتنوير (١٣/٩٣) .

(٣) انظر الكشاف (٢/٣٥٠) ، والبيان في إعراب القرآن (٢/٧٥٢) .

(٤) انظر التفسير الكبير (١٩/١٠) .

(٥) انظر المصدر السابق (١٩/١١) .

(٦) انظر روح المعاني (١٣/١٠٦) .

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه... ﴾ - : ((وقالوا : قيل : ﴿معقبات﴾ ، والملائكة جمع ملك مذكر غير مؤنث ، وواحد الملائكة (معقب) ، وجماعتها (معقبة) ثم جمع جمعه - أعني جمع (معقب) بعد ما جمع (معقبة) - كما قيل : سادات سعد ، ورجالات بني فلان ، جمع رجال))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في جمع ((معقب)) فقال: ((والمعقبة ليست جمع معقب كما ذكر الطبري ، وشبه ذلك برجل ورجال ورجالات ، وليس الأمر كما ذكر ؛ لأن تلك كجمل وجمال وجمالات ، ومعقبة ومعقبات إنما هي كضارب^(٢) وضاربات))^(٣).

هذه المسألة محتملة لأكثر من وجه لخصها السمين الحلبي بقوله : ((وفي ﴿معقبات﴾ احتمالان : أحدهما: أن يكون جمع معقبة بمعنى معقب والتاء للمبالغة كعلامة ونسابة ... والثاني: أن يكون معقبة صفة لجماعة ، ثم جمع هذا الوصف . وذكر ابن جرير أن معقبة جمع معقب...))^(٤).

وما ذهب إليه الإمام الطبري ، هو مذهب الإمام الفراء من قبله ، حيث قال : ((والمعقبات : ذكوران إلا أنه جميع جمع ملائكة معقبة ، ثم جمعت معقبة ، كما قال : أبناوات سعد ، ورجالات جمع رجال))^(٥). وقد نقل الأزهري نحو هذا عن الفراء ، ولم يعترض عليه بشيء^(٦). وكذلك أورده ابن منظور من غير ذكر للفراء^(٧).

وابن عطية يخالفهم في هذا ، فينظر (معقبة ومعقبات) بـ : (ضاربة وضاربات) فهو يريد أن يقول: كما أن (ضاربة) مفرد ، فكذلك (معقبة) مفرد لا جمع.

ولا شك أن بعض أهل اللغة قد نص على أن (معقبة) مفرد ، وجمعها (معقبات)^(٨).

(١) تفسير الطبري (٣٦٩/١٦).

(٢) هكذا في نسخ الخرج الوجيز ، وفي الدر المنصور ((كضاربة ، وضاربات)).

(٣) الخرج الوجيز (١٣٩/٨).

(٤) الدر المنصور (٢٧/٧).

(٥) معاني القرآن (٦٠/٢).

(٦) انظر تهذيب اللغة (٢٧٣/١) ((عقب)).

(٧) انظر لسان العرب (٣٠٦/٩) ((عقب)).

(٨) انظر معجم مقاييس اللغة (٨٠ ، ٧٩/٤) ((عقب)).

وأبو حيان - رحمه الله تعالى - قد خرَّج ما ذهب إليه الإمام الطبري على وجه يسلم من اعتراض ابن عطية ، فقال - بعد أن ذكر رأي الطبري ، واعتراض ابن عطية - : ((وينبغي أن يتأول كلام الطبري على أنه أراد بقوله : (جمع معقب) أنه أطلق من حيث الاستعمال على جمع معقب ، وإن كان أصله أن يطلق على مؤنث معقب ، وصار مثل (الواردة) للجماعة الذين يردون ، وإن كان أصله أن يطلق على مؤنث وارد من حيث أن [جموع التكسير في العقلاء تعامل]^(١) معاملة المفردة المؤنثة في الإخبار ، وفي عود الضمير [ومنه قولهم : الرجال وأعضاؤها ، والعلماء ذاهبة إلى كذا ، وتشبيهه ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى لا الصناعة]^(٢) فيبين أن معقبة من حيث أريد به الجمع كرجال ، من حيث وضع للجمع ، وأن ﴿معقبات﴾ من حيث استعمل جمعاً لمعقبة - المستعمل للجمع - كرجالات ، الذي هو جمع رجال^(٣) .

وتابعه تلميذه السمين فنقل ما قال شيخه نقل المسلم به^(٤) .

وكذلك الألويسي ، لا يرى أن قول الطبري مستقيماً إلا على ما ذكره أبو حيان ، فقال - بعد أن

أورد رأي الطبري - : ((وهو كما ترى ، ولكن أوّله أبو حيان))^(٥) .

فتبين مما ذكره أبو حيان أن ما قاله الإمام الطبري ومن ذكر معه يمكن أن يحمل على وجه مستقيم فلا

يرد عليه استدراك القاضي ابن عطية . والله أعلم .

(١) ما بين المعكوفين من الدر المصون (٢٨/٧) لأنه غير مستقيم في نسخ البحر.

(٢) ما بين المعكوفين من الدر المصون (٢٨/٧) للسبب السابق.

(٣) انظر البحر المحيط (٣٦٤/٥).

(٤) انظر الدر المصون (٢٨/٧).

(٥) روح المعاني (١١٢/١٣).

سورة إبراهيم عليه السلام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿وَإِذ تَأْذَن رَّبُّكُمْ لِنِ شِكْرَتِمْ لِأَزِيدِنِكُمْ...﴾ - : ((وقوله : ﴿لِنِ شِكْرَتِمْ لِأَزِيدِنِكُمْ﴾ يقول : لِنِ شِكْرَتِمْ رَّبُّكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ لِأَزِيدِنِكُمْ فِي أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ وَنِعْمَهُ عَلَيْكُمْ ، عَلَى مَا قَدْ أَعْطَاكُمْ مِنَ النِّجَاةِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَالْخَلَاصِ مِنْ عَذَابِهِمْ . وَقِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ غَيْرُهُ))^(١) ثم ساق بسنده إلى سفيان^(٢) ﴿لِنِ شِكْرَتِمْ لِأَزِيدِنِكُمْ﴾ قال من طاعني^(٣).

وكذلك أسند عن الحسن مثل قول سفيان^(٤).

ثم قال الإمام الطبري : ((ولا وجه لهذا القول يفهم لأنه لم يجز للطاعة في هذا الموضع ذكر فيقال : إن شكرتموني عليها زدتك منها ، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله : ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم . فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام زادهم من نعمه . لا مما لم يجز له ذكر من الطاعة ، إلا أن يكون أريد به لِنِ شِكْرَتِمْ فَأَطَعْتُمُونِي بالشكر لأزيدنكم من أسباب الشكر مما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجهاً))^(٦).

(١) تفسير الإمام الطبري (١٦/٥٢٦ ، ٥٢٧).

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، الإمام الحافظ (ت : ١٦١هـ) انظر السير (٧/٢٢٩). وانظر روح المعاني (١٣/١٩١) فقد نص أن المقصود به هنا سفيان الثوري.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٥٢٧) من طريق شيخه أحمد بن إسحاق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان . وهو في تفسير سفيان الثوري نفسه ص(١٥٦) قال حدثنا بعض أصحابنا عن مجاهد فذكره . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/٧١) ونسب إخرجه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٥٢٧) من طريق أبان بن أبي عياش ، عن الحسن . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/٧١) ونسب إخرجه لابن جرير فحسب.

(٥) سورة إبراهيم ، الآية : ٦ .

(٦) تفسير الطبري (١٦/٥٢٧).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تضعيفه قول سفيان والحسن -
رحمهما الله تعالى - فقال : ((وحكى الطبري عن سفيان ، وعن الحسن أنهما قالوا : معنى الآية : لئن
شكرتم لأزيدنكم من طاعتي . وضعفه الطبري ، وليس كما قال ، بل هو قوي حسن فتأمله))^(١) .
هذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك محل خلاف ، فقيل : الزيادة النعمة ، وقيل : الطاعة ، وقيل :
الثواب ، وقيل : الفضل^(٢) .

وهذه المعاني من العلماء من رأى أنها متقاربة ، لا متنافرة ، فقال الإمام القرطبي - بعد أن حكى
أكثرها - : ((والمعنى متقارب في هذه الأقوال))^(٣) .
بينما يرى الألوسي أن المعنى هو الأول ، وما عداه فهو خلاف الظاهر^(٤) .
وهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري من استدراك على قول سفيان والحسن .
وقال الثعالبي - بعد أن ذكر استدراك القاضي - : ((وتضعيف الطبري بين من حيث التخصيص ،
والأصل التعميم))^(٥) .

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن تفسير سفيان والحسن الزيادة بالطاعة متجه كما قال القاضي
ابن عطية ويكون من باب تفسير العام ببعض أفرادها ، إلا أن قول الإمام الطبري ، هو الذي ينبغي أن
تحمل عليه الآية للأسباب التالية :

- ١ - لدلالة السياق عليه في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾^(٦)
وهذا أشار إليه الإمام الطبري .
- ٢ - ولأن تفسير الزيادة بالنعمة فيه شمول وعموم ، وما كان كذلك فينبغي أن يقدم .
- ٣ - ولأن هذا المعنى عليه دليل من لفظ الآية ، وهو كلمة ﴿ شُكِرْتُمْ ﴾ فإنها دالة على سبق النعم
فينبغي أن تحمل الزيادة عليها^(٧) .
- ٤ - ولأن حذف المفعول الثاني في ﴿ لأزيدنكم ﴾ يفيد العموم ، فأولى أن تفسر الزيادة بما يناسب
العموم^(٨) .

(١) المحرر الوجيز (٢٠٥/٨) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٣/٩) ، وروح المعاني (١٩٠/١٣ ، ١٩١) تجرد الثلاثة الأولى فيهما . والرابع نسبة
المأورد في النكت (١٢٣/٣) إلى الربيع .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٣/٩) .

(٤) انظر روح المعاني (١٩٠/١٣ ، ١٩١) .

(٥) الجواهر الحسان (٣٧٧/٢) .

(٦) سورة إبراهيم ، الآية : ٦ .

(٧) انظر روح المعاني (١٩٠/١٣) .

(٨) حذف المفعول لإفادة العموم ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٩٣/١٣) .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾ - : ((يقول عز ذكره: ﴿من ورائه﴾ من أمام كل جبار ﴿جهنم﴾ يردونها. ووراء في هذا الموضع ، يعني: أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك ، أي قدامك ، وكما قال الشاعر^(١) :

أتوعدني وراء بني رياح
كذبت لتقصرن يداك دوني
يعين (وراء بني رياح) قدام بني رياح ، وأمامهم.

وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول : إنما يعني بقوله : ﴿من ورائه﴾ أي من أمامه ؛ لأنه وراء ما هو فيه ، كما يقول لك : (وكل هذا من ورائك) أي سيأتي عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ؛ لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك ، وهو من ورائه . وقال : ﴿وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾^(٢) من هذا المعنى ، أي كان وراء ما هم فيه أمامهم.

وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول : أكثر ما يجوز هذا في الأوقات ؛ لأن الوقت يمر عليك ، فيصير خلقك إذا جزته ، وكذلك ﴿كان وراءهم ملك﴾^(٣) لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم . وكان بعضهم يقول : هو من حروف الأضداد ، يعني (وراء) يكون قداماً وخلفاً^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن وراء بمعنى قدام فقال : ((وقوله تعالى : ﴿من ورائه﴾ ذكر الطبري وغيره من المفسرين أن معناه : من أمامه ، وعلى ذلك حملوا قوله تعالى : ﴿وكان وراءهم ملك﴾^(٥) ، وأنشد الطبري :

أتوعدني وراء بني رياح
كذبت لتقصرن يداك دوني

وليس الأمر كما ذكر ، والوراء هاهنا على بابه ، أي: هو ما يأتي بعد في الزمان ، وذلك أن التقدير في هذه الحوادث بالأمام والوراء إنما هو بالزمان ، وما تقدم فهو أمام ، وهو بين اليد ، كما يقال في التوراة والإنجيل : إنهما بين يدي القرآن ، والقرآن وراءهما على هذا ، وما تأخر في الزمان هو وراء

(١) هو جرير ، وقد تقدمت ترجمته ، والبيت في ديوانه ص(٤٧٥) وفي مجاز القرآن (١/٣٢٦).

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٧٩ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٧٩ .

(٤) تفسير الطبري (١٦/٥٤٦ ، ٥٤٧).

(٥) سورة الكهف ، الآية : ٧٩ .

المتقدم ، ومنه قولهم لولد الولد : الورا ، وهذا الجبار العنيد وجوده وكفره وأعماله في وقت ما ، ثم بعد ذلك في الزمان يأتيه أمر جهنم ، قال : وتلخيص هذا أن يشبه الزمان بطريق تأتي الحوادث من جهته الواحدة متتابعة ، فما تقدم فهو أمام ، وما تأخر فهو وراء المتقدم ، وكذلك قوله : ﴿وكان وراءهم﴾^(١) أي غضبه وتغلبه يأتي بعد حذرهم وتحفظهم^(٢).

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، قال الماوردي : ((قوله عز وجل : ﴿من ورائه جهنم﴾ فيه أربعة أوجه : أحدها : معناه من خلفه جهنم ... الثاني : معناه : أمامه جهنم ... الثالث : أن جهنم تتوارى ولا تظهر ، فصارت من وراء ؛ لأنها لا ترى ... الرابع : ﴿من ورائه جهنم﴾ ، معناه : من بعد هلاكه جهنم...^(٣).

وهناك قول يضاف إلى ما قال الماوردي ، وهو أن وراء من الأضداد^(٤).

وقد رد هذا الزجاج ، والنحاس^(٥).

ثم ما ذهب إليه الإمام الطبري من أن قوله : ﴿من ورائه﴾ بمعنى قدام وافقه عليه أئمة كبار في اللغة والنحو والتفسير ، كأبي عبيدة ، والفراء ، والأخفش ، وابن قتيبة ، والواحدي ، والزمخشري^(٦) .
وما ذهب إليه ابن عطية ، ذكر معناه ابن الأنباري^(٧) من قبل حيث ذكر أن معنى ﴿من ورائه جهنم﴾ أي من بعده جهنم ، واستشهد على هذا بقول الشاعر^(٨) :

وليس وراء الله للمرء مذهب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

أي وليس بعد الله مذهب^(٩).

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧٩ .

(٢) المحرر الوجيز (٢١٧/٨ ، ٢١٨) .

(٣) انظر النكت والعيون (١٢٧/٣ ، ١٢٨) .

(٤) نسبة الأزهرى لأبي حاتم ، وابن الأعرابي . انظر تهذيب اللغة (٣٠٤/١٥ ، ٣٠٥) ((ورى)).

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٥٧/٣) ، ومعاني القرآن (٥٢٢/٣) .

(٦) انظر مجاز القرآن (٣٣٧/١) ، ومعاني القرآن للفراء (١٥٧/٢) ، ومعاني القرآن للأخفش (٥٩٨/٢) ، وتفسير غريب القرآن ص (٢٣١) ، والوسيط (٢٦/٣) ، والكشاف (٣٧١/٢) .

(٧) محمد بن القاسم بن بشار ، الإمام المقرئ النحوي (ت : ٣٢٨هـ) انظر السير (٢٧٤/١٥) .

(٨) هو النابتة الذيباني ، تقدمت ترجمته ، والبيت في ديوانه ص (١٧) وفي معاني القرآن للزجاج (١٥٧/٣) .

(٩) انظر زاد المسير (٣٥٢/٤) ، والتفسير الكبير (٨١/١٩) فقد نسبنا هذا القول إليه ، والذي رأيت في كتابه الأضداد ص (٦٨) أنه قال : وراء من الأضداد ، وفسر نظير هذه الآية بمثل تفسير الإمام الطبري .

وكذلك تابع ابن جزى ابن عطية فقال : ((من ورائه)) في الموضعين ، والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل معناه هنا أمامه ، وهو بعيد^(١).

وكذلك فعل التعالي في الجواهر الحسان^(٢).

وبعد : فهذه المسألة فيها اشتباه كبير ، والذي أستطيع أن أقوله : هو أن ما ذهب إليه الإمام الطبري محتمل ، وما ذهب إليه ابن عطية من أن (وراء) على بابها محتمل ؛ لأنك إن نظرت إلى أن موعد جهنم بعد ذهاب الدنيا ، قلت : هي من وراء الكافر ، بهذا المعنى. وإن نظرت إلى أن موعد جهنم يأتي مستقبلاً وأن ذهاب الليالي والأيام يدنيان الكافر منها ، قلت : هي أمام الكافر بهذا المعنى.

ويؤيد ما قلت ، قول الإمام الفراء : ((ولا يجوز أن تقول لرجل وراءك هو بين يديك ، ولا لرجل هو بين يديك هو وراءك ، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والليالي والدهر أن تقول : وراءك برد شديد ، وبين يديك برد شديد ؛ لأنك أنت وراءه فجاز ؛ لأنه شيء يأتي ، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك ، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك ، فلذلك جاز الوجهان^(٣))).

(١) التسهيل (٢/٢٥٥).

(٢) انظر (٢/٣٧٨).

(٣) معاني القرآن (٢/١٥٧).

سورة الحجر

﴿ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿لعمرك﴾ يقول تعالى لنبينا محمد ﷺ : وحياتك يا محمد^(١) ، إن قومك من قريش ﴿لفي سكرتهم يعمهون﴾ يقول : لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن المراد قريش فقال : ((والضمائر في سكرتهم يراد بها قوم لوط ، المذكورون . وذكر الطبري : أن المراد قريش . وهذا بعيد؛ لأنه ينقطع مما قبله ، ومما بعده))^(٣).

هذه المسألة محل خلاف بين المفسرين ، فالأكثر على أن المقصود بالضمائر في قوله : ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ قوم لوط . والقول الثاني : أن الضمائر ترجع إلى قريش وهو منسوب إلى عطاء^(٤).

وهذا الاستدراك أورده أبو حيان إيراد المسلم به فقال : ((والضمير في سكرتهم عائد على قوم لوط ، وقال الطبري : لقريش ، وهذا مروى عن ابن عباس ... قال ابن عطية : وهذا بعيد لانقطاعه مما قبله ، وما بعده))^(٥).

وكذلك أشار الألوسي إلى تعقب ابن عطية ، كالمستحسن له فقال : ((والضمائر لأهل المدينة ... وقيل لقريش ، واستبعده ابن عطية وغيره ؛ لعدم مناسبة السباق والسياق))^(٦).

(١) الله أن يقسم بما شاء من خلقه ، وليس للعبد أن يقسم بغير الله ، لقول النبي ﷺ : ((من حلف بغير الله فقد أشرك)) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٩/٢) والحاكم في المستدرك (٣٣١/٤) وصححه . وقال الشيخ الألباني : صحيح . انظر شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٥٢٦/٧) . ومن هنا إلى آخر الاستدراكات بدأ الاعتماد على النسخة المطبوعة في دار الكتب العلمية من تفسير الطبري .

(٣) المحرر الوجيز (٣٤١/٨) .

(٤) انظر زاد المسير (٤٠٩/٤) .

(٥) البحر المحيط (٤٥٠/٥) .

(٦) روح المعاني (٧٣/١٤) .

ونعى القاضي ابن العربي منحى ابن عطية وعلل ذلك بأنه لا يخرج من كلام إلى كلام آخر غيره لم يخرج له ذكر لغير ضرورة^(١).

واستحسن العلامة القرطبي ما ذهب إليه ابن العربي^(٢).

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد ، وذلك للأسباب التالية:

١- لما علل به القاضي من أن قول من قال : إن مرجع الضمان إلى قريش يقطع الكلام مما قبله، وما بعده. ونحو هذا قال ابن العربي أيضاً.

٢- ولأنه قول يخالف قول عامة المفسرين ، قال الواحدي: قال عامة المفسرين يعني قوم لوط^(٣).

٣- ولأن لفظ ﴿سكرتهم﴾ يناسب ما اتصف به قوم لوط ، من حب عمل الفاحشة^(٤).

وفي نهاية هذه المسألة أقول : قد يعذر الإمام الطبري بحمل الضمان على أنها في قريش ، لأن علماء التفسير قد نقل عنهم الإجماع^(٥) أن القسم وقع بحياة نبينا محمد ﷺ ، لا بحياة لوط. فرجما استقام أن يقال: الآية كلها في محمد وعشيرته . والله أعلم.

(١) انظر أحكام القرآن (١١٣/٣).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١٠).

(٣) الوسيط (٤٩/٣).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٤٢٥/١٥) ، وبدائع التفسير (٢٧/٣).

(٥) هذا الإجماع قاله ابن العربي في أحكام القرآن (١١٣/٣)، ونقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٠) عن

سورة النحل

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ...﴾ بعد أن ذكر الخلاف في أكل لحم الفرس و صوب قول من أحله - : ((وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال الله تعالى ذكره : ﴿ومنها تأكلون﴾^(١) جائز حلال غير حرام دليل واضح على أن أكل ما قال : ﴿لتركبوها﴾ جائز حلال غير حرام ، إلا بما نص على تحريمه ، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسوله ﷺ))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الاستدلال بالإجماع ، فقال - بعد أن بين أن الآية لا تدل لمن قال بالتحريم - : ((قال الطبري: وفي إجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للأكل دليل على جواز أكل ما ذكر للركوب . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي هذا نظر، ولحوم الخيل عند كثير من العلماء حلال ، وفي جواز أكلها حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما...))^(٣).

لم يذكر القاضي ابن عطية سبب الاعتراض ، بل اكتفى كما ترى بقوله : ((وفي هذا نظر)) ، ولم أجد من يشرح ذلك أو يوضحه بعد البحث في كتب التفسير وغيرها.

والظاهر أن مقصود ابن عطية بقوله : ((وفي هذا نظر)) أن العلماء لم يجمعوا على ركوب جميع بهيمة الأنعام (أعني الإبل والبقر والغنم المفهومة من لفظ الآية)^(٤) فالبقر هناك من يخالف في ركوبها^(٥) ، والغنم ليست مما يحمل عليها لعجزها وضعفها^(٦).

فإن كان مقصود ابن عطية هذا ، فقوله : ((وفي هذا نظر)) هو كما قال . وقد يستقيم ما ذكره الإمام الطبري إجماعاً ، على أن المقصود بالأنعام ، الإبل خاصة^(٧) . لكن هذا بعيد جداً^(٨).

(١) سورة النحل ، الآية : ٥ .

(٢) تفسير الطبري (٥٦٣/٧ ، ٥٦٤) .

(٣) المحرر الوجيز (٢٧٥/٨) .

(٤) وهي قوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دماء ومنافع ومنها تأكلون﴾ سورة النحل ، الآية : ٥ .

(٥) لحديث ((بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فقالت إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرث)) أخرجه البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٨/٥) كتاب الحرث والمزارعة ح(٢٣٢٤) بنحو هذا اللفظ . وانظر نكت القرآن الدالة على البيان (٣٥٣/١) فقد تكلم الإمام القصاب عن مسألة ركوب البقر .

(٦) انظر نكت القرآن الدالة على البيان (٣٥٣/١) .

(٧) قال الأزهرى : ومن العرب من يقول للإبل إذا كثرت الأنعام . تهذيب اللغة (١٣/٣) ((نعم)) .

(٨) قال الأزهرى : والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا : الأنعام ، أرادوا بها الإبل والبقر والغنم .

تهذيب اللغة (١٣/٣) ((نعم)) .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) - :
 ((يقول جل ثناؤه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك ، إذا تبتم وأنبتم
 إلى طاعته واتباع مرضاته ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم أن يعذبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن هناك ما يوازي جميع النعم إذا
 قيل بشروط فقال - في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ - : ((أي تقصيركم في الشكر عن جميعها، نحا
 هذا المنحى الطبري ، ويرد عليه أن نعمة الله في قول العبد: (الحمد لله رب العالمين) مع شرطها من النية
 والطاعة يوازي جميع النعم ، ولكن أين قولها بشروطها؟))^(٣).

هذه المسألة ملخص البحث فيها ما يلي:

١- هناك فرق بين لفظ الطبري الذي في تفسيره وبين ما قاله ابن عطية منسوباً للطبري ، حيث قال
 الإمام الطبري : ((إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك...)) ، وابن عطية قال:
 ((أي تقصيركم في الشكر عن جميعها)).

وعبارة الطبري تفيد أن المكلف لا يقوم بشكر بعض هذه النعم ، وعبارة ابن عطية تفيد أن المكلف
 لا يقوم بشكر الجميع فمفهومه أنه قد يقوم بشكر البعض . ولا شك أن عبارة الطبري أقوى فهي مطابقة
 لحال المكلف ، وما هو عليه من تقصير.

٢- ما ذهب إليه الإمام الطبري في تفسير الآية هو الذي عليه أكثر المفسرين الذين اطلعت على
 تفاسيرهم^(٤). وقد تابع الثعالبي ابن عطية في إيراد هذا الاستدراك ، من غير أن يشير إلى نسبه لابن
 عطية^(٥).

(١) نص الآية من أولها ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾.

(٢) تفسير الطبري (٥٧٣/٧).

(٣) احرر الوجيز (٣٩٢/٨).

(٤) انظر - على سبيل المثال - معالم التنزيل (٦٥/٣) ، والكشاف (٤٠٥/٢) ، وزاد المسير (٤٣٧/٤) ، والتفسير الكبير
 (١٣/٢) ، وتفسير البيضاوي (٥٥٢/١) ، وتفسير النسفي (٢٨٣/٢) ، والبحر المحيط (٤٦٨/٥) ، وتفسير الخازن
 (٨٤/٣) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٧/٢) ، وغرائب القرآن (٥٥/١٤) ، والفتوحات الإلهية (٥٦٤/٢).

(٥) انظر الجواهر الحسان (٤٢٠/٢).

٣- الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة

غير وارد ؛ وذلك لما يلي:

١- أن المكلف لو قال ما عده القاضي موازياً فإنها ليست مجرد كلمة تقال ، بل لها ضوابط

وشروط، اعترف ابن عطية نفسه بقصور المكلف عن الوصول إليها بقوله : ((ولكن أين قولها

بشروطها)).

٢- على التسليم أن المكلف قال هذه الكلمة بشروطها فهذا في حد ذاته نعمة تحتاج إلى شكر

بوازئها.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ يقول تعالى ذكره : وألهم ربك يا محمد النحل إجماعاً إليها ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ يعني : مما ينون من السقوف ، فرفعوها بالبناء))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿يعرشون﴾ فقال : ((وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة : إما في الجبال وكواها ، وإما في متجوف الأشجار ، وإما فيما يعرش ابن آدم من الأجاج^(٢) والحيطان ونحوها . (وعرش) معناه : هياً ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من اتفاق^(٣) الأغصان والخشب ، وترتيب ظلالها ، ومنه العريش الذي صنع لرسول الله ﷺ يوم بدر ، ومن هذا هي لفظة العرش ... وقال ابن زيد في قوله : ﴿يعرشون﴾ قال : الكروم ، وقال الطبري : ﴿ومما يعرشون﴾ يعني : ما ينون من السقوف .

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا منهما تفسير غير متقن))^(٤).

يفهم من كلام الإمامين أن الطبري يرى أن معنى ﴿ومما يعرشون﴾ أي مما ينون من السقوف ، وأما ابن عطية فيرى أن معناها : مما يهينون من الخشب ونحو ذلك . ولا بد لمعرفة الحق في هذه المسألة من الرجوع إلى ما قاله علماء اللغة والتفسير فعلى ضوءه يتبين لنا - إن شاء الله تعالى - القول المتقن .

قال الفراء : ﴿ومما يعرشون﴾ هي سقوف البيوت^(٥).

وقال ابن قتيبة : ﴿ومما يعرشون﴾ كل شيء عرش من كرم أو نبات أو سقف فهو عرش ومعرش^(٦).

(١) تفسير الطبري (٦١٢/٧).

(٢) الجبح بالجميم المثلثة : حيث تعمل النحل إذا كان غير مصنوع . وقيل : مواضع النحل في الجبل وفيها تعمل . اللسان (١٦٤/٢) ((جبح)).

(٣) ((اتفاق)) هكذا في النسخة القطرية ، وفي المغربية ((اتقان)). وهو كذلك في الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٠) الذي ينقل صاحبه عن المحرر ، وإن كان لم يصرح بالنقل منه .

(٤) الخمر الوجيز (٤٦٠/٨ ، ٤٦١).

(٥) معاني القرآن (١٠٩/٢).

(٦) تفسير غريب القرآن ص (٢٤٦).

وأورد الراغب هذه الآية ، وغيرها مما في معناها ، ثم نسب إلى أبي عبيدة أنه قال في معناها :
بينون^(١).

قلت : أبو عبيدة ذكر هذا المعنى عند قوله تعالى : ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا
كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٢).

وقال ابن فارس : ((العين والراء والشين أصل صحيح واحد ، يدل على ارتفاع في شيء مبني ، ثم
يستعار في غير ذلك ، من ذلك العرش ... سرير الملك ... ومن الباب تعريش الكرم لأنه رفعه والتوثق
منه . والعرش بناء من قضبان يرفع ويوثق حتى يظلل))^(٣).

وفي مختار الصحاح : ((العرش سرير الملك ، وعرش البيت سقفه ... وعرش بنى بناء من خشب ،
وبابه ضرب ونصر))^(٤).

وبنحو تفسير الإمام الطبري قالت طائفة من المفسرين^(٥).

وهناك من نقل ما قاله الطبري منسوباً إليه ، ولم يعترض عليه بشيء كماوردني ، والألوسي^(٦).

وقد ذكر أبو حيان قول الطبري واستدراك ابن عطية ، ولم يعقب على ذلك بشيء^(٧).

وتابع القرطبي ابن عطية فيما ذهب إليه في معنى الآية ، فنقله من غير نسبة ولا ذكر للاستدراك^(٨).

وكذلك ابن جزي ذكر أكثر ما قاله ابن عطية ، إلا أنه لم يقتصر في معنى ((عرش)) على ((هياً)) ، بل

قال : وعرش ، معناه : هياً ، أو بنى^(٩).

(١) انظر المفردات ص(٣٢٩).

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٧ . وانظر مجاز القرآن (١/٢٢٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤/٢٦٤ ، ٢٦٥) ((عرش)).

(٤) انظر مختار الصحاح ص(٣١٥ ، ٣١٦) ((عرش)) وانظر تهذيب اللغة (١/٤١٣ ، ٤١٤) ((عرش)) فقد ذكر هذه
المعاني.

(٥) كآبي الليث في بحر العلوم (٢/٢٤١) ، والواحد في الوسيط (٣/٧١) ، والرازي في التفسير الكبير (٢٠/٥٧) ،
والبيضاوي في تفسيره (١/٥٦٢) ، والنسفي في تفسيره (٢/٢٩٢).

(٦) انظر النكت والعيون (٣/١٩٩) ، وروح المعاني (١٤/١٨٢).

(٧) انظر البحر المحيط (٥/٤٩٦).

(٨) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٣٤).

(٩) انظر التسهيل (٢/٢٨٨).

وبعد : فالسبب الذي من أجله وصف ابن عطية قول الإمام الطبري أنه غير متقن لم يذكره ، إلا أن جعله ((عرش)) بمعنى هياً يفيد أن عدم الاتقان في قول الإمام الطبري من جهة أنه يشعر أنه شيء عرش لا من أجل النحل ، ولكن النحل اتخذت فيه بيوتاً. وهذا فيه عدم شمول لما يهياً لها ويبني لها فتعسل فيه، ولهذا قال الألوسي - بعد أن ذكر تفسير ابن زيد والطبري - : ((أو أعم منهما كما قال البعض))^(١).

ولا شك أن الإمام الطبري نظر إلى معنى ((عرش)) في الآية نظرة عامة ، وهذه النظرة وافقه عليها أهل اللغة ، وهي صحيحة ، لكنها - كما قال ابن عطية - غير متقنة إذ مبناها على أن الله تعالى أمر النحل أن تتخذ بيوتها فيما يرفعه الإنسان من السقوف ، لا من أجل النحل ، والقسمة في الآية - ﴿وَأَنْ يَتَّخِذُوا مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ - تفيد أن الله تعالى أوحى إلى النحل وأمرها أن تتخذ بيوتها في أحد هذه الأماكن الثلاثة : في الجبال وكواها ، وفي متجوف الأشجار ، وفيما رفعه الإنسان وهياً من أجلها.

(١) روح المعاني (١٤/١٨٢).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بعد أن ذكر أن القرية هي مكة - : ((وقال آخرون بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة رسول الله ﷺ))^(١).

ثم ساق بسنده - تحت هذه الترجمة - أن حفصة أم المؤمنين^(٢) رضي الله عنها صدرت من الحج وعثمان محصور بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما ، فقالا : قتل ، فقالت حفصة : والذي نفسي بيده إنها القرية - تعني المدينة - التي قال الله تعالى : ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله ما رواه عن حفصة من أن الآية نزلت في المدينة ، فقال - بعد أن ذكر حكاية الإمام الطبري عن حفصة رضي الله عنها - : ((قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فأدخل الطبري هذا على أن حفصة - رضي الله عنها - قالت : إن الآية نزلت في المدينة ، وإنها هي التي ضربت مثلاً ، والأمر عندي ليس كذلك ، وإنما أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور المثل ، وحل بها ما حل بالتي جعلت مثلاً))^(٤).

من المفسرين من يشارك الإمام الطبري - في الفهم - أن أم المؤمنين حفصة حملت القرية على أنها المدينة النبوية ، وذلك كماورد في ، والقرطبي ، وأبي حيان^(٥).

وهناك من يشارك ابن عطية فيما ذهب إليه كابن الجوزي فإنه قال : ((فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت : هي المدينة فذلك على سبيل التمثيل ، لا على وجه التفسير))^(٦).

(١) تفسير الطبري (٦٥٥/٧).

(٢) حفصة بنت عمر ، أم المؤمنين ، صوامع قوامة (ت : ٤٤١هـ) . انظر السير (٢٢٧/٢).

(٣) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٦٥٥/٧) بسنده إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٣٣/٤) ونسب إخراج لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) المحرر الوجيز (٥٢٧/٨).

(٥) انظر النكت والعيون (٢١٧/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩٤/١٠) ، والبحر المحيط (٥٢٤/٥).

(٦) زاد المسير (٤٩٩/٤ ، ٥٠٠).

وكذلك الألويسي يميل إلى حمل كلام أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - على نحو ما ذكر ابن عطية وابن الجوزي ؛ إلا أنه يجعل ذلك احتمالاً فيقول - بعد إيراد الرواية عنها - : ((ولعلها أرادت أنها مثلها))^(١).

فالخاصل من هذا كله أن هناك من يشارك الإمام الطبري في مضمون الترجمة التي وضعها ، وهناك من يشارك ابن عطية فيما ذهب إليه في فهم كلام أم المؤمنين حفصة.

وبعد : فالذي يظهر لي في هذه المسألة ما يلي:

١- ما قاله ابن عطية من أن الإمام الطبري يفهم من كلام أم المؤمنين حفصة أن المقصود بالقريّة المدينة النبوية هو كما قال.

٢- ما ذهب إليه الإمام الطبري في فهم كلام أم المؤمنين حفصة أنها تعني بالقريّة المدينة محتمل، إلا أن ما فهمه ابن عطية أولى بالتقديم ، لأن الآية مكية ، تذكر بحالة قد وقعت وتحذر منها ، والمدينة لم تكن بهذه الصفة إلا بعد نزول الآية بدهر ، ومثل هذا لا يخفى على أم المؤمنين حفصة ، فلا يبقى أن يحمل كلامها - والحالة هذه - إلا على أنها أرادت أن المدينة وقعت في محذور المثل . والله أعلم.

(١) روح المعاني (١٤/٢٤٢).

سورة الإسراء

١- أورد الإمام الطبري - عند قوله تعالى : ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً* فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً* ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً* إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ - قصصاً كثيراً ، يتعلق بما وقع لليهود من حوادث وكرائن ، لو أوردته هنا لطال البحث به ، فاكفيت بهذه الإشارة ، ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إلى تفسير الإمام الطبري^(١).

وقد أورد القاضي ابن عطية هذه الآيات بعينها ، وأورد طائفة من القصص التي أوردتها الإمام الطبري ، ثم قال مستدركاً على الإمام الطبري : ((وقد ذكر الطبري في هذه الآية^(٢) قصصاً طويلاً ، منه ما يخص الآيات ، وأكثره لا يخص ، وهذه المعاني ليست بالثابتة ، فلذلك اختصرتها))^(٣).

هذا الاستدراك الذي قاله أبو محمد ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : قوله : إن الإمام الطبري ، ذكر قصصاً كثيراً منه ما يخص الآيات ، وأكثره لا يخص . وهذا الذي قاله أفهم منه أنه أراد أن هذا القصص كثير منه ليس له علاقة بالآيات ، فإن كان مقصوده هذا ، فالذي ظهر لي بعد تتبع ما ذكره الإمام الطبري أن أكثر هذا القصص ، إن لم يكن جميعه له علاقة بالآيات ، لكن هذه الآثار لو لم تذكر لا تضح الآيات دونها . أي أن هذا الذي ذكر لا يتعلق به كبير فائدة^(٤) ، وهذا لو صح ، فكيف وأكثره لا يصح ؟ .

القسم الثاني من الاستدراك : قوله : هذه المعاني ليست بالثابتة فلذلك اختصرتها ، وهذا الذي قاله حق ، وأدق منه في نقد هذه الإسرايليات قول الإمام ابن كثير : ((وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ؛ لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ، ونحن في غنية عنها والله الحمد))^(٥).

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/٨ - ٤٠).

(٢) الآية التي أورد هذا بعدها هي قوله : ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ إلا أنه أراد مجموع الآيات السابقة بدليل أنه قال : ((منه ما يخص الآيات ، وأكثره لا يخص)) ويكون في إطلاقه آية على آيات فيه تجوز.

(٣) انحرر الوجيز (١٩/٩ ، ٢٠).

(٤) انظر فتح القدير (٢١١/٣) ، وروح المعاني (٢١/١٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٦/٣).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم...﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿وقضى ربك﴾ يا محمد ﴿ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾^(١) ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ فموضع تقتلوا نصب عطفاً على ﴿ألا تعبدوا﴾^(٢).

ثم ذكر عند آيات النواهي ، بعد هذه الآية ما يفيد أنه يرى أنها جميعاً معطوفة على قوله : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعراب ﴿ولا تقتلوا﴾ نصباً على أنها معطوفة على ﴿ألا تعبدوا﴾ وكذلك استدرك عليه في إعراب النواهي الأخرى، فقال: ((وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا﴾ وما تقدم قبله من الأفعال جزم بالنهي وذهب الطبري إلى أنها عطف على قوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ والأول أصوب ، وأبرع للمعنى^(٤).

وقال أيضاً في آخر تفسير آيات النواهي : ((وذهب الطبري إلى أن هذه النواهي كلها معطوفة على قوله أولاً: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ وليس ذلك بالبين^(٥)).

ملخص الخلاف بين الإمامين في هذه الأفعال أن الإمام الطبري يرى أن الفعل في قوله: ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ منصوب بأن ولا نافية ، وما بعده من الأفعال معطوف عليه ، وابن عطية يرى أن هذا الفعل مجزوم بـ (لا) الناهية ، وما بعده من الأفعال كذلك مجزوم بها.

ولا شك أن الفعل (تعبدوا) قد جوز العلماء في سبب حذف النون منه وجوهاً ، قال السمين : ((يجوز أن تكون ((أن)) مفسرة ؛ لأنها بعد ما هو بمعنى القول ، و ((لا)) ناهية . ويجوز أن تكون

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

(٢) تفسير الطبري (٧٣/٨) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٧٤/٨ ، ٧٨) .

(٤) الخمر الوجيز (٧١/٩) .

(٥) الخمر الوجيز (٩١/٩) .

الناصبية و ((لا)) نافية ، أي بأن لا ، ويجوز أن تكون المخففة ، واسمها ضمير الشأن ، و ((لا)) ناهية أيضاً ، والجملة خبرها ... ويجوز أن تكون الناصبة ، و ((لا)) زائدة ...^(١).

قلت فحاصل هذا الكلام : أن الفعل في قوله : ﴿ألا تعبدوا﴾ منصوب بـ ((أن)) ، أو مجزوم بـ ((لا)) الناهية.

أما موقف العلماء من هذه المسألة ، فالزحشري ذكر قولاً واحداً في الفعل الأول فقال: ((أن مفسرة، ولا تعبدوا نهياً))^(٢).

وفي أثناء تفسيره ما يدل على أنه يرى أن الأفعال الأخرى مجزومة بالنهي ، بل قد صرح به في بعض المواطن^(٣).

لكن هذا لا يدل على أنه ينفي القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري.

وذهب أبو البقاء العكبري إلى تجويز الوجهين في قوله: ﴿ألا تعبدوا﴾^(٤).

وأما أبو حيان فقد صرح عند قوله تعالى: ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ باختياره وهو أن الفعل مجزوم بالنهي فقال: ((والذي نختاره أن تكون ((أن)) حرف تفسير و ((لا تعبدوا)) نهياً...))^(٥).

وجاء عنه ما يفيد أنه يرى أن الأفعال الأخرى التي دخلت عليها ((لا)) هي نهياً فقال - بعد أن فسر آيات النواهي ، والأوامر - : ((وهي أربعة وعشرون نوعاً من التكليف بعضها أمر ، وبعضها نهياً))^(٦).

وبعد : فالظاهر أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية مقدم على ما ذهب إليه الإمام الطبري ؛ لأن جعل ((لا)) ناهية ، أقوى من جعلها نافية ، من حيث المعنى ، لأن النفي مجرّد خير ، لا يدل على المنع ، مثل دلالة النهي . ولأن ما ذهب إليه ابن عطية قد اختاره أبو حيان ، وبه أعرب الزحشري.

(١) الدر المنصون (٣٣٣/٧) . والرأي الأخير أعني الذي ذكر فيه زيادة ((لا)) جوزة أبو البقاء ، واعتراض عليه أبو حيان بدخول ((إلا)) على مفعول تعبدوا . انظر التبيان (٨١٧/٢) ، والبحر المحيط (٢٣/٦) وهو اعتراض وجيه إذ يترتب على هذا الوجه فساد المعنى ؛ لأنه يصحح (وقضى ربك أن تعبدوا إلا إياه).

(٢) الكشف (٤٤٤/٢).

(٣) انظر المرجع السابق (٤٤٩/٢).

(٤) انظر التبيان (٨١٧/٢).

(٥) البحر المحيط (٢٣/٦).

(٦) المرجع السابق (٣٥/٦).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وأما قوله : ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ فإن معناه : إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها ، من أنه سمع أو أبصر أو علم ، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق .

وقال : ﴿أولئك﴾ ولم يقل : (تلك) كما قال الشاعر^(١) :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

وإنما قيل : ((أولئك)) ؛ لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث ، وهذه وتلك للجمع الكثير^(٢) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وغيره رواية البيت بـ ((الأيام)) وإنما هي ((الأقوام)) فقال : ((وحكى الزجاج أن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بأولئك^(٣) وأنشد هو والطبري :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

فأما حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأمر يوقف عنده ، وأما البيت فالرواية ((الأقوام))^(٤) .

هذه المسألة مختلف فيها ، فأكثر العلماء - فيما رأيت - يوردون هذا البيت في مصنفاتهم بالرواية التي ذكرها الإمامان الطبري والزجاج^(٥) .

وبعضهم يورده بالرواية التي يراها ابن عطية^(٦) ، وهي المثبتة في ديوان الشاعر^(٧) .

(١) هو جرير ، والبيت في ديوانه (٣/٩٠) ((بعد أولئك الأقوام)).

(٢) تفسير الطبري (٨/٨١).

(٣) في النسخة القطرية ((بالإدراك)) بدل ((أولئك)) والتصويب من النسخة المغربية.

(٤) المحرر الوجيز (٩/٨٦).

(٥) انظر - على سبيل المثال - معاني القرآن للأخفش (٢/٦١٢) ، وإعراب القرآن (٢/٤٢٤) ، والكشاف (٢/٤٤٩) ، وشرح المفصل (٩/١٢٩) ، ولسان العرب (١/٢٧٠) ((أولي)) ، وأوضح المسالك (١/١٣٤) ، وشرح ابن عقيل (١/١٢٦) ، والكامل (١/٤٣٩).

(٦) كما في النقائض (١/٢٦٩) . ونسبه البغدادي إلى محمد بن المبارك في كتابه منتهى الطلب . انظر خزانة الأدب (٥/٤٣٠).

(٧) انظر (٢/٩٩٠).

أما موقف العلماء من هذا الاستدراك ، فالإمام القرطبي تابع القاضي ابن عطية ، فأورد هذا الاستدراك بنصه ، ولم ينسبه لابن عطية^(١).

وأبو حيان أورد هذا الاستدراك منسوباً لابن عطية ثم عقب عليه بقوله: ((والنحاة ينشدونه ((بعد أولئك الأيام)) ولم يكونوا لينشدوا إلا ما روي))^(٢).

قلت : فهذا يفيد أن أبا حيان لا يرى هذا الاستدراك الذي أورده ابن عطية.

وكذلك السمين الحلبي لم يسلم لابن عطية بهذا الاستدراك فقال - بعد أن ذكر استدراكه - : ((...))

وأما قوله : إن الرواية ((الأقوام)) فغير معروفة ، والمعروف إنما هو ((الأيام))^(٣).

وابن هشام النحوي ينجح إلى أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري ، فقد نقل عنه البغدادي^(٤) أنه قال : ((ويروى ((الأقوام)) بدل ((الأيام)) فلا شاهد فيه . وزعم ابن عطية أن هذه الرواية هي الصواب ، وأن الطبري غلط إذ أنشده ((الأيام)) وأن الزجاج تبعه في هذا الغلط))^(٥).

وعقب على هذا البغدادي بقوله : ((قلت: رواه محمد بن حبيب^(٦) في النقائض ، ومحمد بن المبارك^(٧) في منتهى الطلب من أشعار العرب ((الأقوام)) كما قال ابن عطية))^(٨).

والذي يبدو - والله أعلم - أن المسألة محتملة ويرجح رواية ((الأقوام)) أن نقلها اثنان من المعتنين بالأدب ، ثم هي رواية الديوان.

ويتقوى جانب الرواية التي أوردها الإمام الطبري بأنه قد نقلها أكثر أهل العلم في مصنفاتهم ، بل قد ذكر أبو حيان ما يفيد أن جميع النحاة على هذه الرواية ، ولم يكونوا - رحمهم الله - لينشدوا إلا ما روي.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦٠/١٠).

(٢) البحر المحيط (٣٣/٦).

(٣) الدر المنصون (٣٥٣/٧).

(٤) عبد القادر بن عمر البغدادي ، علامة بالأدب والنحو والأخبار (ت : ١٠٩٣هـ) انظر الأعلام (٤١/٤).

(٥) خزنة الأدب (٤٣٠/٥).

(٦) محمد بن حبيب بن أمية ، علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر (ت : ٢٤٥هـ). انظر الأعلام (٧٨/٦).

(٧) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، عالم بالأدب (ت : ٥٨٩هـ) انظر الأعلام (١٧/٧).

(٨) خزنة الأدب (٤٣٠/٥).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿عسى أن يكون قريباً﴾ - : ((...)) وإنما معناه : هو قريب ؛ لأن عسى من الله واجب ، ولذلك قال النبي ﷺ : ((بعثت أنا والساعة كهاتين))^(١) ، وأشار بالسبابة والوسطى ؛ لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب^(٢) .
واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن عسى ليست من الله حتى يقال : إنها واجبة فقال : ((وقال الطبري ، وابن سلام : وعسى من الله واجبة ، فالمعنى : وهو قريب . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذه إنما هي من النبي ﷺ ، ولكنها بأمر الله تعالى له ، فيقربها ذلك من الوجوب...))^(٣) .

حاصل الخلاف : أن الإمام الطبري يرى أن عسى - هنا - واجبة ، وابن عطية يرى أنها قريبة من الوجوب .

ثم هذه المسألة ، وافق فيها أكثر المفسرين - الذين تكلموا فيها عند هذه الآية ، واطلعت على مؤلفاتهم - الإمام الطبري^(٤) ، حتى أن القرطبي ، والشعالبي - وهما المعروفان بالمتابعة لابن عطية في أقواله - قالوا فيها بقول الإمام الطبري ، وأعرضا عن ذكر ما قاله ابن عطية^(٥) .
وذهب ابن عاشور في هذه المسألة إلى قريب مما قاله ابن عطية فقال : ((و ﴿عسى﴾ للرجاء على لسان الرسول ﷺ ، والمعنى لا يبعد أن يكون قريباً))^(٦) .

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي على الإمام الطبري ومن معه غير وارد في هذه المسألة ؛ لأن ابن عطية يتفق مع الطبري أن عسى إذا كانت من الله فهي واجبة ، و ﴿عسى﴾ في

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٦٩١/٨) ، كتاب التفسير ، ح (٤٩٣٦) من رواية سهل بن سعد رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٢/٢) ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ح (٨٦٧) من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) تفسير الطبري (٩٢/٨) .

(٣) المحرر الوجيز (١٠٨/٩) .

(٤) انظر بحر العلوم (٢٧٢/٢) ، والوسيط (١١١/٣) ، ومعالم التنزيل (١١٩/٣) ، وزاد المسير (٤٥/٥) ، والتفسير الكبير (١٨١/٢٠) ، وتفسير الخازن (١٦٣/٣) ، وتفسير النسفي (٣١٧/٢) ، وفتح القدير (٢٣٤/٣) .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٧٥/١٠) ، والجواهر الحسان (٤٧٨/٢) .

(٦) التحرير والتنوير (١٢٩/١٥) .

هذه الآية إنما هي من الله أمر رسوله ﷺ أن يقولها للمكذبين ، والكلام لمن قاله ابتداء ، لا لمن أمر بتليغه.

ومما يشهد لصحة قول الإمام الطبري أن المفسرين الذين يرون أن عسى في كلام الباري تحمل على الوجوب ، نقل عنهم الإمام الرازي أنهم يحملونها هنا على الوجوب فقال - عند هذه الآية - : ((قال المفسرون : عسى من الله واجب ، معناه أنه قريب))^(١).

(١) التفسير الكبير (١٨١/٢٠).

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ... اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ فقال بعضهم : فتستجيبون بأمره^(١) ... وقال آخرون معنى ذلك : فتستجيبون بمعرفته وطاعته^(٢) ... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ، ودعائه إياكم ، والله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله ، يعني : لله الحمد على كل ما فعلته ، وكما قال الشاعر^(٣) :

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر
لبست ولا من غدره أتقنع

بمعنى : فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست^(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على أسلوب الإمام الطبري بأنه غير ملخص ، فقال - بعد أن أورد القولين اللذين ذكرهما الإمام الطبري - : ((وهذا كله تفسير لا يعطيه اللفظ ، ولا شك أن جميع ذلك بأمر الله تعالى ، وإنما معنى ﴿بحمده﴾ إما أن جميع العالمين - كما قال ابن جبير - يقومون وهم يحمدون الله تعالى ويمجدونه لما يظهر لهم من قدرته ، وإما أن قوله : ﴿بحمده﴾ هو كما تقول لرجل إذا خاصمته ، أو حاورته في علم : قد أخطأت بحمد الله ، وكأن النبي ﷺ يقول لهم في هذه الآيات : عسى أن الساعة قريبة^(٥) يوم تدعون فتقومون ، بخلاف ما تعتقدون الآن ، وذلك بحمد الله تعالى على صدق خبري . نحا هذا النحو الطبري ، ولم يلخصه^(٦))).^(٧)

(١) هذا القول أسنده الطبري في تفسيره (٩٢/٨) عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة ، وكذلك عن ابن جريج من طريق حجاج.

(٢) هذا القول أسنده الطبري في تفسيره (٩٢/٨) عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة.

(٣) لم أنف حتى الآن على قائمه ، وهو في الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١٠) ، والبحر اخیط (٤٦/٦) ، وروح المعاني (٩٣/١٥).

(٤) تفسير الطبري (٩٢/٨).

(٥) قال أبو حيان : هو تركيب لا يجوز ، لا تقول : عسى أن زيدا قائم ، بخلاف عسى أن يقوم زيد . البحر اخیط (٤٦/٦).

(٦) في النسخة المغربية ((ولم يلخصه)) ومعناه : ولم يصفه ، وبنقه مما يشوبه . انظر المعجم الوسيط (٢٥٨/١) ((خلص)). والظاهر أن اللفظ الذي جاء في النسخة القطرية ((يلخصه)) هو الذي أراده المؤلف ؛ لأنه المناسب أن يوصف به كلام الإمام الطبري . والله أعلم.

(٧) المحرر الوجيز (١٠٩/٩ ، ١١٠).

الذي ظهر لي أن مقصود القاضي ابن عطية بقوله : ((ولم يلخصه)) أي ولم يبينه ويوضحه ويشرحه يدل على أن هذا مقصوده شيئان:

الأول : أن هذا من معاني التلخيص التي يفهمها سياق كلام القاضي . قال ابن منظور: ((التلخيص: التبيين والشرح ، يقال: لخصت الشيء ، ولخصته - بالحاء والحاء - إذا استقصيت في بيانه ، وشرحه وتجييره ، يقال : لخص لي خبرك ، أي بينه لي شيئاً بعد شيء...))^(١).

الثاني : أن العلامة الألووسي قد وصف قول الإمام الطبري هذا بأنه لا يكاد يفهم فقال - بعد أن أورده - : ((ولا يخفى أنه معنى متكلف لا يكاد يفهم من الكلام ، ونحن في غنى عن ارتكابه ، والحمد لله))^(٢).

وبناء على ما تقدم فليس بين الإمامين خلاف في المعنى المشار إليه ، وإنما استدراك ابن عطية على الأسلوب الذي عبر به الإمام الطبري عن هذا المعنى. وهذا شيء يوافق عليه ابن عطية إلى حد ما ، فكلام الإمام الطبري فيه شيء من الغموض ، ولو لم يشرحه لي ابن عطية لما فهمته ، وهذا ما قاله العلامة الألووسي أيضاً . والله أعلم.

(١) لسان العرب (٢٦٠/١٢) ((لخص)).

(٢) رزح المعاني (٩٣/١٥) . وانظر البحر المحيط (٤٦/٦) فقد وصف أبو حيان قول الإمام الطبري ببعض ما قاله الألووسي هنا، ولعل الألووسي اطلع عليه. وقد آثرت نقل كلام الألووسي ؛ لأنه أوفى.

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ - : ((ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليرجمهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم^(١) ... وقال آخرون : بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه ﷺ أن يعثه إياه هو أن يقعه معه على عرشه ، ذكر من قال ذلك^(٢) ثم ساق بسنده عن مجاهد في قوله : ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال : يجلسه معه على عرشه^(٣) .

ثم قال : ((وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ))^(٤) .

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ سئل عنها ، قال : ((هي الشفاعة))^(٥) .

(١) هذا القول أسنده الطبري في تفسيره (١٣١/٨ ، ١٣٢) إلى حذيفة وابن عباس وابن مسعود وسلمان والحسن ، وعن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح ، وعن قتادة .

(٢) تفسير الطبري (١٣٢/٨) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٨) من طريق ليث عن مجاهد ، وإسناده ضعيف لأن ليثاً اختلط ولم يتميز فترك حديثه . هكذا قال الحافظ في تقريب التهذيب رقم (٥٦٨٥) . وقال الذهبي في الميزان (٤٣٩/٣) : ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله : ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال يجلسه معه على العرش . وتبع طرقه المرفوعة وغير المرفوعة العلامة الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٥٥/٢) وحكم عليه بقوله ((باطل)) . وأخرجه الخلال في السنة ص(٢١٣) وما بعدها ، وحكم عليه محقق الكتاب بالضعف في كل المواضع ونبه اخفق الدكتور عطية الزهراني في المقدمة ص(٥٣) على أن من الملاحظات على المؤلف ترجيحه لهذا القول . وذكر أن المؤلف ساق في ذلك ثلاثة وتسعين نصاً ، ثم قال : ((رغم أنه لم يصح في هذه المسألة ولا حديث ، وكل الأحاديث التي جاءت طرقها ضعيفة)) اهـ . لكن قد نقل الخلال هذا عن جماعة من العلماء أنهم قالوا خبر مجاهد يسلم له ولا يعارض ، ومن عارضه فهو جهمي انظر ص(٢١٧) وما بعدها من كتاب السنة . وكذلك نقل الذهبي عن جماعة أن خبر مجاهد يسلم ولا يعارض . انظر العلو للعلي الغفار ص (١٤٣ ، ١٤٤) . قلت : ويظهر أن الجهمية في ذلك الزمن لهم تأثير في تمسك بعض علماء السنة بهذا الأثر ، ولذلك نقل الخلال في كتابه السنة ص(٢١٤) عن أبي دآرد السجستاني أنه قال : ((وما زال الناس يحدثون بهذا يريدون مغايظة الجهمية ، وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيء)) .

(٤) تفسير الطبري (١٣٣/٨) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٣/٨) ووصفه بالنصحة . وأخرجه الترمذي في سننه (٣٠٣/٥) ، كتاب تفسير القرآن ، ح(٣١٣٧) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد في المسند (٤٤٤/٢ ، ٤٧٨) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

ثم قال : ((وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله: ﴿عسى أن يعشك ربك مقاماً محموداً﴾ لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً ﷺ على عرشه قول غير مدفوع صحته ، لا من جهة خبر ولا نظر ؛ وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين بإحالة ذلك . فأما من جهة النظر ، فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة : فقالت فرقة منهم : الله عز وجل بائن من خلقه كان قبل خلقه الأشياء ، ثم خلق الأشياء فلم يماسها ، وهو كما لم يزل ، غير أن الأشياء التي خلقها ، إذا لم يكن هو لها مماساً وجب أن يكون لها مباناً إذ لا فعال للأشياء إلا وهو مماس للأجسام أو مبان لها . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك وكان الله عز وجل فاعل الأشياء ، ولم يجوز في قولهم : إنه يوصف بأنه مماس للأشياء وجب بزعمهم أنه لها مبان فعلي مذهب هؤلاء سواء أقعد محمداً ﷺ على عرشه ، أو على الأرض إذ كان من قولهم : إن بينوته من عرشه ، وبينوته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منهما كليهما ، غير مماس لواحد منهما . وقالت فرقة أخرى : كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، ثم خلق الأشياء فأقامها بقدرته ، وهو كما لم يزل قبل الأشياء خلقه لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، فعلى قول هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً ﷺ على عرشه ، أو على أرضه ، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه في أنه لا تماس ولا مبان لهذا ، كما أنه لا تماس ولا مبان لهذه . وقالت فرقة أخرى : كان الله عز ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، ثم أحدث الأشياء وخلقها فخلق لنفسه عرشاً استوى عليه جالساً وصار له مماساً ، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يرزقه رزقاً ، ولا شيء يجرمه ذلك ، ثم خلق الأشياء فرزق هذا وحرّم هذا ، وأعطى هذا ، ومنع هذا ، قالوا : فكذلك كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ، ولا يباينه ، وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه ، فهو مماس ما شاء من خلقه ، ومبان ما شاء منه ، فعلى مذهب هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً ﷺ على عرشه ، أو أقعده على منبر من نور ، إذ كان من قولهم : إن جلوس الرب على عرشه ليس بجلوس يشغل جميع العرش ، ولا في إقعاد محمد ﷺ موجياً له صفة الربوبية ، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ، كما أن مبانة محمد ﷺ ما كان مباناً له من الأشياء غير موجبة له صفة الربوبية ، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ؛ من أجل أنه موصوف بأنه له مبان ، كما أن الله عز وجل موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مبان لها . هو مبان له . قالوا : فإذا كان معنى مبان

ومباين لا يوجب محمد ﷺ الخروج من صفة العبودية والدخول في معنى الربوبية ، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن ، فقد تبين إذاً بما قلنا أنه غير محال في قول أحد ممن ينتحل الإسلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى يقعد محمداً على عرشه^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من تعضيد جواز قول مجاهد ، بأن ذلك التعضيد شطط من القول فقال - بعد أن ذكر أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء حتى ينتهي إلى نبينا ﷺ : ((وحكى الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت : المقام المحمود هو أن الله عز وجل يجلس محمداً - عليه الصلاة والسلام - معه على عرشه وروى في ذلك حديثاً، وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول^(٢) ، وهو لا يخرج إلا على تल्प في المعنى^(٣) ، وفيه بعد ، ولا ينكر مع ذلك أن يروى ، والعلم يتأوله^(٤))).

هذه المسألة البحث فيها من وجوه:

الأول : اختلف أهل العلم في تفسير قول الله تعالى : ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ على

أقوال^(٥). حاصلها أنها ترجع إلى قولين : أحدهما : أنه في أمر الشفاعة . والثاني : ما قاله مجاهد^(٦).

(١) تفسير الطبري (١٣٤/٨ ، ١٣٥).

(٢) بشطط من القول ، أي يبعد من القول . انظر لسان العرب (١١٩/٧) ((شطط)).

(٣) ذكر محقق النسخة المغربية أن في بعض النسخ ((إلا على تلفظ في المعنى)).

(٤) المحرر الوجيز (١٧١/٩).

(٥) ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٧٠/٦ ، ٧١) أن فيها خمسة أقوال ، أحدها : أنه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء.

الثاني : أنه في أمر شفاعته لأمته في إخراجهم لمدنهم من النار . الثالث : عن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس ، فأول مدعو محمد ﷺ فيقول : لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك... إلخ قال : فهذا قوله : ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ الرابع : أن يجلسه معه على العرش . الخامس : معنى المقام المحمود المقام الذي يعمده القائم فيه . قاله الزمخشري اهـ . وذكر القرطبي في الجامع (٣١١/١٠) قولاً آخر وهو أن المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة . قلت : أما قول الزمخشري فقول حدث رده الشوكاني في فتح القدير (٢٥٢/٣) وبقية الأقوال ترجع إلى قولين الأول : أنه في أمر الشفاعة ، وقول حذيفة يظهر أنه مقدمة إليها ، وإعطاؤه

لواء الحمد لأنه هو الذي يقوم بالشفاعة التي يعمده الناس عليها . والثاني : ما قاله مجاهد .

(٦) انظر زاد المسير (٧٦/٥) فقد انتصر على هذين القولين.

الثاني : قول مجاهد اضطربت فيه أقوال أهل العلم فبينما ترى بعضهم يحوزه كما فعل الإمام الطبري، ويُنقل عن أبي داود صاحب السنن أن من أنكر هذا القول فهو متهم^(١)، وكذلك الخلال^(٢) يشته ويحتج له^(٣)، وكذلك ابن القيم يقول به^(٤).

ترى أن آخرين لا يرون هذا القول، فقد نقل القرطبي عن ابن عبد البر أنه قال : ((ومجاهد وإن كان أحد الأئمة بتأويل القرآن، فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم، أحدهما : هذا . والثاني : في تأويل قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾^(٥) قال : تنتظر الثواب ليس من النظر))^(٦). ونقل الرازي عن الواحدي أنه قال - في هذا القول - : ((وهذا قول رذل موحش فظيع، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير...))^(٧). ثم رده من وجوه . وقد رد الرد القاسمي في محاسن التأويل^(٨).

وأما الذهبي فكلامه في هذه المسألة فيه شيء من الاضطراب، فهو تارة يصف أثر مجاهد بأنه منكر، وتارة يقول : ويعد أن يقول ذلك مجاهد إلا بتوقف^(٩). وصرح الشيخ الألباني : أنه لا يؤخذ بهذا القول في تفسير الآية؛ لأنه لم يثبت لا موقفاً ولا مرفوعاً^(١٠).

-
- (١) نقله الخلال في السنة ص(٢١٤) وقال محققه : إسناده قول أبي داود صحيح .
(٢) أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال، إمام حافظ فقيه، (ت: ٣١١هـ) انظر السير (٢٩٧/١٤).
(٣) انظر السنة ص(٢٠٩).
(٤) نقل الشيخ الألباني ذلك عنه في مختصر العلو ص(١٩).
(٥) سورة القيامة، الآية : ٢٢، ٢٣.
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٠).
(٧) التفسير الكبير (٢٧/٢١).
(٨) انظر (٦١٣/٤). والقاسمي هو : محمد جمال الدين ابن محمد، إمام الشام في عصره (ت : ١٣٣٢هـ) انظر الأعلام (١٣٥/٢).
(٩) انظر مختصر العلو ص(٢٣٤).
(١٠) هذا مضمون كلامه . انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٥٥/٢) وذهب في تفسير الآية إلى القول المشهور من أن المقام المحمود: هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا ﷺ . انظر مختصر العلو ص (١٧).

والمفسرون الذين اطلعت على مصنفاتهم منهم من يقتصر في تفسيره على القول المشهور^(١) ، ومنهم من يذكر القولين ، مبتدئاً بالمشهور^(٢) ، ومنهم من يذكر القولين وزيادة^(٣) ، ومنهم من يجمع بين القول المشهور وقول مجاهد^(٤).

والذي هو أحق أن يتبع في معنى هذه الآية ما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ فسرها عندما سئل عنها بالشفاعة.

وبعضه في الدلالة أحاديث منها ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: ((إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود))^(٥).

وأما أثر مجاهد فقد بين الشيخ الألباني أنه لا يثبت لا موقوفاً ، ولا مرفوعاً^(٦) ، وقد جاء عن مجاهد نفسه ما يوافق قول الجمهور من طريق معتبرة في التفسير هي طريق ابن أبي نجيح^(٧).

الوجه الثالث من وجوه بحث هذه المسألة : هل استدرأك ابن عطية على الطبري بقوله: وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول حتى أم لا ؟ فأقول :

١- وافق القرطبي القاضي ابن عطية فيما ذهب إليه من استدرأك ، فاستدرأك على الإمام الطبري بنفس ما قاله ابن عطية ، إلا أنه قال بعد ذلك إن قول مجاهد غير مستحيل ثم ذكر في تأويله نحو مقالة الإمام الطبري^(٨).

-
- (١) كالزجاج في معاني القرآن (٢٥٦/٣) ، والواحدي في الوسيط (١٢٢/٣).
- (٢) كالبيهقي في معالم التنزيل (١٣٢/٣) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٧٦/٥).
- (٣) هؤلاء كثير . كالماوردي في النكت (٢٦٤/٣) ، والرازي في التفسير الكبير (٢٧/٢١).
- (٤) كالثوري في فتح القدير (٢٥٢/٣) فإنه قال : ((وعلى كل حال فهذا القول - يعني قول مجاهد - غير مناسف للقول الأول لإمكان أن يقعه الله سبحانه هذا المقعد ، ويشفع تلك الشفاعة)).
- (٥) صحيح البخاري - مع الفتح - (٣٩٩/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿عسى أن يعثرك ربك مقاماً محموداً﴾ ح (٤٧١٨).
- (٦) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٥٥/٢).
- (٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٨) من الطريق المذكور أن مجاهداً قال : ((شفاعة محمد يوم القيامة)).
- (٨) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٠).

٢- قال الشيخ الألباني في التأويل الذي ذكره الإمام القرطبي : ((ولا حاجة بنا إلى ذكره ، والنظر فيه ما دام أنه أثر غير مرفوع ، ولو افترض أنه في حكم المرسل الذي لا يحتج به في الفروع ، فضلاً عن الأصول))^(١).

٣- اعتبر القاسمي ما ذكره الإمام الطبري رداً قوياً على من أنكروا قول مجاهد ، فقال - بعد ما ذكر رد الواحدي - : ((وليته اطلع على ما كتبه ابن جرير حتى يمسك من جماع يراعه ، ويصير الأدب مع السلف ، مع المخارج العلمية لهم))^(٢) ثم أخذ في نقل كلام الإمام الطبري.

٤- وأنت إذا تأملت ما قاله الإمام الطبري وجدته قد حكى عن ثلاث فرق كلاماً يمكن أن يخرج عليه تفسير مجاهد - وهذا على فرض التسليم بصحته - فأما ما ذكره عن الفرقة الأولى فقد يحتمل أن يحمل عليه تفسير مجاهد ، لو صح ، وهو لم يصح ، وليس فيه شطط. وأما ما ذكره عن الفرقة الثانية فلا يبعد أن يوصف بأنه قول فيه شطط ؛ لأنه يفهم منه أن الرب عز وجل ليس مبائناً خلقه ، والسلف يقولون : ((هو تعالى على عرشه بانن من خلقه))^(٣).

وأما ما ذكره عن الفرقة الثالثة أنهم قالوا : ((وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه، فهو مماس ما شاء من خلقه ، ومبائن ما شاء منه)) فهذا أيضاً شطط من القول ، لم يرد في كتاب ولا سنة مثل هذا ، بل عقيدة السلف أنه تعالى على عرشه بانن من خلقه ، كما تقدم . والله أعلم.

(١) مختصر العلو ص (٢٠).

(٢) محاسن التأويل (٦١٣/٤).

(٣) انظر مختصر العلو ص (١٨).

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى

مسحوراً﴾ يقول : فقال لموسى فرعون : إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ، وقد يجوز أن يكون مراداً به إني لأظنك يا موسى ساحراً ، فوضع مفعول موضع فاعل ، كما قيل : إنك مشنوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن . وقد تأول بعضهم ﴿حجاباً مستوراً﴾^(١) ، بمعنى : حجاباً ساتراً ، والعرب قد تخرج فاعلاً بلفظ مفعول كثيراً^(٢) .

ولم ير القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - ما ذهب إليه الإمام الطبري من أن ﴿مسحوراً﴾ بمعنى (ساحر) ، فقال : ((وقوله تعالى : ﴿مسحوراً﴾ اختلف فيه المتأولون ، فقالت فرقة : هو مفعول على بابه ، أي : إنك قد سحرت فكلامك مختل ، وما تأتي به غير مستقيم . وقال الطبري : هو مفعول بمعنى فاعل ، كما قال تعالى : ﴿حجاباً مستوراً﴾^(٣) ، وكما قالوا : مشنوم وميمون ، وإنما هو : شائم ويامن . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا لا يتخرج إلا على النسب ، أي : ذا سحر ملكته وعلمته ، فأنت تأتي بهذه الغرائب لذلك . وهذه مخاطبة تنقص ، فيستقيم أن يكون ﴿مسحوراً﴾ مفعولاً على ظاهره ، وعلى أن يكون بمعنى ساحر يعارضنا ...^(٤) ما حكى عنهم أنهم قالوا - على جهة المدح - : ﴿يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾^(٥) فإما أن يكون القائلون هنالك ليس فيهم فرعون ، وإما أن يكون فيهم لكنه تنقل من تنقصه إلى تعظيمه . وفي هذا نظر^(٦) .

حاصل الخلاف بين الإمامين - الطبري وابن عطية - أن الطبري يرى أن مسحوراً بمعنى اسم الفاعل ، وابن عطية يرجح أنه على بابه اسم مفعول . وهذان قولان في ﴿مسحوراً﴾ في هذه الآية^(٧) .

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٥ .

(٢) تفسير الطبري (١٥٨/٨) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٤٥ .

(٤) زاد محقق النسخة القطرية (أما) بين كلمة (يعارضنا) و (ما حكى) وقال : زيادة تقتضيها سلامة العبارة . والصواب أنه لا يحتاج إلى هذه الزيادة وأن العبارة سليمة دونها . وهي في النسخة المغربية من غير زيادة .

(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٤٩ .

(٦) المحرر الوجيز (٢١٠/٩) .

(٧) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣٠٤/٣) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٢٨/٢) ، والجواهر الحسان (٥٠١/٢) .

وبعضهم يصف ما رجحه ابن عطية أنه أظهر القولين ، كالسمين فإنه قال: ((قوله: ﴿مسحوراً﴾ فيه

وجهان أظهرهما : أنه بمعناه الأصلي ... والثاني : أنه بمعنى فاعل))^(١).

وقال أبو حيان : ((والظاهر أن قوله : ﴿مسحوراً﴾ اسم مفعول))^(٢).

وبنحو مقالة أبي حيان قال ابن عاشور^(٣).

وقد نجد من المفسرين من يصف قول الإمام الطبري بالغرابة كالكرماني فإنه قال: ((الغريب :

﴿مسحوراً﴾ بمعنى ساحر))^(٤).

لكن قد وصفه غير الكرماني بأنه مناسب فقال الألوسي : ((وهو يناسب قلب العصا ونحوه ، على

تفسير الآيات بالمعجزات))^(٥).

وعلى كل حال فالقولان من القوة بمكان ، وبكل قد قال إمام من أئمة العربية^(٦) ، غير أنني أجنح لما

رجحه القاضي ابن عطية للأسباب التالية:

١- أن ما رجحه ابن عطية من أنه بمعنى اسم المفعول هو الأصل حسب ظاهر اللفظ.

على لسان فرعون

٢- أن حملة على اسم المفعول فيه معنى جديد لم يرد في القرآن -أني حق موسى - إلا في هذا

الموطن، فينبغي المحافظة عليه وألا نرجعه إلى معنى آخر قد ذكره في القرآن ، لأن إثبات هذا المعنى

يلائم حال تحبب فرعون في دفع الحق الذي جاء به موسى فهو تارة يصف من جاء به بأنه مسحور سحره

غيره، وتارة يصفه بأنه ساحر ، وتارة يصفه بأنه مجنون.

(١) الدر المصون (٧/٤٢٢).

(٢) البحر المحيط (٦/٨٣) وقد أشار إلى ما قاله ابن عطية.

(٣) انظر التحرير (١٥/٢٢٦).

(٤) غرائب التفسير (١/٦٤٤).

(٥) روح المعاني (١٥/١٨٥).

(٦) نسب قول : إن مسحوراً بمعنى ساحر لأبي عبيدة والقراء . انظر زاد المسير (٥/٩٤) ، والجامع لأحكام القرآن

(١٠/٣٣٦). ولم أره عند هذه الآية في كتابيها الخاز والمعاني. وفي المقابل : فسر الزمخشري الآية بالقول الذي رجحه

ابن عطية فقال في الكشاف (٢/٤٦٨) : ﴿مسحوراً﴾ سحرت فحولت عقلك . والمسألة في أصلها محل خلاف بين

نحوي الكوفة والبصرة ، انظر ما تقدم في هذا البحث عند قوله تعالى : ﴿وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾ سورة

النساء ، الآية : ٨٥.

٣- ولأن مخاطبة فرعون لموسى هي مخاطبة تنقص - كما قال ابن عطية - فيلائم هذا أن يكون (مسحوراً) على أباه ؛ لأن الساحر عندهم شأنه عظيم ، وعمله خطير.

٤- ولأن الظن المسند لفرعون لا يناسب معه أن يقال ﴿مسحوراً﴾ بمعنى ساحر ؛ لأن الخبيث فرعون قد جنم في مواطن أخرى أنه ساحر ، منها ما ذكره الله عنه بقوله : ﴿إن هذا لساحر عليم﴾^(١).

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿جئنا بكم لفيماً﴾ - : ((ووحده

اللفيف، وهو خبر عن الجميع ؛ لأنه بمعنى المصدر كقول القائل : لفته لفاً ولفيماً))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن ﴿لفيماً﴾

بمعنى المصدر فقال : ((واللفيف الجمع المختلط الذي قد لف بعضه ببعض، فليس ثم قبائل ولا الحياز.

وقال بعض اللغويين : هو من أسماء الجموع ، ولا واحد له من لفظه . وقال الطبري : هو بمعنى المصدر

كقول القائل : لفته لفاً ولفيماً. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي هذا نظر فتأمله))^(٢).

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم لخصه السمين بقوله : ((قوله تعالى : ﴿لفيماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما : أنه حال ، وأن أصله مصدر لف يلف لفيماً نحو : النذير والتكبير ، أي: جئنا بكم منضماً

بعضكم إلى بعض ، من لف الشيء يلفه لفاً ... والثاني : أنه اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والمعنى:

جئنا بكم جميعاً فهو في قوة التأكيد))^(٣).

وقد أشار إلى الخلاف غير السمين أيضاً^(٤). إلا أنني لم أر فيما اطلعت عليه من يذكر هذا الاستدراك

الذي أورده القاضي على الإمام الطبري ، ولم يفصح أبو محمد - عفا الله عنه - عن سبب الاستدراك،

ولعل النظر الذي يقصده أن سياق القرآن يتحدث عن جمع من الناس ، يأتون يوم القيامة في هيئة أخلاط

مجتمعين ، وهذا بالنسبة هؤلاء العدد يناسبه مذهب من فسر اللفيف بالجمعية.

أما تفسير الإمام الطبري فقد غطي^(٥) من شأن الجمعية فلا يناسب قوله: ﴿بكم﴾ ، ولولا هذه

الجمعية في ﴿بكم﴾ لكان المعنى يقبل المصدرية ، أما وقد صرح القرآن بلفظ الجمع في ﴿بكم﴾ فهذا

يناسبه تفسير اللفظ باسم الجمع^(٦) . والله أعلم.

(١) تفسير الطبري (١٦١/٨).

(٢) الخمر الوجيز (٢١٤/٩).

(٣) الدر المصون (٤٢٣/٧).

(٤) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣٠٥/٣).

(٥) غطي : أي وارى وستر . انظر لسان العرب (٩١/١٠) ((غطي)).

(٦) أفادني بهذا فضيلة الدكتور أحمد محمد الخراط ، وفقه الله تعالى.

سورة الكهف

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ - : ((وفي نصب قوله : ﴿أمداً﴾ وجهان . أحدهما : أن يكون منصوباً على التفسير من قوله : ﴿أحصى﴾ كأنه قيل : أي الحزبين أصوب عدداً لقدّر لبثهم . وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب ؛ لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء .

والآخر : أن يكون منصوباً بوقوع قوله : ﴿لبثوا﴾ عليه كأنه قال : أي الحزبين أحصى للبثهم غاية^(١) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذكره في الوجه الثاني فقال : ((وأما قوله تعالى : ﴿ أحصى ﴾ فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض ، و ﴿أمداً﴾ منصوب به على المفعول ... وقال الزجاج : ﴿ أحصى ﴾ هو أفعل ، و ﴿أمداً﴾ على هذا نصب على التفسير ، ويلحق هذا القول من الاختلال أن (أفعل) لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ ... وقال الطبري : نصب ﴿أمداً﴾ بـ ﴿لبثوا﴾ وهذا غير متجه^(٢) .

اختلف أهل العلم في وجه نصب ﴿أمداً﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : أن ﴿أمداً﴾ منصوب على أنه مفعول به للفعل الماضي ﴿أحصى﴾ وإليه ذهب أبو علي الفارسي والزمخشري وابن عطية^(٣) .

القول الثاني : أن ﴿أمداً﴾ منصوب على أنه تمييز ، ويكون ﴿أحصى﴾ أفعل تفضيل . ذكره الفراء والزجاج والعكبري وجهاً^(٤) .

القول الثالث : أن ﴿أحصى﴾ اسم ، و ﴿أمداً﴾ منصوب بفعل دل عليه الاسم . ذكره العكبري وجهاً^(٥) .

(١) تفسير الطبري (١٨٨/٨) .

(٢) المحرر الوجيز (٢٤٧/٩ ، ٢٤٨) .

(٣) انظر الكشاف (٤٧٤/٢) ، وأضواء البيان (٢٤/٤) .

(٤) انظر معاني القرآن (١٣٦/٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٧١/٣) ، والبيان في إعراب القرآن (٨٣٩/٢) .

(٥) انظر البيان (٨٣٩/٢) .

القول الرابع : أن ﴿أمدأ﴾ منصوب على أنه مفعول به للفعل ﴿لبشوا﴾ ذكره - أيضاً - الفراء والزجاج والطبري وجهاً^(١).

وقد اعترض أبو علي الفارسي والزمخشري وغيرهما على القول الثاني فقالوا : إن (أفعل) التفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ ، وأحصى فعل رباعي^(٢).

وأجاب أبو حيان بقوله : ((وقد ذكرنا أن ظاهر مذهب سيويه جواز بنائه من أفعل مطلقاً ، وأنه مذهب أبي إسحاق...))^(٣).

قلت : ذكر ابن عطية عدة أدلة لمذهب من جوز ذلك^(٤).

إلا أن الزمخشري - أيضاً - قال : إن أفعل لا يعمل. ورد ذلك الشيخ الشنقيطي^(٥) بقوله : ((... ليس بصحيح ؛ لأن صيغة التفضيل تعمل في التمييز بلا خلاف ، وعليه درج في الخلاصة بقوله :

والفاعل المعنى انصبين بأفعلا
مفضلاً كانت أعلى منزلاً))^(٦).

واعترض أيضاً الزمخشري على القول الثالث بقوله : ((فإن زعمت أنني أنصبه يا ضممار فعل يدل عليه أحصى... فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً ، ثم رجعت مضطراً إلى تقديره وإضمامه))^(٧).

وأما القول الرابع وهو الذي استدركه القاضي على الإمام الطبري فقد وقع فيه النزاع بين مؤيد ومعارض. فمن المعارضين له الزمخشري حيث قال : ((... وإما أن ينصب بلشوا فلا يسد عليه المعنى))^(٨).

وكذلك العكبري وصف هذا القول بالخطأ^(٩).

- (١) انظر معاني القرآن (١٣٦/٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٧١/٣).
- (٢) انظر الكشاف (٤٧٤/٢) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٣١٦/٣).
- (٣) البحر المحيط (١٠١/٦).
- (٤) انظر المحرر الوجيز (٢٤٨/٩).
- (٥) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، العلامة الفقيه المفسر (ت: ١٣٩٣هـ) انظر ترجمته الملحق بأضواء البيان (٣/١٠).
- (٦) انظر أضواء البيان (٢٦/٤).
- (٧) انظر الكشاف (٤٧٤/٢).
- (٨) الكشاف (٤٧٤/٢).
- (٩) انظر التبيان (٨٣٩/٢).

ومن قبل الزمخشري والعكبري استبعده بعض البعد أبو محمد مكي بن أبي طالب مبيناً السبب في ذلك فقال: ((وإذا نصبت أمداً بلبثوا فهو ظرف ، لكن يلزمك أن تكون عديت أحصى بحرف جر ؛ لأن التقدير: أحصى للبهيم في الأمد ، وهو مما لا يحتاج إلى حرف فيبعد ذلك بعض البعد ، فنصبه بأحصى أولى وأقوى))^(١).

وأبدى العلامة الألوسي سبباً آخر يتعلق بالمعنى فقال : ((وإن نصب بلبثوا لا يكون المعنى سديداً ؛ لأن الضبط لمدة اللبث وأمه ، لا للبث في الأمد))^(٢).

وقد حاول أبو حيان أن يجد لقول من نصب ﴿أمداً﴾ على أنه مفعول لبثوا مخرجاً فقال : ((... ذهب الطبري إلى نصب أمداً بلبثوا . قال ابن عطية : وهذا غير متجه انتهى . وقد يتجه ذلك أن الأمد هو الغاية ، ويكون عبارة عن المدة من حيث إن للمدة غاية في أمد المدة على الحقيقة ، و (ما) بمعنى الذي ، و ﴿أمداً﴾ منتصب على إسقاط الحرف ، وتقديره لما لبثوا من أمد ، أي مدة ، ويصير من أمد تفسيراً لما انبههم^(٣) في لفظ ما لبثوا ، كقوله : ﴿ما ننسخ من آية﴾^(٤) ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾^(٥) ولما سقط الحرف وصل إليه الفعل))^(٦).

ولم يرض السمين بهذا فقال - معقباً على كلام شيخه - : ((قلت : يكفيه أن مثل ابن عطية جعله غير متجه ، وعلى تقدير ذلك فلا نسلم أن الطبري عنى نصبه بلبثوا مفعولاً به ، بل يجوز أن يكون عنى نصبه تمييزاً...))^(٧).

قلت : لم أر من يذكر هذا الذي جوزه السمين . والظاهر من كلام الطبري خلافه .

وقال الألوسي - بعد أن نقل توجيه أبي حيان - : ((وهو كما ترى))^(٨).

(١) مشكل إعراب القرآن (٤٣٨/١).

(٢) روح المعاني (٢١٤/١٥) . ومعنى قول الألوسي هذا ، أنه على حسب إعراب الطبري يكون المعنى (أحصى للبهيم في الأمد) ، والمعنى الواضح هو (أحصى لمدة لبهيم وأمه).

(٣) في طبعة دار الكتب العلمية ((لما أنبههم)) وهو خطأ ، والتصويب من الطبعة المصورة في دار الفكر.

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٠٦ .

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٢ .

(٦) البحر المحيط (١٠١/٦) .

(٧) الدر المنثور (٤٥٣/٧) .

(٨) روح المعاني (٢١٤/١٥) .

وهذه العبارة يستعملها في التعقيب على القول الذي لا يراه .

وبعد : فتعقبي على هذه المسألة بما يلي:

- ١- هذا القول ليس اختيار الإمام الطبري ، لكنه جوزة ، ويفهم ذلك بمراجعة نص كلامه ، فلو قال أبو محمد ابن عطية: جوزة الإمام الطبري بدلاً من قوله : وقال الطبري ، أو قال : ذكره الإمام الطبري وجهاً لكان أولى من العبارة التي جاء بها فإنها توهم أن القول المعترض عليه هو قول الإمام الطبري.
- ٢- هذا القول تابعت أقوال جماعة من أهل العلم على رده وعلل بعضهم سبب رده بما قد سمعت مما يفيد أن وصف ابن عطية له بعدم الاتجاه هو كما قال ، وقد أغنانا الله عنه بغيره مما له اتجاه ، فتحمل الآية على القول الأول أو الثاني . والله أعلم.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً * إلا أن يشاء الله ﴾ - : ((وكان بعض أهل العربية يقول : جائز أن يكون معنى قوله : ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء من القول ، لا من الفعل ، كأن معناه عنده : لا تقولن قولاً إلا أن يشاء الله ذلك القول ، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري حكايته هذا القول فقال: ((... وقالت فرقة : قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء من قوله : ﴿ولا تقولن﴾ . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه ، وهو من الفساد بحيث كان من الواجب ألا يحكى))^(٢).

هذه المسألة البحث فيها من وجهين :

الوجه الأول : ذكر آراء العلماء في هذا الاستدراك : من العلماء من نقل استدراك ابن عطية هذا نقل المسلم به ، وهو القرطبي وابن جزري^(٣).

ومنهم من ذكره وعقب عليه بما يفيد عدم الرضى عنه ، وأعني بهذا أبا حيان ، فإنه قال - بعد أن نقله - : ((وتقدم تخريج الزمخشري ذلك على أن يكون متعلقاً بالنهي))^(٤).

وكذلك الألوسي وصف ما قاله ابن عطية بأنه اغترار وخروج عن الإنصاف فقال: ((﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء متعلق بالنهي على ما اختاره جمع من المحققين ، وقول ابن عطية اغتراراً برد الطبري إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يحكى خروج عن الإنصاف))^(٥).

الوجه الثاني بيان الراجح في هذه المسألة : الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد فإن هذا القول له وجه صحيح يحمل عليه ذكره الزمخشري بقوله: ((وتعلقه بالنهي على وجهين . أحدهما : ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك

(١) تفسير الطبري (٢٠٨/٨).

(٢) اغترر الوجيز (٢٧٧/٩).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٨٥/١٠) ، والنسبيل لعلوم التنزيل (٣٣٩/٢).

(٤) البحر الخيط (١١١/٦).

(٥) روح المعاني (٢٤٧/١٥ ، ٢٤٨).

فيه. والثاني : ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله ، أي إلا بمشيئة الله ، وهو في موضع الحال . يعني إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً إن شاء الله^(١).

وقد ذكر العلامة الألوسي أن هذا الوجه الذي أنكر ابن عطية مجرد حكايته اختاره جمع من المحققين. ثم هب أن هذا القول ضعيف أو باطل ، فلاضير على الإمام الطبري أن يحكيه إذا بين ما فيه . والله أعلم.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَيْغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ - ((وقوله : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقاً ، والمرتفق في كلام العرب : المتكأ ، يقال منه ارتفتقت إذا اتكأت ، كما قال الشاعر^(١)):

قالت له وارتفتقت ألافني يسوق بالقوم غزالات الضحى

أراد : واتكأت على مرفقها ، وقد ارتفق الرجل : إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم ... وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفتقت بك مرتفقاً . وكان مجاهد يتأول قوله : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ يعني المجتمع^(٢).

ثم ساق بسنده عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿مرتفقاً﴾ أي مجتمعاً^(٣).

ثم قال الإمام الطبري : ((ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب ، وإنما الارتفاق : افتعال ، إما من المرفق ، وإما من الرفق))^(٤).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأظهر في معنى مرتفقاً ما هو أعم مما ذكره الطبري، وكذلك استدرك على الطبري قوله : إن الارتفاق بمعنى الاجتماع لا يعرف في كلام العرب ، فقال في كل ذلك : ((والمرتفق الشيء الذي يرتفق به ، أي يطلب رفقه ، والمرتفق الذي هو المتكأ أخص من هذا الذي في الآية ، لأنه في شيء واحد من معنى الرفق ، على أن الطبري قد فسر الآية به ، والأظهر عندي أن يكون (المرتفق) بمعنى الشيء الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره . وقال مجاهد : المرتفق المجتمع . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : كأنه ذهب بها إلى موضع الرفاقة ، ومنه الرفق ، وهذا كله راجع إلى الرفق. وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد معنى ، والقول بين الوجه ، والله المعين))^(٥).

هذا الاستدراك الذي ذكره ابن عطية في ناحيتين :

الناحية الأولى : ما ذكره من أن الإمام الطبري فسر المرتفق بالمتكأ ، ثم رأى هو أن الأظهر أن يفسر بالشيء الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره.

(١) البيت. شطره الثاني في لسان العرب (٦٦/١٠) ((غزل)) وهو في الجامع لأحكام القرآن (٣٩٥/١٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢٠/٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٢٠/٨) وقد أخرجه أيضاً عنه من طريق ليث ، ومن طريق ابن جريج.

(٤) تفسير الطبري (٢٢٠/٨).

(٥) المحرر الوجيز (٢٩٩/٩).

الناحية الثانية : استدراكه على استدراك الإمام الطبري على قول مجاهد.
أما الناحية الأولى فالخلاف بين الإمامين فيها يسير إذ لا ^{يُصِفُ} القاضي ابن عطية ما ذهب إليه أنه
الأظهر إلا وما ذهب إليه الإمام الطبري ظاهر إن شاء الله تعالى.

والذي ذهب إليه الإمام الطبري في معنى ﴿مرتفقاً﴾ هو قول أبي عبيدة ، حيث قال: ((ووساءت
مرتفقاً ﴾ أي : متكتناً ...))^(١).

والذي ذهب إليه ابن عطية ، نقل نحوه ابن الجوزي عن ابن الأنباري^(٢) ، ضمن أقوال عدة ، قيلت
في معنى ﴿مرتفقاً﴾ فقال: ((﴿مرتفقاً﴾ فيه خمسة أقوال. أحدها : منزلاً قاله ابن عباس . والثاني:
مجتمعاً قاله مجاهد . والثالث : متكتناً ، قاله أبو عبيدة ... والرابع : ساءت مجلساً ، قاله ابن قتيبة .
والخامس : ساءت مطلباً للرفق ؛ لأن من طلب رفقاً من جهتها عدمه ، ذكره ابن الأنباري . ومعاني هذه
الأقوال تتقارب . وأصل المرفق في اللغة ما يرتفق به))^(٣).

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية في معنى ﴿مرتفقاً﴾ هو
الأظهر كما قال لأن فيه عموماً ، وما كان كذلك فهو أولى بالتقديم .

أما البحث في الناحية الثانية وهي استدراك ابن عطية على استدراك الإمام الطبري على قول مجاهد -
رحمه الله - فالبحث في ذلك على النحو التالي:

١- اتفق رأي بعض أهل العلم مع رأي ابن عطية على توجيه قول مجاهد ، وقبوله ، فقال القاضي
الماوردي والإمام القرطبي - بعد أن ذكرا قول مجاهد - : ((كأنه ذهب به إلى معنى المرافقة))^(٤).
وقال أبو حيان : ((وأنكر الطبري أنه يعرف لقول مجاهد معنى ، وليس كذلك كأن مجاهداً ذهب إلى
معنى الرفاقة ، ومنه الرفقة))^(٥).

وقال العلامة الألوسي : ((... وقيل موضع الترافق ، أي ساءت موضعاً للتوافق والتصاحب ، وكأنه
مراد مجاهد في تفسيره بالاجتماع ، فإنكار الطبري أن يكون له معنى مكابرة))^(٦).

(١) مجاز القرآن (١/٤٠٠).

(٢) ذكر أبو حيان في البحر (٦/١١٦) أن قول ابن عطية قريب من قول ابن الأنباري.

(٣) زاد المسير (٥/١٣٦).

(٤) النكت والعيون (٣/٣٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩٥).

(٥) البحر المحيط (٦/١١٦).

(٦) روح المعاني (١٥/٢٦٩).

٢- هناك من اقترب من الإمام ^{قوله} الطبري فعده قول مجاهد غريباً ، وهو المقرئ الكرمانى حيث قال - بعد أن فسر ﴿مرتفقاً﴾ بنحو ما ذهب إليه الإمام الطبري - : ((الغريب : مجاهد يجتمعان في معنى المرافقة...))^(١).

٣- الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية على الإمام الطبري - في هذه المسألة - وارد وأن قول الإمام مجاهد بن جبر مقبول ، ويوجه بما قاله أهل العلم سابقاً .
ومما يدل على صحة قول مجاهد ، قول ابن فارس : ((والرفقة : الجماعة ، ترافقهم في سفرك ، واشتقاقه من الباب ، للموافقة ، ولأنهم إذا تماشوا تحاذوا بمرافقهم ...))^(٢).

(١) غرائب التفسير (١/٦٥٩) . وقوله : ((بجتماع)) هكذا في نسخة غرائب التفسير التي وقنت عليها .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٤١٨) ((رفق)) ونحوه قال الجوهري . انظر مختار الصحاح ص(١٩١) ((رفق)).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ - :
 ((اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم
 معارضة ، لا أنه كان نسي عهده))^(١).

ثم ساق بسنده ((عن أبي بن كعب^(٢) الأنصاري في قوله: ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ قال: لم ينس،
 ولكنها من معارض الكلام))^(٣).

ثم قال : ((وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تؤاخذني بتركي عهدك . ووجهه أن معنى النسيان:
 الترك... والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذ به بما نسي فيه عهده
 من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه ، لا بما سأله عنه وهو لعهد ذاك للصحيح عن رسول الله ﷺ
 بأن ذلك من معناه...))^(٤).

ثم ساق بسنده ((عن أبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ قال: كانت
 الأولى من موسى نسياناً))^(٥).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري عدم بيان قول أبي الذي يخالف
 الحديث الذي رواه فقال: ((وروى الطبري عن أبي بن كعب أنه قال : إن موسى عليه السلام لم ينس ،
 ولكنها من معارض الكلام . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ومعنى هذا القول صحيح ، والطبري لم
 يبينه ، ووجهه عندي أن موسى عليه السلام إنما رأى العهد في أن يسأل ، ولم ير إنكار هذا الفعل الشيع
 سؤالاً ، بل رآه واجباً ، فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعم وجوهه فضمنه السؤال والمعارضة
 والإنكار وكل اعتراض - إذ السؤال أخف من هذه كلها - أخذ معه في باب المعارض التي هي مندوحة

(١) تفسير الطبري (٢٥٧/٨).

(٢) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري ، المقرئ البصري (ت : ٢٢٢ هـ على الراجح) انظر سير أعلام النبلاء (٣٨٩/١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٨/٨) قال: حدثت عن يحيى بن زياد قال : ثنا يحيى بن المهلب ، عن رجل ، عن سعيد
 ابن جبير ، عن أبي بن كعب ... إلخ . وهذا السند لا ينجح بمثله لأن الطبري لم يسم من حدثه ، والمهلب كذلك لم
 يسم الرجل الذي حدثه عن سعيد بن جبير . وأخرجه الفراء (١٥٥/٢) من طريق يحيى بن المهلب عن رجل عن المنهال
 عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، عن أبي . قال الحافظ في الفتح (٤١٩/٨) : وإسناده ضعيف ، والأول هو المعتمد
 ولو كانت هذا ثابتاً لاعتذر موسى عن الثانية وعن الثالثة بنحو ذلك . ويعني الحافظ بالمعتمد : أن الأولى كانت نسياناً.

(٤) تفسير الطبري (٢٥٨/٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٥٨/٨) ، وأخرجه البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤٠٩/٨) ، كتاب التفسير ، باب ﴿ورأى قال
 موسى لفتاه﴾ ح (٤٧٢٥) ، ومسلم في صحيحه (١٨٤٧/٤ - ١٨٥٠) ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر ،
 ح (٢٣٨٠) كلاهما من رواية أبي بن كعب.

عن الكذب ، فقال له : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ ولم يقل : (إني نسيت العهد) ، بل قال لفظاً يعطي للمتأول أنه نسي العهد ، ويستقيم أيضاً تأويله وطلبه مع أنه لم ينس العهد ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ كلام جيد طلبه ، وليس فيه للعهد ذكر ، هل نسيه أم لا ؟ وفيه تعريض أنه نسي العهد ، فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق ، وما يحل بهذا القول إلا أن الذي قاله - وهو أبي - روى عن النبي ﷺ أنه قال : (كانت الأولى نسياناً) ((^(١)).

حاصل الأقوال في قوله تعالى : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ ثلاثة أقوال ذكرها الإمام الطبري وغيره من المفسرين^(٢).

والقول الحق منها هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ أن قوله : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ يحمل على ظاهره ، وأن سؤال موسى في المرة الأولى كان نسياناً. وهذا الذي ذهب إليه جمهور المفسرين^(٣).

فإذا كان ذلك كذلك كان استدراك ابن عطية على الإمام الطبري بعدم بيان القول المخالف لما ثبت عن رسول الله ﷺ استدراكاً غير وارد ، إذ كيف نتكلف في بيان قول قد ثبت عن المعصوم خلافه ، والصحابي الذي يروى عنه خلاف تفسير الرسول هو نفسه قد روى لنا تفسير رسول الله ﷺ ، فلا يبقى إلا أن يقال : رواية المخالفة فيها نظر^(٤).

وقد قال أبو حيان - رحمه الله تعالى - كلاماً جيداً عند هذه المسألة ، وهو في الرقت نفسه تعقيب على ما فعله القاضي ابن عطية ، حيث قال - بعد أن ذكر الأقوال - : ((وقد بين ابن عطية كلام أبي بكلام طويل يوقف عليه في كتابه ، ولا يعتمد إلا قول الرسول : كانت الأولى من موسى نسياناً))^(٥).

(١) الخمر الوجيز (٩/٣٦٢ ، ٣٦٣).

(٢) انظر النكت والعيون (٣/٣٢٧) ، وزاد المسير (٥/١٧١).

(٣) انظر البحر الخيط (٦/١٤١).

(٤) تقدم أن السند الذي أخرجها به الطبري سند لا يحتاج به.

(٥) البحر الخيط (٦/١٤١).

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً ﴾ يقول تعالى ذكره : وأما الغلام فإنه كان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا أنه يرهقهما ، يقول : يغشيهما طغياناً ، وهو الاستكبار على الله ، وكفراً به...))^(١)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على هذا المنحى في التفسير أن اللفظ يدافعه ، وعلى القول به فالأظهر في غير هذا التوجيه الذي وجهه الإمام الطبري فقال : ((وقوله : ﴿ فخشينا ﴾ قيل : هو في جهة الخضر فهذا متخلص ، والضمير عندي للخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر ، وتكلموا فيه ، وقيل : هو في جهة الله تعالى ، وعبر عنه الخضر . قال الطبري : معناه : فعلمنا . وقال غيره : فكرهنا . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل - وإن كان اللفظ يدافعه - أنها استعارة ، أي : على ظن المخلوقين ، والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للأبوين ... وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى ، فإن جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية إنما هو بحسبكم أيها المخاطبون))^(٢)

هذه المسألة ذات شقين ، الشق الأول : استدراك القاضي ابن عطية على القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري بأن اللفظ يدافعه .

والشق الثاني : ذهابه إلى أن الأظهر - على القول الذي ذهب إليه الطبري - في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري .

وسأبدأ - بعون الله تعالى - بالشق الأول من هذا الاستدراك فأقول : ضمير الفاعل في قوله تعالى : ﴿ فخشينا ﴾ مختلف فيه على قولين^(٣) :

الأول : أنه يرجع إلى الخضر عليه السلام وإلى هذا القول ذهب كثير من المفسرين كما قال الإمام القرطبي^(٤) . وإلى هذا القول ذهب القاضي ابن عطية كما رأيت .

(١) تفسير الطبري (٢٦٥/٨) . ولا يظن أن الإمام الطبري يرجع الخشية وتفسيرها بالعلم إلى الخضر ، بل هو يرجع ذلك إلى الله ؛ لأنه قال : ((وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل...)) ثم ساق بسنده إلى قتادة أنه قال : وهي في مصحف عبد الله ((فخاف ربك أن يرهقهما طغياناً وكفراً)).

(٢) الخزر الوجيز (٣٨٢/٩) .

(٣) انظر زاد المسير (١٧٩/٥) .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٦/١١) . وقد أورد استدراك ابن عطية هو وأبو حيان كالمسلمين به .

الثاني : أن ضمير الفاعل في ﴿فخشينا﴾ يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو مقتضى تفسير الإمام الطبري ، وإليه ذهب الإمام الفراء^(١) . وجوزه أبو إسحاق الزجاج^(٢) .

والذي يظهر - في هذه المسألة ، والله أعلم - أن ما نحى إليه الإمام الطبري اللفظ يدافعه كما قال ابن عطية ؛ لأن الله قال في الآية التي بعد المختلف فيها: ﴿فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً﴾^(٣) ، وهذا ذكره الزجاج بقوله : ((وقال قوم لا يجوز أن يكون ﴿فخشينا﴾ عن الله ، وقالوا دليلنا على أن ﴿فخشينا﴾ من كلام الخضر قوله : ﴿فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً﴾^(٤)))^(٥) . إذاً هذا القول هو المتبادر الظاهر^(٦) من السياق فلا يعدل عنه إلا بدليل ، أضف إلى هذا أنه قول أكثر المفسرين كما قال القرطبي^(٧) . وهذا كله جعل الشوكاني يصف القول الآخر بالضعف جداً^(٨) .

أما الشق الثاني من الاستدراك فهو وصفه لما ذهب إليه - من أن ﴿فخشينا﴾ استعارة - أنه أظهر من قول الإمام الطبري من أن ذلك بمعنى العلم .

والقاضي ابن عطية بهذا الأسلوب لا يستبعد ما ذهب إليه الإمام الطبري ، بل مقتضى تعبيره أنه ظاهر .

والذي ذهب إليه الإمام الطبري قال به طائفة من علماء اللغة كالقراء وابن قتيبة ونقله أبو منصور وابن منظور^(٩) .

وما قاله ابن عطية نقله عنه القرطبي وأبو حيان نقل المقر له الراضي عنه^(١٠) .

(١) انظر معاني القرآن (١٥٧/٢) .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٠٥/٣) .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٨١ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٨١ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣٠٥/٣) .

(٦) ممن وصفه بأنه ظاهر القرآن الطبيعي والألوسي . انظر روح المعاني (١١/١٦) .

(٧) تقدمت الإشارة إلى مكان ذلك .

(٨) انظر فتح القدير (٣٠٤/٣) .

(٩) انظر معاني القرآن (١٥٧/٢) ، وتأويل مشكل القرآن (١٩٠) ، وتهذيب اللغة (٤٦٣/٧) ، ولسان العرب

(٤/١٠٦) . كلاهما في ((حشي)) .

(١٠) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٧/١١) ، والبحر المحيط (١٤٧/٦) .

وما ذهب إليه الإمام الطبري ما هو عند التحقيق إلا مجاز ؛ لأن حقيقة الخشية : الخوف من توقع مكروه في المستقبل^(١).

وإنما استجاز العلماء أن يقولوا : إن الخشية بمعنى العلم ؛ لأنها عنه تكون - غالباً - ولذلك خص العلماء بها في قوله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

وحقيقة قول ابن عطية أن ما هو حقيقة في جانب المخلوق ، استعير في جانب الخالق ليفهم من خوطب بهذا القرآن .

وبعد : فالقولان مقول بهما فيما هو نظير هذه المسألة وهي ((عسى ، ولعل))^(٣).

وكلا القولين في نظري حسن قوي فبأيهما قال المفسر فمصيب إن شاء الله تعالى.

والزر كشي^(٤) - رحمه الله تعالى - قد ذكر كلاماً جيداً في (عسى ولعل) يصلح أن يطبق في قوله :

﴿فَخَشِينَا﴾ على التسليم أن ذلك في جهة الله ، حيث قال : ((والوجه في استعمال هذه الألفاظ أن

الأمر الممكنة لما كان الخلق يشكون فيها ولا يقطعون على الكائن منها ، وكان الله يعلم الكائن منها

على الصحة ، صارت لها نسبتان نسبة إلى الله تعالى ، تسمى نسبة قطع ويقين ، ونسبة إلى المخلوق

وتسمى نسبة شك وظن ، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ما هي عليه عند الله

كقوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾^(٥).

وتارة بلفظ الشك بحسب ما هي عليه عند المخلوقين كقوله : ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو

أمر من عنده ﴾^(٦).

(١) انظر كتاب التعريفات للجرجاني ص(٩٨).

(٢) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ . وانظر المفردات ص(١٤٩) . وذكر ابن قتيبة : أن الخشية والخوف تفسران بالعلم ؛ لأن

فيهما طرفاً منه . انظر المشكل ص(١٩١).

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن (٤/١٥٨ ، ١٥٩).

(٤) محمد بن عبد الله بن بهادر ، العلامة الشافعي (ت: ٧٩٤هـ) . انظر الأعلام (٦/٦٠).

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٥٢ .

(٧) البرهان في علوم القرآن (٤/١٥٨ ، ١٥٩).

عليه السلام

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، بعد أن انتهى من تفسير قصة موسى ^{عليه السلام} وصاحبه - : ((وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بها عن موسى وصاحبه ، تأديب منه له ، وتقديم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه ، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين ، بما قد يجري مثله أحياناً لأوليائه ، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها ، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى ، إذ لم يكن عالماً بعواقبها وهي ماضية على الصحة في الحقيقة ، وآئلة إلى الصواب في العاقبة ، ينسب عن صحة ذلك قوله: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه ، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب هؤلاء المشركين ، بغير نظر منه لهم ، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم ، نظراً منه لهم ، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أن هذا الرابط الذي استنبطه فيه تعسف فقال: ((وانتزع الطبري من اتصال هذه القصة بقوله تبارك وتعالى : ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ أن هذه القصة إنما جلبت على معنى المثل للنبي ﷺ في قومه ، أي: لا تهتم باملاء الله لهم ، وإجراء النعم لهم على ظاهرها ، فإن البواطن سائرة إلى الانتقام منهم ، ونحو هذا مما هو محتمل لكن بتعسف ما فتأمله))^(٢).

الذي يبدو - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري محتمل من غير تعسف ، ويؤيده أمران:
الأول : أن السورة التي ذكرت فيها قصة موسى مع صاحبه نزلت في العهد المكّي الذي كان فيه الصولة لأهل الكفر والطغيان.

(١) تفسير الطبري (٨/٢٧٠).

(٢) ائخر الوجيز (٩/٣٨٧).

الثاني : أن الإمام الطبري قد نحي في ذكر هذا الرابط منحى جيداً وهو تثبت فؤاد الرسول ﷺ وأتباعه دعاء الحق ، وهذا معنى نص الله تعالى في كتابه أنه مراد في ذكر قصص الأنبياء لرسولنا ﷺ ولمن اتبعه فقال: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾^(١).

٧- فسر الإمام الطبري قوله تعالى : ﴿ وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ بقوله : ((وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور ، فأظهرناها للكافرين بالله ، حتى يروها ويعاينوها كهينة السراب...))^(١) ثم قال : ((وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)) ثم ساق بسنده حديثاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٢) ، قال : ((يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور قيام رجل واحد ، ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال : فيلقى اليهود فيقول : من تعبدون؟ قال فيقولون: نعبد عزيراً . قال : فيقول : هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم. فيريهم جهنم وهي كهينة السراب ، ثم قرأ ﴿وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح . فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم. قال : فيريهم جهنم وهي كهينة السراب . ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً ، ثم قرأ عبد الله ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٣) ((٤)).

(١) تفسير الطبري (٢٩١/٨).

(٢) لم يذكر الطبري غير عبد الله ، إلا أنه من الواضح أنه يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ لأن أبا الزعراء من تلاميذه.

(٣) سورة الصافات ، الآية : ٢٤ .

(٤) هذا الأثر الذي هو في حكم المرفوع أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٢٩١/٨) قال حدثنا محمد بن بشار ، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال: ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال... إلخ. وهذا إسناد صحيح فمحمد بن بشار ثقة حافظ من العاشرة ، وعبد الرحمن بن مهدي ثقة من التاسعة ، وسفيان بن سعيد الثوري ثقة حافظ فقيه من السابعة ، وسلمة بن كهيل الخضرسي الكوفي ثقة ثبت من الرابعة ، وأبو الزعراء عبد الله بن هانئ وثقة العجلي من الثانية . هذا كلام حافظ في الرواة باختصار من التقريب الأرقام بالترتيب (٥٧٥٤ ، ٤٠١٨ ، ٢٤٤٥ ، ٢٥٠٨ ، ٣٦٧٧). وكل واحد من هؤلاء معدود في تلاميذ من روى عنه . انظر السير (١٢/١٤٤)، والكاشف (١/٣٠٠ ، ٣٠١) (٢/١٢٣). وهذا الحديث له شاهد في صحيح البخاري - مع الفتح - (١٣/٤٢٠ ، ٤٢١) ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ، ح(٧٤٣٩) عن أبي سعيد الخدري قال : ((قلنا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟ قلنا: لا . قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتيما . ثم قال : يناد مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، كل آفة مع آفتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغيرات من أهل النكاح ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون؟ قالوا نريد أن تسقينا . فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم . ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا . فيقال: اشربوا، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد الله...)).

ووصف القاضي ابن عطية ، رحمه الله تعالى ، ما رواه الإمام الطبري - مستدلاً به على تفسيره - بأنه لا صحة له فقال : ((وقوله : ﴿وعرضنا جهنم﴾ معناه : أبرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم ، ثم أكد بالمصدر عبارة عن شدة الحال . وروى الطبري في هذا حديثاً ، مضمناً أن النار ترفع لليهود والنصارى كأنها السراب ، فيقال لهم : هل لكم في الماء حاجة؟ فيقولون : نعم ، ونحو هذا مما لا صحة له))^(١) .

لم يبين أبو محمد السبب في إطلاق وصف عدم الصحة على هذا الحديث الذي رواه الإمام الطبري - مستدلاً به على تفسيره - والذي ظهر لي أن هذا الحديث صحيح الإسناد ، وليس هناك ما يدفعه عقلاً ، ولا نقلاً .

نعم في رواته من قد طعن فيه بعض الأئمة^(٢) إلا أن الراجح في حقه أنه ثقة ، وعلى التسليم ببعض هذه الطعون فإنها لا تصل بالأثر الذي رواه إلى إطلاق عدم الصحة عليه . والله أعلم .

(١) المحرر الوجيز (٤١١/٩) .

(٢) أعني بذلك أهل الزعراء ، وثقه العجلي وابن سعد وذكره ابن حبان في الثقات . وقال الإمام البخاري : لا يتابع في حديثه . انظر تهذيب التهذيب (٦١/٦) .

سورة مريم

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ يقول : وأمان من الله يوم ولد ، من أن يناله الشيطان من السوء ، بما ينال به بني آدم ؛ وذلك أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأظهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال : ((قوله تعالى : ﴿وسلام عليه﴾ قال الطبري وغيره : معناه أمان. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة ، فهي أشرف وأشبه من الأمان ؛ لأن الأمان متحصل له ، بنفي^(٢) العصيان عنه ، وهي أقل درجاته ، وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقير إلى الله تعالى عظيم الحول))^(٣).

ما ذكره الإمام الطبري والقاضي ابن عطية قولان في معنى الآية ، ثالثهما السلام بمعنى السلامة^(٤) وما ذهب إليه الإمام الطبري ذكره بعض أهل اللغة في معنى السلام^(٥).

وما ذهب إليه الإمام ابن عطية وصفه أبو عبد الله القرطبي - بعد نقله - بأنه قول حسن^(٦).

ونقل أبو حيان القولين منسوبين ولم يعلق على ذلك بشيء ، وكذلك فعل الشوكاني والألوسي^(٧).

(١) تفسير الطبري (٣١٨/٨). وهذا الحديث أخرجه من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ذلك. وأخرجه عن ابن المسيب مراسلاً. وقد تعقب ابن كثير الطريق الأولى بأن فيها ابن إسحاق وقد عنعن وهو مدلس. والطريق الثانية تعقبها بإرسال سعيد بن المسيب. وذكر ابن كثير أن الإمام أحمد أخرجه من رواية ابن عباس وتعقب ذلك بأن في الطريق علي بن زيد بن جدعان وله منكرات كثيرة. انظر كل هذا في تفسير ابن كثير (١١٥/٣).

(٢) في النسخة القطرية ((فيئتي)) والتصويب من النسخة المغربية ، والجامع لأحكام القرآن (٨٨/١١).

(٣) اخرج الرحيز (٤٤٠/٩) وفي نسخته المغربية والقطرية ((إلى الله وعظيم الهول)) والتصويب من الجامع لأحكام القرآن (٨٨/١١) ففيه نقلاً عن اخرج ((إلى الله تعالى عظيم الحول)).

(٤) انظر زاد المسير (٢١٥/٥) فقد أورد المعنى الثالث منسوباً لابن السائب ، ونسب ما ذهب إليه ابن عطية إلى عطاء.

(٥) انظر تهذيب اللغة (٤٤٧/١٢) ، والمعجم الوسيط (٤٦٣/١) ((سلم)).

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٩/١١) وقد ذكر القرطبي أيضاً أن معنى هذا القول جاء عن سفيان بن عيينة.

(٧) انظر البحر المحيط (١٦٨/٦) ، وفتح القدير (٣٢٦/٣) ، وروح المعاني (٧٣/١٦ ، ٧٤).

غير أن الظاهر من سكوت هؤلاء الثلاثة التسليم بما وصفه القاضي ابن عطية أنه الأظهر. والذي يبدو - والله أعلم - أن ما وصفه ابن عطية بأنه الأظهر هو كذلك لما ذكره من تعليل بديع؛ ولأن الله تعالى عندما بشر زكريا بيحيى ، بشره أيضاً أنه نبي صالح حضور ، وهذا جاء ذكره في قوله: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين﴾^(١) فهذه صفات تفيد أن الأمان حاصل له مما يجعلنا نحمل قوله: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ على ظاهره من أنه السلام المعروف. ومما يؤيد أن هذا القول أظهر أنه ليس بدعاً في تفسير الآية ، فإنه قد جاء عن بعض السلف ما يفيد أنهم يفسرون الآية بهذا^(٢). والله أعلم.

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٩ .

(٢) انظر زاد المسير (٢١٥/٥) فقد ذكر عن عطاء أنه قال: سلام عليه مني في هذه الأيام.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ يقول : يا أبتِ إِنِّي أعلمُ أنك إن مت على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ... والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم في قوله: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يَرهَقَهُمَا طَغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(١))).^(٢)

وذهب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - إلى أن الظاهر أن يبقى الخوف على بابه فقال: ((وقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ قال الطبري وغيره: أخاف بمعنى أعلم. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والظاهر عندي أنه خوف على بابه ؛ وذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يكن في وقت هذه المقالة آيساً من أبيه، فكان يرجو ذلك ، وكان يخاف ألا يؤمن ، ويتمادي على كفره إلى الموت فيمسه العذاب))^(٣).

ما ذهب إليه الإمام الطبري هو قول الفراء من قبله^(٤). وبه فسر أبو الليث والبغوي^(٥).

وما ذهب إليه ابن عطية منسوب إلى أكثر المفسرين^(٦).

واختاره طائفة من المتأخرين واعتبروه الأولى في معنى الآية فقال الفخر الرازي : ((قال الفراء معنى أخاف أعلم . والأكثر على أنه محمول على ظاهره ، والقول الأول إنما يصح لو كان إبراهيم عليه السلام عالماً بأن أباه سيموت على ذلك الكفر ، وذلك لم يثبت فوجب إجراؤه على ظاهره ، فإنه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل الثواب ، ويجوز أن يصر فيموت على الكفر ، فيكون من أهل العقاب، ومن كان كذلك كان خائفاً لا قاطعاً))^(٧).

وذكر الخازن نحو قول الرازي ثم قال : ((فحمل الخوف على ظاهره أولى))^(٨).

(١) سورة الكهف ، الآية : ٨٠.

(٢) تفسير الطبري (٣٤٧/٨).

(٣) انحرر الوجيز (٤٧٧/٩).

(٤) انظر معاني القرآن (١٦٩/٢).

(٥) انظر بحر العلوم (٣٢٥/٢) ، ومعالم التنزيل (١٩٧/٣).

(٦) قاله الرازي وأجمل والشوكاني . انظر التفسير الكبير (١٩٣/٢١)، والفتوحات الإلهية (٦٥/٣) ، وفتح التدبير

(٣٣٦/٣).

(٧) التفسير الكبير (١٩٣/٢١).

(٨) تفسير الخازن (٢٤٨/٣).

وقال أبو حيان - بعد أن ذكر قول الفراء والطبري - : ((والأولى حمل أخاف على موضوعه الأصلي؛ لأنه لن يكن آيساً من إيمانه ، بل كان راجياً له وخائفاً أن لا يؤمن ، وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب))^(١).

وما ذكره أبو حيان من تعليل هو نفس تعليل القاضي ابن عطية ، فعليه اطلع على هذه المسألة في تفسيره.

وقال الألوسي - بعد أن فسر الآية على قول الجمهور - : ((وحمله الفراء والطبري على العلم وليس بذلك))^(٢).

وبعد : فالإمام الطبري - رحمه الله تعالى - إنما فسر الخوف بالعلم بشرط الموافاة على الكفر ، وهذا تفسير مقبول بعكس من أطلق ولم يقيد بالموافاة كالفراء وغيره ومع ذلك فحمل الخوف على ظاهره هو الظاهر كما قال ابن عطية وذلك للأسباب التالية:

- ١- أن هذا هو ظاهر القرآن ، ولا صارف عن هذا الظاهر.
- ٢- أن هذا الظاهر هو المناسب أن يقال للمدعو في مثل هذه الحال ففيه من التلطف ما ليس في التفسير الآخر ، وهو المناسب لحلم إبراهيم وحكمته في الدعوة.
- ٣- ولما ذكره المفسرون - ومنهم القاضي - من أن إبراهيم عليه السلام لم يكن آيساً من إيمان أبيه ، وقت هذه المقابلة.

قلت : وما قالوه من تعليل يدل له قول الله تعالى : ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾^(٣) وإنما تبين له ذلك بموته على الكفر في قول طائفة من المفسرين^(٤) ، وهو الذي رجحه الإمام الطبري^(٥).
لكن هذا في نظري لا يدفع تفسير الإمام الطبري بالقيود المذكور ، وإنما يدفع قول من أطلق أن الخوف بمعنى العلم في هذه الآية.

(١) البحر المحيط (١٨٢/٦). والنص جاء في النسخة التي بين يدي ((لن يكن آيساً)).

(٢) روح المعاني (٩٧/١٦).

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١٤.

(٤) منهم ابن عباس ومجاهد وقتادة ، فقد جاء عن كل من طريق صحيح . انظر تفسير الطبري (٥١٩/١٤) ، (٥٢٠).

(٥) انظر تفسيره (٥٢٣/١٤).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ - : ((والبكي : جمع باك ، كما العتي جمع عات ، والجني جمع جاث ، فجمع وهو فاعل على فعول ، كما يجمع القاعد قعوداً ، والجالس جلوساً ، وكان القياس أن يكون : وبكواً ، وعتواً ، ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء ، كما قيل في جمع دلو (أدل) ، وفي جمع البهو (أبه) ، وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو ، فقلبت الواو ياء مجئها بعد الضمة استثقلاً ، وفي ذلك لغتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحدة علماء من القراء بالقرآن بكوا وعتوا بالضم ، وبكياً وعتياً بالكسر . وقد يجوز أن يكون البكي هو البكاء بعينه))^(١).

ثم ساق بسنده إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قرأ سورة مريم فسجد وقال : ((هذا السجود فأين البكي؟))^(٢) يريد : فأين البكاء^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وغيره بأن ما ذهبوا إليه من الاستدلال ^{بالدست} بتخليليت فاسد ، فقال : ((﴿وبكياً﴾ قالت فرقة هو جمع باك كما يجمع عات وجاث على عتي وجثي . وقالت فرقة : هو مصدر بمعنى البكاء ، والتقدير : وبكوا بكياً . واحتج الطبري ومكي لهذا القول بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه روي أنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال : هذا السجود ، فأين البكي ؟ يعني البكاء .

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : واحتجاجهما بهذا فاسد ؛ لأنه يحتمل أن يريد عمر - رضي الله عنه - فأين الباكون ؟ فلا حجة فيه لهذا))^(٤).

محل الاستدراك في هذه المسألة هو على استدلال الإمام الطبري ^{بالدست} بتخليليت على جعل ﴿بكياً﴾ مصدراً بمعنى البكاء .

(١) تفسير الطبري (٣٥٣/٨ ، ٣٥٤).

(٢) أخرجه في تفسيره (٣٥٤/٨) عن إبراهيم قال قرأ عمر... إلخ ، وأورده ابن كثير في تفسيره (١٢٨/٣) وقال: رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وسقط من روايته ذكر أبي معمر فيما رأيت . وأورده السيوطي في الدر (٢٧٧/٤) ونسب إخراجه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن أبي الدنيا والبيهقي . وعنده بلفظ ((فأين البكاء)) وهو حجة على ابن عطية إن ثبت بهذا اللفظ .

(٣) تفسير الطبري (٣٥٤/٨).

(٤) اخرز الوجيز (٤٩١/٩).

وما ذهب إليه الإمام الطبري من استدلال بهذا الأثر على جعل ﴿بكياً﴾ مصدراً وافقه عليه الإمام مكي وأشار العلامة الألوسي إلى أنه ربما يقتضيه هذا الأثر المروي عن عمر رضي الله عنه^(١).
والذي يظهر لي - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري ومن وافقه، وذلك للأسباب التالية:

- ١- أن الظاهر من كلام القاضي أنه يجوز إعراب ﴿بكياً﴾ مصدراً ، فإذا كان ذلك كذلك فما جاء في الأثر هو نظيره لا فرق.
- ٢- لم يذكر أبو محمد - رحمه الله - حجة على فساد الاستدلال بهذا الأثر إلا أنه يحتمل وجهاً آخر، وهذا ليس بدليل.

(١) انظر روح المعاني (١٠٨/١٦).

سورة طه

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿ولتعلمن أبنا أشد عذاباً وأبقى﴾

يقول : ولتعلمن أيها السحرة أبنا أشد عذاباً لكم ، وأدوم ، أنا أو موسى))^(١).

وفسر القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على خلاف تفسير الطبري ، ووصف تفسيره بأنه أذهب

مع مخرقة^(٢) فرعون فقال : ((وقوله : ﴿أبنا﴾ يريد نفسه ورب موسى عليه السلام . وقال الطبري : يريد

نفسه وموسى عليه السلام ، والأول أذهب مع مخرقة فرعون))^(٣).

حاصل الخلاف بين الإمامين في لفظ ﴿أبنا﴾ فالإمام الطبري يرى أن معناه (أنا أو موسى) وابن عطية

يرى أن معناه (أنا أو رب موسى) ، وهو استدراك ما أراد منه ابن عطية رد قول الإمام الطبري ، وإنما

أراد تقديم قوله للعلة التي ذكرها ، وفي هذا استدراك بالإشارة ، لا بالتصريح.

وما فسر به كل من الطبري وابن عطية هما قولان لأهل التفسير في معنى الآية^(٤).

وقد ذهب الزمخشري إلى قول الإمام الطبري ، وذكر له أدلة فقال : ((﴿أبنا﴾ يريد نفسه لعنه الله

وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله : ﴿آمنتُم له﴾ واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله تعالى

كقوله تعالى : ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾^(٥).

وفيه نفاجة^(٦) باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب ، وتوضيح لموسى

عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به ؛ لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء))^(٧).

وتابعه على هذا القول والتدليل الفخر الرازي ، والبيضاوي ، وأبو السعود^(٨).

(١) تفسير الطبري (٤٣٦/٨).

(٢) المخرق: الممؤه . لسان العرب (٤٦/١٣) ((مخرق)).

(٣) اخبر الوجيز (٥٧/١٠).

(٤) انظر تفسير النسفي (٥٩/٣) ، وفتح القدير (٣٧٦/٣).

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٦١ .

(٦) وفيه نفاجة: أي تعظم وتكبر . انظر لسان العرب (٢٢٤/١٤) ((نفع)).

(٧) الكشاف (٥٤٦/٢).

(٨) انظر التفسير الكبير (٧٦/٢) ، وتفسير البيضاوي (٥٥/٢) ، وتفسير أبي السعود (٢٩/٦).

وجنح أبو حيان والثعالبي إلى القول الذي ذهب إليه ابن عطية ، وعلا بتعليقه^(١).
 وإلى هذا القول ذهب ابن عاشور ، وذكر أدلته على ذلك فقال : ((و﴿أينا﴾ استفهام عن مشتركين
 في شدة التعذيب ... وأراد بالمشتركين نفسه ورب موسى سبحانه ؛ لأنه علم من قولهم : ﴿آمنا برب
 هارون وموسى﴾^(٢) أن الذي حملهم على الإيمان به ما قدم لهم موسى من الموعدة حين قال لهم بمسمع
 من فرعون : ﴿ويلكم لا تفترؤا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب﴾^(٣) أي وستجدون عذابي أشد
 من العذاب الذي حذرتموه ، وهذا من غروره . ويدل على أن ذلك مراد فرعون ما قابل به المؤمنون
 قوله : ﴿أينا أشد عذاباً وأبقى﴾ بقولهم : ﴿والله خير وأبقى﴾^(٤) أي خير منك وأبقى عملاً من
 عملك ، فتوابه خير من رضاك ، وعذابه أشد من عذابك))^(٥).

وبعد : فالقولان لكل منهما اتجاه ، وأدلة ، وبكل قال أئمة ، إلا أن الذي يبدو لي - والله أعلم - أن
 ما ذهب إليه القاضي ابن عطية ومن معه أظهر ؛ وذلك لقوة دلالة الأدلة التي نزع بها العلامة ابن
 عاشور ، والقاضي ابن عطية لهذا المعنى.

وأما قول أبي القاسم الرمخشري أن وصفه عذابه بأنه أشد وأبقى من عذاب موسى فيه نفاضة ،
 باقتداره وقهره - ويعني بالنفاضة التعظيم والتكبر - أقول يناسب هذا أن يجعل مقصد الخبيث المفاضلة
 بين عذابه وعذاب الله تعالى.

وقول أبي القاسم أيضاً : إن هذه المفاضلة بينه وبين عذاب موسى من باب السخرية والاستهزاء لأن
 موسى لم يكن من التعذيب في شيء.

أقول : الظاهر أن الموقف لا يناسب السخرية والاستهزاء ؛ لأنه موقف مهزوم مغلوب ، وإنما الواقع
 أن فرعون كان يملك قوتين قوة معنوية ، وقوة مادية ، فقدم القوة المعنوية لأنها القوة المناسبة لما جاء به
 موسى في نظره فلما انهزمت لم يبق أمامه إلا الوعيد بوصف قوته المادية - التي ظن أن السحرة إنما

(١) انظر البحر اخطيط (٢٤٣/٦) ، والجواهر الحسان (٥٢/٣).

(٢) سورة طه ، الآية : ٧٠.

(٣) سورة طه ، الآية : ٦١.

(٤) سورة طه ، الآية : ٧٣.

(٥) التحريض والتنوير (٢٦٥/١٦).

انهزموا بسبب ما هو من جنسها ؛ لأن موسى قد خوفهم بذلك بقوله : ﴿ لا تفتروا على الله كذباً
فيسحتكم بعذاب ﴾^(١) - بأنها أشد من عذاب الله الذي خوفهم به موسى عليه السلام.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ يقول تعالى ذكره : وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصر لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي ويخالفوا أمري ، ويتكفوا طاعتي ، ويتبعوا أمر عدوهم إبليس ، ويطيعوه في خلاف أمري ، فقدماً ما فعل ذلك أبوهم آدم))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري جعله آدم مثلاً للكفار فقال: ((قال الطبري رحمه الله : المعنى : وإن يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رسلي ، ويطيعوا إبليس ، فقدماً فعل ذلك أبوهم آدم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا تأويل ضعيف ؛ وذلك أن كون آدم مثلاً للكفار الجاحدين ليس بشيء ، وآدم إنما عصى بتأويل ، ففي هذا غضاضة عليه ﷺ . وإما الظاهر في هذه الآية : إما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله ، وإما^(٢) أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد ﷺ ألا يعجل بالقرآن مثل له نبي قبله عهد إليه فنسي فعوقب لتكون أشد في التحذير ، وأبلغ في العهد إلى محمد ﷺ))^(٣).

وما ذهب إليه الإمام الطبري تابعه جماعة المفسرين فيه ، فقالوا - في معنى الآية - بنحو قوله ، قال الواحدي : ((هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي ، وهم الذي ذكر في قوله: ﴿ لعلمهم يتقون ﴾^(٤) ، والمعنى أنهم إن نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه فنسي))^(٥).

وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم ﴾ أي أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي . وتركوا الإيمان بي ، وهم الذين ذكرهم في قوله : ﴿ لعلمهم يتقون ﴾^(٦) والمعنى أنهم إن نقضوا العهد ، فإن آدم قد عهدنا إليه فنسي))^(٧).

(١) تفسير الطبري (٤٦٥/٨).

(٢) في القطرية ((وإنما)) والتصويب من المغربية.

(٣) انحرر الوجيز (١٠٠/١٠).

(٤) سورة طه ، الآية : ١١٣ .

(٥) الوسيط (٢٢٣/٣ ، ٢٢٤).

(٦) سورة طه ، الآية : ١١٣ .

(٧) زاد المسير (٣٢٧/٥ ، ٣٢٨).

ونحو قول الإمام الطبري - أيضاً - قال الرازي في مناسبة الآية لما قبلها ، وكذلك الإمام البغوي فسر الآية بنحو هذا . وكذلك فعل الزمخشري والنسفي وأبو السعود^(١).

وهذا الاستدراك الذي قاله ابن عطية نقله القرطبي وأبو حيان والشوكاني ، ولزموا السكوت فلم يؤيدوه ولم يعارضوه ، غير أن تفسيرهم للآية يشير إلى أنهم لا يستبعدون رأي الإمام الطبري^(٢).
وأما العلامة الألوسي فهو الآخر نقل هذا الاستدراك ، وقضى للإمام الطبري على ابن عطية ، فقال :
(والإنصاف يقضي بحسنه فلا تلتفت إلى ما قيل إن فيه نظراً)^(٣).

والذي يظهر - والله أعلم - أن ما علل به القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - يقضي بحسن استدراكه ، أضف إلى ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام قد تاب ، فتاب الله عليه ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فلا ينبغي أن تجعل معصيته مثلاً ، قال القاضي ابن العربي : ((وجاز للمولى أن يقول في عبده : عصي تحقيراً وتعدياً ، ويعود عليه بفضلته فيقول : نسي تنزيهاً ، ولا يجوز لأحد منا أن يخبر بذلك عن آدم ، إلا إذا ذكرناه في أثناء قول الله عنه ، أو قول نبيه ، وأما أن نبتدئ في ذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا في آباننا الأدين إلينا ، المماثلين لنا ، فكيف بأينا الأقدم الأعظم ، النبي المقدم ، الذي عذره الله ، وتاب عليه ، وغفر له)^(٤).

قلت : وأيضاً ففرق كبير بين المعصيتين ، فمعصية آدم معصية ذنب ، ومعصيتهم معصية كفر ، فلا تتأتى المشابهة بين المعصيتين . والله أعلم.

(١) انظر التفسير الكبير (١٠٧/٢٢) ، ومعالم التنزيل (٢٣٣/٣) ، والكشاف (٥٥٥/٢) ، وتفسير النسفي (٦٧/٣) ،

وتفسير أبي السعود (٤٤/٦).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١١) ، والبحر المحيط (٢٦٢/٦) ، وفتح القدير (٣٨٩/٣).

(٣) روح المعاني (٢٦٩/١٦).

(٤) أحكام القرآن (١٢٦١/٣).

سورة الحج

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ لبس المولى ولبس العشير ﴾ - : ((وقوله : ﴿لبس المولى﴾ يقول : لبس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف ، ﴿ولبس العشير﴾ يقول : ولبس الخليط المعاشر والصاحب هو ... وكان مجاهد يقول : عني بقوله : ﴿لبس المولى ولبس العشير﴾ الوثن ...))^(١).

واستظهر أبو محمد - رحمه الله تعالى - أن المراد بالمولى والعشير هو الوثن فقال : ((وذهب الطبري : إلى أن المراد بالمولى والعشير هو الإنسان الذي يعبد الله على حرف ، ويدعو الأصنام . والظاهر أن المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذي ضره أقرب من نفعه ، وهو قول مجاهد . والله أعلم))^(٢).
قول مجاهد الذي استظهره أبو محمد هو الذي عليه المفسرون - فيما رأيت - كأبي الليث ، والماوردي ، والواحدي ، والبعوي ، وابن كثير ، والسمين ، وابن عاشور ، والسعدي ، ومحمد الأمين الشنقيطي^(٣).

وهو الذي يبدو - والله أعلم - أنه المراد ؛ لأن هذا هو ظاهر القرآن الكريم كما أشار إليه أبو محمد ، ووافقه غيره من العلماء قال الإمام ابن كثير - بعد أن ذكر قول مجاهد والطبري - : ((وقول مجاهد إن المراد به الوثن أولى وأقرب إلى سياق الكلام))^(٤).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي : ((والتحقيق أن المراد بالمولى والعشير المذموم في هذه الآية الكريمة ، هو المعبود الذي كانوا يدعون من دون الله ، كما هو الظاهر المتبادر من السياق))^(٥).
وكذلك ذكر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي أن قول مجاهد هو الظاهر^(٦).

(١) تفسير الطبري (١١٧/٩).

(٢) انحرر الوجيز (١٨٢/١١) الطبعة المغربية ، وفي الطبعة القطرية ما يفيد أن قول الطبري هو قول مجاهد وهذا مخالف لما في تفسير الإمام الطبري ، ولما عند الثعالبي الذي نقل بعض عبارة ابن عطية ، وإن لم ينسبها إليه.

(٣) انظر بحر العلوم (٣٨٧/٢) ، والنكت والعيون (١١/٤) ، والوسيط (٢٦٢/٣) ، ومعالم التنزيل (٢٧٧/٣) ، وتفسير ابن كثير (٢١١/٣) ، والدر المصون (٢٤١/٨) ، والتحرير والتنوير (٢١٦/١٧) ، وتيسير الكريم المنان (٣١١/٣) ، وأضواء البيان (٤٨/٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٢١١/٣).

(٥) أضواء البيان (٤٨/٥).

(٦) انظر الجواهر الحسان (١١٣/٣).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ - : ((... وأدخلت (إن) في خير (إن) الأولى لما ذكرت من المعنى ، وأن الكلام بمعنى الجزاء ، كأنه قيل : من كان على دين من هذه الأديان ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله . والعرب تدخل أحياناً في خير (إن) (إن) إذا كان خبر الاسم الأول في اسم مضاف إلى ذكره ، فتقول : إن عبد الله ، إن الخير عنده لكثير ، كما قال الشاعر^(١) :

إن الخليفة إن الله سربله
سربال ملك به ترجى الخواتيم^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وغيره جعلهم البيت كآلية ، فقال: ((دخلت إن على الخبر مؤكدة ، وحسن ذلك لطول الكلام فهي وما بعدها خبر (إن) الأولى ، وقرن الزجاج هذه الآية بقول الشاعر:

إن الخليفة إن الله سربله
سربال ملك به ترجى الخواتيم

نقله الطبري . قال القاضي أبو محمد رحمه الله وليس هذا البيت كآلية ؛ لأن الخبر في البيت قوله: (به) ترجى الخواتيم) وإن الثانية وجهلتها معترضة بين الكلامين^(٣).

ما ذهب إليه الإمام الطبري والزجاج من جعلهما البيت كآلية وافقهما عليه أئمة كالقراء والزمخشري، والرازي، والمنتجب ، والقرطبي ، والنيسابوري ، والسمين ، وابن عاشور ، والألوسي^(٤). وما ذهب إليه ابن عطية جنح إليه أبو حيان ، فقال - بعد أن نقل قول الزمخشري - : ((وظاهر هذا أنه شبه البيت بالآية ، وكذلك قرنه الزجاج بالآية ، ولا يتعين أن يكون البيت كآلية ؛ لأن البيت يحتمل



(١) هو جرير ، والبيت في ديوانه ص(٤٣١) دار صادر وصدره ((يكفي الخليفة إن الله سربله)) ولا شاهد فيه على هذه الرواية ، والبيت أيضاً في معاني القرآن للقراء (٢/٢١٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٤١٨) ، وفي لسان العرب (٤/٢٥٠) ((ختم)) وفي خزنة الأدب (١٠/٣٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٩/١٢١).

(٣) انحرر الرجز (١٠/٢٤٣ ، ٢٤٤) وفي الطبعة المغربية ((نقله من الطبري)) بدل قوله هنا ((نقله الطبري)).

(٤) انظر معاني القرآن (٢/٢١٨) ، والكشاف (٣/٨) ، والتفسير الكبير (٢٣/١٧) ، وانفريد في إعراب القرآن (٣/٥٢٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٣) ، ووضح الرهان (٢/٨٣) ، والدر المنصور (٨/٢٤٣) ، والتحرير والتنوير (١٧/٢٢٥) ، وروح المعاني (١٧/١٢٩ ، ١٣٠).

أن يكون خبر (إن الخليفة) قوله : (به ترجى الخواتيم) ، ويكون (إن الله سربله سربال ملك) جملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها ، بخلاف الآية فإنه يتعين قوله : ﴿إن الله يفصل﴾^(١).

وبعد فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي على الإمامين الطبري والزجاج غير وارد ؛ وذلك للأسباب التالية:

١- البيت المستشهد به يحتمل الوجهين - أي ما ذهب إليه الطبري وابن عطية - قال العلامة البغدادي بعد أن أورد البيت : ((وهنا وقعت جملة (إن الله سربله) خبراً لقوله (إن الخليفة) والرابط الهاء في سربله ... وجملة (به ترجى الخواتيم) صفة لملك ، والرابط الهاء في به . ويجوز أن تكون الجملة خبراً لـ (إن الخليفة) وحينئذ جملة (إن الله سربله لباس ملك) معترضة بين اسم إن وخبرها كما قال أبو حيان ، فتكون الهاء في (به) ضمير الخليفة ... ومثل الوجه الأول آية سورة الحج ، وهي : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾^(٢).

وكذلك أورده غير البغدادي من النحاة واستشهد به على الوجه الذي من أجله قرنه الإمام الطبري والزجاج بالآية^(٣).

فإذا كان ذلك كذلك لم يكن احتمال البيت للوجه الذي ذهب إليه أبو محمد بمسقط للوجه الآخر الذي ذهب إليه الإمام الطبري والزجاج.

٢- ولأنه يبعد أن يتتابع أئمة النحو والتفسير على جعل البيت كآية ما لم يكن كذلك ، ولهذا - والله أعلم - لم يجر أبو حيان - مع ميله إلى قول ابن عطية - على التصريح بنفي المماثلة ، بل قد جعل ما ذهب إليه أبو محمد مجرد احتمال ، يتبين ذلك بالرجوع إلى نص كلامه ، رحمه الله تعالى.

٣- ومما يدل على ضعف ما استند إليه أبو محمد أننا لو قلنا بهذا المنهج الذي ارتضاه لأسقط قوله هو في إعراب الآية لأنه يصح أن تعرب (إن) الثانية تكريماً للأولى ، ويصح أن يكون خبرها محذوفاً تقديره: مفترقون يوم القيامة ، والمذكور تفسير له^(٤).

(١) البحر المحيظ (٦/٢٣٣) . وقوله : يتعين قوله ﴿إن الله يفصل﴾ لم يوافقه عليه تلميذه السمين.

(٢) خزائن الأدب (١٠/٣٦٤ ، ٣٦٥).

(٣) انظر المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/٨٨٣).

(٤) انظر البيان في إعراب القرآن (٢/٩٣٦).

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ - : ((وأما قوله : ﴿ وبيع ﴾ فإنه يعني بها بيع النصارى . وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم مثل الذي قلنا في ذلك... وقال آخرون : عني بالبيع في هذا الموضع كنائس اليهود))^(١).

ثم ساق بسنده من طريق ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال : ﴿ وبيع ﴾ قال : وكنائس^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله عن مجاهد أنه قال: كنائس اليهود ، فقال : ((والبيع كنائس النصارى ، واحدها بيعة ، وقال الطبري : وقيل: هي كنائس اليهود. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ثم أدخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك))^(٣).

محل الخلاف بين الإمامين أن الطبري فهم من قول مجاهد : ((كنائس)) أنه يعني كنائس اليهود فجعل ذلك تحت قول من قال: عني بالبيع كنائس اليهود ، وابن عطية يرى أن قول مجاهد لا يصلح أن يكون تحت هذا القول ، لأن تفسيره مطلق والقول مقيد.

وما ذهب إليه أبو محمد من الاستدراك على الإمام الطبري ، وافقه عليه القرطبي ، والشعالبي فأوردا نفس الاستدراك دون أن ينسباه لأبي محمد^(٤).

والذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه أبو محمد من استدراك مقبول بالنظر إلى ظاهر هذه الرواية التي ساقها عن مجاهد ؛ لأن ظاهرها لا يلزم منه أنه يعني اليهود ، فقد يعني بتفسيره هذا كنائس اليهود ، وقد يعني كنائس النصارى ، وقد يعني القولين . لكن إذا تأملنا أموراً خارجة عن النص الذي جاء عن مجاهد - هنا - رأينا أن إدخال الإمام الطبري رواية مجاهد تحت الترجمة المذكورة يلتمس له العذر فيها . فلعل الإمام الطبري يرى أن إطلاق لفظ ((كنائس)) ينصرف إلى كنائس اليهود وكلام بعض أهل اللغة يشير إلى هذا ، قال البغدادي - بعد أن أورد قول الأخطل النصراني:

ك علينا قطفة وخباء - :

ليت كانت كنيسة الروم إذ ذا

(١) تفسير الطبري (١٦٤/٩ ، ١٦٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦٥/٩) . وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٤/٤) نحو قول مجاهد هذا ، ونسب إخراجها لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم.

(٣) انحرر الرجز (٢٩١/١٠) .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٧١/١٢) ، والجواهر الحسان (١٢٧/٣).

((الكنيسة هنا متعبد النصارى ، وأصله متعبد اليهود))^(١).

ومما قال أبو منصور الأزهري في مادة كنس : ((وكنيسة اليهود ، وجمعها كنائس ، وهي معربة))^(٢).

أو لعل الإمام الطبري اطلع على رواية عن مجاهد يذكر فيها أنها كنائس اليهود ، فأثر على ذكرها رواية ابن أبي نجیح لصحتها ، ويدل على هذا الاحتمال أن جماعة من المفسرين نقلوا ذلك عن مجاهد،

قال الإمام ابن كثير ((وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره أنها كنائس اليهود))^(٣).

وقال القاضي الماوردي : ((وبيع)) فيها قولان . أحدهما : أنها بيع النصارى وهو قول قتادة.

والثاني : أنها كنائس اليهود ، وهو قول مجاهد^(٤).

وقال المقرئ محمود بن حمزة الكرمانى : ((وبيع)) أي بيع النصارى . مجاهد : كنائس اليهود^(٥).

(١) خزانة الأدب (٤٥٨/١) . وقد رجعت إلى ديوان الأخطل شرح راجي الأسمر فلم أقف على البيت في هذه النسخة.

(٢) تهذيب اللغة (٦٤/١٠) ((كنس)) ولا شك أن أهل اللغة قد نقلوا أيضاً إضافتها إلى النصارى ، لكن الأمر كما قال

البغدادي.

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٧/٣).

(٤) النكت والعيون (٣٠/٤).

(٥) غرائب التفسير (٧٦١/٢).

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِيَكُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَّبِعُ الْمَصِيرَ ﴾ - : ((وقوله: ﴿ قُلْ أَفَأَنْبِيَكُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذَلِكَمُ ﴾ يقول: أفنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكروهون قراءتهم القرآن عليكم هي النار وعدّها الله الذين كفروا ، وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول : إن المشركين قالوا : والله إن محمداً وأصحابه لشر خلق الله ، فقال الله لهم : قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد ﷺ أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من عود اسم الإشارة على أصحاب محمد ﷺ التاليين ، فقال : ((والإشارة بـ ﴿ ذلكم ﴾ إلى السطور... قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ويقتضي كلام الطبري في هذه الآية أن الإشارة بـ ﴿ ذلكم ﴾ هي إلى أصحاب محمد ﷺ التاليين ، ثم قال : ألا أخبركم بأكره إليكم من هؤلاء أنتم الذين وعدتم النار ، وأسند نحو هذا القول إلى قائل لم يسمه ، وهذا كله ضعيف))^(٢).

في محل الخلاف - وهو المشار إليه في قوله : ﴿ ذلكم ﴾ - احتمالات ذكرها المفسرون ، فقال الواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي المشار إليه سماع القرآن^(٣). وقال أبو حيان وغيره : والإشارة إلى غيظهم على التاليين ، وسطوهم عليهم ، أو إلى ما أصابهم من الكراهة والبسور بسبب ما يتلى عليهم^(٤).

وعلى هذه الأقوال المذكورة دارت عبارات المفسرين. ولم أر - فيما اطلعت عليه - من يذكر قول الإمام الطبري في عود اسم الإشارة.

إلا أنه فيما يظهر قريب من قول الواحدي والبغوي وابن الجوزي ، لأن هؤلاء إذا كانوا يعدون سماع القرآن شراً ، فلأن يعدوا من يسمعهم إياه كذلك شراً .

(١) تفسير الطبري (١٨٨/٩ ، ١٨٩).

(٢) الخرج الوحي (٣١٩/١٠ ، ٣٢٠).

(٣) انظر الوسيط (٢٨٠/٣) ، ومعالم التنزيل (٢٩٨/٣) ، وزاد المسير (٤٥١/٥).

(٤) انظر البحر (٣٥٨/٦) ، والكشاف (٢٢/٣) ، وتفسير أبي السعود (١٢٠/٦).

وهذا الاتجاه في الآية محتمل ، إلا أنه لا يتأتى إلا لو كانت الآية (أولئك) . فالظاهر إعادة اسم الإشارة إلى ما هو شر في الحقيقة وهو السطو الذي يكاد أن يصدر منهم فهذا ملائم لما ذكر أنه أشرف منه وهي النار. ثم هو أدخل في باب الوعيد ؛ لأنهم إذا علموا أن هذا الوعيد على ما يكادون يفعلونه ربما دفعهم ذلك عن إيقاعه بالمؤمنين . والله أعلم.

سورة المؤمنون

❁ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ - : ((... ففسي الأشقياء ، لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب ، مدة مكثهم التي كانت في الدنيا ، وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها ، لما حل بهم من نقمة الله ، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوماً أو بعض يوم ، ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأصوب في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: ((وقوله تعالى : ﴿ في الأرض ﴾ قال الطبري: معناه : في الدنيا أحياء ، وعن هذا وقع السؤال ، ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا : ﴿ يوماً أو بعض يوم ﴾^(٢) . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والغرض من هذا توقيفهم على أن أعمارهم قصيرة ، أدام الكفر فيها إلى عذاب طويل. وقال جمهور المتأولين: في جوف التراب أمواتاً.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا هو الأصوب من حيث أنكروا البعث ، وكان قولهم : إنهم لا يقومون من التراب ، قيل لهم لما قاموا : كم لبثتم ؟ وقوله آخراً ﴿ وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾^(٣) يقتضي ما قلناه))^(٤).

محل الخلاف بين الإمامين - الطبري وابن عطية - أن الإمام الطبري يحمل السؤال في قوله : ﴿ كم لبثتم في الأرض ﴾ على أنه سؤال عن مدة مكثهم في الحياة الدنيا ، وابن عطية يرى أن الأصوب أن السؤال عن مدة مكثهم في القبور.

(١) تفسير الإمام الطبري (٢٥٢/٩).

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٣ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .

(٤) الخمر الوحيز (٤٠٩/١٠).

وهذان القولان ، هما المعروفان في معنى الآية^(١) ، وهناك قول ثالث وهو أن السؤال عن مدة مكثهم في الدنيا والقبور^(٢) .

وذكر الفخر الرازي الأدلة لقول الإمام الطبري ، ولما اختاره أبو محمد فقال : ((اختلفوا في أن السؤال عن أي لبث وقع ، فقال بعضهم : لبثهم إحياءهم في الدنيا ، ويكون المراد أنهم أمهلوا حتى تمكنوا من العلم والعمل فأجابوا بأن قدر لبثهم كان يسيراً بناء على أن الله تعالى أعلمهم أن الدنيا متاع قليل وأن الآخرة هي دار القرار . وهذا القائل احتج على قوله بأنهم كانوا يزعمون أن لا حياة سواها ، فلما أحياهم الله تعالى في النار ، وعذبوا سئلوا عن ذلك توبيخاً ؛ لأنه إلى التوبيخ أقرب . وقال آخرون : بل المراد اللبث في حال الموت ، واحتجوا على قولهم بأمرين : الأول : أن قوله ﴿ في الأرض ﴾ يفيد الكون في القبر ، ومن كان حياً فالأقرب أن يقال : إنه على الأرض ، وهذا ضعيف لقوله : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض ﴾^(٣) . الثاني : قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾^(٤) ثم بين سبحانه أنهم كذبوا في ذلك وأخبر عن المؤمنين قولهم : ﴿ لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ﴾^(٥) .^(٦)

ونقل أبو حيان رحمه الله تعالى ما قاله القاضي ابن عطية في هذه المسألة ولم يعقب على ذلك بشيء ، غير أنه قدم قول الإمام الطبري ، وصدر ما قاله ابن عطية بلفظ قيل^(٧) . وكذلك الشيخ عبد الرحمن الثعالبي نقل قول الطبري ورأى ابن عطية ، وعقب على ذلك بقوله : ((الآيات محتملة للمعنيين ، والله أعلم بما أراد سبحانه))^(٨) .

(١) ممن أشار إلى الاحتمالين في الآية الماوردي في النكت والعيون (٦٩/٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٩٥/٥) ،

والنيسابوري في وضع البرهان (١٠٥/٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٢) .

(٢) ممن قال به الراحدي في الوسيط (٣٠٠/٣) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣١٩/٣) ، والبيضاوي في تفسيره (١١٦/٢) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦ .

(٤) سورة الروم ، الآية : ٥٥ .

(٥) سورة الروم ، الآية : ٥٦ .

(٦) التفسير الكبير (١١٠/٢٣) .

(٧) انظر البحر المحيط (٣٩٠/٦) .

(٨) الجواهر الحسان (١٦٦/٣) .

وذهب العلامة الألوسي إلى تفسير الإمام الطبري ورجحه على القول الذي اختاره ابن عطية ، فقال : ((أي كم أقمتم فيها أحياء ... وقال غير واحد من المفسرين : المراد سؤا لهم عن مدة لبثهم في القبور ، وزعم ابن عطية أن هذا هو الأصوب ، وأن قوله سبحانه فيما بعد : ﴿وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾^(١) يقتضيه . وفيه منع ظاهر . ويؤيد ما ذهبنا إليه ما روي مرفوعاً ((أن الله تعالى إذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قال نعم ما أنجزتم في يوم أو بعض يوم ، رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين ، قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، فيقول : بنسما أنجزتم في يوم أو بعض يوم ، ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين))^(٢) .

وبعد : فلا شك أن الآية محتملة للقولين ؛ لأن الأرض قد جعلها الله وعاء للإنسان في حال حياته ، وبعد مماته ، كما قال : ﴿إِنَّمَا نَجْعَلُ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾^(٣) فاحتمل السؤال أن يكون عن مدة لبثهم في الدنيا ، أو في القبور ، وقد يكون المقصود به الاثنين .

ولعل ما ذهب إليه القاضي ابن عطية هو المقصود - والله أعلم - لقوة الأدلة التي ذكرها ؛ ولأن الله تعالى قد أبان في آية أخرى أن الذي كان يتقأله الكفار هي مدة مكثهم في القبور ، فقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبثتم فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِن كُنتم كُنتم لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

وهناك آيات تدل لهذا المنحى غير أنها لا تسلم من الاعتراض ، كقوله تعالى : ﴿وَتَظُنُونَ إِن لَبثتم إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥) قال الإمام محمد بن علي القصاب : في البرزخ^(٦) . وذكره غيره وجهاً في تفسير الآية^(٧) . وكقوله تعالى : ﴿لَبثتم يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٨) .

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .

(٢) روح المعاني (٧٠/١٨ ، ٧١) والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (١٧/٥) مرفوعاً ونسب إخراج له لابن أبي حاتم عن أنبغ بن عبد الكلاعي قال قال رسول الله ﷺ فذكره . فإن ثبت هذا الأثر فهو حجة لقول الإمام الطبري .

(٣) سورة المرسلات ، الآية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) سورة الروم ، الآية : ٥٥ ، ٥٦ . وانظر تفسير الطبري (١٩٨/١٠) فقد فسره قوله : ﴿لَبثتم يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أي في قبورهم .

(٥) سورة الإسراء ، الآية : ٥٢ .

(٦) انظر نكت القرآن الدالة على البيان (١٥٢/١) .

(٧) انظر روح المعاني (٩٤/١٥) ، ومحاسن التأويل (٥٩٤/٤) .

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ . وهو معترض باختلاف حاله عن أحوال الكفار ، وكذلك باختلاف موته عن موتهم .

سورة النور

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله ﷺ في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا ، من أهل الشرك ... وقال آخرون : معنى ذلك: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة ، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك ، قالوا : ومعنى النكاح في هذا الموضع الجماع . ذكر من قال ذلك^(١).

ثم ساق بسنده ((عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ قال: لا يزني إلا بزانية أو مشركة^(٢)).

وساق أيضاً بسنده ((عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: ﴿والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ قال: لا يزني الزاني إلا بزانية مثله ، أو مشركة^(٣)).

وأسند - أيضاً - ((عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ قالوا: هو الوطاء^(٤)).

وأسند - أيضاً - ((عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ قال: لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله أو مشركة ، ولا تزني مشركة إلا بمثلها^(٥)).

كل هذه الروايات أوردها الإمام الطبري تحت الترجمة المذكورة سابقاً.

(١) تفسير الطبري (٢٦٠/٩ ، ٢٦٣).

(٢) أخرجه في تفسيره (٢٦٣/٩) ، وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره ص(٢٢١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وكذلك أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٥١/٢) عن ابن عباس من طريق الثوري.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٣/٩) . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩/٥) . ونسب إخراجهم إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٣/٩).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٣/٩ ، ٢٦٤).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن ما ذكره عن ابن عباس وابن جبير وعكرمة غير ملخص ولا مكمل فقال: ((... ويريد بقوله سبحانه: ﴿لَا يَنْكح﴾ أي لا يبطأ، فيكون النكاح بمعنى الجماع... وأنكر الزجاج وقال: لا يعرف النكاح في كتاب الله تعالى إلا بمعنى التزويج. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وليس كما قال، وفي القرآن ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾^(١) وقد بينه النبي ﷺ أنه بمعنى الوطء^(٢). وذكر الطبري ما ينحو إلى هذا التأويل عن سعيد بن جبیر، وابن عباس، وعكرمة، ولكن غير ملخص ولا مكمل^(٣).

قول القاضي ابن عطية: ولكن غير ملخص ولا مكمل راجع - والله أعلم - إلى عرض الإمام الطبري لأقوال هؤلاء الأئمة - ابن عباس وابن جبير وعكرمة - الدالة على أن النكاح بمعنى الوطء والجماع. وهذا الاستدراك أورده القرطبي أيضاً على الإمام الطبري، ولم يذكر أنه أخذه من المخرر^(٤). والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد؛ لأن الإمام الطبري عندما أورد أقوال هؤلاء الأئمة لم يقتصر منها على ما فيه الدلالة الصريحة على أن النكاح بمعنى الوطء والجماع، بل أورد مع ذلك غيره مما ليس صريحاً في الدلالة على أن النكاح بمعنى الوطء والجماع، مثل قول ابن عباس وما شابهه، ولو اقتصر على ^{الرواية} المرويات الصريحة التي جاءت عن ابن جبير، وعكرمة لكان هذا كافياً كاملاً.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.

(٢) في قوله: ((لا، حتى تذوق عسيلته، ويذوق عسيلاتك)). أخرجه البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤٦٤/٩)، كتاب الطلاق، باب إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زرعاً غيره فلم يمسها، ح(٥٣١٧) من رواية عائشة رضي الله عنها.

(٣) المخرر الوجيز (٢٢٤/١٠)، (٤٢٥).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٨/١٢).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾)) اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم : تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا... وقال آخرون : معنى ذلك : حتى تؤنسوا أهل البيت بالتحنح والتخيم ، وما أشبهه ، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم... والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم ، مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنه أنه داخل عليهم فليأنس إلى إذنه له في ذلك ، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وقد حكى عن العرب سماعاً : اذهب فاستأنس ، هل ترى أحداً في الدار؟ بمعنى : انظر هل ترى فيها أحداً؟^(١)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أن ما ذهب إليه في معنى تستأنسوا يأباه تصريف الفعل ، فقال - بعد أن ذكر أن معناه : تستعلموا - : ((ووزن آنس: أفعل، واستأنس وزنه : استفعال، فكان المعنى في (تستأنسون)^(٢) : تطلبون ما يؤنسكم ويؤنس أهل البيت منكم وإذا طلب الإنسان أن يعلم أمر البيت الذي يريد دخوله ، فذلك يكون بالاستئذان على من فيه، أو بأن يتحنح ويشعر بنفسه بأي وجه أمكنه ... وذهب الطبري في ﴿تستأنسوا﴾ إلى أنه بمعنى: حتى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتحنح والاستئذان ونحوه ، وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم. وتصريف الفعل يأبى أن يكون من آنس^(٣))).

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري يرى أن الاستئناس هو من الأنس الذي هو ضد الاستيحاش. وابن عطية يرى أنه من الاستئناس الذي هو بمعنى الاستعلام والاستكشاف. فهو استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أو علمه.

وما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية هما وجهان في معنى الآية ، قال الزمخشري ((﴿تستأنسوا﴾ فيه وجهان . أحدهما: أنه من الاستئناس من الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش؛

(١) تفسير الطبري (٢٦٩/٩ - ٢٩٨).

(٢) هكذا في نسخ المخرر التي رقت عليها ، والأصل : ﴿تستأنسوا﴾ كما في القرآن الكريم .

(٣) المخرر الوجيز (٤٧٨/١٠).

لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه ، فإذا أذن له استأنس... والثاني: أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ، والمعنى : حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا...^(١). وما أورده أبو محمد على الإمام الطبري نقله أبو حيان ، والسمين الحلبي ، والتعالبي^(٢). والتزموا الصمت فلم يحكموا للإمام الطبري ، ولا للقاضي ابن عطية .

وكذلك نقله الشوكاني ، ولم يرجح جانباً على جانب ، غير أنه قال : ((ومعنى كلام ابن جرير هذا أنه من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش...))^(٣).

وجنح الألوسي إلى جانب ابن عطية في هذه المسألة فقال - بعد أن ذكر قول الإمام الطبري - : ((ولا يخفى ما فيه))^(٤).

وبعد : فقد اختلفت نسخ المخرر الوجيز المطبوعة^(٥) في كتابة ((آنس)) التي جاءت في آخر كلام ابن عطية من قوله : ((وتصريف الفعل يأبي أن يكون من آنس)) ففي النسخة المغربية والبحر المحيط، والدر المصون ((آنس)) بالمد^(٦). وفي النسخة القطرية والجواهر الحسان وفتح القدير وفتح البيان ((آنس)) بهمزة قطع^(٧).

وعليه فإن كان أبو محمد كتبها ((آنس)) بالمد فهو يعني أن ما ذهب إليه الإمام الطبري من المعنى يأبي أن يكون من ((آنس)) بالمد وصدق أبو محمد فإن المعنى الذي ذكره الإمام الطبري يكون من ((آنس)، يأنس، أنساً)) وهو ما يكون ضد الاستيحاش . لا من ((آنس، يأنس إناساً)) فهذا إنما يكون بمعنى العلم.

(١) الكشف (٥٨/٣ ، ٥٩) وقد ذكر الزخشي وجهاً ثالثاً فقال: ويجوز أن يكون من الإنس ، وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان. وهذا الوجه وصفه صاحب أضواء البيان بأنه غير متجه. انظر أضواء البيان (١٦٨/٦).

(٢) انظر البحر المحيط (٤١١/٦) ، والدر المصون (٣٩٦/٨) ، والجواهر الحسان (١٧٩/٣).

(٣) فتح القدير (١٩/٤).

(٤) روح المعاني (١٣٤/١٨).

(٥) وقد حاولت الوقوف على المخطوط ، فلم أجد إلا بعض أجزاء من المخرر تبدأ من سورة الأحزاب.

(٦) انظر المخرر الوجيز (٢٩٠/١١) ، والبحر المحيط (٤١١/٦) ، والدر المصون (٣٩٦/٨).

(٧) انظر المخرر الوجيز (٤٧٨/١٠) ، والجواهر الحسان (١٧٩/٣)، وفتح القدير (١٩/٤) ، وفتح البيان في مقاصد القرآن

لكن هذا إن أراد به أبو محمد الاستدراك على الإمام الطبري فهو غير وارد عليه ؛ لأن لفظة ﴿تستأنسوا﴾ تحتمل الاشتقاقين كما ذكر ذلك الزمخشري وغيره من أهل العلم^(١).
 وإن كان أبو محمد كتبها ((أنس)) بهمزة قطع فهو يعني - والله أعلم - بقوله : ((وتصريف الفعل يأبي أن يكون من (أنس)) أن الفعل ﴿تستأنسوا﴾ يأبي أن يكون من ((أنس)) وإنما هو من ((أنس)) وهذا الذي أفهم منه أنه يريد دفع قول الإمام الطبري ، لأن المعنى الذي ذكره يترتب عليه أن الفعل ﴿تستأنسوا﴾ مشتق من ((أنس)) ، لا من ((أنس)). وهذا أيضاً لا يسلم لأبي محمد فليس ما رآه بمسقط لما رأى الإمام الطبري لما ذكر سابقاً من أن ﴿تستأنسوا﴾ محتمل لما ذهب إليه الإمام الطبري ، ولما ذهب إليه ابن عطية.

نعم ذهب الفراء وابن قتيبة ، والزجاج ، وأبو جعفر النحاس إلى المعنى الذي ذكره القاضي ابن عطية، من أن ﴿تستأنسوا﴾ تستعلموا، إلا أن أحداً منهم لم يقل: إنها لا تحتمل إلا ما ذهب إليه^(٢).
 ومما يدل على صحة قول الطبري ، وابن عطية فيما ذهبا إليه في معنى ﴿تستأنسوا﴾ ، وأن قول أحدهما ليس بدافع لقول الآخر أن ابن فارس قال - في أنس - : ((الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش))^(٣).

(١) انظر - مثلاً - التفسير الكبير (١٧١/٢٣) ، وتفسير البيضاوي (١٢٣/٢) ، والبحر المحييط (٤١٠/٦) ، والدر المصون

(٢٩٦/٨) ، وتفسير أبي السعود (١٦٨/٦) ، وروح المعاني (١٣٤/١٨) ، ومحاسن التأويل (٢٩٧/٥).

(٢) انظر معاني القرآن (٢٤٩/٢) ، وتفسير غريب القرآن ص (٣٠٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٩/٤) ، ومعاني القرآن الكريم (٥١٧/٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٤٥/١) ((أنس)).

سورة الفرقان

❦ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ - : ((يقول له : قل هؤلاء الذين أرسلتكم إليهم ، ما أسألكم يا قوم على ما جتكم به من عند ربي أجراً ، فتقولون : إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه ، فلا نتبعه فيه ، ولا نعطيه من أموالنا شيئاً﴾ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ يقول : لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلاً ، طريقاً يانفاقه من ماله في سبيله ، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه ، وغير ذلك من سبيل الخير))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأظهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال : ((وقوله تعالى : ﴿إلا من شاء﴾ الظاهر فيه أنه استثناء منقطع ، والمعنى : لكن مسؤولي ومطلوبي من شاء أن يهتدي ويؤمن ويتخذ إلى رحمة ربه طريق نجاة فليفعل . وقال الطبري : المعنى : لا أسألكم أجراً إلا إنفاق المال في سبيل الله ، فهذا هو المستول ، وهو السبيل إلى الرب . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فالاستثناء على هذا كالمتمصل ، وكأنه قال : إلا أجر من شاء . والتأويل الأول أظهر))^(٢).

محل الخلاف في هذه المسألة أن تفسير الإمام الطبري يفهم منه أن الاستثناء متمصل ، بينما القاضي يرى أن الأظهر في هذا الاستثناء أنه منقطع .

والاستثناء في الآية فيه قولان ، هما ما أشار إليهما القاضي ابن عطية .

وما رآه ابن عطية هو قول جمهور أهل العلم^(٣) .

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن ما قاله الإمام الطبري يحمل على الاستثناء المنقطع ، وذلك للأسباب التالية :

(١) تفسير الطبري (٤٠٢/٩) .

(٢) المحرر الوجيز (٥٦/١١ ، ٥٧) .

(٣) انظر البحر (٤٦٥/٦) وإلى كونه منقطعاً ذهب الأخفش في معاني القرآن (٦٤٢/٢) ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن

(٧٨/٢) .

- ١- قدر الإمام الطبري أن المستثنى هو إنفاق المال في سبيله ، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه ، وغير ذلك من سبل الخير . فهذا الكلام مضمونه ، ومعناه : لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي ، لكن من شاء إنفاقها لوجه الله فليفعل^(١) . وهذا لا يصلح أن يكون متصلاً .
- ٢- أن الإمام الطبري قد صدر كلامه بلفظ ((لكن)) فدل ذلك على أنه أراد به الاستثناء المنقطع .
- ٣- أشار أبو حيان ، وابن جزى ، والثعالبي إلى بعض كلام ابن عطية ، ورجحوا ما رجح وأهملوا نسبة القول بالاتصال إلى الإمام الطبري ، وكذلك تركوا ما نقله عنه ابن عطية ، وفي هذا إشارة إلى أنهم لا يرون ما فهمه ابن عطية من كلام الإمام الطبري ، أو أنهم يشكون في ذلك .
- ٤- ابن عطية نفسه لم يجزم بأن كلام الإمام الطبري يحمل على أن الاستثناء متصل ، بل قال : ((فالاستثناء على هذا كالم متصل)) وهذا فيه بعض تردد ، مما يرجح حمل كلام الإمام الطبري على الاستثناء المنقطع . والله أعلم .

(١) انظر الفتوحات الإلهية (٢/٢٦٤) فقد نسب هذا التقدير إلى زادة ، على أن الاستثناء منقطع . وكذلك قدر نحوه الألويسي في روح المعاني (١٩/٣٧) .

سورة القصص

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ - : ((وقوله: ﴿قال رب بما أنعمت عليّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى رب يا نعمامك عليّ بعفوك عن قتل هذه النفس ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ يعني المشركين، كأنه أقسم بذلك، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين﴾ كأنه على هذه القراءة دعا ربه، فقال: اللهم لن أكون ظهيراً...))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : ((كأنه أقسم بذلك)) فقال: ((ثم قال عليه السلام معاهداً لربه عز وجل : رب بنعمتك عليّ وبسبب إحسانك وغفرانك فأنا ملتزم ألا أكون معيناً للمجرمين ، هذا أحسن ما تؤول . وقال الطبري: إنه قسم ، أقسم بنعمة الله تبارك وتعالى . ويضعفه صورة جواب القسم ؛ فإنه غير متمكن في قوله : ﴿فلن أكون﴾ ؛ لأن القسم لا يلتقي به (لن) ، والفاء تمنع أن تنزل (لن) منزلة (لا) أو (ما) فتأمله . واحتج الطبري بأن في قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً﴾^(٢).

محل الخلاف بين الإمامين في نوع الباء في قوله : ﴿بما أنعمت﴾ فالإمام الطبري يجوز أن تكون الباء للقسم، وابن عطية يرى أنها سببية ، ويدفع ما رآه الإمام الطبري بأن صورة جواب القسم تضعف ذلك.

وما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية - في الباء - ذكر المنتجب والسمين أنهما وجهان جائزان فيها^(٣).

ولا شك أن طائفة كبيرة من أهل العلم قد وافقوا الإمام الطبري في جعل الباء للقسم ، إلا أنهم قد بينوا أن جواب القسم ليس هو ﴿فلن أكون...﴾ بل هو مقدر يفسره أو يدل عليه المذكور قال

(١) تفسير الطبري (٤٦/١٠).

(٢) انحر الرجز (٢٧٦/١١ ، ٢٧٧).

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧١٠/٣) ، والدر المنصور (٦٥٨/٨).

الزمخشري: ﴿بما أنعمت عليّ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف تقديره : أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾^(١).

وقال أبو البقاء العكبري: ((قوله: ﴿بما أنعمت﴾ يجوز أن يكون قسماً والجواب محذوف ، و ﴿فلن أكون﴾ تفسيراً له ، أي : لأتوبن))^(٢).

ونحو هذا قال البيضاوي ، وأبو حيان ، والنسفي ، وأبو السعود^(٣).

وتابع ابن جزى ابن عطية في هذه المسألة فذكر أن الباء للسببية ثم قال: ((وقيل: الباء ، باء القسم، وهذا ضعيف ؛ لأن قوله : ﴿فلن أكون﴾ لا يصلح لجواب القسم))^(٤).

وبعد : فلم يصرح الإمام الطبري بجواب القسم وكلامه محتمل أن يكون أراد بجواب القسم ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ وعلى هذا فاستدراك أبي محمد وارد عليه لما علل به من أن القسم لا يلتقي بـ (لن) ، والفاء تمنع أن تنزل (لن) منزلة (ما).

قال ابن عقيل رحمه الله تعالى : ((وإن كان جملة فعلية منفية - يعني جواب القسم - فينفي بما ، أو لا ، أو إن ، نحو : والله ما يقوم زيد ، ولا يقوم زيد ، وإن يقوم زيد . والاسمية كذلك))^(٥).

ولهذا السبب - والله أعلم - جعل العلماء جواب القسم محذوفاً في هذه الآية ، وقد تقدم النقل عن طائفة منهم.

ويحتمل أن الإمام الطبري أيضاً يرى أن جواب القسم ليس ﴿فلن أكون﴾ بل هو محذوف ، ويكون قوله: ((وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين﴾ كأنه على هذه القراءة دعا ربه فقال: اللهم لن أكون ظهيراً...)) كلاماً مستأنفاً أراد به معنى آخر. ويرجح هذا الاحتمال أن هذا الذي ذكره الإمام الطبري بقوله : وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله مأخوذ من معاني القرآن للفراء، والفراء لم يتعرض للقسم بل قال : ((وقوله : ﴿رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً

(١) الكشاف (١٦٩/٣).

(٢) التبيان (١٠١٨/٢).

(٣) انظر تفسير البيضاوي (١٨٩/٢) ، والبحر المحيط (١٠٥/٧) ، وتفسير النسفي (٢٣٠/٣) ، وتفسير أبي السعود (٧/٧).

(٤) التسهيل (٢٢٥/٣).

(٥) شرح ابن عقيل (٣٥٠/٢).

للمجرمين ﴿ قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي ، فجعل (لن) خيراً لموسى . وفي قراءة عبد الله ﴿ فلا تجعلني ظهيراً ﴾ فقد تكون (لن أكون) على هذا المعنى دعاء من موسى : اللهم لن أكون لهم ظهيراً...﴾^(١).

ويؤيد هذا الاتجاه أيضاً - أعني من أن الإمام الطبري يُحمل كلامه على قراءة عبد الله رضي الله عنه على الاستئناف - أن الزمخشري قد جعل مسألة الدعاء مسألة مستقلة ، لا علاقة لها بالقسم فقال: ﴿ بما أنعمت ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف ... وأن يكون استعطافاً كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين^(٢). وكذلك الكرمانى جعل القسم شيئاً ، والدعاء شيئاً آخر^(٣).

فالحاصل أن الإمام الطبري إن أراد أن يجعل ﴿ فلن أكون ﴾ هو جواب القسم فاستدراك ابن عطية متجه، وإن أراد أن يشير إلى أن الباء يجوز أن تكون في الآية للقسم ، ثم ذكر معنى آخر تحتمله الآية واستدل عليه بالقراءة الشاذة فاستدراك ابن عطية غير وارد عليه.

وأنا أجنح إلى أن الإمام الطبري ما أراد أن يجعل ﴿ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾ هو جواب القسم. والله أعلم.

(١) معاني القرآن (٣٠٤/٢).

(٢) انكشاف (١٦٩/٣) والباء على هذا الوجه - الثاني - متعلقة بمحذوف ومعناها السببية . أي اعصمني بسبب ما أنعمت

علي... انظر الدر المنثور (٦٥٨/٨).

(٣) انظر غرائب التفسير (٨٦٥/٢).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ لَئِنِ اتَّخَذَ اللَّهُ ذُرِّيَّةً لَوْ لَآتَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مِّنْهُم مَّا يَشَاءُ لَخَلَقَهُ وَيَخْتَارُ لَوْلَا إِلَهُتَهُ الْخَيْرَةُ لَخَلَقَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ السَّعَادَةُ . وَإِنَّمَا قَالَ جَل ثناؤه ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ والمعنى ما وصفت ؛ لأن المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم فيجعلونها لآلهتهم ، فقال الله لنبيه محمد ﷺ : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلق ، ويختار للهداية والعمل الصالح من خلقه ما هو في سابق علمه أنه خيرتهم ، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم فكذلك اختياري لنفسي ، واجتباتي لولايتي ، واصطفائي لخدمتي وطاعتي ، خيار مملكتي وخلقتي . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))^(١).

ثم ساق بسنده من طريق العوفي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ قال : كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية^(٢).

ثم قال الإمام الطبري : ((فإذا كان معنى ذلك كذلك ، فلا شك أن (ما) من قوله : ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ في موضع نصب بوقوع يختار عليها ، وأنها بمعنى الذي . فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت من أن (ما) اسم منصوب بوقوع قوله (يختار) عليها ، فأين خبر (كان)؟ . فقد علمت أن ذلك إذا كان كما قلت ، أن في كان ذكراً من (ما) ، ولا بد لكان إذا كان كذلك من تمام . وأين التمام؟ . قيل : إن العرب تجعل حروف الصفات^(٣) إذا جاءت الأخبار بعدها أحياناً أخباراً كفعالها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها . ذكر الفراء أن القاسم بن معن^(٤) أنشده قول عنزة^(٥) :

(١) تفسير الطبري (٩٤/١٠ ، ٩٥).

(٢) أخرجه في تفسيره (٩٥/١٠) من طريق العوفي ، وهو طريق ضعيف ، لضعف العوفي.

(٣) حروف الصفات : هي حروف الجر ، وسميت حروف الجر ؛ لأنها تجر ما بعدها ، وسميت حروف الصفات ؛ لأنها تحدث في الاسم صفة حادثة كقولك (جلست في الدار) دلت على أن الدار وعاء للجلوس . وقيل : سميت بذلك ؛ لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . انظر همع الهوامع (١٥٣/٤).

(٤) القاسم بن معن ، بن عبد الرحمن ابن صاحب النبي ﷺ عبد الله بن مسعود ، ثقة نحويّاً أخبارياً (ت : ١٧٥هـ) . انظر السير (١٩٠/٨).

(٥) عنزة بن شداد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى . انظر خزائن الأدب (١٢٨/١) ، والأعلام (٩١/٥) . والبيت لم أحده في ديوان عنزة (دار صادر) وشطره الثاني في مجالس نعلب (٩٦/١) ، وهو بالرواية التي ذكرها عن المفضل في الأغاني (٢٣٥/٨) . والشاهد فيه قوله : ((لو كان ذا منك قبل اليوم معروف)) حيث جاء اسم (كان) ضمير الشأن ، وخبرها الجملة الاسمية ((ذا منك معروف)) . انظر المعجم المفصل في الشواهد النحوية (٥٧٧/٢).

أمن سمية دمع العين تذريف
لو كان ذا منك قبل اليوم معروف
فرفع معروفاً بحرف الصفة ، وهو لا شك خير ل (ذا) ، وذكر أن المفضل^(١) أنشده ذلك :

لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

ومنه أيضاً قول عمر بن أبي ربيعة^(٢) :

قلت أجيبي عاشقاً
بجكم مكلفُ
فيها ثلاث كالدُّمَى
وكاعب ومسلفُ

فمكلف من نعت عاشق ، وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء ، في أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد ، فكذلك قوله : ﴿ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ رفعت الخيرة بالصفة وهي (لهم) ، وإن كانت خيراً ل (ما) لما جاءت بعد الصفة ، ووقعت الصفة موقع الخبر ، فصار كقول القائل : كان عمرو أبوه قائم ، لا شك أن قائماً لو كان مكان الأب ، وكان الأب هو المتأخر بعده ، كان منصوباً ، فكذلك وجه رفع الخيرة ، وهو خير ل (ما).

فإن قال قائل : فهل يجوز أن تكون (ما) في هذا الموضع جحداً ، ويكون معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار ما يشاء أن يختاره ، فيكون قوله : ﴿ويختار﴾ نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ، ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى : لم تكن لهم الخيرة. أي لم تكن للخلق الخيرة ، وإنما الخيرة لله وحده؟

قيل : هذا قول لا يخفى فساده على ذي حجا ، من وجوه لو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول ، فكيف والتأويل عن ذكرنا بخلافه . فاما أحد وجوه فساده : فهو أن قوله : ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ لو كان كما ظنه من ظنه ، من أن (ما) بمعنى الجحد ، على نحو التأويل الذي ذكرت ، كان إنما جحد تعالى ذكره أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية ، فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة ؛ لأن قول القائل : ما كان لك هذا ، لا شك إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى ، وقد يجوز أن يكون له

(١) لعلة : المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي ، راوية علامة بالشعر والأدب (ت : ١٦٨ هـ). انظر الأعلام (٢٨٠/٧).

(٢) البيت الثاني في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص(٢٥٢) وفي تهذيب اللغة (٤٣٢/١٢) ، ولسان العرب (٣٣٣/٦) كلاهما في ((سلف)). والبيت الأول لم أجده في الديوان الذي اطلعت عليه ، وهو في مجالس نعلب (٩٦/١) دون نسبة.

فيما يستقبل ، وذلك من الكلام - لا شك - خلف ؛ لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديماً ، فليس ذلك لهم أبداً .

وبعد : لو أريد ذلك المعنى لكأن الكلام ، فليس ، وقيل : وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة ليكون نفيًا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل ، وفيما بعد .

والثاني : أن كتاب الله أبين البيان ، وأوضح الكلام ، ومحال أن يوجد فيه شيء غير مفهوم المعنى ، وغير جائز في الكلام أن يقال ابتداءً : ما كان لفلان الخيرة ، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضي ذلك ، فكذلك قوله : ﴿ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد ، أنه ادعى أنه كان له الخيرة ، فيقال له : ما كان لك الخيرة ، وإنما جرى قبله الخبر عما هو صائر إليه أمر من تاب من شركه ، وآمن وعمل صالحاً ، وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب إيمان من آمن وعمل صالحاً منهم ، وأن ذلك إنما هو لاختياره إياه للإيمان ، وللسابق من علمه فيه اهتدى . ويزيد ما قلنا من ذلك إبانة قوله : ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾^(١) فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة ، والعلانية الرضية .

والثالث : أن معنى الخيرة في هذا الموضع : إنما هو الخيرة ، وهو الشيء الذي يختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء ، يقال منه : أعطى الخيرة والخيرة ، مثل الطيرة والطيرة ، وليس بالاختيار ، وإذا كانت الخيرة ما وصفنا ، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال : وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ما يشاء ، لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام ، أو خير رجل أو امرأة .

فإن قال : فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر ؟ قيل : لا . وذلك أنها إذا كانت مصدراً كان معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الخيرة لهم . وإذا كان ذلك معناه ، وجب أن لا تكون الشرار لهم من البهائم والأنعام ، وإذا لم يكن لهم شرار ذلك ، وجب ألا يكون لها مالك ، وذلك ما لا يخفى خطؤه ؛ لأن خيارها ولشرارها أرباباً يملكونها بتمليك الله إياهم ذلك ، وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك إلى معنى المصدر^(٢) .

(١) سورة القصص ، الآية : ٦٩ .

(٢) تفسير الطبري (١٠/٩٥ ، ٩٦) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعراب (ما) مفعولة ، فقال - بعد أن ذكر أن الظاهر أن (ما) نافية وأنه قول جماعة من المفسرين ، وذكر رأي الإمام الطبري - : ((واعتذر الطبري عن الرفع الذي أجمع عليه القراء في قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ بأقوال لا تتحصل^(١) ، وقد رد الناس عليه في ذلك ، وذكر عن القاسم بن معن أنشدته بيت عنزة :

أمن سمية دمع العين تدريفُ لو كان ذا منك قبل اليوم معروفُ

وقرن الآية بهذا البيت ، والرواية في البيت (لو أن ذا) ولكن على ما رواه القاسم يتجه في بيت عنزة أن يكون في كان ضمير الأمر والشأن ، فأما في الآية فلا يكون بجملة فيها محذوف^(٢) . وفي هذا كله نظر ... ويتجه عندي أن تكون (ما) مفعولة إذا قدرنا (كان) تامة ، أي : أن الله تعالى يختار كل كائن ، ولا يكون شيء إلا بإذنه ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ جملة مستأنفة معناها تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم لو قبلوا وفهموا^(٣).

محل الخلاف بين الإمامين في (ما) الثانية التي في قوله : ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ فالإمام الطبري يرى أنها مفعول به ، و ﴿الْخَيْرَةُ﴾ مبتدأ مرفوع بالضممة ، و ﴿لَهُمُ﴾ خبرها مقدم ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر كان واسمها ضمير الشأن العائد على ﴿مَا﴾ التي بمعنى (الذي) وهي المفعول به^(٤).

والمعنى : أن الكفار كانوا يختارون من أموالهم لأصنامهم خيارها ، فأخبر الله تعالى أن الاختيار إنما هو له وحده ، يخلق ويختار من الرسل والشرائع ما كان خيراً للناس ، لا كما يختارون هم ما ليس لهم ، ويفعلون ما لم يؤمروا به^(٥).

(١) قوله : ((لا تتحصل)) أي لا تثبت . واخصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب ما سواه . انظر لسان العرب (٢٠٧/٣) ((حصل)).

(٢) في النسخة المغربية ((جملة فينا مجرور)) والذي في القطرية موجود في البحر وفي الدر المصون ، مما يرجح الأخذ به.

(٣) انحر الرجيز (١١/٣٢٤ ، ٣٢٥).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٠٦) فقد ذكر بعض هذا الإعراب.

(٥) انحر الرجيز (١١/٣٢٤).

وابن عطية لا يرى هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، ويعترض عليه بأنه يلزم على ما ذهب إليه الإمام الطبري أن يفسر ضمير الشأن بجملة حذف منها عايد الصلة وهو الجار والمجرور ، لأن أصل الكلام: ما كان لهم فيه الخيرة . وهذا ممنوع.

ولا شك أنه قد وقع الخلاف في نوع (ما) الثانية في الآية قال السمين : ((وقوله : ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ فيه أوجه ، أحدها : أن (ما) نافية فالوقف على (يختار) . والثاني : (ما) مصدرية ، أي: يختار اختيارهم ، والمصدر واقع موقع المفعول به ، أي: مختارهم . والثالث : أن تكون بمعنى الذي ، والعائد محذوف ، أي: ما كان لهم الخيرة فيه ... وجوز ابن عطية أن تكون (كان) تامة و (لهم الخيرة) جملة مستأنفة^(١).

وقد وافق طائفة من أهل العلم أبا محمد فضعفوا ما ذهب إليه الإمام الطبري ، قال مكي : ((ما الثانية للنفي ، لا موضع لها من الإعراب . وقال بعض العلماء الطبري وغيره : هي في موضع نصب بيختار ، وليس ذلك بحسن في الإعراب ؛ لأنه لا عائد يعود على (ما) في الكلام ، وهو أيضاً بعيد في المعنى والاعتقاد ؛ لأن كونها للنفي يوجب أن تعم جميع الأشياء أنها حدثت بقدر الله واختياره ، وليس للعبد فيها شيء غير اكتسابه بقدر من الله .. وإذا جعلت (ما) في موضع نصب بيختار لم تعم جميع الأشياء أنها مختارة لله ، إنما أوجبت أنه يختار ما لهم فيه الخيرة لا غير ، ونفي ما ليس لهم فيه خيرة ، وهذا مذهب القدرية والمعتزلة . فكون (ما) للنفي أولى في المعنى ، وأصح في التفسير ، وأحسن في الاعتقاد ، وأقوى في العربية ...))^(٢).

وقال القرطبي - بعد أن حكى قول الإمام الطبري - : ((وفيه ضعف إذ ليس في الكلام عائد يعود على اسم كان إلا أن يقدر فيه حذف فيجوز على بعد))^(٣).

وقال ابن جزي - بعد أن فسرها على النفي ، وأورد القول الآخر - : ((ولو كانت (ما) مفعولة ، لكان اسم كان مضمراً يعود على (ما) وكانت (الخيرة) منصوبة على أنها خبر (كان) وقد اعتذر عن

(١) الدر المصون (٦٩٠/٨).

(٢) مشكل إعراب القرآن (٥٤٧/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١٣).

هذا من قال: إن (ما) مفعولة بأن يقال: تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار وانجرور. وهذا ضعيف^(١).

وقال ابن القيم - بعد أن فسر الآية على أن (ما) نافية - : ((ومن زعم أن (ما) مفعول (يختار) فقد غلط إذ لو كان هذا هو المراد لكانت (الخيرة) منصوبة على أنها خبر كان، ولا يصح المعنى: ما كان لهم الخيرة فيه، وحذف العائد، فإن العائد لها هنا مجرور بحرف لم يجر الموصول بمثله. فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل، فلا يجوز حذفه^(٢))).

وقال الشوكاني - بعد أن ذكر أن الصحيح أن (ما) نافية - : ((وقال ابن جرير: إن تقدير الآية ويختار لولايته الخيرة من خلقه. وهذا في غاية من الضعف^(٣))).

وبعد: فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما اعترض به أبو محمد على الإمام الطبري من ناحية الصناعة النحوية غير وارد عليه، وذلك أن قوله: ((فأما في الآية فلا يكون بجملة فيها محذوف)) معناه: أن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزأها، وهذا شرط موجود قال السمين الحلبي: ((وجعل بعضهم في (كان) ضمير الشأن... وابن عطية منع ذلك في الآية، قال: ((لأن تفسير الأمر والشأن لا يكون بجملة فيها محذوف)) قلت: كأنه يريد أن الجار متعلق بمحذوف، وضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزأها. إلا أن في هذا نظراً إن أراد؛ لأن هذا الجار قائم مقام الخبر. ولا أظن أحداً يمنع (هو السلطان في البلد) و (هي هند في الدار))^(٤).

واعترض أبو محمد هذا قريب مما ذكر عن مكّي بن أبي طالب وغيره من العلماء حيث ضعفوا ما ذهب إليه الإمام الطبري بأنه لا عائد يعود على (ما) في الكلام.

وما قالوه صحيح إلا أن العذر للإمام الطبري أن ذلك المحذوف مفهوم من الكلام، وما كان كذلك فيجوز حذفه.

(١) التسجيل لعلوم التنزيل (٣/٢٣٨).

(٢) بدائع التفسير (٣/٣٥٦).

(٣) فتح القدير (٤/١٨٣).

(٤) الدر المنصور (٨/٦٩٠).

قال الزمخشري : فإن قلت : فأين الراجع من الصلة إلى الموصول ، إذا جعلت (ما) موصولة؟ قلت : أصل الكلام : ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه ، كما حذف (منه) في قوله : ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾^(١) لأنه مفهوم^(٢).

وقال الألوسي - بعد أن ذكر قول الإمام الطبري - : ((وضعفه بعضهم بأن فيه حذف العائد ، ولا يخفى أن حذفه كثير))^(٣).

ولكن ما ذهب إليه الإمام الطبري - وإن كان له وجه في النحو - فهو قول مرجوح ، يقدم عليه القول البين الواضح ، وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء^(٤) من أن (ما) في قوله : ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ نافية.

فهذا القول - كما قال الإمام مكي - : ((أولى في المعنى ، وأصح في التفسير ، وأحسن في الاعتقاد ، وأقوى في العربية))^(٥).

والأقوال التي دفع بها الإمام الطبري هذا القول لا تنقص من قيمته.

فقوله : ((إن التأويل عمن ذكرنا بخلافه)) يعني ما نقله عن ابن عباس ، من طريق العوفي . والعوفي لا يحتاج بما جاء عن طريقه في التفسير ، لضعفه.

ثم قد قال ابن كثير : ((والصحيح أنها نافية ، كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره))^(٦).

وأما إنكاره - رحمه الله تعالى - أن تكون (ما) نافية ، لتلا يكون المعنى : أنهم لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يأتي.

(١) سورة الشورى ، الآية : ٤٣ . وفي البحر (١٢٤/٧) ((يعني أن التقدير: إن ذلك فيه لمن عزم الأمور)).

(٢) الكشف (١٨٩/٣).

(٣) روح المعاني (١٠٤/٢٠).

(٤) هذا الذي يظهر لمن تأمل الأقوال في كتب التفسير ، وقد نص العلامة الكرمانى أن حمل (ما) على أنها نافية هو قول جمهور العلماء. انظر غرائب التفسير (٨٧٢/٢).

(٥) مشكل إعراب القرآن (٥٤٧/٢).

(٦) تفسير ابن كثير (٣٩٨/٣).

فأجاب عنه المهدي^(١) بقوله : ((لا يلزم ذلك ؛ لأن (ما) تنفي الحال والاستقبال ، وليس ولذلك عملت عملها ؛ ولأن الآي كانت تنزل على النبي ﷺ على ما يسأل عنه ، وعلى ما هم مصررون عليه من الأعمال ، وإن لم يكن ذلك في النص))^(٢).

وأما قوله - رحمه الله - : لم يتقدم قبله - أي قبل النفي - من الله تعالى ذكره خير عن أحد أنه ادعى أنه كان له الخيرة ، فيقال له : ما كان لك الخيرة.

فالجواب ما ذكره الألوسي بقوله : ((الكلام مسوق لتجهيل المشركين في اختيارهم ما أشركوه ، واصطفائهم إياه للعبادة والشفاعة لهم يوم القيامة كما يرمز إليه : ﴿ادعوا شركاءكم﴾^(٣) وللتعبير - بما - وجه ظاهر ، والمعنى : وربك لا غيره يخلق ما يشاء خلقه ، وهو سبحانه دون غيره ينتقي ويصطفى ما يشاء انتقاه واصطفاه ، فيصطفى مما يخلقه شفعاء ، ويختارهم للشفاعة ويميز بعض مخلوقاته - جل جلاله - على بعض ، ويفضله عليه بما شاء ما كان هؤلاء المشركين أن ينتقوا ويصطفوا ما شاءوا...))^(٤).

قلت : وقد ذكر الله في هذه السورة ما يفيد أن المشركين يقترحون أشياء ، ويختارون أشياء ، هي في الحقيقة من خصائص الله تعالى ، فقال : ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى﴾^(٥).

وقد تكون هذه الآية بيان ورد لما ذكره الله عن الكفار في سورة أخرى كقوله تعالى : ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(٦).

وأما قوله : إن الخيرة هو الشيء الذي يختار ، وليس بالاختيار . فهذا متقارب ؛ لأن الله إذا نفى عنهم الشيء الذي يختار ، دل على أن ليس لهم اختيار فيه .

(١) أحمد بن عمار المهدي ، مفسر مقرئ أديب علامة (ت : بعد ٤٣٠هـ) . انظر طبقات المفسرين للدارقطني (٥٦/١).

(٢) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١٣).

(٣) من قوله تعالى : ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ سورة القصص ، الآية : ٦٤ .

(٤) روح المعاني (١٠٤/٢٠).

(٥) سورة القصص ، الآية : ٤٨ .

(٦) سورة الزخرف ، الآية : ٣١ . وانظر الصاحبي ص (٤٠٢) فقد ذكره ابن فارس تحت باب ما يكون بيانه منفصلاً منه .

وانظر أسباب النزول للواحدي ص (٣٩٩).

وفي المصباح المنير: ((الخَيْرَةُ بفتح الياء ، بمعنى الخيار ، والخيار هو الاختيار ، ومنه يقال : له خيار الرؤية. ويقال هي اسم من تخيرت الشيء ، مثل الطيرة اسم من تطير . وقيل: هما لغتان بمعنى واحد...))^(١).

وأما القولان الآخران ، وهو ما جوزة ابن عطية من أن كان تامة و (لهم الخيرة) جملة مستأنفة. أو أن (ما) مصدرية . فهما قولان بعيدان ، وكلام الله يحتمل على الواضح البين^(٢) . والله أعلم.

(١) المصباح المنير ، ص(٧١) ((خير)).

(٢) وصف الشوكاني ما جوزة ابن عطية بقوله : ((وهذا بعيد جداً)) انظر فتح القدير (١٨٣/٤). وقال المنتجب - بعد

حكاية القول بأن (ما) مصدرية - : ((وهو من التعسف والتكلف كما ترى)) الفريد في إعراب القرآن المجيد

سورة الروم

❦ ساق الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : ((كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم . فلما نزلت : ﴿الم * غلبت الروم﴾ ... إلى ﴿في بضع سنين﴾ قالوا : يا أبا بكر ، إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين . قال : صدق . قالوا : هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلاتص ، إلى سبع سنين ، فمضت السبع ، ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : ما بضع سنين عندهم؟ قالوا : دون العشر . قال : اذهب فزايدهم وازدد سنين . قال : فما مضت الستتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله ﴿الم * غلبت الروم﴾ إلى قوله : ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾^(١) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على ما حكاه الإمام الطبري فقال : ((وقوله تعالى : ﴿وعد الله﴾ نصب على المصدر المؤكد ، وقوله : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يريد الكفار من قريش والعرب ، أي : لا يعلمون أن الأمور من عند الله تبارك وتعالى ، وأن وعده لا يتخلف ، وأن ما يورده نبيه - عليه الصلاة والسلام - حق . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : هذا الذي ذكرناه هو عمدة ما قيل . وقد حكى الطبري وغيره : روايات يردها النظر ، أول قول من ذلك أن بعضهم قال : إنما نزلت

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦٥/١٠ ، ١٦٦) قال حدثنا بن وكيع ، قال حدثنا الحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن عبد الله ... إلخ . وهذا الأثر إسناده ضعيف من أجل سفيان بن وكيع شيخ الطبري قال الحافظ : كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه ، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه . تقريب التهذيب برقم (٢٤٥٦) . وفيه أيضاً : عبد الرحمن بن محمد بن زياد الحاربي الكوفي كان يدلس ، وقد عنعن . انظر تقريب التهذيب برقم (٣٩٩٩) . وهذا الأثر قد أخرج نحوه الطبري (١٦٦/١٠ ، ١٦٧) من طريق عطية العوفي ، وكذلك الترمذي في السنن (٨٩/٥) ، كتاب القراءات باب ومن سورة الروم ح (٢٩٣٥) وهذا فقد يرتقي هذا الأثر إلى درجة الحسن لغيره . وقد اضطربت الآثار التي تفيد أن أول السورة نزل يوم بدر في ضبط ﴿غلبت﴾ فجاء في بعضها مضبوطاً بضم الغين ، وفي بعضها بالفتح والأولى متواترة ، والثانية شاذة . وحملت الشاذة على الرواية التي تفيد نزولها بعد الفجرة ويكون قوله ﴿سبغليون﴾ بضم الياء وهي شاذة أيضاً ، ويكون المعنى : أن الروم غلبوا الفرس ، وسبغليهم المسلمون فيما يستقبل من الزمان .

﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ بعد غلبت الروم لفارس ، ووصول الخبر بذلك ، فهذا يقتضي أن الآية مدنية . والسورة كلها مكية ياجماع . ونحو هذا من الأقوال^(١).

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري قد استساغ أن يروي مثل هذه الرواية وغيرها مما يفيد أن أول سورة الروم نزل بعد الهجرة . وأبو محمد يرى أن ما تقرر أن سورة الروم مكية يدفع مثل هذه الروايات ، فظاهر كلامه أن إيراد مثل هذه الروايات لا ينبغي ، ولذلك أعرض عن ذكر الرواية التي أوردها الإمام الطبري في سبب النزول ، فلم يذكر ذلك إلا في معرض النقد ، ومن هنا أدخلت هذه المسألة في استدراقات ابن عطية على الإمام الطبري .

ثم هذه الروايات التي أوردها الإمام الطبري جاءت من طريقين ضعيفين كما بين ذلك عند التخريج . إلا أنها بمجموعها ترتقي إلى درجة الحسن لغيره . وهناك روايات ثابتة تفيد أن أول هذه السورة نزل بمكة^(٢) ، وكذلك ذكر جمهور المفسرين أن هذه السورة مكية^(٣) ، وهذا هو الواضح البين فيها من خلال تتبع مقاصدها .

فتبين مما تقدم أنك أما أمرين :

الأول : روايات تفيد أن أول السورة نزل في العهد المدني ، وهذه الروايات ضعيفة الأسانيد إلا أنها بمجموعها يمكن أن ترتقي إلى درجة الحسن لغيره .

(١) المحزر الوجيز (٤٢٨/١١) .

(٢) منها ما أخرجه الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت ﴿الم﴾ غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين ﴿ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب ... فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة ﴿الم﴾ غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين ﴿...)) سنن الترمذي (٣٤٤/٥ ، ٣٤٥) ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الروم ح(٣١٩٤) وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد . وقال الشيخ الألباني : حسن . انظر صحيح سنن الترمذي (٨٨/٣) . وانظر أيضاً مسند الإمام أحمد (٢٧٦/١ ، ٣٠٤) ، وتفسير النسائي (١٥٠/٢) ، ومستدرک الحاكم (٤٤٥/٢) .

(٣) انظر روح المعاني (١٦/٢١) فقد نسب إلى الحسن أنه استثنى من القول بمكيتها ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الآية وقال الألوسي : هو خلاف مذهب الجمهور . وانظر الكشاف (٢١٧/٣) ، والتسهيل (٢٦٠/٣) ففيهما ما يفيد استثناء الآية المذكورة . وظانفة نقلوا الإجماع على مكيتها . انظر المحرر الوجيز (٤٢١/١١) ، وزاد المسير (٢٨٦/٦) ، وبصائر ذوي التمييز (٣٦٥/١) . والقول بمكيتها هو الذي ذكره النحاس في الناسخ والنسوخ (٥٧٤/٢) ، والزر كشي في البرهان (١٩٢/١) ، والسيوطي في الإتقان (٣٠/١) .

الثاني : روايات صحيحة تفيد أن أولها نزل في العهد المكي . وبهذا وضعنا أمام ما ظاهره الإشكال .

ويمكن أن يجاب على هذا الإشكال بما يلي :

نقول بالقول الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة وهو أن أول هذه السورة نزل بمكة قبل الهجرة
ونعتذر عن القول الآخر فنقول لعل ما حصل يوم بدر ما هو إلا استشهاد بما نزل في مكة ، فرواه بعض
الرواة على أنه قد نزل في ذلك اليوم .

أو يقال : هذه الآيات نزلت مرتين ، مرة قبل الهجرة ، ومرة بعد الهجرة ، وقد أشار إلى هذا المسلك

السيوطي والألوسي^(١) .

وبناء على ما تقدم فقول أبي محمد أن النظر يرد الروايات التي تفيد أن أول هذه السورة نزل بعد
الهجرة هو كما قال ؛ لأن هذا النظر مبني على أحاديث صحيحة ، ولم ير رحمه الله أن هذه الآثار
بمجموعها تدفع ما ثبت صحته . خصوصاً الرواية التي نص عليها فإنها انفردت بذكر نهاية الآيات التي
قيل : إنها نزلت بعد الهجرة ، ولم أر في حد اطلاعي رواية أخرى تشاركها في جعل نهاية ما نزل قوله
تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ .

لكن هذا النظر الصحيح لا يدفع ما فعله الطبري ؛ لأنه - رحمه الله - قد خرج من تبعث هذه الآثار

عندما ساقها بالأسانيد ولا يلزم من ذكره لها أنه يقول بما دلت عليه . والله أعلم .

(١) انظر لباب القول ص(٥١٤) ، وروح المعاني (١٩/٢١) .

سورة لقمان

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه
وهنا على وهن وفصاله في عامين﴾ إلى قوله : ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ - : ((فإن قال لنا
قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه ؟ قيل: ذلك أيضاً وإن كان خبراً من
الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به ، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه ، فكان معنى الكلام : ﴿وإذ قال
لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾^(١) ولا تطع في الشرك به
والديك ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ فإن الله وصى بهما فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من
الله ، وفيه هذا المعنى ، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته))^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أن جعل الآيتين من وصية لقمان
لابنه فقال - بعد أن أورد الآيتين - : ((هاتان الآيتان اعتراض أثناء وصية لقمان . ووجه الطبري ذلك
بأنها من معنى كلام لقمان ، ومما قصده ، وذلك غير متوجه ؛ لأن كون الآيتين في شأن سعد بن أبي
وقاص^(٣) - حسب ما ذكره بعد - يضعف أن يكون مما قاله لقمان ، وإنما الذي يشبه أنه اعتراض أثناء
الموعظة ، وليس ذلك بمفسد الأول منها ولا الآخر ، ولما فرغ من هاتين الآيتين عاد إلى الموعظة على
تقدير إضمار : (وقال أيضاً لقمان) ثم اختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه))^(٤).

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري يجعل الآيتين المذكورتين خبراً من الله تعالى أوصى به
عباده ، وأوصى به لقمان ابنه أيضاً ، وأبو محمد يرى أن هاتين الآيتين خبر من الله تعالى عما أوصى به
عباده ، جيء به في أثناء وصية لقمان لابنه فهو معترض بين أجزاء الوصية .

وهذه المسألة محل اختلاف بين المفسرين ، فذهب بعض المفسرين إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري^(٥).

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

(٢) تفسير الطبري (٢١٢/١٠) .

(٣) سعد بن مالك بن أهيب ، أحد السابقين الأولين المبشرين بالجنة (ت : ٥٥٥هـ) انظر السير (٩٢/١) .

(٤) المحرر الوجيز (٤٩٣/١١) .

(٥) انظر غرائب التفسير (٩٠١/٢) ، ونظم الدرر (١٦٣/١٥) .

وذهب الأكترون - فيما رأيت - إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية من أن ذلك من كلام الباري، وهو اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه^(١).

ورجح القرطبي ما ذهب إليه ابن عطية فقال: ((والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص... وعليه جماعة المفسرين))^(٢).

وكذلك الشيخ أبو بكر الجزائري رجح أن الآيتين وقعتا اعتراضاً^(٣).

وذهب ابن عاشور إلى تعليق هذه المسألة بنبو لقمان ، وعدمها فقال: ((إذا درجنا على أن لقمان لم يكن نبياً مبلغاً عن الله ، وإنما كان حكيماً مرشداً ، كان هذا الكلام اعتراضاً بين كلامي لقمان ؛ لأن صيغة هذا الكلام مصوغة على أسلوب الإبلاغ والحكاية لقول من أقوال الله ، والضمائر ضمائر العظمة جرت مناسبة حكاية نهي لقمان لابنه عن الإشراك وتفضيحه بأنه ظلم عظيم ... وإذا درجنا على أن لقمان كان نبياً فهذا الكلام مما أبلغه لقمان لابنه ، وهو مما أوتيته من الوحي...))^(٤).

وبعد : فالمسألة محتملة للقولين ، إلا أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية أظهر في الاحتمال - والله أعلم - وذلك للأسباب التالية:

١- لفظ الإنسان في قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ شامل لجميع الناس ، فالألف واللام للجنس، وغير ممكن في لقمان أن يكون قد وصى جميع الناس بهذا.

فإن قيل : هذا من كلام الله يحكيه لقمان . قيل : لو كان كذلك لقال : (ووصى الله الإنسان بوالديه...) ولقال أيضاً : (وإن جاهداك على أن تشرك بالله ما ليس لك به علم).

٢- هذا الموطن مما وقع فيه الاشتباه ، وله نظائر متفق عليها ، فيحمل المختلف على المتفق عليه ، وأعني بالمتفق عليه قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾^(٥).

(١) انظر - مثلاً - إعراب القرآن للنحاس (٢٨٥/٣)، وخر العلوم (٢١/٣)، وانكشاف (٢٣٢/٣) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٥/٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦٣/١٤).

(٣) انظر نهر الخمر على أيسر التفاسير (٢٠٥/٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٥٦/٢١).

(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٨.

وقوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾^(١).

٣- ظاهر السياق في الآيات يدل على أن هاتين الآيتين اعتراض في أثناء وصية لقمان ، فلا يترك هذا الظاهر إلا لما هو أقوى منه.

٤- ما قاله أبو محمد من أن من قال : إنها مما قاله لقمان لابنه يضعفه ما جاء في الآثار أن الآيتين نزلتا في سعد بن أبي وقاص^(٢).

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ١٥ .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦) . وفي صحيح مسلم (٤/١٨٧٧) ح (١٧٤٨) عن سعد أنه قال : ((فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك على أن تشرك بي﴾ وفيها ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ قلت : هذه الآيات من سورة العنكبوت ولقمان مما يدل على أن سبب نزول الآيات - في السورتين - سعد رضي الله عنه . وفي أول الحديث عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ - :
 ((وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها ، أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ، ومنه قول عمرو بن حني التغلبي^(١)):

(١) هو : عمرو بن حني التغلبي فارس جاهلي مذكور . انظر من اسمه عمرو من الشعراء ص(٥٢) ، ومعجم الشعراء ص(٢٠٦). والبيت في مجاز القرآن (١٢٧/٢). يمثل الذي عند الطبري ، ويظهر أن الطبري أخذه منه . وأورده المرزباني في معجم الشعراء ص(٢٠٦ ، ٢٠٧) موافقاً لما عند ابن عطية ، وأشار إلى أنه قد روي هذا البيت للمتلمس ، فقال :
 ((عمرو بن حني التغلبي فارس جاهلي مذكور ، يقول في قتلهم عمرو بن هند ، في رواية محمد بن داود :

نعاطي الملوك الحق ما فصدوا بنا
 أنفت لهم من عقل عمرو بن مرثد
 وكنا إذا الجبار صعر خـده
 وإذا وردوا ماء ورمح بن هرثم
 وأقمنا له من ميله فتقوم

وهذا البيت يروي من قصيدة المتلمس التي أولها :

أخا كرم إلا بأن يتكرما

يعيرني أمي رجال ولن ترى

وبعده البيت ، وآخره : (أقمنا له من ميله فتقوما).

وأبو عبيدة وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حني التغلبي). قلت: الذي في الجاز : عمرو بن حني في موضعين (١/١٦١ - ١٢٧/٢). في الموضع الأول أورد له بيتاً بقافية ميمية مكسورة ، والموضع الثاني هذا البيت المختلف فيه والبيت في الموضع الأول موافق للأبيات التي أوردها المرزباني له في الوزن والقافية. والبيت المختلف فيه أورده الأصمعي في كتابه الأصمعيات ص(٢٤٤ ، ٢٤٥) بنفس الوزن الذي عند الطبري (فتقوما) منسوباً للمتلمس من قصيدة يعاتب فيها خاله الحارث بن التوعم الشكري ومطلعها :

أخا كرم إلا بأن يتكرما

تعيرني أمي رجال ولن ترى

له حسباً كان اللثيم المذمما

ومن يك ذا عرض كريم فلم يصن

إلى أن قال :

أقمنا له من ميله فتقوما

وكنا إذا الجبار صعر خـده

جعلت لهم فوق العرائين مبسما

فلو غير أخواني أرادوا نقبصني

بكف له أخرى فأصبح أحزما

وما كنت إلا مثل قاطع كفه

والبيت في ديوان المتلمس بهذه الرواية (فتقوما) وكذلك هو في لسان العرب (٣٤٥/٧) منسوباً للمتلمس ، وهو أيضاً في كتاب من اسمه عمرو من الشعراء ص(٥٢) منسوباً لعمرو بن حني (فتقوما) ، واستدرك اخفق بأنه ليس (فتقوما) ، بل هو (فتقوم) قال لأنه من قصيدة مكسورة القافية ، كما عند المرزباني ، وكما يدل عليه البيت الآخر : أنفت لهم من عقل عمرو بن مرثد ... إلخ. على أن في البيت رواية ثالثة أوردها الشوكاني في فتح القدير (٤/٢٣٩) دون نسبة وهي:

مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

وكنا إذا الجبار صعر خده

والذي يرجح - والله أعلم - أن البيت لعمرو بن حني التغلبي ، وأن قافيته بكسر الميم (فتقوم) وذلك : لما جاء عند المرزباني من نسبة البيت للشاعر المذكور ضمن قصيدة مكسورة القافية . ولأن رواية (فتقوما) هناك شبه إجماع بين أهل الأدب واللغة الذين اطلعت على مولفاتهم على نسبتها للمتلمس ، وهي في ديوانه ضمن قصيدة منسوبة إليه . وأيضاً مما يرجح أن البيت من قصيدة مخفوضة القافية ، أن أبا عبيدة نفسه أنشد لعمرو بن حني في مجاز القرآن (١/١٦١) بيتاً مخفوض القافية موافقاً للبيت المختلف فيه في الوزن.

وكنا إذا الجبار صعرّ خده . أقمنا له من ميله فتقوماً^(١) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إنشاده البيت ((فتقوماً)) فقال:
((والصعر الميل ... ومنه قول عمرو بن حني التغلبي:

وكنا إذا الجبار صعرّ خده أقمنا له من ميله فتقوم

أي فتقوم أنت . قاله أبو عبيدة . وأنشد الطبري (فتقوماً) وهو خطأ ؛ لأن قافية الشعر مخفوضة^(٢) .
الذي يظهر أن الإمام الطبري تابع أبا عبيدة في الاستشهاد بهذا البيت على هذا المعنى ، وفي نسبه
وقافيته ، فكل ذلك موجود بتمامه في مجاز القرآن^(٣) .

والقرطبي نقل استدراك ابن عطية على الطبري ، ولم يعقب على ذلك بشيء^(٤) . وأورد أبو حيان
الاستدراك نفسه على الطبري ، ولم ينسبه لابن عطية^(٥) .

وغير هؤلاء من المفسرين أيضاً ذكروا هذا البيت فمنهم من يورده بالرواية التي نقلها الطبري عن أبي
عبيدة^(٦) ، ومنهم من يورده بالرواية التي ارتضاها أبو محمد^(٧) .

والذي رأيت من خلال مصادر الأدب واللغة - التي اطلعت عليها^(٨) - أن أصحابها ينسبون الرواية
التي ذكرها أبو عبيدة وتابعه عليها الإمام الطبري للشاعر المتلمس^(٩) ، وكذلك هي موجودة في ديوانه
ضمن قصيدة ميمية . كذلك جاء في كتاب معجم الشعراء ما يؤيد ابن عطية من أن البيت المذكور
مخفوض القافية ، حيث ذكر المرزباني^(١٠) أن البيت مخفوض القافية ، ضمن قصيدة ميمية مخفوضة القافية
لعمر بن حني . وما ذكرت ، وما لم أذكر هنا مما يطول تفصيله^(١١) يتزجج - والله أعلم - أن الرواية في
البيت هي كما قال ابن عطية .

(١) تفسير الطبري (٢١٤/١٠) .

(٢) الخمر الوجيز - النسخة المغربية (١٨/١٣) وأما النسخة القطرية (٥٠٢/١١) فليس فيها استدراك على الطبري ، وإنما
فيها ((وأنشده أبو عبيدة (فتقوماً) وهو خطأ لأن قافية الشعر مخفوضة)) .

(٣) انظر مجاز القرآن (١٢٧/٢) .

(٤) انظر الجاهل لأحكام القرآن (٦٩/١٤) .

(٥) انظر البحر (١٧٧/٧) .

(٦) انظر تفسير ابن كثير (٤٤٧/٣) ، وأضواء البيان (٤٩٧/٦) .

(٧) انظر التحرير والتنوير (١٦٦/٢١) .

(٨) انظرها في الحاشية التي ذكر فيها تخريج البيت .

(٩) جرير بن عبد المسيح الضبي ، شاعر جاهلي مفلق مقل . انظر معجم الشعراء ص (٧١) ، وخزانة الأدب (٣٤٥/٦) .

(١٠) محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، علامة متقن صاحب تصانيف (ت : ٣٨٤هـ) . انظر السير (٤٤٧/١٦) .

(١١) تقدم هذا التفصيل عند تخريج البيت فانظر هناك .

سورة السجدة

❦ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ - : ((وقوله : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة ﴿أحسن كل شيء خلقه﴾ بسكون اللام ، وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين ﴿أحسن كل شيء خلقه﴾ بفتح اللام.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء صحيحتا المعنى ، وذلك أن الله أحكم خلقه ، وأحكم كل شيء خلقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه : أتقن كل شيء وأحكمه... وقال آخرون : بل معنى ذلك الذي حسن خلق كل شيء ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعلم كل شيء خلقه ، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه ، وأن قوله : ﴿أحسن﴾ إنما هو قول القائل : فلان يحسن كذا ، إذا كان يعلمه ... وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه ... بفتح اللام قول من قال : معناه أحكم وأتقن ؛ لأنه لا معنى لذلك إذا قرئ كذلك إلا أحد وجهين : إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان ، أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحسن ؛ فلما كان في خلقه ما لا يشك في قبحة وسماجته ، علم أنه لم يعن به أنه أحسن كل ما خلق ، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعه ، وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام، فإن أولى تأويلاته به قول من قال : معنى ذلك أعلم وألهم كل شيء خلقه ، هو أحسنهم ، كما قال : ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(١) ؛ لأن ذلك أظهر معانيه.

وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى : الذي أحسن خلق كل شيء ، فإنه جعل الخلق نصباً بمعنى التفسير ، كأنه قال : الذي أحسن كل شيء خلقاً منه^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما رجحه على قراءة إسكان اللام من ﴿خلقه﴾ بأنه قول فيه بعد ، فقال : ((وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿خلقه﴾ بسكون

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠ .

(٢) تفسير الطبري (١٠/٢٣٣ ، ٢٣٤).

اللام ، وذلك منصوب على المصدر ، والضمير فيه إما عائد على الله تعالى ، وإما على المفعول ، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿كل﴾ . وذهب بعض الناس - على هذه القراءة - إلى أن ﴿أحسن﴾ معناها: أهدى ، وأن هذه الآية بمعنى قوله: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(١) أي أهدى الرجل إلى المرأة ، والجمل إلى الناقة ، وهذا قول فيه بعد . ورجحه الطبري^(٢).

محل الخلاف بين الإمامين في ﴿خلقته﴾ على قراءة إسكان اللام ، فالإمام الطبري يرجح أن معنى قراءة إسكان اللام : أعلم وأهدى كل شيء خلقه ، فهي بمعنى الآية الأخرى ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(٣).

وابن عطية يرى أن هذا القول فيه بعد ، ويفسر هذه القراءة على أحد احتمالين:

الاحتمال الأول : أن يكون ﴿خلقته﴾ منصوباً على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله : ﴿صنع الله﴾^(٤) فكانه قال : خلقه خلقاً . والضمير في ﴿خلقته﴾ يجوز أن يكون عائداً على الله تعالى فيكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله^(٥) ، ويجوز أن يكون عائداً على المفعول به - وهو المخلوق - فيكون من باب إضافة المصدر إلى مفعوله.

والاحتمال الثاني الذي جوزه ابن عطية : أن يكون ﴿خلقته﴾ بدلاً من ﴿كل شيء﴾ وجائز أنه يعني بدل اشتمال ، والضمير عائد على ﴿كل شيء﴾ ، وجائز أنه يعني بدل كل من كل ، والضمير على هذا عائد على الباري تعالى . ومعنى ﴿أحسن﴾ حسن ؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة ، فالمخلوقات كلها حسنة^(٦).

والقراءة التي وقع الخلاف بين الإمامين في معناها قراءة متواترة^(٧).

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠ .

(٢) المحرر الوجيز (١١/٥٣٠) .

(٣) سورة طه ، الآية : ٥٠ .

(٤) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .

(٥) انظر الدر المنصور (٩/٨٢) فقد فهمت كلام ابن عطية على ضوء ما ذكره السمين .

(٦) انظر المصدر نفسه (٩/٨١) فقد فهمت كلام ابن عطية على ضوء ما ذكره السمين .

(٧) قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام ، وقرأ الباقون بإسكانها . انظر النشر (٢/٣٤٧) .

وقد جوز أهل العلم في معناها أو وجهها شرحها السمين وبينها فقال: ((أحدها: أن يكون ﴿خلقته﴾ بدلاً من ﴿كل شيء﴾ بدل احتمال من ﴿كل شيء﴾ ، والضمير عائد على كل شيء . وهذا هو المشهور المتداول . الثاني : أنه بدل كل من كل ، والضمير على هذا عائد على الباري تعالى . ومعنى ﴿أحسن﴾ حسن ؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة ، فالمخلوقات كلها حسنة . الثالث: أن يكون ﴿كل شيء﴾ مفعولاً أول ، و ﴿خلقته﴾ مفعولاً ثانياً على أن يضمن ﴿أحسن﴾ معنى أعطى وأهم . قال مجاهد : ((أعطى كل جنس شكله)) . والمعنى : خلق كل شيء على شكله الذي خصه به . الرابع : أن يكون ﴿كل شيء﴾ مفعولاً ثانياً قدم ، و ﴿خلقته﴾ مفعولاً أول آخر ، على أن يضمن ﴿أحسن﴾ معنى أهم وعرف . قال الفراء : أهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم ذلك . قلت - القائل السمين - وأبو البقاء ضمن أحسن معنى عرف ، وأعرّب على نحو ما تقدم إلا أنه لا بد أن يجعل الضمير لله تعالى ، ويجعل الخلق بمعنى المخلوق أي: عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه ، فيؤول المعنى إلى معنى قوله : ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(١) ((...))^(٢) .

وبعض ما ذكره الإمام الطبري قد سبق إليه الإمام الفراء حيث قال : ((ويقرأ ﴿أحسن كل شيء خلقه﴾ ... كأنه قال : أهم خلقه كل ما يحتاجون إليه ، فالخلق منصوبون بالفعل الذي وقع على ﴿كل﴾ كأنك قلت : أعلمهم كل شيء وأحسنهم))^(٣) .

وما قاله ابن عطية من أن ﴿خلقته﴾ منصوب على المصدر ، والضمير فيه عائد على الله قد سبق إليه إمام نخاعة البصرة سيويه ، فأورد هذه الآية وأعرّبها بهذا^(٤) .

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠ .

(٢) الدر المنصون (٩/٨١ ، ٨٢) .

(٣) معاني القرآن (٢/٣٣٠ ، ٣٣١) .

(٤) انظر كتاب سيويه (١/٣٨١) .

وما ذكره الطبري في التزجيج أورده الكرماني على أنه قولان أحدهما غريب والآخر عجيب فقال:
 ((الغريب : أحسن بمعنى علم من قولهم : هو يحسن كذا أي يعلمه . العجيب : معناه أعطى كل شيء
 خلقه...))^(١).

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن هذا القول الذي رجحه الإمام الطبري بعيد كما قال القاضي
 ابن عطية وذلك للأسباب التالية:

- ١- أن لفظ ﴿كل شيء﴾ يفيد العموم ، وما رجحه الإمام الطبري مقتضاه خاص بالحيوان .
- ٢- أن جعل أحسن بمعنى ((أهم)) ليس بواضح ، وكلام الله يحمل على الواضح البين^(٢) .
- ٣- مضمون ما رجحه الإمام الطبري ، أن جعل هذه الآية بمعنى آية أخرى ، وكلام الباري إذا تردد
 بين التأكيد والتأسيس ، كان حمله على التأسيس أولى .
- ٤- هذا القول الذي رجحه الإمام الطبري جاء على خلاف الظاهر المشهور من أن ﴿خلقته﴾ -
 يأسكان اللام - بدل من ﴿كل شيء﴾ بدل اشتمال^(٣) . والله أعلم .

(١) انظر غرائب التفسير (٩٠٦/٢) .

(٢) أورد ابن منظور الآية ، ولم يذكر أنها تتضمن هذا المعنى . وذكر الراغب أن حسن يأتي بمعنى العلم . انظر المفردات
 ص(١١٩) ولسان العرب (١٧٩/٣) ((حسن)).

(٣) انظر البحر (١٩٤/٧) ، والدر المصون (٨١/٩) ، وفتح القدير (٢٤٩/٤) فقد قال أبو حيان : إن هذا الوجه هو
 الظاهر . وقال تلميذه السمين : إنه المشهور المتداول . وقال الشوكاني : وهذا هو الوجه المشهور عند النحاة . وهذا
 الذي قالوه ، طائفة كبيرة من المفسرين والمعربين بين مقدم له ، أو مقتصر عليه . انظر - مثلاً - الكشاف (٢٤١/٣) ،
 والبيان في غريب إعراب القرآن (٢٥٨/٢) ، والتبيان في إعراب القرآن (١٠٤٨/٢) ، والتسهيل (٢٨١/٣) ، ونظم
 الدرر (٢٤٤/١٥) ، وتفسير أبي السعود (٨١/٧) ، وروح المعاني (١٢٣/٢١) ، والتحرير والتنوير (٢١٥/٢١) .

سورة سبأ

❦ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين ، ليجزي الذين آمنوا ، والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم ، وليرى الذين أوتوا العلم، فيرى في موضع نصب عطفاً به على قوله: ﴿ ليجزي ﴾ في قوله : ﴿ ليجزي الذين آمنوا ﴾^(١))).^(٢)

ورأى القاضي ابن عطية أن الظاهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري من عطف ﴿ يرى ﴾ على ما قبله، فقال : ((قال الطبري ، والثعلبي^(٣) ، وغيرهما : ﴿ يرى ﴾ معطوف على ما قبله من الأفعال. والظاهر أنه مستأنف ، وأن الواو إنما عطفت جملة على جملة ، وكان المعنى : الإخبار بأن أهل العلم يرون الوحي المنزل على محمد ﷺ حقاً ، وأنه يهدي إلى صراط مستقيم))^(٤).

ما قاله الإمام الطبري والقاضي ابن عطية من عطف ﴿ يرى ﴾ على ما قبله ، أو جعله مستأنفاً هما وجهان جائزان عند طائفة كبيرة من أهل العلم منهم الفراء ، والنحاس ، وأبو البركات ابن الأنباري، والعكبري ، والسمين الحلبي^(٥).

وبعض أهل العلم ينجح إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية كالزمخشري فإنه قال : ((﴿ ويرى ﴾ في موضع الرفع ، أي: ويعلم أولو العلم ... وقيل: يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي، أي:

ب

(١) سورة سبأ ، الآية : ٤ .

(٢) تفسير الطبري (٣٤٧/١٠).

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، كان أحد أوعية العلم له كتاب ((الكشف والبيان في تفسير القرآن)) مخطوط

(ت: ٤٢٧هـ) انظر السير (٤٣٥/١٧).

(٤) اخبر الوجيز (١٣٦/١٢).

(٥) انظر معاني القرآن (٣٥٢/٢)، وإعراب القرآن (٣٣٢/٣) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (٢٧٤/٢)، والبيان في

إعراب القرآن (١٠٦٣/٢) ، والدر المصون (١٥٢/٩).

وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق ، علماً لا يزداد عليه في الإيقان ، ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا...»^(١).

فظاهر تقديم الزمخشري لما وصفه ابن عطية بأنه الظاهر ، وحكايته الآخر بلفظ (قيل) أن القول المقدم - عنده - هو الاستئناف .

وتابع أبو حيان وابن جزري ابن عطية ، فوصف أبو حيان الاستئناف بأنه الظاهر ، ووصفه ابن جزري بأنه الأظهر^(٢).

وبعد : فما قاله الإمام الطبري جيد ؛ لأنه يحافظ على ترابط الآيات ، ويدفع عنها التفكيك ، غير أن ما وصفه أبو محمد بأنه الظاهر هو كذلك لسببين :

الأول : أن قوله : ﴿ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ معطوف على قوله : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم ﴾ وهو مرفوع فلو كان ﴿ ويرى ﴾ في محل نصب لظهر أثر هذا النصب في المعطوف عليه وهو ﴿ ويهدي ﴾ فلما لم يظهر النصب علمنا أن ﴿ ويرى ﴾ إنما هو في محل رفع على الاستئناف^(٣).

الثاني : أن قوله : ﴿ ليجزي ﴾ متعلق بقوله : ﴿ لتأتينكم الساعة ﴾ ، وكذلك ما عطف عليه وهو ﴿ ويرى ﴾ فيكون المعنى : لتأتينكم الساعة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ~~بالتسليم~~ ، وليعلم الذين أوتوا القرآن أن القرآن حق . وليس علمهم بأن القرآن حق متوقفاً على مجيء الساعة^(٤).

(١) الكشاف (٢٨٠/٣).

(٢) انظر البحر (٢٤٩/٧) ، والتسهيل (٣١٩/٣).

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٧/٤).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/١٤ ، ٢٦٢).

سورة يس

قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ يقول تعالى ذكره : يا حسرة من العباد على أنفسهم، وتندماً وتلهفاً في استهزائهم برسول الله ﴿ما يأتيهم من رسول﴾ من الله ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾ وذكر أن ذلك في بعض القراءات (يا حسرة العباد على أنفسهم))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ، فوصف تفسيره للحسرة بأنه ليس بين على القراءة المتواترة ، فقال : ((وقوله تعالى : ﴿يا حسرة﴾ نداء لها على معنى : هذا وقت حضورك وظهورك ... وهو منادى منكور على هذه القراءة.

وقال الطبري : المعنى : يا حسرة العباد على أنفسهم، وذكر أنها في بعض القراءات كذلك. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : المعنى ، يا ويلاً للعباد . وقرأ ابن عباس ... (يا حسرة العباد) بالإضافة. وقول ابن عباس حسن مع قراءته ، وتأويل الطبري ذلك في القراءة الأولى ليس بالبين ، وإنما يتجه أن يكون المعنى تلهفاً على العباد كان الحال يقتضيه ، وطباع كل بشر توجب عند سماعه حالهم وعذابهم على الكفر وتضييعهم أمر الله تعالى أن يشفق ويتحسر على العباد))^(٢).

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري يجعل قوله : ﴿يا حسرة على العباد﴾ هو من العباد أنفسهم يتندمون ، ويتلهفون على استهزائهم برسول الله ، ويستشهد على هذا المعنى بالقراءة الشاذة (يا حسرة العباد على أنفسهم)^(٣).

وأبو محمد يرى أن تفسير الطبري هذا يقبل على القراءة الشاذة ، إلا أنه على القراءة المتواترة ليس بالبين. وإنما يتجه أن يكون من العباد : أن هؤلاء الكفار المستهزئين بالرسول قد حصلت لهم خسارة عظيمة فهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ، ويتلهف على حالهم المتلهفون.

(١) تفسير الطبري (٤٣٨/١٠).

(٢) إخراج الروح (٢٩٢/١٢ ، ٢٩٣).

(٣) بإضافة الحسرة إلى العباد . انظر المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص(١٢٥).

وأنت إذا تأملت المعنيين وجدتهما يرجعان إلى أن المتحسر هم العباد^(١) غير أن قول الإمام الطبري ينحو إلى أن ذلك التحسر واقع من الكفار على ما حصل منهم من تفریط ، وقول ابن عطية ينحو إلى أن التحسر واقع من عباد الله المؤمنين الذين يسمعون بعذاب هؤلاء الكفار وتضييعهم أمر الله تعالى .

ولا شك أن قول الإمام الطبري واضح وجيد على القراءة الشاذة ، أما على القراءة المتواترة فالحكم كما قال ابن عطية أنه ليس بين ؛ لأنه جعل (على) بمعنى (من) فأزال الآية عن ظاهرها ، وجعل القراءة المتواترة تبعاً لقراءة شاذة في المعنى ، وأحال الجملة الندائية الإنشائية إلى جملة خبرية ، وهذا كله من غير ملجئ . أضف إلى ما تقدم أن جعل الحسرة حاصلة منهم على أنفسهم شيء لا يهز المشاعر ، ولا يبلغ بتصوير العذاب الحاصل لهم مبلغ ترك الآية على ظاهرها الذي يفيد أن ما وقع لهم من العذاب على تضييع أمر الله واستهزائهم برسول الله شيء عظيم وكبير حتى دعا غيرهم إلى الندم والغم لما حل بهم .

قال الألوسي - بعد أن ذكر أقوالاً في معنى الآية - : ((ولعل الأوفق للمقام المتبادر إلى الأفهام أن

المراد نداء حسرة كل من يتأتى منه التحسر ففيه من المبالغة ما فيه))^(٢) .

(١) في المتحسر قولان: القول الأول: أنهم العباد ، ثم اختلف أصحاب هذا القول في المراد بالعباد . فقيل الملائكة ، وقيل المؤمنون ، وقيل الرسل الثلاثة ، وقيل من حل بهم العذاب . انظر البحر (٣١٨/٧) والأخير - في المراد بالعباد - لم يذكره أبو حيان وهو قول الطبري . القول الثاني : أن المتحسر هو الله تعالى ، وذلك على سبيل الاستعارة ، بأن شبه حال العباد بحال من يتحسر عليه الله فرضاً فيقول: يا حسرة على عبادي ... فالنداء للحسرة تعجب منه ، والمقصود تعظيم جنائهم، أي عدها أمراً عظيماً يتعجب منه . انظر محاسن التأويل (٤٤/٦) .

(٢) روح المعاني (٤/٢٣) .

سورة ص

❁ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ - : ((يقول تعالى ذكره : أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك ، يعني : مفاتيح رحمة ربك يا محمد ، العزيز في سلطانه ، الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة فيمنعوك يا محمد ما من الله به عليك من الكرامة ، وفضلك به من الرسالة))^(١).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأبين في تفسير الخزان غير ما ذكره الإمام الطبري ، فقال : ((أعندهم رحمة ربك وخزائنها ، التي فيها الهدى والنبوة ، وكل فضل ، فيكون لهم تحكم في الرسالة وغيرها من نعم الله ... والخزائن للرحمة مستعارة ، كأنها موضع جمعها وحفظها ، من حيث كانت ذخائر البشر تحتاج إلى ذلك ، خوطبوا في الرحمة بما ينحو إلى ذلك . وقال الطبري : يعني بالخزائن المفاتيح ، والأول أبين . والله أعلم))^(٢).

محل الخلاف بين الإمامين في معنى ((الخزائن)) فالإمام الطبري يرى أنها بمعنى المفاتيح ، والقاضي ابن عطية يرى أنها بمعنى المواضع التي يجمع فيها الشيء ، وكون الرحمة تخزن من باب الاستعارة.

وما ذهب إليه الإمام الطبري ، من أن الخزائن المفاتيح قال به طائفة من المفسرين منهم أبو الليث السمرقندي ، ونقله الماوردي عن السدي ، وقال به أيضاً الواحدي ، والبيهقي ، ونسبه ابن الجوزي إلى المفسرين^(٣).

وما نحى إليه أبو محمد من أن الخزائن هي المواضع التي يحتاج البشر إلى حفظ المال فيها ، وإطلاقها في الآية استعارة ، أشار إليه طائفة من المفسرين - من غير نص منهم على مسألة الاستعارة - منهم الزمخشري ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والألوسي^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٠/٥٥٤).

(٢) آخر الوجيز - المغربية - (١٤/١٢٢) . ولم يرد قوله ((والأول أبين)) في النسخة القطرية.

(٣) انظر بحر العلوم (٣/١٣٠) ، وانكت والعيون (٥/٧٩) ، والوسيط (٣/٥٤٠) ، ومعالم التنزيل (٤/٤٩) ، وزاد المسير (٧/١٠٤).

(٤) انظر الكشاف (٣/٣٦١) ، والبحر (٧/٣٧٠) ، وتفسير أبي السعود (٧/٢١٦) ، وروح المعاني (٢٣/١٦٨).

وكذلك ابن عاشور ، فقد قرر ما رامه أبو محمد في مسألة الاستعارة ، فقال - بعد أن ذكر معنى الآية - : ((والخزائن : جمع خزانة بكسر الخاء . وهي البيت الذي يخزن فيه المال أو الطعام ، ويطلق أيضاً على صندوق من خشب أو حديد يخزن فيه المال . والخزن : الحفظ والحرز . والرحمة ما به رفق بالغير وإحسان إليه ، شبهت رحمة الله بالشيء النفيس المخزون الذي تطمح إليه النفوس في أنه لا يعطى إلا بمشيئة خازنه ، على طريقة الاستعارة المكنية))^(١).

وبعد : فالمعنى البين المشهور في كتب اللغة أن الخزان اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء^(٢) . فنقول : هذا معناه في اللغة ، وثبت ما أثبتته القرآن من أن لرحمة الله خزائن ^{حَقِيقَةً} حَقِيقَةً ، ولا نقول : هذا من باب المجاز والاستعارة^(٣).

ثم يقال : ما نحى إليه القاضي ابن عطية من إثبات معنى ﴿خزائن﴾ بقوله : ((أعندهم رحمة ربك وخزائنها ، التي فيها الهدى والنبوة ، وكل فضل ، فيكون لهم تحكّم في الرسالة وغيرها من نعم الله))^(٤) .
أبين مما قاله الإمام الطبري لكونه المعنى المشهور في لغة العرب .

ولعل الإمام الطبري ومن نحى نحوه في تفسير الخزائن قالوا ما قالوا لسببين :
الأول : أن المفاتيح قد يقال لها الخزائن^(٥).

وقد قيل هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي

القوة﴾^(٥)

الثاني : أن الخزانة ، حرز تحرز فيه الأشياء ، وكذلك المفاتيح حرز تحرز به الأشياء ، فلما رأوا هذا المعنى يجتمع فيهما اطلقوا أحدهما على الآخر . والله أعلم .

(١) التحرير والتنوير (٢٣/٢١٦) . والاستعارة المكنية : ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه . انظر البلاغة الواضحة ص(٧٧) .

(٢) انظر تهذيب اللغة (٧/٢٠٨) ، ولسان العرب (٤/٨٧) ، وختار الصحاح ص(١٣٦) ((خزن)) .

(٣) وهو الذي يفهم من تفسير ابن كثير وابن سعدي ، والشنقيطي . انظر تفسير ابن كثير (٤/٢٩) ، وتيسير الكريم المنان (٤/٢٨١) ، وأضواء البيان (٧/٢٢) .

(٤) انظر تهذيب اللغة (٤/٤٤٥) ، ولسان العرب (١٠/١٧٢) ((فتح)) .

(٥) سورة القصص ، الآية : ٧٦ . وانظر معاني القرآن للفراء (٢/٣١٠) ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٣٣٥) .

سورة غافر

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِذِ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ﴾ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾^(١) ﴿وَإِذِ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ﴾ يقول : وإذ يتخاصمون في النار . وعني بذلك : إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار^(٢).

واستبعد القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - ما ذهب إليه الإمام الطبري من جعل ﴿وَإِذِ يَتَحَاوَنُونَ﴾ معطوفاً على ما تقدم في أول السورة من قوله تعالى : ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾^(٣) فقال : ((والضمير في قوله : ﴿يَتَحَاوَنُونَ﴾ لجميع كفار الأمم ، وهذا ابتداء قصص لا يختص بآل فرعون . والعامل في ﴿إِذِ﴾ فعل مضمر تقديره : واذكر . وقال الطبري : ﴿وَإِذِ﴾ هذه عطف على قوله تعالى : ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾^(٤) . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا بعيد^(٥).

هذا الظرف ﴿إِذِ﴾ الذي وقع فيه الاستدراك من ابن عطية على الإمام الطبري جوز فيه أهل العلم ثلاثة أوجه^(٦):

الأول : أنه نصب بفعل مضمر تقديره : (اذكر) وإلى هذا ذهب ابن عطية ، وهو قول جمهور المفسرين فيما اطلعت عليه^(٧).

(١) سورة غافر ، الآية : ١٨ .

(٢) تفسير الطبري (١١/٦٧ ، ٦٨) .

(٣) سورة غافر ، الآية : ١٨ .

(٤) سورة غافر ، الآية : ١٨ .

(٥) المحرر الوجيز (١٣/٥١) .

(٦) انظر الدر المنثور (٩/٤٨٦) .

(٧) انظر - مثلاً - الراسخين (٤/١٧) ، ومعالم التنزيل (٤/١٠٠) ، والكشاف (٣/٤٣٠) ، وزاد المسير (٧/٢٢٩) ، وتفسير

البيضاوي (٢/٣٣٨) ، وتفسير النسفي (٤/٨١) ، وتفسير الخازن (٤/٩٧) ، والجواهر الحسان (٤/١٠٤) ، وتفسير

أبي السعود (٧/٢٧٩) ، والفتوحات الإلهية (٤/١٨) .

الثاني : أن الواو عاطفة ، وهذا الظرف معطوف على الظرف المتقدم في قوله : ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾^(١) ، وهذا قول الإمام الطبري.

الثالث : أن الواو عاطفة - أيضاً - وهذا الظرف معطوف على ﴿غدوا﴾ من قوله : ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾^(٢) فيكون معمولاً ، لـ ﴿يعرضون﴾ ، وهذا القول عده العربون وجهاً^(٣) . ويكون المعنى على هذا الوجه : يعرض آل فرعون على النار في هذه الأوقات كلها^(٤) .

وعلى الوجه الأول يكون ضمير الفاعل في ﴿يتحاجون﴾ لجميع كفار الأمم في رأي ابن عطية . وعلى الوجه الثاني قدر الإمام الطبري ضمير الفاعل في ﴿يتحاجون﴾ لكفار قريش .

وقد أورد أبو حيان استدراك ابن عطية ولم يعقب عليه بشيء^(٥) .

واستدرك السمين الحلبي على قول الإمام الطبري بما قال ابن عطية ، وبأن الظاهر عود الضمير في ﴿يتحاجون﴾ إلى آل فرعون^(٦) .

واختار العلامة الألوسي نحو ما ذهب إليه ابن عطية وطعن في القولين الآخرين فقال : ((وقوله تعالى : ﴿وإذ يتحاجون في النار﴾ معمول لـ : اذكر محذوفاً ، أي : واذكر وقت تحاصمهم في النار ، والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة ... وزعم الطبري أن ﴿إذ﴾ معطوفة على ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾^(٧) وهو مع بعده فيه ما فيه . وجوز أن تكون معطوفة على ﴿غدوا﴾ وجملة ﴿يوم تقوم﴾^(٨) اعتراض بينهما ، وهو مع كونه خلاف الظاهر قليل الفائدة^(٩) .

(١) سورة غافر ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٤٦ .

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن (١١٢١/٢) ، والدر المصون (٤٨٦/٩) .

(٤) انظر الدر المصون (٤٨٦/٩) .

(٥) انظر البحر (٤٤٨/٧) وقبل إيراده لاستدراك ابن عطية قال : ((الظاهر أن الضمير عائد على آل فرعون)) يعني أبو حيان ضمير الفاعل في قوله : ﴿يتحاجون﴾ .

(٦) انظر الدر المصون (٤٨٦/٩) .

(٧) سورة غافر ، الآية : ١٨ .

(٨) يعني ﴿يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ الآية : ٤٦ .

(٩) روح المعاني (٧٤/٢٤) .

وبعد : فهذه الأوجه كلها محتملة ، إلا أن ما ذهب إليه أبو محمد أبينها وأقواها ؛ لأنه ينحو بالآيات منحنى العموم ، والقولان الآخران ينحوان بها منحنى الخصوص ، وظاهر الآيات - أعني ﴿وإذ يتحاجون﴾ وما بعدها - إرادة العموم .

وأيضاً فقول الإمام الطبري - على ما فيه من قوة لأنه يحمل الوعيد الصريح لكفار قريش - فيه بعد كبير بين المعطوف والمعطوف عليه كما قال ابن عطية وغيره من أئمة العلم .

وأيضاً فظاهر ﴿وإذ يتحاجون في النار﴾ - وما بعده - أنه ابتداء قصص جديد ، لا تعلق له بما قبله من ناحية المعنى ، وذلك أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بإنذار المكذبين وتخويفهم يوم القيامة ، وما يحصل فيه من الكرب ، ثم ذكّرهم بأحوال الأمم المكذبة ، وما حل بهم من العقوبات ، ثم ذكر فصولاً من قصة موسى مع فرعون ، وموقف مؤمن آل فرعون - ليكون في ذلك ^{مثال} للداعية المسلم - ثم ابتداء فأخبر عما يحصل بين أصحاب النار من الحاجة ، وذلك بلفظ العموم الذي يندرج فيه كل كافر سواء كان رأساً في الكفر ، أو كان تبعاً فيه فقال : ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾ قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴿١﴾ .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ الله الذي جعل لكم

الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ... ﴾ يقول تعالى ذكره : الله الذي لا تصلح الألوهية إلا له أيها

المشركون به من قريش ((الذي جعل لكم الأنعام)) من الإبل والبقر والغنم والحيل ، وغير ذلك من البهائم التي يقنيتها

أهل الإسلام لمركب أو لمطعم ((لتركبوا منها)) يعني الحيل والحمير ((ومنها تأكلون)) يعني الإبل والبقر والغنم ، وقال

((لتركبوا منها)) ومعناه : لتركبوا منها بعضاً ، ومنها بعضاً تأكلون ، فحذف استغناءً بدلالة الكلام على ما حذف))^(١)

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن الأنعام تشمل الأزواج

الثمانية وغيرها ، فقال : ((والأنعام الأزواج الثمانية . قال القاضي ابن عطية و ((منها)) الأولى للتبويض ؛ لأن

المركوب ليس كل الأنعام ، بل الإبل خاصة . و ((منها)) الثانية لبيان الجنس ؛ لأن الجميع منها يؤكل . وقال الطبري

- في هذه الآية - : إن الأنعام تعم الإبل والبقر والغنم والحيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به في البهائم ذ ((منها))

في الموضوعين للتبويض على هذا ، لكنه قول ضعيف ، وإنما الأنعام الأزواج الثمانية التي ذكر الله فقط))^(٢)

اختلف العلماء في المقصود بالأنعام في هذه الآية على ثلاثة أقوال :-

الأول : أن المقصود بالأنعام هي الإبل والبقر والغنم ، وهي الثمانية المذكورة في قوله تعالى

﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ﴾^(٣) الآية ، ولعل هذا قول

الأكثرين.^(٤)

الثاني : أن المقصود بالأنعام الإبل خاصة ، وهذا قول الزجاج^(٥) وتبعه الزمخشري وغيره.^(٦)

الثالث : ما ذهب إليه الإمام الطبري ، من أن المقصود بالآية الإبل والبقر والغنم والبغال والحمير .

^(١) تفسير الطبري (٨٠/١١) .

^(٢) المحرر الوجيز - النسخة المغربية - (١٥٩، ١٥٨/١٤) .

^(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٣ .

^(٤) انظر - مثلاً - البحر المحيط (٤٥٧/٧) ، و بحر العلوم (١٧٤/٣) ، وتفسير ابن كثير (٩٠/٤) ، والتسهيل (١٦/٤) ، وأضواء البيان

(٩٩/٧) ، وتفسير الجلالين ص (٥٧٨) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٤) ، وتفسير البيضاوي (٣٤٢/٢) .

^(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٧٨/٤) .

^(٦) انظر الكشاف (٤٣٨/٣) ، وتفسير النسفي (٨٥/٤) ، وتفسير أبي السعود (٢٨٦/٧) ، وفتح البيان (٣٠٥/٨) ، والفتوحات الإلهية (٢٦١/٤) .

وهذا القول لم أر - فيما اطلعت عليه - من يقول به غير هذا الإمام ، رحمه الله تعالى .
وقد انضم إلى القاضي ابن عطية - في تضعيف قول ابن جرير - أبو حيان ، حيث قال - بعد
أن فسر الآية بالقول الأول - : « ويضعف قول من أدرج فيها الخيل والبغال والحمير ، وغير ذلك مما ينتفع به
من البهائم ، وقول من خصها بالإبل وهو الزجاج »^(١)
والذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد ، وأن
المقصود بالأنعام في هذه الآية ، الإبل والبقر والغنم ، وذلك للأسباب التالية :

١- أن الله تعالى قال ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا
تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾^(٢) ثم بين في الآية التي بعد هذه أن المقصود
بالأنعام الثمانية الأزواج - وهي الإبل والبقر والغنم - فقال ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن
المعز اثنين . . الآية^(٣) أي خلق منها ثمانية أزواج^(٤) ، فهذا تفسير للأنعام التي ذكرت إجمالاً ، وذكر
أن منها ما يركب ، ومنها ما ينتفع به في غير الركوب ، ثم يحمل على آية الأنعام بقية الآيات التي ذكر الله فيها
الأنعام ، فخير ما يفسر به كلام الله ، كلام الله .

٢- قد تقدم في أول سورة النحل - من هذا البحث - أن أبا منصور الأزهري حكى عن
العرب أنهم إذا أفردوا " النعم " لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا : الأنعام أرادوا بها الأبل والبقر والغنم^(٥) ،
ونص الآية - كما ترى - الأنعام .

بل إن الطبري قد قرر هذا المعنى الأخير فقال في أول سورة المائدة " وأما النعم
فإنها عند العرب اسم للإبل والبقر والغنم خاصة كما قال جل ثناؤه ﴿ والأنعام

^(١) البحر المحيط (٤٥٧/٧) .

^(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٢ .

^(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٣ .

^(٤) انظر تهذيب اللغة (١٣/٣) " نعم " .

^(٥) انظر تهذيب اللغة (١٣/٣) " نعم " ، وانظر أيضاً المفردات ص (٤٩٩) ، وعمدة الحفاظ (٤/٤٤٩) .

خلقها لكم فيها دفءً ومنافع ومنها تأكلون^(١) ، ثم قال : ﴿والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾^(٢) فصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان^(٣)
٣- وما يؤيد صحة استدراك ابن عطية أن جمهور المفسرين حملوا الآية على الأزواج الثمانية ،
أو على الإبل خاصة ، ولم أر في حد اطلاعي من يفسرها بقول الإمام الطبري^(٤) ، بل رأيت من يصف هذا
القول بالضعف - وهو أبو حيان - ومن يقول : حملها على الإبل والبقر والغنم هو الظاهر^(٥) .

^(١) سورة التحل ، الآية : ٥ .

^(٢) سورة النحل ، الآية : ٨ .

^(٣) تفسير الطبري (٤٥٧/٩) .

^(٤) نعم حكاة الثعالبي في الجواهر مجرد حكاية ، بعد أن فسرها بقول ابن عطية ، انظر الجواهر الحسان (١٠٩/٤) .

^(٥) قاله السيوطي ، انظر تفسير الجلالين ص (٥٧٨) .

سورة فصلت

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله﴾ - : ((وعني بقوله : ﴿من بين أيديهم﴾ الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين ، وعني بقوله : ﴿ومن خلفهم﴾ من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آباؤهم رسلاً إليهم ، وذلك أن الله بعث إلى عاد هوداً فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آباؤهم أيضاً، فكذبوهم ، فأهلكوا))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفريقه الضمان في قوله : ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ فقال : ((وقوله تعالى : ﴿من بين أيديهم﴾ أي: قد تقدموا في الزمن ، واتصلت نذارتهم إلى أعمار عاد وثمود ، وبهذا الاتصال قامت الحجة . وقوله تعالى : ﴿ومن خلفهم﴾ أي: جاءهم رسول بعد اكتمال أعمارهم وبعد تقدم وجودهم في الزمن ، فلذلك قال تعالى : ﴿ومن خلفهم﴾ وجاء من مجموع العبارة إقامة الحجة عليهم في أن الرسالة والنذارة عمتهم خيراً ومباشرة ، ولا يتوجه أن يجعل ﴿ومن خلفهم﴾ عبارة عما أتى بعدهم في الزمان ؛ لأن ذلك لا يلحقهم منه تقصير .

وأما الطبري - رحمه الله تعالى - فقال : إن الضمير في قوله تعالى : ﴿ومن خلفهم﴾ عائد على الرسل ، والضمير في قوله تعالى : ﴿من بين أيديهم﴾ على الأمم ، وتابعه الثعلبي . وهذا غير قوي؛ لأنه يفرق الضمان ويشعب المعنى))^(٢).

محل الخلاف بين الإمامين في مرجع الهاء والميم من قوله تعالى : ﴿ومن خلفهم﴾ فالطبري يعيدها إلى الرسل ، وابن عطية يعيدها إلى عاد وثمود ، ويصف قول الطبري بعدم القوة ؛ لأنه يؤدي إلى تفريق الضمان وتشعب المعنى.

(١) تفسير الطبري (١١/٩٤).

(٢) الخمر الوجيز (١٣/٨٩ ، ٩٠).

وحتى تنضح هذه المسألة ^{أشير} ~~نشير~~ إلى اختلاف أهل العلم في المقصود بقوله : ﴿جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ ^{فأقول} ~~فقط~~ ذكر أبو حيان اختلافهم في ذلك فقال: ((قال ابن عباس : أي قبلهم . أي قبل هود وصالح وبعدهما . وقيل : من أرسل إلى آبائهم ومن أرسل إليهم ، فيكون ﴿من بين أيديهم﴾ معناه: من قبلهم ﴿ومن خلفهم﴾ معناه : الرسل الذين بحضرتهم ، فالضمير في ﴿من خلفهم﴾ عائد على الرسل ، قاله الضحاك وتبعه الفراء ، وسيأتي عن الطبري نحو من هذا القول . وقال ابن عطية : ﴿من بين أيديهم﴾ أي: تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم إلى أعمار عاد وثمود، وبهذا الاتصال قامت الحجة ﴿ومن خلفهم﴾ أي: جاءهم رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن وجاء من مجموع العبارة إقامة الحجة عليهم في أن الرسالة والنذارة عمتهم خيراً ومباشرة ... وهو شرح كلام ابن عباس .

وقال الزمخشري : ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي أتوهم من كل جانب ، واجتهدوا بهم ، وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتر والاعراض ... وعن الحسن : أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم ، وعذاب الآخرة ؛ لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ، ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم ... وقال الطبري: الضمير في قوله : ﴿ومن خلفهم﴾ عائد على الرسل ، وفي ﴿من بين أيديهم﴾ عائد على الأمم . وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضمانر وتعمية المعنى ، إذ يصير التقدير : جاءتهم الرسل من بين أيديهم ، وجاءتهم من خلف الرسل ، أي: من خلف أنفسهم . وهذا معنى لا يتعقل إلا إن كان الضمير يعود في ﴿خلفهم﴾ على الرسل لفظاً ، وهو يعود على رسل أخرى معنى ، فكأنه قال : جاءتهم الرسل من بين أيديهم ، ومن خلف رسل آخرين ، فيكون كقولهم : عندي درهم ونصفه ، أي: ونصف درهم آخر . وهذا فيه بعد^(١) .

تبين لنا مما ذكر أبو حيان - رحمه الله تعالى - أن قول الطبري أصله للضحاك ، وقول ابن عطية أصله يروى عن ابن عباس^(٢) .

(١) البحر المحيط (٧/٤٦٨) .

(٢) من طريق العوفي كما في تفسير الطبري (٩٤/١١) .

وكما تبنى الطبري قول الضحاك ، فقد تبناه من قبله الإمام الفراء ، حيث قال: ((وقوله : ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أتت الرسل آباءهم ، ومن كان قبلهم ﴿ومن خلفهم﴾ يقول: وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل فتكون الهاء والميم في ﴿خلفهم﴾ للرسول^(١).

وقال بهذا القول - أيضاً - جماعة من المفسرين منهم الواحدي ، والبغوي ، والخازن^(٢). وما ذهب إلى تضعيفه ابن عطية وافقه أبو حيان كما رأيت ، وتابع أبو حيان في تضعيف هذا القول تلميذه السمين الحلبي فقال : ((قوله : ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ الظاهر أن الضميرين عائدان على عاد وثمود . وقيل: الضمير في ﴿خلفهم﴾ يعود على الرسل . واستبعد هذا من حيث المعنى ؛ إذ يصير التقدير : جاءتهم الرسل من خلف الرسل ، أي: من خلف أنفسهم . وقد يجاب عنه بأنه من باب (درهم ونصفه) أي: ومن خلف رسل آخرين^(٣).

ونقل الألويسي ما قاله الإمام الطبري ، وتعقب أبي حيان له ، ويظهر أن موقفه إقرار أبي حيان على هذا التعقب ، وإن لم يصرح بذلك^(٤).

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة ، وذلك أن هذا القول يؤدي إلى تفريق الضمائر ، ويشعب المعنى ، ويعميه ، وهو خلاف ظاهر القرآن الكريم الذي يفيد أن الضميرين في قوله : ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ راجعان إلى عاد وثمود^(٥). ولعل الإمام الطبري ذهب إلى هذا القول في معنى الآية لأنه رأى أنه يحل إشكالاً يلوح في معنى الآية، بيانه: أن ظاهر لفظ ﴿جاءتهم﴾ يفيد أن هذا انجبيء ، قد قامت به الحجة عليهم ، ولفظ ﴿من خلفهم﴾ يفهم منه أنه بمعنى من بعد انقراضهم وذهابهم ، وهذا لإحاجة فيه عليهم. ثم هذه الأقوال الباقية بعد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري أمثلها ما حرره ابن عطية . والله أعلم بما أراد.

(١) معاني القرآن (١٣/٣).

(٢) انظر الرسيط (٢٨/٤) ، ومعان التنزيل (١٠٩/٤) ، وتفسير الخازن (١٠٦/٤).

(٣) الدر المصون (٥١٤/٩) ، (٥١٥).

(٤) انظر روح المعاني (١١٠/٢٤).

(٥) هذا مجموع ما علل به ابن عطية وأبو حيان.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ في أيام نحسات ﴾ - : ((وقد اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبي عمرو ﴿ في أيام نحسات ﴾ بكسر الحاء . وقراه نافع وأبو عمرو ﴿ نحسات ﴾ بسكون الحاء . وكان أبو عمرو - فيما ذكر لنا عنه - يحتج لتسكينه الحاء بقوله : ﴿ يوم نحس مستمر ﴾^(١) وأن الحاء فيه ساكنة . والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل وحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنيهما ؛ وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان ، يقال : هذا يوم نحس ، ويوم نحس بكسر الحاء وسكونها ، قال الفراء : أنشدني بعض العرب^(٢) :

أبلغ جذاماً ولحماً أن إخوانهم طياً وبهراء قوم نصرهم نجس

وأما من السكون فقول الله : ﴿ يوم نحس ﴾^(٣) ومنه قول الراجز^(٤) :

يومين غيمين ويوم شمساً نجمين بالسعد ونجماً نخسا

فمن كان في لغته ﴿ يوم نحس ﴾ قال : ﴿ في أيام نحسات ﴾ ، ومن كان في لغته ﴿ يوم نحس ﴾ قال : ﴿ في أيام نحسات ﴾^(٥) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من توجيه قراءة إسكان الحاء وكسرها من ﴿ نحسات ﴾ إلى أنهما لغتان بمعنى واحد فقال : ((وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ... ﴿ نحسات ﴾ بسكون الحاء ، وهي جمع نحس ، يقال : يوم نحس وقوم نحس فهو مصدر يوصف به أحياناً ، ويضاف إليه اليوم أحياناً ، وعلى الصفة به جمع في هذه الآية ... وقرأ الباقون ﴿ نحسات ﴾ بكسر الحاء ، وهي جمع نحس على وزن ((حذر)) فهو صفة اليوم مأخوذ من النحس . وقال

(١) سورة القمر ، الآية : ١٩ .

(٢) لم أفتن على اسم قائل البيت . وهو في معاني القرآن للفراء (١٤/٣) ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص(٣١٧) ، ولسان العرب (٧١/١٤) ((نحس)).

(٣) سورة القمر ، الآية : ١٩ .

(٤) لم أفتن على اسم قائل الرجز . وهو في الدر المنصور (٥١٩/٩) .

(٥) تفسير الطبري (٩٦/١١ ، ٩٧) .

الطبري : نحس ونحس لغتان. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وليس كذلك ، بل اللغة الواحدة تجمعهما ، أحدهما مصدر ، والآخر من أمثلة اسم الفاعل^(١).

موضع الخلاف ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، والبحث في هذه المسألة من وجوه:

الأول : قراءة كسر الحاء وفتحها من لفظ ﴿نَحْسَات﴾ قراءة متواترة^(٢).

الثاني : تحت طائفة من الموجهين للقراءات والمعربين والمفسرين منحى ابن عطية في توجيه القراءتين بما يفيد أن اللغة الواحدة تجمعهما من غير نص أو إشارة منهم إلى التعرض لهذه المسألة التي ناقشها ابن عطية^(٣).

الثالث : وجدت أقوالاً لبعض أئمة النحو واللغة تؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري ، ومن ذلك أن الأخفش - وهو أحد أئمة نحاة البصرة - قال : ((وقال ﴿في أيام نَحْسَات﴾ وهي لغة من قال : (نَحْس) و ﴿نَحْسَات﴾ لغة من قال : (نَحْس)^(٤).

وقال الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة^(٥) - بعد أن أورد القراءتين ونسبتهما إلى من قرأ بهما - : ((قال الكسائي والقراء^(٦) : هما لغتان بمعنى واحد ، يقال : يوم نحس ونحس ، وأيام نَحْسَات ونَحْسَات ، أي : مشائيم)^(٧).

الرابع : الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة غير وارد ، وذلك للأسباب التالية:

(١) انحرور الوجيز (٩٢/١٣ ، ٩٣).

(٢) فقرة كسر الحاء لأبي جعفر وابن عامر والكوفيين . والباقون بإسكانها . انظر النشر (٣٦٦/٢).

(٣) انظر - مثلاً - إعراب القرآن (٥٤/٤) ، والحجة (١١٦/٦ - ١١٨) ، وعلل القراءات للأزهري (٦٠٥/٢) ، والكشف عن وجوه القراءات (٢٤٧/٢) ، والكشاف (٤٤٩/٣) ، وغرائب التفسير (١٠٤٠/٢) ، والبحر المحيظ (٤٧٠/٧) ، ولسان العرب (٧١/١٤) ((نحس)) ، والدر المصون (٥١٨/٩).

(٤) معاني القرآن (٦٨٢/٢).

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القارئ ، من قضاة المالكية ، من رجال المئة الرابعة. انظر مقدمة اخفق لكتابه حجة القراءات ص(٢٦).

(٦) لم ينص الفراء على هذا في كتابه معاني القرآن (١٣/٣ ، ١٤) وقد يفهم ذلك منه.

(٧) حجة القراءات ص(٦٣٥).

١- نقل ثلاثة من الأئمة المشهورين - وهم الكساني ، والفراء ، والأخفش - أن قراءة الكسر والسكون لغتان بمعنى واحد ، ولا شك أنهم أعلم وأخبر بلغة العرب من أبي محمد رحمه الله تعالى لا سيما وهم من المدرستين الكبيرتين في علم النحو.

٢- يبدو - والله أعلم - أن أساس حجة الإمام الطبري النقل ، وأساس حجة القاضي ابن عطية القياس ، ولا شك أن النقل مقدم على القياس.

سورة الدخان

❁ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ يقول تعالى ذكره : لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا . وكان بعض أهل العربية يوجه ﴿إِلَّا﴾ في هذا الموضع إلى أنها في معنى سوى ، ويقول : معنى الكلام : لا يذوقون فيها الموت سوى الموت الأولى ، ويمثله بقوله تعالى ذكره : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(١) بمعنى : سوى ما قد فعل آباؤكم ، وليس للذي قال من ذلك عندي وجه مفهوم ؛ لأن الأغلب من قول القائل : لا أذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذي ذقته قبل اليوم ، أنه يريد الخير عن قائله أن عنده طعاماً في ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره . وإذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله : ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ، ومعلوم أن ذلك ليس كذلك ؛ لأن الله عز وجل قد آمن أهل الجنة في الجنة إذا هم دخلوها من الموت ، ولكن ذلك كما وصفت من معناه . وإنما جاز أن توضع ﴿إِلَّا﴾ في موضع ((بعد)) لتقارب معنيهما في هذا الموضع ، وذلك أن القائل إذا قال : لا أكلم اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو قد أوجب على نفسه ألا يكلم ذلك اليوم رجلاً ، بعد كلام الرجل الذي عند عمرو ، وكذلك إذا قال : لا أكلم اليوم رجلاً بعد رجل عند عمرو ، قد أوجب على نفسه ألا يكلم ذلك اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو ، فبعد وإلا متقاربتا المعنى في هذا الموضع ، ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقارب معنيهما ، وذلك كوضع الرجاء مكان الخرف ، لما في معنى الرجاء من الخوف ؛ لأن الرجاء ليس بيقين ، وإنما هو طمع ، وقد يصدق ويكذب ، كما الخرف يصدق أحياناً ويكذب ، فقال في ذلك أبو ذؤيب^(٢) :

وخالفها في بيت نوب عوامل

إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٢ .

(٢) خويلد بن خالد أبو ذؤيب الهذلي ، عاش في الجاهلية والإسلام ، أسلم ووفد على الرسول ﷺ فوجده قد مات قبل قدومه بليلة . مات رحمه الله في زمن عثمان . انظر حزانة الأدب (٤٢٢/١) . والبيت في ديوان الهذليين (١٤٣/١) وفي تهذيب اللغة (١٨٢/١١) ، ولسان العرب (١٦٤/٥) كلاهما في ((رجح)).

فقال : لم يرج لسعها ، ومعناه في ذلك : لم يخف لسعها .

وكوضعهم الظن موضع العلم ، الذي لم يدرك من قبل العيان ، وإنما أدرك استدلالاً أو خبراً ، كما قال الشاعر^(١) :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

بمعنى : أيقنوا بألفي مدجج وأعلموا ، فوضع الظن موضع اليقين ؛ إذ لم يكن المقول لهم ذلك قد عاينوا ألفي مدجج ، ولا رأوه ، وإنما أخبرهم به هذا المخبر ، فقال لهم : ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب ، فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنيهما في نظائر لما ذكرت يكثر إحصاؤها . كما يتقارب معنى الكلمتين في بعض المعاني ، وهما مختلفتا المعنى في أشياء آخر ، فتضع العرب إحداهما مكان صاحبتها في الموضع الذي يتقارب معنيهما فيه ، فكذلك قوله : ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ وضعت ﴿ إلا ﴾ في موضع ((بعد)) لما نصف من تقارب معنى ﴿ إلا ﴾ ، و((بعد)) في هذا الموضع ، وكذلك ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف ﴾^(٢) وإنما معناه : بعد الذي سلف منكم في الجاهلية . فأما إذا وجهت ﴿ إلا ﴾ في هذا الموضع إلى معنى ((سوى)) فإنما هو ترجمة عن المكان ، وبيان عنها بما هو أشد التباساً على من أراد علم معناها منها^(٣) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري استدراكه على من جعلها بمعنى ((سوى)) فقال : ((وقوله تعالى : ﴿ إلا الموتة الأولى ﴾ قدر قوم ﴿ إلا ﴾ بـ ((سوى)) وضعف ذلك الطبري وقدرها بـ ((بعد)) ، وليس تضعيفه بصحيح ، بل يصح المعنى بسوى ويتسق ، وأما معنى الآية فبين أنه تعالى نفى عنهم ذوق الموت ، وأنه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا^(٤) .

(١) هو دريد بن الصمة ، وقد تقدمت ترجمته . والبيت في ديوانه ص(٤٧) وفي شرح المفصل (٨١/٧) ، وفي لسان العرب

(٢٧١/٨) ((ظنن)).

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٢ .

(٣) تفسير الطبري (١١/٢٤٩ ، ٢٥٠) .

(٤) المحرر الوجيز (١٣/٢٩٠) .

تبين من عرض كلام الإمامين أن الإمام الطبري يستدرك على رجل من أهل العربية جعل ((إلا)) بمعنى ((سوى)). وأن القاضي ابن عطية يستدرك على الإمام الطبري دفعه لهذا المعنى ، فالمسألة استدراك على استدراك.

ويظهر لي أن العالم الذي استدرك عليه الإمام الطبري هو الإمام الفراء رحمه الله تعالى ، وقد أورد على ما ذهب إليه أدلة يحسن إيرادها ليتبين للقارئ أي القولين أليق بمعنى الآية الكريمة .

قال الفراء : ((وقوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ يقول القائل : كيف استثنى موتاً في الدنيا قد مضى ، من موت في الآخرة ؟ فهذا مثل قوله : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(١) فالأ في هذا الموضع بمنزلة سوى ، كأنه قال : لا تنكحوا ، لا تفعلوا سوى ما قد فعل آباؤكم ، كذلك قوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ سوى الموتة الأولى ، ومثله : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾^(٢) أي سوى ما شاء ربك لهم من الزيادة على مقدار الدنيا من الخلود. وأنت قائل في الكلام : لك عندي ألف إلا مالك من قبل فلان ، ومعناه : سوى مالك عليّ من قبل فلان ، و ((إلا)) تكون على أنها حط مما قبلها وزيادة عليها فما ذكرناه لك من هذه الآيات ، فهو زيادة على ما قبل إلا . والحط مما قبل إلا قولك : هؤلاء ألف إلا مئة ، فمعنى هذه ألف ينقصون مئة))^(٣).

وإذا تأملت كتب التفسير والإعراب ، رأيت الأقوال في هذه المسألة قد كثرت ، لخصها السمين الحلبي فقال : ((قوله : ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ فيه أوجه ، أحدها : أنه منقطع ، أي : لكن الموتة الأولى ، قد ذاقوها^(٤). الثاني : أنه متصل ، وتأولوه بأن المؤمن عند موته بمنزلة في الجنة لمعاينة ما يعطاه منها ، أو لما يتيقنه من نعيمها^(٥). الثالث : أن إلا بمعنى سوى ، نقله الطبري ، وضعفه . قال ابن عطية : وليس تضعيفه بصحيح ، بل كونها بمعنى سوى مستقيم متسق. الرابع : أن إلا بمعنى بعد . واختاره الطبري ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٨ .

(٣) معاني القرآن (٤٤/٣) . وهو قول الزجاج أيضاً في معاني القرآن وإعرابه (٤٢٨/٤) .

(٤) هو قول طائفة من النحاة والمفسرين وسيأتي لهذا زيادة بيان .

(٥) نحو هذا قال ابن فتيبة في تأويل مشكل القرآن ص (٧٨ ، ٧٩) .

وأباه الجمهور ؛ لأن ((إلا)) بمعنى ((بعد)) لم يثبت . وقال الزمخشري : ((فإن قلت : كيف استثنيت الموتة الأولى المدبوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه ؟ قلت : أريد أن يقال : لا يدوقون فيها الموت البتة ، فوضع قوله : ﴿إلا الموتة الأولى﴾ موضع ذلك ؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل ، فهو من باب التعليق بالمحال ...))^(١).

وسبب الخلاف في هذه المسألة ما أشار إليه الفراء بقوله : ((يقول قائل : كيف استثنى موتاً في الدنيا قد مضى ، من موت في الآخرة؟))^(٢).

ومعنى هذا الكلام : أن الله تعالى أخبر أن أهل الجنة لا يموتون - بعد بعثهم ودخولهم إياها - ثم استثنى من هذا الخبر الموتة الأولى ، التي ذاقوها في الحياة الدنيا ، فظاهر الكلام أنهم يدوقون تلك الموتة ، بعد وصولهم إلى الجنة ، وهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة التي تفيد أن أهل الجنة ، لا ينالهم مكروه فيها قط .

أما موقف العلماء من تفسير الإمام الطبري لـ ((إلا)) بمعنى ((بعد)) وموقفهم من تفسيرها بمعنى ((سوى)) فالكرماني المقرئ ، رد قول الطبري ، وقول الفراء^(٣).

وعكس ذلك الإمام البغوي فأخذ بالقولين في معنى ((إلا)) فقال - بعد أن أورد الآية - : ((أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا ، وبعدها ، وضع ((إلا)) موضع سوى وبعده^(٤) ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾^(٥) أي سوى ما قد سلف ، وبعده ما قد سلف ...))^(٦).

وابن الجوزي ذكر في الآية وجوهاً من بينها قول الفراء والطبري ، ولم يعقب على ذلك بشيء ، فظاهر فعله هذا أنه يرى أن الآية تحتل هذه الأقوال^(٧).

(١) الدر المصون (٦٣١/٩).

(٢) معاني القرآن (٤٤/٣) ، وقد تقدم قريباً.

(٣) انظر غرائب التفسير (١٠٨٠/٢) وسيأتي إن شاء الله نقل كلامه عند الترجيح.

(٤) في بعض النسخ ((سوى بعد)).

(٥) سورة النساء ، الآية : ٢٢.

(٦) معالم التنزيل (١٥٥/٤ ، ١٥٦).

(٧) انظر زاد المسير (٣٥١/٧ ، ٣٥٢).

وآثر جلال الدين المحلي^(١) في تفسيره المختصر قول الإمام الطبري على غيره فأورده ، وسكت عما سواه^(٢).

وأورد القولين العكبري ، والمنتجب ضمن الأقوال التي قيلت في معنى ((إلا))^(٣).
وعموماً قول الفراء أكثر ذيوماً في كتب التفاسير والإعراب من قول الإمام الطبري، فيما رأيت.
وقد أورد أبو حيان استدراك ابن عطية ، ولم يعقب على ذلك بشيء^(٤) ، وظاهر صنعه هذا إقرار ابن عطية على استدراكه.

وكذلك فعل تلميذه السمين ، فنقل ما قال شيخه ، ولم يعقب على التعقيب بشيء^(٥).
واكتفى الشوكاني - بعد أن حكى الأقوال في معنى ((إلا)) - بقوله: ((واختار ابن جرير أن إلا بمعنى بعد ، واختار كونها بمعنى سوى ابن عطية))^(٦).

وبعد فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد في هذه المسألة وذلك للأسباب التالية:

١- تفسير ((إلا)) بمعنى ((سوى)) لا يزول به السؤال الذي كان سبباً في اختلاف العلماء في معناها، لأنك كيف قلبت المعنى الذي جعلت فيه ((سوى)) بدلاً من ((إلا)) وجدت المعنى هو هو. وهذا قد أشار إليه الإمام الطبري بقوله : ((لأن الأغلب من قول القائل : لا أذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذي ذقته قبل اليوم ، أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاماً في ذلك اليوم ذاقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره، وإذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله : ﴿إلا الموتة الأولى﴾ موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ، ومعلوم أن ذلك ليس كذلك...)).

فإن قيل : إن ((سوى)) أصبحت ظرفاً بمعنى مكان^(٧) ، وبهذا يندفع الإشكال.

(١) محمد بن أحمد بن محمد ، علامة آية في الذكاء والنهيم (ت : ٨٦٤هـ) . انظر طبقات المفسرين (٢/٨٤).

(٢) انظر تفسير الجلالين ص(٦٠٧).

(٣) انظر النيبان (٢/١١٤٩) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٤/٢٧٧).

(٤) انظر البحر (٨/٤١).

(٥) انظر الدر المصون (٩/٦٣١) وقد تقدم نص كلامه.

(٦) فتح القدير (٤/٥٨٠).

(٧) ذكر في المعجم الوسيط (١/٤٨٤) ((سوى)) أن من معاني ((السوى)) البديل . ولا شك أنك إذا جعلت الشيء بدل الشيء فهو مكانه.

قيل : المعنى يصبح غير واضح ؛ لأنه يكون : لا يدوقون في الجنة الموت مكان ما ذاقوه في الدنيا من الموت بعد الحياة . وهل يصح أن يقال : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء مكان ما قد سلف؟! .

٢- ولأن جعل ((إلا)) بمعنى ((سوى)) يدفعه المعنى ؛ لأن ((إلا)) تكون ناقصة أبداً ، وإذا جعلت بمعنى سوى تكون زائدة ، فإنه إذا قال : له علي درهم سوى الدرهم الأول ، يلزمه درهمان ، فإذا قال : ليس له علي درهم إلا الدرهم الأول ، يلزمه درهم ، فيؤدي المعنى إلى أنهم يدوقون من جنس الموتة الأولى . قاله محمود بن حمزة الكرمانى^(١) .

وهذا كله إن لم يكن الفراء أراد بالاستثناء الانقطاع فإن أراد ذلك فقولته مستقيم ؛ لأن المعنى يكون : لا يدوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى فقد ذاقوها في الحياة الدنيا . ويستأنس لهذا الاحتمال بثلاثة أدلة:

الأول : أن مذهب الكوفيين في الاستثناء المنقطع أن يقدر بـ ((سوى)) ، والبصريون يقدرونه بـ ((لكن)) ذكر ذلك أبو البركات ابن الأنباري^(٢) .

الثاني : أن في كلام الفراء ما قد يشعر أنه أراد بـ ((سوى)) الاستثناء المنقطع وهو قوله - بعد أن أورد بعض الآيات ، ومنها آية الدخان - : ((وإلا تكون على أنها حط مما قبلها ، وزيادة عليها ، فما ذكرناه لك من هذه الآيات فهو زيادة على ما قبل إلا))^(٣) .

قلت : فكان التقدير : لا يدوقون فيها الموت زيادة على ما ذاقوه في الحياة الدنيا ، فيؤول المعنى إلى : لا يدوقون في الجنة الموت قط ، لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الحياة الدنيا .

الثالث : أن الإمام الشوكاني قد نسب إلى الفراء أنه قال : إن الاستثناء منقطع^(٤) .

قلت : والقول بأن الاستثناء منقطع في هذه الآية الكريمة قول جيد قوي يقتلع الإشكال بل لا يتصور في الآية إشكال ، لأن المعنى يكون : لا يدوقون في الجنة الموت ، لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا .

(١) انظر غرائب التفسير (٢/١٠٨٠) .

(٢) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (٢/٣٦٢) .

(٣) معاني القرآن (٣/٤٤) وقد تقدم نقله .

(٤) انظر فتح القدير (٤/٥٧٩) فقد نسبة إلى الفراء والزجاج . ولم يصرح الزجاج أن الاستثناء منقطع ، لكنه الظاهر من

كلامه . انظر معاني القرآن وإعرابه (٤/٤٢٨) .

وهذا القول اقتصر عليه طائفة من فحول النحاة منهم النحاس وأبو البركات ابن الأنباري^(١) ، وقدمه في الذكر آخرون^(٢).

ووصفه مكي بالأحسن فقال : ((قوله : ﴿إلا الموتة﴾ استثناء منقطع . وقيل : إلا بمعنى بعد . وقيل : بمعنى سوى ، والأول أحسن^(٣).

وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذاه ابن القيم وابن كثير ، وكذلك أبو حيان وابن جزري^(٤) . وهو قول الطبري في آية النساء^(٥).

ولابن جزري وابن القيم عبارتان حسنتان تدل على تقديم هذا القول على غيره من الأقوال ، حيث قال الأول - بعد أن أورد الآية - : ((استثناء منقطع ، والمعنى لا يذوقون فيها الموت ، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك ، ولولا قوله : ﴿فيها﴾ لكان متصلاً لعموم لفظ الموت))^(٦).

وقال الثاني - بعد أن أورد الآية أيضاً - : ((فهذا الاستثناء هو لتحقيق دوام الحياة ، وعدم ذوق الموت ، وهو يجعل النفي الأول العام بمنزلة النص الذي لا يتطرق إليه استثناء البتة ؛ إذ لو تطرق إليه استثناء فرد من أفرادها لكان أولى بذكره من العدول عنه إلى الاستثناء المنقطع . فجرى هذا الاستثناء مجرى التأكيد والتنصيص على حفظ العموم ، وهذا جار في كل منقطع ، فتأمله فإنه من أسرار العربية))^(٧).

وما ذهب إليه الإمام الطبري في أن ((إلا)) بمعنى ((بعد)) قد اعترض عليه باعتراضين:

الأول : أن جعل ((إلا)) بمعنى ((بعد)) لم يثبت^(٨).

(١) انظر إعراب القرآن (١٣٧/٤) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (٣٦٢/٢).

(٢) مثل العكبري في التبيان (١١٤٩/٢) ، والمنحجب في التريد في إعراب القرآن الخيد (٢٧٧/٤) ، والسمين في الدر المصون (٦٣١/٩).

(٣) مشكل إعراب القرآن (٦٥٨/٢).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٤٤١/١٧) ، وبدائع التفسير (١٤٤/٤) ، وتفسير ابن كثير (١٤٧/٤) ، والبحر الخيط (٤١/٨) ، والتسهيل (٦٦/٤).

(٥) انظر تفسيره (١٣٧/٨).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٦/٤).

(٧) بدائع التفسير (١٤٤/٤).

(٨) انظر الدر المصون (٦٣١/٩).

الثاني : قال الكرمانى : جعل ((إلا)) بمعنى ((بعد)) يدفعه قوله ((فيها))^(١).

فالخلاصة من كل ما تقدم ما يلي:

١- أن استدراك الإمام الطبري على من جعل ((إلا)) بمعنى ((سوى)) وارد ؛ إلا إذا كان قائل ذلك

يعني الاستثناء المنقطع.

٢- أن أحسن ما يحمل عليه الاستثناء في الآية الانقطاع.

٣- أن أبا محمد دافع عن قول من جعل ((إلا)) بمعنى ((سوى)) ولم يعترض على ما ذهب إليه الإمام

الطبري في معناها.

(١) انظر غرائب التفسير (٢/١٠٨٠).

سورة الجاثية

❦ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وويل لكل أفاك أثيم﴾

يقول تعالى ذكره : الوادي السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذي إثم بربه ، مفرّ عليه))^(١).

وقال القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - : ((الويل في كلام العرب : المصائب والحزن والشدة من

هذه المعاني ، وهي لفظة تستعمل في الدعاء على الإنسان . وروي في بعض الآثار أن في جهنم وادياً اسمه

ويل . وذهب الطبري إلى أنه المراد بالآية . ومقتضى اللغة أنه الدعاء على أهل الإفك والإثم بالمعاني

المتقدمة))^(٢).

إذا نفهم من كلام الإمامين أن الطبري يرى أن الويل هو واد في جهنم ، وابن عطية يرى أن الويل

الدعاء بالمصائب والحزن والشدة.

وابن عطية لم يصرح بالاستدراك إلا أنه أشار إشارة تقوم مقام التصريح ؛ لأن معنى كلامه: أن ما

ذهب إليه الإمام الطبري روي فيه أخبار لم تثبت ، وما قاله هو تشهد له لغة القرآن الكريم.

والمفسرون - فيما رأيت - منهم من يفسر الآية بنحو ما ذهب إليه الإمام الطبري^(٣) ، ومنهم من

يفسرها بنحو ما ذهب إليه القاضي ابن عطية^(٤) ، ومنهم من يذكر نحو القولين معاً^(٥).

وأبو حيان يذهب في هذه المسألة إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية ، فإنه بعد أن ذكر بعض الأقوال

المأثورة في معنى ﴿وويل﴾ قال : ((ولو صح في تفسير الويل شيء عن رسول الله ﷺ لوجب المصير إليه،

(١) تفسير الطبري (٢٥٤/١١).

(٢) احرر الوجيز - الطبعة المغربية - (٣٠٦/١٤ ، ٣٠٧).

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣/١/١) ، وتفسير النسفي (٥٨/١) .

(٤) انظر تفسير البيضاوي (٦٥/١) ، ومحاسن التأويل (٣١٩/١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٧٠/١) ، ومعاني القرآن وإعراجه

(١٦٠/١).

(٥) انظر الوسيط (١٦٣/١) ، وخر العلوم (١٣٢/١) ، وتفسير الخازن (٧٧/١) ، وتفسير ابن كثير (١١٨/١) ، ومعالم

التنزيل (٨٨/١ ، ٨٩) ، وزاد المسير (١٠٦/١) ، وفتح البيان (١٦٩/١) . وهؤلاء منهم من يقدم - في الذكر -

تفسير الطبري ، ومنهم من يقدم تفسير ابن عطية.

وقد تكلمت العرب في نظمها ونثرها بلفظة الويل قبل أن يجيء القرآن ، ولم تطلقه على شيء من هذه التفسير ، وإنما مدلوله ما فسره أهل اللغة^(١).

قلت : يمكن أن يجاب عما قال أبو حيان : ((وقد تكلمت العرب في نظمها ونثرها ... إلخ)) بقول الراغب : ((ومن قال ويل واد في جهنم فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا ، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقراً من النار ، وثبت ذلك له))^(٢).

وما قاله الراغب هنا فيه تقريب بين المعنى اللغوي ، والمعنى المأثور ، وكذلك فعل البيضاوي عندما قال : ((«فويل»^(٣) أي تحسر وهلك ، ومن قال : إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه: أن فيها موضعاً يتبوأ فيه من جعل له الويل...))^(٤).

والذي يبدو - والله أعلم - أن ما أشار إليه القاضي ابن عطية من ضعف الآثار التي فسرت الويل بواد في جهنم - والذي بنى الإمام الطبري تفسيره على ضوئها - شيء لا ينكر^(٥) ، إلا أن هناك حديثاً يدل لمن فسر «ويل» بواد في جهنم ، وهذا الحديث قد صححه بعض أهل العلم ، وأعني بذلك ما أخرجه الطبري وغيره عن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : ((ويل واد في جهنم ، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره))^(٦).

(١) البحر المحيط (٤٤٣/١).

(٢) المفردات ص (٥٣٥).

(٣) من سورة البقرة من قوله تعالى: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله» آية : ٧٩. وقد رجعت إلى هذا الموضع ؛ لأن أكثر المفسرين اهتموا بدراسة هذه المسألة عند هذا الموضع ، وخففوا البحث في المواطن الأخرى.

(٤) تفسير البيضاوي (٦٥/١).

(٥) يظهر أن القاضي يعني الآثار المرفوعة ، أو التي لها حكم الرفع ، والذي رأيت ثلاثة أحدها : حديث أبي سعيد الخدري ، وسيأتي بيان حاله ، والثاني : ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٨/٩) عن ابن مسعود قال : ((ويل واد في جهنم من قيح)) قال النيشمي في مجمع الزوائد (١٣٥/٧) وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف. والثالث : أورده السيوطي في الدر (٨٢/١) موقوفاً على النعمان بن بشير قال : ((الويل واد من قيح في جهنم)). ولم أقف على إسناده ، ونسب السيوطي إخراجاً إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم.

(٦) تفسير الطبري (٤٧٨/١١) وقد استوفيت تخريج هذا الحديث فيما يأتي عند سورة الذاريات ، عند قوله تعالى: «فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون» آية : ٦٠ ، وذكرت هناك كلام الأئمة في قبول هذا الحديث أورده ، فانظر هناك إن شئت.

وأيضاً فقد ثبت تفسير الويل عن بعض التابعين ، بنحو ما جاء في الحديث السابق^(١) .

وذكر الألويسي أن حديث أبي سعيد قد جاء من طرق^(٢) .

أقول : إذا كان الحال ما ذكر فينبغي المصير إلى المعنى الذي ورد في الحديث ، وهو متضمن لبعض

ما جاء في تفسير الإمام الطبري ، أعني من ذكر أن ويلاً واد في جهنم .

وهذا لا تعارض بينه وبين المعنى اللغوي ، لما ذكره الراغب والبيضاوي .

وأيضاً فإنه يمكن أن يقال : ما جاء عن أهل اللغة ، وبه فسر القاضي من أن الويل المصائب ، والحزن ،

والشدة ، مقصود به في هذا الموضع أعظم المصائب ، والحزن ، والشدة ، ولا يكون ذلك إلا بدخول

جهنم ، أعادنا الله منها .

وهذا الذي قلته آخراً قد أشار إلى مضمونه الفخر الرازي نقلاً عن غيره - فقال : ((قال القاضي^(٣) :

ويل يتضمن نهاية الوعيد والتهديد ، فهذا القدر لا شبهة فيه ، سواء كان الويل عبارة عن واد في جهنم ،

أو عن العذاب العظيم))^(٤) .

(١) أعني ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٤/١/١) عن عطاء بن يسار ، قال: الويل واد في جهنم ، لو سيرت فيه

الجبال لماعت من حره)). قال محقق تفسير ابن أبي حاتم : رجال إسناده ثقات .

(٢) انظر روح المعاني (٣٠٢/١) . ونص كلام الألويسي ((ورد من طرق صحيحها الحفاظ)).

(٣) الظاهر أنه يعني : محمد بن الطيب أباً بكر ، العلامة المتكلم (ت : ٤٠٣ هـ) انظر السير (١٧/١٩٠) .

(٤) التفسير الكبير (٣/١٢٨) .

سورة الفتح

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً * وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾^(١) يعني بقوله تعالى ذكره لبيته محمد ﷺ : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾^(٢) يقول : حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصرك من كفار قومك ، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر ، لتشكر ربك ، وتحمدته على نعمته بقضائه لك عليهم ، وفتحته ما فتح لك ، ولتسبحه وتستغفره ، فيغفر لك بفعالك ذلك ربك ، ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح ، وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته . وإنما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية للدلالة قول الله عز وجل : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾^(٣) على صحته ؛ إذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه إذا جاء نصر الله وفتح مكة ، وأن يستغفره ، وأعلمه أنه تواب على من فعل ذلك ، ففي ذلك بيان واضح أن قوله تعالى ذكره : ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ إنما هو خبر من الله جل ثناؤه لبيته عليه الصلاة والسلام عن جزائه له على شكره له ، على النعمة التي أنعم بها عليه من إظهاره له ما فتح ؛ لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها .

وبعد : ففي صحة الخبر عنه ﷺ ((أنه كان يقوم حتى ترم^(٤) قدماه ، فقيل له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟))^(٥) الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول ، وأن الله تبارك وتعالى ، إنما وعد نبيه محمداً ﷺ غفران

(١) سورة الفتح ، الآيات : ١ - ٣ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١ .

(٣) سورة النصر كاملة .

(٤) قال الخافظ - في الفتح (١٥/٣) - : ((قوله : (حتى ترم) بفتح المثناة وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم، هكذا سمع وهو نادر)).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (١٤/٣) ، كتاب التهجيد ، باب قيام النبي ﷺ الليل ، ح (١١٣٠) ،

والإمام مسلم في صحيحه (٢١٧١/٤) ، كتاب صفات المنافقين ، باب الإكثار والاحتماد في العبادة ، ح (٢٨١٩)

كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

ذنوبه المتقدمة فتح ما فتح عليه ، وبعده على شكره له على نعمه التي أنعمها عليه . وكذلك كان يقول ﷺ : ((إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مئة مرة))^(١) . ولو كان القول في ذلك أنه من خير الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه الذي ذكرنا ، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية - ولا لاستغفار نبي الله ﷺ ربه جل جلاله من ذنوبه بعدها - معنى يعقل ؛ إذ الاستغفار معناه : طلب العبد من ربه عز وجل غفران ذنوبه ، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى ؛ لأنه من محال أن يقال : اللهم اغفر لي ذنباً لم أعمله^(٢) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ربطه هذه الآية بما جاء في سورة النصر من الأمر لرسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار فقال : ((فقوله تعالى : ﴿ليغفر﴾ هي لام كي ، لكنها تخالفها في المعنى ، والمراد هنا أن الله تعالى فتح لك لكي يجعل ذلك أمانة وعلامة لغفرانه لك فكانها لام صيرورة ... وقال الطبري وابن كيسان^(٣) : المعنى : إنا فتحنا لك فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك الله ، وبنا هذه الآية مع قوله تعالى : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾^(٤) السورة . وهذا ضعيف من وجهين : أحدهما : أن السورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾^(٥) إنما نزلت في آخر مدة النبي ﷺ ناعية له نفسه حسب ما قال ابن عباس رضي الله عنهما عندما سأل عمر رضي الله عنه عن ذلك . والآخر : أن تخصيص النبي ﷺ بالتشريف كان يذهب ؛ لأن كل واحد من المؤمنين مخاطب بهذا الذي قال الطبري ، أي سبح واستغفر لكي يغفر الله لك ، ولا يقتضي هذا أن الغفران قد وقع وما قدمناه أولاً يقتضي وقوع الغفران للنبي ﷺ . ويدل على ذلك قول الصحابة رضي الله عنهم له ﷺ حين قام حتى

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٧٥/٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استنجاب الاستغفار والاستنكار منه ، ح(٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني بنحوه .

(٢) تفسير الطبري (٣٣١/١١ ، ٣٣٢) .

(٣) لعله : أراد طاروس بن كيسان اليماني ، الحافظ عالم اليمن وفقهها (ت : ١٠٦هـ) انظر السير (٣٨/٥) . وقد يكون مقصوده : محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوي ، من تصانيفه معاني القرآن قبل مات سنة ٣٢٠هـ . انظر طبقات المفسرين (٥٨/٢) .

(٤) سورة النصر ، الآية : ١ .

(٥) سورة النصر ، الآية : ١ .

تورمت قدماه: أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : ((أفلا أكون عبداً شكوراً))^(١) . فهذا نص في أن الغفران حكم قد وقع^(٢).

محل الخلاف بين الإمامين في لام ﴿ليغفر﴾ فالإمام الطبري يرى أنها تعليل محذوف تقديره : فتحنا لك وحكمنا لك بالنصر والظفر على أعدائك فتشكر ربك وتسبحه وتستغفره ليغفر لك ، ويرى أيضاً أن مغفرة ما تقدم من الذنوب على الفتح وما تأخر منها ^{عن} الفتح مبني على دوام النبي ﷺ على هذه الحال - حال الشكر والتسبيح والاستغفار - فأما أن يجعل الفتح علة لمغفرة الذنوب ما تقدم منها وما تأخر فشيء غير وارد عند الإمام الطبري.

وابن عطية يرى أن لام ﴿ليغفر﴾ هي لام كي ، لكنها تخالفها في المعنى ؛ إذ التقدير: فتح لك لكي يجعل ذلك الفتح أمانة وعلامة لغفرانه لك ، فكانها لام صيرورة.

ولا شك أن العلماء قد وقع بينهم الخلاف في نوع اللام وفي تقدير مدخولها فمنهم من قال هي علة للفتح من حيث أنه مسبب عن جهاد الكفار ، والسعي في إعلاء الدين وإزاحة الشرك. ومنهم من قال: اللام لام كي ، ومعناه : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح . ومنهم من قال : اللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب ، ومنهم من قال: اللام للقسم ، والأصل : ليغفرن فكسرت اللام تشبيهاً بلام كي ، وحذفت النون . ورد هذا بأن اللام لا تكسر ، وبأنها لا تنصب المضارع. ومنهم من قال فتح مكة ليس علة للمغفرة ، ولكنه علة لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة ، وهي المغفرة ، وإتمام النعمة ، وهداية الصراط المستقيم ، والنصر العزيز ، كأنه قال: يسرنا لك فتح مكة ونصرتناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين ، وأغراض العاجل والآجل^(٣).

وما ذهب إليه الإمام الطبري أشار إليه بعض المفسرين ضمن ما حكاه من أقوال دون تأييد له ، أو اعتراض^(٤). وعده الكرمانلي في عجائب التأويل^(٥).

(١) تقدم قريباً تخريج الحديث.

(٢) انحرر الوجيز (١٣/٤٣٠ - ٤٣٢).

(٣) انظر الفتوحات الإلهية (٤/١٥٧ ، ١٥٨).

(٤) انظر معالم التنزيل (٤/١٨٨ ، ١٨٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٦٢) ، وتفسير الخازن (٤/١٨٨).

(٥) انظر غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/١١١٢).

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد لما قاله أبو محمد من أن سورة النصر التي بنى عليها الإمام الطبري مذهبه متأخرة بزمن عن سورة الفتح ، فيلزم على هذا أن المتقدم مبني على المتأخر .
المقصود ، وهذا مدفوع .

ولأن ما قاله الإمام الطبري (سبح واستغفر ليغفر الله لك) مخاطب به كل واحد من المؤمنين ، فلا يبقى خصوصية للرسول ﷺ . وظاهر الآية يعارض هذا .
ولأن النبي ﷺ قد أقر الصحابة على فهمهم للآية من أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ونههم على أنه يطلب بطاعته مرتبة الشكر .

وأما استدلال الإمام الطبري بالحديث فلا يدل له ، لأنه يستدل به على أن ما يقوم به الرسول من عبادة ليحصل له الوعد من غفران الذنوب . وهذا مخالف لنص الحديث الذي يفيد أن ما يقوم به الرسول من ^{تطوع} عبادة - بعد نزول هذه الآية - إنما هو من باب الشكر على ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من عطايا وهبات .

وكذلك استدلاله بالحديث الذي جاء فيه أن الرسول يستغفر الله في اليوم مئة مرة ، لا يدل له ؛ لأن الاستغفار كما هو طلب مغفرة الذنوب ، فهو أيضاً استكانة وتذلل وخضوع وعبادة للخالق ، فاستغفار الرسول بعد ما أخبره الله تعالى بغفران ذنوبه المتقدم منها والمتأخر محمول على هذا .

قال الزمخشري - عند قوله تعالى : ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾^(١) - :
((والأمر بالاستغفار مع التسيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفاً لأمته ؛ ولأن الاستغفار من التواضع ، وهضم النفس فهو عبادة في نفسه))^(٢) .

وقال الحافظ : ((والاستغفار لإظهار العبودية لله والشكر لما أولاه ... ومنها أن استغفاره تشريع لأمته))^(٣) .

(١) سورة النصر ، الآية : ٣ .

(٢) الكشاف (٤/٢٩٤) .

(٣) فتح الباري (١١/١٠١ ، ١٠٢) .

قلت : ويدل على أن الاستغفار عبادة في نفسه - لا كما يقول الإمام الطبري من أنه إذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى - ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ((والذي نفسي بيده لو لم تذبوا للذهب الله بكم ، ولجاء يقوم يذبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم))^(١).

ووجه الدلالة من الحديث ، أنه قال : «ولجاء يقوم يذبون ، فيستغفرون الله» - وليس المقصود أن يرتكبوا الذنوب ، إذ ذلك منهي عنه شرعاً ، والمذنبون كئيب . فتبين - والله أعلم - أن المقصود الاستغفار ، الذي هو عبادة ، والوسيلة التي تسوق إليه غالباً هي الذنوب ، فالاستغفار يبقى عبادة وإن كان سببه الذنب .

(١) صحيح مسلم (٢١٠٦/٤) ، كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، ح (٢٧٤٩).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ - : ((وقوله: ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ يقول تعالى ذكره : فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة ، من صدق النية ، والوفاء بما يبايعونك عليه ، والصبر معك ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ يقول: فأنزل الطمأنينة ، والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له))^(١).

وحكى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - قريباً من قول الطبري ثم استدرك عليه فقال : ((وقوله تعالى : ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ قال قوم : معناه : من كراهية البيعة على الموت ونحوه ، وهذا ضعيف فيه مذمة للصحابة رضي الله عنهم. وقال الطبري ، ومنذر بن سعيد^(٢) : معناه : من الإيمان وصحته ، والحب في الدين والحرص عليه ، وهذا قول حسن ، لكنه من كانت هذه حاله فلا يحتاج نزول ما يسكنه ، أما إنه يحتمل أن يجازى بالسكينة والفتح القريب والمغانم. وقال آخرون : معناه : من المهم بالانصراف عن المشركين ، والأنفة في ذلك على نحو ما خاطب فيه عمر - رضي الله عنه - وغيره ، وهذا تأويل حسن يترتب معه نزول السكينة ، والتعويض بالفتح القريب. والسكينة هنا تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أمر الله تعالى ، والصبر له))^(٣).

بحث هذه المسألة سيكون - إن شاء الله تعالى - على النحو التالي:

١- محل الاستدراك في تعقيب ابن عطية على ما نسبته للطبري بقوله : ((لكنه من كانت هذه حاله فلا يحتاج نزول ما يسكنه)) ومعنى هذا أن ابن عطية يرى أن نزول السكينة مرتب على حصول شيء من الاضطراب في القلب ، فهذا هو المناسب لنزول السكينة ، وأما القلب المليء بالإيمان الصحيح وحب الدين والحرص عليه ، فابن عطية يرى أن من هذا حاله لا يحتاج إلى نزول ما يسكنه.

(١) تفسير الطبري (١١/٣٥٠).

(٢) منذر بن سعيد البلوطي ، قاضي الجماعة بقرطبة ، كان فقيهاً محققاً ، وخطيباً بليغاً (ت : ٣٥٥هـ). انظر السير (١٦/١٧٣).

(٣) المحرر الوجيز (١٣/٤٥٥ ، ٤٥٦).

٢- هذه الأقوال - المجموعة من قول الطبري وما ذكره ابن عطية - عليها يدور تفسير العلماء لهذه الآية ، فيما رأيت ، وأكثرهم يفسر هذه الآية بنحو قول الإمام الطبري^(١).

٣- في نظري أن هناك فرقاً بين ما نسبته ابن عطية للطبري ، وبين العبارة الموجودة في تفسيره ، فالطبري قال : ((فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك... من صدق النية ، والوفاء بما يباعدونك عليه ، والصبر معك)) وابن عطية نسب إليه أنه قال : ((معناه : من الإيمان وصحته ، والحب في الدين والحرص عليه)). وفرق بين العبارتين فإن ما قاله ابن عطية هو واقع كل صحابي حضر بيعة الرضوان أو لم يحضرها ، وما قاله الطبري أخص منه إذ ما قاله أمر زائد كان منشؤه مبايعة الصحابة لرسول الله ﷺ على مناخزة قريش.

٤- سواء على لفظ الطبري ، أو ابن عطية فقد يقول قائل : من كانت هذه حاله لا يحتاج إلى نزول ما يسكنه ، وإلى هذا نحا أبو محمد في اعتراضه.

والجواب : أن السكينة كما تكون لتسكين القلب وتهدئة اضطرابه ، تكون - أيضاً - تثبيتاً على الحالة الحسنة التي كانوا عليها ، وهذا أشار إليه الإمام الطبري عندما شرح السكينة بقوله : ((فأنزل الطمانينة ، والثبات على ما هم عليه من دينهم ، وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له)).

ويشهد لهذا الاتجاه قول الله تعالى : ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا...﴾^(٢).

فهذا تثبيت له ﷺ على الحق ، لا أنه كان مضطرباً قبل نزول السكينة . وهذا التثبيت جزاءً وفاقاً على ما علمه الله من صدق قلوبهم ، وإخلاصها في إنفاذ ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ . ولعل هذا أحسن من جعل نزول السكينة مجرد جزاء^(٣).

(١) انظر - مثلاً - معاني القرآن وإعرابه (٢٥/٥) ، وبحر العلوم (٢٥٦/٣) ، وأحكام القرآن للجصاص (٢٧٣/٥) ، والوسيط (١٤٠/٤) ، ومعالم التنزيل (١٩٤/٤) ، والكشاف (٥٤٦/٣) ، وزاد المسير (٤٣٤/٥) ، والتفسير الكبير (٨٣/٢٨) ، وتفسير النسفي (١٦٠/٤) ، والتسهيل (٩٦/٤) ، وتفسير الخازن (١٩٧/٤) ، وتفسير ابن كثير (١٩٢/٤) . وهذا القول نسبته أبو الليث إلى ابن عباس . وانظر الدر المنثور (٧٤/٦) فقد أورد نحوه عن ابن عباس ونسب إخراجها إلى ابن أبي حاتم.

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

(٣) وإلى كون نزول السكينة مجرد جزاء أشار أبو محمد.

٥- ذهب أبو حيان في تفسير قوله : ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إلى ما ذهب إليه ابن عطية من الاعتراض والجواب والتزجيج ، إلا أنه لم ينسب شيئاً من ذلك إلى ابن عطية^(١).

وأما الثعالبي : فاقصر في معنى الآية على ذكر ما نسبه ابن عطية إلى الطبري ومنذر بن سعيد من غير أن يورد عليه اعتراض ابن عطية ، أو ^{يشير} ~~يشير~~ إلى أخذه منه^(٢).

ثم جاء العلامة الألوسي فذكر الأقوال ورجح نحو القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، فقال : ((﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي من الصدق والإخلاص في مبايعتهم ، وروي نحو ذلك عن قتادة وابن جريج وعن الفراء . وقال الطبري ومنذر بن سعيد : من الإيمان وصحته وحب الدين والحرص عليه . وقيل : من الهم والأنفة من لين الجانب للمشركين وصلحهم ، واستحسنه أبو حيان ، والأول عندي أحسن))^(٣).

قلت : وما وصفه الألوسي بأنه أحسن هو قول الإمام الطبري ، لا ما نسبه إليه ابن عطية . وما ذهب إلى استحسانه ابن عطية ، ورتب عليه نزول السكينة ، لا شك فيه نوع مناسبة لإنزال السكينة ، إلا أن الفاء في قوله : ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ تفيد أن نزول السكينة كانت عقب المبايعة مباشرة ، وليس بعد ما مشيت السفراء بينهم ، وحصل الصلح ، ووقع التردد من الصحابة في قبوله .

وقد استظهر الإمام ابن القيم الجمع بين القولين فقال - بعد ^{أنه} ~~حكاها~~ حكاها - : ((والظاهر أن الآية تعم الأمرين ، وهو أنه علم ما في قلوبهم مما يحتاجون معه إلى إنزال السكينة ، وما في قلوبهم من الخير الذي هو سبب إنزالها))^(٤).

(١) انظر البحر (٩٦/٨).

(٢) انظر الجواهر الحسان (٢٤١/٤).

(٣) روح المعاني (١٠٨/٢٦).

(٤) بدائع التفسير (١٧٠/٤).

سورة ق

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ - : ((وقد ذكر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقرأ (وجاءت سكرة الحق بالموت) ... وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان ، أحدهما : وجاءت سكرة الله بالموت . فيكون الحق هو الله تعالى ذكره . والثاني : أن تكون السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها ، كما قيل : ﴿إن هذا هو حق اليقين﴾^(١) ويكون تأويل الكلام : وجاءت السكرة الحق بالموت^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما قاله في الوجه الأول ، فقال : ((واختلف المتأولون في معنى (وجاءت سكرة الحق بالموت) فقال الطبري - وحكاه الثعلبي - الحق : الله تعالى . وفي إضافة السكرة إلى اسم الله تعالى بعد ، وإن كان ذلك سائغاً من حيث هي خلق له ، ولكن فصاحة القرآن وورصفه لا يأتي فيه هذا . وقال بعض المتأولين : المعنى : وجاءت سكرة فراق الحياة بالموت ، وفراق الحياة حق يعرفه الإنسان ويحيد منه بأمله ، ومعنى هذا الحيد أنه يقول : أعيش كذا وكذا ، فمتى فكر في قرب الموت حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمان ، وأيضاً فحذر المرء وتحزراته ونحو هذا حيد كله^(٣).

هذه القراءة التي وقع الخلاف بين الإمامين في معناها ، قراءة شاذة^(٤).

وتوجيهها بما ذكر الإمام الطبري سبق إليه الفراء في معاني القرآن^(٥).

وقال بهذا التوجيه - أيضاً - أبو جعفر النحاس وابن الجوزي ، والقرطبي^(٦).

وذكره طائفة من المفسرين منهم الزجاج ، والزحشري ، وأبو السعود ، والألوسي^(٧).

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥ .

(٢) تفسير الطبري (١١/٤١٧ ، ٤١٨) .

(٣) المحرر الرجيز (١٣/٥٤٦ ، ٥٤٧) .

(٤) انظر مختصراً في شواذ القرآن لابن خالويه ص (١٤٤) .

(٥) انظر معاني القرآن (٣/٧٨) .

(٦) انظر إعراب القرآن (٤/٢٢٥) ، وزاد المسير (٨/١٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٢) .

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه (٥/٤٥) ، والكشاف (٤/٧) ، وتفسير أبي السعود (٨/١٢٩) ، وروخ المعاني (٢٦/١٨٢) .

والذي يبدو - والله أعلم - أن الوجه الذي اعترض عليه أبو محمد ليس ببعيد ، وذلك لسببين :
 الأول : أن السكرة التي تصيب الإنسان عند خروج الروح بأمر الله تعالى ، فهي خلق من خلقه ،
 والله تعالى حق ، فإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى الخالق كقوله تعالى : ﴿ ناقة الله
 وسقياها ﴾^(١).

وقول القاضي ابن عطية : إن هذا لم يأت في القرآن صحيح ، لكن قد جاء ما هو نظير هذا ، وأي
 فرق بين إضافة الناقة إلى الله ، وإضافة السكرة إليه ، وكلاهما خلق من خلقه.
 الثاني : الآية سقت مساق الوعيد فإضافة السكرة إلى الله تعالى فيه تهويل وتفظيع ؛ لأن المضاف إلى
 العظيم عظيم فهذا التفسير مناسب لسياق الآية . والله أعلم.

(١) سورة الشمس ، الآية : ١٣ .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ لهم ما يشاؤون فيها ولدنا مزيد ﴾ - : ((وقوله : ﴿ لهم ما يشاؤون فيها ﴾ يقول : هؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أزلت لهم من كل ما تشتهي نفوسهم ، وتلذذ عيونهم . وقوله : ﴿ ولدنا مزيد ﴾ يقول : وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه . وقيل : إن ذلك المزيد النظر إلى الله جل ثناؤه . ذكر من قال ذلك...))^(١).

ثم أورد الإمام الطبري آثاراً كثيرة متضمنة لأنواع من نعيم أهل الجنة ، وأن المزيد هو تجلي الرب تبارك وتعالى لأهل الجنة لينظروا إليه^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وغيره من المفسرين في ذكرهم ما يفيد تعيين المزيد فقال : ((وقوله تعالى : ﴿ لهم ما يشاؤون فيها ولدنا مزيد ﴾ خير بأنهم يعطون آماهم أجمع ، ثم أبهم تعالى الزيادة التي عنده للمؤمنين النعمين ، وكذلك هي مهمة في قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾^(٣) وقد فسر ذلك الحديث الصحيح في قوله ﷺ : ((يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه))^(٤) وقد ذكر الطبري وغيره في تعيين هذا المزيد أحاديث مطولة ، وأشياء ضعيفة ؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فلا تعلم نفس ﴾^(٥) وهم يعينونها تكلفاً وتعسفاً^(٦). وروي عن جابر بن عبد الله^(٧) وأنس^(٨) رضي الله عنهما أن المزيد : النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف^(٩).

(١) تفسير الطبري (٤٢٩/١١).

(٢) انظر تفسيره (٤٢٩/١١ - ٤٣١).

(٣) سورة السجدة ، الآية : ١٧ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٧٤/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، تحت رقم (٢٨٢٤) . وقوله : ((بله ما اطلعتم عليه)) معناه : دع عنك ما اطلعتم عليه ، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم . وقيل : معناه غير . وقيل : معناه كيف . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (٢٤٣/١٧ ، ٢٤٤) .

(٥) سورة السجدة ، الآية : ١٧ .

(٦) في النسخة القطرية ((وتعسفاً)) والتصويب من المغربية والخواهر الحسان .

(٧) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري ، من أهل بيعة الرضوان (ت : ٧٨ هـ) انظر السير (١٨٩/٣) .

(٨) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري ، خادم رسول الله ﷺ (ت : ٩٣ هـ) انظر السير (٣٩٥/٣) .

(٩) المحرر الوجيز (٥٦٤/١٢ ، ٥٦٥) .

تبين من كلام الإمامين أن كلا منهما يرى أن المزيد مبهم فأما ابن عطية فكلامه في هذا صريح ، وأما الطبري فيؤخذ هذا مما بدأ به تفسير الآية فإنه قال : ((وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه)).

واتفقا أيضاً على ذكر قول من قال: إن المزيد النظر إلى وجه الله الكريم بصيغة تفيد أن القول ضعيف. فصدره الطبري بلفظ ((وقيل)) وصدره ابن عطية بلفظ ((وروي)).

ثم إن الإمام الطبري ساق آثراً عدة تدل لمن قال : إن المزيد النظر إلى وجه الله الكريم وتضمنت بعض الآثار ذكر أشياء أخر من نعيم أهل الجنة ، غير تفسير المزيد بالنظر إلى وجه الله تعالى^(١).

ففهم ابن عطية من صنيع الطبري أنه استدل لما هو أكثر مما اتفقا على ذكره بصيغة الضعف ، ووصف ذلك بالضعف بأسلوب يفهم منه أنه يريد أن يقول: ما كان للطبري وغيره من المفسرين أن يوردوا هذا في تفسير المزيد.

وفي نظري أن القاضي ابن عطية إن أراد الاستدراك على الإمام الطبري في إيراد هذه الروايات لم يكن استدراكه وارداً عليه - إن شاء الله تعالى - وذلك أن الإمام الطبري قد حصر مقصوده من ذكر الأحاديث والآثار بالترجمة التي وضعها قبل سوق الآثار بقوله: ((وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جل ثناؤه . ذكر من قال ذلك)).

وهذا ذكره محل اتفاق بين الإمامين ، وما جاء زائداً على هذا المقدار فسوق الرواية بلفظها حتم على الإمام الطبري إيراد ذلك.

نعم في الأثرين الأخيرين مما أورده الإمام الطبري تحت الترجمة المتقدمة ما لم يظهر لي وجه إيراد الطبري له تحت الترجمة. إلا أن أحدهما لم يفسر فيه المزيد . وهذا موافق لمقصد ابن عطية فلا يدخل تحت اعتراضه.

(١) هذه الآثار عددها سنة الأول موقوف على أنس ، وفيه غرائب كثيرة كما قال ابن كثير في تفسيره (٢٢٩/٤). والثاني: رفعه أنس ووصف السيوطي طرفة بأنها جيدة . انظر الدر (١٠٨/٦). والثالث: عن أنس مرفوعاً ولم يورد منه الطبري بل قال: نحو حديث علي بن الحسين. يعني الحديث الثاني. وفي سند هذا شيخ الطبري ابن حميد ، وليث بن أبي سليم. والرابع: عن أنس مرفوعاً أيضاً قال الطبري بنحو الثاني. قلت: وفيه صالح بن حبان ضعيف انظر التقريب (٢٨٥١). والخامس: عن محمد بن سيرين قال قالوا. ولم يذكر فيه تفسير المزيد. والسادس: متضمن أن امرأة الرجل من أهل الجنة تأتي فيقول من أنت فيقول: أنا من المزيد. وهذا من طريق أبي النسمح عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً قال عنه السيوطي في الدر (١٠٨/٦) بسند حسن.

والثاني حكم بعض أهل العلم بأن سنده حسن^(١) ، فوصف القاضي له بالضعف وجهة نظر لم يوافقها غيره عليها.

ثم ليعلم القارئ الكريم أن المزيّد المذكور في الآية الكريمة ﴿ولدينا مزيّد﴾ من أهل العلم من جعله مبهماً وهذا رأي ابن عطية وهو ظاهر تفسير الإمام الطبري ، وعليه طائفة من المفسرين^(٢) .
ومنهم من فسره بأن المزيّد النظر إلى وجه الله الكريم ، وهذا عليه جمهور المفسرين حسبما ذكر الإمام النسفي في تفسيره^(٣) .

وفي بعض الروايات ما يفيد أن المزيّد يمكن أن يفسر بما هو أكثر من قول الجمهور^(٤) .
واستدل الجمهور على مذهبهم بآثار وأحاديث^(٥) ، ومن أدلتهم أن قالوا : هذه الآية مثل قوله تعالى :
﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾^(٦) وثبت في صحيح مسلم أن الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم^(٧) .

قال ابن كثير : ((وقوله تعالى : ﴿ولدينا مزيّد﴾ كقوله عز وجل : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وقد تقدم في صحيح مسلم ... أنها النظر إلى وجه الله الكريم))^(٨) .
وقد فسر الشيخ عبد الرحمن السعدي آية ق بتفسير^{قد} أجمع بين قول الجمهور ، وما ذهب إليه ابن عطية فقال : ((﴿ولدينا﴾ فوق ذلك ﴿مزيّد﴾ أي ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأعظم ذلك وأجله وأفضله النظر إلى وجهه الكريم ، والتمتع بسماع كلامه ، والتمتع بقربه ، فنسأله ذلك من فضله))^(٩) .

(١) هو السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٦) .

(٢) انظر البحر (١٢٧/٨) ، وفتح القدير (٧٨/٥) ، والتحرير والتنوير (٣٢١/٢٦) ، ومحاسن التأويل (٣٣٥/٦) .

(٣) انظر تفسير النسفي (١٨٠/٤) .

(٤) في الحديث المرفوع أن امرأة الرجل تأتيه في الجنة فيقول من أنت فتقول أنا من المزيّد . انظر تفسير الطبري (٤٣١/١١) .

وقال عنه السيوطي في الدر (١٠٨/٦) سنده حسن .

(٥) انظرها في تفسير الطبري (٤٢٩/١١ - ٤٣١) والدر المنثور (١٠٨/٦) .

(٦) سورة يونس ، الآية : ٢٦ .

(٧) انظر صحيح مسلم (١٦٣/١) ، كتاب الإيمان ، باب رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، ح (١٨١) .

(٨) تفسير ابن كثير (٢٢٩/٤) . وابن عطية يميل في ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ إلى أن الزيادة ليست النظر إلى وجه

الله الكريم . انظر المحرر (١٣٧/٧ ، ١٣٨) .

(٩) تفسير الكريم الرحمن (٨٧/٥) .

سورة الذاريات

❖ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ يقول تعالى ذكره : فالوادي السائل في جهنم من قيح وصيد للذين كفروا بالله ووجدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفسير الويل في هذه الآية بأنه الوادي الذي في جهنم فقال : ((ثم أوجب تعالى لهم الويل من يومهم الذي يأتي فيه عذابهم، و (الويل) الشقاء، والهـم ، وروي أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً. والطبري يذهب أبداً إلى أن التردد إنما هو به ، وذلك في هذا الموضع قلق ؛ لأن هذا الويل إنما هو من يومهم الذي هو في الدنيا - ومن لا ابتداء الغاية - وقال جمهور المفسرين: هذا التردد هو بيوم القيامة . وقال آخرون - ذكره الثعلبي - هو بيوم بدر...))^(٢).

تبين من كلام أبي محمد أن القلق الذي وصف به تفسير الإمام الطبري جاء من جهة أن المقصود باليوم في قوله : ﴿من يومهم﴾ هو يومهم في الدنيا الذي ينزل الله بهم العذاب فيه.

(١) تفسير الطبري (٤٧٨/١١) ويمكن أن يستدل لتفسير الويل بواد في جهنم بما أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٩/٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((ويل واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره)) قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وهذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٢٠/٥) باب ومن سورة الأنبياء برقم (٣١٦٤) ، والإمام أحمد في المسند (٧٥/٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٣/٢) ، وابن حبان في صحيحه - الإحسان - (٥٠٨/١٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٣/١/١) ، والحاكم في المستدرك (٦٣٩/٤) وصححه ووافقه ذهبي. وهذا الحديث له شاهد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٨/٩) عن عبد الله بن مسعود قال: ((ويل واد في جهنم من قيح)). وحديث أبي سعيد فيه نزاع كبير بين علماء الحديث من أجل أن في إسناده أبا السمع وقد اختلف العلماء في توثيقه وتضعيفه. وحكم ابن كثير على الحديث بأن رفعه منكر. انظر تفسيره (١١٨/١). ورد عليه أحمد شاكر في ذلك. وفي نظري أن هذا الحديث لا يُرد ، وأبو السمع لم يضعف بإطلاق ، بل قال الحافظ : صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف. انظر التقريب برقم (١٨٢٤) نعم هذه الرواية جاءت من طريق أبي الهيثم ، الذي ضعف في حديثه أبو السمع ، لكن يشهد له ما أخرجه الطبراني ، وهو وإن كان موقوفاً على عبد الله فإن له حكم المرفوع ، وليس من السهل أن نرد تصحيح ابن حبان ، والحاكم ، والذهبي ، وكذلك الطبري من قبل هؤلاء ، فإنه لو لم يره يصح ما أعاده وردده في أكثر من موطن من تفسيره.

(٢) المحرر الوجيز (٤٤/١٤ ، ٤٥).

وهذا قول قد ذكر في تفسير الآية^(١) ، وعينه أكثر من رأيت من المفسرين بأنه يوم بدر^(٢) .

والطبري بنى قوله على ما ذكر ابن عطية أنه رأي جمهور المفسرين^(٣) .

وأما ناقصي
وغير ناقصي هذا الاستدراك في حدود القولين فإن ترجح أن المقصود بـ ﴿يَوْمَهُمْ﴾ اليوم الذي في

الدنيا كان استدراك ابن عطية وارداً على الإمام الطبري . وإن ترجح أن المقصود بـ ﴿يَوْمَهُمْ﴾ يوم
القيامة لم يكن استدراك ابن عطية وارداً على الإمام الطبري .

وبعض أهل العلم بالتفسير منهم من يذكر ما يؤيد القولين معاً كأبي السعود فإنه قال: ((و ﴿من﴾

في قوله ﴿من يومهم الذي يوعدون﴾ للتعليل ، أي يوعدونه من يوم بدر ، وقيل يوم القيامة ، وهو

الأنسب بما صدر السورة الكريمة الآتية^(٤) ، والأول هو الأوفق لما قبله من حيث إنهما من العذاب

الديني))^(٥) .

ومنهم من يذكر ما يرجح أن المقصود بـ ﴿يَوْمَهُمْ﴾ يوم القيامة كابن جزري فإنه قال - بعد أن أورد

الآية - : ((يحتمل أن يريد يوم القيامة ، أو يوم هلاكهم ببدر ، والأول أرجح لقوله في المعارج: ﴿ذلك

اليوم الذي كانوا يوعدون﴾^(٦) يعني يوم القيامة))^(٧) .

ومنهم من يذكر ما يؤيد أن المقصود بـ ﴿يَوْمَهُمْ﴾ يوم بدر كابن عاشور فإنه قال: ((واليوم يصدق

بيوم القيامة ، ويصدق بيوم بدر الذي استأصل الله فيه شوكتهم . ولما كان المضاف إليه ضمير الكفار

المعنيين وهم كفار مكة ترجح أن يكون المراد من هذا اليوم يوماً خاصاً بهم ، وإنما هو يوم بدر ؛ لأن يوم

القيامة لا يختص بهم بل هو عام لكفار الأمم كلهم بخلاف اليوم الذي في قوله في سورة الأنبياء:

(١) انظر تفسير كتاب الله العزيز (٢١٩/٤) .

(٢) انظر - مثلاً - معالم التنزيل (٢٣٦/٤) ، وزاد المسير (٤٤/٨) ، وتفسير البيضاوي (٤٢٤/٢) ، وتفسير النسفي

(٣) (١٨٩/٤) ، وتفسير الخازن (٢٤٨/٤) ، والبحر المحييط (١٤١/٨) ، وفتح القدير (٩٣/٥) . وهؤلاء ذكروه تالياً لقول

الجمهور ما عدا صاحب البحر .

(٤) من هؤلاء الجمهور الزجاج ، وأبو الليث ، والواحدي ، وابن كثير ، والسعدي . انظر معاني القرآن وإعرابه (٥٩/٥) ،

ونجر العلوم (٢٨١/٣) ، والوسيط (١٨٢/٤) ، وتفسير ابن كثير (٢٣٩/٤) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٠٥/٥) .

(٥) يعني سورة الطور .

(٦) تفسير أبي السعود (١٤٥/٨) .

(٧) سورة المعارج ، الآية : ٤٤ .

(٨) التسهيل (١٢٧/٤) .

﴿وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾^(١) لأن ضمير الخطاب فيها عائد إلى الذين سبقت لهم منا الحسنی ﴿كلهم﴾^(٢).

وفي نظري أن الراجح في ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ هو يوم القيامة ، وذلك للأسباب التالية:
لما ذكره ابن جزى - رحمه الله تعالى - من دلالة قوله تعالى : ﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾^(٣) عليه.

ولقوله تعالى : ﴿والسماوات البروج * واليوم الموعود﴾^(٤).

ولقوله تعالى : ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون * يوم تطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده﴾^(٥) فهذا كله يرشدك إلى أن اقتران الوعد باليوم ينصرف به إلى يوم معروف توعد به الكافرون ، ووعد به المؤمنون وهو يوم القيامة.

ولأن الله - تعالى - بعد ما ذكر أن للذين ظلموا - وهم الكفار المكذبين رسولنا ﷺ - ذنوباً^(٦) من العذاب مثل ذنوب أصحابهم في الكفر ممن تقدمهم من الأمم المكذبة توعد كل الكافرين من السابقين واللاحقين فقال: ﴿قويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾. فمن حمل هذا الوعيد على طائفة معينة من أهل الكفر لم يساعده سياق الآيات ، ولا الأصل الذي ينبغي أن تحمل عليه آيات القرآن الكريم ، وهو العموم.

ولأن الذي سبق في أول هذه السورة أن الكفار كانوا يسألون أيان يوم الدين ويتعجلون مجيئه فأخبرهم الله أن مواعده يومهم على النار يفتنون ، فقال : ﴿قتل الخراصون * الذين هم في غمرة ساهون * يسألون أيان يوم الدين * يومهم على النار يفتنون * ذوقوا فنتكم هذا الذي كنتم

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠١ .

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/٣٢) .

(٤) سورة المعارج ، الآية : ٤٤ .

(٥) سورة البروج ، الآية : ١ ، ٢ .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٧) الذنوب: الحظ والنصيب ، وأصله الدلو العظيمة. انظر تفسير غريب القرآن لابن تيبة ص(٤٢٣).

به تستعجلون^(١) فهذا مناسب أن يحمل عليه اليوم الذي هددهم الله بويل لهم فيه في آخر السورة. وكذلك ما جاء بعد هذه الآية في أول سورة الطور من أهوال يوم القيامة وذكر الويل فيه بخصوصه مؤيد لهذا المعنى. والله أعلم.

ولأن تفسير ﴿يومهم﴾ بيوم القيامة عليه جمهور المفسرين فيما ذكر ابن عطية نفسه.

فإن قيل : فما تقول فيما قاله أبو السعود وغيره من أن حمل اليوم في ﴿يومهم﴾ على يوم بدر مناسب لما قبله من حيث إنهما من العذاب الدنيوي.

قلت : الظاهر أنه يعني بما قبله ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾^(٢) وما قيل : إن المقصود بالعذاب المذكور فيها عذاب الدنيا لا يسلم فقد حمله الواحدي على عذاب الآخرة^(٣)، وهو المناسب لذكر المثلية في الآية.

سلمنا أن المقصود عذاب الدنيا ، فلا منافاة بينه وبين حمل اليوم في الآية على يوم القيامة ؛ لأن الله بعد ما توعدهم بعذاب الدنيا هددهم أيضاً بعذاب الآخرة . والله أعلم.

(١) سورة الذاريات ، الآية : ١٠-١٤ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٩ .

(٣) انظر الوسيط (١٨٢/٤) .

سورة النجم

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿فاستوى * وهو بالأفق الأعلى﴾ يقول: فاستوى هذا الشديد القوى وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى ، وذلك لما أسري برسول الله ﷺ هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى ، وهو الأفق الأعلى. وعطف بقوله : ﴿وهو﴾ على ما في قوله: ﴿فاستوى﴾ من ذكر محمد ﷺ ، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه ، فيقولوا : استوى هو وفلان ، وقلما يقولون : استوى وفلان ، وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده^(١) :

لم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروج المتقصف

فرد الخروج على ما في استوي من ذكر النبع ، ومنه قول الله : ﴿إذا كنا تراباً وآبأؤنا﴾^(٢) فعطف بالآباء على المكني في كنا من غير إظهار نحن ، فكذلك قوله : ﴿فاستوى * وهو﴾ . وقد قيل: إن المستوي هو جبريل فإن كان ذلك كذلك ، فلا مؤنة في ذلك ؛ لأن قوله : ﴿وهو﴾ من ذكر اسم جبريل ، وكان قائل ذلك وجه معنى قوله : ﴿فاستوى﴾ أي ارتفع واعتدل^(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري والفراء بأن ما أجازاه من أن الضمير في قوله : ﴿فاستوى﴾ لمحمد يترتب عليه العطف على المضمرة المرفوعة دون أن يؤكد ذلك قبيح عند النحاة ، فقال : ((واستوى مسند إلى الله تعالى في قول الحسن الذي قال: إنه متصف بقوله تعالى: ﴿شديد القوى﴾^(٤) وكذلك يجيء قوله تعالى : ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ صفة لله تعالى ... ومن قال : إن المتصف بقوله تعالى : ﴿شديد القوى﴾^(٥) هو جبريل عليه السلام قال: إن ﴿استوى﴾

(١) البيت لجرير ، وهو في ديوانه ص(٢٩٨). ومعاني القرآن للفراء (٣/٩٥) ، وفي وضع البرهان (٢/٣٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٨٥)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٤٩).

(٢) سورة النمل ، الآية : ٦٧.

(٣) تفسير الطبري (١١/٥٠٦) ، والذي ارتضاه الطبري في تفسير الآية هو قول الفراء من قبل . انظر معاني القرآن (٣/٩٥).

(٤) سورة النجم ، الآية : ٥.

(٥) سورة النجم ، الآية : ٥.

مستند إلى جبريل عليه السلام ، واختلفوا بعد ذلك فقال الربيع والزجاج : المعنى : فاستوى جبريل عليه السلام في الجو وهو إذ ذاك بالأفق الأعلى فرآه رسول الله ﷺ بجرا قد سد الأفق له ستمئة جناح ، وحينئذ دنا من محمد ﷺ حتى كان قاب قوسين ، وكذلك هو المرئي - في هذا القول - في النزلة الأخرى في صفته العظيمة له ستمئة جناح عند السدرة . وقال الطبري والفراء : المعنى : فاستوى جبريل عليه السلام ، وقوله تعالى : ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ يعني محمداً ﷺ - وقد تقدم ذكره في الضمير في ﴿ علمه ﴾^(١) - وفي هذا التأويل العطف على المضمرة المرفوعة دون أن يؤكد ، وذلك عند النحاة مستقيح . وأشد الفراء حجة على قوله :

الم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروج المتقصف

وقد ينعكس هذا الترتيب فيكون استوى محمد ﷺ و ﴿ هو ﴾ لجبريل عليه السلام^(٢) .

محل الخلاف بين الإمامين في قوله : ﴿ فاستوى * وهو بالأفق الأعلى ﴾ فالطبري يرى أنه يجوز أن يكون الضمير المستتر في ﴿ فاستوى ﴾ محمد ﷺ ، والضمير في ﴿ وهو ﴾ لجبريل فيكون المعنى : فاستوى جبريل ومحمد وجبريل بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسرى . وابن عطية يجوز في الضمير المستتر في ﴿ فاستوى ﴾ أوجهاً ليس من بينها ما قاله الطبري ، لأنه يلزم على تفسير الطبري هذا أن يعطف الاسم الظاهر المعبر عنه بـ ((هو)) على الضمير المستكن الذي هو في محل رفع من غير تأكيد ، وذلك قبيح عند النحاة .

فإذا رجعت إلى كتب النحو والإعراب وجدت أن هذه المسألة محل خلاف بين علماء النحو ، وأن ابن عطية قد سبقه غيره في الرد على هذا الوجه الذي جوزه الفراء والطبري .

أما المانعون للعطف من غير تأكيد ، أو ما يقوم مقامه فهم نحاة البصرة ، وأما المجيزون لذلك فهم نحاة الكوفة ، وقد حكى أبو البركات ابن الأنباري الخلاف بين المدرستين وبعض أدلة الفريقين فقال : ((ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المرفوعة المتصل في اختيار الكلام نحو ((قمت وزيد)) . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إلا على قبح في ضرورة الشعر ، وأجمعوا على أنه إذا كان هناك تأكيد أو فصل فإنه يجوز معه العطف من غير قبح .

(١) من قوله تعالى : ﴿ علمه شديد القوى ﴾ سورة النجم ، الآية : ٥ .

(٢) المحرر الوجيز (١٤/٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل أنه قد جاء ذلك في كتاب الله تعالى ، وكلام العرب ، قال الله تعالى : ﴿ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى﴾ فعطف (هو) على الضمير المرفوع المستكن في (استوى) ... وقال الشاعر^(١) :

قلت إذ أقبلت وزهر تهادي كنعاج الملا تعسفن رملا

فعطف (زهر) على الضمير المرفوع في (أقبلت) ... وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل ؛ وذلك أنه لا يخلو : إما أن يكون مقدرًا في الفعل ، أو ملفوظًا به ، فإن كان مقدرًا فيه نحو ((قام وزيد)) فكأنه قد عطف اسماً على فعل ، وإن كان ملفوظًا به نحو ((قمت وزيد)) فالتاء تنزل بمنزلة الجزء من الفعل ، فلو جوزنا العطف عليه لكان أيضاً بمنزلة عطف الاسم على الفعل ، وذلك لا يجوز.

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿فاستوى * وهو بالأفق الأعلى﴾ فالواو فيه واو الحال ، لا واو عطف ، والمراد به جبريل وحده ، والمعنى: أن جبريل وحده استوى بالقوة في حالة كونه بالأفق . وقيل: فاستوى على صورته التي خلق عليها في حالة كونه بالأفق. وأما ما أنشدوه من قوله:

قلت إذ أقبلت وزهر تهادي

فمن الشاذ الذي لا يؤخذ به ، ولا يقاس عليه ، على أنا نقول: إنما جاء هاهنا لضرورة الشعر، والعطف على الضمير المرفوع المتصل في ضرورة الشعر عندنا جائز ، فلا يكون لكم فيه حجة. وتشبيهم له بالضمير المنصوب المتصل فلا وجه له بحال ؛ لأن الضمير المنصوب المتصل وإن كان في اللفظ في صورة الاتصال فهو في النية في تقدير الانفصال ، بخلاف الضمير المرفوع المتصل؛ لأنه في اللفظ والتقدير بصفة الاتصال ، فبان الفرق بينهما ...^(٢).

ورد الزجاج أيضاً هذا الوجه الذي أجازاه الفراء والطبري^(٣) ، وكذلك أبو جعفر النحاس رده بشيء من التشنيع - بعد أن أشار إلى أن الواو حالية - وناقش الفراء في بعض أدلته فمن كلامه في ذلك أن

(١) هو عمر بن أبي ربيعة . والبيت في ديوانه (٣٤٠). وفي الكتاب لسبويه (٣٧٩/٢) ، وفي الكامل (٤١٨/١).

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف (٤٧٤/٢ - ٤٧٨) بشيء من الاختصار. وانظر أيضاً الكتاب لسبويه (٣٧٨/٢)، وشرح المفصل (٧٦/٣)، وأوضح المسالك (٣٩٠/٣).

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه (٧٠/٥) وقال المعنى : ((استوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته)).

قال: ((زعم الفراء أن المعنى فاستوى محمد ﷺ وجبريل عليه السلام فجعل ﴿وهو﴾ كناية عن جبريل ﷺ، وعطف به على المضمر... وهذا ممنوع من الكلام حتى يؤكد المضمر، أو يطول الكلام ثم شبهه بقوله: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُنَا﴾^(١) وهذا التشبيه غلط من جهتين. إحداهما: أنه قد طال الكلام هاهنا، وقام المفعول به مقام التوكيد. والجهة الأخرى أن النون والألف قد عطف عليهما هاهنا، وقولك: قمنا وزيد أسهل من قولك: قام وزيد. وأيضاً فليس المعنى على ما ذكر))^(٢).

واعتذر الكرمانى عما جاء عن الفراء - بعد أن ذكر أن البصريين لا يميزون ذلك ما لم يوجد تأكيد - فقال: ((ويمكن أن يقال: إنما جاز العطف من غير تأكيد؛ لأن استوى وإن كان يقع للواحد، فالغالب عليه أن يقع من اثنين، فلم يكن المضمر في استوى مستقلاً فيظهر؛ ولهذا جاء (مررت برجل سواء والعدم) فيعطف العدم على المضمر في سواء. ويمكن أن يقال أيضاً: إنما لم يظهر استقلالاً للجمع بين (هو) (وهو))^(٣).

والهمداني اعتبر قول الفراء فيه قوة من وجه وفيه ضعف من وجه، وكذلك قول البصريين فقال - بعد أن أعرب الواو حالية - : ((وعن الفراء استوى جبريل ومحمد عليهما السلام... وهذا ضعيف عند أصحابنا؛ لأنه عطف على المضمر من غير تأكيد، ولعمري هذا وإن كان ضعيفاً من وجه فهو قوي من وجه آخر، وقول الجمهور وإن كان قوياً من وجه فهو ضعيف من وجه آخر وهو اقتصادهم في استوى على فاعل واحد، ويطلب فاعلين في الأمر العام فاعرفه فإنه موضع))^(٤).

قلت: ما ذكره الهمداني عذراً للفراء هو نفس المعنى الأول الذي ذكره الكرمانى عذراً للفراء. وقد أشار مكى - أيضاً - إلى هذا بعد أن ذكر قول الفريقين - الفراء والبصريين - فقال: ((واستوى يقع للواحد، وأكثر ما يقع من اثنين، ولذلك جعل الفراء الضميرين لاثنين))^(٥).

(١) سورة النمل، الآية: ٦٧.

(٢) إعراب القرآن (٤/٢٦٦).

(٣) غرائب التفسير (٢/١١٥٣). والثاني من وجوه الاعتذار ذكره أيضاً النيسابوري في وضع البرهان (٢/٣٤٣).

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤/٣٧٨، ٣٧٩).

(٥) مشكل إعراب القرآن (٢/٦٩٢).

وأشار أبو حيان أيضاً إلى هذا العذر الذي اعتذر به عن الفراء فقال - بعد أن ذكر الخلاف في المسألة - : ((وقد يقال : الضمير في ((استوى)) للرسول وهو لجبريل))^(١).

ورأى ابن كثير أن ما ذهب إليه الإمام الطبري متجه من حيث العربية لكن المعنى لا يساعده؛ لأن الرؤية لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها^(٢).

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري ؛ لأن القاضي قد بنى استدراكه على أن العطف على الضمير المستكن المرفوع قبيح والذي يبدو أن وصفه بالقبح غير واضح ؛ لأن بعض علماء النحو ذكروا أن ذلك قد جاء كثيراً في الشعر فلا يصلح أن يقال: إنه شاذ. قال المبرد - بعد أن أورد بعض الأبيات التي تشهد لصحة قول الإمام الطبري - : ((وهذا كثير))^(٣). وقال ابن مالك^(٤):

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل
أو فاصلاً ما وبلا فصل يرد في النظم فاشياً وضعفه اعتقد

وقد أعرض ابن عقيل عن شرح قول الناظم : ((وضعفه اعتقد))^(٥) فلسان حاله يقول: كيف نعتقد ضعف ما قد ورد كثيراً في لسان العرب؟! وكذلك لا يصلح أن يقال: إن ما جاء من هذا الشعر الكثير محمول على الضرورة ، وقد أثبت ابن مالك - في غير الألفية - أن بعض الشعراء قالوا ذلك اختياراً ، لا اضطراراً.

فقال : ((ولا يمتنع العطف ، دون فصل ، كقول بعض العرب: مررت برجل سواء والعدم. عطف العدم دون فصل وضرورة على الضمير المستتر في سواء . ومنه قول جرير^(٦):

ما لم يكن وأب له لينا
.....

(١) البحر المحيط (١٥٥/٨).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢٤٩/٤).

(٣) الكامل (٤١٨/١).

(٤) ألفية ابن مالك - مع شرح ابن عقيل - (٢١٧/٢).

(٥) انظر شرح ابن عقيل (٢١٨/٢).

(٦) البيت في ديوانه (٣٦٢) وفي الكامل (٤١٨/١) ونص البيت كاملاً:

ورجاء الأخيطل من سفاهة رأيه
ما لم يكن وأب له لينا
والشاهد فيه قوله : (ما لم يكن وأب) ففي ضمير مستكن في محل رفع وعطف عليه (أب) من غير فاصل.

وقال^(١):

قلت إذ أقبلت وزهر تهادي

.....

وهذا قول مختار ، لا مضطر ؛ إذ كان له أن ينصب (أبا) و (زهراً) على المفعول معه^(٢).

وأيضاً مما يدل لصحة قول الإمام الطبري أن ذلك قد جاء في النثر في غير موطن منها ما حكاه شيخ

نحاة البصرة سيويه - رحمه الله - ((مررت برجل سواء والعدم))^(٣).

ومنها ما ذكره ابن مالك بقوله : ((... ومن ذلك قول عمر بن الخطاب حين سئل عن قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيِّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾^(٤) قال : كنت وجار لي من الأنصار. ومن ذلك قول

علي بن أبي طالب: كنت وأبو بكر وعمر. وهاتان العبارتان أخرجهما البخاري في صحيحه^(٥).

لكن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو والفراء وإن كان متجهاً من حيث العربية إلا أن المعنى الذي

يترتب عليه ليس واضحاً في الآية ، ولذلك وجهت إليه عدة طعون فمن ذلك قول أبي جعفر النحاس

((ليس المعنى على ما ذكر))^(٦).

وقال ابن كثير - بعد أن ذكر أن الضميرين في ﴿فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ لجبريل - :

((وقد قال ابن جرير هاهنا قولاً لم أره لغيره ، ولا حكاه هو عن أحد ، وحاصله: أنه ذهب إلى أن المعنى

فاستوى أي هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى أي استويا جميعاً بالأفق الأعلى ،

وذلك ليلة الإسراء ، كذا ولم يوافق أحد على ذلك ، ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية... وهذا

الذي قاله من جهة العربية متجه ، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك ، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن

ليلة الإسراء ، بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض ، فهبط عليه جبريل عليه السلام ، وتدلى إليه فاقترَب

منه ، وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمئة جناح ، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدره

المنتهى يعني ليلة الإسراء ، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام

(١) تقدم قريباً أنه لعمر بن أبي ربيعة .

(٢) انظر عدة المسالك - بهامش أوضح المسالك - (٣٩٢/٣). وكلام ابن مالك في كتابه شرح التسهيل (٣/٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥).

(٣) انظر شرح ابن عقيل (٢/٢١٩).

(٤) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

(٥) انظر عدة المسالك - بهامش أوضح المسالك - (٣٩٢/٣). وكلام ابن مالك في كتابه شرح التسهيل (٣/٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥).

(٦) إعراب القرآن (٤/٢٦٦) وقد تقدم قريباً.

أول مرة فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليرتدى من رؤوس الجبال ، فكل ما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل فيسكن لذلك جاشه ، وتقر عينه ، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها ، حتى تبنى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمئة جناح ، قد سد عظم خلقه الأفق فاقرب منه ، وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به ، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه^(١).

وقال الألوسي - بعد أن ذكر قول الفراء والطبري - : ((وفيه العطف على الضمير المرفوع من غير فصل، وهو مذهب الكوفيين مع أن المعنى ليس عليه عند الأكثرين))^(٢).

وقال القاسمي : ((تبيهاً. الأول : قدمنا في تفسير قوله تعالى: ﴿فأستوى﴾ وهو بالأفق الأعلى﴾ ما قاله المفسرون من الأقوال العديدة ، ولا يخفى ما في بعضها من التكلف والتعسف كتوجيه ابن جرير... والأقرب في معنى الآية ما ذكره الإمام ابن كثير ، كما نقلناه عنه ، لكثرة الأحاديث الواردة فيما يفسرها بذلك^(٣).

قلت : وبهذا يتبين أن ما ذهب إليه الإمام الطبري والفراء ، وإن احتمل من ناحية العربية لم يحتمل من ناحية المعنى.

فالأظهر في هذه الآيات ما صححه ابن عطية بقوله : ((والصحيح عندي أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل عليه السلام بدليل قوله : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾^(٤) فإن ذلك يقتضي نزلة متقدمة، وما روي قط أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل قبل ليلة الإسراء ، أما إن رؤية القلب لا تمنع بحال^(٥).

وبهذا القول قال شيخ الإسلام وتلميذاه ابن القيم وابن كثير^(٦).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٤٨ ، ٢٤٩) وقول ابن كثير إن الطبري انفرد بهذا القول ليس كذلك فإنه قد تابع فيه الفراء فالتقول صدر عنه في معاني القرآن (٣/٩٥).

(٢) روح المعاني (٤٨/٢٧).

(٣) محاسن التأويل (٦/٣٦٥).

(٤) سورة النجم ، الآية : ١٣.

(٥) المحرر الوجيز (١٤/٨٩ ، ٩٠).

(٦) انظر مجموع الفتاوى (١١/٢٣٤) ، وبدائع التفسير (٤/٢٩٤) ، وتفسير ابن كثير (٤/٢٤٨).

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ *
 فلله الآخرة والأولى﴾ يقول تعالى ذكره : أم اشتهى محمد ﷺ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي
 كرمه بها من النبوة والرسالة ، وأنزل الوحي عليه ، وتمنى ذلك فأعطاه إياه ربه ، فلله ما في الدار
 الآخرة والأولى - وهي الدنيا - يعطي من نشاء من خلقه ما شاء ، ويجرم من شاء منهم ما شاء))^(١).
 واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن الإنسان في الآية
 المقصود به الرسول ﷺ فحسب فقال : ((والإنسان في قوله : ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ﴾ اسم الجنس ، كأنه
 يقول : ليست الأشياء بالتمني والشهوات ، إنما الأمر كله لله ، والأعمال جارية على قانون أمره ونهيه ،
 فليس لكم أيها الكفرة مرادكم في قولكم هذه آلهتنا ، وهي تنفعنا وتقربنا زلفى ، ونحو هذا.
 وقال ابن زيد والطبري : الإنسان هنا : محمد ، بمعنى أنه لم ينل كرامتنا بتأميل ، بل بفضل الله ، أو
 بمعنى بل إنه تمنى كرامتنا فنالها ؛ إذ الكل لله يهب ما شاء ، وهذا لا تقتضيه الآيات^(٢) ، وإن كان اللفظ
 يعمه))^(٣).

هذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك فيها أقوال:

الأول : أن المقصود بالإنسان في قوله : ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ ما تمنى﴾ الكفار ، أو الكافر^(٤) وقد يذكر
 بعضهم كثيراً بعينه ، وأن الآية نزلت فيه^(٥).

الثاني: أن المقصود بالإنسان العموم ، وهو مذهب ابن عطية ، وبعض أهل العلم^(٦).

(١) تفسير الطبري (٥٢٣/١١).

(٢) في النسخة القطرية ((الآية)).

(٣) المحرر الوجيز - النسخة المغربية - (٢٦٩/١٥).

(٤) انظر - مثلاً - الوسيط (٢٠٠/٤) ، ومعالم التنزيل (٢٥١/٤) ، والكشاف (٣١/٤) ، وزاد المسير (٧٤/٨) ، وتفسير
 البضاي (٤٣١/٢) ، وتفسير الخازن (٢٦٤/٤) ، وتفسير النسفي (١٩٧/٤) ، وفتح القدير (١٠٩/٥) ، وفتح البيان
 (١٧١/٩).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠٤/١٧).

(٦) هو المفهوم من تفسير ابن كثير ، والفرناطي ، وإليه ذهب أبو حيان وابن جزري ، وابن عاشور. انظر تفسير ابن كثير
 (٢٥٥/٤) ، وملاك التأويل (٨٧٧/٢) ، والبحر المحييط (١٦١/٨) ، والتسهيل (١٣٩/٤) ، والتحرير والتنوير
 (١١١/٢٧).

الثالث: أن المقصود بالإنسان الرسول ﷺ وهو مذهب ابن زيد والإمام الطبري^(١).
والذي يبدو - والله أعلم - أن أولى هذه الأقوال بالصواب ، ما ذهب إليه ابن عطية - رحمه الله تعالى - لأن لفظ الإنسان ليس خاصاً بواحد ، أو بفئة معينة بل مطلق مقصود به الجنس ، فيبقى على إطلاقه، ويدخل فيه كل إنسان . وأيضاً ففروع الجنس في حيز الإنكار المساوي للنفي يجعله عاماً في كل إنسان.

وقد أشار إلى هذا بعض علماء التفسير - غير ابن عطية - فقال ابن جزى - بعد أن ذكر عدة أقوال صدرها بأن المراد بالإنسان جنس بني آدم - : ((والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه))^(٢).
وقال ابن عاشور - عند هذه الآية - : ((وتعريف الإنسان تعريف الجنس، ووقوعه في حيز الإنكار المساوي للنفي جعله عاماً في كل إنسان))^(٣).

وقال الألوسي - بعد أن ذكر قولاً مفاده حمل النفي في قوله: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى﴾ على سالبه جزئية فيكون المعنى ليس للكفار ما كانوا يطمعون فيه - : ((ويفهم من كلام بعض المحققين أن المراد السلب الكلي، والمعنى: لا شيء مما يتمناه الإنسان مملوكاً له مختصاً به يتصرف فيه حسب إرادته ، ويتضمن ذلك نفي أن يكون للكفرة ما ذكر ، وليس الإنسان خاصاً بهم كما قيل))^(٤).

ولعل ابن زيد والطبري يعنيان التمثيل ببعض أفراد العام ، وإنما اختارا الرسول ﷺ لبيان أنه مع كونه أفضل الخليفة ، ليس له من الأمر شيء ، بل ذلك لله سبحانه وتعالى يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ^{ويمنع} ^{ويحرم} من شاء منهم ما شاء ، فإذا كان ذلك كذلك فغيره من باب أولى ، وهذا فيه أبلغ الرد على الكفار الذين يتمنون على الله الأمانى ، ويقول قائلهم: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾^(٥).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٤/١١) عن ابن زيد ، وكذلك نسبه إليه أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٢٧٣/٤).

(٢) التسهيل (١٣٩/٤).

(٣) التحرير والتنوير (١١/٢٧).

(٤) روح المعاني (٥٨/٢٧).

(٥) سورة فصلت ، الآية : ٥٠.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ يعني تعالى ذكره بعاد الأولى : عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح ، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية ، وإياهم عنى بقوله : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم﴾^(١) ... وإنما قيل لعاد بن إرم : عاد الأولى ؛ لأن بني لقيم بن هزال بن هزبل بن عييل بن ضد بن عاد الأكبر كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكاناً بمكة مع إخوانهم من العمالقة ، ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم ، فلم يصيبهم من العذاب ما أصاب قومهم ، وهم عاد الآخرة ، ثم هلكوا بعد . وكان هلاك عاد الآخرة يبغى بعضهم على بعض ، ففتنوا بالقتل)^(٢) .

- ثم ساق الإمام الطبري بسنده ((عن ابن إسحاق^(٣) ... قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذريته بالريح : عاد الأولى ؛ لأنها أهلكت قبل عاد الآخرة))^(٤) .

ثم قال الإمام الطبري : ((وكان ابن زيد يقول : إنما قيل لعاد الأولى ؛ لأنها أول الأمم هلاكاً))^(٥) . واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن ما ذهب إليه من أن عاداً أولى ، وثانية لم يصح ، وأن قول ابن زيد والجمهور أبين منه ، فقال : ((وعاد قوم هود ، واختلف في معنى وصفها بالأولى ، فقال ابن زيد والجمهور : ذلك لأنها في وجه الدهر وقديمه ، فهي أولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة . وقال الطبري : سميت بالأولى ؛ لأن عاداً أخيرة - وهي قبيلة - كانت بمكة مع العمالق ، وهم بنو لقيم بن هزال . والقول الأول أبين ؛ لأن هذا الأخير لم يصح . وقال المبرد : عاد الأخيرة هي ثمود ، والدليل قول زهير^(٦) :

كأحمر عاد ثم ترضع فنفطم

.....

(١) سورة الفجر ، الآية : ٦ ، ٧ .

(٢) تفسير الطبري (٥٣٧/١١ ، ٥٣٨) .

(٣) محمد بن إسحاق بن يسار ، إمام المغازي صدوق يدلس (ت : ١٥٠ هـ) انظر التقريب رقم (٥٧٢٥) . وقد تقدم ذكره في بعض الحواشي .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٨/١١) من طريق شيخه ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، فذكره . وأخرجه الإمام الطبري أيضاً في تاريخه مطولاً (١٣٤/١ ، ١٣٥) وفيه ذكر مكة ، وهذا الأثر إسناده ضعيف لأجل شيخ الطبري ابن حميد ، لكن يشهد له ما يأتي في الترجيح بما ذكره ابن حجر ونسب إخراجهم للإمام أحمد وفيه ذكر مكة أيضاً ، وأشياء كثيرة من الرواية التي اختصرها الطبري من تاريخه .

(٥) تفسير الطبري (٥٣٨/١١) وقد ساق هذا التفسير عن ابن زيد بالسند .

(٦) البيت في ديوانه ص (٨٢) وهو أيضاً في شرح المعلقات السبع ص (٧٦) . وهو كاملاً :

كأحمر عاد ثم ترضع فنفطم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم

... وقيل الأخيرة : الجبارون^(١).

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

فمنهم من رأى أن تقييد عاد بالأولى في هذه الآية يفيد أن هناك عاداً ثانية^(٢) ، وهو قول طائفة من المفسرين على رأسهم قتادة بن دعامة السدوسي وابن جريج والإمام الطبري^(٣).

وقد حكى ابن الجوزي ما يفيد أن الجمهور على هذا القول، فقال: ((ثم فيهم قولان - يعني عاداً الأولى - أحدهما : أنهم قوم هود ، وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى ، هذا قول الجمهور. والثاني: أن قوم هود هم عاد الأخرى ، وهم من أولاد عاد الأولى ، قاله كعب الأحبار^(٤)))^(٥).

ومن المفسرين من يذهب إلى أن عاداً إنما هي واحدة ، ووصفها بالأولى يعني التي كانت في أول الدهر وهو قول ابن زيد وطائفة^(٦) ، وإليه ذهب ابن عطية.

وقد انقسم الذين يبدو أنهم اطلعوا على قول ابن عطية وترجيحه فريقان:

فالقراطي ، وأبو حيان ، والتعالبي ذكروا القولين دون تعرض لنقد قول الإمام الطبري، ودون ترجيح قول علي قول^(٧).

وأما ابن جزري وابن عاشور فجزما بتصحيح ما رجحه ابن عطية ، ورد ما ذهب إليه الإمام الطبري.

(١) المحرر الوجيز (١٤/١٢٦).

(٢) اختلفوا في تعيين الأولى ، والثانية ، وقد أشار ابن الجوزي وابن عطية إلى الأقوال.

(٣) قال قتادة : إرم قبيل من عاد ... أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/٣٧٠) ونقل عنه الماوردي في النكت (٥/٤٠٥) أنه قال: عاداً الأولى قوم هود. والأخرة قوم كانوا بخضرموت. وهذا يفيد أنه يرى هذا القول. وانظر الدر المنثور (٦/١٣١) فقد ذكر السيوطي أن ابن المنذر أخرجه عن ابن جريج. ومن يرى أن عاداً أولى وثانية الفراء في معاني القرآن (٣/١٠٢)، والزجاج في معاني القرآن (٥/٧٧)، وأبو الليث السمرقندي في بحر العلوم (٣/٢٩٥)، والبيهقي في معالم التنزيل (٤/٢٥٦)، والواحدي في الوسيط (٤/٢٠٥)، والكرماني في غرائب التفسير (٢/١١٥٨)، والنسفي في تفسيره (٤/٢٠٠). واقتصر على ذكره أبو عبيدة في الجاز (٢/٢٩٧).

(٤) كعب بن ماتع الحميري اليماني ، الخبير العلامة ، أسلم بعد وفاة النبي ﷺ توفي في أواخر خلافة عثمان. انظر السير (٣/٤٨٩).

(٥) زاد المسير (٨/٨٤).

(٦) ممن ذهب إليه هود بن محكم في تفسير كتاب الله العزيز (٤/٢٤٨)، وابن جزري في التسهيل (٤/١٤٢)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٧/١٥٣).

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٢٠)، والبحر المحيط (٨/١٦٦)، والجواهر الحسان (٤/٣١٦) فقد ذكر الأحران كلام ابن عطية ، وصرحاً برأي الطبري واسمه.

قال ابن جزى : ((**عاداً الأولى** ﴾ وصفها بالأولى ؛ لأنها كانت في قديم الزمان ، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة ، وقيل : إنما سميت أولى ؛ لأن ثم عاد أخرى متأخرة ، وهذا لا يصح))^(١).

وقال ابن عاشور : ((ووصف عاد بـ **﴿الأولى﴾** على اعتبار عاد اسماً للقبيلة كما هو ظاهر . ومعنى كونها أولى ؛ لأنها أول العرب ذكراً ، وهم أول العرب البائدة ، وهم أول أمة أهلكت بعد قوم نوح . وأما القول بأن عاداً هذه لما هلكت خلفتها أمة أخرى تعرف بعاد إرم ، أو عاد الثانية كانت في زمن العماليق فليس بصحيح))^(٢).

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن الأبين في معنى الآية هو أن عاداً أولى وثانية ؛ وذلك للأسباب التالية :

١- لما دل عليه ظاهر هذه الآية - **﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾** - من أن هناك عاداً ثانية ، فهذا أبين من حمل الأولى على أنها التي كانت في أول الدهر .

وبعضد الأخذ بمفهوم هذا الوصف ، قوله تعالى : **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾**^(٣) فإن وصفها بعاد إرم تمييز لها عن عاد أخرى ، قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : ((وميزت عاد بالإضافة لإرم ، عن عاد الأخيرة وقد تقدم في تفسير الأحقاف أن عاداً قبيلتان ويؤيده قوله تعالى : **﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾**))^(٤).

٢- أشارت بعض الأحاديث إلى أن عاداً أولى ، وثانية .

قال الحافظ ابن حجر : ((وقد أخرج قصة عاد الثانية أحمد ياسناد حسن ، عن الحارث بن حسان البكري^(٥) قال : ((خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي^(٦) إلى رسول الله ﷺ الحديث . وفيه فقلت : أعوذ بالله ، وبرسوله أن أكون كوافد عاد ، قال : وما وافد عاد؟ - وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه - فقلت : إن عاداً قحطوا ، فبعثوا قيل بن عنز ، إلى معاوية بن بكر بمكة يستسقي لهم ، فمكث شهراً في

(١) التسهيل (٤/١٤٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/١٥٣).

(٣) سورة الفجر ، الآية : ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٤) فتح الباري (٨/٧٠٢).

(٥) الحارث بن حسان البكري الذهلي صاحب رسول الله ﷺ . انظر الإصابة (٢/١٥٢).

(٦) العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ (ت : ٤١٤هـ) . انظر الإصابة (٧/٣٨).

ضيافته تغنيه الجرادتان، فلما كان بعد شهر خرج لهم فاستسقى لهم^(١)، فمرت بهم سحابات فاختر السوء منها، فنودي: خذها رماداً، لا تبقى من عاد أحداً^(٢)... والظاهر أنه في قصة عاد الأخيرة، لذكر مكة فيه، وإنما بنيت بعد إبراهيم حين أسكن هاجر وإسماعيل بواد غير ذي زرع، فالذين ذكروا في سورة الأحقاف هم عاد الأخيرة...^(٣).

وأخرج الإمام البخاري عن عائشة^(٤) - رضي الله عنها - قالت: ((وكان إذا رأى غيماً، أو ريحاً عرف في وجهه، قالت يا رسول الله: إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأته عرف في وجهك الكراهية؟ فقال: يا عائشة ما يؤمن أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾^(٥))).^(٦).

قال ابن كثير - بعد أن أورد الخبر - ((هذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين، كما أشرنا إليه أولاً^(٧)، فعلى هذا تكون القصة المذكورة في سورة الأحقاف خيراً عن قوم عاد الثانية، وتكون بقية السياقات في القرآن خيراً عن عاد الأولى. والله أعلم بالصواب))^(٨).

وقال الكرمانى^(٩) - عند شرحه لهذا الحديث - ((يحتمل أن عاداً قومان: قوم بالأحقاف وهم أصحاب العارض، وقوم غيرهم))^(١٠).

قلت: علق الحافظ ابن حجر على ما ذكره الكرمانى بقوله: ((ولا يخفى بعده لكنه محتمل، فقد قال تعالى في سورة النجم: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ فإنه يشعر بأن ثم عاداً أخرى))^(١١).

(١) هكذا ((خرج لهم فاستسقى لهم)).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٨١/٣، ٤٨٢) - مطولاً - وليس فيه ذكر مكة فلعل الحافظ رآه في مكان آخر من المسند وفيه ذكر مكة. وقد استغرب الحافظ ابن كثير هذا الحديث. انظر تفسيره (١٦١/٤).

(٣) الفتح (٥٧٨/٨، ٥٧٩).

(٤) عائشة بنت أبي بكر الصديق (أم المؤمنين) أفتت نساء الأمة (ت: ٥٧هـ) انظر السير (١٣٥/٢).

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤.

(٦) صحيح البخاري - مع الفتح - (٥٧٨/٨)، كتاب التفسير، باب فلما رأوه... ح (٤٨٢٩).

(٧) انظر قصص الأنبياء ص (١٤١).

(٨) قصص الأنبياء ص (١٤٣).

(٩) محمد بن يوسف بن علي الكرمانى، عالم بالحديث، شرح صحيح البخاري في كتابه ((الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)) (ت: ٧٨٦هـ) انظر الأعلام (١٥٣/٧).

(١٠) فتح الباري (٥٧٨/٨).

(١١) المصدر نفسه (٥٧٨/٨).

٣- جمهور المفسرين - فيما رأيت - بين مقتصر على أن عاداً أولى ، وبين ذاكر للقولين معاً. وهذا يشير إلى أن قول المثبتين أبين في معنى الآية^(١).

٤- ذكر الطبري وابن الأثير^(٢) ، وابن كثير في تواريتهم أن عاداً أولى وثانية^(٣) ، وكذلك ابن إسحاق من قبلهم^(٤) ، وكذلك من اطلعت على كتبه من أهل الأدب واللغة يذكرون أن عاداً أولى وثانية^(٥) ، فهذا كله يرشدك إلى أن ترجيح غيره عليه ، أو نفيه بالكلية مسألة فيها نظر. والله أعلم بما كان.

وأما قول القاضي ابن عطية : ((لأن هذا الأخير لم يصح)) فهو يعني ما فسر به الآية الإمام الطبري، وهو مما رواه عن ابن إسحاق ، من طريق شيخه ابن حميد - إلا قوله : ((وكان هلاك عاد الآخرة بيغي بعضهم على بعض ففتانوا بالقتل)) - ووصفه بأنه لا يصح بالنظر إلى هذا السند هو كما قال ابن عطية؛ لأن شيخ الإمام الطبري ابن حميد ضعيف . لكن يشهد له ما ذكرته عند تحريجه ، فارجع إليه إن شئت^(٦).

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿فَمَا أَبْقَى﴾^(٧) يدل على نفي قول المثبتين أن عاداً أولى وثانية. فالجواب من وجهين:

الأول : أن المعنى الظاهر فما أبقي عليهم ، بل أخذهم بذنوبهم . قاله ابن عطية وأبو حيان والألوسي^(٨) . وليس معناه : فما أبقي منهم عيناً تطرف.

الثاني^(٩) : أن هذا النفي راجع إلى ثمود قاله جماعة من المفسرين منهم الطبري ، والواحدي، والبيهقي^(١٠).

(١) وما رجحه القاضي ابن عطية قد نسبة للجمهور - ويظهر أنه يعني بالجمهور جمهور المفسرين - والذي ظهر لي من خلال المراجع التي بين يدي أن قول الجمهور هو ما ذهب إليه الإمام الطبري ، ويدل على ذلك - أيضاً - أن ابن الجوزي قد نسبة إليهم.

(٢) علي بن محمد بن عبد الكريم ، إمام علامة ، محدث ، أديب ، مؤرخ (ت : ٦٣٠هـ). انظر السير (٣٥٣/٢٢).

(٣) انظر تاريخ الطبري (١٣٥/١) ، والكامل في التاريخ (٦٥/١) ، وقصص الأنبياء ص(١٤٣).

(٤) نعم في صحة السند إلى ابن إسحاق نظر من أجل شيخ الطبري ابن حميد . لكن يرفع هذا النظر ما تقدم أن ذكره الحافظ بقوله: وقد أخرج قصة عاد الثانية أحمد بإسناد حسن.

(٥) انظر تهذيب اللغة (١٣١/٣) ، ولسان العرب (٤٦٣/٩) ، وترتيب القاموس (١٣٧/١) الأول في ((عاد)) والثاني في ((عود)) والثالث في ((إرم)) . وشرح المعلقات السبع ص(٧٦) ، وخرزاة الأدب (٢٧٠/٢).

(٦) وانظر أيضاً الرواية كاملة في تاريخ الطبري (١٣٤/١ ، ١٣٥). وقارنها بما في مسند الإمام أحمد (٤٨١/٣ ، ٤٨٢).

(٧) سورة النجم ، الآية : ٥١ .

(٨) انظر المحرر الوجيز (١٣٠/١٤) ، والبحر المحييط (١٦٦/٨) ، وروح المعاني (٧٠/٢٧).

(٩) انظر نظم الدرر (٧٨/١٩).

(١٠) انظر تفسير الطبري (٥٣٨/١١) ، والوسيط (٢٠٥/٤) ، ومعالم التنزيل (٢٠٦/٤).

سورة الحديد

❦ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوماً من الأيام ، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول، وإعلامه، ودعائه إياكم إلى ما قد تقررت صحته عندكم ، بالأعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم))^(١).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى الآية بأنه ليس في لفظ الآية ، وفيه إضمار كثير . فقال : ((وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال الطبري: المعنى: إن كنتم مؤمنين في حال من الأحوال فالآن. وهذا معنى ليس في لفظ الآية ، وفيه إضمار كثير. وإنما المعنى عندي أن قول الله تعالى : ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين﴾ يقتضي أن يقدر بأثره: فأنتم في رتب شريفة ، وأقدار رفيعة إن كنتم مؤمنين ، أي إذا دمتم على ما بدأتم به))^(٢).

لا شك أن جواب الشرط في قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ محذوف وقد اختلف أهل العلم في تقديره على أقوال، فالطبري وابن عطية يقولان ما سمعت ، وقيل - أيضاً - : إن كنتم مؤمنين بما أخذ عليكم من الميثاق . وقيل: إن كنتم مؤمنين بالحجج والدلائل . وقيل: إن كنتم مؤمنين بسبب من الأسباب فهذا من أعظم أسبابه وأوضح موجباته^(٣).

وقيل غير هذا مما يطول ذكره ، ولا يضر حذفه^(٤).

وقد قدّر البغوي والخازن نحو ما قدّره الإمام الطبري في جواب الشرط^(٥).

(١) تفسير الطبري (٦٧٢/١١).

(٢) انحرر الوجيز (٢٩٠/١٤).

(٣) انظر فتح القدير (١٦٧/٥).

(٤) انظر إعراب القرآن (٣٥٢/٤) ، والبحر المحيط (٢١٨/٨) ، وروح المعاني (١٧٠/٢٧ ، ١٧١).

(٥) انظر معالم التنزيل (٢٩٤/٤) ، وتفسير الخازن (٣١/٤).

وذكر أبو حيان قول الطبري وابن عطية منسوبين إليهما ، وذكر غيرهما من الأقوال ، إلا أنه أعرض عن ذكر استدراك ابن عطية على الطبري^(١) ، فكأنه - والله أعلم - لا يراه .

وأشار الثعالبي إلى شيء من قول ابن عطية ، ولم يذكر قول الطبري ، ولا اعتراض القاضي^(٢) . وكذلك الألوسي ذكر قول الطبري وابن عطية ، وأقوالاً أخرى لم يصدر بها تفسير الآية^(٣) ثم قال بعدها : ((والكل كما ترى))^(٤) .

وهذه العبارة يذيل بها الأقوال التي لا تعجبه ، فحقيقتها نقد لقول الطبري وابن عطية ، وغيرهما من الأقوال .

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما قدره الإمام الطبري ينحو بالآيات إلى أنها خطاب مع من لم يؤمن ، وما قدره ابن عطية ينحو إلى أن الخطاب فيها مع من قد آمن ، وهما قولان معتبران قد قيل بكل منهما^(٥) .

وما علل به القاضي ابن عطية لدفع قول الإمام الطبري لازم - في نظري - على ما ارتضاه هو في معنى الآية ؛ لأنه يمكن أن يقال : قولك : (فأنتم في رتب شريفة وأقدار رفيعة) ليس هذا المعنى في لفظ الآية ، وهو مساو في الإضمار لما ذكره الطبري ، بل هو أكثر . فما كان جواباً للقاضي فهو للطبري . ولو بقينا عند التمسك باللفظ لكان الأول أن يكون التقدير : إن كنتم مؤمنين فقد أخذ ميثاقكم . فتبين بهذا أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري . والله أعلم .

(١) انظر البحر (٢١٨/٨) .

(٢) انظر الجواهر الحسان (٣٦٢/٤ ، ٣٦٣) .

(٣) الذي صدر به في تقدير الجواب . أن قال : إن كنتم مؤمنين لموجب ، فهذا موجب لا موجب وراءه . وهو قول الزمخشري في الكشاف (٦٢/٤) .

(٤) روح المعاني (١٧١/٢٧) .

(٥) انظر التحرير والتنوير (٣٦٨/٢٧-٣٧١) ، وروح المعاني (١٧١/٢٧) . فقد أشارا إلى القولين . ولأجل مثل هذه الآيات اختلف في مدنية السورة ومكيتها . انظر الإتيان (٣٨/١) . والواحدي نحى في الوسيط (٢٤٥/٤) في تفسير الآية وما قبلها وما بعدها إلى أن الخطاب فيها للكفار وعكس ذلك ابن كثير في تفسيره (٣٠٦/٤) . وحوز الشوكاني في فتح القدير (١٦٧/٥) أن يكون الخطاب في قوله : ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ لجميع الناس .

سورة الجن

❦ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿وأنه تعالى﴾^(١))
 فقرأه أبو جعفر القارئ وستة أحرف أخر بالفتح منها ﴿أنه استمع نفر﴾ ﴿وأن المساجد لله﴾^(٢)
 ﴿وأنه كان يقول سفيها﴾^(٣) ﴿وأنه كان رجال من الإنس﴾^(٤) ﴿وأنه لما قام عبد الله
 يدعو﴾^(٥) ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾^(٦) وكان نافع يكسرهما إلا ثلاثة أحرف. أحدها :
 ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر﴾ والثانية ﴿وأن لو استقاموا﴾ والثالثة ﴿وأن المساجد لله﴾ . وأما
 قراءة الكوفة غير عاصم ، فإنهم يفتحون جميع ما في آخر سورة النجم ، وأول سورة الجن إلا قوله:
 ﴿فقالوا إنا سمعنا﴾^(٧) وقوله : ﴿قال إنما أَدْعُو رَبِّي﴾^(٨) وما بعده إلى آخر السورة ، وأنهم يكسرون
 ذلك غير قوله : ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾^(٩) وأما عاصم فإنه كان يكسر جميعها إلا
 قوله: ﴿وأن المساجد لله﴾ فإنه كان يفتحها . وأما أبو عمرو، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله ﴿وأن
 لو استقاموا على الطريقة﴾ فإنه كان يفتح هذه وما بعدها...))^(١٠).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما حكاه عن أبي عمرو من أنه
 كان يكسر جميعها فقال: ((وحكى الطبري عن عاصم أنه كان يكسر كل ألف في السورة من (أن) و
 (أنه) إلا قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾^(١١) وحكى عن أبي عمرو أنه كان يكسر من أولها إلى قوله

(١) سورة الجن ، الآية : ٣ .

(٢) سورة الجن ، الآية : ١٨ .

(٣) سورة الجن ، الآية : ٤ .

(٤) سورة الجن ، الآية : ٦ .

(٥) سورة الجن ، الآية : ١٩ .

(٦) سورة الجن ، الآية : ١٦ .

(٧) سورة الجن ، الآية : ١ .

(٨) سورة الجن ، الآية : ٢٠ .

(٩) سورة الجن ، الآية : ٢٨ .

(١٠) تفسير الطبري (٢٦١/١٢).

(١١) سورة الجن ، الآية : ١٨ .

تعالى: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا﴾^(١) ، فإنه كان يفتح هذه وما بعدها إلى آخر السورة ، فعلى ما حكى يلزم أن تكون الألف مكسورة في قوله تعالى : ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ وليس ما ذكر بثابت^(٢) ثم نقل عن أبي علي الفارسي مذاهب القراء السبعة في الفتح والكسر إلى أن قال : ((فترتب إجماع القراء على فتح الألف من ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾...))^(٣).

بيان هذا الاستدراك أن القاضي ابن عطية يرى أن الإمام الطبري ذكر مذهب أبي عمرو بلفظ يلزم عليه أن الألف من قوله : ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ مكسورة ، وليس الأمر على ما ذكر فإن الثابت عن أبي عمرو أن الألف مفتوحة.

وهذه المسألة البحث فيها من وجهين :

الأول: التأكد من مذهب أبي عمرو البصري في ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾.

والثاني : هل ما ذكره الإمام الطبري عن أبي عمرو يلزم عليه ما ذكره القاضي ابن عطية؟.

فأما مذهب أبي عمرو في هذا الحرف فقد نص القراء المختصون على أنه كان يقرأ ذلك بفتح الألف^(٤) ، بل الفتح مجمع عليه بين القراء^(٥).

وأما من حيث اللزوم ، وعدمه فالتأمل في كلام الإمام الطبري يرى أن استدراك ابن عطية عليه هو كما قال ؛ لأنه لم يقتصر في ذكر مذاهب القراء على قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾^(٦) وما بعدها حتى نرجع قوله : ((وأما أبو عمرو فإنه كان يكسر جميعها)) إلى ذلك ، بل بدأ بالآية المذكورة ثم رجع إلى ذكر مذاهب القراء في أول حرف وهو قوله : ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ وما بعده ، ثم نسق على كل ذلك بمذهب أبي عمرو البصري فلزم على هذا التعميم ما قاله القاضي.

(١) سورة الجن ، الآية : ١٦ .

(٢) المحرر الوجيز (١٢٨/١٥) .

(٣) المصدر السابق (١٢٩/١٥) .

(٤) ممن نص على ذلك الأزهرى في علل القراءات (٧١٩/٢) ، والأصبهاني في المبسوط ص(٤٤٨) ، وأبو علي الفارسي في

الحجة (٢٣٠/٦) ، ومكي في الكشف (٣٣٩/٢) ، والقلاسي في كتابه إرشاد المبتدي ، وتذكرة المنتهي ص(٦٠٨) ،

وابن الجزري في النشر (٣٩١/٢) .

(٥) انظر الدر المصون (٤٨١/١٠) ، وإتحاف فضلاء البشر ص(٤٢٥) .

(٦) سورة الجن ، الآية : ٣ .

وقد يكون الإمام الطبري يعني بقوله : ((وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله...)) أول موضع ذكره وهو قوله : ﴿وأنه تعالى﴾^(١) وما بعده فيستقيم كلامه ، ولا يلزم عليه ما ذكره القاضي ، إلا أن هذا الاحتمال فيه بعد ، يدفعه ظاهر كلام الإمام الطبري . والله أعلم .

سورة الإنسان

❦ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ يقول تعالى ذكره : نحن خلقنا هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره ونهيه ﴿وشددنا أسرهم﴾ وشددنا خلقهم ، من قولهم : قد أسر هذا الرجل فأحسن أسرته ، بمعنى : قد خلق فأحسن خلقه... وقال آخرون : الأسر : المفاصل... وقال آخرون : بل هو القوة ... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه ، وذلك أن الأسر هو ما ذكرت عند العرب... ومنه قول العامة: خذه بأسره . أي هو لك كله))^(١).

واستندزك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري نسبه قوله : ((خذه بأسره)) إلى العامة فقال - بعد أن ذكر الأقوال التي ذكرها الإمام الطبري في معنى ﴿أسرهم﴾ - : ((قال الطبري: ومنه قول العامة : ((خذه بأسره)) يريدون : خذه كله . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وأصل هذا فيما له شد ورباط كالعظم ونحوه ، وليس هذا مما يختص بالعامة ، بل هو من فصيح كلام العرب ، اللهم إلا أن يريد بالعامة : جمهور العرب))^(٢).

الذي يبدو - والله أعلم - أن هذا الاستدراك وارد على الإمام الطبري ؛ لأن قوله : إن الأسر هو الخلق عند العرب ، ثم قوله بعد ذلك : ومنه قول العامة خذه بأسره ، يفيد أن الأخير مختص بالعامة، وهذا خلاف ما في كتب اللغة فإنهم يذكرون هذا المعنى على أنه من كلام العرب الفصيح ، ففي تهذيب اللغة واللسان ((جاء القوم بأسرهم ... معناه جاءوا بجمعهم وخلقهم))^(٣).

وقال أبو جعفر النحاس : ((يكون من قولهم : ما أحسن أسر هذا الرجل أي خلقه ، ومن هذا أخذه بأسره أي بجملته وخلقته لم يبق منه شيئاً))^(٤).

وفي مختار الصحاح : ((وهذا لك بأسره أي بقده يعني جميعه كما يقال برمته))^(٥).

(١) تفسير الطبري (١٢/٣٧٤ ، ٣٧٥).

(٢) المحرر الوجيز (١٥/٢٥٣ ، ٢٥٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٣/٦٢٢)، ولسان العرب (١/١٤٠) كلاهما في ((أسر)).

(٤) إعراب القرآن (٥/١٠٨).

(٥) مختار الصحاح ص(٢١) ((أسر)).

وفي المعجم الوسيط : ((ويقال هذا الشيء لك بأسره : كله . وجاءوا بأسرهم : جميعهم))^(١).

وفي المصباح المنير : ((... وخذه بأسره، أي جميعه))^(٢).

وقد أحسن القاضي ابن عطية في الاعتذار عن الإمام الطبري ، وإن كنت لم أر فيما اطلعت عليه من يذكر خلافاً في هذا المعنى حتى يقال : إن الطبري يقصد بالعامه : جمهور العرب .

فلعل الإمام الطبري أراد بقوله : ومنه قول العامة ... إلخ أن هذا مما اشتهر على ألسنتهم ، وهو في الأصل من فصيح كلام العرب ، أو يكون أراد بالعامه الجميع .

(١) المعجم الوسيط (١٧/١) ((أسر)).

(٢) المصباح المنير ص(٦) ((أسر)).

سورة الليل

﴿ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى *...﴾ كان بعض أهل العربية يوجه تأويل ذلك إلى : وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يوتي ماله في سبيل الله يتزكى ﴿من نعمة تجزى﴾ يعني من يد يكافئه عليها، يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك ، ويعطي ما يعطي ، مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده ، ولا مكافأة له على نعمة سلفت منه إليه ، أنعمها عليه ، ولكن يوتي في حقوق الله ابتغاء وجه الله . قال : وإلا في هذا الموضع بمعنى لكن ، وقال : يجوز أن يكون الفعل في المكافأة مستقبلاً فيكون معناه: ولم يرد بما أنفق مكافأة من أحد ، ويكون موقع اللام التي في أحد في الهاء التي خفضتها عنده ، فكأنك قلت : وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة بالتمس ثوابها ، قال وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان معروفاً، واستشهدوا لذلك بيت النابغة ^(١) :

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل

والمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي. وهذا الذي قاله الذي حكينا قوله من أهل العربية ، وزعم أنه لما يجوز هو الصحيح الذي جاءت به الآثار عن أهل التأويل ، وقالوا: نزلت في أبي بكر بعثته من أعتق ^(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الأسلوب الذي جاء به في معنى الآية آخراً بأنه غير مغن ويتجه المعنى الذي أراد بأيسر منه فقال: ((وقوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده﴾ الآية. المعنى : وليس إعطاؤه ليجزي نعماً قد أزلت ^(٣) إليه ، بل هو مبتدئ ابتغاء وجه الله تعالى ورؤي في سبب هذا أن قريشاً قالوا لما أعتق أبو بكر بلالاً كانت لبلال عنده يد. وذهب الطبري إلى أن المعنى: وليس يعطي ليث نعماً يجزي بها يوماً ما ، وينتظر ثوابها ، وحوماً في هذا المعنى وحلق بتطويل غير مغن.

والبيت

(١) هو النابغة الذبياني ، والبيت في ديوانه ص(٩٤). وفي إعراب القرآن (٢٤٥/٥) ، ومعجم البلدان (١٧٢/٥) ، ولسان

العرب (٢٤٨/٤) ((عوف)).

(٢) تفسير الطبري (٦١٩/١٢ ، ٦٢٠).

(٣) أزلت : أي أسديت . انظر اللسان (٧٣/٦) ((زل)).

ويتجه المعنى الذي أراد بأيسر من قوله ، وذلك أن التقدير : وما لأحد عنده إعطاء ليقع عليه من ذلك لأحد جزاء ، بل هو مجرد ثواب الله تعالى وجزائه^(١).

هذه المسألة البحث فيها من وجوه:

الأول : الذي تبين لي أن الطبري يعني بقوله : ((كان بعض أهل العربية... إلخ)) الفراء فالقول الذي نقله الطبري موجود بتمامه في معاني القرآن^(٢).

الثاني : لم يستبعد القاضي ابن عطية ما جوزة الفراء ، واعتبره الإمام الطبري صحيحاً ، بل اعترض على الأسلوب الذي أدي به ذلك المعنى ، وجاء هو بأسلوب يرى أنه خال عن التطويل ، ويتجه المعنى الذي أراداه الطبري عليه .

الثالث : في نظري أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري ، ومن قبله الإمام الفراء؛ لأن التطويل الذي جاء في أسلوب الفراء - وتبعه الطبري عليه - لا بد منه في إيضاح هذا القول ، إذ هو قول غامض يحتاج إلى شرح وتطويل ، وما ذكرناه من شرح وتطويل مغن في بيان المعنى الذي أراداه ؛ ولذلك لم يعترض من اطلع على قول الفراء على الأسلوب ، وإنما اعترض على القول ذاته^(٣).

الرابع : الذي يبدو أن التقدير الذي قدره ابن عطية ، ووصفه بأنه أيسر موافق للوجه المشهور الذي نقله الطبري عن الفراء بقوله: وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يوتي ماله في سبيل الله يتزكى ﴿من نعمة تجزى﴾ يعني من يد يكافئه عليها... إلخ . وليس موافقاً لما جوزة المعترض عليه وجهاً ثانياً، ومثل له بقوله : فكانك قلت : وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها.

(١) المحرر الوجيز - المغربية - (٣١٨/١٦) ولعل هذا النص أوضح من النص نفسه في النسخة القطرية الذي جاء فيه: ((وقوله تعالى : ﴿وما لأحد عنده﴾ الآية . معناه: وليس إعطاؤه ليجزي نعماً قد أنزلت إليه ، بل هو مبتدي ابتغاء وجه الله تعالى. وروي في سبب هذا أن قريشاً قالوا - لما أعتق أبو بكر رضي الله عنه بلالاً - : كانت لبلال يد عنده. وذهب الطبري إلى أن المعنى : وليس يعطي ليناب نعماً يجزى بها يوماً ويتنظر ثوابها . وحوم في هذا المعنى وحلق بتطويل غير مغن، ويتجه المعنى الذي أراد بأيسر من قوله ، وذلك أن يكون التقدير: وما لأحد عنده إعطاء ليقع عليه من ذلك لأحد جزاء بعد، بل هو مجرد ثواب الله تعالى وجزائه)) (٤٨٤/١٥ ، ٤٨٥).

(٢) انظر معاني القرآن (٢٧٢/٣ ، ٢٧٣).

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس (٢٤٤/٥ ، ٢٤٥) وسيأتي شيء من كلام المعترض.

واعترض ابن عطية إنما هو على الوجه الثاني حسبما أورد من كلام المعترض عليه ، فكان ينبغي أن يكون التقدير موافقاً للوجه الثاني الذي حلق فيه الطبري وحوّم^(١).

ولعل القاضي ابن عطية قد اعتبر الوجه الثاني في معنى الوجه الأول، وإلى هذا يشير كلام أبي جعفر النحاس، الآتي في الوجه الخامس .

الخامس : هذا الوجه الذي قيل : إنه مما يجوز في الآية جعله أبو جعفر النحاس في معنى القول الأول، واعترض على الفراء أن جعله من المقلوب فقال: ((أي ليس يتصدق ليكافئ إنساناً على نعمة أنعم بها عليه. وفي معناه قول آخر ذكره الفراء : يكون للمستقبل : أي ليس يتصدق ليكافئ على صدقته. على أن الفراء جعله من المقلوب ، بمعنى : وما له عند أحد نعمة تجزى ، وأنشد:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل

وتأوله بمعنى : حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي. قال أبو جعفر: لا يجوز أن يحمل كتاب الله على القلب والاضطرابات البعيدة)^(٢).

قلت : وقد عد الكرماني القول بالقلب قولاً غريباً^(٣).

وحق لهذا القول أن يكون بعيداً غريباً ، سيما وأن معنى الآية ظاهر لا يحتمل إلا القول الأول، والبيت الذي استشهد به الفراء قد قال غيره الشاهد فيه : حذف المضاف ، والتقدير: حتى ما تزيد مخافتي على مخافة وعل^(٤) . والله أعلم.

(١) ليس فيما نقل الطبري عن الفراء تصريح بالوجهين ، إلا أنك إذا رجعت إلى كلام الفراء وحدته قد صرح بأن ما ذكره وجهان في الآية ، وإليك نص كلامه - الذي نقله الطبري - حيث قال: ((وقوله عز وجل ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ يقول: لم يفتق نفقته مكافأة ليد أحد عنده ، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه ، فإلا في هذا الموضع بمعنى لكن. وقد يجوز أن تجعل الفعل في المكافأة مستقبلاً فتقول : ولم يرد مما أنفق مكافأة من أحد ، ويكون موقع اللام التي في أحد ، في الهاء التي خفضتها عنده ، فكأنك قلت : وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها . وكلا الوجهين حسن. قال الفراء: وما أدري أي الوجهين أحسن ، وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان المعنى معروفاً ، وقد قال الشاعر:

لقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المكاره عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي...)) معاني القرآن (٣/٢٧٢ ، ٢٧٣). وقوله : ((ذي المكاره)) كذا في معاني الفراء المطبوع ، والصواب ((ذي المطارة)).

(٢) إعراب القرآن (٥/٢٤٥).

(٣) انظر غرائب التفسير (٢/١٣٥١).

(٤) انظر المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/٧٨٦).

الخاتمة

الخاتمة : أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث

بعد هذه الجولة - التي أسأل الله أن يجعلها مباركة مقبولة - في هذا الموضوع (استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في تفسيره) ظهرت لي بعض النتائج أدون أهمها فيما يلي:

- ١- هذه الاستدراكات التي أوردها أبو محمد على الإمام الطبري كان معظمها في مواطن تجد أن العلماء قد حصل بينهم الخلاف فيها^(١).
- ٢- وجدت أن طائفة من هذه الاستدراكات ، كانت استدراكاً على استدراك ، وفوق كل ذي علم عليم^(٢).
- ٣- ظهر لي أن طائفة من هذه الاستدراكات قد شارك القاضي ابن عطية غيره في إيرادها على الإمام الطبري^(٣).
- ٤- جاءت استدراكات القاضي ابن عطية متنوعة ، منها ما هو في التفسير^(٤) ، ومنها ما هو في اللغة العربية بفنونها المتنوعة^(٥) ، ومنها ما هو في الفقه^(٦) ، ومنها ما هو في العقيدة^(٧) ، ومنها ما هو في الأثر والحديث^(٨) ، ومنها ما هو في توجيه القراءات^(٩).

-
- (١) انظر - مثلاً - سورة الأعراف ، الآية : ١٤١ ، ٦٩ ، وسورة الأنفال ، الآية : ٣١ ، وسورة التوبة ، الآية : ٨٠ ، ١٢٢ ، وسورة يونس ، الآية : ٨٧ ، ٩٨ ، وسورة هود ، الآية : ٣٥ ، ١١٤ ، وسورة إبراهيم ، الآية : ٧ ، ١٦ ، وسورة الحجر ، الآية : ٧٢ ، وسورة الإسراء ، الآية : ٣٦ ، وسورة طه ، الآية : ٧١ . الآية
- (٢) انظر - مثلاً - سورة البقرة^{الآية} : ٢٣٩ ، وسورة النساء ، الآية : ٣٨ ، وسورة المائدة^{الآية} : ٤٨ ، ٦٠ ، وسورة الأنعام ، الآية : ٧٠ .
- (٣) انظر - مثلاً - سورة الفاتحة ، الآية : ١ ، وسورة النساء ، الآية : ٣٤ ، وسورة يونس ، الآية : ٥١ ، وسورة القصص ، الآية : ٦٨ .
- (٤) هذا كثير ، انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، وسورة المائدة ، الآية : ١٠٩ ، وسورة الأنفال ، الآية : ٦٠ ، وسورة التوبة ، الآية : ١٢٢ .
- (٥) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ١٧٣ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، وسورة آل عمران ، الآية : ١٨ ، ١٩ ، ٤٨ ، وسورة النساء ، الآية : ٣٦ ، ٨٥ ، وسورة الأنعام ، الآية : ١ ، وسورة يونس ، الآية : ١ ، وسورة لقمان ، الآية : ١٨ .
- (٦) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ١٩٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وسورة المائدة ، الآية : ١٠٦ .
- (٧) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ٢٦ ، وسورة الرعد ، الآية : ٢ المسألة الثانية .
- (٨) انظر - على سبيل المثال - سورة الأنعام ، الآية : ٥٢ ، وسورة الأعراف ، الآية : ٤٠ ، والكهف ، الآية : ١٠٠ ، وسورة الروم ، الآية : ١ - ٦ .
- (٩) انظر - على سبيل المثال - سورة آل عمران ، الآية : ٨٠ ، وسورة فصلت ، الآية : ١٦ ، وسورة ق ، الآية : ١٩ .

- ٥- بعض هذه الاستدراكات قد تلمس فيه الاتجاه المذهبي ، في النحو، أو في الفقه، أو في العقيدة^(١) .
- ٦- يتصرف القاضي ابن عطية - غالباً - في نقل كلام الإمام الطبري ، فيؤديه بالمعنى، مما قد يؤدي - أحياناً - إلى وجود فرق بين ما نسبه القاضي ابن عطية إلى الإمام الطبري ، وما قاله حقيقة^(٢) .
- ٧- تبين لي أن بعض الاستدراكات التي أوردها القاضي ابن عطية كان سببها أنه لم يقرأ كل ما ذكره الإمام الطبري في المسألة ، أو قرأه لكن أهمل الاعتداد به^(٣) .

٨- ترك أبو محمد ذكر الدليل والتعليل في طائفة من استدراكاته على الإمام الطبري^(٤)، خصوصاً في الاستدراكات المتعلقة باللغة العربية ، فهو يكتفي بقوله - مثلاً - : فيه نظر ، ليس بصحيح ، أو نحو هذا .

وفي نظري أن هذا يضعف من قوة الاستدراك . نعم أبو محمد يخاطب علماء تكفيهم الإشارة عن العبارة ، لكن كان الأولى به أن يبين عن حجته ؛ إذ ذلك يجعل للاستدراك قوة وقيمة علمية .

٩- لم أجد لبعض ما استدركه القاضي ابن عطية ذكراً في نسخ تفسير الإمام الطبري التي بين يدي^(٥) .

- ١٠- آثر القاضي ابن عطية التلميح والإشارة ، بدل التصريح والإبانة في طائفة من استدراكاته^(٦) .
- ١١- ظهر لي أن القاضي ابن عطية كان يلتزم الأدب في الرد على الإمام الطبري^(٧) ، فهو يبتعد - غالباً - عن عبارات التجريح التي هي أقرب إلى الشتم والسباب ، نعم القاضي ابن عطية قد يستخدم بعض

(١) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة، الآية: ٢٣٧، ٢٤١، ٢٦٠ المسألة رقم (٢٧)، وسورة الرعد ، الآية: ٢ ، المسألة الثانية.

(٢) انظر - على سبيل المثال - سورة الأنعام، الآية: ٧٠، وسورة يوسف، الآية: ٧٠، وسورة الكهف، الآية: ١٢ ، وسورة الفتح، الآية : ١٨ .

(٣) انظر سورة الفاتحة ، الآية: ٧ المسألة الثانية ، وسورة الأعراف، الآية: ١٠٩ ، وسورة يوسف، الآية: ٧٠ .

(٤) انظر - مثلاً - سورة آل عمران ، الآية: ٤٨ ، ٩١ ، وسورة المائدة ، الآية : ٦٠ ، ١٠٦ ، وسورة الأنعام، الآية: ٧١ ، ٩٩ ، وسورة الأنفال ، الآية: ١ ، وسورة النحل، الآية : ٨ ، ٦٨ .

(٥) انظر سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ ، وسورة المائدة ، الآية : ١٠٩ ، وسورة يوسف، الآية : ٧٠ .

(٦) انظر - مثلاً - سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ ، وسورة الأنعام ، الآية : ١٥٣ ، وسورة الأعراف، الآية: ١٠٩ ، وسورة التوبة، الآية : ١٢٢ ، وسورة طه ، الآية : ٧١ ، وسورة الجاثية ، الآية : ٧ .

العبارات القاسية التي تستعمل أحياناً في مجال الردود العلمية كقوله : أخطأ ، وهم ، غلط ، قوله ما لم يقل^(١).

١٢ - طائفة من استدراكات ابن عطية انصبت على نقد الطبري في إدخاله تحت التراجم ما لا يدخل^(٢).

١٣ - طائفة من استدراكات القاضي ابن عطية كانت مبنية على فهمه لكلام الإمام الطبري الذي قد يخالفه غيره في هذا الفهم^(٣).

١٤ - بعض استدراكات القاضي ابن عطية كان سببها اختلافه مع الإمام الطبري في فهم كلام مفسر قد سبق زمانهما^(٤).

١٥ - بلغ عدد الاستدراكات أكثر من منعتي استدراك^(٥) ، تبين لي أن أكثرها وارد على الإمام الطبري ، أو يترجح فيه جانب القاضي ابن عطية^(٦) . ولم يترجح جانب علي جانب في عدد يسير^(٧).

(١) انظر - مثلاً - سورة البقرة، الآية: ١١٧، ١٤٧، ٢٤٠، ٢٤١، وسورة آل عمران، الآية: ٤٨، ٨٠، وسورة التوبة، الآية: ٤٣ ، للمسألة الثانية . وهذه الأمثلة على ما وصفته بأن فيه نوعاً من القسوة.

(٢) انظر - مثلاً - سورة البقرة ، الآية : ٢٨٠ ، وسورة آل عمران ، الآية : ٤٥ ، وسورة المائدة ، الآية : ١١ ، وسورة الحج ، الآية : ٤٠ .

(٣) انظر سورة التوبة ، الآية : ٤٣ ، المسألة الأولى ، وسورة الفرقان ، الآية : ٥٧ ، وسورة القصص ، الآية : ١٧ .

(٤) انظر - مثلاً - سورة المائدة ، الآية : ٢ .

(٥) هي ثمانية ومئتا استدراك.

(٦) الذي ورد على الإمام الطبري ، أو يترجح فيه جانب القاضي ابن عطية تسعة عشر ومئة استدراك ، ومئتان استدراكاً لم يرد فيها استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، أو يترجح فيها جانب الإمام الطبري.

(٧) تسعة استدراكات ما بين مصحح فيها قول كل إمام ، أو متوقف فيها ، أو مرجح فيها غير قول الإمام الطبري والقاضي ابن عطية .

١ - فهرس آيات القرآن الكريم

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الفاتحة		
٢	﴿الحمد لله رب العالمين﴾	٦٥
٧	﴿...ولا الضالين﴾	٧٧، ٧٥، ٧٣، ٧٢
سورة البقرة		
١٦	﴿فما ربحت تجارتهم...﴾	٤٩٥
١٩	﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾	٨٣، ٨١، ٨٠
٢٦	﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً﴾	٨٧، ٨٦
٣١	﴿وعلم آدم الأسماء كلها...﴾	٤٢٣، ٤٢٢
٤٠	﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾	٨٩
٤٧	﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين﴾	٤١٤
٤٨	﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾	٤١٤
٤٩	﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾	٤١٤
٥٠	﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾	٤١٤
٥١	﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾	١٩٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٥٤	﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾	٣٢٧
٧٣	﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾	٩٣، ٩٢، ٩١
٧٤	﴿ثم قست قلوبكم﴾	٩٢
٧٩	﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾	٦٣٩
٨٣	﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾	٣٠٥، ٣٠٤
٩٠	﴿فباؤا بغضب على غضب﴾	٧٨
١٠٦	﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾	٥٤٧
١١٧	﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾	٩٥، ٩٤
١٣٣	﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾	٩٦
١٤٣	﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾	٣٥٣، ٣١٤
١٤٦	﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...﴾	٢٥٣
١٤٧	﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾	٩٨
١٤٨	﴿ولكل وجهة هو موليها﴾	١٠٠
١٧٢	﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾	٧١
١٧٣	﴿إنما حرم عليكم الميتة...﴾	١٠٧، ١٠٢
١٨٠	﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً﴾	٢٨١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	﴿الوصية...﴾	
١٩١	﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾	١٠٨
١٩٦	﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾	١٠٩
٢٠٤	﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا...﴾	١١٣، ١١٢
٢٠٥	﴿ويهلك الحرث والنسل﴾	١١٢، ١١١
٢١٣	﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق﴾	١١٦، ١١٥
٢١٩	﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾	١١٨
٢٢١	﴿... وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾	٢٤٩
٢٢٢	﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾	١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١
٢٣٠	﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾	٥٨٥
٢٣٤	﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً...﴾	١٣٢، ١٣١
٢٣٦	﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾	١٣٦، ١٣٥
٢٣٧	﴿... أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾	١٢٨، ١٢٧
٢٣٩	﴿فإذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾	١٢٩
٢٤٠	﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج...﴾	١٣٣، ١٣٢، ١٣١
٢٤١	﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾	١٣٧، ١٣٦، ١٣٥

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٢٤٣	﴿لم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت...﴾	١٥٢، ١٥٣
٢٥٤	﴿... من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾	١٣٨، ١٣٩، ١٤٠
٢٥٥	﴿... وهو العلي العظيم﴾	٣٨، ١٤١، ١٤٦، ١٤٧
٢٥٦	﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾	١٥٠، ١٥١
٢٥٨	﴿قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾	١٦٢
٢٥٩	﴿... قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها...﴾	١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ٥٨٣
٢٦٠	﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى...﴾	١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠
٢٦١	﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة...﴾	١٧٢
٢٦٤	﴿فمثلته كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً...﴾	١٧٦، ١٧٧
٢٦٥	﴿... كمثل حبة بربرة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين...﴾	١٧٤
٢٦٦	﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل...﴾	١٧٦، ١٧٧، ١٧٨
٢٧٣	﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾	١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦
٢٧٩	﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾	١٨٧، ١٨٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٢٨٠	﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٩١
٢٨٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ...﴾	١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٣٥١، ٣٤٩
٢٨٣	﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾	١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٣٥٢
٢٨٤	﴿وَإِنْ تَبَدَّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفَوْهُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾	٢١٧
٢٨٦	﴿رَبِّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨
سورة آل عمران		
١٤	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ..﴾	٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤
١٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩
١٩	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩
٢٧	﴿...وَتُخْرَجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرَجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ﴾	١٠٤، ١٠٥
٣٤	﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥
٣٥	﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...﴾	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤
٣٨	﴿هَنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً...﴾	٢٣٠، ٢٣١
٣٩	﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى...﴾	٢٣١، ٥٦٤

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٤٢	﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...﴾	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٩
٤٤	﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠
٤٥	﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه...﴾	٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١
٤٦	﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١
٤٧	﴿كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢
٤٨	﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢
٤٩	﴿... قد جنتكم بآية من ربكم...﴾	٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦
٥٠	﴿... وجنتكم بآية من ربكم﴾	٢٤٣
٥١	﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾	٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦
٥٤	﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾	٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩
٥٥	﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي...﴾	٢٤٧، ٢٤٨
٥٨	﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾	٢٤٩
٦٦	﴿ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾	٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣
٦٩	﴿وودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم...﴾	٢٥٤، ٢٥٦
٧٢	﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره...﴾	٣٢٦

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧٩	﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله...﴾	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩
٨٠	﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً...﴾	٢٥٧، ٢٥٨
٨٨	﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾	٢٦١، ٢٦٢
٩١	﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به...﴾	٢٦٣
٩٣	﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾	٢٥٢، ٢٦٥، ٢٦٦
١٠٧	﴿وأما الذين ابضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾	٢٦٢
١١٢	﴿... ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾	٢٦٨، ٢٦٩، ٤١٨
١٢٠	﴿إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها...﴾	٢٧٢
١٢١	﴿وإذ غدوت من أهل الردى من المؤمنين مقاعد للقتال...﴾	٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢
١٤٠	﴿إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله...﴾	٢٧٣، ٢٧٤
١٥١	﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً...﴾	١٨٥

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٩٤	﴿ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك...﴾	٢١٩
سورة النساء		
٤	﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾	٢٧٧، ٢٧٦
٥	﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً...﴾	٢١٠، ٢٠٦
٦	﴿وكفى بالله حسيباً﴾	٢٨٠، ٢٧٩
٨	﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه...﴾	٢٨٢، ٢٨١
٩	﴿وليشخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً...﴾	٢٠٦
١١	﴿... ولأبويه لكل واحد منهما السدس﴾	٢٦٢
١٥	﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾	٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥
١٦	﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما...﴾	٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥
١٨	﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار...﴾	٤٧٦
٢٢	﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف...﴾	٦٣٣، ٦٣٢، ٦٣١، ٦٣٠
٢٣	﴿... وربائبكم اللاتي في حجوركم...﴾	١٨٥

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٢٤	﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم...﴾	٢٨٨
٢٥	﴿... والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض...﴾	٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤
٣٤	﴿... واهجروهن في المضاجع...﴾	٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢
٣٦	﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً...﴾	٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠
٣٧	﴿وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾	٣١٠
٣٨	﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس...﴾	٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١
٤١	﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد...﴾	٣١٤، ٣١٥
٤٤	﴿لم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة...﴾	٣١٠
٥٩	﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول...﴾	١٨٤
٨٥	﴿... وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾	٣١٦، ٣١٧
١٠٥	﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله...﴾	٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣
١٠٦	﴿واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً﴾	٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١
١١٣	﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾	٣٢١
١١٦	﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء...﴾	٢١٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٢٣	﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به...﴾	٣٢٤
١٢٧	﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن...﴾	٣٢٤
١٣٣	﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين...﴾	٣٢٣
١٣٦	﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله...﴾	٣٢٥، ٣٢٦
١٣٧	﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾	٣٢٥، ٣٢٧
١٤٠	﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم...﴾	٣٧٦
١٦٤	﴿... وكلم الله موسى تكليماً﴾	٣٩
سورة المائدة		
٢	﴿... ولا اهدي ولا القلانذ...﴾	٣٢٨، ٣٢٩
٦	﴿... فلم تجدوا ماء فتيمموا...﴾	١٩٧، ٢١٠
١١	﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم...﴾	٣٣١، ٣٣٢
٤٢	﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسحت...﴾	٣٣٤، ٣٣٥
٤٨	﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه...﴾	٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠
٥٢	﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...﴾	٥٥٨
٥٤	﴿... فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه...﴾	٥٥٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦٠	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنِهِ اللَّهُ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ...﴾	٣٤١، ٣٤٢
٦٤	﴿... بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾	٣٨
٦٨	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾	٣٠٩
٧٣	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ...﴾	٢٥٣
٧٧	﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا...﴾	٧٨
٨٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾	٣٤٣، ٣٤٤
٨٣	﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾	٣٤٣
٩٤	﴿... لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ...﴾	٣٤٧، ٥٤٦
٩٥	﴿... أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا...﴾	٣٧٧
١٠٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ...﴾	٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢
١٠٧	﴿فَبِإِنْ عَشَرَ عَلَىٰ أَنْهَمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأَنَّ يَاقُونَانَ مَقَامَهُمَا...﴾	٣٤٨، ٣٥٠
١٠٨	﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا...﴾	٣٥٠
١٠٩	﴿... قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾	٣٥٣

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الأنعام		
١	﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور...﴾	٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨
١٤	﴿قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾	٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١
١٥	﴿قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾	٣٦١
٢٥	﴿حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾	٣٦٢، ٣٦٣
٣٤	﴿...ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾	٣٦٤، ٣٦٥
٥١	﴿وأندر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع...﴾	٣٦٦
٥٢	﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه...﴾	٣٦٨، ٣٧٠
٥٨	﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم...﴾	٣٧٢
٦٣	﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر...﴾	٣٧٤
٦٨	﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم...﴾	٣٧٥
٧٠	﴿... وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾	٣٧٧

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧١	﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ...﴾	٣٧٩، ٣٨٠
٧٤	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً...﴾	٣٨١
٧٥	﴿وَكَذَلِكَ نَرِي إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾	٢٦٣
٧٦	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي...﴾	٣٨٣
٧٧	﴿... قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾	٣٨٤
٩٠	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهِمَ آتَاهُ﴾	٣٨٢
٩٤	﴿... لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرَعَمُونَ﴾	٤٢٨
٩٩	﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانُ...﴾	٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨
١٠٣	﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ...﴾	٣٨٩، ٣٩٠
١١٤	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا...﴾	٣٩٣
١١٥	﴿وَوَعَدْتُمْ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدَلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ...﴾	٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦
١٢١	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ...﴾	٣٦٣
١٢٢	﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾	١٠٥، ١٠٦

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٢٦	﴿... قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾	٢٤٩
١٤٢	﴿وعدنا أيضاً بمحمولة﴾	٦٤٢ - ب
١٤٣	﴿وعدنا أيضاً بمحمولة﴾	٦٤٢ - ب
١٤٦	﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر...﴾	٢٦٦
١٥١	﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً...﴾	٣٩٧
١٥٣	﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله...﴾	٣٩٧، ٣٩٨
١٦٠	﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾	٣٩٩
سورة الأعراف		
١٢	﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك...﴾	٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٤٠١، ٤٠٤
٢٨	﴿... قل إن الله لا يأمر بالفحشاء...﴾	٣٠٢
٤٠	﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء...﴾	٤٠٦
٤٣	﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا...﴾	٧٠
٥١	﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا...﴾	٢١٥
٥٥	﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾	٢١٩
٥٦	﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها...﴾	٢١٩، ٤٩٣، ٥٨٢
٦٩	﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة﴾	٤٠٩
١٠٤	﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾	٤٧٤

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٠٩	﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾	٤١١
١٣٧	﴿... ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾	٥٢٢
١٤٠	﴿قل أغير الله أبعيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾	٤١٤
١٤١	﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم...﴾	٤١٣
١٦٧	﴿وإذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾	٤١٦، ٤١٧، ٤١٨
١٦٩	﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق...﴾	٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٦
١٨٩	﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة...﴾	٤٢٣، ٤٢٤
١٩٠	﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾	٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥
١٩١	﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾	٤٢٢، ٤٢٥
١٩٢	﴿ولا يستطيعون هم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾	٤٢٥
١٩٣	﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتهم أم أنتم صامتون﴾	٤٢٥
سورة الأنفال		
١	﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله...﴾	٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧	﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم...﴾	٤٣٠
٩	﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم...﴾	٤٣٠
١٠	﴿... ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله...﴾	٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢
١١	﴿إذ يغشيكم النعاس أمانة منه...﴾	٤٣٠، ٤٣١
١٩	﴿ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت...﴾	٢٦٤
٣١	﴿وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا...﴾	٤٣٣
٤٨	﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه...﴾	٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧
٦٠	﴿... وأخريين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم...﴾	٤٣٨، ٤٣٩
سورة التوبة		
٦	﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله...﴾	٢٦، ٢٨
٢٩	﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾	٣٠٩
٣٨	﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله ^{انكأقلتم} انقلتكم إلى الأرض...﴾	٤٤١، ٤٤٢
٤٠	﴿وكلمة الله هي العليا﴾	٣٩٣، ٦٤٧
٤٢	﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك...﴾	٤٤١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٤٣	﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾	٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥
٦١	﴿... قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾	٥٦٩
٦٩	﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً...﴾	٤٤٨، ٤٤٩
٧٠	﴿ألم يأتيهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود...﴾	٤٥٠، ٤٥١
٨٠	﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم...﴾	٤٥٢، ٤٥٣
٨٣	﴿... إنكم رضيتم بالقيود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾	٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦
٨٤	﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره...﴾	٤٥٣
٩٠	﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله...﴾	٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩
١٠٤	﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده...﴾	٤٦٠
١٠٥	﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...﴾	٤٦٠
١١١	﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون...﴾	٤٦٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١١٤	﴿... فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه...﴾	٥٦٦
١١٦	﴿إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت...﴾	٤٦٢، ٤٦١
١٢٢	﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة...﴾	٤٦٤، ٤٦٣
سورة يونس		
١	﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾	٤٦٦
١٨	﴿... سبحانه وتعالى عما يشركون﴾	٥٠٥
٢٦	﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة...﴾	٦٥٣
٣٨	﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله...﴾	٤٦٧
٥١	﴿أنتم إذا ما وقع آمنتم به...﴾	٤٦٩، ٤٦٨
٥٤	﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾	٤٧٢، ٤٧١، ٤٧٠
٥٥	﴿ألا إن الله ما في السموات والأرض...﴾	٤٧١
٦٠	﴿... إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾	٧١
٨٧	﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً...﴾	٤٧٣
٩٠	﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل...﴾	٣٨٩
٩٦	﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون﴾	٤٧٧
٩٧	﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾	٤٧٧

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٩٨	﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس...﴾	٤٧٥، ٤٧٦
سورة هود		
١	﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾	٤٦٦
١٣	﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات...﴾	٤٨٠
٣٥	﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي...﴾	٤٧٨، ٤٧٩
٣٨	﴿... قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾	٤٨١، ٤٨٢
٣٩	﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾	٤٨٢
٤٥	﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق...﴾	٤٨٣
٤٦	﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم...﴾	٤٨٣، ٤٨٤
٨٢	﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود...﴾	٤٨٥
١٠٨	﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك...﴾	٦٣٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١١٤	﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات...﴾	٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٠
١١٦	﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض...﴾	٤٩٤
١١٧	﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾	٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٤
١٢٠	﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك...﴾	٥٦٠
سورة يوسف		
١٨	﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب...﴾	٤٩٥، ٤٩٦
٤٩	﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾	٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩
٧٠	﴿... ثم أذن مؤذناً أيتها العير إنكم لسارقون﴾	٥٠٠
٧٦	﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله...﴾	٥٠٠
٧٧	﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل...﴾	٥٠٠
١١١	﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب...﴾	٢٤٩
سورة الرعد		
٢	﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾	٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦	﴿... وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾	٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨
١١	﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله...﴾	٥٠٩، ٥١٠
٣٧	﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً...﴾	٦٠
سورة إبراهيم		
٤	﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه...﴾	٥٩
٦	﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون...﴾	٤١٥، ٥١١، ٥١٢
٧	﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾	٣، ٥١١، ٥١٢
١٦	﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد...﴾	٥١٣، ٥١٤، ٥١٥
١٧	﴿... ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت...﴾	١٠٣
٣٤	﴿... وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾	٩٠
٣٩	﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق...﴾	٧٠
سورة الحجر		
٢٩	﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾	٤٠٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٤٢	﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾	١٦٦
٧٢	﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾	٥١٦، ٥١٧
سورة النحل		
٥	﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾	٥١٨، ٦٣٣٦ - ب
٨	﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾	٥١٨، ٦٣٣٦ - ب
١٨	﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾	٥١٩
٤٤	﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم...﴾	٤٣، ٢١٢، ٤٥٣
٦١	﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة...﴾	٢٦٢
٦٨	﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾	٥٢١، ٥٢٣
٩٠	﴿... وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى...﴾	٣٠٢
١٠٣	﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر...﴾	٦٠
١١٢	﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله...﴾	٥٢٤

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الإسراء		
٤	﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾	٥٢٦
٥	﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار...﴾	٥٢٦
٦	﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾	٥٢٦
٧	﴿إن أحستهم أحستهم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم...﴾	٥٢٦
٢٣	﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً...﴾	٥٢٧، ٥٢٨
٣١	﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق...﴾	١٨٥، ٥٢٧
٣٦	﴿...إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾	٥٢٩
٤٥	﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾	٣١٨، ٥٤١
٥١	﴿... قل عسى أن يكون قريباً﴾	٥٣١
٥٢	﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبسماً إلا قليلاً﴾	٥٣٣، ٥٨٣
٧٠	﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر...﴾	٣٠٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧٩	﴿... عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾	٥٣٧، ٥٣٦، ٥٣٥
١٠١	﴿... فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾	٥٤٣، ٥٤٢، ٥٤١
١٠٤	﴿... فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقيفا﴾	٥٤٤
١١١	﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً...﴾	٧٠
سورة الكهف		
١٢	﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾	٥٤٥
١٨	﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال...﴾	٤٢٨
٢٤، ٢٣	﴿ولا تقولون لشيء إني فاعل ذلك غداً * إلا أن يشاء الله...﴾	٥٤٩
٢٩	﴿وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾	٥٥٣، ٥٥٢، ٥٥١
٣٦	﴿... ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾	٤٧٢
٥٠	﴿... بئس للظالمين بدلاً﴾	٣١٣، ٣١٢، ٣١١
٥٨	﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب...﴾	٥٥٩
٧٣	﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت...﴾	٥٥٥، ٥٥٤
٧٩	﴿... وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾	٥١٤، ٥١٣
٨٠	﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾	٥٦٥، ٥٥٨، ٥٥٧، ٥٥٦
١٠٠	﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾	٥٦٢، ٥٦١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نظيرها	الصفحة التي وردت فيها
سورة مريم		
٥	﴿... فهب لي من لدنك ولياً﴾	٢٣٠، ٢٣١
١٥	﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾	٥٦٣، ٥٦٤
٣٩	﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة...﴾	٣٧٢، ٣٧٣
٤٥	﴿يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾	٥٦٥
٥٨	﴿... إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾	٥٦٧، ٥٦٨
٥٩	﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات...﴾	٤٥٦
سورة طه		
٥	﴿الرحمن على العرش استوى﴾	٣٨
٤٤	﴿... لعله يتذكر أو يخشى﴾	٨٣
٥٠	﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾	٦١١، ٦١٢، ٦١٣
٦١	﴿... لا تفترؤا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب﴾	٣٣٤، ٣٣٥، ٥٧٠، ٥٧١
٧٠	﴿فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾	٥٧٠
٧١	﴿... ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى﴾	٥٦٩، ٥٧٠
٧٣	﴿... والله خير وأبقى﴾	٥٧٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧٧	﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي...﴾	٣٨٩، ٣٩٠
٨٠	﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن...﴾	٤١٤
٨٢	﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾	٥٠٦
١١٣	﴿... لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾	٥٧٢، ٨٣
١١٥	﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾	٥٧٢، ٢١٥
سورة الأنبياء		
٣٠	﴿... وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾	٣٥٨
٩٠	﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه﴾	٢٣١
١٠١	﴿إن الذين سبقتم هم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾	٦٥٦
١٠٣	﴿لا يخرنهم الفزع الأكبر...﴾	٦٥٦، ٣٥٤
١٠٤	﴿يوم تطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده﴾	٦٥٦
١٠٩	﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء...﴾	١٨٨
سورة الحج		
١٣	﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾	٥٧٤

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾	٥٧٥، ٥٧٦
٤٠	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَلَكْتُمْ سَوَاعِدَ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدَ...﴾	٥٧٧، ٥٧٨
٧٢	﴿وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾	٥٧٩
٧٨	﴿... وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	١٩٥، ٢٠٩، ٢١٢
سورة المؤمنون		
٣٣	﴿... وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾	٣٤٢
٧١	﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ...﴾	١٤٨
١١٢	﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾	٥٨١، ٥٨٢
١١٣	﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾	٥٨١
١١٥	﴿... وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾	٥٨١، ٥٨٣
١١٧	﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾	١٨٥
سورة النور		
٢	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ...﴾	٢٨٧، ٣٥٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٣	﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك...﴾	٥٨٥، ٥٨٤
٦	﴿...فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾	٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٩
٨	﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾	٣٥١
٢٧	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا...﴾	٥٨٨، ٥٨٦
٣١	﴿... ولا يدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن...﴾	٨٣
٦١	﴿... ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم...﴾	٨٣
٦٢	﴿... فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم...﴾	٤٤٦، ٤٤٥
سورة الفرقان		
٤١	﴿...أهذا الذي بعث الله رسولا﴾	٣٤٢
٥٧	﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾	٥٨٩
سورة الشعراء		
٦١	﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾	٣٩٠، ٣٨٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦٥	﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾	٤١٤
١٩٢	﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾	٥٩
١٩٣	﴿نزل به الروح الأمين﴾	٥٩
١٩٤	﴿على قلبك لتكون من المنذرين﴾	٦٠
١٩٥	﴿بلسان عربي مبين﴾	٦٠
سورة النمل		
٦٧	﴿...إذا كنا تراباً وآبائنا إنا لمخرجون﴾	٦٦١، ٦٥٨
٨٨	﴿...صنع الله الذي أتقن كل شيء...﴾	٦١٢
سورة القصص		
١٧	﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾	٥٩٣، ٥٩٢، ٥٩١
٤٨	﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى...﴾	٦٠١
٦٤	﴿وقيل ادعوا شركاءكم...﴾	٦٠١
٦٨	﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة...﴾	٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٢، ٦٠٠، ٥٩٨
٦٩	﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾	٥٩٦
٧٠	﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة...﴾	٧٠
٧٦	﴿...وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة...﴾	٦٢٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة العنكبوت		
٨	﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنتنكم بما كنتم تعملون﴾	٦٠٧
سورة الروم		
٢٠١	﴿الم * غلبت الروم﴾	٦٠٣
٤	﴿في بضع سنين...﴾	٦٠٣
٦	﴿وعد الله لا يخلف الله وعده...﴾	٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥
٤١	﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس...﴾	١١١
٥٤	﴿...ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة...﴾	٢٠٦
٥٥	﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾	٥٨٢، ٥٨٣
٥٦	﴿لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث...﴾	٥٨٢، ٥٨٣
سورة لقمان		
١٢	﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله...﴾	٧١
١٣	﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾	٦٠٦
١٤	﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين...﴾	٦٠٦، ٦٠٧

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٥	﴿...ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾	٦٠٦
١٨	﴿ولا تصعّر خدك للناس...﴾	٦٠٩
سورة السجدة		
٢، ١	﴿الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾	٩٦
٣	﴿أم يقولون افتراه﴾	٩٦
٧	﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾	٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤
١٠	﴿وقالوا إذا ضللنا في الأرض أننا لفي خلق جديد﴾	٢٥٤، ٢٥٥
١٧	﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين...﴾	٦٥١
سورة الأحزاب		
١	﴿يا أيها النبي اتق الله...﴾	١٥٩
٥	﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله...﴾	٥٧
٥٣	﴿...إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم...﴾	٨٧
سورة سبأ		
١	﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض...﴾	٧٠
٤	﴿ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات...﴾	٦١٥، ٦١٦
٦	﴿وويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾	٦١٥، ٦١٦
١٣	﴿...اعملوا آل داود شكراً...﴾	٦٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة فاطر		
٢	﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها...﴾	٥٤٧
١٨	﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب...﴾	٣٤٧
٢٨	﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء...﴾	٥٥٨
٣٤	﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن...﴾	٧٠
سورة يس		
٣٠	﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزفون﴾	٦١٧
سورة الصافات		
٢٤	﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾	٥٦١
١٤٧	﴿وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون﴾	٨٢
سورة ص		
٩	﴿أم عندهم خزائن ربك العزيز الوهاب﴾	٦٢٠، ٦١٩
٢٦	﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض...﴾	٣٢١
٣٤	﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾	١٤٢
٧٥	﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي...﴾	٤٠٢
٨٣	﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾	١٦٦

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الزمر		
٢٨	﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾	٦٠
٣٠	﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾	١٠٦، ١٠٥
٦٤	﴿قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾	٣٦٠
سورة غافر		
١٨	﴿... ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾	١٨٥، ٦٢١، ٦٢٢
٤٦	﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً...﴾	٦٢٢
٤٧	﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾	٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣
٤٨	﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾	٦٢٣
٦٠	﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم...﴾	٢١٨، ٢١٩
٧٨	﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾	٣٦٤
٧٩	﴿اللهم الذي جعل لكم البرصام لركبوا منرا ومنرا تأطون﴾	٦٦١- ب
٨٤	﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾	٤٧٧
٨٥	﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده...﴾	٤٧٦، ٤٧٧

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة فصلت		
١٤	﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله...﴾	٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦
١٥	﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾	٤١٠
١٦	﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات...﴾	٦٢٧، ٦٢٨
٤٤	﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته...﴾	٦٠
٥٠	﴿...ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى...﴾	٦٦٦
سورة الشورى		
٧	﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً...﴾	٦٠، ٦٢
١١	﴿...ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾	٥١، ٨٧
٤٣	﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾	٦٠٠
سورة الزخرف		
٢، ١	﴿حم * والكتاب المبين﴾	٦٠
٣	﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾	٦٠
٣١	﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾	٦٠١
٤٩	﴿وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك...﴾	٥٤١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الدخان		
٥٦	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾	٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦
سورة الجاثية		
٧	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	٦٣٨ ، ٦٣٩
سورة الأحقاف		
١٥	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾	٦٠٨
٢٤	﴿...قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَّطْرِنَا...﴾	٦٧٠
٢٩	﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَافِثًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ...﴾	٤٦٤
٣٠	﴿قَالُوا يَا قَوْمِ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ...﴾	٤٦٤
٣٥	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكَ الْعِزْمُ مِنَ الرَّسْلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ فِيهِمْ...﴾	٤٨٠
سورة محمد صلى الله عليه وسلم		
٣٨	﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾	٣٢٣
سورة الفتح		
١	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾	٦٤١
٢	﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾	٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣
٣	﴿وَيُنصِرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾	٦٤١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٨	﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾	٦٤٧، ٦٤٦
سورة الحجرات		
١٣	﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...﴾	٢٩٤
سورة ق		
١٩	﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾	٦٤٩
٣٣	﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾	٣٤٧
٣٥	﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾	٦٥٣، ٦٥١
سورة الذاريات		
١٠	﴿قتل الخراصون﴾	٦٥٦
١١	﴿الذين هم في غمرة ساهون﴾	٦٥٦
١٢	﴿يسألون أيان يوم الدين﴾	٦٥٦
١٣	﴿يومهم على النار يفتنون﴾	٦٥٦
١٤	﴿ذوقوا فنتنكم هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾	٦٥٧، ٦٥٦
٥٩	﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾	٦٥٧
٦٠	﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾	٦٥٧، ٦٥٦، ٦٥٥، ٦٥٤
سورة النجم		
٥	﴿علمه شديد القوى﴾	٦٥٩، ٦٥٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦	﴿ذو مرة فاستوى﴾	٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٦٤
٧	﴿وهو بالأفق الأعلى﴾	٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١ ٦٦٣، ٦٦٤
١٣	﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾	٦٦٤
٢٤	﴿أم للإنسان ما تمنى﴾	٦٦٥، ٦٦٦
٢٥	﴿فille الآخرة والأولى﴾	٦٦٥
٥٠	﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾	٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠
٥١	﴿وتمود فما أبقي﴾	٦٧١
سورة القمر		
١٩	﴿... يوم نحس مستمر﴾	٦٢٧
٤٧	﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾	٢٥٥
سورة الرحمن		
٢٦	﴿كل من عليها فان﴾	٢٦١، ٢٦٢
سورة الواقعة		
٩٥	﴿إن هذا هو حق اليقين﴾	١٦٩، ١٧٠، ١٧١
سورة الحديد		
٨	﴿... وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين﴾	٦٧٢
سورة المجادلة		
٣	﴿فتحري رقبه من قبل أن يتماسا﴾	١٩٧، ١٩٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٤	﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾	١٩٧، ٢١٠
سورة الحشر		
١٠	﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان...﴾	٥
سورة الممتحنة		
٤	﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه...﴾	٢٨٢
سورة الجمعة		
١٠	﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض...﴾	١٩٧، ١٩٦
سورة المنافقون		
٦	﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم...﴾	٤٥٣
سورة الطلاق		
٢	﴿...وأقيموا الشهادة لله...﴾	٣٥١، ٣٤٩
سورة التحريم		
٣	﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً...﴾	٦٦٣
سورة الحاقة		
١١	﴿إننا لما طغيا الماء حملناكم في الجارية﴾	٤١٤

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة المعارج		
٤٤	﴿... ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾	٦٥٦، ٦٥٥
سورة الجن		
١	﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن...﴾	٦٧٥، ٦٧٤
٣	﴿وأنه تعالى جد ربنا...﴾	٦٧٦، ٦٧٥، ٦٧٤
٤	﴿وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً﴾	٦٧٤
٦	﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾	٦٧٤
١٦	﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾	٦٧٥، ٦٧٤
١٨	﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾	٦٧٤
١٩	﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾	٦٧٤
٢٠	﴿قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾	٦٧٤
٢٨	﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم...﴾	٦٧٤
سورة المذثر		
١١	﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾	٣٤٢
سورة القيامة		
٢٣، ٢٢	﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾	٥٣٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الإنسان		
٢٤	﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾	٨٢، ٨٣
٢٨	﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم...﴾	٦٧٧
سورة المرسلات		
٦	﴿عذراً أو نذراً﴾	٨٣
٢٦، ٢٥	﴿الم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء وأمواتاً﴾	٥٨٣
سورة النازعات		
٤٥	﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾	٢٦١
سورة البروج		
٢٠١	﴿والسماوات البروج * واليوم الموعود﴾	٦٥٦
٢١	﴿بل هو قرآن مجيد﴾	٢٦
٢٢	﴿في لوح محفوظ﴾	٢٦
سورة الطارق		
٦	﴿خلق من ماء دافق﴾	٣١٧
سورة الفجر		
٦	﴿الم تر كيف فعل ربك بعاد﴾	٦٦٩، ٦٦٧، ٤١٠
٧	﴿إرم ذات العماد﴾	٦٦٩، ٦٦٧، ٤١٠
٨	﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾	٦٦٩، ٤١٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الشمس		
١٣	﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها﴾	٦٥٠
سورة الليل		
١٩	﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾	٦٧٩، ٦٨٠
سورة التكاثر		
٥	﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾	١٦٩، ١٧٠
٦	﴿لتزودن الجحيم﴾	١٦٩
٧	﴿ثم لتزودن منها عين اليقين﴾	١٦٩، ١٧٠
سورة النصر		
١	﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾	٦٤١، ٦٤٢
٢	﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾	٦٤١
٣	﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾	٦٤١، ٦٤٤

٢ - فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة التي ورد فيها	طرف الحديث أو بعض الحديث
١٤٥	○ أنت امرأة النبي ﷺ فقالت ادع الله ...
٦٥	○ إذا قلت : الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك.
٢١٤	○ اشترى النبي ﷺ طعاماً نساء...
٦٦٩	○ ... أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد...
٦٤٤ ، ٦٤٣ ، ٦٤١	○ أفلا أكون عبداً شكوراً .
٨٧	○ ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله ...
١٧٠	○ اللهم أعطني إيماناً و يقيناً ليس بعده كفر .
٣٠٠	○ أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد...
١٤٧	○ أنت الأول فليس قبلك شيء...
٢١٩ ، ٢١٦	○ إن الله تجاوز لأمتي عن نسيانها وخطأها.
٥٨٣	○ إن الله تعالى إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال يا أهل الجنة كم ليستم في الأرض عدد سنين...
٤٧٦	○ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ.
٥٣٩	○ إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً ، كل أمة تتبع نبيها...
٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢٠٨	○ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي ...
٦٤٤ ، ٦٤٢	○ إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مئة مرة.
٣١٥	○ أي رب شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أر.
٥٣١	○ بعثت أنا والساعة كهاتين.
١٩٥	○ بعثت بالحنيفية السمحة.
٢٩٨ ، ٢٩٦	○ حرثك فأت حرثك أنى شئت ، غير أن لا تضرب الوجه...

الصفحة التي ورد فيها	طرف الحديث أو بعض الحديث
٢٦٦	○ حرمت عليهم الشحوم.
٢٨٧	○ خذوا عني خذوا عني...
١٦٥، ١٦٢	○ ذلك محض الإيمان.
٣١٥	○ ذرفت عيناه عندما بلغ ابن مسعود تلاوة هذه الآية
١٩٤	○ ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه...
٤٣٩، ٤٣٨	○ روي أن الجن لا تقرب داراً فيها فرس.
٥٣٩، ٥٣٥	○ ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ نزل عنها قال: هي الشفاعة.
٣٢٠	○ عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة.
٣٤٧	○ فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
٤٩٣	○... فقال عليه الصلاة والسلام: وأهلها ينصف بعضهم بعضاً.
	○ فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا
٤٠٦	○ الروح الخبيث؟...
٢١٨، ٢١٧	○ قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا...
	○ كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس
٦٠٣	○ على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس...
٣١٦	○ كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقبت.
٥٥٥، ٥٥٤	○ ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسياناً.
٤٢٥	○ لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي...
٦٥٣	○ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.
٢٠٥	○ لو يعطى الناس بدعواهم؛ لادعى رجال أموال قوم ودماءهم.
١٧٠، ١٦٣، ١٦٢	○ ليس الخبز كالمعينة.
١٨٥	○ ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان...

الصفحة التي ورد فيها	طرف الحديث أو بعض الحديث
١٤٤	○ ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة...
١٨٢، ١٨٠	○ من استغف أعفه الله...
٧٨	○ من المغضوب عليهم؟ قال: اليهود.
٤٠٦	○ الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا:...
١٦٤، ١٦٢، ١٦١	○ نحن أحق بالشك من إبراهيم.
٣٩٨	○ هذا سبيل الله مستقيماً...
٤٤٩، ٤٤٨	○ والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شيراً بشير...
٦٤٥	○ والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم...
٦٥٤، ٦٣٩، ٦٣٨	○ ﴿وويل﴾ واد في جهنم...
٤٥٢	○ يا عمر إن الله قد خيرني فاخترت ، ولو علمت...
٢٩٩، ٢٩٥	○ يطعمها ويكسوها، ولا يضرب الوجه ، ولا يقبح.
٦٥١	○ يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت...
٤٠٠	○ يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد.

٣- فهرس الآثار

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
٤٤٣	٥ اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء... (الأودي)
١١١	٥ إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم... (مجاهد)
١٨٣	٥ إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء... (عطاء)
٢٦٥	٥ إسرائيل هو يعقوب أخذه عرق النساء... (الضحاك)
	٥ ... اقرأوا إن شئتم ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة﴾...
٤٤٩	(أبوهريرة)
١٧٠	٥ اللهم زدنا إيماناً و يقيناً و فقهاً (ابن مسعود)
٢٥١	٥ أما الذي لهم به علم فما حرم عليهم، وما أمروا به... (السدي)
٢٨٨	٥ أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية... (سعيد بن جبير)
٣٤٤ ، ٣٤٣	٥ ... أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق... (قتادة)
٣٦٨	٥ ... إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً... (خياب)
١١٣	٥ إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد (محمد بن كعب القرظي)
	٥ ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا...﴾ وهم اليهود والنصارى آمنت اليهود
٣٢٥	بالتوراة ثم كفرت... (قتادة)
١٩١	٥ إن تصدقوا بأصل المال خير لكم (قتادة)
١٩١	٥ إن تصدقوا برؤوس أموالكم (النخعي)
٦٦٨ ، ٦٦٧	٥ إنما قيل لعاد الأولى؛ لأنها أول الأمم هلاكاً (ابن زيد)
٢٠٣ ، ٢٠١	٥ إن كان عجز عن ذلك أملّ صاحب الدين بالعدل (ابن عباس)
٢٨٤ ، ٢٨٣	٥ إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت... (ابن عباس)
٣٣٣ ، ٣٣٢	٥ أن النبي ذهب إلى بني النضير في بعض أصحابه... (ابن عباس)

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
٣١٤	○ إن النبيين يأتون يوم القيامة... (السدي)
٣٠٨	○ إن هذا من صفة اليهود (مجاهد)
١٠٩	○ أهل الحرم كله حاضرو المسجد الحرام (ابن عباس ومجاهد)
٤٠٤ ، ٤٠١	○ أول من قاس إبليس (الحسن وابن سيرين)
٢٨٦	○ الآية الأولى في النساء المحصنات... (السدي وقتادة)
١٩١	○ أي برأس المال فهو خير لكم (قتادة)
٥٣٣	○ ﴿بِحَمْدِهِ﴾ جميع العالمين يقومون وهم يحمدون الله تعالى... (ابن جبير)
٣٤٣	○ بعث النجاشي وفداً إلى النبي ﷺ... (سعيد بن جبير)
٣٦٢	○ ... تأكلون ما قتلتم بذبحكم، ولا تأكلون ما قتل الله (ابن عباس)
	○ ﴿تدعونونه تضرعاً وخفية﴾ يقول : إذا أضل الرجل الطريق دعا الله
٣٧٤	(ابن عباس)
٢١٠	○ ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم... (أبو موسى الأشعري)
٦٢٥	○ ﴿جاءتهم الرسل من بين أيديهم﴾ أي قبلهم (ابن عباس)
٦٥	○ الحمد لله هو الشكر لله... (ابن عباس)
١٥٨	○ خرج عزيز نبي الله من مدينته وهو رجل شاب... (علي بن أبي طالب)
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢	○ دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس... (عطاء)
١٦٤	
	○ ﴿رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ قال ابن
٥٩٣	عباس : لم يستثن فابتلي (ابن عباس)
	○ ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ قالوا : هو الوطء (ابن جبير
٥٨٤	وعكرمة)

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
٥٨٤	﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ قال: لا يزني إلا بزانية أو مشركة (ابن عباس وابن جبير)
٥٥٢	﴿ساءت مرتفقاً﴾ ساءت منزلاً (ابن عباس)
٤٤٥	﴿عائته﴾ كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور، فرخص له في أن يأذن لهم... (قتادة)
٥٣٧، ٥٣٦، ٥٣٥	﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: يجلسه معه على عرشه (مجاهد)
٢٩٧	عقد شعر واحدة بالأخرى وضربهما ضرباً شديداً (الزبير بن العوام)
٤٢٤	عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده ، يعني ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ (الحسن)
٢٣٦	عيسى هو الكلمة من الله (ابن عباس)
١٣٠، ١٢٩	﴿فإذا أمنتهم﴾ خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة (مجاهد)
٢١٤	﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ إنما يعني بذلك في السفر... (الضحاك)
١٩٦	﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ قال: هذه نسخت ما قبلها (أبو سعيد الخدري)
٦٤٨	﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق والإخلاص في مبايعتهم (قتادة وابن جريج)
٢٠١	﴿فليملل وليه بالعدل﴾ ولي الحق (الربيع)
٦٢	في القرآن من كل لسان (أبو ميسرة)
٢٥١	﴿فيما لكم به علم﴾ فيما شهدتم ورايتم وعانيتم (أبو العالية)

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
٢٥١	○ ﴿فيما لكم به علم﴾ فيما شهدتم ورأيتم وعايتم... (قتادة)
١٣٦، ١٣٥	○ قال ابن زيد: ... فقال رجل فإن أحسنت فعلت... (ابن زيد)
	○ قال ابن زيد وقرأ قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا
١٧٦	○ صدقاتكم﴾ ثم ضرب ذلك مثلاً فقال... (ابن زيد)
١٥٣، ١٥٢	○ ... قال قرية كان نزل بها الطاعون. (ابن زيد)
٥٩٤	○ ... قال: كانوا يجعلون خير أموالهم لأهتهم في الجاهلية (ابن عباس)
٣٧٠	○ ... قالوا للنبي ﷺ اطرد هؤلاء (سعد بن أبي وقاص)
٦١٧	○ قرأ ابن عباس (يا حسرة العباد) (ابن عباس)
٣٢٩، ٣٢٨	○ ﴿القلائد﴾ مقلدات الهدى (ابن عباس)
١٧٨، ١٧٧	○ قولوا نعلم أو لا نعلم (عمر)
	○ قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذريته بالريح عاد الأولى؛ لأنها أهلكت
٦٦٧	○ قبل عاد الآخرة (ابن إسحاق)
	○ كان رجال من المؤمنين تنوبهم الحاجة التي لا بد منها، فيذكرون ذلك
٤٤٦	○ لرسول الله ﷺ... (محمد بن كعب القرظي وغيره)
	○ كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين، وقعوا في النبي ﷺ والقرآن...
٣٧٦	(السدي)
١٣٤، ١٣١	○ ... كانت هذه للمعتدة تعتد عند أهل زوجها... (مجاهد)
٦٤٩	○ كان يقرأ (وجاءت سكرة الحق بالموت) (أبو بكر وابن مسعود)
١٤٣	○ الكرسي موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره (ابن عباس)
١٤٤	○ كرسيه علمه (ابن جبير)
١٤٥، ١٤١	○ كرسيه : علمه (ابن عباس)
٣٩٢	○ ﴿كلمات ربك﴾ القرآن الكريم (قتادة)

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
١٧٢	كل سنبله أنبتت منه حبة... (الضحاك)
٢٧٦	كل من الهنيء المريء (علقمة)
٢٣٦	الكلمة في قوله: ﴿بكلمة منه﴾ هو قوله: كن (قتادة)
٢٣٧، ٢٣٦	الكلمة: هي عيسى (ابن عباس)
١٤٦	... لا أعلى منه ولا أعز ولا أجل ولا أكرم (ابن عباس)
	﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ قال: لم ينس ولكنها من معارض الكلام
٥٥٤	(أبي بن كعب)
٥١٢، ٥١١	﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ قال: من طاعني (سفيان الثوري والحسن)
٣٥٤	لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا (ابن عباس)
٣٥٤	لا علم لنا من هول ذلك اليوم (الحسن)
٥٨٤	... لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله... (ابن جبير)
٥٧٤	﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ الوثن (مجاهد)
١١٣	لبسوا للناس مسوك الضأن وقلوبهم أمر من الصبر (سعيد المقبري)
٤٥٨	لعن الله المعذرين (ابن عباس)
٣٧٢	﴿لقضي الأمر﴾ ذبح الموت (ابن جريج)
٣٤٤، ٣٤٣	لما أودى أصحاب النبي ﷺ بعثهم إلى النجاشي... (ابن عباس)
٢١٦	لما نزلت هذه الآية ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ ... فقالوها... (السدي)
٢٨٩، ٢٨٨	لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل... (مجاهد)
١٦٨	﴿ليطمئن قلبي﴾ لأزداد إيماناً (ابن جبير)
	﴿ليطمئن قلبي﴾ ليزداد يقيناً إلى يقينه (الحسن، قتادة، ابن جبير،
١٦٨	الربيع)
١٤١	ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة (عطاء)

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،	... ما في القرآن آية أرجى منها (ابن عباس)
١٦٤	
٢٢١	ما المال إلا ما حازته العياب (مروان بن الحكم)
٢٢٢	المقنطرة: هي المضروبة حتى صارت دنائير... (السدي)
١٠٩	مكة وضجنان وذو طوى وما أشبهها حاضرو المسجد الحرام (عطاء)
	﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أنذروهم وقانع الله فيمن قبلهم من
٦٢٥	الأمم وعذاب الآخرة (الحسن)
	من كان دون المواقيت من كل جهة حاضرو المسجد الحرام (مكحول
١٠٩	وعطاء)
١٠٩	من كان على يوم أو يومين فهو من حاضري المسجد الحرام (الزهري)
	ناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن
٤٤٣	لكم فاقعدوا (مجاهد)
٦٤٢	نزلت سورة النصر ناعية للنبي ﷺ نفسه (ابن عباس وعمر)
٣٥٤	نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول فقالوا... (السدي)
٥٦٧	هذا السجود فأين البكي (عمر بن الخطاب)
١٧٦	هذا مثل آخر لنفقة الرياء... (أسباط بن نصر)
١٧٧ ، ١٧٨	هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً... (عمر)
٣٠٦	﴿وابن السبيل﴾ هو الضيف (قتادة والضحاك)
٣٠٦	﴿وابن السبيل﴾ هو الذي يمر عليك وهو مسافر (مجاهد)
٢٠٧	﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ الإشهداء ندب (الحسن والشعبي)
١٩١	﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾ قال: من رؤوس أموالكم (إبراهيم النخعي)
٥٧٨	﴿وبيع﴾ بيع النصارى (قتادة)

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
٥٧٧	﴿وبيع﴾ قال: وكنائس (مجاهد)
٥٧٨	﴿وبيع﴾ كنائس اليهود (مجاهد)
٤٥٧	﴿وجاء المُعذِّرون﴾ مخففة، ويقول: هم أهل العذر (ابن عباس)
٣٣١	وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ طعاماً... (ابن عباس)
٥٥١	﴿وساءت مرتفقاً﴾ أي مجتمعاً (مجاهد)
	وقد ذكر أن ذلك في تحريف عبد الله ﷺ ﴿فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين﴾ (ابن
٥٩١	مسعود)
٣٢٩، ٣٢٨	﴿ولا اهدي﴾ اهدي ما لم يقلد... (ابن عباس)
٣٤٤، ٣٤٣	﴿ولتجدن أقربهم مودة﴾ هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر... (مجاهد)
٦٥٢، ٦٥١	﴿ولدينا مزيد﴾ المزيد النظر إلى وجه الله تعالى (جابر وأنس)
	... والذي نفسي بيده إنها القرية - تعني المدينة - التي قال الله تعالى
٥٢٤	﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة...﴾ (حفصة)
٦٢٥	﴿ومن خلفهم﴾ أي ومن خلف الرسل (الضحاك)
٣٣٧	﴿ومهيماً عليه﴾ محمد ﷺ مؤتمن على القرآن (مجاهد)
١٤٦	﴿وهو العلي﴾ لا شيء أعلى منه (الحسن)
	﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ قال: الحرث الحرث والنسل نسل كل
١١٣	شيء (قتادة)
	﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ كان ذلك منه إحراقاً لزرع قوم من
١١٣، ١١٢، ١١١	المسلمين وعقراً لحمهم (السدي)
٦١٧	﴿يا حسرة على العباد﴾ يا ويلاً للعباد (ابن عباس)
٣٧٣	يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون... (ابن جريج)

الصفحة التي ورد فيها	طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه
١١٨	﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ قال: القمار (مجاهد)
٢٥١	يعذر من حاج يعلم، ولا يعذر من حاج يجهل (الحسن)
٥٢١	﴿يعرشون﴾ قال: الكروم (ابن زيد)
٤٩٨	﴿يعصرون﴾ يعصرون العنب والزيت (ابن عباس)
٣٥٤	يفزعون فيقولون : لا علم لنا (مجاهد)
٢٩٩	يفعل بها ذاك ويضربها حتى تطيعه في المضاجع... (ابن عباس)
	يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم أنتم فكلوا ، فأنزل الله عز
٣٦٣	وجل: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ (ابن عباس)
٥٦١	يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور قيام رجل واحد... (ابن مسعود)
٤٢٤	اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا (الحسن)

٤ - فهرس الأشعار

البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
ليس من مات فاستراح يميت	عدي بن الرعلاء	١٠٢، ١٠٣، ١٠٦
ليت كانت كتيبة الروم إذا	الأخطل	٥٧٧
قالت له وارثفت ألا فتى	٥٥١
يحف بهم ييض الوجوه وعصبة	١٤١
هم شيمة لم يعطها الله غيرهم	النابعة الذبياني	١٢٧
أفادتكم النعماء مني ثلاثة	٦٩
حلفت فلم أترك لنفسك ربية	النابعة الذبياني	٥١٤
متبدلاً تبدو محاسنه	دريد بن الصمة	٢٧٦
ليت شعري وأشعرن إذا ما	السموأل	٣١٧، ٣١٦
ألا يا ليتني والمرء ميت	ابن قعاس الأسدي	١٠٦
ألي الفضل أم علي إذا حو	السموأل	٣١٧، ٣١٦
وذي ضغن كفتت النفس عنه	الزبير بن عبد المطلب	٣١٦
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى	جرير	٨٢
ألستم خير من ركب المطايا	جرير	١٦٦
ورأيت زوجك في الوغى	عبد الله بن الزبير	٣٨٦
فبت كأنني يسر غين	١١٨
أو فاصلاً ما وبلا فصل يرد	ابن مالك	٦٦٢
إذا ما مات ميت من تميم	أبو المهوش	١٠٣، ١٠٧
وخيس الجن إني قد أذنت لهم	النابعة الذبياني	٥٠٢
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا	النابعة الذبياني	٨٤
الناس يلحون الأمير إذا هم	عبيد بن الأبرص	٢١٦
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج	دريد بن الصمة	٦٣١
إنما الميت ميت الأحياء		
ك علينا قטיפه وخباء		
يسوق بالقوم غزالات الضحى		
كراسي بالأحداث حين تنوب		
من الناس فالأحلام غير عواذب		
يدي ولساني والضمير الخجبا		
وليس وراء الله للمرء مذهب		
يضع انهاء مواضع النقب		
قربوها منشورة ودعيت		
وما يغني عن الحداثان ليت		
سب إني على الحساب مقيت		
وكنت على مساءته مقيتا		
وصورتها أو أنت في العين أملح		
وأندى العالمين بطون راح		
متقلداً سيفاً ورمحاً		
يقلب بعد ما اختلع القداحا		
في النظم فاشياً وضعفه اعتقد		
فسرك أن يعيش فجيء بزاد		
ينون تدمر بالصفاح والعمد		
إلى حمامتا أو نصفه فقد		
خطنوا الصواب ولا يلام المرشد		
سراتهم في الفارسي المسرد		

البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
صادياً يستغيث غير مغايب وربما عاقبت الواو إذا	المنذر بن حرملة	٤٩٧، ٤٩٨
لم يلف ذو النطق للبس متفذا في بئر لا حور سرى وما شعر	ابن مالك	٨٥
لا يغمز الساق من أين ولا وصب نال الخلافة أو كانت له قدراً	العجاج	٧٥
فاجعل تحلل من يمينك إنما وزعمت أنك سوف تسلك فardاً	أعشى باهلة	١٨٣
فما ألوم البيض ألا تسخرا فبات وأسرى القوم آخر ليلهم	جرير	٨٠، ٨٢
لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً تعلم أن شر الناس حي	٣٥٦
فلم يزل بك واشيهم ومكرهم لا يفزع الأرنب أهوالها	٣٥٦
يومين غيمين ويوماً شمساً أبلغ جذاماً ولحماً أن إخوتهم	أبو النجم	٧٢، ٧٣، ٧٥
فإني بحمد الله لا ثوب فاجر أو ياسر ذهب القداح يوفره	ليبد بن ربيعة	٣٩٧، ٤٩٨
أمن ريحانة الداعي السميع أذن اليوم جيتي بخفوف	أوس بن حجر	٣٨٣
ألم تر أن النبع يصلب عوده وعض زمان يا ابن مروان لم يدع	زهير بن أبي سلمى	٤١٦
فيها ثلاث كالدُّمى أمن سمية دمع العين تدرير	الأخطل	١١٨
قلت أجيبي عاشقاً بجيكم مكلف	عمرو بن أحر	١٨٣
	٦٢٧
	٦٢٧
	٥٣٣
	النابعة	١١٨
	عمرو بن معدي	
	كرب	٤٦٦
	ميمون بن قيس	٤١٦
	جرير	٦٥٨، ٦٥٩
	الفرزدق	٣٣٤، ٣٣٥
	عمر بن أبي ربيعة	٥٩٥
	عترة	٥٩٥، ٥٩٧
	عمر بن أبي ربيعة	٥٩٥

الصفحة التي ورد فيها	القائل	البيت
٨١	متمم بن نويرة	على المرأين إذ مضيا جميعاً لشأنهما مجزن واشتياق
٨١	متمم بن نويرة	فلو كان البكاء يرد شيئاً بكيت على مجير أو عفاق
٦٨١ ، ٦٧٩	النابعة الذبياني	وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل
٤٣٧ ، ٤٣٥	تأبط شراً	ليس النكوص على الأدبار مكرمة إن المكارم إقدام على الأسل
١٠٥	أيا سائلي تفسر ميت وميت فدونك قد فسرت إن كنت تعقل
٦٦٣ ، ٦٦٠	عمر بن أبي ربيعة	قلت إذ أقبلت وزهر تهادي كتعاج الملا تعسفن رملا
٤٨٥	تميم بن أبي	ورجلة يضربون البيض ضاحية ضرباً توأسى به الأبطال سجيلا
٢٥٤	الأخطل	كنت القذى في موج أكلر مزيد قذف الأتي به فضل ضلالا
٦٣٠	أبو ذؤيب	إذا لسعته الدبر لم يرح لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل
٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢	الأحوص	ويلحنني في اللهو ألا أحبه وللهو داع دائب غير غافل
٤٩٥	الراعي النميري	حتى إذا لم يتركوا لعظامه حماً ولا لفؤاده معقولا
٥٤٦	ابن مالك	والفاعل المعنى انصب بأفعلا مفضلاً كانت أعلى منزلا
٦٦٢	ابن مالك	وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل
٢٥٤	النابعة الذبياني	فآب مضلوه بعين جليلة وغودر بالجولان حزم ونائل
١٧٥ ، ١٧٤	ميمون بن قيس	ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسيل هطل
١٠٥	فمن كان ذا روح فذلك ميت وما الميت إلا من إلى القبر يحمل
٦٦٢	جرير	ورجاء الأخيطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له لينا
٥٢٩	جرير	ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام
٦١٠	التملمس	وكنا إذا الجبار صغر خده أقمنا له من ميله فتقوما
٤٣٧ ، ٤٣٥	زهير بن أبي سلمى	هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما ستلحموا وحموا
٥٧٥	جرير	إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
١١٥	النابعة الجعدي	كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم
١١٩ ، ١١٨	سحيم بن وثيل	أقول لهم بالشعب إذ يسروني ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم
٣٤	بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابهه أبه فما ظلم
٦٦٧	زهير بن أبي سلمى	فتسج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتظم

البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
وكنا إذا الجبار صغر خده	عمرو بن حني	٦١٠
رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع	أبو خراش	٣٨٥، ٣٨٣
تدر على أسوق الممزب	الأعشى ميمون بن قيس	٩٩، ٩٨
تباري الزجاج مغاويرها	الأعشى ميمون بن قيس	٩٩
أتوعدني وراء بني رياح	جرير	٥١٣
وكذلك قد سعد الزبي هو رابع	ابن القيم	٥٠٤
فلهم عبارات عليها أربع	ابن القيم	٥٠٤
تعلم أبيت اللعن	٤١٦
وهي استقر وقد علا وكذلك ار	ابن القيم	٥٠٤
إن سراجاً لكريم مفخره	١١٥
وقد زعمت ليلي بأنني فاجر	توبة بن الحمير	٨٠

٥ - فهرس الأعلام

العلم	الصفحة التي ورد فيها
آدم (عليه السلام)	٥٧، ١٤٠، ٢١٥، ٢٣٤، ٣٢٣، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٢١
	٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٨، ٤٤٠، ٥٢١، ٥٦٣
	٥٧٢، ٥٧٣
آزر	٣٨١
إبراهيم (عليه السلام)	١١، ٦١، ١٠٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤
	١٦٥، ١٦٦، ٢٥٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٥١١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٦٧٠
إبراهيم النخعي	١٦٨، ١٩١، ١٩٢، ٢١١، ٣٠١، ٣٠٢
أبي بن كعب	٥٥٤، ٥٥٥
ابن الأثير (علي بن محمد بن عبد الكريم)	٦٧١
الإمام أحمد بن حنبل	٢١، ٢٨، ٤٨، ٣٩٨، ٦٦٩
أحمد شاکر	٦٣، ٢٨٩
أحمد بن عبد الرحمن اللخمي	
(تلميذ ابن عطية)	٣٦
أحمد بن كامل (تلميذ الطبري)	٢٣
أحمد بن منيع (شيخ الطبري)	٢٢
أحمد بن يحيى ثعلب (شيخ الطبري)	٢٢، ٦٧، ١٨٩، ٤٢٦
الأحمر	٣٣٥
الأحوص	٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦

الصفحة التي ورد فيها	العلم
٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٥ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦ ، ٦٤٠ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٧١ ، ٦٧٣ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٨٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٣٠٣ ، ٣١٨ ، ٣٥٨ ، ٣٨٨ ، ٤١٩ ، ٥٠٣ ، ٥١٤ ، ٥٥٢ ، ٦١٥ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٥٩	ابن الأنباري (أبو البركات)
	ابن الأنباري (محمد بن القاسم)
٥١٤	ابن بشار
٦٥١	أنس بن مالك
٤٤٣	الأودي (عمرو بن ميمون)
٣٨٣ ، ٣٨٤	أوس بن حجر
١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٨٣ ، ٤٨٦ ، ٥٠٤ ، ٥٣٩ ، ٦٧٠	البخاري (محمد بن إسماعيل)
٤٠٦	البراء بن عازب
٣١٨	ابن بري
١٠٣	البيزي (المقريئ)
٢٩	ابن بشار الأحول
٥٠٥	ابن بطل (علي بن خلف)
	البغداددي (عبد القادر بن
٣٨٤ ، ٥٣٠ ^(١) ، ٥٧٦ ، ٥٧٧	عمر)
٦٧ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٠٦ ، ٣٦٠ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٥٠٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٤ ، ٥٧٩ ، ٦١٩ ، ٦٢٦ ، ٦٣٣ ، ٦٧١ ، ٦٧٢	البغوي

العلم	الصفحة التي ورد فيها
البقاعي (إبراهيم بن عمر)	٢٧٢ ، ٢٧١
أبو بكر الجزائري	٦٠٧
أبو بكر شعبة (المقري)	١٢٣ ، ١٢٢
أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)	٢٧ ، ٣١ ، ٥١٨ ، ٦٠٣ ، ٦٤٩ ، ٦٦٣ ، ٦٧٩
أبو بكر غالب بن عبد الرحمن	
(والد ابن عطية)	٣٣ ، ٣٥ ^(٢) ، ٤٠
أبو بكر بن مجاهد	٣٠
بلال بن رباح	٣٦٨ ، ٣٧٠
البيضاوي	٨٥ ، ٩٢ ، ٢٥٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٥٦٩ ، ٥٩٢ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠
تأبط شراً	٤٣٥
تميم الداري	٣٥٢
توبة بن الحمير	٨٠
ابن تيمية (شيخ الإسلام)	٣٩ ، ٧٩ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٧٠ ، ٢٢٠ ، ٤٠٣
	٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٦٣٦ ، ٦٦٤
الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد)	٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٣٠٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨١
	٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٧٦ ، ٥٠٣ ، ٥١٢ ، ٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٣١
	٥٧٠ ، ٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٦٤٨ ، ٦٦٨ ، ٦٧٣
الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري)	٦٥٤ ، ٦٤٩ ، ٦١٥
جابر بن عبد الله	٦٥١
جبريل (عليه السلام)	٣٩ ، ٣٣٣ ، ٣٦٨ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٦٦٤
ابن جحش (عبد الله بن جحش الصحابي)	٢٧١
الجرادتان	٦٧٠
ابن جريج	١٦٠، ١٦٤، ٣٧٢، ٣٧٣، ٦٤٨، ٦٦٨
جرير (الشاعر)	١٦٥، ٢٥٤، ٦٦٢
ابن جزري	١١٤، ١٣٦، ١٣٩، ٢٤٨، ٢٨٣، ٣٢١، ٤٠٠، ٤٢٧، ٤٥٣، ٤٧٩، ٥٠٨، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٤٩، ٥٩٠، ٦٩٥
	٥٩٨، ٦١٦، ٦٣٦، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦٦، ٦٦٨، ٦٦٩
الخصاص	٢١١، ٣٤٩
جعفر بن أبي طالب	٣٤٣
جعفر الصادق	٦٨
أبو جعفر (القارئ)	٣٤١، ٦٧٤
أبو جعفر النحاس	١٢٣، ١٨٩ ^(٣) ، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٩٢، ٣٠٧، ٣١٨، ٣٥٨، ٣٧٩، ٣٨٧، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٨٥، ٤٩٠، ٤٩٨، ٥١٤، ٥٨٨
	٦١٥، ٦٣٦، ٦٤٩، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٧٧، ٦٨١
جلال الدين المحلي (محمد بن أحمد)	٦٣٤
ابن جني (أبو الفتح)	٣٨٤، ٣٤٢
ابن الجوزي	١٦٨، ٢٥٥، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٦٠، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٨٥، ٥٢٤

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٥٥٢ ، ٥٧٢ ، ٥٧٩ ، ٦١٩ ، ٦٣٣ ، ٦٤٩ ، ٦٦٨
أبو حاتم السجستاني	١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٨٨ ، ٢٤٤ ، ٣٨٧
الحارث بن حسان البكري	٦٦٩
الحاكم (أبو عبد الله)	١٤٣ ، ١٥٨
أبو حامد الإسفرايني	٢٥
ابن حجر العسقلاني	١١٤ ، ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢١٣ ، ٤٠٨ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧
	٥٠٥ ، ٦٤٤ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠
ابن حجر الهيتمي	٣٩
ابن حزم	١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٤٠٥
الحسن البصري	٨٢ ، ١٤٦ ، ١٦٨ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥٣
	٣٦٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٢٤ ، ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، ٥١١
	٥١٢ ، ٦٢٥
الحسين بن محمد (شيخ ابن عطية)	٣٥
حسين بن محمد بن فيرة (شيخ ابن عطية)	٣٥
حفص بن سليمان (المقرئ)	١٠٥
حفصة بنت عمر (أم المؤمنين)	٥٢٤ ، ٥٢٥
همزة بن حبيب الزيات (المقرئ)	١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ٢٥٧
الإمام أبو حنيفة	١٢٥ ، ١٢٦
حواء	٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤
الحوفي (علي بن إبراهيم)	٤٣٢

العلم	الصفحة التي ورد فيها	١	
أبو حيان	٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٤، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٩، ٤٨٤، ٤٨٨، ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٧، ٥٩٠، ٥٩٢، ٦١٠، ٦١٦، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٨، ٦٦٢، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٧	١٢٣، ١٢٠، ١١٧، ١١٦، ١٠٤، ١٠١، ٩٥، ٩٤، ٩٢، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٩، ٤٨٤، ٤٨٨، ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٧، ٥٩٠، ٥٩٢، ٦١٠، ٦١٦، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٨، ٦٦٢، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٧	
الخازن (المفسر)	١٣٩، ٣٠٧، ٣٢١، ٣٦٠، ٣٦٩، ٥٦٥، ٦٢٦، ٦٧٢		
خياب بن الأرت	٣٦٩، ٣٦٨		
خزيمة بن ثابت	٢٠٩، ٢٠٨		
الخضر	٥٥٧، ٥٥٦، ٥٥٤		
الخطابي (محمد بن محمد)	١٦٤		
الخطيب البغدادي	٢٤		
الخلال (أحمد بن محمد بن			

العلم	الصفحة التي ورد فيها
هارون	٥٣٨
خلف بن هشام الزار (المقرئ)	٢٥٧، ١٢٢
ابن خلكان	٢٩
الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٠٥
خويلد بن مرة أبو خراش	٣٨٥، ٣٨٣
داود (عليه السلام)	٦٩، ٤٩
أبو داود (سليمان بن الأشعث)	٥٣٨، ٣٦٣، ٢٠٨
الدمشقي	٢٥٥
الدمياطي (أحمد بن محمد المقرئ)	١٢٣
أبو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد)	٦٣٠
أبو ذر	٤٠٠، ١٤٤
الإمام الذهبي	٥٣٨، ٢٨، ٢٣، ٢٢
الراعي النميري	٤٩٥
الراغب الأصبهاني	٤٢٧، ٣٠٠، ٢٧٧، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٠٤، ١٤٢، ١٢٢، ٦٦
	٦٤٠، ٦٣٩، ٥٢٢، ٥٠٢، ٤٥٥، ٤٣٦، ٤٣٤
الربيع بن أنس البكري	٦٥٩، ٢٧٥، ٢٠١، ١٧٨، ١٦٨
الربيع بن سليمان (شيخ الطبري)	٢٢
رفاعة بن زيد	٣٢٠
رفيع بن مهران (أبو العالية)	٣٢٦، ٢٥١

العلم	الصفحة التي ورد فيها
زهير بن أبي سلمى	٤١٦، ٤٣٥، ٦٦٧
ابن زيد (عبد الرحمن بن زيد)	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٧٦، ١٧٧
سحيم بن وثيل اليربوعي	٥٢١، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨
السدي	١١١، ١١٢، ١١٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ٢١٦، ٢٢٢
	٢٢٤، ٢٥١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣١٤، ٣٥٤، ٣٦٩، ٣٧٦
	٤٢١، ٦١٩
سعد بن أبي وقاص	٣٧٠، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨
أبو السعود	٨٥، ٢١٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٧٢، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٧٠، ٤٨٤
	٤٩٢، ٤٩٣، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٩٢، ٦١٩، ٦٤٩، ٦٥٥، ٦٥٧
سعيد بن جبير	١٤٣، ١٤٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٨
	٢٨٩، ٢٩١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٣٣، ٥٧٨، ٥٨٤، ٥٨٥
أبو سعيد الخدري	١٨٠، ١٨٢، ١٩٦، ١٩٧، ٦٣٩، ٦٤٠
أبو سعيد السيرافي	٣١٨
سفيان بن سعيد الثوري	٥١١، ٥١٢
سليمان بن أحمد الطبراني	
(تلميذ الطبري)	٢٣، ٣١٥
سليمان بن عبد الرحمن (شيخ الطبري)	٢٢
سليمان بن عمر (المعروف بالجمل)	٣٩٥، ٣٩٦، ٤٨٤
السمين الحلبي	٦٩، ٨٢، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	١٢٠، ١٢٣، ١٨٨، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٩٣، ٣١٢، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٨٨، ٣٩٦، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٣٧، ٤٦٨، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٢٧، ٥٣٠، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٧، ٥٩١، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦١٣، ٦١٥، ٦٢٦، ٦٣٢، ٦٣٤
سيبويه	٤٧، ٩٤، ٢٥٨، ٣١٧، ٣٨٧، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٤٦، ٦١٣
	٦٦٣
ابن سيرين	٨٢، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥
السيوطي	٦٢، ١٤٦، ٦٠٥
الإمام الشافعي	٢١، ٢٩، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٢١٢
ابن الشجري (هبة الله بن علي)	١٠٤
الشعبي (عامر بن شراحيل)	٢٠٧، ٣٠١، ٣٠٢
الشوكاني	١٢٤، ١٣٠، ١٤٨ ^(٥) ، ١٧٤، ١٧٥، ١٩١، ٢٠٥، ٢٤٠، ٢٥٣، ٢٩٠، ٣١٩، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٧٠، ٤٣٢، ٤٧٦
	٤٨٠، ٤٨١، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٧٣، ٥٨٧، ٥٩٩، ٦٣٤، ٦٣٥
صالح (عليه السلام)	٦٢٥
الصفاقسي (صاحب المجيد في إعراب القرآن المجيد)	٨١
صهيب بن سنان الرومي	٣٦٨

العلم	الصفحة التي ورد فيها
الضحاك بن مزاحم	١٧٢، ١٧٣، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨
	٣٠٦، ٦٢٥، ٦٢٦
الإمام الطبري (أبو جعفر)	٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
	٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
	٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
	٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
	٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧
	٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥
	٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣
	٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣
	٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
	٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤
	٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣
	٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١
	٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩
	٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧
	٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧
	٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
	٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥
	٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥
	٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤
	٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤
	٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥
	٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣
	٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١
	٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١
	٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١
	٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١
	٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١
	٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١
	٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠
	٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩
	٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩
	٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩
	٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩
	٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩
	٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩
	٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩
	٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩
	٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩
	٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩
	٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩
	٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩
	٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩
	٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩
	٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٨٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥
طعمة	٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤
الطبيي (الحسين بن محمد)	٥٠٧
عائشة (أم المؤمنين)	٦٧٠
عاد بن إرم	٦٦٧
ابن عاشور	٩٣، ١٢٤، ١٣٩، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٨٩، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤١٧، ٤٢٨، ٤٧٩، ٤٨٣، ٥٣١، ٥٤٢، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٥، ٦٠٧، ٦٢٠
	٦٥٥، ٦٦٦، ٦٦٨، ٦٦٩
عاصم بن أبي النجود (المقرئ)	١٥٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٥٧، ٢٧٤
ابن عامر (المقرئ)	١٠١، ٢٥٧، ٤١٣، ٦١١
أبو العباس بن سريج	٢٦، ٢٩
العباس بن عبد المطلب	٣١
أبو العباس الميرد	٢٥، ٤٧، ٦٨ ^(٦) ، ١٢٣، ١٢٤، ٢٣٤، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٣٤
	٦٦٢، ٦٦٧
عباس بن الوليد (شيخ الطبري)	٢٢
ابن عبد البر	١٣٣، ٥٣٨
عبد الحارث	٤٢٢، ٤٢٥
ابن عبد الحكم	٣١
عبد الرحمن بن أبي حاتم	

العلم	الصفحة التي ورد فيها
(المفسر)	٦٠٠، ٢٥١
عبد الرحمن السعدي	٦٥٣، ٥٧٤، ٤٨٠، ٢٥٢، (٧) ١٤٧، ٧٩
أبو عبد الرحمن السلمي	
(الصوفي)	٦٨
عبد الرحمن بن محمد أبو	
القاسم (تلميذ ابن عطية)	٣٦
عبد الرحمن بن محمد بن عتاب	
(شيخ ابن عطية)	٣٥
عبد الرزاق الصنعاني	١١٣
عبد العزيز بن محمد الطبري	
(تلميذ الطبري)	٢٥
عبد الله بن أبي بن سلول	٤٥٢
عبد الله بن الحسن الجرائسي	
(تلميذ الطبري)	٢٤
عبد الله بن عباس	٣١، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٧٩، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٥، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٨، ٤٥٨، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٨، ٥١٦، ٥٥٢، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٩٤، ٦٠٠، ٦١٧، ٦٢٥، ٦٤٢

العلم	الصفحة التي ورد فيها
عبد الله بن عدي (تلميذ الطبري)	٢٤
عبد الله بن عمر	٥٣٩، ٢١١، ٢٠٨
عبد الله بن مسعود	١٢٣، ١٥٥ ^(٨) ، ١٧٠، ٣١٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٩٨، ٥٦١، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٦٠٣، ٦٤٩
عبد النعم بن محمد (ابن الفرس - تلميذ ابن عطية)	٣٦
أبو عبيد (القاسم بن سلام)	٦٢، ٦٣، ٦٤، ١١٩، ٢٧٥، ٣٣٥، ٤٤٦، ٥٣١
أبو عبيدة (معمربن المثنى)	٥٨، ٦٠، ٦٤، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٤، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٤، ٣١٧، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥١٤، ٥٢٢، ٥٥٢، ٦١٠
عثمان رضي الله عنه	٢٧، ٤٩٨
العجاج (عبد الله بن ربيعة)	٧٤
عدي بن بلاء	٣٥٢
ابن العربي (القاضي)	٢٠٤، ٢٠٥، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٢، ٤٢٣، ٤٤٦، ٤٨٩، ٥١٧، ٥٧٣
عزيز	١٥٨، ٢٥٨، ٥٦١
عطاء بن أبي رباح	١٠٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ٢١١، ٥١٦
ابن عطاء (أحمد بن محمد الصوفي)	٦٨
ابن عطية (أبو محمد)	٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤
	٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥
	٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١
	٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠
	٨١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧
	٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧
	١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦
	١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥
	١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤
	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤
	١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣
	١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢
	١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠
	١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨
	١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧
	١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦
	١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤
	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣
	٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١
	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩
	٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧
	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥
	٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣
	٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١
	٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩
	٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧
	٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥
	٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣
	٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩
	٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧
	٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦
	٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤
	٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥
	٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧
	٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥
	٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦
	٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥
	٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤
	٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣
	٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤
	٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣
	٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١
	٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠
	٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩
	٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨
	٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧
	٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩
	٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨
	٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧
	٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧
	٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥

العلم	الصفحة التي ورد فيها
عكرمة	٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٤٤٦ ، ٣٦٣ ، ٢٣٦
العلاء بن الحضرمي	٦٦٩
علقمة بن قيس	٢٧٦
علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٦٦٣ ، ٣٦٨ ، ١٥٨ ، ٣١ ، ٢٧
علي بن أبي طلحة	٤٨٩ ، ٣٥٤
علي بن أحمد بن خلف بن الباذش (شيخ ابن عطية)	٤٧ ، ٣٥
علي بن سراج (شيخ الطبري)	٢٢
أبو علي الفارسي	١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤١
	٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٣٦٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤١٦ ، ٥٠٣
	٦٧٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٥
علي بن محمد الهروي	٨٣
عمارة بن خزيمه	٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٠٨
عمار بن ياسر	٣٦٨
عمران (من بني إسرائيل)	٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠
عمران بن موسى (شيخ الطبري)	٢٢
عمر بن أبي ربيعة	٥٩٥
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٦٦٣ ، ٣١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٤٥٢ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٦٤٢ ، ٦٤٦
عمر بن حني التغلبي	٦١٠ ، ٦٠٩
أبو عمرو بن العلاء	٦١ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٥٥ ، ١١١ ، ٦٢٧ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦

العلم	الصفحة التي ورد فيها
عمرو بن مرة	٢٨٨
عمليق بن لاوذ	٦٦٧
عنزة بن شداد العبسي	٥٩٧، ٥٩٤
عيسى (عليه السلام)	٧٩، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٢
	٢٥٨، ٣٢٥، ٣٤٣، ٣٤٤، ٥٦١
عينة بن حصن الفزاري	٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠
ابن فارس	٦٠، ٦٣، ١١٧، ١٤٢، ٢٥٥، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٨٥، ٣٩٠
	٤٥٤، ٥٠٢، ٥٢٢، ٥٥٣، ٥٨٨
الفخر الرازي	٨٥، ٩٣، ٩٧، ١٠٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٧
	١٦٥، ١٦٩، ٢٠٥، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٥٦
	٢٧١، ٢٨٠، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٤٤، ٣٩٨
	٤٢٢، ٤٤٠، ٤٥٥، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٩، ٥٠٧، ٥٣٢
	٥٣٨، ٥٦٥، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٨٢، ٦٤٠
أبو فديك الخارجي	٤٥٠
الفراء (يحيى بن زياد)	٧٥، ٩٤، ١١٥، ١٢٢، ١٨٢، ٢٠٤، ٢٢٢، ٢٢٢، ٢٢٢، ٢٢٢
	٢٥٨، ٢٦٣، ٢٧٤، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣١٨، ٣٣٥، ٣٣٦
	٣٦٦، ٣٨٧، ٤٥٩، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٥
	٥٢١، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٧، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٧٥، ٥٨٨
	٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦١٣، ٦١٥، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧
	٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٤٨، ٦٤٩
	٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٨٠، ٦٨١
الفرزدق بن غالب	٣٣٥، ٣٣٤
الفيروزآبادي (صاحب)	

العلم	الصفحة التي ورد فيها
القاموس	٦٨، ١٢٣، ١٤٢، ٤١١، ٤٣٤
ابن القاسم (عبد الرحمن بن القاسم)	٣٠٢
القاسم بن معن	٥٩٧، ٥٩٤
القاضي الباقلاني	٦٤٠
قتادة بن دعامة السدوسي	١١٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٨، ١٩١، ١٩٢، ٢١٦، ٢٣٦، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٦٤، ٦٤٨، ٦٦٨
قتادة بن النعمان	٣٢٠، ٣٢١
ابن قتيبة	٦٨، ١٢٢، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٤، ٣٣٥، ٣٦٦، ٣٨٤، ٤١٧، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٥٥، ٤٨٥، ٥١٤، ٥٢١، ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٨٨
القرطبي	٦٧، ٦٩، ٦٨، ٩٩، ١٠١، ١٣٣، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٩١، ٢٠٥، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٧، ٣١٩، ٣٣٥، ٣٥١، ٤٣٧، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٩، ٥١٢، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٥، ٥٩٨، ٦٠٧، ٦١٠، ٦٤٩، ٦٦٨
القصاب (محمد بن علي)	١٤٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٩، ٥٨٣
قيل بن عنز	٦٦٩
ابن القيم	٤٠٥، ٤٦٤، ٤٦٥، ٥٠٤، ٥٣٨، ٥٩٩، ٦٣٦، ٦٤٨، ٦٦٤
ابن كثير (إسماعيل بن عمر)	٢٨، ٦٩، ٧٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٤٧، ١٧٩، ٢٨٣، ٣٠٧

العلم	الصفحة التي ورد فيها
ابن كثير (المقرئ)	٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٤٢٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٥٢٦ ، ٥٧٤ ، ٥٧٨ ، ٦٠٠ ، ٦٣٦ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٧
الكرماني (محمد بن يوسف بن علي)	٦٧٠
الكرماني (محمود بن حمزة)	٦٩ ، ١٢٠ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٨٨ ، ٤١٩ ، ٤٥٨ ، ٥٠٧ ، ٥٤٢ ، ٥٥٣ ، ٥٧٨ ، ٥٩٣ ، ٦١٤ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ، ٦٤٣ ، ٦٦١ ، ٦٨١
الكساني (المقرئ)	١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٤ ، ٣٨٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩
كعب الأحبار	٦٦٨
ابن كيسان	٦٤٢
ليبد بن ربيعة العامري	٤٩٨ ، ٤٩٧
لقمان	٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨
لقيم بن هزال بن هنزبل	٦٦٧
لوط (عليه السلام)	٣١٤ ، ٤٥١ ، ٥١٦ ، ٥١٧
أبو الليث السمرقندي	٦٧ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٧٤ ، ٦١٩
ابن ماجة (المحدث)	٣٧٠ ، ٣٦٩
مؤرج	٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٨٦
الإمام مالك بن أنس	٢١ ، ٣٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٤٤٦
ابن مالك (محمد بن عبد الله)	٨٥ ، ٦٦٢ ، ٣٦٣
الموردي	١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣٤٤ ، ٣٦٢

العلم	الصفحة التي ورد فيها
	٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٩٣، ٥٠٦، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٥، ٥٥٥، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٣، ٥٧٢، ٥٧٩، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٩، ٥٩٤، ٦٠١، ٦٠٣، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧٢
محمد بن أبي بكر الرازي (صاحب مختار الصحاح)	٦٧
محمد بن أحمد بن عبد الملك (تلميذ ابن عطية)	٣٦
إمام الأئمة (محمد بن إسحاق ابن خزيمة)	٢٥
محمد بن إسحاق بن يسار (صاحب السيرة)	٦٦٧، ٦٧١
محمد الأمين الشنقيطي	٥٤٦، ٥٧٤
محمد بن بشار (شيخ الطبري)	٢٣
محمد جمال الدين القاسمي	٥٣٨، ٥٤٠، ٦٦٤
محمد بن حبيب (صاحب النقائض)	٥٣٠
محمد بن حميد (شيخ الطبري)	٢٣، ٣٠٠، ٦٧١

العلم	الصفحة التي ورد فيها
محمد بن خير بن عمر (تلميذ ابن عطية)	٣٦
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (شيخ الطبري)	٢٣
محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب (شيخ الطبري)	٢٣
محمد بن العلاء أبو كريب (شيخ الطبري)	٢٣، ١١١
محمد بن علي التغلبي (شيخ ابن عطية)	٣٥
محمد بن الفرغ القرظي (شيخ ابن عطية)	٣٥
محمد بن كعب القرظي	١١٣
محمد بن المبارك	٥٣٠
محمود شاكر	٧١، ٩٨، ٩٩، ١٢٠، ٢٧٤، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٧٠، ٤١٢
	٤٤٠
ابن محيصة (المقرئ)	٣٣٨
المرزباني (محمد بن عمران)	٦١٠
مروان بن الحكم	٢٢١
مريم بنت عمران	٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٩، ٥٦٣، ٥٦٧
مسلم بن الحجاج القشيري	١٨٥، ٢١٧، ٣٧٠، ٣٩٩، ٤٢٥، ٦٤٥، ٦٥٣
المعافي بن زكريا الجريري	

العلم	الصفحة التي ورد فيها
(تلميذ الطبري)	٢٤
معاوية بن بكر	٦٦٩
معمربن راشد	١١٣
المفضل	٥٩٥
مقاتل	٢٥٥
المقري (عميد بن أبي سعيد)	١١٣
مكحول	١٠٩
مكي بن أبي طالب	٧٣، ٧٤، ١٠٤، ١٢٧، ١٨٨، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٧٤، ٣٤٠، ٣٨٨، ٤٣٧، ٤٤٧، ٤٧٣، ٥٠٣، ٥٤٧، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٣٦، ٦٦١
ابن أبي مليكة	١٧٧
المنتجب الهمداني	٢٩٣، ٥٧٥، ٥٩١، ٦٣٤، ٦٦١
ابن المنذر	١٢٦
منذر بن سعيد البلوطي	٦٤٨، ٦٤٦
ابن منظور	٦٨، ٢٥٥، ٣١٨، ٣٦٦، ٣٨٤، ٤١١، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٨٦، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥٣٤، ٥٥٧
ابن المنير الإسكندري	٢٩٨
المهدوي (أحمد بن عمار)	٦٠١
موسى (عليه السلام)	٣٩، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٦٥، ٣٢٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤٦٤، ٤٧٣، ٤٧٤، ٥١١، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٩، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٩١، ٦٠١، ٥٩٣
أبو موسى الأشعري	

العلم	الصفحة التي ورد فيها
(الصحابي)	١٤٣، ٢١٠، ٢١١
أبو ميسرة	٦٢
النايعة الذيباني	٨٤، ١١٨، ١٢٧، ٥٠٢، ٦٧٩
نافع (المقرئ)	١٥٥، ٢٣٨، ٦٢٧، ٦٧٤
النجاشي	٣٤٣، ٣٤٤
أبو النجم	٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦
ابن أبي نجيح	١١٨، ١٣١، ١٣٣، ٣٣٩، ٥٣٩، ٥٧٨
النسفي	٨٥، ٥٧٣، ٥٩٢، ٦٥٣
النضر بن شميل	٤٣٧
ابن التقيب	١٩٠
نمرود	١٥٩، ١٦٠
نوح (عليه السلام)	٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٦٦٩
النوي	١٢٥
النيسابوري (محمود بن أبي)	
(الحسن)	٢٢٢، ٥٧٥
هاجر	٦٧٠
هارون (عليه السلام)	٤٧٣، ٥٧٠
أبو هريرة	١٦١، ١٨٥، ١٩٤، ٢١٨، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٤٨
	٤٤٩، ٥٣٥، ٦٤٥
ابن هشام الأنصاري	٣١٢، ٤٦٩، ٥٣٠
هشام بن السري (شيخ)	
(الطبري)	٢٣
هود (عليه السلام)	٤٧٨، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٦٧، ٦٦٨

العلم	الصفحة التي ورد فيها
الواحدي	٦٧، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٧، ٢٢٨، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٢، ٣٤٤
	٣٥٨، ٤١٧، ٤٥٩، ٤٧٠، ٥١٤، ٥١٧، ٥٣٨، ٥٤٠
	٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٩، ٦١٩، ٦٢٦، ٦٥٧، ٦٧١
الوليد بن شجاع السكوني	
(شيخ الطبري)	٢٣
ابن وهب	٢١، ١٣٥، ١٥٢، ١٧٦، ٢٩٧، ٣٠٢
يحيى (عليه السلام)	٢٣١، ٥٦٣، ٥٦٤
اليزيدي (عبد الله بن يحيى)	٢٧٤، ٤٥٥
يعقوب (عليه السلام)	٩٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٥٠٠
يعقوب بن إبراهيم الدورقي	
(شيخ الطبري)	٢٣
يعقوب الحضرمي (المقري)	٢٣٩، ٢٥٧
يمان بن رناب	٢٢٢
اليهودي (السموأل)	٣١٦، ٣١٧، ٣١٨
يوسف (عليه السلام)	٤٩٥، ٥٠٠، ٥٠١
يونس (عليه السلام)	٤٦٦، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧
يونس بن عبد الأعلى	١٥٢

٦ - فهرس المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم.

حرف الألف

❁ الإبهاج في شرح المنهاج ، لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب. دار الكتب العلمية،

ط الأولى ١٤٠٤هـ.

❁ إنحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، للدمياطي ، تعليق: علي محمد الضباع. دار

الندوة الجديدة.

❁ الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تعليق: محمد شريف سكر . دار إحياء العلوم بيروت ، ط

الأولى ١٤٠٧هـ.

❁ إثبات صفة العلو ، لعبد الله بن قدامة المقدسي ، تحقيق: بدر بن عبد الله . الدار السلفية ، ط

الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ الأحاديث المختارة ، محمد بن عبد الواحد المقدسي ، تحقيق: عبد الملك بن دهيش. مكتبة النهضة

الحديثة، ط الأولى ١٤١٠هـ.

❁ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لعلاء الدين الفارسي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة

الرسالة ، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

❁ أحكام الجنائز وبدعها ، للألباني . المكتب الإسلامي ، ط الرابعة ١٤٠٦هـ.

❁ الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم . منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

❁ أحكام القرآن ، لابن العربي ، تحقيق: علي محمد الجاوي . دار الفكر.

❁ أحكام القرآن ، للجصاص ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي . دار إحياء التراث العربي

١٤٠٥هـ.

❁ أحكام القرآن ، للشافعي ، جمع البيهقي ، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق. دار الكتب العلمية

١٤٠٠هـ.

- ❁ أحكام القرآن ، للكيالمهراسي . دار الكتب العلمية ، ط الثانية ١٤٠٥ هـ .
- ❁ اختلاف الفقهاء ، لمحمد بن جرير الطبري . دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ❁ الاختيار لتعليل المختار ، لابن مودود الموصلبي . دار المعرفة الثالثة ١٣٩٥ هـ .
- ❁ إرشاد المتبدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر ، للقلاسي ، تحقيق : عمر حمدان الكبيسي .
المكتبة الفيصلية ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ .
- ❁ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، للألباني . المكتب الإسلامي ، ط الأولى ١٣٩٩ هـ .
- ❁ الألفية في علم الحروف ، لعلي بن محمد الهروي ، تحقيق : عبد المعين الملوحي . مطبوعات مجمع
اللغة العربية بدمشق ١٣٩١ هـ .
- ❁ أساس البلاغة ، للزمخشري . مطبعة دار الكتب ، الثانية ١٩٧٣ م .
- ❁ أسباب النزول ، للواحدي ، تحقيق : عصام بن عبد المحسن . دار الإصلاح ، ط الأولى ١٤١١ هـ .
- ❁ الاستيعاب في معرفة الأصحاب - بحاشية الإصابة - لابن عبد البر ، تحقيق : طه محمد الزبيدي .
الناشر مكتبة ابن تيمية ١٤١١ هـ .
- ❁ الإسرائيليات في التفسير والحديث ، للدكتور / محمد حسين الذهبي . الناشر مكتبة وهبة ط الثالثة
١٤٠٦ هـ .
- ❁ الأسماء والصفات ، لليهقي ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . الناشر دار الكتاب العربي ، ط
الأولى ١٤٠٥ هـ .
- ❁ الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : طه محمد الزبيدي . الناشر مكتبة ابن
تيمية ، القاهرة ، ١٤١١ هـ .
- ❁ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للدامغاني ، تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل . دار العلم
للملايين ، ط الثانية ١٩٧٧ م .
- ❁ كتاب الأصمعيات ، للأصمعي ، تحقيق : أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ، ط
الرابعة .
- ❁ أصول الفقه ، لمحمد أبي النور . المكتبة الفيصلية ١٤٠٥ هـ .
- ❁ كتاب الأضداد ، لمحمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم . الكويت ١٩٦٠ م .

- ❖ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي . عالم الكتب بيروت .
- ❖ إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد . عالم الكتب ط الثانية ١٤٠٥هـ .
- ❖ الأعلام ، خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين بيروت ، ط السابعة ١٩٨٦م .
- ❖ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، للإمام ابن القيم ، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل . الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة .
- ❖ الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني . دار الكتب المصرية ، ط الأولى ١٩٣٥م .
- ❖ ألفية ابن مالك - مع شرح ابن عقيل - لابن مالك . المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٤١٤هـ .
- ❖ الأمالي الشجرية ، لابن الشجري . دار المعرفة للطباعة والنشر .
- ❖ الإمام الطبري (شيخ المفسرين ، وعمدة المؤرخين ومقدم الفقهاء المحدثين ، صاحب المذهب الجريزي) للدكتور/ محمد الزحيلي . دار القلم . ط الأولى ، ١٤١٠هـ .
- ❖ الأم ، للإمام الشافعي ، تصحيح / محمد زهري النجار . دار المعرفة .
- ❖ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم . مطبعة دار الكتب المصرية، الأولى ١٣٧٤هـ .
- ❖ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - بهامش الكشاف - لابن المنير الإسكندري . دار الفكر ، ط الأولى ١٣٩٧هـ .
- ❖ الانتصاف من الإنصاف - بهامش الإنصاف في مسائل الخلاف - لمحمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر .
- ❖ الأنساب ، للسمعاني . طبع دار الجنان ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .
- ❖ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين ، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري . دار الفكر .
- ❖ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، لقاسم القونوي ، تحقيق: د/ أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي . الناشر دار الوفاء ، ط الثانية ١٤٠٧هـ .

- ✽ أودية مكة ، للبلادي . دار مكة ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ✽ الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف ، لابن المنذر ، تحقيق: د/ أبي حماد صغير . دار طيبة، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ✽ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام الأنصاري . دار الفكر ط السادسة ١٣٩٤ هـ.
- ✽ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لأبي بكر الجزائري . الطبعة الأولى الخاصة بالمؤلف ١٤١٤ هـ.
- ✽ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه ، لمكي ، تحقيق: أحمد حسن فرحات . دار المنارة جدة ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ.
- حرف الباء
- ✽ البحر الرائق شرح كنز الرقائق ، لابن نجيم . دار المعرفة ، ط الثانية.
- ✽ بحر العلوم ، لأبي الليث ، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد . دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٣ هـ.
- ✽ البحر المحيط ، لأبي حيان ، تحقيق: عادل أحمد ، وعلي محمد معوض ، وزكريا عبد المجيد ، وأحمد النجولي . دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٣ هـ.
- ✽ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمع وتوثيق : يسري السيد محمد . دار ابن الجوزي ، ط الأولى ١٤١٤ هـ.
- ✽ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد . دار المعرفة ، ط الثامنة ١٤٠٦ هـ.
- ✽ البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير . تحقيق: د/ أحمد أبي ملحم ورفاقه . دار الكتب العلمية . ط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ✽ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني . مطبعة السعادة ، ط الأولى ١٣٤٨ هـ.
- ✽ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرى ، لعبد الفتاح القاضي . الناشر دار الكتاب العربي ، ط الأولى ١٤٠١ هـ.
- ✽ البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الفكر ١٤٠٠ هـ.

❖ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار. المكتبة العلمية.

❖ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، لأحمد بن يحيى الضبي. دار الكاتب العربي ١٩٦٧هـ.

❖ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت.

❖ البلاغة الواضحة ، لعلي الجارم، ومصطفى أمين. لم يذكر معلومات عن الطبع.

❖ بلدان الخلافة الشرقية ، لكي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد. مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ١٤٠٥هـ.

❖ بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر العسقلاني ، تصحيح / محمد حامد الفقي . دار الندوة الجديدة.

❖ بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (نقض تأسيس الجهمية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. مؤسسة قرطبة.

❖ البيان في غريب إعراب القرآن ، لأبي البركات ابن الأنباري ، تحقيق: د/ طه عبد الحميد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠هـ.

حرف التاء

❖ تاج العروس ، للزبيدي . الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي.

❖ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.

❖ تاريخ بغداد ، للحافظ الخطيب البغدادي . المكتبة السلفية ، المدينة المنورة.

❖ تاريخ التراث العربي ، لفؤاد سزكين . منشورات جامعة الإمام ، ١٤٠٤هـ.

❖ تاريخ دمشق ، لابن عساكر . نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

❖ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) للإمام الطبري. دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

❖ تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) لأبي الحسن بن عبد الله الباهي المالقي الأندلسي. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

- ✽ التاريخ الكبير ، للبخاري. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
- ✽ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ، تحقيق: أحمد صقر. دار الكتب العلمية، ط الثالثة ١٤٠١هـ.
- ✽ التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء العكبري ، تحقيق: علي محمد البجاوي. مطبعة عيسى البايي الحلبي وشركاه.
- ✽ تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، للزيلعي. ط الإمدادية.
- ✽ التحرير والتنوير ، لابن عاشور. لم يذكر معلومات عن الطبع.
- ✽ تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبي . دار إحياء التراث العربي.
- ✽ تهذيب المؤلفين التونسيين ، لمحمد محفوظ. ط دار الفريد الإسلامي، الأولى ١٤٠٤هـ.
- ✽ ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، للطاهر أحمد الزاوي . دار الفكر، ط الثالثة.
- ✽ التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي الكلبي ، تحقيق: محمد عبد المنعم وإبراهيم عطوة. الناشر أم القرى للطباعة والنشر القاهرة.
- ✽ التعريفات ، للجزجاني . دار الكتب العلمية ، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ✽ تفسير ابن كثير ، لابن كثير . دار الفكر ط الأولى ١٤٠٠هـ.
- ✽ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود . الناشر دار إحياء التراث العربي.
- ✽ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي. مطبعة مصطفى البايي الحلبي ط الثانية ١٣٨٨هـ.
- ✽ تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي. دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.
- ✽ تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) للخازن . دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- ✽ تفسير سفيان الثوري ، لسفيان الثوري ، رواية أبي جعفر محمد عن أبي خديفة النهدي عن سفيان. دار الكتب العلمية . ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- ✽ تفسير سفيان بن عيينة ، لسفيان بن عيينة ، جمع وتحقيق: أحمد صالح محايري. المكتب الإسلامي ، ومكتبة أسامة، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

- ❖ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان - بحاشية جامع البيان - للحسن بن محمد النيسابوري .
المطبعة الأميرية ببولاق الأولى ١٣٢٣ هـ . تصوير دار المعرفة ١٤٠٦ هـ .
- ❖ تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق: أحمد صقر . دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ .
- ❖ تفسير غريب القرآن ، لأبي بكر محمد السجستاني . دار التراث القاهرة .
- ❖ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، للإمام الطبري، تحقيق: أحمد ومحمود شاکر .
دار المعارف بمصر . ط الثانية .
- ❖ تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام الطبري . دار الكتب العلمية . ط
الأولى ١٤١٢ هـ .
- ❖ تفسير القرآن ، لعبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق: د/ مصطفى مسلم محمد . مكتبة الرشد الرياض ،
ط الأولى ١٤١٠ هـ .
- ❖ تفسير القرآن الحكيم ، الشهر بتفسير المنار، محمد رشيد رضا . دار المنار، ط الثانية ١٣٦٨ هـ .
- ❖ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، لابن أبي حاتم الرازي،
تحقيق: د/ حكمت بشر، ود/ أحمد عبد الله . الناشر مكتبة الدار، ودار طيبة ، ودار ابن
القيم، ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
- ❖ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي . دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١١ هـ .
- ❖ تفسير كتاب الله العزيز ، هود بن محكم ، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفی . دار الغرب الإسلامي،
ط الأولى ١٩٩٠ م .
- ❖ تفسير النسائي ، للنسائي ، تحقيق: سيد الجليمي وصبري الشافعي . مكتبة السنة ، ط الأولى
١٤١٠ هـ .
- ❖ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للنسفي . الناشر دار الكتاب العربي .
- ❖ التفسير ورجاله ، محمد الفاضل ابن عاشور . دار الكتب الشرقية تونس ، ط الثانية ١٩٧٢ م .
- ❖ التفسير والمفسرون ، للدكتور/ محمد حسين الذهبي . دار الكتب الحديثة ط الثانية ١٣٩٦ هـ .
- ❖ تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة . ط: دار البشائر الإسلامية ،
بيروت، الأولى ١٤٠٦ هـ .

✽ التكملة لكتاب الصلة ، لابن الأبار. نشره عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة بمصر،
١٣٧٥هـ.

✽ تلخيص المستدرك (بهامش المستدرك) للذهبي. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١١هـ.

✽ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني . مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند ، تصوير دار
الكتاب الإسلامي .

✽ تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

✽ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ، تعليق: محمد خليل هراس. دار
الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

✽ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن السعدي ، تقديم: محمد زهري النجار.
مطبعة الشافعي ١٤٠٨هـ.

حرف الجيم

✽ جامع البيان في تفسير القرآن ، للإمام الطبري. المطبعة الأميرية ببولاق. الأولى ١٣٢٣هـ. تصوير
دار المعرفة ١٤٠٦هـ.

✽ الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، للترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار إحياء التراث العربي.

✽ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله القرطبي ، تحقيق: إبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية.

✽ الجرح والتعديل ، لعبد الرحمن بن أبي حاتم . مطبعة مجلس دائرة المعارف بجيدر آباد، ط الأولى.

✽ جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد
البجاوي. دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط الأولى.

✽ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، للثعالبي، تحقيق: د/ عمّار الطالبي. المؤسسة الوطنية للكتاب.

حرف الحاء

✽ الحجّة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد ، تحقيق: محمد بن
ربيع المدخلي. دار الراية ط الأولى ١٤١١هـ.

✽ الحجّة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، تحقيق: د/ عبد العال سالم. دار الشروق بيروت، ط
الثانية ١٣٩٧هـ.

- حجة القراءات ، لابن زنجلة ، تحقيق: سعيد الأفغاني . مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ.
- الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني . دار المأمون للتراث ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي ، تحقيق: عبد السلام هارون . الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط الثالثة ١٤٠٩ هـ.
- الخصائص ، لابن جني ، تحقيق: محمد علي النجار . الناشر دار الكتاب العربي . ط الأولى ١٤٠٩ هـ.
- حرف الدال ، تحقيق: محمد رشاد بشر . الناشر دار المعارف ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ.
- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: د/ محمد رشاد بشر . الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط الأولى ١٤٠١ هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكون ، للشمس الجلي ، تحقيق: د/ أحمد محمد الخطاط . دار القلم ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي . دار المعرفة . ط الأولى ١٤٠١ هـ.
- دلائل النبوة ، لأبي نعيم . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجند آباد الدكن ، الهند ، ١٣٩٧ هـ.
- دول الإسلام ، للذهبي ، تحقيق: فهمي محمد ومحمد مصطفى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط الأولى ١٩٧٤ م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرجون المالكي ، تحقيق: د/ محمد الأحدي . أبي النور . مكتبة دار التراث القاهرة . ط الأولى ١٩٧٧ م.
- ديوان الأحرص (شعر الأحرص الأنصاري) جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ م.
- ديوان الأخطل ، شرح راجي الأسيوطي . الناشر دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- ديوان الأعشى . دار صادر بيروت . ط الأولى ١٩٥٠ م.

قبائل العرب، كتابها، في تفسيره، وسببها، بلغة، في شرح الحرف الصاد، في شرحها، دار الكتاب العربي، ط الأولى

الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي، حققه: عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية، ط الأولى

١٤٠٦ هـ. قبائل العرب، كتابها، في تفسيره، وسببها، بلغة، في شرح الحرف الصاد، في شرحها، دار الكتاب العربي، ط الأولى

قبائل العرب، كتابها، في تفسيره، وسببها، بلغة، في شرح الحرف الصاد، في شرحها، دار الكتاب العربي، ط الأولى

الطبري، بقلم الدكتور/ أحمد محمد الحوفي، ط: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة

والشعر، الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طبقات الحنابلة، للسيد طي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٣٨٤ هـ، بيروت، لبنان.

طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب السبكي، تحقيق: محمود الطنطاوي، وعبد الفتاح الحلبي

دار إحياء الكتب العربية، سعد حمدان، الناشر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤١٠ هـ، م

طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي، تحقيق: أكرم التوشحي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى

١٤٠٩ هـ، بيروت، تحقيق: شرح صدور الذهب، محمد محي الدين. ولم يذكر أي مقدمات على الطب

طبقات فيقول الشعراء، لمحمد بن أبي إسحاق الحميري، شرح: محمود شاكر، مطبعة المدني، بيروت

طبقات المفسرين، للداود وادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٨٤ هـ، بيروت، لبنان

طبقات المفسرين، للسلبوطي، تحقيق: علي محمد عثمان، مطبعة الخطبة، القاهرة، ط الأولى

١٣٩٦ هـ، ط الأولى، ١٣٩٦ هـ، بيروت، لبنان، ١٣٩٦ هـ، بيروت، لبنان

شرح الفقيه، للسيد طي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٨٤ هـ، بيروت، لبنان

ظهر الإسلام، للإمام أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الخامسة، ١٣٨٨ هـ، بيروت، لبنان

الطبري، بقلم الدكتور/ أحمد محمد الحوفي، ط: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة

العرب في بحر من غير، للذهبي، تحقيق: محمد السعيد بنسوراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط

الأولى، ١٤٠٥ هـ. بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ، بيروت، لبنان

عدة البصائر، تحقيق: أوّس المصالح، في مناقشة أوّس المصالح، محمد محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط

دار الفكر، ط السادسة، ١٣٩٤ هـ، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان

كتاب العرش وما أروى فيه، لابن أبي عمير، تحقيق: محمد بن محمد، دار الكتب العلمية، ط الأولى

١٤٠٦ هـ. بيروت، لبنان، ١٤٠٦ هـ، بيروت، لبنان

✽ كتاب العظمة ، لأبي الشيخ ، تحقيق: رضاء الله بن محمد. دار العاصمة الرياض، النشرة الأولى
١٤١١هـ.

✽ عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: بدر البدر.
الدار السلفية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

✽ العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها ، للذهبي، صححه: عبد الرحمن محمد عثمان.
الناشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط الثانية ١٣٨٨هـ.

✽ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمن الحلبي، تحقيق: محمد التونجي. عالم الكتب، ط
الأولى ١٤١٤هـ.

✽ العمدة في غريب القرآن ، لمكي بن أبي طالب، تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي. مؤسسة
الرسالة، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

حرف الغين

✽ غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، عني بنشره برجستراسر. مكتبة الخانجي بمصر
١٣٥٢هـ.

✽ غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمد بن حمزة الكرمانلي، تحقيق: د/ شران سركال. دار القبلة
للتقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن ط الأولى ١٤٠٨هـ.

✽ غريب القرآن وتفسيره ، لعبد الله بن يحيى اليزيدي، تحقيق: محمد سليم الحاج. عالم الكتب، ط
الأولى ١٤٠٥هـ.

حرف الفاء

✽ الفتاوى الحديثية ، لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي. ط مصطفى البايي الحلبي بمصر الثانية
١٣٩٠هـ.

✽ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني . المطبعة السلفية ، الناشر دار المعرفة.
فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان. دار الفكر العربي.

✽ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني. دار الفكر
١٤٠٣هـ.

❁ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان بن عمر الجمل. مطبعة عيسى البابي الحلبي.

❁ الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين. الناشر دار المعرفة بيروت.

❁ الفريد في إعراب القرآن المجيد ، للمنتجب ، تحقيق: د/ فهمي حسن النمر ، د/فؤاد علي محييمر. دار الثقافة ، ط الأولى ١٤١١هـ.

❁ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري. دار المعرفة.

❁ الفهرست ، لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

❁ فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، لأبي بكر محمد بن خير الأشيلي (ت : ٥٧٥هـ) تحقيق: فرنسشكة وخليان ط. الثانية ١٣٨٢هـ عن الأصل المطبوع في مطبعة قوش.

حرف القاف

❁ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، لعبد الفتاح القاضي. الناشر دار الكتاب العربي ط الأولى ١٤٠١هـ.

❁ القراءات وعلل النحويين فيها المسمى (علل القراءات)، لأبي منصور الأزهري تحقيق: نوال بنست إبراهيم الحلوة. ط الأولى ١٤١٢هـ.

❁ قصص الأنبياء ، لابن كثير ، تحقيق: د/ عبد الحي الفرماوي. دار الطباعة والنشر الإسلامية، دار اليقين للنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤١٢هـ.

❁ قلاند العقيان في محاسن الأعيان ، للفتح بن خاقان. مصورة عن طبعة باريس، الناشر: المكتبة العتيقة تونس.

حرف الكاف

❁ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي. دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

❁ الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف الملحق بآخر الكشاف ، لابن حجر العسقلاني. دار المعرفة.

الفرقة

❖ الكافية الشافية في الانتصار للمعرفة الناجية ، لابن القيم ، وهي مع شرحها للدكتور/ محمد خليل هراس. دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

❖ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تحقيق: د/ محمد يوسف الدقاق. دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤٠٧هـ.

❖ الكامل ، لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٣هـ.

❖ الكتاب (كتاب سيوريه) لعمر بن عثمان قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط الثالثة ١٤٠٨هـ.

❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري. دار الفكر ط الأولى ١٣٩٧هـ.

❖ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. منشورات مكتبة المتنبى ببغداد.

❖ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د/ محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة ، ط الرابعة ١٤٠٧هـ.

❖ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للهندي. منشورات مكتبة التراث الإسلامي، الأولى ١٣٩٧هـ.

حرف اللام

❖ لباب النقول في أسباب النزول بhashية تفسير الجلالين، للسيوطي. دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.

❖ لسان العرب ، لابن منظور، تعليق: علي شيري. دار إحياء التراث العربي ط الأولى ١٤٠٨هـ.

❖ لسان الميزان، لابن حجر . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ط الأولى ١٣٣١هـ.

❖ كتاب اللغات في القرآن برواية ابن حسنون إلى ابن عباس ، تحقيق: د/ صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديدة ، ط الثالثة ١٣٩٨هـ.

❖ لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبيد القاسم بن سلام رواية عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنه. تحقيق د / عبد الحميد السيد. مطبوعات جامعة الكويت عام ١٩٨٥م.

❖ لغة القرآن الكريم ، للدكتور/ عبد الجليل عبد الرحيم. مكتبة الرسالة ط الأولى ١٤٠١هـ.

حرف الميم

- ❖ مباحث في علوم القرآن ، لمناع القطان. مؤسسة الرسالة ط الثامنة ١٤٠١هـ.
- ❖ المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر الأصبهاني ، تحقيق: سبيع حمزة. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ❖ مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق: د/ محمد فؤاد سزكين. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- ❖ مجالس نعلب، لأبي العباس نعلب، تحقيق: عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر، ط الثانية.
- ❖ المجتمع المدني في عهد النبوة. للدكتور/ أكرم ضياء العمري. نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
- ❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لأبي بكر الهيثمي. منشورات دار الكتاب العربي، ط الثالثة ١٤٠٢هـ.
- ❖ المجموع شرح المهذب، للنووي. دار الفكر.
- ❖ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد. المطبوعة على نفقة الملك خالد رحمه الله.
- ❖ المجيد في إعراب القرآن المجيد، للصفاقصي، تحقيق: موسى محمد زين. منشورات كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية الليبية ط الأولى ١٩٩٢م.
- ❖ محاسن التأويل (تفسير القاسمي) للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. مؤسسة التاريخ العربي، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- ❖ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني ، تحقيق: علي النجدي، والدكتور/ عبد الحليم النجار، والدكتور/ عبد الفتاح شلبي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة ١٣٨٦هـ.
- ❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد الله الأنصاري ورفاقه. الطبعة القطرية، الأولى ١٣٩٨هـ.
- ❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية ، تحقيق: المجلس العلمي بفاس ١٤١٣هـ.

- ✽ اغرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي ابن عطية ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- ✽ اغرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي ابن عطية، تحقيق: الملاح ، نشر المجلس الأعلى للشتون الإسلامية ، القاهرة ١٣٩٩هـ.
- ✽ الخلى ، لابن حزم، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. منشورات دار الآفاق الجديدة.
- ✽ المحمدون من الشعراء، للقفطي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية باهند، الأولى ١٣٨٥هـ.
- ✽ مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ، تصحيح: سميرة خلف الموالى. المركز العربي للثقافة والعلوم.
- ✽ مختصر الصرف، للدكتور/ عبد الهادي الفضلي. دار الشروق جدة، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ✽ مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتقلة، لمحمد بن الموصلي. دار الندوة الجديدة ١٤٠٥هـ.
- ✽ مختصر العلو للعلي الغفار، اختصار وتحقيق الألباني. المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠١هـ.
- ✽ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويه، عني بنشره ج برجستراسر. المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.
- ✽ المخصص ، لابن سيده . دار الكتب العلمية.
- ✽ مدرسة التفسير في الأندلس، لمصطفى إبراهيم المشني. مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- ✽ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لابن حزم . دار الكتب العلمية.
- ✽ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ، ط الثانية ١٣٩٠هـ.
- ✽ مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفى الدين البغدادي، تحقيق: علي محمد الجاوي. دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٧٣هـ.
- ✽ مساوى الأخلاق ومذمومها، لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: مصطفى أبي النصر الشلبي. مكتبة السوادى، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- ✽ المستدرک على الصحيحين ، للحاكم ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١١هـ.

- ✽ مسند أبي داود الطيالسي ، لأبي داود الطيالسي. مكتبة المعارف، ودار المعرفة.
- ✽ مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، ط الثانية ١٤١٠هـ.
- ✽ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: جماعة بإشراف د/ عبد الله التركي. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- ✽ المسند ، للإمام أحمد. المكتب الإسلامي ط الخامسة ١٤٠٥هـ.
- ✽ مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د/ حاتم صالح. مؤسسة الرسالة، ط الرابعة ١٤٠٨هـ.
- ✽ المصباح المنير، للفيومي. مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م.
- ✽ المصنف ، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط الأولى ١٣٩٢هـ.
- ✽ معالم التنزيل (تفسير البغوي) للبغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار. دار المعرفة ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- ✽ معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: الصابوني. مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- ✽ معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق: د/ عبد الأمير محمد. عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- ✽ معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، تحقيق: د/ عبد الجليل عبده شليبي. عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- ✽ معاني القرآن ، للفراء . عالم الكتب ، ط الثالثة ١٤٠٣هـ.
- ✽ المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لابن قتيبة . مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند ، ط الأولى ١٣٦٨هـ.
- ✽ المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعماد بن عبد الله المعتق. دار العاصمة الرياض، النشرة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ✽ معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- ✽ معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة . مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.
- ✽ معجم البلدان ، لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ.

- ❁ معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني. دار الكتب العلمية ، ط الثانية ، ١٤٠٢هـ.
- ❁ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (المعروف بابن الأبار) . الناشر دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٧هـ.
- ❁ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة، ط السادسة ١٤١٢هـ.
- ❁ المعجم الكبير ، للطبراني ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. مطبعة الزهراء الحديثة، ط الثانية.
- ❁ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، للبكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب، الثالثة ١٤٠٣هـ.
- ❁ المعجم المفصل في شواهد النحر الشعرية، للدكتور/ إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- ❁ المعجم المفصل في علم الصرف، لراجي الأسمر. دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- ❁ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل، ط الأولى ١٤١١هـ.
- ❁ المعجم الوسيط، اشترك في تأليفه جماعة من مجمع اللغة العربية. مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية ط الثالثة.
- ❁ المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. مطبعة دار الكتب ط الثانية ١٣٨٩هـ.
- ❁ المغني ، لابن قدامة . مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١هـ.
- ❁ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين. المكتبة العصرية ١٤٠٧هـ.
- ❁ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- ❁ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة.
- ❁ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، محمد بن عبد الرحمن المغراوي. دار طيبة ط الأولى ١٤٠٥هـ.

- ❖ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تصحيح: هلموت ريتز. دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط الثالثة.
- ❖ مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية . دار الصحابة للتراث ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- ❖ المكثفي في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل ، للإمام عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي . مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
- ❖ ملاك التأويل القاطع بدوي الإحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ، تحقيق: د/ محمد كامل أحمد . دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ.
- ❖ ملحة الراعي ، تحقيق: أحمد الشائب . مطبعة جامعة فؤاد الأول.
- ❖ الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل . دار الفكر.
- ❖ من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، تحقيق: د/ عبد العزيز بن ناصر المانع. توزيع مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- ❖ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي ، تحقيق: محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر. دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٢هـ.
- ❖ منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم. نشر جامعة الإمام ، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- ❖ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الوهاب فايد. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ.
- ❖ المهذب فيما وقع من القرآن من المعرب ، للسيوطي، تحقيق: د/ التهامي الراجي الهاشمي. مطبعة احمديّة المغرب.
- ❖ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، لسعدي أبي جيب. دار العربية للطباعة والنشر بيروت.
- ❖ موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، لمحمد بن رزق بن طرهوني. دار ابن القيم، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- ❖ موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود. الناشر مكتبة الرشد الرياض ط الأولى ١٤١٥هـ.

- ✻ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي، تحقيق: علي محمد الجاوي. دار المعرفة بيروت.
- ✻ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد بن صالح المديفر. مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤١١هـ.

حرف النون

- ✻ الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د/ سليمان بن إبراهيم اللاحم. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- ✻ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

- ✻ النحو الوافي، لعباس حسن. دار المعارف بمصر، ط الخامسة.
- ✻ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم. مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

- ✻ نزهة الخاطر العاطر - بحاشية روضة الناظر - لعبد القادر بن بدران. دار الكتب العلمية.
- ✻ كتاب النزول، للدارقطني، تحقيق: د/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- ✻ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية.
- ✻ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي. ط دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط الأولى ١٣٨٩هـ.

- ✻ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: د/ إحسان عباس. دار صادر بيروت.

- ✻ نقائص جرير والفرزدق، محمد بن حبيب. الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- ✻ نقد مراتب الإجماع، لشيخ الإسلام ابن تيمية. دار الكتب العلمية.
- ✻ نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لمحمد بن علي القصاب، تحقيق: د/ علي بن غازي التويجري، وشايع بن عبده الأسمري. رسالتا ماجستير خاصة بمكتبي، ويوجد من الكتاب نسخ في الجامعة الإسلامية، المكتبة المركزية.

❖ النكت والعيون ، للماوردي ، تحقيق: السيد بن عبد المقصود. دار الكتب العلمية ، مؤسسة الكتب الثقافية ط الأولى ١٤١٢هـ.

❖ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. المكتبة العلمية بيروت.

❖ نهر الخير على أيسر التفاسير - بحاشية أيسر التفاسير - لأبي بكر الجزائري. الطبعة الأولى الخاصة بالمؤلف ١٤١٤هـ.

❖ الزهر الماد من البحر على حاشية البحر المحيط ، لأبي حيان . دار الفكر، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

❖ نواسخ القرآن ، لابن الجوزي ، تحقيق: د/ محمد أشرف. نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

حرف الهاء

❖ الهداية شرح بداية المبتدي، للمرغيناني. دار الفكر، ط الثانية.

❖ هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) ، لإسماعيل البغدادي. طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة ومطبعها البهية استانبول ١٩٥١م.

❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق: د/ عبد العال سالم مكرم. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ، الكويت ١٣٩٩هـ.

حرف الواو

❖ الوافي بالوفيات ، للصفدي، باعتناء هلموت ريتز. دار النشر فرانز شتاينر بقينسبادن ١٣٨١هـ.

❖ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، للواحدي ، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، وأحمد محمد، وأحمد عبد الغني، وعبد الرحمن عويس. دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٥هـ.

❖ وضح البرهان في مشكلات القرآن ، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان. دار القلم، الدار الشامية، ط الأولى ١٤١٠هـ.

❖ الوفيات ، لابن قنفذ القسطنطيني، تحقيق: عادل نويهض. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط الأولى ١٩٧١م.

❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان. تحقيق: الدكتور/إحسان عباس. دار صادر بيروت.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في تفسيره
٣	كلمة شكر
٥	خطبة الكتاب
٧	المقدمة ، وتشمل (أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، والمنهج المتبع في البحث)
٨	أسباب اختيار الموضوع
٩	خطة البحث
١١	المنهج المتبع في البحث
١٨	القسم الأول: عن الإمامين الطبري وابن عطية وعن تفسيريهما (وفيه ثلاثة فصول)
١٩	الفصل الأول: ترجمة موجزة للإمام الطبري (وفيه عشرة مباحث)
١٩	المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ونسبته
٢٠	المبحث الثاني: مولده ونشأته وطلبه للعلم
٢١	المبحث الثالث: رحلاته العلمية
٢٢	المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه
٢٤	المبحث الخامس: العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه
٢٦	المبحث السادس: عقيدته
٢٩	المبحث السابع: مذهبه في الفقه
٢٩	المبحث الثامن: الأعمال التي قام بها
٣٠	المبحث التاسع: مؤلفاته
٣١	المبحث العاشر: وفاته رحمه الله تعالى
٣٣	الفصل الثاني: ترجمة موجزة للقاضي ابن عطية (وفيه عشرة مباحث)

رقم الصفحة	الموضوع
٣٣	المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته
٣٣	المبحث الثاني: مولده ونشأته وطلبه للعلم
٣٤	المبحث الثالث: رحلاته العلمية
٣٤	المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه
٣٧	المبحث الخامس: العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه
٣٨	المبحث السادس: عقيدته
٣٩	المبحث السابع: مذهبه في الفقه
٤٠	المبحث الثامن: المناصب التي شغلها
٤٠	المبحث التاسع: مؤلفاته
٤١	المبحث العاشر: وفاته رحمه الله تعالى
٤٢	الفصل الثالث: عقد مقارنة بين جامع البيان والمحرر الوجيز (وفيه عشرة مباحث)
٤٣	المبحث الأول: المقارنة بينهما في تفسير القرآن بالقرآن
٤٣	المبحث الثاني: المقارنة بينهما في تفسير القرآن بالسنة
٤٥	المبحث الثالث: المقارنة بينهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين
٤٥	المبحث الرابع: المقارنة بينهما في ذكر القراءات وتوجيهها
٤٦	المبحث الخامس: المقارنة بينهما في الاعتماد على اللغة العربية
٤٧	المبحث السادس: المقارنة بينهما في تدوين أحكام القرآن
٤٨	المبحث السابع: المقارنة بينهما في ذكر الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم
٥٠	المبحث الثامن: المقارنة بينهما في الاهتمام بالعقيدة والرد على الفرق المخالفة
٥١	المبحث التاسع: المقارنة بينهما في ذكر أسباب النزول
٥٣	المبحث العاشر: المقارنة بينهما في ذكر الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص والمكي والمدني
٥٥	القسم الثاني: استدراقات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في تفسيره
٥٦	مقدمة التفسير، فيها استدرالك واحد وهو في وجود المعرب في القرآن

رقم الصفحة	الموضوع
٦٥	سورة الفاتحة
٦٥	﴿الحمد لله رب العالمين﴾: الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٧٢	﴿ولا الضالين﴾: الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٧٧	﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾: الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٨٠	سورة البقرة
٨٠	﴿أو كصيب من السماء﴾: الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٨٦	﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً﴾: الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٨٩	﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾: الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٩١	﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾: الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:
٩٤	﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾: الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:
٩٦	﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾: الاستدراك رقم (٦) في قوله تعالى:
٩٨	﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾: الاستدراك رقم (٧) في قوله تعالى:
١٠٠	﴿ولكل وجهة هو موليها﴾: الاستدراك رقم (٨) في قوله تعالى:
١٠٢	﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾: الاستدراك رقم (٩) في قوله تعالى:
١٠٨	﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾: الاستدراك رقم (١٠) في قوله تعالى:
	﴿ذلك لمن لم يكن أهلي حاضري المسجد﴾: الاستدراك رقم (١١) في قوله تعالى:
١٠٩	الحرام
١١١	﴿ويهلك الحرث والنسل﴾: الاستدراك رقم (١٢) في قوله تعالى:
	﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق﴾: الاستدراك رقم (١٣) في قوله تعالى:
١١٥	ياذنه

رقم الصفحة	الموضوع
١١٨	﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾: الاستدراك رقم (١٤) في قوله تعالى:
١٢١	﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾: الاستدراك رقم (١٥) في قوله تعالى:
١٢٧	﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾: الاستدراك رقم (١٦) في قوله تعالى:
١٢٩	﴿فإذا أمتتم فاذكروا الله﴾: الاستدراك رقم (١٧) في قوله تعالى:
١٣١	﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾: الاستدراك رقم (١٨) في قوله تعالى:
١٣٥	﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾: الاستدراك رقم (١٩) في قوله تعالى:
١٣٨	﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾: الاستدراك رقم (٢٠) في قوله تعالى:
١٤١	﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾: الاستدراك رقم (٢١) في قوله تعالى:
١٤٦	﴿وهو العلي العظيم﴾: الاستدراك رقم (٢٢) في قوله تعالى:
١٥٠	﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾: الاستدراك رقم (٢٣) في قوله تعالى:
١٥٢	﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾: الاستدراك رقم (٢٤) في قوله تعالى:
١٥٥	﴿فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾: الاستدراك رقم (٢٥) في قوله تعالى:
١٦٠	﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾: الاستدراك رقم (٢٦) في قوله تعالى:
١٦٨	﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾: الاستدراك رقم (٢٧) في قوله تعالى:
١٧٢	﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة﴾: الاستدراك رقم (٢٨) في قوله تعالى:
١٧٤	﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل﴾: الاستدراك رقم (٢٩) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع
١٧٦	﴿أيوذ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ الاستدراك رقم (٣٠) في قوله تعالى:
١٨٠	﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ الاستدراك رقم (٣١) في قوله تعالى:
١٨٧	﴿فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ الاستدراك رقم (٣٢) في قوله تعالى:
١٩١	﴿وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ الاستدراك رقم (٣٣) في قوله تعالى:
١٩٣	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...﴾ الاستدراك رقم (٣٤) في قوله تعالى:
٢٠١	﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً...﴾ الاستدراك رقم (٣٥) في قوله تعالى:
٢٠٧	﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ الاستدراك رقم (٣٦) في قوله تعالى:
٢١٤	﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ الاستدراك رقم (٣٧) في قوله تعالى:
٢١٥	﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ الاستدراك رقم (٣٨) في قوله تعالى:
٢٢١	سورة آل عمران
٢٢١	﴿والقناطير المقنطرة﴾ الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٢٢٥	﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٢٣٠	﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٢٣٢	﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفىك...﴾ الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٦	﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾
٢٣٨	﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾
٢٤٣	﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه...﴾
٢٤٧	﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي...﴾
٢٥٠	﴿ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾
٢٥٤	﴿وودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم...﴾
٢٥٧	﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً...﴾
٢٦١	﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾
٢٦٣	﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به...﴾
٢٦٥	﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة...﴾
٢٦٨	﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٢٧٠	﴿وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآعداً للقتال...﴾
٢٧٣	﴿إن يمسسكم قرح فقد مسح القوم قرح مثله﴾
٢٧٦	سورة النساء
٢٧٦	﴿هنيئاً مريئاً﴾
٢٧٩	﴿وكفى بالله حسيباً﴾
٢٨١	﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾
٢٨٥	﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾
٢٨٨	﴿والمحصنات من النساء إلا ما مملكت أيماكنم...﴾
٢٩٢	﴿والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض﴾
٢٩٥	﴿واهجروهن في المضاجع﴾
٣٠٣	﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً...﴾
٣٠٦	﴿وابن السبيل﴾
٣٠٨	﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس...﴾
٣١١	﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾
	﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٣١٤	على هؤلاء شهيداً ﴿
٣١٦	﴿وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾ الاستدراك رقم (١٣) في قوله تعالى:
٣١٩	﴿واستغفر الله إن الله كان عفوراً رحيماً﴾ الاستدراك رقم (١٤) في قوله تعالى:
٣٢٣	﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين...﴾ الاستدراك رقم (١٥) في قوله تعالى:
	﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا
٣٢٥	ليهديهم سبيلاً﴾
٣٢٨	سورة المائدة
٣٢٨	﴿ولا الهدي ولا القلائد﴾ الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
	﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم
	إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم فكف
٣٣١	أيديهم عنكم﴾
٣٣٤	﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
	﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه
٣٣٧	من الكتاب ومهيماً عليه﴾
	﴿وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن
٣٤١	سواء السبيل﴾
	﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
٣٤٣	والذين أشركوا...﴾
٣٤٦	﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب...﴾ الاستدراك رقم (٧) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٨	﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾
٣٥٣	﴿قالوا لا علم لنا...﴾
٣٥٦	سورة الأنعام
٣٥٦	﴿وجعل الظلمات والنور﴾
٣٥٩	﴿قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾
٣٦٢	﴿حتى إذا جاءوك يجادلونك...﴾
٣٦٤	﴿ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾
٣٦٦	﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم...﴾
٣٦٨	﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه...﴾
٣٧٢	﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم...﴾
٣٧٤	﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية...﴾
٣٧٥	﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٧	﴿وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ الاستدراك رقم (١٠) في قوله تعالى:
	﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ الاستدراك رقم (١١) في قوله تعالى:
٣٧٩	ونرد على أعقابنا...﴾
٣٨١	﴿واذ قال إبراهيم لأبيه آزر...﴾ الاستدراك رقم (١٢) في قوله تعالى:
	﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا﴾ الاستدراك رقم (١٣) في قوله تعالى:
٣٨٣	ربي...﴾
	﴿وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً﴾ الاستدراك رقم (١٤) في قوله تعالى:
٣٨٦	وغير متشابه﴾
٣٨٩	﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار...﴾ الاستدراك رقم (١٥) في قوله تعالى:
٣٩٢	﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل﴾ الاستدراك رقم (١٦) في قوله تعالى:
	لكلماته...﴾
٣٩٥	﴿صدقاً وعدلاً...﴾ الاستدراك رقم (١٧) في قوله تعالى:
٣٩٧	﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه...﴾ الاستدراك رقم (١٨) في قوله تعالى:
٣٩٩	﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها...﴾ الاستدراك رقم (١٩) في قوله تعالى:
٤٠١	سورة الأعراف
٤٠١	﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٤٠٤	﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
	﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا﴾ الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٤٠٦	تفتح لهم أبواب السماء﴾
	﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع
٤٠٩	وزادكم في الخلق بسطة ﴿﴾
٤١١	﴿قال الملائمة من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾
٤١٣	﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب...﴾
٤١٦	﴿وإذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾
٤١٩	﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه...﴾
٤٢١	﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما...﴾
	سورة الأنفال
٤٢٦	﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم...﴾
٤٣٠	﴿إذ يغشاكم النعاس أمنة منه...﴾
٤٣٣	﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾
٤٣٥	﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه﴾
٤٣٨	﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾
٤٤١	سورة التوبة
٤٤١	﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾

الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٦) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٧) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٨) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٩) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع	
٤٤٥	﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم...﴾	الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٤٤٨	﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة...﴾	الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
	﴿ألم يأتيهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد	الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:
٤٥٠	﴿وثمود...﴾	
٤٥٢	﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم...﴾	الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:
	﴿إنكم رضيتم بالقيود أول مرة فاقعدوا مع	الاستدراك رقم (٦) في قوله تعالى:
٤٥٤	﴿الخالفين﴾	
٤٥٧	﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم...﴾	الاستدراك رقم (٧) في قوله تعالى:
	﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله	الاستدراك رقم (٨) في قوله تعالى:
٤٦٠	﴿والمؤمنون﴾	
٤٦١	﴿إن الله له ملك السموات والأرض...﴾	الاستدراك رقم (٩) في قوله تعالى:
	﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من	الاستدراك رقم (١٠) في قوله تعالى:
٤٦٣	﴿كل فرقة منهم طائفة﴾	
٤٦٦	سورة يونس عليه السلام	
٤٦٦	﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾	الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٤٦٧	﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله...﴾	الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٤٦٨	﴿أنتم إذا ما وقع آمنتكم به﴾	الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٤٧٠	﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾	الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:
	﴿ألا إن الله ما في السموات والأرض ألا إن	الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:
٤٧١	﴿وعد الله حق...﴾	

رقم الصفحة	الموضوع	
٤٧٣	﴿... وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾	الاستدراك رقم (٦) في قوله تعالى:
	﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم	الاستدراك رقم (٧) في قوله تعالى:
٤٧٥	يونس...﴾	
٤٧٨	سورة هود عليه السلام	
	﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي	الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٤٧٨	إجرامي...﴾	
	﴿قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما	الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٤٨١	تسخرون﴾	
	﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي	الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٤٨٣	وإن وعدك الحق﴾	
	﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا	الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:
٤٨٥	عليها حجارة من سجيل منضود﴾	
٤٨٧	﴿وأقم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل...﴾	الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:
	﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها	الاستدراك رقم (٦) في قوله تعالى:
٤٩١	مصلحون﴾	
٤٩٥	سورة يوسف عليه السلام	
٤٩٥	﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾	الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
	﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه	الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٤٩٧	يعصرون﴾	
٥٠٠	﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾	الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع
٥٠٢	سورة الرعد
٥٠٢	﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾
٥٠٤	﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾
٥٠٦	﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظَلْمِهِمْ...﴾
٥٠٩	﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾
٥١١	سورة إبراهيم عليه السلام
٥١١	﴿وَإِذْ تَأْذِنُ رَبِّكُمْ لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾
٥١٣	﴿مَنْ ورائه جهنم ويسقى من ماءٍ صديد﴾
٥١٦	سورة الحجر
٥١٦	﴿لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون﴾
٥١٨	سورة النحل
٥١٨	﴿وَالخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَكْبُوها وَزِينة...﴾
٥١٩	﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٥٢١	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ
٥٢٤	بيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٥٢٦	سورة الإسراء
	﴿وقضينا إلى بني إسرائيل...﴾ إلى قوله
٥٢٦	﴿وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾
	﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم
٥٢٧	﴿وإياكم﴾
	﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان
٥٢٩	﴿عنه مسئولاً﴾
٥٣١	﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾
٥٣٣	﴿يوم يدعوكم فتستجبون بحمده...﴾
٥٣٥	﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾
	﴿فقال له فرعون إنني لأظنك يا موسى
٥٤١	﴿مسحوراً﴾
٥٤٤	﴿جننا بكم لفيفا﴾
٥٤٥	سورة الكهف
	﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا
٥٤٥	﴿أمدا﴾
	﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً * إلا أن
٥٤٩	﴿يشاء الله﴾
	﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه

الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٦) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٧) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٨) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:

الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع
٥٥١	بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴿﴾
٥٥٤	﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾ الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:
٥٥٦	﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ الاستدراك رقم (٥) في قوله تعالى:
٥٥٩	﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب...﴾ الاستدراك رقم (٦) في قوله تعالى:
٥٦١	﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ الاستدراك رقم (٧) في قوله تعالى:
٥٦٣	سورة مريم
٥٦٣	﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٥٦٥	﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾ الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٥٦٧	﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٥٦٩	سورة طه
٥٦٩	﴿ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى﴾ الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٥٧٢	﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٥٧٤	سورة الحج
٥٧٤	﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع	
٥٧٥	﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾	الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٥٧٧	﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع...﴾	الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٥٧٩	﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدّها الله الذين كفروا...﴾	الاستدراك رقم (٤) في قوله تعالى:
٥٨١	سورة المؤمنون	
٥٨١	﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾	فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٥٨٤	سورة النور	
٥٨٤	﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة...﴾	الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٥٨٦	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا...﴾	الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٥٨٩	سورة الفرقان	
٥٨٩	﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾	فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٥٩١	سورة القصص	
٥٩١	﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾	الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى:
٥٩١	﴿وربك يخلق ما شاء ويختار ما كان لهم	الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:

رقم الصفحة	الموضوع
٥٩٤	﴿الخيرة...﴾
٦٠٣	سورة الروم
٦٠٣	﴿الم * غلبت الروم﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦٠٦	سورة لقمان
٦٠٦	﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن...﴾ : الاستدراك رقم (١) في قوله تعالى :
٦٠٩	﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ : الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى :
٦١١	سورة السجدة
٦١١	﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦١٥	سورة سبأ
٦١٥	﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦١٧	سورة يس
٦١٧	﴿يا حسرة على العباد...﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦١٩	سورة ص
٦١٩	﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦٢١	سورة غافر
٦٢١	﴿واذ يتحاجون في النار...﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى : ﴿استدراك رقم (٥) = = = : (الله الذي جعل لكم الأنعام...﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٦٢٤	سورة فصلت
٦٢٤	﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم...﴾
٦٢٧	﴿في أيام نحسات﴾
٦٣٠	سورة الدخان
٦٣٠	﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾
٦٣٨	سورة الجاثية
٦٣٨	﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾
٦٤١	سورة الفتح
٦٤١	﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...﴾
٦٤٦	﴿فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم...﴾
٦٤٩	سورة ق
٦٤٩	﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾
٦٥١	﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾
٦٥٤	سورة الذاريات
٦٥٤	﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾
٦٥٨	سورة النجم
٦٥٨	﴿... فاستوى * وهو بالأفق الأعلى﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٦٦٥	﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ : الاستدراك رقم (٢) في قوله تعالى:
٦٦٧	﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ : الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى:
٦٧٢	سورة الحديد
٦٧٢	﴿إن كنتم مؤمنين﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦٧٤	سورة الجن
٦٧٤	﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن...﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦٧٧	سورة الإنسان
٦٧٧	﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم...﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦٧٩	سورة الليل
٦٧٩	﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ : فيها استدراك واحد في قوله تعالى :
٦٨٣	الخاتمة: أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث
٦٨٦	القهارس
٦٨٧	١- فهرس آيات القرآن الكريم
٧٢٨	٢- فهرس الأحاديث الشريفة
٧٣١	٣- فهرس الآثار
٧٣٩	٤- فهرس الأشعار
٧٤٣	٥- فهرس الأعلام
٧٧٣	٦- فهرس المصادر والمراجع
٧٩٧	٧- فهرس الموضوعات